

صُبحُ الأَسَدِ

الجزء العاشر

دَارُ الْكِتَابِ السُّلْطَانِيَّةِ

كِتَابُ

صُنْحُ الْأَسْبَعِ

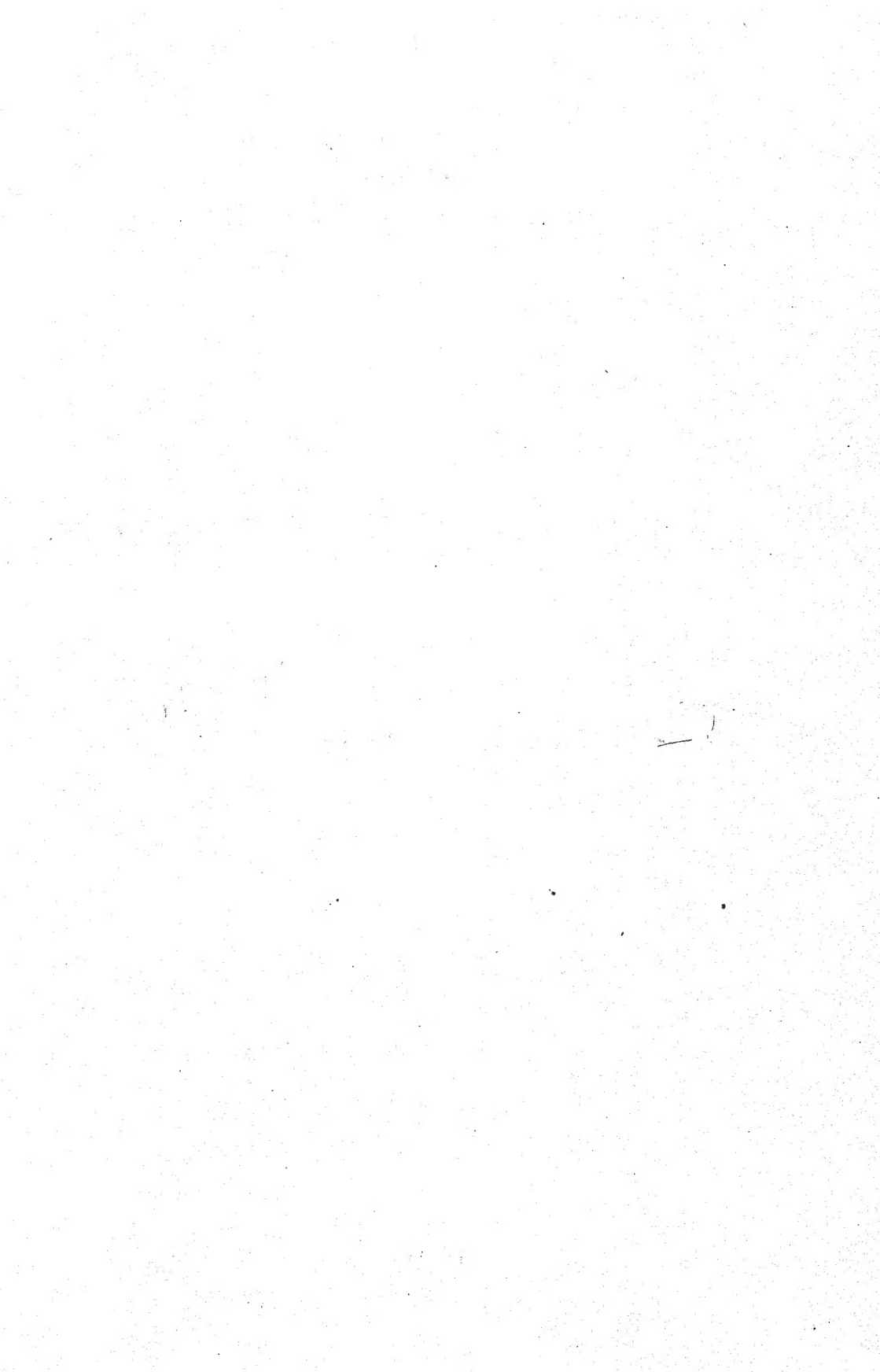
تَالِيفُ

الْشَيْخِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ الْقَلَقَشَنْدِي

الجزء العاشر

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب السلطانية

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة
سنة ١٣٣٤ هـ
م ١٩١٦



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وآله وصحبه

الوجه الخامس

(فَمَا يُكْتَبُ فِي أَلْقَابِ الْمُلُوكِ عَنِ الْخَلَفَاءِ ، وَهُوَ نَمَطَانِ)

النمط الأول

(مَا كَانَ يُكْتَبُ فِي قَدِيمِ الزَّمَنِ)

وهو أن يُقْتَصَرَ عَلَى مَا يَلْقَبُ بِهِ الْمَلِكُ أَوْ يُكْتَبُ بِهِ مِنْ دِيْوَانِ الْخِلَافَةِ ، ثُمَّ يُقَالُ : « مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ » وَلَا يُزَادُ عَلَى ذَلِكَ .

كما كتب أبو إسحاق الصابى فى عهد نَخْر الدولة بن بُويْه عن الطائع لله :
« هَذَا مَا عَهَدَ عَبْدُ اللَّهِ عَبْدُ الْكَرِيمِ الطَّائِعُ لِلَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَى نَخْرِ الدَّوْلَةِ
أَبَى عَلَى مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ » .

وإلى هذا أشار فى " التعريف " بقوله : عَلَى أَنَّ لِهَذَا ضَابِطًا كَانَ فِي قَدِيمِ
الزَّمان وهو أَنَّهُ لَا يُكْتَبُ لِلرَّجُلِ إِلَّا مَا كَانَ يَلْقَبُ بِهِ مِنْ دِيْوَانِ الْخِلَافَةِ [بِالنَّصِّ]
مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا تَقْصِيرٍ .

(١) فى " التعريف " ص ٨٧ ملك .

(٢) الزيادة من التعريف .

النمط الثاني (ما يُكْتَبُ بِهِ لُكُوكُ الزمان)

وقد حكى في "التعريف" في ذلك مذهبي :

الأول — أن يُكْتَبَ فيها : السُّلطان، السَّيِّد، الأَجَل، الملك الفلاني، مع بَقِيَّة ما يُناسِب من الألقاب المفردة والمركبة : كما كتب القاضي الفاضل في عهد أسد الدين شيركوه الآتي ذكره عن العاضد الفاطمي :

«مِنْ عَبْدِ اللَّهِ وَوَلَّيْهِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْإِمَامِ الْعَاضِدِ لِدِينِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى السَّيِّدِ، الْأَجَلِ، الْمَلِكِ، الْمَنْصُورِ؛ سُلْطَانِ الْجُيُوشِ، وَلِيِّ الْأُمَّةِ، نَخْرِ الدَّوْلَةِ، أَسَدِ الدِّينِ، كَافِلِ قُضَاةِ الْمَسْلَمِينَ، وَهَادِي دُعَاةِ الْمُؤْمِنِينَ؛ أَبِي الْحَرِثِ شِيرَكُوهِ الْعَاضِدِيَّ» .

وعلى هذه الطريقة بزيادة ألقاب كَتَبَ أَبُو الْقَيْسَرَانِي فِي الْعَهْدِ لِلْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قِلَافُونَ : قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ وَنَحْوُ ذَلِكَ . قَالَ فِي "التعريف" : وَأَنَا إِلَى ذَلِكَ أَجْنَحُ، وَعَلَيْهِ أَعْمَلُ .

الثاني — أن يُكْتَبَ : الْمَقَامُ الشَّرِيفُ، أَوْ الْكَرِيمُ، أَوْ الْعَالِي مَجْرُودًا عَنْهُمَا . وَيُقْتَصَرُ عَلَى الْمَفْرَدَةِ [دون المركبة] ^(١) .

كما كتب به الصاحبُ نَخْرُ الدِّينِ بْنِ لُقْمَانَ، فِي عَهْدِ الظَّاهِرِ بَيْرُوسَ بَعْدَ ذِكْرِ أَوْصَافِهِ وَمَنَاقِبِهِ : وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْمَنَاقِبُ الشَّرِيفَةُ مُخْتَصَّةً بِالْمَقَامِ الْعَالِيِّ الْمَوْلَوِيِّ، السُّلْطَانِيِّ، الْمَلِكِيِّ، الظَّاهِرِيِّ، الرَّكْنِيِّ، شَرَّفَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَعْلَاهُ .

(١) الزيادة من "التعريف" .

قلت : ورُبَّما أبدل المتقدمون «المقام» في هذه الحالة بـ«المَقَرَّ» وأتى بالألقاب من نحو ما تقدم .

وكما كتب به القاضي مُحمي الدين بن عبد الظاهر في عهد المنصور قلاوون بعد استيفاء مناقبه وأوصافه ، وذكر أعمال الفكر والروية في اختياره : «ونخرج أمر مولانا أمير المؤمنين شرفه الله أن يكون للمَقَرَّ العالى، المولوى، السلطانى، الملكى، المنصورى، أجله الله ونصره ، وأظفره وأقدره ، وأيده وأبداه ، كل ما فوضه الله لمولانا أمير المؤمنين » ونحو ذلك .

وبقى مذهب ثالث - وهو أن يأتى بنظير ألقاب المذهب الأول ، مقتصرًا على الألقاب المفردة دون المركبة . وعلى ذلك جرى الوزير ضياء الدين بن الأثير في العهد الذى كتب به معارضة لعهد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الآت ذكره - فقال بعد ذكر مناقبه : «وتلك مناقبك أيها الملك، الناصر، الأجل، السيد، الكبير، العالم، العادل، صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب» . ولم يتعرض لحكايته في "التعريف" . على أن ابن الأثير إمام هذا الفن ، وحائز قصب السبق فيه ، ومقاتله مما يحتاج بها ويعول عليها .

فإن قيل : لعله في "التعريف" أراد مذاهب كُتِّبَ زمانه ، فالجواب أن حكاية المذهب الثانى عن المتأخرين تؤذن بأن المراد متقدمو الكتاب ومتأخروهم .

الوجه السادس

(فيما يكتَب في مَن العُهود، وفيه ثلاثة مذاهب)

المذهب الأول

(وعليه عامَّةُ الكُتَّاب من المتقدِّمين وأكثَر المتأخِّرين)

أن يُفتَح العَهْدُ بلفظ « هذا » مثل : « هذا ما عَهِدَ به فلانٌ لفلان » أو « هذا ما أَمَرَ به فلانٌ فلانا » أو « هذا عَهْدٌ من فلان لفلان » أو « هذا كُتِّبَ آكُتِّبَهُ فلان لفلان » وما أشبه ذلك .

وللكُتَّاب فيه طريقتان :

الطريقة الأولى

(طريقة المتقدِّمين)

وهي أن لا يأتى بتحميدٍ في أثناء العَهْدِ في خُطْبَةٍ ولا غيرها، ولا يتعرَّض إلى ذكر أوصافِ المعهودِ إليه والثناءِ عليه أصلاً، أو يتعرَّض إلى ذلك باختصار ثم يقول : « فقلَّده كذا وكذا » ويذكر ما فُوض إليه، ثم يقول : « وأمره بكذا » حتى يأتى على آخر الوصايا، ثم يقول في آخره : « هذا عَهْدُ أمير المؤمنين إليك ، وحجَّتُه لك وعليك » ويأتى بما يناسبُ ذلك، ويختِمُه بقوله : « والسلامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاته » أو « والسلام عليك » أو بغير ذلك من الألفاظ المناسبة على اختلاف طُرُقهم في ذلك، وتباين مقاصدهم . وعلى هذا التَّهَجُّ وما قاربه كانت عهودُ السلف فنَّ بعدهم ، تأسياً بالنبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم فيما كُتِبَ به لعمرُو بنِ حَرِّم حينَ وجَّهه إلى اليمن، كما تقدَّمت الإشارةُ إليه في الاستشهاد لأصل عهود الملوك عن الخلفاء .

وهذه نسخته بعد البسملة فيما ذكره ابن هشام وغيره :

« هَذَا بَيَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوفُوا بِالْعُقُودِ) »

« عَهْدٌ مِنْ [مُحَمَّدٍ] النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ لِعَمْرِو بْنِ حَزْمٍ [حِينَ بَعَثَهُ] »

« [إِلَى الْيَمَنِ] أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي أَمْرِهِ كُلِّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا »

« وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ . وَأَمْرُهُ أَنْ يَأْخُذَ بِالْحَقِّ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ ، وَأَنْ يُبَشِّرَ »

« النَّاسَ بِالْخَيْرِ وَيَأْمُرَهُمْ بِهِ ، وَيُعَلِّمَ النَّاسَ الْقُرْآنَ وَيُقَقِّهِمْ فِيهِ ، »

« وَيَنْهَى النَّاسَ فَلَا يَمَسُّ الْقُرْآنَ إِنْسَانٌ إِلَّا وَهُوَ طَاهِرٌ ، وَيُخْبِرَ »

« النَّاسَ بِالَّذِي لَهُمْ وَالَّذِي عَلَيْهِمْ ، وَيَلِينَ لِلنَّاسِ فِي الْحَقِّ وَيَشْتَدَّ عَلَيْهِمْ »

« فِي الظُّلْمِ ، فَإِنَّ اللَّهَ كَرِهَ الظُّلْمَ وَنَهَى عَنْهُ فَقَالَ : (أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى »

« الظَّالِمِينَ) وَيُبَشِّرُ النَّاسَ بِالْجَنَّةِ وَبِعَمَلِهَا ، وَيُنْذِرُ النَّاسَ النَّارَ وَعَمَلِهَا ، »

« وَيَسْتَأْذِنُ النَّاسَ حَتَّى يَفْقَهُوا فِي الدِّينِ ، وَيُعَلِّمُ النَّاسَ مَعْلَمَ الْحَجِّ »

« وَسُنَّتَهُ وَفَرِيضَتَهُ وَمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ، وَالْحَجَّ الْأَكْبَرُ الْحَجَّ الْأَكْبَرُ ، »

« وَالْحَجَّ الْأَصْغَرُ هُوَ الْعُمْرَةُ ، وَيَنْهَى النَّاسَ أَنْ يُصَلِّيَ أَحَدٌ فِي ثَوْبٍ »

« وَاحِدٍ صَغِيرٍ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ثَوْبًا يَنْتَنِي طَرَفُهُ عَلَى عَاتِقِهِ ، وَيَنْهَى »

« [الناس^(١)] أَنْ يَحْتَبِيَ أَحَدٌ فِي تَوْبٍ وَاحِدٍ يُفْضَى بِفَرْجِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، »
« وَيَنْهَى أَنْ لَا يَعْقِصَ أَحَدٌ شَعْرَ رَأْسِهِ فِي قَفَاهِ ، وَيَنْهَى إِذَا كَانَ بَيْنَ »
« النَّاسِ هَيْجٌ عَنِ الدُّعَاءِ إِلَى الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ ، وَلْيَكُنْ دَعْوَاهُمْ إِلَى اللَّهِ »
« [عز وجل^(١)] وَحَدَهُ لِأَشْرِيكَ لَهُ [فَمَنْ لَمْ يَدْعُ إِلَى اللَّهِ وَدَعَا إِلَى »
« الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ فَلْيُقْطَعُوا بِالسَّيْفِ حَتَّى تَكُونَ دَعْوَاهُمْ إِلَى اللَّهِ »
« وَحَدَهُ لِأَشْرِيكَ لَهُ] وَيَأْمُرُ النَّاسَ بِإِسْبَاغِ الْوُضُوءِ : وَجُوهِهِمْ ، »
« وَأَيْدِيهِمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ، وَأَرْجُلِهِمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ، وَيَمْسَحُونَ بِرُءُوسِهِمْ »
« كَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ ، وَأَمَرَ بِالصَّلَاةِ لَوَقْتِهَا ، وَإِثْمَامِ الرُّكُوعِ [وَالسُّجُودِ]^(١) »
« وَالْخُشُوعِ ، وَيَغْلَسُ بِالصُّبْحِ ، وَيَهْجَرُ بِالظُّهْرِ حِينَ تَمِيلُ الشَّمْسُ ، »
« وَصَلَاةُ الْعَصْرِ وَالشَّمْسُ فِي الْأَرْضِ مُذْبِرَةٌ ، وَالْمَغْرِبِ حِينَ يَقْبَلُ »
« اللَّيْلُ ، لَا تُتَوَخَّرُ حَتَّى تَبْدُو النُّجُومُ فِي السَّمَاءِ ، وَالْعِشَاءِ أَوَّلَ اللَّيْلِ . »
« وَأَمَرَ بِالسَّغَى إِلَى الْجُمُعَةِ إِذَا نُودِيَ لَهَا ، وَالْغُسْلِ عِنْدَ الرَّوْحِ إِلَيْهَا . »
« وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْمَغَانِمِ خُمْسَ اللَّهِ ، وَمَا كُتِبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ »

(١) الزيادة من سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٧٢ .

(٢) الذي في السيرة « بالهجرة حين تميل » .

« فِي الصَّدَقَةِ مِنَ الْعَقَارِ عَشْرُ مَاسَقٍ الْعَيْنُ وَسَقَتِ السَّمَاءُ ، وَعَلَى »
 « مَاسَقِ الْغَرْبِ نِصْفُ الْعُشْرِ . وَفِي كُلِّ عَشْرِ مِنَ الْإِبِلِ شَاتَانِ ، »
 « وَفِي كُلِّ عِشْرِينَ أَرْبَعُ شِيَاهٍ . وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ مِنَ الْبَقَرِ بَقْرَةٌ ، »
 « وَفِي كُلِّ ثَلَاثِينَ مِنَ الْبَقَرِ تَبِيعٌ جَذَعٌ^(١) أَوْ جَذَعَةٌ ، وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ »
 « مِنَ الْغَنَمِ سَائِمَةٌ وَخَدَاهَا شَاةٌ ، فَإِنَّهَا فَرِيضَةُ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي أَقْرَضَ »
 « عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَةِ ، فَمَنْ زَادَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ . وَأَنَّهُ مَنْ »
 « أَسْلَمَ مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ إِسْلَامًا خَالِصًا مِنْ نَفْسِهِ وَدَانَ بِدِينِ »
 « الْإِسْلَامِ ، فَإِنَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ : لَهُ مِثْلُ مَا لَهُمْ وَعَلَيْهِ مِثْلُ مَا عَلَيْهِمْ ، »
 « وَمَنْ كَانَ عَلَى نَصْرَانِيَّةٍ أَوْ يَهُودِيَّةٍ ، فَإِنَّهُ لَا يَرُدُّ عَنْهَا وَعَلَى كُلِّ حَالِمٍ : »
 « ذِكْرٌ أَوْ أُتِي ، حُرٌّ أَوْ عَبْدٌ دِينَارٌ وَافٍ ، أَوْ عِوَضُهُ ثِيَابًا ، فَمَنْ أَدَّى »
 « ذَلِكَ فَإِنَّ لَهُ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ ، وَمَنْ مَنَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ »
 « وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ جَمِيعًا » .

« صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ » .

(١) كذا في السيرة أيضا بالعين والقاف وفي كتب اللغة العقار [أى كغراب] خيار الكلاب والعقار [أى كسلام] النخل . تأمل .

(٢) في اللسان ج ٩ ص ٣٩٣ "إذا طلع قرن العجل وقبض عليه فهو غضب ثم هو بعد ذلك جذع"

وعلى نحو ذلك كتب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عهداً
مالك بن الأشتر النخعي حين ولّاه مِصرَ . وهو من العهود البليغة جمع فيه بين معالم
التقوى وسياسة الملك .

وهذه نسخته فيما ذكره ابن حمدون في تذكرته :

هذا ما أمر [به عبد الله ^(١)] علي أمير المؤمنين مالك بن الحريث الأشتر ، في عهده
إليه ، حين ولّاه مِصرَ : جباية خراجها ، وجهاد عدوها ، واستصلاح أهلها ، وعمارة
بلادها . أمره بتقوى الله وإيثار طاعته ، واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه ؛
وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها ، ولا يشقى إلا مع مجودها وإضاعته ؛ وأن
ينصر الله تعالى بيده وقلبه ولسانه ، فإنه جلّ اسمه قد تكفل بنصر من نصره ،
وإعزاز من أعزّه . وأمره أن يكسر من نفسه عند الشّموات ، ويرعها عند
الجمّعات ؛ فإن النفس لأماراة بالسوء إلا مارحّم الله .

ثم أعلم يا مالك أنني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دُولُ قبلك : من عدل
وجور ، وأنّ الناس ينظرون من أمورك [في مثل ^(٢)] ما كنت تنظر فيه من أمر
الوَلَاة قبلك ، ويقولون فيك كما كنت تقول فيهم . وإنما يستدل على الصالحين
بما يُجزي الله لهم على السنّ عباده ، فليكن أحبّ الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح .
فمالك هোক ، وشحّ بنفسك عما لا يحلّ لك ؛ فإن الشحّ بالنفس الانتصاف منها
فيما أحببت وكرهت . وأشعر قلبك بالرحمة للرعية ، والمحبة لهم ، واللطف بهم ؛
ولا تكون عليهم سبعا ضارياً ، تغنم أكلهم ؛ فإنهم صنفان : إما أخ لك في الدين ،

(١) الزيادة عن "مفتاح الأفكار" (ص ١٠٥) .

(٢) الزيادة من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد .

وإِمَّا نَظِيرُكَ فِي الْخَلْقِ : يَفْرُطُ مِنْهُمْ الزَّلَلُ ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَالُ ، وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَا : فَأَعْطِيهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ : فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ ، وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَاكَ .
وَقَدْ أَسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ ، وَأَبْتَلَاكَ بِهِمْ ؛ وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَدَىٰ لَكَ بِنِقْمَتِهِ ، وَلَا غِنَىٰ بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ ؛ وَلَا تَسُدَّ مَنْ عَلَى عَفْوٍ ، وَلَا تَجْجَحَنَّ بِعَقُوبَةٍ ، وَلَا تُسِرِّعَنَّ إِلَىٰ بَادِيَةٍ وَجَدْتَ عَنْهَا مَدُّوْحَةً ؛ وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي أَمْرٌ أَمْرٌ^(١) فَأُطَاعَ : فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ ، وَمَهْلَكَةٌ فِي الدِّينِ ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغَيْرِ . وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُنْهَ أَوْ حِجْلَةٍ ، فَانْظُرْ إِلَىٰ عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ تَعَالَىٰ فَوْقَكَ ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَىٰ مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طَاحُكٍ وَيَكْفُ عَنْكَ مِنْ غَرِيكَ ، وَيَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزُبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ . وَإِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللَّهِ تَعَالَىٰ فِي عَظَمَتِهِ ، وَالتَّشَبُّهِ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ ، وَيُهَيِّنُ كُلَّ مُخْتَالٍ .

أَنْصِفِ اللَّهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ : فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَفْعَلْ تَظْلِمُ ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصَمَهُ دُونَ عِبَادِهِ ، وَمِنْ خَاصَّةِ اللَّهِ ، أَدْحَضَ حُجَّتَهُ وَكَانَ لِلَّهِ حَرْبًا حَتَّىٰ يَتَرَعَ وَيَتُوبَ . وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَىٰ إِلَىٰ تَفْسِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَىٰ ظُلْمٍ [فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ يَسْمَعُ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِينَ وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ^(٢)]

وَلَيْكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ ، وَأَعَمَّهَا فِي الْعَدْلِ ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَا الرَّعِيَّةِ ؛ فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُخْجِفُ بَرَضًا الْخَاصَّةَ ، وَإِنْ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَا

(١) في "مفتاح الافكار" وشرح نهج البلاغة " « مؤمر » .

(٢) الزيادة من "مفتاح الافكار" وشرح "نهج البلاغة" .

العامة ؛ وليس أحدٌ من الرعية أثقلَ على الوالي مشونةً في الرِّاء ، وأقلَّ معونةً له في البلاء ؛ وأكثره للإِنصاف ، وأسأل بالإِخفاف ؛ وأقلَّ شكرًا عند الإِعطاء ، وأبطأ عُذراً عند المنع ، وأضعفُ صبراً عند مُلِمَّاتِ الدهر ، من أهلِ الخِصاصة ؛ وإنما عمودُ الدين ، وجماعُ المسلمين ، والعُدَّةُ للأعداءِ العامة من الأُمَّة . فليكنْ صَغُوكَ لهم ، وميلُكَ معهم ؛ وليكنْ أبعدُ رعيَّتِكَ منك ، وأشنؤهم عندك ؛ أطلبهم لمعايبِ الناس : فإنَّ في الناسِ عيوباً الوالي أحقُّ بسترها ؛ فلا تُكشِفَنَّ عما غابَ عنك منها ، فإنَّما عليك تطهيرُ مظهر [لك] ^(١) والله يحكم على ما غابَ عنك منها . فاسترِ العورةَ ما استطعتَ يسترِ الله ما تُحبُّ ستره من عيبك .

أطلقِ عن الناسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ ، وأقطعِ عنهم سببَ كُلِّ وَترٍ ، وتغابَ عن كُلِّ مالا يضحُّ لك ؛ ولا تعجلَنَّ إلى تصديقِ ساع : فإنَّ الساعي غاشٌّ وإن تَنَبَّهَ بالناصحين . ولا تُدخِلَنَّ في مشورتِكَ بَحِيلاً يعدِلُ بك عن الفضلِ ويعدُّكَ الفقْرَ ، ولا جَباناً يَضْعِفُكَ عن الأمورِ ، ولا حَرِيصاً يزيِّنُ لك الشرَّ بالجورِ : فإنَّ البُخلَ والجبنَ والحِرصَ غرائزُ شتى يجمعها سوءُ الظنِّ بالله .

إنَّ شرَّ وُزرائِكَ مَنْ كانَ للأشرارِ قَبْلَكَ وِزيراً وَمَنْ شاركَهُمْ في الآثامِ ، فلا يَكُونَنَّ لك بِطانةً ، فإنَّهم أعوانُ الأئمة ، وإخوانُ الظَّلمة ؛ وأنتَ واحدٌ منهم خيرا الخلفِ مَن له مِثْلُ آرائِهِمْ ونَفَاقِهِمْ ، وليسَ عليه مِثْلُ أَصارِهِمْ وأوزارِهِمْ : مَن لم يُعَاوَنِ ظالماً على ظُلمه ، ولا آمَنَّا على إثمِهِ ؛ أولئك أخفُّ عليك مشونهُ ، وأحسنُ لك معونهُ ؛ وأخفى عليك عطفًا ، وأقلُّ لغيرِكَ إلْفاً ؛ فاتَّخِذْ أولئك خاصَّةً لخلواتِكَ [وحَفَلاتِكَ] ^(١) . ثم ليكنْ آثرُهُمْ عندَكَ أَقْوَلَهُمْ [لك] ^(١) بمُرِّ الحقِّ ، وأقلَّهُمْ مساعدةً فيما يكونُ منك مما

(١) الزيادة من "مفتاح الأفكار، ونهج البلاغة".

كَرِهَ اللهُ لِأَوْلِيَانِهِ، وَاقْعًا ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ . وَأَلْصَقَ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصَّدَقِ،
ثُمَّ رَضَهُمْ عَلَى أَنْ لَا يُطْرُوكَ وَلَا يُسَجَّحُوكَ ^(١) بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ : فَإِنَّ كَثْرَةَ الْإِطْرَاءِ تُخْدِتُ
الزُّهْوَ وَتُدْنِي مِنَ الْغِرَّةِ . وَلَا يَكُونَنَّ الْحَسَنُ وَالْمُسَيِّءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ
تَرْهِيدًا لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ [فِي الْإِحْسَانِ] وَتَذَرِيًّا لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ [عَلَى الْإِسَاءَةِ] ^(٢) : ^(٣)

وإِنَّكَ لَا تَذَرِي إِذَا جَاءَ سَائِلٌ * أَنْتَ بِمَا تُعْطِيهِ أَمْ هُوَ أَسْعَدُ !
عَسَى سَائِلٌ ذُو حَاجَةٍ إِنْ مَنَعْتَهُ * مِنَ الْيَوْمِ سُؤْلًا أَنْ يَكُونَ لَهُ غَدُ !
وَفِي كَثْرَةِ الْأَيْدِي عَنْ الْجَهْلِ زَايِرٌ، * وَلِخِلْمِ أُنْبَى الرِّجَالِ وَأَعْوَدُ !



وعلى ذلك كتب أبو إسحاق الصابى عن الخليفة « الطائع لله » إلى نحر الدولة بن
رُكن الدولة بن بُويه، في جمادى الأولى سنة ست وستين وثلثمائة .

وهذه نسخته :

هذا ماعهد عبد الله عبد الكريم [الإمام] ^(٥) الطائع لله أمير المؤمنين [إلى نحر الدولة
أبي الحسن بن رُكن الدولة أبي علي مولى أمير المؤمنين] ^(٥) حين عرّف غنّاءه وبلاءه،

(١) أى لا يفرحوك يقال بجمته تبجيحا فتبجح أى فرحته ففرح أنظر اللسان ج ٣ ص ٢٢٨ .

(٢) الزيادة عن "مفتاح الأفكار، ونهج البلاغة" .

(٣) اقتصر فى الأصل على هذا القدر وله بقية طويلة مذكورة فى "نهج البلاغة، ومفتاح الأفكار" فليرجع
إليهما من شاء .

(٤) أى كتب العهد عن الخ .

(٥) الزيادة من "رسائل الصابى" والمثل السائر .

وَأَسْتَصَحَّ دِينَهُ وَيَقِينَهُ ، وَرَعَى قَدِيمَهُ وَحَدِيثَهُ ، وَأَسْتَنْجَبَ عُودَهُ وَنَجَارَهُ . وَأَثْنَى^(١) عَزَّ الدَّوْلَةَ أَبُو مَنْصُورُ بْنُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ أَبِي الْحُسَيْنِ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ [أَيُّهُ اللَّهُ] عَلَيْهِ ، وَأَشَارَ بِالْمَزِيدِ فِي الصَّنِيعَةِ إِلَيْهِ ؛ وَأَعْلَمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتَدَاءَهُ بِهِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ ذَهَبَ فِيهِ مِنَ الْخِدْمَةِ ، وَغَرَضَ رَمَى إِلَيْهِ مِنَ النَّصِيحَةِ ؛ دُخُولًا فِي زُمْرَةِ الْأَوْلِيَاءِ [الْمَنْصُورَةِ] ، وَخُرُوجًا عَنْ جَمَاعَةِ الْأَعْدَاءِ الْمَذْخُورَةِ^(٢) ، وَتَصَرُّفًا عَلَى مُوجِبَاتِ الْبَيْعَةِ الَّتِي هِيَ بَعِزُّ الدَّوْلَةِ أَبِي مَنْصُورٍ مَنُوطُهُ ، وَعَلَى سَائِرٍ مِنْ يَتْلُوهُ وَيَتَّبِعُهُ مَأْخُودَةٌ مُشْرُوطُهُ ؛ فَقَلَّدَهُ الصَّلَاةَ وَأَعْمَالَ الْحَرْبِ ، وَالْمَعَاوِينَ ، وَالْأَحْدَاثَ ، وَالْخَرَاجَ ، وَالْأَعْشَارَ ، وَالضِّيَاعَ ، وَالْجَهْدَةَ ، وَالصَّدَقَاتِ ، وَالْجَوَالِي ، وَسَائِرَ وَجُوهِ الْحَبَايَاتِ [وَالْعَرْضِ]^(٢) وَالْعَطَاءَ ، وَالْفَقَّةَ فِي الْأَوْلِيَاءِ [وَالْمَظَالِمِ وَأَسْوَاقِ الرِّقَاقِ]^(٢) وَالْعِيَارَ فِي دُورِ الضَّرْبِ وَالطَّرْزِ وَالْحُسْبَةِ يَكُونُ هَمَذَانُ ، وَأَسْتَرَابَاذُ ، وَالْدِّينُورُ ، وَقَرْمِيسِينَ ، وَالْإِيغَارِينَ ، وَ[أَعْمَالِ] أَذْرِيحَانَ ، وَأَرَانَ ، وَالسَّحَايِينَ ، وَمُوقَانَ . وَاتَّقَا مِنْهُ بِاسْتِيقَاءِ النِّعْمَةِ وَأَسْتِدَامَتِهَا ، وَالِاسْتِزَادَةِ بِالشُّكْرِ مِنْهَا ، وَالتَّجَنُّبِ لِعُظْمَتِهَا وَجُحُودِهَا ، وَالتَّنَكُّبِ لِإِيحَاشِهَا وَتَغْيِيرِهَا ، وَالتَّعَمُّدِ لِمَا مَكَّنَ لَهُ الْخُطُوءَ وَالزُّنْفَى ، وَحَرَسَ عَلَيْهِ الْأَثَرَةَ وَالْقُرْبَى ؛ بِمَا يُظْهِرُهُ وَيُضْمِرُهُ مِنَ الْوَفَاءِ الصَّحِيحِ ، وَالْوَلَاءِ الصَّرِيحِ ، وَالْعَيْبِ الْأَمِينِ ، وَالصَّدْرِ السَّلِيمِ ، وَالْمُقَاطَعَةِ لِكُلِّ مَنْ قَاطَعَ الْعُصْبَةَ ، وَفَارَقَ الْجُمْلَةَ ، وَالْمَوَاصِلَةَ لِكُلِّ مَنْ حَمَى الْبَيْضَةَ وَأَخْلَصَ النِّيَّةَ - وَالْكُونِ تَحْتَ ظِلِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَذِمَّتِهِ ، وَمَعَ عَزِّ الدَّوْلَةِ أَبِي مَنْصُورٍ وَفِي حَوْزَتِهِ ؛ وَاللَّهُ جَلَّ أَسْمُهُ يَعْرِفُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حُسْنَ الْعُقْبَى فِيمَا أَبْرَمَ وَنَقَضَ ، وَسَدَادَ الرَّأْيِ فِيمَا رَفَعَ وَخَفَضَ ؛ وَيَجْعَلُ عِزَّائِهِ مَقْرُونَةً بِالسَّلَامَةِ ، مُحْجُوبَةً عَنْ مَوَارِدِ النَّدَامَةِ ؛ وَحَسْبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

(١) الزيادة من "رسائل الصابي" المطبوعة "والمثل السائر" .

(٢) الزيادة من "رسائل الصابي" المطبوعة "والمثل السائر" .

أمره بتقوى الله التي هي العِصمة المتيّنة، والجُنّة الحَصينة؛ والطُود الأرفع،
والمعَاذ الأَمْنَع؛ والجانب الأَعَزّ، والملجأ الأَحْزَب؛ وأن يَسْتَشِيرَهَا سِرًّا وَجَهْرًا،
ويستَعْمِلَهَا قَوْلًا وَفِعْلًا، وَيَتَّخِذَهَا رِذَاءً دَافِعًا لِنَوَائِبِ الْقَدَرِ، وَكَهْفًا حَامِيًا مِنْ حَوَادِثِ
الْغَيْبِ؛ فَإِنَّمَا أَوْجِبُ الْوَسَائِلَ، وَأَقْرُبُ الدَّرَائِعَ؛ وَأَعُوذُهَا عَلَى الْعَبْدِ بِمَصَالِحِهِ،
وَأُدْعَاهَا إِلَى سُبُلِ مَنَاجِحِهِ؛ وَأَوْلَاهَا بِالِاسْتِمْرَارِ عَلَى هِدَايَتِهِ، وَالنَّجَاةِ مِنْ غَوَايَتِهِ؛
وَالسَّلَامَةِ فِي دُنْيَاهُ حِينَ تُؤَبِّقُ مُوَبِّقَاتِهَا، وَتُرْدِي مُرْدِيَاتِهَا؛ وَفِي آخِرَتِهِ حِينَ تَرْوِعُ
رَائِعَاتِهَا وَتُخَفِّفُ نُخِفَاتِهَا. وَأَنْ يَتَأَدَّبَ بِآدَابِ اللَّهِ فِي التَّوَاضُّعِ وَالْإِخْبَاتِ،
وَالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ؛ وَصِدْقِ اللَّهْجَةِ إِذَا نَطَقَ، وَغَضِّ الطَّرْفِ إِذَا رَمَقَ؛ وَكُظْمِ الْغِيْظِ
إِذَا أُحْفِظَ، وَضَبْطِ اللِّسَانِ إِذَا أُغْضِبَ؛ وَكَفِّ الْيَدِ عَنِ الْمَأْثِمِ، وَصَوْنِ النَّفْسِ
عَنِ الْحَرَامِ. وَأَنْ يَذْكُرَ الْمَوْتَ الَّذِي هُوَ نَازِلٌ بِهِ، وَالْمَوْفِقَ الَّذِي هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ؛
وَيَعْلَمَ أَنَّهُ مَسْئُولٌ عَمَّا آكْتَسَبَ، مَجْزِيٌّ بِمَا تَرَكَّ^(١) وَآحْتَقَبَ؛ وَيَتَوَدَّ مِنْ هَذَا الْمُتَرَكِّ،
لِذَاكَ الْمُقَرَّبِ؛ وَيَسْتَكْثِرُ مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ لِنَتْفَعَهُ، وَمِنْ مَسَاعِيِ الْبِرِّ لِنَتَّقِدَهُ؛ وَيَأْتِمِرَ
بِالصَّالِحَاتِ قَبْلَ أَنْ يَأْمُرَ بِهَا، وَيَزْدَحِرَ عَنِ السَّيِّئَاتِ قَبْلَ أَنْ يَزُجَرَ عَنْهَا؛ وَيَبْتَدِئَ
بِإِصْلَاحِ نَفْسِهِ قَبْلَ إِصْلَاحِ رِعِيَّتِهِ: فَلَا يَبْعَثُهُمْ عَلَى مَا يَأْتِي ضِدَّهُ، وَلَا يَنْهَاهُمْ عَمَّا
يَقْتَرِفُ مِثْلَهُ؛ وَيَجْعَلُ رَبَّهُ رَقِيبًا عَلَيْهِ فِي خَلَوَاتِهِ، وَمُرُوءَتَهُ مَانِعَةً لَهُ مِنْ شَهَوَاتِهِ؛
فَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ غَلَبَ سُلْطَانَ الشَّهْوَةِ، وَأَوَّلَى مَنْ صَرََعَ أَعْدَاءَ الْحَمِيَّةِ^(٢)، مَنْ مَلَكَ أَرْمَةِ
الْأُمُورِ، وَأَقْتَدَرَ عَلَى سِيَاسَةِ الْجُمْهُورِ؛ وَكَانَ مُطَاعًا فِيمَا يَرَى، مُتَّبَعًا فِيمَا يَشَاءُ؛ يَلِي عَلَى
النَّاسِ وَلَا يَلُونُ عَلَيْهِ، وَيَقْصُصُ مِنْهُمْ وَلَا يَقْتَصُّونَ مِنْهُ؛ فَإِذَا أَطْلَعَ اللَّهُ مِنْهُ عَلَى
نَقَاءِ جَنِيهِ، وَطَهَارَةِ ذَنْبِهِ؛ وَصِحَّةِ سَرِيرَتِهِ، وَأَسْتِقَامَةِ سِيرَتِهِ، أَعَانَهُ عَلَى حِفْظِ

(١) فِي "الرَّسَائِلِ"، وَالْمَثَلِ السَّائِرِ: «تَرْمَلُ».

(٢) كَذَا فِي الرَّسَائِلِ أَيْضًا. وَفِي الْمَثَلِ السَّائِرِ ص ١٣٢ "مَنْ ضَرَعَ لِفَعْدَاءِ الْحَمِيَّةِ".

مَا اسْتَحَفَّظَهُ ، وَأَنْهَضَهُ بِثِقَلِ مَا حَمَلَهُ ؛ وَجَعَلَ لَهُ مَخْلَصًا مِنَ الشُّبْهَةِ وَمَخْرَجًا مِنَ الْحَيْرَةِ ،
 فَقَدْ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ .
 وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
 مُسْلِمُونَ ﴾ . وَقَالَ : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ إِلَى آتِي كَثِيرَةٍ حَضَنَّا بِهَا
 عَلَى أَكْرَمِ الْخُلُقِ ، وَأَسْلَمَ الطَّرِيقَ ؛ فَالسَّعِيدُ مِنْ نَصَبِهَا إِذَا نَظَرَهَا ، وَالشَّقِيُّ مَنْ نَبَذَهَا
 وَرَاءَ ظَهْرِهِ ؛ وَأَشْقَى مِنْهُ مَنْ بَعَثَ عَلَيْهَا وَهُوَ صَادِفٌ عَنْهَا ، وَأَهَابَ إِلَيْهَا وَهُوَ بَعِيدٌ
 مِنْهَا ؛ وَلَهُ وَلِأَمْثَالِهِ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْإِيمَانِ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ
 وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَتَّخِذَ كِتَابَ اللَّهِ إِمَامًا مَتَّبَعًا ، وَطَرِيقًا مُوقِعًا ؛ وَيُكْثِرُ مِنْ تِلَاوَتِهِ إِذَا
 خَلَا بِفِكَرِهِ ، وَيَمْلَأُ بَتَامَلَهُ أَرْجَاءَ صَدْرِهِ ؛ فَيَذْهَبُ مَعَهُ فِيمَا أَبَاحَ وَحَظَرَ ، وَيَقْتَدِي
 بِهِ إِذَا نَهَى ، وَأَمْرُهُ ؛ وَيَسْتَبِينَ بَيَانَهُ إِذَا اسْتَعْلَقَتْ دُونَهُ الْمُعْضَلَاتُ ، وَيَسْتَضِيءُ
 بِمَصَابِيحِهِ إِذَا غَمَّ عَلَيْهِ فِي الْمَشْكَلَاتِ ؛ فَإِنَّهُ عُرْوَةُ الْإِسْلَامِ الْوُثْقَى ، وَحُجَّةُ الْوَسْطَى ،
 وَدَلِيلُهُ الْمُقْنِعُ ، وَبُرْهَانُهُ الْمُرْشِدُ ؛ وَالْكَاشِفُ لظُلُمِ الْخُطُوبِ ، وَالشَّافِي مِنْ مَرَضِ
 الْقُلُوبِ ، وَالْهَادِي لِمَنْ ضَلَّ ، وَالْمُتَلَفِّي لِمَنْ زَلَّ ؛ فَمَنْ لَحَجَّ بِهِ فَقَدْ فَازَ وَسَلِمَ ، وَمَنْ لَهِيَ
 عَنْهُ فَقَدْ خَابَ وَنَدِمَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ
 يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ ، وَيَدْخُلَ فِيهَا فِي حَقَائِقِ الْأَوْقَاتِ ؛ قَائِمًا عَلَى
 حُدُودِهَا ، مَتَّبِعًا لِرُسُومِهَا ؛ جَامِعًا فِيمَا بَيْنَ نَيْتِهِ وَلَقْظِهِ ، مُتَوَقِّيًا لِمَطَاحِ سَهْوِهِ وَلَحْظِهِ ؛

(١) فِي الْأَصُولِ وَالْمَثَلِ السَّائِرِ مُتَوَقِّعًا بِزِيَادَةِ النَّاءِ وَهُوَ تَحْرِيفٌ مِنَ النَّسَاجِ ، فَفِي اللِّسَانِ ج ١٠ ص ٢٨٢

يُقَالُ طَرِيقٌ مَوْقِعٌ مَذَلٌّ .

(٢) فِي "الرِّسَالَةِ" الْأَسْفَلِ .

منقطعاً إليها عن كل قاطع لها، مشغولاً بها عن كل شاغلٍ عنها؛ متنبّهاً في رُكوعها ومُجودها؛ مستوفياً عددَ مفروضها ومسنونها؛ موقراً عليها ذِهنه، صارفاً إليها همه؛ عالماً بأنه واقفٌ بين يدي خالقه ورازقه، ومُحييه ومُميتِه، ومُثبِّيه ومُعاقِبِه؛ لا تسترِ دونه خائنةُ الأعين وما تخفي الصدور. ^(١) فإذا قضّاها على هذه السبيل مُنذُ تكبيرة الإحرام إلى خاتمة التسليم، أتبعتها بدءاً يرتفع بارتفاعها، [ويُستمع بإستماعها] ^(٢)، ولا يتعدّى فيه مسائل الأبرار، ورغائب الأخيار: من استصفاج واستغفار، وأستقالة وأسترحام، وأستدعاء لمصالح الدين والدنيا، وعوائد الآخرة والأولى؛ فقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾.

وأمره بالسَّعى في أيام الجمع إلى المساجد الجامعة، وفي الأعياد إلى المصليات الضّاحية، بعد التّقدّم في قرشها وكسوتها؛ وجمع القوام والمؤذنين والمكبرين فيها، وأستسعاء الناس إليها، وحضهم عليها؛ آخذين الأهبة، متّظفين في الزّه؛ مؤذّنين لفرائض الطّهارة، بالغيث في ذلك أقصى الاستطاعة؛ معتقدين خشية الله وخيفته، مدّرعين تقواه ومُراقِبته؛ مُكثّرين من دُعائه - عز وجل - وسؤاله، مصلّين على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله؛ بقلوبٍ على اليقين موقوفة، وهمّهم إلى الدين مضروفة؛ وألّسن بالتسبيح والتّكديس فصيح، وآمالٍ في المغفرة والرحمة فسيح؛ فإنّ هذه المصليات والتعبّادات بيوتُ الله التي فضّلها، ومناسكُه التي شرفها؛ وفيها يُتلى القرآنُ [ومنها ترتفع الأعمال؛ وبها يلوذُ اللائكون] ^(٢) ويعودُ العائدون؛

(١) كذا في "المثل السائر" أيضاً. وفي "رسائل الصابي" «ومن لا يستسرّ دونه خائنة عينه وخافية

وَيَتَعَبَّدُ الْمُتَعَبِّدُونَ ، وَيَتَهَجَّدُ الْمُتَهَجِّدُونَ ، وَحَقِيقٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ : مَنْ وَالٍ وَمَوْلَى عَلَيْهِ أَنْ يَصُونَهَا وَيَعْمُرُهَا ، وَيُوَاصِلُهَا وَلَا يَهْجُرَهَا . وَأَنْ يُقِيمَ الدَّعْوَةَ عَلَى مَنَابِرِهَا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ لِنَفْسِهِ عَلَى الرَّسْمِ الْحَارِيِّ فِيهَا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الصَّلَاةِ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ . وَقَالَ فِي عِمَارَةِ الْمَسَاجِدِ : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ .

وَأَمْرُهُ بِأَنْ يُرَاعَى أَحْوَالُ مَنْ يَلِيهِ ، مِنْ طَبَقَاتِ جُنْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَوَالِيهِ ، وَيُطْلَقَ لَهُمُ الْأَرْزَاقُ ، فِي وَقْتِ الْوُجُوبِ وَالْإِسْتِحْقَاقِ ، وَأَنْ يُحَسِّنَ فِي مُعَامَلَتِهِمْ ، وَيُجِلَّ فِي اسْتِخْدَامِهِمْ ، وَيَتَصَرَّفَ فِي سِيَاسَتِهِمْ : بَيْنَ رِفْقٍ مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ ، وَخُشُونَةٍ مِنْ غَيْرِ عُنْفٍ ، مُثْبِتًا لِحَسَنِهِمْ مَا زَادَ بِالْإِبَانَةِ فِي حُسْنِ الْأَثَرِ ، وَسَلِّمَ مَعَهَا مِنْ دَوَاعِي الْأَشْرِ ، وَمَتَعِمِدًا لِمُسِيئِهِمْ مَا كَانَ التَّغَمُّدُ لَهُ نَافِعًا ، وَفِيهِ نَاجِعًا ، فَإِنْ تَكَرَّرَ زَلَّاتُهُ ، وَتَنَابَعَتْ عَثَرَاتُهُ ، تَسَاوَلَهُ مِنْ عُقُوبَتِهِ بِمَا يَكُونُ لَهُ مُضْلِحًا ، وَلِغَيْرِهِ وَاعِظًا . وَأَنْ يُنَخِّصَ أَكْبَرَهُمْ وَأَمَانَتَهُمْ وَأَهْلَ الرَّأْيِ وَالْخَطَرِ مِنْهُمْ بِالْمُشَاوَرَةِ فِي الْمَلِمِّ ، وَالْإِطْلَاعِ عَلَى بَعْضِ الْمُهْمِّ ، مُسْتَخْلِصًا نَحَائِلَ قُلُوبِهِمْ بِالْبَسْطِ وَالْإِدْنَاءِ ، وَمُسْتَشْحِدًا بِصَائِرِهِمْ بِالْإِكْرَامِ وَالْأَحْتِفَاءِ : فَإِنَّ فِي مُشَاوَرَةِ هَذِهِ الطَّبَقَةِ اسْتِدْلَالًا عَلَى مَوَاقِعِ الصَّوَابِ ، وَتَحَرُّزًا مِنْ غَلَطِ الْإِسْتِبْدَادِ ، وَأَخْذًا بِمَجَامِعِ الْحَرَامِ ، وَأَمْنًا مِنْ مُفَارَقَةِ الْإِسْتِقَامَةِ ، وَقَدْ حَضَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الشُّورَى حَيْثُ قَالَ لِرَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ .

وأمره بأن يعمد لما يتصل بنواحيه من ثغور المسلمين، ورباطات المرابطين،
ويقسم لها قسماً وافراً من عنايته، ويصرف إليها طرقات شطراً من رعايته،
ويختار لها أهل الجلد والشدة، وذوى البأس والنجدة: ممن عجمته الخطوب،
وعمرته الحروب؛ واكتسب دربة بجدع المتناوين، وتجربة بمكايد المتقارعين؛
وأن يستظهر بتكثيف عددهم، واختيار عُددهم، واختخاب خيلهم، واستجادة
أسلحتهم؛ غير مُجَرَّباً إِذَا بَعَثَهُ، ولا مستكرهه إِذَا وَجَّهَهُ؛ بل يُنَاوِبُ بين رجاله
مناوبة تريحهم ولا تُثْمِلُهُمْ، وترفعهم ولا تُثودهم: فإن في ذلك من فائدة الإجماع،
والعدل في الإستخدام؛ وتنافس رجال الثوب فيما عاد عليهم بعز الظفر والنصر؛ وبعد
الصيت والذكر، وإحراز النفع والأجر؛ ما يحق على الولاة أن يكونوا به عاملين،
وللناس عليه حاملين. وأن يكرّر على أسماءهم، ويثبت في قلوبهم؛ مواعيد الله
لمن صابروا وباط، وسمح بالنفس وجاهد؛ من حيث لا يُقْدِمُونَ على تورط غيره،
ولا يُجْهِمُونَ عن آتياز فُرْصه؛ ولا يَنْكُصُونَ عن تورد معركه، ولا يلقون بأيديهم
إلى التهلكة؛ فقد أخذ الله تعالى ذلك على خلقه، والمرامين عن دينه؛ وأن يزيح
العلة فيما يحتاج إليه من راتب ثقات هذه الثغور وحادثها، وبناء حصونها ومعاقليها؛
وأستطراق طرقها ومسالكها، وإفاضة الأقوات والعلوفات للترتين فيها والمترددين
إليها والحامين لها. وأن يبذل أمانته لمن طلبه، ويعرضه على من لم يطلبه. ويبقى
بالعهد إِذَا عَاهَدَ، وبالعهد إِذَا عَاقَدَ؛ غير مُخْفِرٍ ذِمَّةً، ولا جارج أمانة؛ فقد أمر

(١) في "رسائل الصابي" بأن يضم ما يتصل الخ.

(٢) في اللسان ج ٥ ص ٢١٧ «تجبر الجنند أن يجبهم في أرض العدو ولا يفلهم من الثغر» وهو

المراد هنا . تأمل .

الله تعالى بالوفاء فقال جلّ من قائل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) .
ونهى عن النكث فقال عزّ من قائل : (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ) .

وأمره أن يعرض مَنْ في حُبوس عمله على جرّائهم [وإنعام النظر في جنایاتهم وجرّائهم] ^(١) فمن كان إقراره واجباً أقرّه ومن كان إطلاقه سائغاً أطلقه . وأن ينظر في الشرطة والأحداث نظر عدل وإنصاف ؛ ويختار [لها من الولاة] ^(١) مَنْ يخاف الله تعالى ويتقيه ، ولا يحابي ولا يراقب فيه ؛ ويتقدم إليهم بقمع الجهال ، وردع الضلال ؛ وتبّع الأشرار ، وطلب الدّعار ؛ مستدلين على أماكِنهم ، متوغلين إلى مكائِنهم ؛ متوجّلين عليهم في مظانّهم ، متوثّقين من يجدونه منهم ، منفذين أحكام الله تعالى فيهم بحسب الذي يتيّن من أمرهم ، ويتّضح من فعلهم ؛ في كبيرة ارتكبوها ، وعظيمة احتقبوها ؛ ومُهجة أفاظوها وأسْتَهْلَكُوهَا ، وحرمة أباحوها وآتَهَكُوهَا : فَمَنْ أَسْتَحَقَّ حَدًّا من حدود الله المعلومة أقاموه عليه غير مُحَفِّفِينَ منه ، وأحلّوه به غير مَقْصَرِينَ عنه ، بعد أن لا يكون عليهم في الذي يأتون به حُجّة ، ولا يعتَرِضهم في وجوبه شبهه : فإنّ الواجب في الحدود أن تُقام بالبينات ، وأن تُدْرَأَ بالشُّبُهَات ؛ فأولى ماتوحاه رعاة الرعايا فيها أن لا يُقدّموا عليها مع نقصان ، ولا يتوقّفوا عنها مع قيام دليل وبرهان . ومن وجب عليه القتل احتاط عليه بما يُحتاط به على مثله : من الحبس الحصين ، والتوثق الشديد ؛ وكتب إلى أمير المؤمنين بخبره ، وشرح جنائته ؛ وثبوتها بإقرار يكون منه ، أو بشهادة قع عليه ؛ وليتظر من جوابه ما يكون عمله بحسبه ، فإن أمير المؤمنين لا يطلق سَفَك دم مسلم أو معاهد إلا ما أحاط به علماً ، وأتقنه فهما ، وكان ما يُضيه فيه عن بصيرة لا يخالطها شك ،

(١) الزيادة عن "رسائل الصابي" المطبوعة .

ولا يُسَوِّبُهَا رَبِّبٌ . ومن ألم بصغيرة من الصغائر ، ويسيرة من الجرائر ، من حيث لم يُعرف له مثلها ، ولم تتقدّم منه أختها ، وعظّمه وزجره ، ونهاه وحذرّه ، وأستتابه وأقاله ، ما لم يكن عليه خضم في ذلك يطالب بقصاص منه ، وجزاء له ؛ فإن عاد تناوله [من] التقويم والنهذيب ، والتعزير والتأديب ؛ بما يرى أن قد كفى فيما أجترم ، ووفى بما قدم ؛ فقد قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

وأمره أن يعطل مافي أعماله من الحانات والمواخير ، ويظهرها من القبايح والمناكير ؛ ويمنع من تجمع أهل الخنا فيها وتألف شملهم بها : فإنه شمل يصلحه التشتيت ، وجمع يحفظه التفريق ؛ وما زالت هذه المواطن الذميمة والمطارح الذنيئة ، داعية لمن يأوى إليها ، ويعكف عليها ؛ إلى ترك الصلوات ، [وإهمال المفترضات]^(١) وركوب المنكرات ، وأقتراف المحظورات ؛ وهى بيوت الشيطان التى فى عمارتها لله تعالى مغضبة ، وفى إخراجها للخير مجلبة ؛ والله تعالى يقول لنا معشر المؤمنين : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ ويقول عزّ من قائل لغيرنا من المذمومين : ﴿ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ .

وأمره أن يولّى الحماية فى هذه الأعمال ، أهل الكفاية والغناء من الرجال ؛ وأن يضمّ إليهم كلّ من خفّ ركابه ، وأسرع عند الصرخ جوابه ؛ مرتباً لهم فى المسالك ، وساداً بهم ثغر المسالك ؛ وأن يوصيهم بالتيقّظ ، ويأخذهم بالتحفّظ ، ويزيح عنهم فى علوفة خيلهم ؛ والمقرر من أزوادهم وميرهم ؛ حتى لا تشغلهم على البلاد وطأه ، ولا تدعوهم إلى تحيفهم وتلهيهم حاجه ؛ وأن يحوطوا السابلة بادئة وعائده ،

(١) الزيادة عن "رسائل الصابى" المطبوعة و"المثل السائر" .

وَيَتَذَرُوكَ الْقَوَافِلَ صَادِرَةً وَّوَارِدَةً ، وَيَحْرُسُوا الطُّرُقَ لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَيَنْقُضُوهَا رَوَاحًا
وَابْكَارًا ، وَيَنْصِبُوا لِأَهْلِ الْعَيْثِ الْأَرْصَادَ ، وَيَتَكَنَّنُوا لَهُمْ بِكُلِّ وَادٍ ، وَيَتَفَرَّقُوا عَلَيْهِمْ
حَيْثُ يَكُونُ التَّفَرُّقُ مَضِيًّا لِفَضَائِهِمْ ، وَمُؤَدِّيًّا إِلَى أَنْفِضَائِهِمْ ، وَيَجْتَمِعُوا حَيْثُ
يَكُونُ الْاجْتِمَاعُ مُطْفِئًا لِمَجْرَتِهِمْ ، وَصَاحِبًا لِمَرْوَتِهِمْ ؛ وَأَنْ لَا يُخْلُوا هَذِهِ السُّبُلَ مِنْ حِمَاةٍ
لَهَا وَسِيَارَةٍ فِيهَا : يَتَرَدَّدُونَ فِي جَوَادِيهَا ، وَيَتَعَسَّفُونَ فِي عَوَادِيهَا ؛ حَتَّى تَكُونَ الدَّمَاءُ
مَحْقُونَةً ، وَالْأَمْوَالُ مَصُونَةً ؛ وَالْفِتَنُ مُحْشُومَةً وَالْغَارَاتُ مَأْمُونَةً ؛ وَمَنْ حَصَلَ فِي أَيْدِيهِمْ
مِنْ لِصٍّ خَائِلٍ ، وَصُعْلُوكٍ خَارِبٍ ؛ وَخَيْفٍ لَسْبِيلٍ ، وَمُنْتَهَكٍ لِحَرِيمٍ ؛ أَمِثِلَ فِيهِ أَمْرُ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَوَافِقِ لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ
أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

وَأَمْرُهُ بِوَضْعِ الرِّصَدِ عَلَى مَنْ يَجْتَازُ فِي أَعْمَالِهِ مِنْ أَبَاقِ الْعَيْدِ ، وَالْاِحْتِيَاظِ عَلَيْهِمْ
وَعَلَى مَا يَكُونُ مَعَهُمْ ، وَبِالْبَحْثِ عَنِ الْأَمَاكِنِ الَّتِي فَارَقُوهَا ، وَالطُّرُقِ الَّتِي اسْتَطَرَقُوهَا ؛
وَمَوَالِيهِمُ الَّذِينَ آتَقُوا مِنْهُمْ ، وَنَشَرُوا عَنْهُمْ ؛ وَأَنْ يَرُدُّوهُمْ عَلَيْهِمْ قَهْرًا ، وَيُعِيدُوهُمْ إِلَيْهِمْ
صُغْرًا ؛ وَأَنْ يُنْشِدُوا الضَّالَّةَ بِمَا أُمِّكَنْ أَنْ تُنْشَدَ ، وَيَحْفَظُوهَا عَلَى رَبِّهَا بِمَا جَازَ أَنْ
تُحْفَظَ ؛ وَيَتَجَنَّبُوا الْإِمْتِطَاءَ لظُهُورِهَا وَالْإِتِّفَاعَ بِأَوْبَارِهَا وَالْبَانِيَا مِمَّا يُحْزُ وَيُحَلَبُ ؛
وَأَنْ يَعْرِفُوا اللَّقْطَةَ وَيَدْبِعُوا أَثَرَهَا ، وَيُسَيِّعُوا خَبَرَهَا ؛ فَإِذَا حَضَرَ صَاحِبُهَا وَعُلِمَ أَنَّهُ
مُسْتَوْجِبُهَا سُلِّمَتْ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يُعْتَرَضَ فِيهَا عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ
يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ . وَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
”ضَلَالَةُ الْمُؤْمِنِ حَرَقُ النَّارِ“ .

(١) في ”الرسائل“ ، والمثل السائر“ «ويذرقوا» والبذرة الخفارة .

(٢) في ”الرسائل“ « في جوادها ... في عوادها » .

وأمره أن يوصي عُمَّاله بالشّد على أيدي الحُكّام ، وتنفيذ ما يصدر عنهم من الأحكام ؛ وأن يحضروا مجالسهم حضور الموقرين لها ، الذّائين عنها ، المقيمين لرُسوم الهيبة وحدود الطاعة فيها ؛ ومن خرج عن ذلك من ذى عقلٍ سَخيف ، وحلمٍ ضَعيف ، نالوه بما يردّعه ، وأحلّوا به ما يزعه ؛ ومتى تقاعس متقاعس عن حضور مع خضم يستدعيه ، وأمر يوجه الحاكّم إليه فيه ؛ أو التوى ملتوي بحق يحصل عليه ، ودَيْن يستقر في ذمّته ، قادهو إلى ذلك بأزمة الصّغار ، ونزائم الإضطرار ؛ وأن يحبسوا ويطلقوا بأقوالهم ، ويثبتوا الأيدي في الأملاك والفروج ويترعوها بقضايهم ؛ فإنهم أمانة الله في فصل ما يفصلون وبّت ما يتون ، وعن كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم يُوردون [ويصدرون] وقد قال تعالى : ﴿ يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ . وأن يتوتحن بمثل هذه المعاملة عُمَّال الخراج في استيفاء حقوق ما استعملوا عليه ، واستنطاق بقاياهم فيه ، والرياسة لمن تسوء طاعته من معاليمهم ، وإحضارهم طائعين أو كارهين بين أيديهم ؛ فمن آداب الله تعالى للعبد التي يحق عليه أن يتخذها [أدبا] ويعملها إلى الرضا عنه سببا ، قوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .

وأمره أن يجلس للرعية جلوسا عاما ، وينظر في مطالبها نظرا تاما ، ويساوي في الحق بين خاصها وعامها ، ويوازي في المجالس بين عزيزها وذليلها ؛ وينصف المظلوم من ظالمه ، والمغضوب من غاصبه ؛ بعد الفحص والتأمل والبحث والتبين ،

(١) الزيادة عن "رسائل الصابي المطبوعة ، والمثل السائر" وهي من سقط النسخ .

حَتَّى لَا يَخُفُّكُمْ إِلَّا بَعْدُ ، وَلَا يَنْطِقَ إِلَّا بِفَضْلٍ ؛ وَلَا يُثَبِّتُ يَدًا إِلَّا فِيمَا وَجِبَ [تَثْبِيثُهَا فِيهِ ، وَلَا يَقْبِضُهَا إِلَّا عَمَّا وَجِبَ] ^(١) قَبْضُهَا عَنْهُ ؛ وَأَنْ يُسَهِّلَ الْإِذْنَ لِلْجَمَاعَةِ ، وَيَرْفَعَ الْحِجَابَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ؛ وَيُوَلِّمَهُمْ مِنْ حَصَانَةِ الْكَنْفِ ، وَلِيَنِ الْمُتَعَطِّفَ ؛ وَالْأَشْتَمَالَ وَالْعِنَايَةَ ، وَالصُّونَ وَالرَّعَايَةَ ؛ مَا تَتَعَادَلُ فِيهِ أَقْسَامُهُمْ ، وَتَتَوَازَنُ مِنْهُ أَقْسَامُهُمْ ؛ وَلَا يَصِلُ الْمَكِينُ مِنْهُمْ إِلَى اسْتِزْمَامَةٍ مَنْ تَأَنَّرَعَنَّهُ ، وَلَا ذُو السُّلْطَانِ إِلَى هَضِيمَةٍ مَنْ حَلَّ دُونَهُ . وَأَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى أَحْسَنِ الْعَادَاتِ [وَالْخَلَائِقِ] ^(٢) وَيُخَضِّمَهُمْ عَلَى أَجْمَلِ الْمَذَاهِبِ وَالطَّرَائِقِ ؛ وَيُجَلِّعَ عَنْهُمْ كُلَّهُ ، وَيَمُدِّ عَلَيْهِمْ ظِلَّهُ ؛ وَلَا يَسُومَهُمْ خَسْفًا ، وَلَا يُلْحِقَ بِهِمْ حَيْفًا ؛ وَلَا يَكْثِفَهُمْ شَطَطًا ، وَلَا يُجَشِّمَهُمْ مُضْلَاعًا ؛ وَلَا يُثْلِمَ لَهُمْ مَعِيشَةً ، وَلَا يُدَاخِلَهُمْ فِي جَرِيمَةٍ ؛ وَلَا يَأْخُذَ بَرِيئًا مِنْهُمْ بِسَقِيمٍ ، وَلَا حَاضِرًا بِعَدِيمٍ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ نَهَى أَنْ تَرَرَّ وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَى ، وَجَعَلَ كُلَّ نَفْسٍ رَهِينَةً بِمَكْسِبِهَا بَرِيئَةً مِنْ مَكَاسِبٍ غَيْرِهَا . وَيَرْفَعُ عَنْ هَذِهِ الرِّعْيَةِ مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ سُوءٌ عَلَيْهَا مِنْ سُنَّةٍ ظَالِمَةٍ ، وَسُلُوكٍ بِهَا مِنْ حَجَّةٍ جَائِرَةٍ ، وَيَسْتَقْرِىَ آثَارَ الْوَلَاةِ قَبْلَهُ عَلَيْهَا ، فِيمَا أَرْجَوُهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ لَهَا : فَيُقَرَّرَ مِنْ ذَلِكَ مَا طَابَ وَحَسُنَ ، وَيُزِيلَ مَا خَبُثَ وَقَبُحَ : فَإِنَّ مَنْ يَغْرِسِ الْخَيْرَ يَحْظُ بِمَعْسُولٍ ثَمَرِهِ ، وَمَنْ يَزْرَعُ الشَّرَّ يَصِلُ بِمَمْرُورٍ رَيْعِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَإِيْخْرَاجِ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُشْكُرُونَ ﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَصُونَ أَمْوَالَ الْخَرَاجِ وَأَثْمَانَ الْغَلَّاتِ ، وَوُجُوهَ الْجَبَايَاتِ ، مُوفِّرًا ، وَيَزِيدَ ذَلِكَ مُثْمَرًا ، بِمَا يَسْتَعْمِلُهُ مِنَ الْإِنْصَافِ لِأَهْلِهَا ، وَإِجْرَائِهِمْ عَلَى صَحِيحِ الرُّسُومِ فِيهَا : فَإِنَّهُ مَالُ اللَّهِ الَّذِي بِهِ قُوَّةُ عِبَادِهِ ، وَحِمَايَةُ بِلَادِهِ ، وَدُرُورُ حَلْبِهِ ، وَاتِّصَالُ

(١) الزيادة عن "رسائل الصابي" المطبوعة و"المثل السائر" وهي من سقط النسخ .

(٢) كذا في "المثل السائر" أيضا وفي "الرسائل" « في حرفه » .

مَدَدَهُ ؛ وَبِهِ يُحَاطُ الْحَرِيمُ ، وَيُدْفَعُ الْعَظِيمُ ؛ وَيُجْمَى الذَّمَارُ ، وَتُدَادُ الْأَشْرَارُ . وَأَنْ يَجْعَلَ
 أَفْتَحَاهُ إِيَّاهُ بِحَسَبِ [إِدْرَاكِ] ^(١) أَصْنَافِهِ ، وَعِنْدَ حُضُورِ مَوَاقِيْتِهِ وَأَحْيَانِهِ ؛ غَيْرِ
 مُسْتَسْلِفٍ شَيْئًا قَبْلُهَا ، وَلَا مُؤَخَّرَهَا عَنْهَا ؛ وَأَنْ يُخَصَّ أَهْلُ الطَّاعَةِ وَالسَّلَامَةِ بِالرِّفَةِ
 لَهُمْ ، وَأَهْلُ الْإِسْتِضْعَابِ وَالْإِمْتِنَاعِ بِالتَّشَدُّدِ عَلَيْهِمْ : لِثَلَاثِ قَعِّ إِرْهَاقٍ لَمُدَّعِنَ ، أَوْ إِهْمَالٍ
 لَطَامِعٍ . وَعَلَى الْمُتَوَلَّى لَذَلِكَ أَنْ يَضَعَ كُلًّا مِنَ الْأَمْرَيْنِ مَوْضِعَهُ ، وَيُوقِعَهُ مَوْقِعَهُ ؛
 مُتَجَنِّبًا إِحْلَالَ الْغِلَظَةِ بِمَنْ لَا يَسْتَحِقُّهَا ، وَإِعْطَاءَ الْقُسْحَةِ لِمَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا ؛
 وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ
 الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴾ .

وَأَمْرُهُ بَأَنْ يَتَخَيَّرَ عُمَالَهُ عَلَى الْأَعْشَارِ ، وَالْخَرَاجِ ، وَالضَّرِّيَاعِ ، وَالْجَهْدَةِ ،
 وَالصَّدَقَاتِ ، وَالْحَوَالِي ، مِنْ أَهْلِ الطَّلَفِ وَالتَّزَاهَةِ ، وَالضَّبْطِ وَالصِّيَانَةِ ، وَالْجَزَالَةِ
 وَالشَّهَامَةِ ؛ وَأَنْ يَسْتَظْهِرَ مَعَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ بَوْصِيَّةَ يُوعِيهَا أَسْمَاعُهُمْ ، وَعُهُودَ يَقْلُدُهَا
 أَعْنَاقُهُمْ ؛ بَأَنْ لَا يُضَيِّعُوا حَقًّا ، وَلَا يَأْكُلُوا سُخْتًا ؛ وَلَا يَسْتَعْمِلُوا ظُلْمًا ، وَلَا يَقَارِفُوا
 غَشْمًا . وَأَنْ يُقِيمُوا الْعِمَارَاتِ ، وَيَحْتَاطُوا [عَلَى الْغَلَّاتِ] ^(٢) وَيَتَحَرَّزُوا مِنْ تَرْكِ حَقٍّ لَازِمٍ
 أَوْ تَعْطِيلِ رَسْمٍ عَادِلٍ ؛ مُؤَدِّينَ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ الْأَمَانَةِ ، مُجْتَنِّبِينَ لِلْخِيَانَةِ . وَأَنْ يَأْخُذُوا
 جِهَابِذَتَهُمْ بِاسْتِيفَاءِ وَزْنِ الْمَالِ عَلَى تَمَامِهِ ، وَاسْتِجَادَةِ نَقْدِهِ عَلَى عِيَارِهِ ؛ وَاسْتِعْمَالَ الصَّحَّةِ
 فِي قَبْضِ مَا يَقْبِضُونَ ، وَإِطْلَاقِ مَا يُطْلِقُونَ . وَأَنْ يُوعِزُّوا إِلَى سَعَةِ الصَّدَقَاتِ بِأَخْذِ
 الْفَرَائِضِ مِنْ سَائِمَةِ مَوَاشِي الْمُسْلِمِينَ دُونَ عَامِلَتِهَا ، وَكَذَلِكَ الْوَاجِبُ فِيهَا ؛ وَأَنْ لَا يَجْمَعُوا
 فِيهَا مَتَفَرِّقًا وَلَا يُفَرِّقُوا مُجْتَمِعًا ، وَلَا يُدْخِلُوا فِيهَا خَارِجًا عَنْهَا ، وَلَا يُضَيِّفُوا إِلَيْهَا مَا لَيْسَ

(١) من "الرسائل ، والمثل السائر" .

(٢) الزيادة عن "رسائل الصابي" المطبوعة .

منها : من خَلَّ لِيْلٍ أو أَكُولَةٍ^(١) راع ، أو عَقِيلَةٍ مال ؛ فإذا آجَبَتْهُا عَلَى حَقِّهَا ، وَاسْتَوْفَوْهَا عَلَى رَسْمِهَا ، أخرجوها في سَبِيلِهَا ، وَقَسَمَوهَا عَلَى أَهْلِهَا الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ ، إِلَّا الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبَهُمُ الَّذِينَ سَقَطَ سَهْمُهُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبَهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ . وَإِلَى جُبَاةِ [جَمَاحِمِ] أَهْلِ الذِّمَّةِ أَنْ يَأْخُذُوا مِنْهُمْ الْجَزِيَّةَ فِي الْحَرَمِ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ [بِحَسَبِ] مَنَازِلِهِمْ فِي الْأَحْوَالِ ، وَذَاتِ أَيْدِيهِمْ فِي الْأَمْوَالِ ؛ وَعَلَى الطَّبَقَاتِ الْمُطَبَّقَةِ فِيهَا ، وَالْحُدُودِ [الْمَحْدُودَةِ] الْمَعْهُودَةِ لَهَا ؛ وَأَنْ لَا يَأْخُذُوهَا مِنَ النِّسَاءِ ، وَلَا مِنْ لَمْ يَبْلُغَ الْحُلُمَ مِنَ الرِّجَالِ ؛ وَلَا مِنْ ذِي سِنَّ عَالِيَةٍ ، وَلَا ذِي عِلَّةٍ بَادِيَةٍ ؛ وَلَا فَقِيرٍ مُّعْدِمٍ ، وَلَا مَتْرَهَبٍ مُّتَبَتِّلٍ ؛ وَأَنْ يُرَاعِيَ جَمَاعَةُ هَؤُلَاءِ الْعَمَالَ مِرَاعَاةً يُسَرِّهَا وَيُظْهِرُهَا ، وَيُلَاحِظُهَا مُلَاحَظَةً يُخْفِيهَا وَيُخْفِيهَا : ثَلَاثًا يُزُولُوا عَنِ الْحَقِّ الْوَاجِبِ ، أَوْ يَعْدِلُوا غِنَى السَّنَنِ الْأَحَبِّ ؛ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَنْدَبَ لِعَرَضِ الرِّجَالِ وَإِعْطَائِهِمْ ، وَحِفْظِ جَرَائِئِهِمْ وَأَوْقَاتِ إِطْعَامِهِمْ ، مَنْ يَعْرِفُهُ بِالثِّقَةِ فِي مَتَصَرَّفِهِ ، وَالْأَمَانَةِ فِيمَا يَجْرِي عَلَى يَدِهِ ، وَالْبُعْدَ عَنِ الْإِسْفَافِ إِلَى الدَّنِيَّةِ ، وَالِاتِّبَاعَ لِلدَّنَاءَةِ ؛ وَأَنْ يَبْعَثَهُ عَلَى ضَبْطِ [حِلِّ] الرِّجَالِ وَشِيَاةِ الْخَيْلِ ، وَتَجْدِيدِ الْعَرَضِ بَعْدَ الْاسْتِحْقَاقِ ، وَإِيقَاعِ الْإِحْتِيَاظِ فِي الْإِنْفَاقِ ؛ فَمَنْ صَحَّ عَرَضُهُ وَلَمْ يَبْقَ فِي نَفْسِهِ شَيْءٌ مِنْهُ : مِنْ شَكٍّ يَعْزِضُ لَهُ ، أَوْ رِيَّةٍ يَتَوَهَّمُهَا ، أَوْ أَمَالٍ مُّؤَفَّورَةٍ ، وَجَعَلَهَا فِي أَيْدِيهِمْ غَيْرَ مَثْلُومَةٍ ؛ وَأَنْ يَرُدَّ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ أَرْزَاقَ مَنْ

(١) أَكُولَةُ الرَّاعِي مَا يَسْتَهْلِكُ لِلاَّكْلِ .

(٢) الزِّيَادَةُ عَنْ "رِسَالَتِ الصَّابِي" الْمَطْبُوعَةِ .

(٣) الزِّيَادَةُ مِنْ "رِسَالَتِ الصَّابِي" .

سَقَطَ بِالْوَفَاةِ وَالْإِخْلَالِ ، نَاسِبًا ذَلِكَ إِلَى جِهَتِهِ ، وَمُورِدًا لَهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ . وَأَنْ يَطَالِبَ
الرِّجَالَ بِإِحْضَارِ الْخَلِيلِ الْمُخْتَارِ ، وَالْآلَاتِ الْمُسْتَكْمَلَةِ الْمُسْتَعْمَلَةِ عَلَى مَا تُوجِبُهُ مَبَالِغُ
أَرْزَاقِهِمْ ، وَحَسَبِ مَنَازِلِهِمْ وَمَرَائِبِهِمْ ؛ فَإِنْ أَنْحَرُوا أَحَدُهُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ قَاصِدًا بِهِ مِنْ
رِزْقِهِ ، وَأَغْرَمَهُ مِثْلَ قِيَمَتِهِ ؛ فَإِنَّ الْمَقْصُرَ فِيهِ خَائِنٌ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمُخَالَفٌ لِرَبِّ
الْعَالَمِينَ ؛ إِذْ يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ
تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ .

وأمره أن يعتمد في أسواق الرقيق ودور الضرب والحسبة والطرز ، على من
تجتمع فيه آلات هذه الولايات : من ثقة ودرأيه ، وعلم وكفايه ، ومعرفة ودرابه ؛
وتجربة وحُكْمِهِ ، وَحَصَافَةِ وَمُسْكِهِ ؛ فَإِنَّمَا أَحْوَالُ تُضَارِعُ الْحُكْمَ وَتُنَاسِبُهُ ، وَتُدَانِيهِ
وَتُقَارِبُهُ . وَأَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَى وِلَاةِ أَسْوَاقِ الرِّقِيقِ بِالْتَحْفُظِ فِيمَنْ يُطْلَقُونَ بَيْعَهُ ،
وَيُمْضَوْنَ أَمْرَهُ ؛ وَالتَّحَرُّزِ مِنْ وَقُوعِ تَجَوُّزِهِ فِيهِ ، وَإِهْمَالِهِ لَهُ ؛ إِذَا كَانَ ذَلِكَ عَائِدًا
بِقَحْصِ الْفُرُوجِ ، وَتَطْهِيرِ الْأَنْسَابِ . وَأَنْ يُبْعِدُوا عَنْهُ أَهْلَ الرِّيِّهِ ، وَيُقَرِّبُوا أَهْلَ
الْعَقَّةِ ؛ وَلَا يُمْضُوا بَيْعًا عَلَى شُبْهِهِ ، وَلَا عَقْدًا عَلَى ثَمَمِهِ . وَإِلَى وِلَاةِ الْعِيَارِ ، بِتَخْلِصِ
عَيْنِ الدَّرْهِمِ وَالدينار : لِيَكُونَ مَضْرُوبِينَ عَلَى الْبَرَاءَةِ مِنَ الْغِشِّ ، وَالتَّرَاهَةِ مِنَ الْمَشِّ ؛
وَبِحَسَبِ الْإِمَامِ ، الْمَقْرُورِ بِمِلْيَةِ السَّلَامِ ؛ وَحِرَاسَةِ السَّكِّكَ مِنْ أَنْ تَتَدَاوَلَهَا الْأَيْدَى
الْمُدْغِلَةُ ، وَتَتَنَاقَلَهَا الْجِهَاتُ الظَّنِّيَّةُ ؛ وَإِثْبَاتِ اسْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا يُضْرَبُ مِنْهَا
ذَهَبًا وَفِضَّةً ، وَإِجْرَاءِ ذَلِكَ عَلَى الرَّسْمِ وَالسَّنَةِ . وَإِلَى وِلَاةِ الطَّرْزِ بَأَنْ يُحْمَرُوا الْإِسْتِعْمَالُ
فِي جَمِيعِ الْمَنَاسِبِ عَلَى أَسْمِ النَّيْقَةِ ، وَأَسْلَمِ الطَّرِيقَةِ ؛ وَأَحْكَمِ الصَّنْعَةِ ، وَأَفْضَلَ الصَّحَّةِ ؛

(١) المش الخلط حتى يذوب . انظر القاموس

(٢) لعله معناه المعادية ففي اللسان ج ١٧ ص ١٤٥ الظنين المعادى لسوء ظنه وسوء الظن به .
وفي الأصل « المثبتة » وفي المثل السائر المثبتة والتصحيح من رسائل الصابي .

(٣) النيقة الاسم من تنوق في الأمر إذا تأنق فيه .

وَأَنْ يُثَبِّتُوا أَسْمَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى طُرُزِ الْكُتُبِ ، وَالْفُرَشِ وَالْأَعْلَامِ وَالْبُنُودِ .
وَالْإِلَى وَلَاةِ الْحِسْبَةِ بِتَصَفُّحِ أَحْوَالِ الْعَوَامِّ فِي حِرْفِهِمْ وَمَتَاجِرِهِمْ ، وَبِمَجْتَمَعِ أَسْوَاقِهِمْ
وَمَعَامِلَاتِهِمْ ؛ وَأَنْ يُعَايِرُوا الْمَوَازِينَ وَالْمَكَايِيلَ ، وَيَفْرِزُوهَا عَلَى التَّعْدِيلِ وَالتَّكْوِيلِ ؛
وَمَنْ أَطْلَعُوا مِنْهُ عَلَى حِيلَةٍ أَوْ تَلَيُّسٍ ، أَوْ غِيْلَةٍ أَوْ تَدْلِيْسٍ ؛ أَوْ بَحْسٍ فِيهَا يُؤْفِيهِ ،
أَوْ اسْتِيفَالٍ فِيهَا يَسْتَوْفِيهِ ، نَالُوهُ بِغَلِيظِ الْعَقُوبَةِ وَعَظِيمِهَا ، وَخَصَّوهُ بِوَجْعِهَا
وَالْأَيْمِهَا ؛ وَاقْفَيْنَ بِهِ فِي ذَلِكَ عِنْدَ الْحَدِّ الَّذِي يَرُونَهُ لَذَنْبِهِ مُجَازِيَا ، وَفِي تَأْذِيهِ كَافِيَا
فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَبَلِّغْ لِلنَّاسِ النَّبَأَ الَّذِي آتَاكَ عَلَى الْبَيِّنَاتِ وَيَسْتَفِهُونَ
وَإِذَا كَانُوا مِنْكَ أَوْ مِنْهُمْ يُخْرِجُونَ ﴾ .

هَذَا عَهْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ ، وَحُجَّتُهُ عَلَيْكَ ؛ وَقَدْ وَفَّقَكَ بِهِ عَلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ ،
وَأَرْشَدَكَ فِيهِ إِلَى وَاضِحِ الدَّلِيلِ ؛ وَأَوْسَعَكَ تَعْلِيمًا وَتَحْكِيمًا ، وَأَقْنَعَكَ تَعْرِيفًا ^(١) [وَتَفْهِيمًا]
وَلَمْ يَأَلِّكَ جُهْدًا فِيمَا عَصَمَكَ وَعَصَمَ عَلَى يَدِكَ ، وَلَمْ يَدَّخِرْكَ مُمْكِنًا فِيمَا أَصْلَحَ بِكَ
وَأَصْلَحَكَ ؛ وَلَا تَرَكَ لَكَ عُذْرًا فِي غَلْطٍ تَغْلُطُهُ ، وَلَا طَرِيقًا إِلَى مُتَوَرِّطٍ تَتَوَرَّطُهُ ؛ بِالْغَا
بِكَ فِي الْأَوَامِرِ وَالزُّوَاجِرِ إِلَى حَيْثُ يَلْزَمُ الْأُئِمَّةُ أَنْ يَنْدُبُوا النَّاسَ إِلَيْهِ ، وَيُحْشَوْهُمْ عَلَيْهِ ؛
مَقِيمًا لَكَ عَلَى مُنْجِيَّاتِ الْمَسَالِكِ ، صَارِقًا بِكَ عَنْ مُرْدِيَّاتِ الْمِهَالِكِ ؛ مُرِيدًا فِيكَ
مَا يُسَلِّمُكَ فِي دِينِكَ وَدُنْيَاكَ ، وَيُعِيدُ بِالْحِظِّ عَلَيْكَ فِي آخِرَتِكَ وَأَوَّلِكَ ؛ فَإِنْ أَعْدَلْتَ
وَعْدَلْتَ فَقَدْ فُزْتَ وَغَنِمْتَ ، وَإِنْ تَجَانَفْتَ وَأَعْوَجَجْتَ فَقَدْ خَسِرْتَ وَنَدِمْتَ ؛
وَالْأَوَّلَى بِكَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ مَغْرَسِكَ الرَّأْسِيِّ ، وَمَنْبَتِكَ النَّامِيِّ ، وَعُودِكَ الْأَنْجَبِيِّ ،
وَعُنْصُرِكَ الْأَطْيَبِيِّ ، أَنْ تَكُونَ لَظَنَّهُ بِكَ مُحَقِّقًا ، وَلَحْيَلَّتُهُ فِيكَ مُصَدِّقًا ؛ وَأَنْ تَسْتَرِيدَ
بِالْأَثَرِ الْجَمِيلِ قُرْبًا [مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ] ^(١) وَثَوَابًا يَوْمَ الدِّينِ ؛ وَزُلْفَى عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،

(١) الزيادة عن "رسائل الصابغ" المطبوعة .

وثناءً حسنًا من المسلمين ؛ فخذ ما نَبَذَ إليك أمير المؤمنين من معاذيره ، وأمسك بيدك على ما أعطى من موافيقه ؛ وأجعل عهده ^(١) [هذا] مثالاً تحتذيه ، وإماماً تقتفيه ؛ وأستعين بالله يُعِينكَ ، وأستهد به يدك ، وأخلص إليه في طاعته ، يُخلص لك الحظ من معونته ؛ ومهما أشكل عليك من خطب ، أو أعضل عليك من صعب ؛ أو بهرك من باهر ، أو بهظك من باهظ ؛ فاكُتِبْ إلى أمير المؤمنين به منبها ، ^(١) وكن إلى ما يرد [من جوابه] عليك مُنتهيا ؛ إن شاء الله تعالى . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

[وكتب نصير الدولة الناصح أبو طاهر يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ست وستين وثلاثمائة ^(١)] .



وعلى هذا الأسلوب كتب أمين الدين أبو سعيد ، العلّاء بن وهب بن موصلايا عن القائم بأمر الله عهد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، بسطنة الأندلس وبلاد المغرب ، بعد العشرين والأربعمائة ، فيما رأيته في ترسل ابن موصلايا المذكور .

وهذه نسخته بعد البسملة الشريفة :

هذا ما عهد عبد الله ووليه ، عبد الله القائم بأمر الله أمير المؤمنين ، إلى فلان حين انتهى إليه ما هو عليه من أدراع جلايب الرّشاد ، في الإصدار والإيراد ؛ وأتباع سنن من أبدى وأعاد ، فيما يجتمع خير العاجلة والمعاد ؛ والتخصيص من حميد الأئحاء والمذاهب ، بما يستمد منه أصناف الآلاء والمواهب ؛ والتحلّ من السداد

الكامل ، بما فاز فيه بامتطاء الغارب من الجمال والكاهل ؛ وأتضح ماهو متشبث به من صحة الدين واليقين ، والمواظبة من اكتساب رضا الله تعالى على ماهو أقوى الظهير والمعين ؛ في ضمن ما طوى عليه ضلوعه ، وأدام لهجه به وولوعه : من موالاة لأمير المؤمنين يدين الله تعالى بها ، ويرجو النجاة من كل مخوف باستحكام سعيها ؛ ومشايعة لدولته ساوى فيها بين ما أظهر وأسر ، وأمل في آجئاء ثمرها كل ما أهبج وسر ؛ فولاه الصلاة بأعمال المغرب ، والمعاون ، والأحداث ، والخراج ، والضياع ، والأعشار ، والجهذة ^(١) ، والصدقات ، والجواري ، وسائر وجوه الجبايات ، والعرض ، والعطاء ، والنفقة في الأولياء ، والمظالم ، وأسواق الرقيق ، والعيار في دور الضرب ، والطرز ، والحسبة ، ببلاد كذا وكذا : سكونا إلى استقلاله بأبناء ما استكشف إياه ، واستقبله النعمة عليه في ذلك بكل ما ينشر ذكره ويطيب رايه ؛ وثقة بكونه للصنعة أهلا ، وبأفياء الطاعة الإمامية مستظلا ؛ وتوفيرة على ما يزيد بحضرة أمير المؤمنين خطوة ترد باع الخطوب عنه قصيرا ، وتمتد مقاصده من التوفيق بما يصحى له في كل حالة نصيرا ؛ علما بما في أصطناعه من مصلحة تستنير أهلها ، وتستنير من شبه النقي شواهدا وأدلتها ؛ والله تعالى يصل مرامي أمير المؤمنين بالإصابة ، ويعينه على ما يقرر كل أمرى في حقه ويحله نصابه ؛ ويحسن له الخطرة في كل ما يغدوله مُمضيا ، ولما يابا الاجتهاد في فعله مُمضيا ؛ وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله ، عليه يتوكل وإليه يُتنب .

وأمره بآتماد تقوى الله تعالى في الإعلان والإسرار ، واعتقاد الواجب من الإذعان بفضلها والإقرار ؛ وأن يأوى منها إلى أمتع المعاقل وأحصنها ، ويلوى عنان

(١) عبارة عن نقد الذهب والفضة .

الهدى فيها إلى أجل المقاصد وأحسنها ؛ ويجعلها عمدته يوم تُعَدَم الأنصار ،
وتُشَخَّص الأبصار : ليجتنى من ثمرها ما يقيه مصارع النجل ، ويحتل من مطالعها
ما يؤمنه من طوارق الوجل ؛ ويرد بها من رضا الله تعالى أصفى المَشَارِب ، ويجد
فيها من ضوَالِ المنى أنفَس المَوَاهِب : فإنها أبقي الزَاد ، وأدعى في كلِّ أمر إلى وَرَى
الزَاد ؛ وقد خَصَّ الله بها المؤمنين من عباده ، وحضَّ منها على ما هو أفضل عُدة المرء
وعتاده ؛ فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ
مُسْلِمُونَ ﴾ .

وأمره أن يَأْتَمَّ بكتاب الله تعالى مستضيئاً بمصباحه ، مستضيئاً لسُلطان النور
بالوقوف عند محظوره ومباحه ؛ ويقصد الاستبصار بمواعظه وحكمه ، والاستبصار
لصوب التوفيق في الرجوع إلى مُتَقَنه ومُحْكَمه ؛ ويجعله أميراً على هواه مطاعاً ، وسَمِيراً
لا يرى أن يكشف عنه قناعاً ؛ ودليلاً إلى النجاة من كلِّ ما يخاف أنامه ، وسبيلاً
إلى الفوز في اليوم الذي يُسْفِر عن فصل الحساب لِنَامه ؛ ويتحقق موقع الحظ
في إدامة درسه ، وصلة يومه في التأمل بأمسه ؛ فإنه يُبْدِي طريق الرشد لكل مبدي
في العمل به مُعِيد : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ
تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

وأمره أن يُحَافِظَ على الصَّلوات قائماً بشروطها وحُدودها ، وشائماً بروق التوفيق
في أداء فروضها وحقوقها ؛ ومسارعاً إليها في أوقاتها بنية عافية مناهل الكدر والرق ،
عارفة بما في إخلاصها من نُصرة الهدى وطاعة الحق ؛ وموفراً عليها من ذهنه ،
ما الحظ كامن في طيه وضمنه ؛ وموفياً لها من الرُّكوع والسُّجود ، ما الرِّشَاد فيه صادق
الدلائل والشهود ؛ متجنباً أن يُلْهِيه عنها من هَوَاجِس الأفكار ، ووساوس القلب

الْعَوْنِ مِنْهَا وَالْأَبْكَارُ؛ مَا يَقِفُ فِيهِ مَوْقِفُ الْمُقْصِرِ الْغَالِطِ ، وَيَنْزِلُ فِيهِ مَنْزِلَةُ الْجَاهِدِ
لِلنَّعْمِ الْغَايِظِ ؛ وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا وَفَرَضَهَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَوْجَبَهَا وَحَثَّ مِنْ إِقَامَتِهَا ،
عَلَى مَا يُفِضِي إِلَى صَلَاحِ الْمَقَاصِدِ وَاسْتِقَامَتِهَا ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ فَاقِيمُوا الصَّلَاةَ
إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) .

وأمره بالسعى في أيام الجمع إلى المساجد الجامعة، وفي الأعياد إلى المصليات
الضاحية؛ بعد أن يتقدم في عمارتها، وإعداد الكسوة لها؛ بما يؤدى إلى كمال حلاها،
ويحظى من حسن الذكر بأعذب الموارد وأحلاها؛ ويوعز بالاستكثار من المكبرين
فيها والقوام، وترتيب المصايح العائدة على شمل جمالها بالانساق والانتظام : فإنها
بيوت الله تعالى التي تُنزل بها آياته، وتُعلّى فيها أعلام الشرع وراياته . وأن يُقيم
الدعوة على منابرها لأمر المؤمنين ، ولولّى عهده العدة للدين ؛ أبى القاسم عبد الله
أبن محمد بن أمير المؤمنين، أدام الله تعالى به الإمتاع، وأحسن عن ساحته الدفاع؛
ثم لنفسه جاريا في ذلك على ما أُلّف من مثله ، وسالكا منه أقوم مسالك الإهداء
وسُبله ؛ وقد بين الله تعالى ما في عمارتها من دلائل الإيمان، والفوز بما يُعطى
من سُخط الله تعالى أوثق الأمان ، في قوله سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ
آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ
يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ . وقال في الحث على السعى إلى الجوامع التي يُذكر فيها اسمه،
ويظهر عليها منار الإسلام ورسمه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمٍ
الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ .

وأمره أن يعتمد في إخراج الزكاة ما أمر الله تعالى به ، وهدي منه إلى أرشيد
فعل وأصوبه ، ويقوم بذلك القيام الذي يُخْطِطُ به بحِجَلِ الذِّكْرِ ، وَحَزِيلِ الْأَجْرِ ،

ويشهد له بزكاء المغرس وطيب النجر؛ ويقصد في أداء الواجب منه ما يصل أمسه في التوفيق بيومه ، ويطلق الألسنة بحمده ويكفها عن لومه ؛ متجنباً من إخلال بما نص عليه في هذا الباب ، أو إهمال فيه لما يليق بدوى الديانة وأولى الألباب ؛ ومتوخياً في المسارعة إليه ما تطهر به من الأذناس ، ويتوفر به حسن الأحذوثة عنه بين الناس ؛ فقد جعل الله تعالى الزكاة من الفروض التي لاسبيل إلى المحيد عنها ، ولا دليل في الفوز أوفى منها ؛ وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأخذها من أمته ، وأبان عن كونها مما يُجنى كل مرغوب فيه من ثمرته ؛ ووصل الأمر له في ذلك بما يوجب فضل المسابقة إلى قبوله : لما فيه من الحظ الكامل في استنارة غرره ومجوبه ، في قوله سبحانه : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

وأمره أن يهدب من الدنس خلالة ، ويصل بأقواله في الخير أفعاله ؛ ويمتنع من تلبية داعي الهوى المضل ، ويتبع سنن المتقي بالهدى المستطيل ؛ ويقبض يده عن كل محرم ثوثق أشراكه وتوثق غوائله ، وتؤذن بسوء المتقلب شواهد ودلائله ؛ ويجعل له من نهاره رقيباً على نفسه يصونها عن مراتع الغي ومطارحه ، وأميناً يصد عن مسارب الإثم ومسارحه ؛ فإنها لا تزال أماراً بالسوء إن لم تقد إلى جدد الرشد ، وتقم لها سوق من الوعظ يبلغ فيها أقصى الغاية والأمد ؛ فالسعيد من أضحى لها عند سورة الغضب وإزعاء ، وأنحى عليها بلوم يغدو معه عن كل ما يسخط الله تعالى نازعاً ، وأن يتزه عن النهى عما هوله متركب ، والأمر بما هوله محتب : إذ كان ذلك بالهجنة حالياً ، وبين المرء وبين مقاصد هديه حائلاً ، قال الله تعالى : ﴿ أَمْرُؤَ النَّاسِ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَذَكَّرُونَ ﴾ .

وأمره أن يُضْفَى عَلَى مَنْ قَبْلَهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَجُنُودِهِ، أَصْنَافَ جَلَائِدٍ
 الْإِحْسَانِ وَبُرُودِهِ ؛ وَيُخَصِّمُهُمْ مِنْ جَزِيلِ حَبَائِهِ بِمَا يَصِلُونَ مِنْهُ إِلَى أْبْعَدِ الْمَدَى ،
 وَيَمْلِكُونَ بِهِ نَوَاصِيَ الْأَمَالِ وَيُدْرِكُونَ قَوَاصِيَ الْمُنَى ؛ وَيُمَيِّزُ مَنْ أَدَّى وَاجِبَهُ فِي الطَّاعَةِ
 وَقَرْضِهِ وَأَبْدَى صَفْحَتِهِ فِي الْغَنَاءِ بَيْنَ يَدَيْهِ بِمَزِيدٍ مِنَ الْإِشْتِمَالِ يُرْهِفُ بِصِيرَةِ كُلِّ مِنْهُمْ
 فِي التَّوَفُّرِ عَلَى مَا وَافَقَهُ ، وَوَصَلَ بَأْنِفِهِ فِي التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ سَابِقَهُ ، وَيَدْعُو الْمُقَصِّرَ إِلَى
 الْإِسْتِبْصَارِ فِي اعْتِمَادِ مَا يَلْحَقُ فِيهِ رُتْبَةٌ مِنْ فَازَتْ فِي الْحَطْوَةِ قِدَاحُهُ ، وَفَاتَتْ الْوَصْفَ
 عُزْرُهُ فِي الزُّلْفَةِ وَأَوْضَاحُهُ : لِيَمْرَحَ بِهِ فِي الْإِغْتِزَاءِ بِلَبَّانِ النِّعْمَةِ ، كَمَا أَتَهَجَّ جَدَدُهُ
 فِي إِحْسَانِ الْخِدْمَةِ . وَأَنْ يَرْجِعَ إِلَى آرَاءِ ذَوِي الْخُنُكَةِ مِنْهُمْ مُسْتَضِيئًا بِهَا مُسْتَرِشِدًا ،
 وَطَالِبًا ضَوَالَّ الرَّأْيِ الثَّاقِبِ وَمُنْشِدًا ؛ وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ فَضْلَ الْمَشُورَةِ الَّتِي جَعَلَهَا لِلْأَبَابِ
 لِقَاحًا ، وَفِي حَنَادِسِ الشُّكُوكِ مَضْبَاحًا ؛ حَيْثُ أَمَرَ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا ،
 وَبَعَثَهُ مِنْهَا عَلَى أَسَدِّ الْأَفْعَالِ وَأَصْوَبِهَا ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا
 عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ .

وأمره أَنْ يَعْدِلَ فِي الرِّعَايَا قَبْلَهُ ، وَيُجَلِّمَهُمْ مِنَ الْأَمْنِ هِضَابَهُ وَقُلَّةَهُ ؛ وَيَمْنَحَهُمْ مِنَ
 الْإِشْتِمَالِ ، مَا يَنْجِي بِهِ أُمُورَهُمْ مِنَ الْإِخْتِلَالِ ، وَيَحْوِي بِهِ مِنْ طِيبِ الذِّكْرِ بِحَسَبِ
 مَا اكْتَسَبَ مِنْ رِضَى الْأَنْحَاءِ وَالْخِلَالِ ؛ وَيُضْفَى عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْهُمْ وَالْمُعَاهِدِ مِنْ ظِلِّ
 رِعَايَتِهِ مَا يُسَاوِي فِيهِ بَيْنَ الْقَوِي وَالضَّعِيفِ ، وَيُلْحِقُ التَّلِيدَ مِنْهُمْ بِالطَّرِيفِ : لِيَكُونَ
 الْكُلُّ وَادِعِينَ فِي كَنْفِ الصُّونِ ، رَاجِعِينَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي إِمْدَادِهِمْ بِالتَّوْفِيقِ وَحُسْنِ
 الطَّاعَةِ وَالْعَوْنِ . وَأَنْ يَنْظُرَ فِي مَظَالِمِهِمْ نَظْرًا يَنْصُرُ الْحَقَّ فِيهِ ، وَيُنْشُرَ عِلْمَ الْعَدْلِ
 فِي مَطَاوِيهِ ؛ وَيُنْصِفَ مَعَهُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، وَيُنْصِبَ بِهِ لَهُمْ مِنْ آهَتِيهِمْ أَسْنَى
 قِسْمٍ وَحَظٍّ ؛ مُلِينًا لَهُمْ فِي ذَلِكَ جَانِبَهُ ، وَمُيَبِّنًا مَا يَظَلُّ بِهِ كَاسِبُ الْأَجْرِ وَجَالِيهِ ؛

وَيُزِيلُ عَنْهُمْ مَاشِرَعَهُ ظِلْمَةُ الْغُلَامَانِ بِتِلْكَ الْأَعْمَالِ، وَيُدِيلُ مِنْ تِلْكَ الْحَالِ بِاسْتِنَافِ مَا يُؤَيِّطُهُمْ كَوَاهِلَ الْأَمَالِ؛ جَامِعًا لَهُمُ بَيْنَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَجَاعِلًا أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مُتَلَقٍّ بِالطَّاعَةِ الْوَاضِحَةِ الدَّلِيلِ وَالْبُرْهَانِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

وأمره بأن يكونَ بالمعروفِ آمراً ، وعن المنكرِ زاجراً ، والله تعالى في إحياءِ الحقِّ وإماتةِ الباطلِ مُتَجَرِّبٌ . وأنَّ يَشُدَّ من الساعين في ذلك والدَّاعِينَ إِلَيْهِ ، وَيَعُدُّ الْقِيَامَ بِهذهِ الحالِ من أَفْضَلِ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْعَرْضِ عَلَيْهِ . وَيَتَقَدَّمُ بِتَعْطِيلِ مَا فِي أَعْمَالِهِ مِنَ الْمَوَاخِيرِ وَدَحْضِهَا ، وَإِزَالَةِ آثَارِهَا وَمَحْوِهَا ؛ فَإِنَّهَا مَوَاطِنُ بِالْخَازِي أِهْلِهِ ، وَمِنْ مَشَارِبِ الْمَعَاصِي نَاهِلَهُ ؛ قَدْ أُسِّسَتْ عَلَى غَيْرِ التَّقْوَى مَبَانِيهَا ؛ وَأُخْلِيتْ مِنْ كُلِّ مَا يُرِضِي اللَّهَ تَعَالَى مَعَانِيهَا ؛ وَقَدْ أَبَانَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ فَضْلِ الطَّائِفَةِ الَّتِي ظَلَّتْ بِالْمَعْرُوفِ آمِرَةً وَعَنِ الْمُنْكَرِ نَاهِيَةً ، وَضَنَّتْ بِمَا تُرَى فِيهِ عَنْ مَقَاصِدِ الْخَيْرِ ذَاهِلَةً لَاهِيَةً ، فَقَالَ : (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُقِيمُونَ لِلَّهِ) .

وأمره أن يُرتَّبَ لحماية الطُّرُقَاتِ مَنْ يَجْمَعُ إِلَى الصَّرَامَةِ وَالشَّهَامَةِ ، سُئِلَ حَاجُّ
الرَّشَادِ وَالْإِسْتِقَامَةِ ؛ وَيَجْعَلُ التَّعَفُّفَ عَنْ ذَمِيمِ الْمَرَاعِ شَاهِدًا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ إِيَّاهُ ، وَعَائِدًا
عَلَيْهِ بِمَا تُحْمَدُ مَغَبَّتُهُ وَعُقْبَاهُ ؛ وَيَأْمُرُ بِحِفْظِ السَّابِلَةِ ، وَاخْتِصَاصِهِمْ بِالْحِرَاسَةِ السَّابِغَةِ
الشَّامِلَةِ ؛ وَحِمَايَةِ الْقَوَافِلِ وَارِدَةٍ وَصَادِرَةٍ ، وَأَعْتَادِهَا بِمَا تَفْدُوهُ إِلَى السَّلَامَةِ
مُفْضِيَةً صَائِرَهُ : لِتُحْرَسَ الدَّمَاءُ مِمَّا يُبِيحُهَا وَيُرِيْقُهَا ، وَالْأَمْوَالُ مِمَّا يُقْصَدُ فِيهِ سَبِيلُ
الْإِضَاعَةِ وَطَرِيقُهَا . وَأَنْ يَخَوْفَهُمْ نَتَائِجُ التَّقْصِيرِ ، وَيَعْرِفَهُمْ مَنَاجِجُ التَّبْصِيرِ ؛ وَأَنْ عَلَيْهِمُ

رُقباءَ يلاحظون أمورهم ويوضحونها : ليكون ذلك داعياً إلى التحوط والتحرُّز ،
واعتِمالِ الميل إلى جانب الصَّحة والتحيز ؛ ويوجب لهم من بعد ما يكفي أمثالهم مثله ،
ويكف أيديهم عن الامتداد إلى ما تُذمُّ سبله ؛ فإنَّ أخلَّ أحدُهم بما حدَّ له ،
أو مزج بالسوء عمله ، جرَّاه بحسب ذلك وموجبه . قال الله تعالى : ﴿ مَنْ يَعْمَلْ
سُوءًا يُجْزِهِ ﴾ .

وأمره أن يتقدم إلى توابه في الأعمال بوضع الرِّصد على من يَحْتَاز بها من العبيد
الأَباق ، والاستظهار عليهم بحسب العدل والاستحقاق ؛ وأستعلام أَمَّا كِنِهِم التي
فَصَلُّوا عنها ، ومواطنهم التي بعدوا منها ؛ فإذا وَصَحَتْ أحوالهم وبانت ، وأنحسَمَت
الشُّكُوكُ في بايهم وزالت ، أعادوهم إلى مواليتهم أبوا أم شاءوا ، وأصفوا نياتهم
في الرجوع إليهم أم شأبو . وأن يقصِّدوا إنشاد الصَّوَال ، ويحتدوا من إظهار أمرها
بما يغدو جمال الذِّكر به في الظلال ؛ ويتجنَّبوا أن يمتطوا ظهورها بحال ، أو يمدوا
أيديهم إلى منافعها في إسرار وإعلان ؛ حتَّى إذا حَضَرَ أربابها سُلمت إليهم بالنعوت
والأوصاف ، وأجرى الأمر في ذلك على ما يضحى به علم العدل على المنار حالي
الاعطاف ؛ فقد أمر الله تعالى بأداء الأمانات إلى أهلها ، وهدى من ذلك إلى أوضح
مَحَاجِّ الصَّحة وسبلها ، فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا
وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ .

وأمره أن يختار للنظر في المعاون والأجلاب من يرجع إلى دين يحميه من مهاوى
الزَّلَلِ وَصَلَفٍ عن مدِّ اليد إلى أسباب المطامع ، وكَلَفٍ بما يعود على ما كُلفَ إِيَّاهُ
بصَلاحٍ مُشْرِقِ المطالع ، ومعرفة بما وكل إليه كافية وإفيه ، ولما يوجب الاستِراة له ^(٢)

(١) لعله بالطاء المشالة بمعنى الكف . تأمل .

(٢) لعله الاستِراة أى الزراية عليه والتهاون به .

ماحية نافية؛ ويوعز إليهم بالتشمير في طلب الدُّعَار، من جميع الأماكن والأقطار، وحسب مواد العار في بابهم والمضار. وأن يُمضوا فيهم حكم الله بحسب مقاصدهم في الضلال، وتجرى أمورهم على قانون الشرع المنير في حنادس الظلام، متمتعين أن يراقبوا من لم يراقب الله تعالى في عمله، ويحانبوا الصواب بقبول الشفاعة فيمن شهدت آثاره بذيَم سبله؛ وإذا وقع الظفر بجناح قد كشف في النقي قناعه، وأظهرت مساعيه إباءه من إجابة داعي الرشد وأمتناعه؛ أقيم حد الله تعالى فيه من غير تعدد الواجب، ولا تعر من ملابس السالكين للجدد اللاجب، ﴿ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾.

وأمره أن يوعز إلى أصحاب المعاون بأن يشدوا من القضاة والحكام، ويحذوا في إجراء أمورهم على أوفى شروط الضبط والإقدام؛ ويأمرهم بحضور مجالسهم لتنفيذ أحكامهم وإمضاءها، والمصارعة إلى حث مطايا التشمير في ذلك وإمضاءها؛ والتصرف على أمثلتهم في إحضار الخصوم إذا ما أمتنعوا، وسوقهم إلى الواجب إذا زاغوا عنه وأنحرفوا. وأن يتقدم بإمداد عمال الخراج بما يؤدي إلى قوة أيديهم في استيفاء مال النى وأجتنائه، وأعتاد ما ينصر الحقوق في مطاويه وأثنائه؛ إذ كان في ذلك من الصلاح الجامع، وكف المضار وحسب المطامع، ما المعونة عليه واجبه، وللتوفيق مقارنة مصاحبة، قال الله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان وأنقوا الله إن الله شديد العقاب﴾.

وأمره بعرض من تضمه الجبوس من أهل الجرائم والجرائر، وتأمل أحوالهم في الموارد والمصادر؛ والرجوع إلى متولى الشرطة في ذكر صورة كل منهم والسبب في حبسه، والتعيين من ذلك على ما يعرف به صحة الأمر من لبسه؛ فمن النى منهم

لِلذُّنُوبِ آفَاءٌ، وَعَنْ سَنَنِ الصَّوَابِ مُنْحَرِفًا، تُرِكَ بِجَالِهِ، وَكُفِّ بِإِطَالَةِ أَعْتِقَالِهِ،
 عَنْ مَجَالِهِ فِي مَيَادِينِ ضَلَالِهِ؛ وَإِنْ وُجِدَ مِنْهُمْ مَنْ وَجِبَ عَلَيْهِ الْحَدُّ، أَقِيمَ فِيهِ بِحَسَبِ
 مَا يَقْتَضِيهِ الْحَقُّ؛ وَمَنْ أَعْتَرَضَتْ فِي بَابِهِ شُبْهَةٌ تُجَوِّزُ إِسْقَاطَ الْحَدِّ عَنْهُ وَدَرَاهُ، اعْتَمَدَ
 إِحْلَاقُهُ فِي ذَلِكَ بِمَنْ أَتَّصَلَ إِلَيْهِ صَوْبُ الْإِحْسَانِ وَدَرَّهُ؛ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ جُرْمٌ وَتَظْهَرُ
 صِحَّةُ شَاهِدِهِ وَدَلِيلِهِ، قَدَّمَ الْأَمْرَ فِي إِطْلَاقِهِ وَتَحْلِيلِهِ سَبِيلَهُ؛ وَإِنْ غَدَا لِأَحَدِهِمْ سَعْيٌ
 فِي الْفَسَادِ وَاجْتِئَابِ بَنَانٍ، وَغَوَى بِهِ فِي مُحَارَبَةِ الْحَقِّ وَخَانَ، قُوِيلَ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ
 فِي كِتَابِهِ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ
 فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ
 ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .

وَأَمْرُهُ بِاخْتِيَارِ الْمَرْتَبِ لِلْعَرَضِ وَالْعَطَاءِ، وَالنَّفَقَةِ فِي الْأَوْلِيَاءِ؛ مِنْ ذَوِي الْمَعْرِفَةِ
 وَالْبَصِيرَةِ، وَالْمَشْهُورِينَ فِي الْعِفَّةِ بِتَسَاوِي الْعِلَاقَةِ وَالسَّرِيرَةِ؛ وَمَنْ تَحَلَّى بِالْأَمَانَةِ
 جَيِّدُهُ، وَأَعْتَصَدَ بِطَرِيفِهِ فِي الرَّشَادِ تَلِيدُهُ؛ وَكَانَ بِمَا يُسْنَدُ إِلَيْهِ قِيَمًا، وَفِي مَقَرِّ
 الْكِفَايَةِ ثَاوِيًا مُحِيْمًا. وَأَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ بِضَبْطِ حِلِّي الرِّجَالِ وَشِيَابِ الْخِيُولِ، وَأَنْ يَقْصِدَ
 فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ تَجْدِيدِ الْعَرَضِ مَا يَشْهَدُ بِالْإِحْتِيَاطِ السَّابِقِ الْأَهْدَابِ وَالذُّيُولِ؛ فَإِذَا
 وَضَعَ وَجْهَهُ الْإِطْلَاقَ، وَسَلِمَ مَالُ الْإِسْتِحْقَاقِ؛ كَانَتْ التَّفَرُّقَةُ عَلَى قَدَرِ الْمَنَازِلِ فِي التَّقْدِيمِ
 وَالتَّأْخِيرِ، وَبِحَسَبِ الْحَرَائِدِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الصَّغِيرِ مِنْ ذَلِكَ وَالْكَبِيرِ؛ وَمَتَى طَرَقَ
 أَحَدُهُمْ مَا هُوَ مُحْتَوَمٌ عَلَى خَلْقِهِ، أَعَادَ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ مِنْ رِزْقِهِ بِقَدَرِ قِسْطِهِ وَحَقِّهِ.
 وَأَنْ يُلْزِمَهُمْ إِحْضَارَ جِيَادِ الْخِيُولِ وَخِيَارِ الشَّكَّكَ، وَيَأْخُذَهُمْ مِنْ ذَلِكَ بِأَوْضَعِ مَا نَهَجَ
 الْمَرْءُ الطَّرِيقَ فِيهِ وَسَلَّكَ؛ فَإِنْ أَخْلَى أَحَدُهُمْ بِمَا يُلْزِمُهُ الْبُرُوزُ فِيهِ يَوْمَ الْعَرَضِ،
 أَوْ قَصَرَ فِي الْقِيَامِ بِالْوَاجِبِ عَلَيْهِ الْفَرَضُ؛ حَاسِبَهُ بِذَلِكَ مِنَ الثَّابِتِ بِاسْمِهِ، وَالْمُطْلَقِ

بَرَّسَهُ؛ تَنبِيْهًا لَهُ عَلَى تَلَا فِي الْفَارِطِ، وَتَبْصِيرًا لِّغَيْرِهِ فِي الْبُعْدِ عَنْ مَقَامِ الْخَطِيءِ الْغَالِطِ؛ إِذْ كَانَ فِي قُوَّتِهِمْ وَكَمَالِ عُدَّتِهِمْ إِرْهَابٌ لِلْأَعْدَاءِ وَالْأَضْدَادِ، وَإِرْهَافٌ لِلْبَصَائِرِ فِيمَا يُؤَدِّي إِلَى الْمَصَالِحِ الْوَاقِيَةِ الْأَعْدَادِ وَالْإِمْدَادِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾.

وَأَمْرُهُ بِاخْتِيَارِ عُمَلِ الْخَرَاجِ، وَالضَّيَاعِ، وَالْأَعْشَارِ، وَالْجَهْبَذَةِ، وَالصَّدَقَاتِ، وَالْجَوَالِي؛ وَأَنْ يَكُونُوا مُحْتَظِنِينَ مِنَ الْأَمَانَةِ وَالْكِفَايَةِ بِمَا يَقَعُ الْإِشْتِرَاكُ فِي عِلْمِهِ، وَمَتَّقِمِينَ مِنْ مَلَابِسِ الْعِفَّةِ وَالذَّرَايَةِ مَا تُحْدِثُ الْعَوَاقِبُ فِي ضِمْنِهِ، وَمُمْتَازِينَ بِمَا يُغْنِيهِمْ عَنِ الْأَفْكَارِ بِنَتَائِجِ الْإِتِّعَازِ وَالْإِعْتِبَارِ؛ وَيُغْرِیْهِمْ بِالِاسْتِمْرَارِ عَلَى السَّنَنِ الْمُنْجِي لَهُمْ مِنْ مَوَاقِفِ التَّنْصُلِ وَالْإِعْتِدَارِ. وَأَنْ يَأْمُرَ عُمَلِ الْخَرَاجِ بِجَيَاةِ الْأُمُوالِ، عَلَى أَجْمَلِ الْوُجُوهِ وَالْأَحْوَالِ؛ سَالِكِينَ فِي ذَلِكَ جَدًّا وَسَطًا، يَجْتَنِي مِنْ مَقَامٍ مِنْ ضَعْفٍ فِي الْإِسْتِخْرَاجِ أَوْ سَطًا. وَ[أَنْ يَتَقَدَّمَ] إِلَى النَّاطِرِينَ فِي الضَّيَاعِ بِتَوْفِيَةِ الْعِمَارَةِ حَقَّهَا وَالزَّرَاعَةِ حَدَّهَا، وَالتَّوْفِيرِ مِنْ حِفْظِ الْغَلَّاتِ الْحَاصِلَةِ عَلَى مَا يُقْتَنَى فِيهِ أَرْشَدَ الْمَذَاهِبِ وَأَسَدَّهَا؛ مَتَحَرِّزِينَ مِنْ أَمْرِ يُنْسَبُونَ فِيهِ إِلَى الْعَجْزِ وَالْحِيَانَةِ، فَكُلٌّ مِنَ الْحَالِينَ مُجْتَزٍ فِي وُضُوحِ أَدْلَةِ الْفَسَادِ وَمُخْزٍ. وَإِلَى الْجَهَابَةِ بِقَصْدِ الصَّحَّةِ فِي الْقَبْضِ وَالتَّقْيِيزِ، وَحِفْظِ النَّقْدِ مِنَ التَّدْلِيسِ وَالتَّلْيِيسِ؛ أَدَاءً لِلْأَمَانَةِ فِي ذَلِكَ، وَاهْتِدَاءً فِيهِ إِلَى أَقْوَمِ الْمَسَالِكِ. وَإِلَى سُعَاةِ الصَّدَقَاتِ بِأَخْذِ الْفَرَائِضِ مِنْ مَوَاشِي الْمُسْلِمِينَ السَّائِمَةِ دُونَ الْعَامِلَةِ، وَالْجَرْمَى فِي ذَلِكَ عَلَى السَّنَةِ الْكَاسِبَةِ لِلْحَمْدَةِ الْوَاقِيَةِ الْكَامِلَةِ؛ مَتَجَنِّبِينَ مِنْ أَخْذِ خَلِّ الْإِبِلِ وَأَكُولَةِ الرَّاعِي، وَعَقَائِلِ الْأُمُوالِ الْمُحْظُورَةِ عَلَى سَائِرِ الْأَسْبَابِ وَالذَّوَاعِي؛ فَإِذَا اسْتُوفِيَتْ عَلَى الْمَحْدُودِ مِنْ حَقِّهَا، أُخْرِجَتْ فِي الْمَنْصُوصِ عَلَيْهِ مِنْ وَجُوهِهَا وَسُبُلِهَا. وَإِلَى جُبَاةِ جَمَاحِ أَهْلِ الذِّمَّةِ بِأَخْذِ الْحِزْبِ مِنْهُمْ فِي كُلِّ سَنَةٍ، عَلَى قَدْرِ ذَاتِ أَيْدِيهِمْ فِي الضَّيْقِ وَالسَّعَةِ، وَبِحَسَبِ الْعَادَةِ الْمَأْلُوفَةِ الْمُتَّبَعَةِ؛ بِمَتْنَعِينَ مِنْ

مُطَالِبَةُ النِّسْوَانِ، وَمَنْ لَمْ يَبْلُغِ الْحُلُمَ مِنَ الرِّجَالِ وَمَنْ عَلَتْ سِنُهُ عَنِ الْاِكْتِسَابِ وَتَبَتَّلَ مِنَ الرُّهْبَانِ، وَمَنْ غَدَا فَقْرُهُ وَاحْضَحَ الدَّلِيلُ وَالْبُرْهَانُ؛ وَفَاءً بِالْعَهْدِ الْمُسْتَوْلِ، وَتَلَقَّيَا لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْقَبُولِ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ .

وأمره أن يَرُدَّ أَمْرَ الْمَظَالِمِ وَأَسْوَاقِ الرِّقِيقِ وَدُورِ الصَّرْبِ وَالطَّرْزِ وَالْحِسْبَةِ إِلَى مَنْ عَصَدَ بِالظَّالْفِ الْوَرَعِ، وَانْتَزَمَ لَهُ شَمْلُ الْهَدْيِ وَاجْتَمَعَ: فَكَانَ ذَا مَعْرِفَةٍ بِمَا يَحْرُمُ وَيَحِلُّ، وَبَصِيرَةٍ يَتَفَيَّأُ بِهَا مِنْ عَوَارِضِ الشُّبْهِ وَيَسْتَظِلُّ؛ وَأَنْ يَكُونَ النَّظَرُ فِي ذَلِكَ مُضَاهِيًا لِحُكْمِ مَلَائِمًا، وَلَنْ يَقُومَ بِهِ إِلَّا مَنْ لَا يَرَى عَاذِلًا لَهُ فِي فَعْلِهِ لَائِمًا. وَأَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَى مَنْ يَلِي الْمَظَالِمَ بِتَسْهِيلِ الْإِذْنِ لِلْخُصُومِ فِي الدُّخُولِ عَلَيْهِ، وَتَمْكِينِ كُلِّ مِنْهُمْ مِنْ اسْتِيفَاءِ الْحُجَّةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالتَّوَصُّلِ إِلَى فَضْلِ مَا يَنْبَغُ بِحَسَبِ مَا يَقُودُ لِقَى إِلَيْهِ؛ وَأَنْ يَقْصِدَ فِيمَا وَقَعَ الْخُلْفُ مَعَهُمْ فِيهِ، الْكَشْفَ الَّذِي يَقُومُ بِهِ وَيَسْتَوْفِيهِ؛ فَإِنْ وَضَحَ لَهُ الْحَقُّ أَنْفَذَهُ وَقَطَعَ بِهِ، وَإِلَّا رَدَّهُمْ إِلَى مَجَالِسِ الْقَضَاءِ لِإِمضاءِ ذَلِكَ عَلَى مُقْتَضَى الشَّرْعِ وَمُوجِبِهِ. وَإِلَى الْمَرْتَبَيْنِ فِي أَسْوَاقِ الرِّقِيقِ بِالتَّحْقِظِ فِيمَا يُتَبَاعُ وَيُبَاعُ، وَأَنْ يَسْتَعْمَلَ فِي ذَلِكَ الْاِقْتِفَاءَ لِلْسَّنَنِ الْجَمِيلِ وَالْاِتِّبَاعَ: لِيَوْمَنِ اخْتِلَاطِ الْحُرِّ بِالْعَبْدِ، وَتُحْرَسَ الْأَنْسَابُ مِنَ الْقَدَحِ وَالْفُرُوجِ مِنَ الْغَضَبِ؛ فِي ضَمْنِ حِفْظِ الْأَمْوَالِ، وَالْمَنْعِ مِنْ مَزْجِ الْحَرَامِ بِالْحَلَالِ. وَإِلَى وِلَاةِ الْعِيَارِ بِتَصْفِيَةِ عَيْنِ الدَّرْهِمِ وَالْدِينَارِ مِنَ الْغِشِّ وَالْإِذْغَالِ؛ وَصَوْنِ السَّكَّكَ مِنْ تَدَاوُلِ الْأَيْدِي الْغَرِيْبَةِ لَهَا بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ؛ مُتَحَدِّثِينَ مِنَ الْاِغْتِرَابِ بِمَا رُبَّمَا وَضَحَ الْفَسَادُ فِيهِ عِنْدَ الْاِعْتِبَارِ، وَمَا نَعِينَ الثُّجَارَ الْمُخْصُوصِينَ بِالْإِيرَادِ، مِنْ كُلِّ قَوْلٍ مُخَالِفٍ لِلْإِيشَارِ فِي الصَّحَّةِ وَالْمُرَادِ؛ وَمُعْتَمِدِينَ إِجْرَاءَ الْأَمْرِ فِيمَا يُطْبَعُ عَلَى الْقَانُونِ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ، مِنْ غَيْرِ خِلَافٍ لِمُسْتَقَرِّ الْقَاعَةِ فِي ذَلِكَ وَمُتَّسِقِ النِّظَامِ؛ وَأَنْ يَثْبَتَ ذِكْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلِيِّ عَهْدِهِ فِي الْمُسْلِمِينَ؛

(١) فِي السَّانِ "فَاءُ الْفَاءِ" فَيَا تَحْوِلُ وَتَفَيَّأُ فِيهِ تَقْطُلُ .

على ما يُضرب من الصّنفين معا ، والمُسارعة في ذلك إلى أفضل ما بادَرَ إليه المرء وسعى . وإلى المُستخدّمين في الطُّرُز بملاحظة أحوال المَناسِج والإشراف عليها ، وأخذ الصُّنَّاع بالتجويد على العادة التي يجبُ الإِتِّهَاءُ إليها ؛ وإثبات اسم أمير المؤمنين على ما يُنسَج من الكُسا والفُروش والأعلام والبُود ، جَرِيًّا في ذلك على السَّنِ المرَضِيّ والمنهاج المحمود . وإلى من يُراعى الحُسبة الشريفة بالكشف عن أحوال العوام في الأسواق ، والإِتِّهَاء في ذلك إلى ما يَنْتَهِي به شَمْلُ الصَّلاح إلى الإِنْتَظام والاتِّساق ؛ وأن يتقدّم [اليهم] بما يجبُ من تعبير ما يختصُّ بهم من المكائيل والموازين ، وحملها على قَانُونِ الصَّحَّة الواضحة الدلائل والبراهين ؛ وأن يقصد تبصيرهم مواضع الحِظِّ في الإِسْتِقَامَة ، ويحذّرهم مواقع الإِنْتِقَام الذي لا تُفِيد فيه أسبابُ الاسْتِصْفَاح والإِسْتِقَالَة ؛ فإن عَرَفَ من أحد منهم إقداما على إدغال فيما يَزِن أو يَكِيل ، قُوِيل من التَّأديب بما هو الطريقُ إلى آرْتِدَاعِهِ والسَّيْل ، قال الله تعالى : ﴿ وَبَلِّغْ لِلنَّاسِ مَنَاسِقَهُنَّ ﴾ .

وأمره أن يَعْرِفَ قَدْرَ النعمة التي ضَفَّتْ عليه بِرُودِهَا ، وحلَّتْ جِيدَهُ عَقُودُهَا ؛ وَزُفَّتْ منه إلى أَوْفَى أَكْفَائِهَا ، وَحُقَّتْ بِجَزِيلِ القِسَم من جميع أَكْنَفِهَا وَأَرْجَائِهَا ؛ وأن يُقَابِلَهَا بِإِخْلَاصٍ في الطاعة يساوي فيه بين ما يُسَيِّدُ وَيُسِرُّ ، وسَعَى في الخدمة يُوفِي على كلِّ مُجَازٍ وَمِزْرٍ ؛ وَيَبْدَأُ أَمَامَ ما تَوَخَّاهُ بِأَخْذِ البيعة لِأَمِيرِ المؤمنين وولىَّ عَهْدِهِ على نَفْسِهِ وولَدِهِ ، وكَافَّةِ الأَجْنَادِ والرَّعَايَا في بَلَدِهِ ؛ عن نِيَّةٍ صَفَتْ من الكَدَرِ والقَدَى ، وَوَفَّتْ للتوفيق بما صَمِنَتْ من خِذْلَانِ البَغْيِ ونُصْرَةِ الهُدَى ؛ وَيُتَّبِعَ ذَلِكَ بِالْحَقُوقِ في كلِّ خِدْمَةٍ تُرَضَى ، والوُفُوفِ عند الأوامر الإِمَامِيَّة في كلِّ ما يُؤدَّى إلى الوَاقِ وَيُقْضَى ؛ وأن يَحْمِلَ إلى حَضْرَةِ أمير المؤمنين من النِّيءِ والغنائم ما أَوْجَبَهُ

الله تعالى وفرضه ، من غير تأخير لما يجب تقديمه من ذلك ولا تقصير منه فيما يقتضى التلافي والاستدراك : ليأمر أمير المؤمنين بصرفه في سبيله المشار إليها ، ووجوه المنصوص عليها ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ .

ثم إن أمير المؤمنين آثر أن يضاعف له من الإحسان ، ما يقتضيه مقامه لديه من وجيه الرتبة والمكان ، وشرفه بما يرقل من حلاه في حلل الجلال ، وتكفل له علاه ببلوغ منتهى الآمال ؛ وبوأه بما أولاه محلاً تقصر عن الوصول إليه الأقدام ، وتمعز عن حل عراه الأيام ؛ ولقبه بكذا ، وأذنب له في تكديته عن حضرتة ، وتأهيله من ذلك لما يتجاوز قدر أمنيته ؛ إنافة به على من هو في مساجلته من الأقران طالع ، وإضافة للنعمة في ذلك إلى ما أقرن بها فيما هو لشمل الفخر عنده جامع ؛ وأتخذ لواء يلوى به إلى الطاعة أي الأعناق ، ويحوى به من العز ما أنواره وافية الإشراق .

فتلق يافلاب هذه الصنيعة الغراء ، والمنحة التي أكسبت زنادك الإبراء ؛ بالإستبشار التام ، والاعتراف فيها بسايغ الطول والإنعام ؛ وأشع ذكر ذلك عند كل أحد ، وأنته في الإبانة عنه إلى أبعد أمد ؛ واعتمد مكاتبة حضرة أمير المؤمنين متمسماً ، ومن عداه متلقباً متكئاً ؛ وتوفر على شكر تستدر به صوب المزيد ، وتستحق به الحاق الطريف من الإحسان بالتليد ، والله تعالى يقول : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك ، والجمعة لك وعليك ؛ قد أوضح لك [فيه] الصواب ، وأدل به الجوامح الصعاب ؛ وحباك منه بموهبة كفيفة بخيري البدء والمعاد ، وفيه فيها

المُنَى بِسَابِقِ الضَّمَانِ وَالْمِيعَادِ ؛ وَصَمَّنَهُ مِنْ مَوَاعِظِهِ مَا هَدَى بِهِ إِلَى كُلِّ مَا الْحَنَى ثَمَرُهُ ،
وَعَدَا مَحْظِيًّا بِمَا تَرَوُّقُ أَوْضَاحُهُ فِي الْمَجْدِ وَغُرَرُهُ ؛ وَلَمْ يَأْكُلْ فِيهِ تَجْمَلًا يُكْسِبُكَ الْفَخْرُ
النَّامِي ، وَيَجْعَلُ ذِكْرَكَ زِينَةَ الْحَفْلِ وَالنَّادِي ؛ وَتَقْدِيمًا يُنْبِي عَمَّا خُصِّصَتْ بِهِ مِنْ
الْمِنْحِ الْمُشْرِقَةِ اللَّالِي ، وَإِكْرَامًا يُبْقِي صَبْتَهُ عَلَى تَقْضَى الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي ؛ وَتَبْصِيرًا يُبْقِي
مِنْ فَلَاتَاتِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَيَرْتَقِي الْمُسْتَضَىءُ بِأَنْوَارِهِ إِلَى دُرَى الْأَمْنِ مِنْ دَوَاعِي
الْعِتَارِ وَالزَّلَلِ ؛ فَأَصْبَحَ إِلَى مَا حَوَاهُ ، إِصْغَاءً الْفَائِزَ بِأَوْفَى الْحِظِّ ، وَتَدَبُّرًا لِحَوَاهِ ، النَّاطِقَ
بِقَضْلِ الْحَثِّ عَلَى الْهَدْيِ وَالْحَضِّ ؛ وَكُنْ لِأَوَامِرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيهِ مُحْتَذِيًا ، وَمِنْ
تَجَاوُزِ مَحْدُودِهِ فِي مَطَاوِيهِ مُحْتَمِيًا ؛ وَبِمَوَاعِظِهِ الصَّادِقَةِ مَعْتَبِرًا ، وَفِي الْعَمَلِ بِمَا قَارَنَ
الْحَقَّ مُسْتَبْصِرًا ، تَفَرُّزًا بِالْغَنَمِ الْأَكْبَرِ ، وَبِالْسَّلَامَةِ فِي الْمَوْرِدِ وَالْمَصْدَرِ ؛ وَإِيَّاكَ وَأَعْتَادَ
مَا تُدْمُ فِيهِ مَكَاسِبُكَ ، فَإِنَّ لَكَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى مَوْقِفًا يَنَاقِشُكَ فِيهِ وَيَحَاسِبُكَ .
وَأَعْلَمُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ قَلَّدَكَ جَسِيمًا ، وَخَوَّلَكَ جَزِيلًا عَظِيمًا ؛ فَلَا تَنْسَ نَصِيحَكَ
مِنْ اللَّهِ تَعَالَى غَدًا ، وَلَا تَجْعَلْ لِسُلْطَانِ الْهَوَى الْمُضِلَّ عَلَيْكَ يَدًا ؛ وَإِنْ خَفِيَ عَلَيْكَ
الصَّوَابُ فِي بَعْضِ مَا أَنْتَ بِصَنْدِهِ ، أَوْ اعْتَرَضَ فِيهِ مِنَ الشُّبْهِ مَا يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ
طَرِيقِ الرِّشَادِ وَجَدِّهِ ؛ فَطَالِعْ حَضْرَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ ، وَاسْتَنْجِدِ اللَّهَ فِي ذَلِكَ
بِأَسَدِّ رَأْيٍ وَأَضْوَبِهِ ؛ يُبَيِّنُكَ مِنَ الشَّكِّ يَقِينًا ، وَيُؤَيِّدُكَ مَا يَغْدُو لِكُلِّ خَيْرٍ صَمِينًا ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الطريقة الثانية

(طريقةُ محقِّقِ المتأخِّرينَ ممَّنْ جرى على هذا المذهب : كالشيخ شهاب الدين

محمود الحلبي ، والمقرّر الشهابي بن فضل الله ، ومَنْ والاهم)

وهي أن يأتي في أثناء العهد بخطبة أو تحميدٍ على عادة المكاتبات ، وأن يذكر بعد صدر العهد حميداً أو صاف المعهود إليه ، ويُنَبَّ فيها ويُنَيَّ عليه بما يليق بمقامه . قال في " التعريف " : على نحو ما تقدّم في عهود الخلفاء عن الخلفاء . قال في " التنقيف " : وصورته أن يُكتب :

« هذا ما عهد به عبدُ الله ووليه أميرُ المؤمنين المتوكِّل على الله (مثلاً) أبو فلان فلان بن فلان ، إلى السيّد الأجلِّ الملكِ العالمِ العادل المؤيّد المظفّر المنصور المجاهد » ويذكر اللقب هنا ، مثل الناصر أو الكامل أو غيره « فلان الدنيا والدين ، فلان ، ابن السلطان السعيد الشهيد الملك الفلاني خلّد الله تعالى ملكه .

أما بعد ، فإنَّ أمير المؤمنين يحمّدُ إليك الله الذي لا إلهَ إلا هو ، ويصلّي على ابن عمّه سيدنا محمّدٍ صلى الله عليه وسلم » ويكل الخطبة بما أمكنه . ثم يقال : « عهد إليه وقلّده جميع ما هو مُقلّده من مصالح الأئمة وصالح الخلق ، بعد أن استخار الله تعالى في ذلك ، ومكث مدة يتدبّر هذا الأمرَ ويروى فكره فيه وخطره ، ويستشير أهل الرأي والنظر ، فلم يرَ أوفق منه لأُمور الأئمة ومصالح الدنيا والدين » . ومن هذا وشبهه . ثم يقال : « وإن المعهود له قبل ذلك منه » ويأتي فيه بما يليق من محاسن العبارة وأجناس الكلام .

قلت : وقد يُؤتى بعد « أما بعد » بخطبة ، مثل أن يقال : « أما بعد فالحمد لله » ونحو ذلك ، ويكل الخطبة بما يليق بالمقام . ثم قد يقتصر على تحميدة واحدة ،

وقد يكره إلى ثلاث ، وإن شاء بلغ به سبعا . فقد قال في "التعريف" في الكلام على عهود الملوك للوك : إنه كُتب أكثر التحميد ، كان أدل على عظم النعمة . وقد يقال في آخره : « والاعتماد على الخط الفلاني (بقلب الخلافة) أعلاه حجة بمقتضاه أو « والخط الفلاني أعلاه حجة فيه » ونحو ذلك .

وعلى هذه الطريقة كتب الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي عهد الملك العادل « كتبغا » عن الخليفة الإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد ، ابن الإمام الذي استحضره الملك الظاهر بيبرس من بغداد وبايعه ، وهذه نسخته :

هذا عهد شريف في كتاب مرقوم يشهده المقربون ، ويفوضه آل رسول الله صلى الله عليه وسلم الأئمة الأقربون . من عبد الله ووليه الإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد أمير المؤمنين ، وسليل الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين ، رضوان الله عليهم أجمعين ، إلى السلطان الملك العادل زين الدنيا والدين « كتبغا المنصوري » أعز الله سلطانه .

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين يحد إليك الله الذي جعل له منك سلطانا نصيرا ، وأقام له بملكك على ما ولّاه من أمور خلقه عضدا وظهيرا ، وأتاك بما نهضت به من طاعته نِعْمًا ومُلْكًا كبيرا ، وخوّلك بإقامة ما وراء سريره من مصالح الإسلام بكلّ أرض منبرًا وسريرا ، وجاء بك لإعانتته على ما استخلفه الله فيه من أمور عباده على قدر وكان ربك قديرا ، وجمع بك الأئمة بعد أن كاد يزيغ قلوب فريق منهم ،

(١) لم يذكر نسبه في الأصل . وفي ابن أبياس هو أحمد بن علي بن أبي بكر بن الخليفة المسترشد ابن الخليفة المستظهر ابن الخليفة المتقي ابن محمد الذخيرة العباسي . وكذلك هو في خطط المقرئ إلا أنه قال أحمد بن أبي علي الحسن بن الخ . وأقام في الخلافة نيفا وأربعين سنة وتوفي سنة إحدى وسبعمائة وهو أول خلفاء بني العباس بمصر . وبمراجعة تاريخ كتبغا ولا يجب أن يكون في نسبه وبالضرورة يكون هو العادل في نفسه .

وَعَضْدُكَ لِإِقَامَةِ إِمَامَتِهِ بِأَوْلِيَاءِ دَوْلَتِكَ الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ؛ وَخَصَّكَ بِأَنْصَارِ دِينِهِ الَّذِينَ نَهَضُوا بِمَا أَمَرُوا بِهِ مِنْ طَاعَتِكَ وَهُمْ نَازَهُونَ ، وَأَظْهَرَكَ عَلَى الَّذِينَ أَبْتَغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ؛ وَأَصْطَفَاكَ لِإِقَامَةِ الدِّينِ وَقَدْ اخْتَلَفَتِ الْأَهْوَاءُ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ ، وَلَمْ يَكْ شَعَثَ الْأُمَّةَ بَعْدَ الْإِضْطِرَابِ فَكَانَ مَوْقِفُكَ ثُمَّ مَوْقِفَ الصَّدِيقِ يَوْمَ الرَّدَّةِ .

وَيَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، شَهَادَةً حَاسِمَةً بِأَمْرِهِ ، مُسْتَنْزِلَةً لَكَ بِالْإِخْلَاصِ مَلَائِكَةً تَأْيِيدُهُ وَأَعْوَانُ نَصْرِهِ ؛ مُسْتَرْهِفَةً بِهَا سَيْفَ عَزَمِكَ عَلَى مَنْ جَاهَرَ بِشِرْكِهِ وَحَارَبَهُ بِكُفْرِهِ ، مُعْتَصِمَةً بِتَوْفِيقِهِ فِي تَقْوِيضِهِ إِلَيْكَ أَمْرَ سِرِّهِ الَّذِي أَسْتَوْدَعَهُ فِي الْأُمَّةِ وَجْهَهُ ؛ وَيُصَلِّيَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ الَّذِي أَسْتَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنْ عُصْرِهِ وَذَوِيهِ ، وَشَرَّفَ بِهِ قَدْرَ جَدِّهِ بِقَوْلِهِ فِيهِ : « عَمَّ الرَّجُلُ صَنُؤُاَيْهِ » وَأَسْرَأَ إِلَيْهِ بِأَنَّ هَذَا الْأَمْرَ قُتِحَ بِهِ وَيُحْتَمُّ بَيْنَيْهِ ؛ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِهِ ، الَّذِينَ قَضَوْا بِالْحَقِّ وَبِهِ كَانُوا يَعْدِلُونَ ، وَجَاهَدُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ الَّذِينَ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ سِرِّ النَّبَوَةِ ، وَأَسْتَوْدَعَهُ مِنْ أَحْكَامِ الْإِمَامَةِ الْمُورُوثَةِ عَنْ شَرَفِ الْأَبَوَةِ ؛ وَأَخْتَصَّه مِنَ الطَّاعَةِ الْمَفْرُوضَةِ عَلَى الْأُتَمِّ ، وَقَرَضَ عَلَيْهِ مِنَ النَّظَرِ فِي الْأَخْصَصِ مِنْ مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ وَالْأُتَمِّ ؛ وَعَصَمَ آرَاءَهُ بِبِرْكَةِ آبَائِهِ مِنْ الْخَلَلِ ، وَجَعَلَ سَهْمَ أَجْتِهَادِهِ هُوَ الْمُصِيبَ أَبَدًا فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ؛ وَكَانَ السَّلَاطَانَ فَلَانَهُ الَّذِي جَمَعَ اللَّهُ بِهِ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ وَقَدْ كَادَتْ ، وَثَبَّتْ بِهِ الْأَرْضَ وَقَدْ أَضْطَرَبَتْ بِالْأَهْوَاءِ وَمَادَتْ ؛ وَرَفَعَ بِهِ مَنَارَ الدِّينِ بَعْدَ أَنْ شَمَخَ الْكُفْرُ بِأَنْفِهِ ، وَأَلْفَ بِهِ شَمْلَ الْمُسْلِمِينَ وَقَدْ طَمَحَ الْعُدُوُّ إِلَى أَفْتِرَاقِهِ وَطَمَعَ فِي خُلْفِهِ ، وَحَفِظَ بِهِ فِي الْجِهَادِ حُكْمَ

الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ وحى به المالك الإسلامية فما شام الكفر منها برق تغر إلا رعى من وباله بوابل ، ولا أطلق عنان طرفه إلى الأطراف إلا وقع من سطوات جنوده في كفة حایل ؛ ولا أطمأنوا في بلادهم إلا أتتهم سراياه من حيث لم يرتقبوا ، ولا ظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله إلا وآتهم بجنوده من حيث لم يحتسبوا ؛ وألف جيوش الإسلام فأصبحت على الأعداء يمينه يداً واحده ، وقام بأمر الأمة فأمنت عيون الرعايا باستيقاظ سيوفه في مهاد الأمن راقده ؛ وأقام منار الشريعة المطهرة فهي حاكمة له وعليه ، نافذ أمرها على أمره فيما وضع الله مقاليد في يديه ؛ ونصره الله في مواطن كثيرة ، وأعانه على من أضمر له الشقاق والصلاة وإنها لكيرة ؛ وأظهره بمن غي عليه في يومه بعد حلمه عنه في أمسه ، وأيده على الذين خانوا عهده ويذ الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ؛ وتعين للملك الإسلام فلم يك يصلح إلا له ، واختاره الله لذلك فبلغ به الدين أماله ؛ وضعع بملكه عمود الشرك وأمالة ، وأعاد بسلطانه على الممالك بهجتاً وعلى الملك رونقه وجلاله ؛ وأخدمه النصر فأضمر له أحد سوءاً إلا وزلزل أقدامه وعجل وباله ، وردته إليه وقد جعل من الرغب قيوده ومن الذعر أغلاله ، وأوطأ جواده هام أعدائه وإن أنف أن تكون نعاله .

عهد إليه حينئذ مولانا الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين في كل ماوراء خلافته المقدسه ، وجميع ما اقتضته أحكام إمامته التي هي على التقوى مؤسسه : من إقامة شعار الملك الذي جمع الله الإسلام عليه ، وظهور أبهة السلطنة التي ألقى الله وأمر المؤمنين مقاليدها إليه ؛ ومن الحكم الخاص والعام ، في سائر ممالك الإسلام ، وفي كل ما تقتضيه أحكام شريعة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ؛ وفي خزانة الأموال وإنفاقها ، وملك الرقاب وإعتاقها ، وأعتقال الجناة وإطلاقها ؛ وفي كل

ماهو في يَدِ الْمِلَّةِ الإسلامية أَوْ يَفْتَحُهُ اللهُ بِيَدِهِ عَلَيْهَا ، وفي جميع ما هو من ضَوَالِّ
 الممالك الإسلامية التي سَرَّجَعُها اللهُ بِجَهَادِهِ إِلَيْهَا ؛ وفي تقليد الملوك والوزراء ، وتَقْدِمة
 الجيوش وتأمير الأمراء ؛ وفي الأمصار يُقَرَّبُ بها مَنْ شاء من الجنود ، ويَعِثُ إليها
 ومنها ماشاء من البُعوث والحشود ؛ ويَحْكُمُ في أمْرِها بِمَا أَمَرَ اللهُ مِنَ الذَّبِّ عن
 حَرَمِها ، ويتَحَكَّمُ بِالْعَدْلِ الذي رَسَمَ اللهُ بِهِ لظَاعِنِها ومُقِيمِها ؛ وفي تقديم حديثها
 وأَسْتِحْدَاثِ قَدِيمِها ، وتَشْيِيدِ ثُغُورِها ، وإمضاء ماعرفه اللهُ به وجَهْلَهُ سِوَاهُ مِنْ
 أُمُورِها ؛ وإقرارِ مَنْ شاءَ مِنْ حُكَّامِها ، وإمضاء ماشاء مِنْ إِتْقَانِ القَوَاعِدِ بِالْعَدْلِ
 وإِحْكَامِها ؛ وفي إقْطَاعِ خَوَاصِّها ، وإقْتِلَاعِ مَا اقْتَضَتْهُ المصلحةُ مِنْ عَمَائِرها وعِمَارَةِ
 ماشاء مِنْ قِلَاعِها ؛ وفي إقامة الجهاد بِنَفْسِهِ الشريفة وكَتَّابِهِ ، وإِقَاءِ الأعداءِ كَيْفَ شاءَ
 مِنْ [تَسْيِيرِ] سَرَايَاهُ وَبَعَثِ مَوَائِكِهِ ؛ وفي مُضَايِقَةِ العَدُوِّ وَحِصَارِهِ ، ومصابَرَتِهِ وإِنْظَارِهِ ،
 وَغَزْوِهِ كَيْفَ أَرَاهُ اللهُ فِي أَطْرَافِ بِلَادِهِ وفي عُقْرِ دارِهِ ؛ وفي الْمَنِّ وَالْفِدَاءِ والإِرْفاقِ ،
 وَضَرْبِ الْمُدَنِّ التي تَسَالَمَ العِدَا وَهِيَ خَاضِعَةٌ لِأَعْتَاقِ ؛ وأَخْذِ مُجَاوِرِي العَدُوِّ
 المَخْذُولِ بِمَا أَرَاهُ اللهُ مِنَ التَّكْلِيَةِ إِذَا أُمِكنَ مِنْ نَوَاصِيهِمْ ، وَحُكْمِ عَفْوِهِ فِي طَائِعِهِمْ
 وَبَأْسِهِ فِي عَاصِيهِمْ ، وإِزْلالِ الَّذِينَ ظَاهَرُواهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ .
 وفي الجيوش التي أَلِفَ الأعداءُ فَتَكَاتِ أُلُوفِها ، وَعَرَفُوا أَنَّ أَرْواحَهُمْ وَدَائِعُ سُيُوفِها ؛
 وَصَبَّحَتْهُمْ سَرَايَا رُعبِها المَبْثُوثَةُ إِلَيْهِمْ ، وَزَكَهَمَ خَوْفُها كَأَنَّهُمْ حُشْبُ مُسْنَدَةٍ يُحْسِبُونَ
 كُلَّ صَنِيعَةٍ عَلَيْهِمْ ؛ وَهَمَّ الَّذِينَ ضَاقتْ بِمَوَاكِبِهِمْ إِلَى العِدَا سَعَةُ الفَجَاجِ ، وَقَاسَمَتْ
 رِمَاحُهُمُ الأعداءُ شَرَقِيسَةً فَفَى أَيْدِيهِمْ كَعُوبُها وفي صُدُورِ أُولَئِكَ الزَّجَاجِ ، وَأَذْهَبَتْ
 عَنِ الثُّغُورِ الإسلامية رِجْسَ الكُفْرِ وَطَهَّرَتْ مِنْ ذَلِكَ مَا جَاوَرَ العَذْبَ الْفُرَاتِ
 وَالْمَلْحَ الْأَجَاجِ ؛ وَغَرِقُوا فِي الحُرُوبِ بِتَسَرُّعِ الإِقْدَامِ ، وَثَبَّتِ الأَقْدَامَ ، وَأَدْنَحَ اللهُ

لَأَيَّامِهِ الشَّرِيفَةِ أَنْ تَرُدَّهَا بِهِمْ دَارَ السَّلَامِ إِلَى مُلْكِ الْإِسْلَامِ : فُيَدَّرُ عَلَيْهِمْ مَا شَاءَ مِنْ
إِنْعَامِهِ الَّذِي يُؤَكِّدُ طَاعَتَهُمْ ، وَيَجِدُّدُ اسْتِطَاعَتَهُمْ ؛ وَيَضَاعِفُ أَعْدَادَهُمْ ، وَيَجْعَلُ
بَصَفَاءَ النَّيَّاتِ مَلَائِكَةَ اللَّهِ أَمْدَادَهُمْ ؛ وَيَجْعَلُهُمْ عَلَى الثَّبَاتِ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ كَفَرُوا
زَحْفًا ، وَيَجْعَلُهُمْ فِي التَّعَاوُضِ عَلَى اللَّقَاءِ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ
فِي سَبِيلِهِ صَفًّا . وَفِي أَمْرِ الشَّرْعِ وَتَوَلِيَةِ قُضَاتِهِ وَحُكْمِهِ ، وَإِمَاضِءِ مَاقَرَضِ اللَّهِ عَلَيْهِ
وَعَلَى الْأُمَّةِ مِنَ الْوُقُوفِ عِنْدَ حُدُودِهِ وَ^(١) مَعَ أَحْكَامِهِ ؛ فَإِنَّهُ لَوَاءُ اللَّهِ الْمَمْدُودُ
فِي أَرْضِهِ ، وَحُبُّهُ الْمَيِّتِ الَّذِي لَا تَقْضَى لِإِبْرَامِهِ وَلَا لِإِبْرَامَ لِنَفْسِهِ ، وَسَنَنُ نَبِيِّهِ الَّذِي
لَا حَظَّ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْإِسْلَامِ لِغَيْرِ مَتَمَسِّكِ بَسْتَتِهِ وَفَرْضِهِ ؛ وَهُوَ - أَعَزُّ اللَّهِ سُلْطَانَهُ -
سَيْفُ اللَّهِ الْمَشْهُورُ عَلَى الَّذِينَ غَدَوْا وَهُمْ مِنْ أَحْكَامِ اللَّهِ مَارْقُونَ ، وَيَدُهُ الْمَبْسُوطَةُ
فِي إِمَاضِءِ الْحُكْمِ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .
وَفِي مَصَالِحِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ وَتَالِئِهِمَا الَّذِي تُشَدُّ أَيْضًا إِلَيْهِ الرَّحَالُ . وَإِقَامَةِ سَبِيلِ
الْحَجَّاجِ الَّذِينَ يَفْعُدُونَ عَلَى اللَّهِ بِمَا مَنَحَهُمْ مِنْ بَرٍّ وَعِنَايَتِهِ فِي الْإِقَامَةِ وَالْإِرْتِحَالِ .
وَفِي عِمَارَةِ الْبُيُوتِ الَّتِي أَدْنَى اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ
وَالْآصَالِ رِجَالٌ ؛ وَفِي إِقَامَةِ الْخُطْبِ عَلَى الْمَنَابِرِ ، وَأَقْتِرَانِ اسْمِهِ الشَّرِيفِ مَعَ اسْمِهِ بَيْنَ
كُلِّ بَادٍ وَحَاضِرٍ ، وَالْإِقْتِصَارِ عَلَى هَذِهِ التَّنْيَةِ فِي أَفْطَارِ الْأَرْضِ فَإِنَّ الْقَائِلَ بِالتَّنْيَةِ
كَافِرٌ ؛ وَفِي سَائِرِ مَا تَشْمَلُهُ الْمَالِكُ الْإِسْلَامِيَّةُ وَمَنْ تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ شَرْقًا وَغَرْبًا ، وَبُعْدًا
وَقُرْبًا ؛ وَبَرًّا وَبَحْرًا ، وَشَامًا وَمِصْرًا ؛ وَحِجَازًا وَبَيْنَا ، وَمَنْ يَسْتَقِرُّ بِذَلِكَ إِقَامَةً وَطَعْنًا .
وَفَوْضَ إِلَيْهِ ذَلِكَ جَمِيعَهُ وَكُلُّ مَا هُوَ مِنْ لَوَازِمِ خِلَافَتِهِ لِلَّهِ فِي أَرْضِهِ ، مَا ذَكَرَ وَمَا لَمْ يَذْكَرْ

(١) التَّهَبُّ مِنْ مَعَانِيهِ الْغَارَةِ أَيْ تَرْدُ غَارَاتِهِمْ دَارَ الْخِ وَفِي الْأَصْلِ يَرُدُّهَا بِهِمْ . تَأَمَّلْ .

(٢) بِيَاضٍ بِالْأَصْلِ وَلَعَلَّهَا «وَالْمَشْيُ» مَعَ الْخِ .

(٣) فِي الْأَصْلِ أَوْضَحُهُمْ . تَأَمَّلْ .

تفويضاً لازماً ، وإمضاءً جازماً ، وعهداً مُحْكَمًا ، وعقدًا في مصالح مُلْك الإسلام مُحْكَمًا ، وتقليدًا مؤبداً ، وتقريراً على كثر الجديدين مُجَدِّداً ؛ وأثبت ذلك وهو الحاكم حقيقة بما علمه من آسِ حَقَاقِهِ والحاكمُ بِعِلْمِهِ ، وأشهد الله وملائكته على نُفُوزِ حُكْمِهِ بذلك : ﴿ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعْتَبَرَ لِحُكْمِهِ ﴾ . وذلك لِمَا صَحَّ عنده من نُهوضِ مُلْكِهِ بِأَعْيَانِ مَا حَمَلَهُ اللَّهُ مِنَ الْخِلَافَةِ ، وأدائه الأمانة عنه فيما كَتَبَ اللَّهُ عليه من الرحمة اللَّازِمَةِ والرافَةِ ، واستقلالِهِ بِأُمُورِ الْجِهَادِ الَّذِي أَقَامَ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ ، وأَخْصَصَ وَجُودَهُ بِعُمُومِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ الْأُمَّةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَصْرِمُهُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾ . وأنه في الْجِهَادِ سَهْمُ الْمُصِيبِ وَلَهُ بِهِ أَجْرُ الرَّامِي الْمُسَدَّدِ ، وسيُفَى الَّذِي بَرَّاهُ عَلَى أَعْدَاءِ الدِّينِ وَلَهُ مِنْ فَتَكَاتِهِ حَظٌّ الْمُرْهَفِ الْمَجْرَدِ ؛ وَظِلُّ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ الَّذِي مَدَّهُ يَمِينُ يَمِينِهِ ، وآيَةُ نُصْرِهِ الَّذِي آخْتَارَهُ اللَّهُ لِمَصَالِحِ دُنْيَاهُ وَصَلَاحِ دِينِهِ ؛ النَّاهِضُ بِفَرْضِ الْجِهَادِ وَهُوَ فِي مُسْتَقَرِّ خِلَافَتِهِ وَإِدْعِ ، وَالرَّاكِضُ عَنْهُ بِخَيْلِهِ وَخِيَالِهِ إِلَى الْعَدُوِّ الَّذِي لَيْسَ لِفَتَكَاتِ سُيُوفِهِ رَادِعٌ ؛ وَالْمُؤَدِّي عَنْهُ فَرْضَ النَّفِيرِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كُلَّمَا تَعَيَّنَ ، وَالْمُنْتَقِمُ لَهُ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاقِ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ وَالْقَائِمُ بِأَمْرِ الْقُتُوجِ الَّتِي تَرُدُّ بَيْعَ الْكُفْرِ مَسَاجِدَ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ وَأَسْمُهُ ، وَيُرْفَعُ عَلَى مَنَابِرِهَا شِعَارُهُ الشَّرِيفُ وَرَسْمُهُ ؛ وَتُمَثَّلُ لَهُ بِإِقَامَةِ دَعْوَتِهِ صُورَةُ الْفَتْحِ كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا ، وَالنَّاظِرُ عَنْهُ فِي عُمُومِ مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ وَخُصُوصِهَا تَعْظِيماً لِقُدْرِهِ ، وَتَرْفِيهاً لِسِرِّهِ ، وَتَفْخِيماً لَشَرَفِهِ ، وَتَكْرِيماً لَجَلَالَةِ بَيْتِهِ النَّبَوِيِّ وَسَلَفِهِ ؛ وَقِيَاماً لَهُ بِمَا عَهِدَ إِلَيْهِ ، وَوَفَاءً مِنْ أُمُورِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا بِمَا وَضَعَ مَقَالِيدَهُ فِي يَدَيْهِ .

وَلِيُذِلَّ عَلَى عِظَمِ سِيرَتِهِ الْمُقَدَّسَةِ بِكَرَمِ سِرِّهِ ، وَيُنَبِّهَ عَلَى كَمَالِ سَعَادَتِهِ إِذْ قَدْ كُنْفَى بِهِ فِي أُمُورِ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى وَالسَّعِيدُ مِنْ كُنْفَى بَغْيِهِ ، لَمْ يَجْعَلْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى يَدَيْهِ يَأْ

في ذلك ، ولا فَسَحَ لأحد غيره في أقطار الأرض أن يُدعى بِمَلِكٍ ولا مالِك ، بل بَسَطَ حُكْمَهُ ونَحَكَه في شَرْقِ الأرض وغَرْبِها وما بينَ ذلك ؛ وقد فرض طاعته على سائر الأمم ، وحَكَمَ بوجوبها على الخاص والعام ومن ينقض حُكْمَ الحاكم إذا حَكَمَ ؛ وهو يعلم أن الله تعالى قد أودع مولانا السلطان سِرًّا يُستضاءُ بأنواره ، ويهتدى في مصالح الملوك والممالك بمتاراه ، فجعل له أن يفعل في ذلك كل ما هدى الله قلبه إليه ، وبعثه بالتأييد الإلهي عليه ؛ وأكفنى عن الوصايا بأن الله تعالى تكفل له بالتأييد ، وخصه من كل خير بالمزيد ؛ وجعل خُلُقَه التقوى وكل خير فرغ عليها ، ونور بصيرته بالهدى فما يدل على حسنة من أمور الدنيا والآخرة إلا وهو السابق إليها ؛ والله تعالى يجعل أيامه مؤرخة بالفتوح ، ويؤيده بالملائكة والروح ، على من يدعى الأب والابن والروح ؛ ويجعل أسباب النصر معقودة بسببه ، والملك كلمة باقية في عقبه .

ويشهد بهذا العهد الشريف مع من شهده من الملائكة المقربين ، كل من حضر تلاوته من سائر الناس أجمعين : لتكون حجة الله على خلقه أسبق ، وعهد أمير المؤمنين بثبوتة أوثق ؛ وطاعة سلطان الأرض قد زادها الله على خلقه بذلك توكيدا ، وشهد [الله] وملائكته على الخلق بذلك وكفى بالله شهيدا . والاعتماد على الخط الحاكم أعلاه حجة به ، إن شاء الله تعالى .



وعلى نحو ذلك كتب الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي عهد الملك المنصور « حسام الدين لاجين » عن الخليفة الحاكم بأمر الله بن أبي الربيع سليمان المتقدم ذكره . وهذه نسخته :

(١) الذي في التواريخ أن الحاكم بأمر الله الذي بايع له الظاهر بيبرس طالت مدته الى أيام حسام الدين لاجين وأما الحاكم بأمر الله بن أبي الربيع فهو ابن ابنه تأمل .

هذا عهدٌ شريفٌ تشهدُ به الأملاكُ لِأشرفِ الملوكِ ، وتسلكُ فيه من قواعدِ العهودِ المقدسةِ أحسنَ السُّلوكِ ؛ من عبد الله وولَّيه الإمامَ الحاكمَ بأمرِ الله أميرِ المؤمنين ، للسلطانِ الملكِ المنصورِ حُسامِ الدنيا والدين ؛ أبى الفتحِ لاجينِ المنصورى ، أعزَّ الله سلطانه .

أما بعدُ ، فالحمدُ لله مُؤتَى الملكِ من يَسَاءُ من عِبَادِهِ ، ومُعْطَى النَصْرِ من يُجَاهِدُ فيه حقَّ جهاده ؛ ومُرْهِفِ حُسامِ انتقامِهِ على مَنْ جاهرَ بِعِنادِهِ ، ومَفْوِّضِ أمرِ هذا الخلقِ إلى مَنْ أودَعَهُ سِرِّ رَأْفَتِهِ في محبَّتِهِ ومُرَادَ نِقْمَتِهِ في مُرَادِهِ ؛ وجامِعِ كلمةِ الإيمانِ بِمَنْ آجَبَتْهُ لِإِقَامَةِ دِينِهِ وَأَرْضِيَاهُ لِرُفْعِ عِمَادِهِ ، ومُقْتِرِ الحقِّ في يَدِ مَنْ منعَ سَيْفَهُ المَجْتَدِ في سَبِيلِ اللَّهِ أَنْ يَقَرَّ في أَعْمَادِهِ ؛ وَنَاصِرِ مَنْ لم تَزَلْ كلمةُ الفُتُوحِ مُسْتَكِنَةً في صُدُورِ سيوفِهِ جاريةً على أَلْسِنَةِ صِعَادِهِ ، وجَاعِلِ مُلْكِ الإسلامِ من حُقُوقِ مَنْ إِذَا عُدَّ أَهْلُ الأَرْضِ على أَجْمَاعِهِمْ كانَ هو المَتَعِينَ على أَنْفِرَادِهِ ؛ الَّذِي شَرَّفَ أَسْرَةَ مُلْكِ الإسلامِ بِاسْتِيلَاءِ حُسامِ دِينِهِ عَلَيْهَا ، وَزَلَّزَلَ مَمَالِكَ أَعْدَائِهِ بِمَا بَعَثَ مِنْ سَرَايَا رُعِيهِ إِلَيْهَا ؛ وَثَبَّتَ بِهِ أَرْكَانَ الأَرْضِ الَّتِي سَتَحْتَوِي مُلْكَهُ فِي طَرْفِهَا ، وَضَعَعَ بِسُلْطَانِهِ قَوَاعِدَ مُلُوكِ الكُفْرِ فَوَدَّعَتْ مَا كَانَ مُودَعًا لِأَيَّامِهِ مِنْ مَمَالِكِ الإسلامِ فِي يَدَيْهَا ؛ وَأَقَامَهُ وَلِيَّهُ بِأَمْرِهِ فَلَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْهِ آثَنَانِ مِنْ خَلْقِهِ ، وَقَلَّدَهُ أَمْرَ بَرِيَّتِهِ لِمَا أَفْدَرَهُ عَلَيْهِ مِنَ التُّهُوسِ بِحَقِّهِمْ وَحَقِّهِ ؛ وَأَظْهَرَهُ عَلَى مَنْ نَصَبَ لَهُ الْغَوَائِلَ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ، وَنَصَرَهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ لِمَا قَدَّرَهُ فِي الْقِدَمِ مِنْ رِفْعَةِ شَأْنِهِ وَاعْتِلَاءِ قَدْرِهِ ؛ وَجَعَلَ عَدُوَّهُ وَإِنْ أَعْرَضَ عَنْ طَلْبِهِ بِجُيُوشِ الرُّعْبِ مُحْصُورًا ، وَكَفَاهُ بِنَصْرِهِ عَلَى الْأَعْدَاءِ التَّوَعُّلَ فِي سَفْكِ الدِّمَاءِ فَلَمْ يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ؛ وَنَقَلَ إِلَيْهِ الْمُلْكَ بِسَيْفِهِ وَالدِّمَاءَ مَصُونَهُ ، وَحَكَّمَهُ فِيمَا كَانَ بَيْدَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَرْضِ وَالْبِلَادِ آمِنَةً وَالْفِتَنَ مَأْمُونَةً ؛ فَكَانَ أَمْرُ مَنْ ذَهَبَ سَحَابَةً صَيْفٌ ، أَوْ جَلَسَ ضَيْفٌ ؛ لَمْ تَحُلْ لَهُ رَوْعَةٌ فِي الْقُلُوبِ ،

ولم يُدْعِرْها - وقد ألبسه الله ما نزع عن سواه - سالب ولا مسلوب، إجراء لهذه الأمة على عوائد فضله العيم، واختصاصا بما آتاه من ملكه ﴿والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسعٌ عليم﴾ .

يحمده أمير المؤمنين على ما منح في أيامه الدين من اعتضاده بحسامه، والاعتماد في ملك المسلمين على من يجعل جباه ملوك الشرك تحت أقدامه، والاعتداد بمساعي من حصونه في الجهاد ظهور جياده وقصوره أطراف حسامه .

ويشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة حاكم بما أراه، حامد له في ملك الإسلام على تيسر ما وطّده ورفع ما عراه، معتمص به في كل ما أثبت به الحق من قواعد الدين في جهاد أعداء الدين عن سيرة في ذلك وسراه؛ وأن محمدا عبده ورسوله الذي جعله من عصيته الشريفة وعصيته، وشرفه بوراثته خلافة في أمته [ورفع] قدر رتبته، وقصره على إقامة من يرهب العدا بنشر دعوته في الآفاق مع مواقع رغبته؛ ويسأله أن يصلي عليه صلاة تفتح له في الدنيا إلى العظمة طريقا، وتجعله في الأخرى معه ومع الذين أنعم الله عليهم من آباءه الشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا؛ وسلم تسليما كثيرا .

وإن أمير المؤمنين لما اختصه الله به من البر المودع في قلبه، والنور الذي أصبح فيه على بينة من ربه؛ والتأييد المتقل إليه عمن شرف بقربه، والنص الذي أسره رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جده العباس من بقاء هذا الأمر في ورثته دون أقاربه وصحبه؛ لم يزل يرغب إلى الله سبحانه ويستخير في إقامة من ينهض في ملك الإسلام حق النهوض، ويفوض إليه الأمانة^(٢) إلى من يرى أداء الأمانة فيهم من

(١) أى جعل الله الخليفة من عصبة النبي الخ فتنه .

(٢) لعله ممن يرى . تأمل

أَكَّدَ الْفُرُوضَ ؛ وَمَنْ إِذَا قَالَ النَّفِيرُ يَا خَيْلَ اللَّهِ أَرَكِي سَابِقَتْ خَيْلَهُ خَيْالَهُ ، وَجَازَتْ عِزَّتُهُ نِصَالَهُ ؛ وَأَخَذَ عَدُوَّ الدِّينِ مِنْ مَأْمَنِهِ ، وَغَالَبَ سَيْفُهُ الْأَجَلَ عَلَى اتِّزَاعِ رُوحِهِ مِنْ بَدَنِهِ ؛ وَقَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ، وَجَاهَدَ لِإِقَامَةِ مَنَارِ الْإِسْلَامِ لَا لِلتَّعَرُّضِ إِلَى عَرَضِ الدُّنْيَا ؛ وَقَدِّمَتْ لَهُ مَلُوكُ الدُّنْيَا حُصُونَهَا ، وَبَذَلَتْ لَهُ مَعَ الطَّاعَةِ مَصُونَهَا ؛ وَأَقِيمَ لَهُ بِكُلِّ قُطْرٍ مَنَبَرٌ وَسَرِيرٌ ، وَجَمَعَ مَلُوكَ الْعِدَا فِي رِقِّ طَاعَتِهِ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ؛ وَمَنْ يُقِيمِ الْعَدَلَ عَلَى مَا شَرَعَ ، وَالشَّرْعَ عَلَى مَا أَخَذَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسُمِّعَ ؛ وَيُمِيتِ الْبِدْعَ بِإِحْيَاءِ السُّنَنِ ، وَيَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ لَخَلْقِهِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَنَنًا وَلَا يَعْدِلُ بِهِمْ عَنْ ذَلِكَ السُّنَنِ .

وَمَا كَانَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ حُسَامُ الدُّنْيَا وَالَّذِينَ أَبُو الْفَتْحِ « لَاحِنِ الْمَنْصُورِي » - خَلَّدَ اللَّهُ سُلْطَانَهُ - هُوَ الَّذِي جَعَلَ [اللَّهُ] صَالِحَ الْأُمَّةِ عَلَى يَدَيْهِ ، وَأَخْتَارَهُ لِإِقَامَةِ دِينِهِ فَسَاقَ مُلْكُ الْإِسْلَامِ عَنُودًا إِلَيْهِ ؛ وَأَنْهَضَهُ بِذَلِكَ وَقَدْ أَمَدَّهُ بِجُنُودِ نَصْرِهِ ، وَأَنْزَلَ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَجَمَعَ قُلُوبَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ عَلَى حُبِّهِ ؛ وَفَرَّقَ أَعْدَاءَ الدِّينِ خَوْفُ حَرْبِهِ ، وَجَعَلَ النَّصْرَ حَيْثُ تَوَجَّهَ مِنْ أَشْيَاخِهِ وَحَرْبِهِ ؛ وَعَصَّدَهُ لِنَصْرَةِ الْإِسْلَامِ بِمَلَائِكَةِ سَمَائِهِ ، وَأَقَامَ بِهِ عُمُودَ الدِّينِ الَّذِي بِالسَّيْفِ قَامَ وَلَا غُرُورَ فَإِنَّ الْحُسَامَ مِنْ أَسْمَائِهِ ؛ وَأَقْبَلَتْ إِلَيْهِ طَوَائِفُ جُيُوشِ الْإِسْلَامِ مُدْعِينَ ، وَأَدَّى فِي كِرَامَتِهِمْ حُقُوقَ طَاعَةِ اللَّهِ الَّذِي أَيْدَهُ بَنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ، وَتَلَقَّاهُمْ بِشِيرِ كِرَامَتِهِ وَنِعْمِهِ وَقَالَ : ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ ؛ فَطَارَتْ مُخَلَّقَاتُ الْبِشَائِرِ بِمُلْكِهِ فِي الْإِفَاقِ ، وَأَغْصَصَ الْعِدَا سُلْطَانَهُ فَمَا تَوَهَّمُوا فِي أَمْرِ الْإِسْلَامِ الْأَخْتِلَافَ حَتَّى تَحَقَّقُوا بِحَمْدِ اللَّهِ وَبَيْنَ أَيَّامِهِ الْوِفَاقَ ؛ وَأَخْتَالَتِ الْمَنَابِرُ الْإِسْلَامِيَّةُ بِذِكْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَذِكْرِهِ ، وَأَعْلَنَتِ الْأُمَّةُ الْمَحْمَدِيَّةُ بِحَمْدِ اللَّهِ الَّذِي أَقْرَبَهُ الْحَقُّ فِي مَرَكِّهِ وَرَدَّهُ بِهِ شَارِدَ

المُلك إلى وَكْرِهِ ، وَتَحَقَّقَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ الْمَكُونُ فِي طَوِيلَتِهِ وَالْمُسْتَكْنُ فِي صَدْرِهِ ؛
وَالْقَائِمُ فِي عِمَارَةِ بَيْتِهِ النَّبَوِيِّ وَسَلَامَتِهِ مَقَامَ سَلَامَانِهِ وَعِمَارِهِ ، فَعَهَّدَ إِلَيْهِ حَيْثُذُ فِي كُلِّ
مَا تَقْتَضِيهِ أَحْكَامُ إِمَامَتِهِ فِي أُمَّةٍ نَبِيَّيْهِ ، وَجَعَلَهُ فِي التَّصَرُّفِ الْمَطْلُوقِ عَنْهُ قَائِمًا مَقَامَ
وَصِيِّهِ فِي الْمَلَّةِ وَوَلِيِّهِ ؛ وَقَلَّدَهُ أَمْرَ مُلْكِ الْإِسْلَامِ تَقْلِيدًا عَامًّا ، وَفَوَّضَ إِلَيْهِ حُكْمَ
السُّلْطَانَةِ الشَّرِيفَةِ تَفْوِضًا تَامًّا ؛ وَأَلْبَسَهُ مِنْ ذَلِكَ مَا خَلَعَهُ عَنْ سِوَاهُ ، وَنَشَرَ عَلَيْهِ
لِوَاءَ الْمُلْكِ الَّذِي زَوَى ظِلَّهُ عَنْ غَيْرِهِ وَطَوَاهُ ؛ وَحَكَّمَهُ فِي كُلِّ مَا تَقْتَضِيهِ خِلَافَتُهُ
الْمُقَدَّسَةِ ، وَتُمْنِيَةِ إِمَامَتِهِ الَّتِي هِيَ عَلَى التَّقْوَى مُؤَسَّسَةٌ : مِنْ إِقَامَةِ مَنَارِ الْإِسْلَامِ ،
وَالْحُكْمِ الْعَامِّ فِي أُمَّةٍ مَجْدٌ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ؛ وَفِي تَقْلِيدِ الْمُلُوكِ وَالْوُزَرَاءِ ،
وَتَقْدِيمَةِ الْجِيُوشِ وَتَأْمِيرِ الْأُمَرَاءِ ؛ وَفِي تَجْهِيْزِ الْعَسَاكِرِ وَالسَّرَايَا ، وَإِرْسَالِ الطَّلَائِعِ
وَالرَّيَايَا ، وَتَجْرِيدِ الْجُنُودِ الَّذِينَ مَا نَدَبَهُمْ إِلَى الْأَعْدَاءِ إِلَّا آيُوبًا بِالنَّهَابِ وَبِالسَّبَايَا ؛
وَفِي غَزْوِ الْعَدُوِّ كَيْفَ أَرَاهُ اللَّهُ إِنْ شَاءَ بِنَفْسِهِ أَوْ جُنْدِهِ ، وَفِي آسْرِ سَالِ النَّصْرِ بِالثَّبَاتِ
وَالصَّبْرِ فَإِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الصَّابِرِينَ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِهِ ؛ وَفِي مُحَاصِرَةِ الْعَدُوِّ وَمُصَابَرَتِهِ ،
وِإِنْظَارِهِ وَمُنَاطَرَتِهِ ، وَإِتْرَالِهِمْ عَلَى مَا شَرَعَ اللَّهُ فِيهِمْ مِنَ الْأَحْكَامِ ، وَالتَّوَنُّحِ فِي ذَلِكَ
مَا حَكَّمَهُ بِهِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فِي زَمَنِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ؛ وَفِي ضَرْبِ
الْهَدَنِ وَإِمْضَائِهَا ، وَالْوَفَاءِ بِالْعُقُودِ الْمَشْرُوعَةِ إِلَى آتِهَاءِ مُدَّهَا وَأَقِصَائِهَا ، وَفِي إِرْضَاءِ
السُّيُوفِ مِنْ نَكْتٍ وَلَمْ يَتِمَّ عَهْدُهُ إِلَى مُدَّتِهِ فَإِنَّ إِسْخَاطَ الْكُفْرِ فِي إِرْضَائِهَا ؛ وَفِي الْأُمْصَارِ
يُقَرِّبُهَا مَنْ شَاءَ مِنَ الْجُنُودِ ، وَيَبْعَثُ إِلَيْهَا مَنْ شَاءَ مِنَ الْبُعُوثِ وَالْحَشُودِ ؛ وَفِي سِدَادِ
الْغُورِ بِالرِّجَالِ الَّذِينَ تَقْتَرِبُهُمْ عَنْ شَنْبِ النَّصْرِ ، وَتَأْمَنُ بِهِمْ أَعْدَادُهَا مِنْ غَوَائِلِ
الْحَضَرِ ، وَتَوْفِيرِ سِهَامِهَا مِنْ سِهَامِ الْقُوَّةِ الَّتِي تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ ؛ وَإِمْدَادِ بَحْرِهَا
بِالشَّوَانِي الْمَجْرُوبَةِ الْمَجْدُدَةِ ، وَالسُّفُنِ الَّتِي كَانَتْهَا الْقُصُورُ الْمَهْمَدَةُ عَلَى الصُّرُوحِ الْمُرْدَةِ ؛
فَلَا تَزَالُ تَدْبُ إِلَىهِمْ مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْجُلِ عَقَارِيهَا ، وَتَخْطِفُ غِرَابَهُمُ الطَّائِرَةُ بِأَجْنِحَةِ

الْقُلُوعِ مَخَالِبَهَا ، وَفِي تَقْدِيمَةِ وَتَنْفِيزِ السَّرَايَا الَّتِي لَا تَزَالُ أُسْتَنْهَى إِلَى نُحُورِ الْأَعْدَاءِ مُقَوِّمَهُ ، وَإِنْفَاقِ مَا يَرَاهُ فِي مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ مِنَ الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَلِيلِ الْمُسَوِّمَةِ ، وَفِي إِعْلَاءِ مَنَارِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ وَالْإِتْقَادِ إِلَيْهِ ، وَالْمَسَارَعَةِ إِلَى نَفُوذِ حُكْمِهِ فِيمَا لَهُ وَعَلَيْهِ ، وَتَقْوِيَةِ يَدِ حُكَّامِهِ عَلَى كُلِّ أَمِيرٍ وَمَأْمُورٍ أَقَرَّ الشَّرْعُ فِي يَدِهِ شَيْئًا أَوْ أَتَرَعَهُ مِنْ يَدَيْهِ ، وَتَفْوِيزِ الْحُكْمِ إِلَى كُلِّ مَنْ يَتَعَيَّنُ لَذَلِكَ مِنْ أُمَّةِ الْأُمَمِ ، وَإِقَامَةِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ عَلَى قَوَاعِيدِهِ الْأَرْبَعَةِ فَإِنْ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ حُجَّةً وَآخْتِلَفُوا رَحْمَهُ ، وَفِي مَصَالِحِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ وَثَالِثِهِمَا الَّذِي تُسَدُّ الرِّجَالُ أَيْضًا إِلَيْهِ ؛ وَفِي إِقَامَةِ سُبُلِ الْحَجَّاجِ الَّذِينَ دَعَاهُمُ اللَّهُ فَلَبَّوهُ وَاسْتَدْعَاهُمْ فَقَدِمُوا عَلَيْهِ ؛ وَفَوْضَ إِلَيْهِ كُلِّ مَا هُوَ مِنْ لَوَازِمِ خِلَافَتِهِ لِلَّهِ فِي أَرْضِهِ : مَا ذَكَرَ وَمَا لَمْ يُذَكَرْ ، تَفْوِيزًا لِأَزْمَا ، وَتَقْلِيدًا جَازِمًا ، وَعَقْدًا مُحْكَمًا ، وَعَهْدًا فِي مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ مُحْكَمًا ، وَآكْتَفَى عَنِ الْوَصَايَا بِمَا جُبِلَ عَلَيْهِ خُلُقُهُ الشَّرِيفُ مِنَ التَّقْوَى ، وَهَدَى نَفْسَهُ النَفِيسَةَ إِلَيْهِ مِنَ التَّمَسُّكِ بِالسَّنَدِ الْأَقْوَمِ وَالسَّبَبِ الْأَقْوَى ؛ فَمَا يُنَبِّهُ عَلَى حُسْنَةِ إِلَّا وَهُوَ أَسْبَقُ إِلَيْهَا ، وَلَا يُدَلُّ عَلَى خَلَّةٍ إِلَّا وَفِكْرُهُ الشَّرِيفُ أَسْرَعُ مِنْ فِكْرِ الدَّالِّ عَلَيْهَا ؛ وَقَدْ وَثِقَ بِبِرَاءَةِ الذِّمَّةِ مِنْ حَقِّ قَوْمٍ أَصْحَحُوا لِفَضْلِ مِثْلِهِ رَاجِينَ ، وَتَحَقَّقَ حُلُولُ النِّعْمَةِ عَلَى أُمَّةٍ أَمْسَوْا إِلَى « لَا حِينَ » لَا حِينَ ؛ وَقَدْ اسْتَخَارَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ كَثِيرًا ، وَجَلَّأَ إِلَى اللَّهِ فِي تَوْفِيقِهِ وَتَوْفِيقِهِ عَلَى الصَّوَابِ مِمَّا يَجِدُهُ فِي الْحُكْمِ بِذَلِكَ هَادِيًا وَنُصِيرًا ؛ وَسَارَعَ إِلَى التَّسْلِيمِ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا فَوَّضَ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِ عِبَادِهِ إِنَّهُ كَانَ بَعْبَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا . وَأَشْهَدَ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ وَمَنْ حَضَرَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى نَفْسِهِ بِمَا تَضَمَّنَهُ هَذَا الْعَهْدُ الْكَرِيمُ ، وَحَكَمَ عَلَى الْأُمَّةِ بِمَقْتَضَاهُ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ الْإِمَامِيُّ الْحَاكِمِيُّ أَعْلَاهُ ، حُجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وعلى قريب منه كتب القاضي شمس الدين إبراهيم بن القيسراني عهد
الملك الناصر «محمد بن قلاوون» عن الحاكم بأمر الله أحمد بن أبي الربيع سليمان .
وهذه نسخته :

هذا عهد يعمر بك للإسلام المعاهد ، وينصر منك الاعتزام فتغنى عن الموالى
والمعاضد ؛ ويُلقي إليك مقاليد الأمور : لتجتهد في مراضى الله وتجاهد ، ويعتك على
العمل بالكتاب والسنة : ليكونا شاهدين لك عند الله في أعظم المشاهد ؛ نفذ كتاب
أمير المؤمنين بقوة تبركا بأخذ يحيى عليه السلام للكتاب ، وحاسب نفسك محاسبة
تجد نفعها يوم يقوم الحساب ، وأعمل صالحا فالذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى
لهم وحسن ما ب .

من عبد الله ووليّه الإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد أمير المؤمنين :
إلى السلطان الأجل ، العالم ، العادل ، المجاهد ، الم رابط ، المظفر ، الملك ، الناصر ؛
ناصر الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، سيد الملوك والسلاطين ؛
فاتح الأمصار ، مبيد الأرمن والفرنج والتتار ؛ وارث الملك ، سلطان العرب والعجم
والترك ؛ خادم الحرمين ، صاحب القبلتين ؛ أبي الفتح محمد قسيم أمير المؤمنين
أعز الله سلطانه ، ولد السلطان الشهيد الملك المنصور سيف الدين قلاوون ، قدس
الله روحه .

أما بعد ، فالحمد لله الذى أقام ناصر الإسلام وأهله بخير ناصر ، وأحل فى السلطنة
المعظمة من استحقها بذاته الشريفة وشرف العنصر ؛ ووضع الإضراب من كثرت منه

وَمِنْ سَلَفِهِ الْكَرِيمِ عَلَى الرِّعَايَا الْأَوَاصِرِ ، وَعَقْدَ لَوَاءِ الْمُلْكِ لِمَنْ هُوَ وَاحِدٌ فِي الْجُودِ أَلْفٌ
 فِي الْوَعْدِ فَقِي حَالِيهِ تُعَقَّدُ عَلَيْهِ الْخَنَاصِرُ ؛ وَجَمَعَ كَلِمَةَ الْأُمَّةِ بِمُتَفَرِّدٍ فِي الْمَعَالَى مُتَوَحِّدٍ
 فِي الْمَفَاخِرِ ، مُتَّصِفٍ بِمَنَاقِبِ أَرْبَىٰ بِهَا عَلَىٰ أَرْبَابِهَا مِنَ الْمُلُوكِ الْأَوَائِلِ وَالْأَوَاخِرِ ، وَأَقْرَبُ
 النُّوَاطِرِ وَالْخَوَاطِرِ بِنِ اشْرَاقِ عَلَيْهِمَا نُورُهُ الْبَاهِرُ ، وَظَهَرَتْ آثَارُ وَجُودِهِ وَجُودِهِ
 عَلَى الْبَوَاطِنِ وَالظُّوَاهِرِ ؛ وَأَعَادَ شَيْبَةَ الْأَيَّامِ فِي اقْتِبَالِ سَرِّ السَّرَائِرِ ، وَسَارَتْ بِشَائِرِ
 مَقْدَمِهِ فِي الْآفَاقِ سَيْرَ الْمَثَلِ وَمَاظُنْكَ بِالْمَثَلِ السَّائِرِ ؛ وَفَعَلَتْ مَهَابَتُهُ فِي التَّمْهِيدِ وَالتَّشْيِيدِ
 فِعْلَ الْقَنَّا الْمُسْتَشَارِ ، وَشَفَّتِ الصُّدُورَ بِوُجُودِ الْإِتِّفَاقِ وَعَدَمِ الشَّقَاقِ بَعْدَ أَنْ بَلَغَتْ
 الْقُلُوبُ الْخَنَاجِرَ ؛ وَأَوْرَثَ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ صَفْوَةَ ذُرِّيَّةٍ وَرَثُوا السِّيَادَةَ كَارِبًا عَنْ كَارِبٍ ،
 وَسَرَىٰ سِرُّهُ إِذَا وَلَدَ الْمَوْلُودُ مِنْهُمْ تَهَلَّلَتْ لَهُ الْأَرْضُ وَاهْتَرَّتْ إِلَيْهِ الْمَنَابِرُ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْجَبَنِي سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَشْرَفِ بَيْتٍ وَقَبِيلِهِ ،
 وَمَنَعَ الْأُمَّةَ بَرَسَاتِهِ مِنْ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الْوَسِيلِهِ ، وَأَوْجَبَ الشَّفَاعَةَ لِمَنْ سَأَلَ
 اللَّهَ لَهُ أَعْلَىٰ دَرَجَةٍ لَا يَنَالُهَا إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ وَهِيَ الْوَسِيلَةُ ؛ وَجَعَلَ شَمْلَهُمْ بِمَابِعَتِهِ
 وَمَتَابَعَتِهِ فِي الْهَدَايَةِ نَظْمًا ، وَحَضَّ عَلَىٰ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا
 يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ
 عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ . وَبَلَّغَهُمْ بِهِ مِنَ السَّعَادَةِ غَايَةَ مَطْلُوبِهِمْ ، وَأَيَّدَهُ
 بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ؛ وَزَانَ شَرِيعَتَهُ الْمَطْهُرَةَ بِمَحَاسِنِ أَسْمَىٰ مَنْظَرًا
 وَخَبَّرَنَا مِنَ الْعُقُودِ ، وَفَرَضَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُؤْفُوا بِالْعُهُودِ وَالْعُقُودِ ؛ وَأَقْدَرَهُمْ عَلَىٰ
 حَمْلِ الْأَمَانَةِ الَّتِي أَشْفَقَتْ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ مِنْ حَمْلِهَا ، وَأَنْزَلَ فِي كِتَابِهِ
 الْعَزِيزِ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ .

والحمد لله الذى اختار أمير المؤمنين من سُلالة عمّ نبيّه العباس ، وأصطفى بيته المبارك من خير أُمَّة أُخْرِجَتْ للناس ؛ وقوى به جأش المسلمين وجيوش الموحدين على الملّحين ، وآتاه بسيادة جَدّه وسعادة جَدّه ما لم يؤت أحداً من العالمين ؛ وحفظ به للمؤمنين ذِمّاماً ، وجعله لتّقين إماماً ؛ وخصّه بمزيد الشرفين : نَسبه ومنصبه ، وجعل مزية الرتبين كلمةً باقيةً فى عقبه ؛ وصان به حوزة الدين صيانة العرين بالأسود ، وصير الأيدي البيض مشكورة لحاملي راياته السود .

يحمّده أمير المؤمنين حمداً من اختاره من السماء فاستخلفه فى الأرض ، وجعل إمرته على المؤمنين فرضاً لثِقَام به السُّنة والقرْض ؛ ويشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذى أسرى بعده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ؛ ويشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى كشف بمبعثه عن القلوب حُجُب النّفى ، وأشرقت أنوارُ نبوته فأضاء لها يوم دُخوله المدينة كلُّ شىء ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم من أقامه فى الإمامة مقامه وأشار إلى الاقتداء به من بعده ، ومنهم من أعزّ الله به الإسلام فى كلِّ قُطر مع قُربه وبُعده ؛ ومنهم من كانت اليد الشريفة النبوية فى بيعة الرضوان خيراً له من يده ، ومنهم من أمر الله تعالى بالمباهلة بالأبناء والنُفوس فباهل خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم به وبزوجه وولده ؛ وعلى بقية العشرة ، الذين غدت بهم دعوة الحقّ مشتهرة منتشرة ؛ وعلى عمّيه أسد الله وأسد رسوله عليه السلام ، وجدّ الأئمة المهديين أمراء المؤمنين وحُلفاء الإسلام ، وسلم تسليماً كثيراً .

وإنّ الله تعالى جعل سَيِّسَةَ الأيام الشريفة الإمامية الحاكمة أدام الله إشراقها ، وقسم بها بين الأولياء والأعداء آجالها وأزراقها ؛ ردّ الحقوق إلى نصابها ، وإعادتها

إلى مستحقّها ولو تَمَدَّتْ الأيامُ على اغْتِصَابِها ، وإفْرَارِها عِنْدَ مَنْ هُوَ دُونَ الْوَرَى
أُولَى بِهَا : لِيَحَقَّقَ أَنَّ نَسَبَهُ الشَّرِيفَ أَظْهَرَ عَلَى أَوَامِرِهِ دَلَائِلَ الْإِنْجَازِ ، وَحَلَّى كَلِمَاتِهَا
بِالْإِيْجَازِ وَهَيْبَتِهَا بِالْإِنْجَازِ ؛ وَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْإِسْمَ الشَّرِيفَ الْحَاكِمِيَّ فِي الْحُكْمِ بِأَمْرِهِ
عَلَى خَيْرِ مَسَمًى ، وَقَوَى مِنْهُ فِي تَأْيِيدِ كَلِمَةِ الْحَقِّ جَنَانًا وَعَزَمًا ، وَلَمْ يُخْرِجْ مِنْ
أَحْكَامِهِ عَنْ أَتْبَاعِ أَمْرِ اللَّهِ قُضِيَّةً وَلَا حُكْمًا ؛ وَكُنْتُ أَيُّهَا السَّيِّدُ ، الْعَالَمُ ، الْعَادِلُ ،
السُّلْطَانُ ، الْمَلِكُ ، النَّاصِرُ ؛ نَاصِرُ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ ، أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ ابْنُ السُّلْطَانِ الشَّهِيدِ
الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ ، سَيْفِ الدِّينِ قَلَاوُونَ - قُدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ - أُولَى الْأَوْلِيَاءِ بِالْمَلِكِ
الشَّرِيفِ : لِمَا لَسَلَفَكَ مِنَ الْحُقُوقِ ، وَمَا أَسْلَفُوهُ مِنْ فَضْلٍ لَا يَحْسُنُ لَهُ التَّنَاسِي
وَلَا الْعُقُوبُ ؛ وَلِمَا أَوْجَبَ لَكَ عَلَى الْعَسَاكِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ سَابِقُ الْإِيْمَانِ ، وَصَادِقُ
الْإِيْمَانِ : وَلَأَنَّكَ جَمَعْتَ فِي الْمَجْدِ بَيْنَ طَارِفٍ وَتَالِدٍ ، وَقُفَّتَ بَرْكَتُ نَفْسٍ وَأَخِجَ وَوَالِدُ
وَجَلَّالَهُ ، مَاوَرِثَتْهَا عَنْ كَلَالِهِ ؛ وَخِلَالَ ، مَا لَهَا بِالسِّيَادَةِ إِخْلَالَ ؛ وَمَفَاحِرُ ، تُكَائِرُ الْبَحْرَ
الزَّائِحَ ؛ وَمَآثِرُ ، أُعْجَزَ وَصْفُهَا النَّاطِمَ وَالنَّائِرَ ؛ وَكَانَ رِكَابُكَ الْعَالِيَّ قَدْ سَارَ إِلَى الْكَرْكِ
الْمَحْرُوسِ ، وَقَعَدَتْ عَنْكَ الْأَجْسَامُ وَسَافَرَتْ مَعَكَ النُّفُوسُ ؛ وَوَفَّقْتَ الْخَوَاطِرَ بِأَنَّكَ
إِلَى السُّلْطَنَةِ تَعُوْدُ ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَجِدُّ لَكَ صُعُودًا إِلَى مَرَاتِبِ السُّعُودِ ؛ وَأَقَمْتَ بِهَا
وَدِ كُرْكُ فِي الْآفَاقِ سَائِرَ ، وَالْأَمَالَ مَبَشِّرَةً بِأَنَّكَ إِلَى كُرْسِيِّ مَمْلَكَتِكَ صَائِرَ . فَلَمَّا أَحْتَاجَ
الْمَلِكُ الشَّرِيفُ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ إِلَى مَلِكٍ يُسَرِّسُ رِجْلَهُ ، وَسُلْطَانٍ تَعُدُّ بِاسْتِقْرَارِهِ عِيُونَُ
الْأَنَامِ وَالْأَيَّامِ قَرِيرَهُ : لِمَا لِلْمُسْلِمِينَ فِي ذَلِكَ مِنْ تَيْسِيرِ أَوْتَاطَرٍ وَتَعْمِيرِ أَوْطَانِ ،
وَلَأَنَّهُمْ لَا يَتَمَقَّدُونَ فِي الْمَصَالِحِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ؛ لَمْ يَدْرِ فِي الْأَذْهَانِ ، وَلَا خَطَرَ
لِقَاصِ وَلَا دَانَ ؛ إِلَّا أَنَّكَ أَحَقُّ النَّاسِ بِالسُّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ ، وَأَوَّلَاهُمْ بِرُتْبَتِهَا الْمُتَنِيفَةِ ؛
وَلَا ذَكَرَ أَحَدٌ إِلَّا حُقُوقَ بَيْتِكَ وَفَضْلَهَا ، وَلَا قَالَ عَنْكَ إِلَّا بِقَوْلِ اللَّهِ : ﴿ وَكَانُوا أَحَقُّ
بِهَا وَأَهْلُهَا ﴾ : لِأَنَّ الْبِلَادَ فُتُوْحَاتُ سِيُوفِكُمْ ، وَرَعَايَاهَا فِيمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْأَمْنِ وَالْخَيْرِ

بِمَنْزِلَةِ ضُيُوفِكُمْ ؛ وَلَئِنْ الْعَسَاكِرَ الْإِسْلَامِيَّةَ اسْتَرْقَّهَمْ وَلَاؤُكَ ، وَوَالُوكَ لَانْهَم أَرْقَاؤُكَ ؛
فَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ : أُنَى لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا ؟ بَلْ أَفْرَكُلُّ مِنْهُمْ لَكَ بِالْيَدِ وَقَرَّ بَوْلَايَتِكَ عَيْنَا ؛
وَأَخْلَصُوا فِي مَوَالِيكَ الْعَقَائِدَ ، وَاسْتَبَشَرُوا مِنْكَ بِمُبَارَكِ الْوَجْهِ مَاجِدٍ جَائِدٍ ؛ وَلَمْ يَغِبْ
غَائِبٌ خَلِيفَتُهُ جَيْشُ أَبِيهِ وَجَدَهُ الصَّاعِدَ ؛ وَرَفَعَتِ الْمَمَالِكُ يَدَ الضَّرَاعَةِ سَائِلَةً وَرَاغِبَةً ،
وَخَطَبَتِكَ لِعَقَائِلِهَا وَمَعَاقِلِهَا وَالْخُطْبَاءُ عَلَى الْمَنَابِرِ لَكَ خَاطِبَةٌ وَبِدَعَائِكَ مُحَاطِبَةٌ ؛
وَقَصَدْتَ لَذَلِكَ أَبْوَابَكَ الَّتِي لَا تَزَالُ تُقْصَدُ ، وَدُعِيتَ لِلْعُودِ الْمُبَارَكِ وَعُودُ مُحَمَّدٍ لِلْأُمَّةِ
الْمُحَمَّدِيَّةِ أَحْمَدُ ؛ وَفَعَلْتَ الْجِيُوشَ الْمَنْصُورَةَ مِنْ طَاعَتِكَ كُلِّ مَاسَرَةٍ ، وَأَرْبَتَ فِي صِدْقِ
النِّيَّاتِ وَرِيَّهَا عَلَى كُلِّ مَنْ بَرَّ :

وَلَوْ أَنَّ مُشْتَقًّا تَكَلَّفَ قَوْقَ مَا * فِي وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمِنْبَرُ !

فَمَا ضَرَّ بِحَمْدِ اللَّهِ بَعْدَ الدَّارِ وَالْأَمَالِ بِسَاكِنِهَا مُطِيفُهُ ، بَلْ كَانَ لَكَ الذِّكْرُ فِي قَلْبِ
الْخَلِيفَةِ نِعَمَ الْخَلِيفَةِ ؛ وَكُنْتَ لَدَيْهِ - وَإِنْ غِيبْتَ - حَاضِرًا بِجَمِيلِ الذِّكْرِ ، وَنَأَيْتَ دَارَا
فَقَرَّبَكَ إِلَيْهِ حُسْنَ التَّصْوِيرِ فِي الْفِكْرِ . وَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ شَاهَدَكَ يَافِعًا ، وَشَهِدَ
خَاطِرُهُ أَنْ سَتَصِيرُ لِلْمُسْلِمِينَ نَافِعًا ؛ وَتَأَمَّلَ مِنْكَ أَمَانًا أَضْحَى لَهَا لَتَرْقِيكَ آمِلًا ، وَهَلَا لَا
دَلَّتْهُ كِرَامَتُهُ - وَلَا تُتَكَرَّرُ الْكِرَامَةُ - عَلَى أَنْ سَيَكُونُ بِدْرًا كَامِلًا ؛ وَبَلَغَهُ عَنْكَ مِنَ الْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ ، مَا عَجَزَ وَصْفُهُ بِلَاغَتِي الْقَلَمِ وَاللِّسَانِ ؛ فَتَادَاكَ دِيَادَةً عَلَى بَعْدِ الْمَزَارِ ،
وَلَمْ يَجِدْ لَكَ نَظِيرًا فَأَطَالَ وَأَطَابَ لِمُقَدِّمِكَ السَّعِيدِ الْإِنْتِظَارَ ؛ إِلَى أَنْ أَقْدَمْتَ
إِقْدَامَ اللَّيْلِ ، وَقَدِمْتَ إِلَى الْبِلَادِ الْمُنْتَظَّشَةِ إِلَى نَظَرِكَ الشَّرِيفِ قُدُومَ الْغَيْثِ ؛
فَلَاحَ بِكَ عَلَى الْوُجُودِ دَلِيلُ الْفَلَاحِ ، وَحَمِدَ الرِّعَايَا سُرَّكَ عِنْدَ الصَّبَاحِ وَالْإِسْتِصْبَاحِ ؛
وَشَاهَدُوا مِنْكَ أَسَدًا فَاقَ بَوَثْيَاتِهِ وَثَبَاتِهِ الْأَوَّلَ ، وَشَخْصًا لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِإِدَالَةِ دَوْلٍ
وَلَا تَصْلُحُ إِلَّا لِمُشْلِهِ الدَّوْلَ ؛ وَقَامَتْ بِاخْتِيَارِكَ عَلَى اخْتِيَارِكَ الدَّلَائِلُ ، وَعَمَرَكَ

سريرُ الملوك وعرفَ فيك من أبيك شمائل ؛ ورأى أمير المؤمنين من نجاتك فوق
 ما أخبرت به مسألة الرُجَّان ، ومن مهابتك مادل على خفض الشاني ورفع الشان ؛
 ومن محامدك كل ما صغر الخبر عنها الخبر ، وأعلنت السنة الأقدار بأنه لم يبق
 عن تقليدك الممالك الإسلامية بحمد الله تعالى عذري فاختارك على علم على العالمين ،
 واجتباك للذب عن الإسلام والمسلمين ؛ واستخار الله تعالى في ذلك فخار ، وأفاض
 عليك من بيعته المباركة مع نورك المشتبه حلل الفخار ، وعهد إليك في كل ما آتت
 عليه دعوة إمامته المعظمة ، وأحكام خلافته التي لم تزل بها عقود الممالك في الطاعة
 منظمه ، وفوض إليك سلطنة الممالك الإسلامية برا وبحرا ، شاماً ومضراً ، قرباً
 وبُعداً ، غوراً ونجداً ؛ وما سيفتحه الله عليك من البلاد ، وتستغفده من أيدي
 ذوي الإلحاد ؛ وتقليد الملوك والوزراء ، وقضاة الحكم العزيز وتأمير الأمراء ؛ وتجهيز
 العساكر والبُعوث للجهاد في سبيل الله ومحاربة من ترى محاربة من الأعداء ،
 ومهادنة من ترى مهادنته منهم ؛ وجعل إليك في ذلك كله العقد والحل ، والإبرام
 والنقض والولاية والعزل ؛ وقلدك ذلك كله تقليدا يقوم في تسليم الممالك إليك مقام
 الإقليم ، ويقضى لقرييها وبعيدها بمشيئة الله تعالى بمزيد التمهيد والتشديد : لتعلم أن
 الله قد جعل الأيام الشريفة الحاكمة - أدامها الله تعالى - فلما أبدى سالفاً من
 البيت الشريف المنصوري أقماراً ، وأطلع منهم أنفاً بذكراً ملأ الخافقين أنواراً ؛ فكلما
 ظهرت لسلفه ما أثربدت ما أثر خلفه أظهر ، ومن شاهدتهم وشاهد شمس سعادتته
 المنزهة عن الأقول قال هذا أكبر ؛ وكلما ذكر لأحدهم فضل علم أنه في أيامه
 متردد ، وأنه إن مضى منهم سيّد في سيّله ، فقد قام بأطراف الأئمة منهم سيّد ؛
 وصير الدولة الشريفة الخليفة غائباً إن غاب منهم أسود ، خلفهم شبل بشرت
 محاييله أنه عليها يسود .

فَلْيَتَقَلَّدِ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرَ مَا قَلَّدَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلْيَكُنْ لِدَعْوَتِهِ الْهَادِيَّةُ مِنَ الْمُبَلِّغِينَ وَعَلَيْهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَلْيَتَرَقَّ إِلَى هَذِهِ الرُّتْبَةِ الَّتِي آسَتْحَقَّهَا بِحَسَبِهِ ، وَأَسْتَرْقَهَا بِنَسَبِهِ ؛ وَلْيَبَاشِرْهَا مُسْتَبَشِرًا ، وَيُظْهِرْ مِنْ شُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهَا مَا يَغْدُو بِهِ مُسْتَظْهِرًا ؛ فَقَدْ أَرَادَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِيَامَ فِي نُصْرَةِ الدِّينِ الْحَنِيفِ فَأَقَامَكَ أَنْتَ مَقَامَهُ ، وَصَرَّفَ بَكَ بَيْنَ أَهْلِ الطَّاعَةِ وَالْعِصْيَانِ إِكْرَامَهُ وَأَتَقَامَهُ ؛ رَعِيًّا لِعَهْدِ سُلْطَانِكَ الْكَرِيمِ ، وَلَمَّا آسَتْوَجَبَتْهُ نَفْسُكَ النَفِيسَةُ مِنْ وَفُورِ التَّعْظِيمِ وَالتَّكْرِيمِ ؛ وَعِنَايَةٍ بِالْعَسَاكِرِ الْمُؤَيَّدَةِ الَّذِينَ وَجَّهُوا وَجُوهَ مَا لَمْ إِلَيْكَ ، وَأَبَتْ كَلِمَتُهُمْ الَّتِي صَانَهَا اللَّهُ عَنِ التَّفَرُّقِ أَنْ تَجْتَمِعَ فِي الطَّاعَةِ وَالْخِدْمَةِ إِلَّا عَلَيْكَ وَلَدَيْكَ ؛ وَمِنَّةً عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ مَابَرِحُوا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى يَطْلُبُونَهُ ، وَمَلِكٍ نَشَّوْا بِأَبْوَابِهِ الْعَالِيَةِ فَلِهَذَا يُجِبُّهُمْ وَيُجِيبُونَهُ .

فَاخْتَارَ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِي جَعَلَ لَكَ فِي إِعَادَةِ الْمُلْكِ أَسْوَدَ بَسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَرَدَّهُ إِلَيْكَ رَدًّا لَا أَنْفِصَالَ لِعُرْوَتِهِ وَلَا أَنْفِصَامَ ؛ فَأَضْحَيْتَ لِأُمُورِ عِبَادِهِ سَدَادًا ، وَلِتَغْزُورِ بِلَادِهِ سَدَادًا ؛ وَلِلْخَلِيفَةِ عَضُدًا فِي الْخَلِيقَةِ ، وَفِي الدَّهْرِ سَامِي الْحَقِيقَةِ حَامِي الْحَقِيقَةِ ؛ وَلِلْمُلْكِ وَارِنًا ، وَرَقَّاقًا رُقِيًّا أَصْبَحَتْ بِهِ فِي السُّلْطَانَةِ وَاحِدًا وَلِلْخَلِيفَةِ الْمَعْظَمَةِ ثَانِيًا وَلِلْقَمَرِينَ ثَالِثًا .

وَبُشْرَاكَ ! أَنَّ اللَّهَ أَبْرَمَ سَبَبَ تَأْيِيدِكَ إِبْرَامًا لَا تَصِلُ الْإَيْدَى إِلَى نَقْضِهِ ، وَأَنَّكَ سَأَلْتَ عَنْ أَمْرِ طَالَمَا أَتَعَبَ غَيْرُكَ سُؤَالُهُ فِي بَعْضِهِ ؛ وَأَنَّ اللَّهَ يُحْسِنُ لَكَ الْعَوْنَ وَبِكَ الصَّوْنُ ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سُمْرَةَ ! لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وَكَلْتَ إِلَيْهَا ، وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا “ .

وبشراك ! أن أمير المؤمنين خَصَّكَ بمزيد الاعتناء ، وأقامك مُقَامَهُ في حُسْنِ
 الْعَنَاءِ ، وَحَقَّقَ أَنَّ السَّعَادَةَ في أيامه مَوْصُولَةٌ مِنْكُمْ بِالْأَبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ ؛ وَبَلَّغَكَ بِهَذَا
 التَّقْلِيدِ الشَّرِيفِ الْأُمَانِي ، وَتَوَجَّهَ بِيَمِينِ قَرِيبَةِ عَهْدِ بَاسْتِلَامِ الرُّكْنِ الْيَمَانِي ؛
 وَأَصْطَفَاكَ بَقَلْبٍ أَظْهَرَ لَهُ الْكُشُوفَ إِشْرَاقُ تِلْكَ السُّتُورِ ، وَغَدَا مَعْمُورًا بِالْهَدَايَةِ
 بِبِرْكَةِ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ، وَنَظَرٍ زَادَتْهُ مَشَاهِدَةُ الْحَرَمِ الشَّرِيفِ النَّبَوِيِّ نُورًا عَلَى نُورٍ ؛
 فَقَابِلَ ذَلِكَ بِالْقِيَامِ فِي مُهِمَّاتِ الْإِسْلَامِ ، وَتَدْقِيقِ النَّظَرِ فِي مَصَالِحِ الْخَاصِّ وَالْعَامِ ؛
 وَاجْتِهَدَ فِي صَيَانَةِ الْمَالِكِ اجْتِهَادًا يَحْرُسُ مِنْهَا الْأَوْسَاطُ وَالْأَطْرَافُ ، وَتَنْتَظِمُ بِهِ
 أَحْوَالُهَا أَجَلَ أَنْتَظَامٍ وَتَأْتِلُفُ أَجَلَ أَتِّلَافٍ .

وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَأَوَّلَاهَا تَقْوَى اللَّهِ : فَلْيَجْعَلْهَا حِلْيَةً لِأَوْقَاتِهِ ، وَيُحَافِظْ عَلَيْهَا
 مَحَافِظَةً مِنْ يَتَّقِيهِ حَقَّ تُقَاتِهِ ؛ وَيَتَّخِذْهَا نَجَى فِكْرِهِ وَأُنَيْسَ قَلْبِهِ ، وَيُعَظِّمُ حُرُمَاتِ اللَّهِ :
 ﴿ وَمَنْ يُعَظِّمِ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ .

وَالشَّرْعُ الشَّرِيفُ فَهُوَ لِعَقْدِ الْإِسْلَامِ نِظَامٌ ، وَلِلدِّينِ الْقِيَمِ قَوَامٌ ؛ فَتَجَنَّبْ
 فِي آقْتِنَاءِ سُنَنِهِ ، وَالْعَمَلِ بِمَقْرُوضِهِ وَسُنَنِهِ ، وَتَكْرِيمِ أَهْلِهِ وَقَضَائِهِ ، وَالتَّوَسُّلِ بِذَلِكَ
 إِلَى اللَّهِ فِي ابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ .

وَأَمْرَاءُ دَوْلَتِكَ فَهُمْ أَنْصَارُ سَلَفِكَ الصَّالِحِ ، وَذَوُو النَّصَاحِ فِيمَا آثَرُوهُ مِنَ الْمَصَالِحِ ؛
 وَخُلَصَاءُ طَاعَتِهِمْ فِي السَّرِّ وَالنَّجْوَى ، وَأَعْوَانُهُمْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ؛ وَهُمْ الَّذِينَ أَحَلَّهُمْ
 وَالِدُكَ مِنَ الْعِنَايَةِ الْحَلَّ الْأَسْنَى ، وَالَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ بِحُسْنِ الطَّاعَةِ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى ؛
 وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ إِلَّا حُسْنُ الْوَفَاءِ ، لَكَفَّاهُمْ عِنْدَكَ فِي مَزِيدِ الْإِعْتِمَادِ وَالِاسْتِكْفَاءِ ؛ فَإِنَّهُمْ
 جَادَلُوا فِي إِقَامَةِ دَوْلَتِكَ وَجَالَدُوا ، وَأَوْقَوْا بِالْعَهْدِ فَهُمْ الْمُؤَفُّونَ بَعْدَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا ؛
 وَهُمْ لِلْوَصَايَا بِخِدْمَتِكَ وَأَعُونَ ، وَفِيَا أَتَمَّتْهُمْ عَلَيْهِ لَأَمَانَاتُهُمْ وَعَهْدُهُمْ رَاعُونَ ؛ قَدْ أَصَفُوا

لك النيات بظهر الغيب ، وأخلصوا الطويات إخلاصا لاشك معه ولا ريب ؛
ونابوا عنك أحسن مناب ، وكفوا كف العدو فما طال له لافتراس ولا اختلاس
ظفر ولا ناب ؛ واتخذوا لهم بذلك عند الله وعندك يدا ، وأثلوا لهم به مجدا يبق
حديثه الحسن الصحيح عنهم مسندا .

فاستوص بهم وبسائر عساكر المنصورة خيرا ، وأجمل لهم سريرة وفيهم سيرا ؛
وأحمدهم عقيب هذه الخدمة ، وأوردهم منزل إحسان يضاعف لهم النعمة والنعمة :
لتؤكد طاعتك على كل إنسان ، ويتقوا بحسن المكافاة : و (هل جزاء الإحسان
إلا الإحسان) . ولتزداد أوامرك ونواهيك أمثالا ، ولا يجردوا عن محبة أيامك
الشريفة أنثالا ، وليقال في حسن خدمتهم وإحسانك : هكذا هكذا وإلا فلا .

وأما الغزو والجهاد في سبيل الله تعالى ، وما أوجبه فيهما قوله : (أنفروا خفافا
وثقالا) ، فأقل ما يجزئ فرض الكفاية منه مرة في كل عام ، وأما فرض العين
فوجوبه على ذوى الاستطاعة من المسلمين عام ، وقد عرفت سنن السلطانين
الشهيدتين : والدك وإخيك - قدس الله روحهما - في الإعتناء بجهاد الكفار ، وغزوهم
في عقر الدار ، وموقف أحدهما في موطن زلت فيه الأقدام عن الإقدام ، واجتمع
فيه الكفر على الإسلام ؛ وشاب من هؤلاء الوليد ، ومصابرته ثجاء سيف من سيوف
الله تعالى الإمام خالد بن الوليد ؛ واستنقاذ لآخر البلاد الساحلية التي ألقها الله
من أيدي المشركين على يد الصلاحين ، وفتح لها أبواب الجنة بركة الافتتاحين ؛
وأن والدك وأخاك سدا على المشركين الفجاج ، وطهرا من أرجاسهم العذب القرات
والملح الأجاج ؛ فالكاتب المنصوري ، أبادت التار بالسيوف المشرفة ، والممالك

الإسلامية، زَهَتْ نِظَامًا بِالْفُتُوحَاتِ الْأَشْرَفِيَّةِ؛ فَاجْتَهَدَ فِي إِعْلَاءِ كَلِمَةِ الدِّينِ أَتَمَّ
اجْتِهَادًا، وَعَزَّزَهُمَا بِثَلَاثٍ فِي الْغَزْوِ وَالْجِهَادِ .

وَأَمَّا الرَّعَايَا بِعِيْدِهِمْ وَقَرِيبِهِمْ ، وَمَسْتَوِطُنْهُمْ وَغَيْرِهِمْ ، فَيُؤَفِّقُهُم مِنَ الرَّعَايَةِ
حَظَّهُمْ ، وَيُجْزِلُ صِيَابَتَهُمْ وَحِفْظَهُمْ ؛ وَكَأَيُّ الْحَقِّ لَهُ فَلَيْلَ الْحَقِّ عَلَيْهِ ، وَيُحْسِنُ إِلَى
رَعَايَاهُ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ .

وَأَمَّا الْعَدْلُ فَإِنَّهُ لِلْبِلَادِ عِمَارَهُ ، وَلِلْسَّعَادَةِ أَمَارَهُ ، وَلَا آخِرَةَ مَنَاجَاةٍ مِنَ النَّفْسِ
الْأَمَّارَةِ ؛ فَلْيَكُنْ لَهُ شِعَارًا وَدِتَارًا ، وَلْيُؤَكِّدْ مَرَّاسِمَهُ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ
عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَالْحَافِظَةُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى مَا يُذَكِّرُ بِهِ عِنْدَ اللَّهِ وَيُشْكِرُ .

وَالْحُدُودُ الشَّرْعِيَّةُ فَلْيَحْلَلْ بِإِقَامَتِهَا لِسَانَهُ وَطِرْسَهُ ، وَلَا يَتَعَدَّهَا بِنَقْصٍ
وَلَا زِيَادَةٍ (وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) . وَاللَّهُ يَخْلُدُ لَهُ رُتْبَةَ الْمُلْكِ
الَّتِي أَعْلَى بِهَا مَقَامُهُ ، وَيُدِيمُهُ نَاصِرًا لِلدِّينِ الْحَنِيفِ فَانْصَارُهُ لَا يَزَالُونَ ظَاهِرِينَ إِلَى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؛ وَيَجْعَلُ سَبَبَ هَذَا الْعَهْدِ الشَّرِيفِ مَدَى الْأَيَّامِ مَتِينًا ، وَيَجْعُدُّ لَهُ
فِي كُلِّ وَقْتٍ نَصْرًا قَرِيبًا وَفَتْحًا مُبِينًا . وَالْخَطُّ الْحَاكِمِيَّ أَعْلَاهُ ، حِجَّةُ بَمَقْتَضَاهُ ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ ، وَصَلَوَاتُهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَامُهُ ، حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .



وعلى نحو من ذلك كتب القاضي علاء الدين بن عبد الظاهر عن المستكفي بالله ،
أبي الربيع سليمان ، عهد الملك المظفر ركن الدين "بييرس المنصوري" الجاشنكير .
وهذه نسخته :

هذا عهد شريف انتظمت به عقود مصالح الملك والممالك، وأبتسمت ثغور الثغور ببيعته التي شهدت بصحتها الكرام الملائك، وتمسكت النفوس بحكم عقده النضيد ومبرم عقده النظيم، ووثقت بميثاقه فتركت الألسن مستفتحة بقول الله الكريم : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ .

الحمد لله الذي جعل الملة الإسلامية تأوى من سلطانها إلى ركن شديد، وتحوى من متابعة مظفرها كل ما كانت ترومه من تأييد التأييد، وتروى أحاديث النصر عن ملك لا يمل من نصرة الدين الحنيفي وإن مل الحديد من الحديد، وموتى ملكه من يشاء من عباده، وموتى مقاليدته للولي الملى بقمع أهل عياده، ومانحه من لم يزل بعزائه ومكارمه مرهوبا مرغوبا، وموليه وموليه من غدا محبوا من الأنام بواجب الطاعة محبوبا، ومفوض أمره ونهيه إلى من طامسا صرف خطيه عن حي الدين أخطارا وخطوبا .

والحمد لله مجرى الأقدار، ومظهر سر الملك فيمن أضفى عند الإمامة العباسية بحسن الاختيار من المصطفين الأخيار، جامع أشتات الفخار، ورافع لواء الاستظهار، ودافع لأواء الأضرار، يجمل الالتجاء إلى ركن أمسى بقوة الله تعالى على المنار، وافي المبار، بادى الآثار الجميلة والإيثار .

والحمد لله على أن قلد أمور السلطنة الشريفة لكافلها وكافيا، وأسند عقدها وحلها لمن يدرك بكرم فطنته وسليم فطرته عواقب الأمور من مبادئها، وأيد الكتاب الإيمانية بمن لم تزل عوالبه تبليغها من ذرى الأمانى معاليها .

يحمده أمير المؤمنين على إعلاء كلمة الإيمان بأعيان أعوانها، وإعزاز نصرها بأركان تشييدها وتشييد أركانها، ويشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة

لا تبرح الألسنة تروِيها والقلوب تنوِيها، والمواهب تُجزل لقائلها تنوِيلا وتنوِيها؛
ويشهد أن محمدا عبده ورسوله أكل نبي وأفضل مبعوث، وأشرف مؤرت لأجل
مؤروث؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تنمى بركاتها وتنم^(١)، وتحص حسنتها
وتتم؛ ورضى الله عن عمه العباس جد أمير المؤمنين، وعن آبائه الأئمة المهديين؛
الذين ورثوا الخلافة كابرا عن كابر، وسمت ووسمت بأسمائهم ونعتهم ذرى المنابر.

أما بعد، فإن الله عز وجل لما عَدَق بمولانا أمير المؤمنين مصالح الجمهور، وعقد
له البيعة في أعناق أهل الإيمان فزادهم نورا على نور، وأورثه عن أسلافه الطاهرين
إمامة خير أمه، وكشف بمصابريته من بأس العدا ظلام كل عمه؛ وأنزل عليه
السكينة في مواطن النصر والفتح المدين، وثبتته عند ترزُل الأقدام وثبت به قلوب
المؤمنين؛ وأفاض عليه من مهابة الخلافة ومواديها ما هو من أهله، وأتم نعمته عليه
كما أتمها على أبويه من قبله - بايع الله تعالى على أن يختار للتملك على البرايا،
والتحكيم في الممالك والرعايا؛ من أسس بُيَانَه على التقوى، وتمسك من خشية الله
تعالى بالسبب الأقوى؛ ووقف عند أوامر الشرع الشريف في قضائه وحكمه،
ونَهَض لأداء فرض الجهاد بمعالى عزمه وحزمه؛ وكان المقام الأشرف العالى،
المولوى، السلطانى، الملكى، المظفرى، الركنى؛ سلطان الإسلام والمسلمين،
سيد الملوك والسلاطين؛ ناصر الملة المحمدية، محيى الدولة العباسية؛ أبو الفتح
«بيبرس» قسيم أمير المؤمنين : أعز الله تعالى ببقائه حمى الخلافة وقد فعل، وبلغ
في بقاء دولته الأمل - هو الملك الذى انعقد الإجماع على تفضيله، وشهدت مناقبه
الطاهرة باستحقاقه لتحويل الملك إليه وتحويله؛ وحكم التوفيق والاتفاق بترقيته

إلى كُرى السلطنة وصُعوده ، وقضت الأقدارُ بأن يُلقي إليه أميرُ المؤمنين أزيمةً
عُهوده ؛ والذي كَم خَفَقَت قلوبُ الأعادي عند رؤية آياتِ نصره ، ونطقت السنةُ
الأقدارُ بأن سيكونُ ملكَ عصره وعزيزَ مِصره ؛ وأهتزَّت أعطافُ المنابرِ شوقاً بلافتخار
باسمه ، وأعتريتِ الممالكُ بمن زاده الله بسطةً في علمه وجِسْمه ؛ وهو الذي مابِرح
مُدَّ نَسْأً يجاهد في الله حقَّ جهاده ، ويساعدُ في كلِّ معركةٍ بِمُرهفاتِ سيوفه ومُتلفاتِ
صِعادِه ؛ ويُسدى في الهَيْجاءِ صَفْحَتَه للصفاحِ فيقيه الله ويُقيِه : ليجعله ظِلَّةً على
عباده وبلاده ، فيُردي الأعداءَ في مواقفِ تَأْييده فكم عَفْرٌ من خدِّ الملوكِ الكُفرِ
تحت سَنابكِ جِيادِه ؛ ويسفِي بِصُدُورِ سيوفه صُدُورَ قَومِ مؤمنين ، ويسقي ظِلَاءَ
أَسْتَه فيروِيها من مَوردٍ ويريدُ المشركين ؛ ويُطْلِعُ في سماءِ الملكِ من غُرَرِ آرائِه
نِزَارٍ لا تَأْفُلُ ولا تَغُورُ ، ويُظْهِرُ من مواهبِه ومهابتِه ما تُحسِّنُ به الممالكُ وتُحصِّنُ
الثغُورُ ؛ فما من حصْنٍ أَسْتغْلِقُه الكُفرُ إلا وسيفُه مِفْتَاحُه ، ولا ليلٍ خَطْبُ دَجَا
إلا وغُرَّتْهُ الميمونةُ صَباحُه ؛ ولا عَزَّ أَمَلٌ لأهلِ الإسلامِ إلا وكان في رأيه المسدِّدِ
نَجاحُه ، ولا حَصَلَ خَلٌّ في طَرَفٍ من الممالكِ إلا وكان بمشيئةِ الله تعالى وبسَدادِ
تدبيرِه صَلاحُه ؛ ولا أَتَفَقَ مَشْهُدٌ عدوٍ إلا والملائكةُ الكِرامُ بمِظافرتِه فيه أَعْدُلُ
شُهودِه ، ولا تَجَدَّدَ فتوحٌ للإسلامِ إلا جادَ فيه بِنَفْسِه وأجاد ؛ (والجُودُ بالنَفْسِ
أقصى غايةِ الجُودِ) .

كَمْ أَسْلَفَ في غَزَوِ أعداءِ الدِّينِ من يومِ أغرَّ مُحَجَّلٌ ، وأنفقَ مالُه ابتغاءَ مَرْضاةِ
اللهِ سبحانه فحازَ الفَخْرَ المَعْجَلُ والأَبْرَ المَوْجَلُ ؛ وأُحْيَا من مَعالمِ العُلومِ ودَوَارِسِ
المدارسِ كُلِّ دائِرَةٍ ، وحَثَّه إيمانُه على عِمارةِ بُيُوتِ الله تعالى الجامعةِ لكلِّ تالٍ

وذاكر : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ . وهو الذى مازالت الأولياء تَتَخَيَّلُ تَحَايِلَ السُّلْطَنَةِ فى إعطافه مَعْنَى وَصُورِهِ ، والأعداء يرومون إطفاء ما أفاضه الله عليه من أشعة أنواره : ﴿ وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ ﴾ . طامًا تطاولت إليه أعناق الممالك فأعرض عنها جانبًا ، وتطلَّعت على قُربِهِ فكان لها - رعاية لِدِمَّةِ الوفاء - مُجَانِبًا ؛ حَتَّى أَذِنَ اللهُ سُبْحَانَهُ لكَلِمَةِ سُلْطَانِهِ أَنْ تُرْفَعَ ، وَحَكَمَ لَهُ بِالصُّعُودِ فى دَرَجِ الْمُلْكِ إِلَى الْمَحَلِّ الْأَعْلَى وَالْمَكَانِ الْأَرْفَعِ ، وأدَّى لَهُ مِنَ الْمَوَاهِبِ مَا هُوَ عَلَى أَشْمِهِ فى ذَخَائِرِ الْغُيُوبِ مُسْتَوْدَعٌ .

فعند ذلك آسْتَخَارَ اللهُ تَعَالَى سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا الْإِمَامَ الْمُسْتَكْفَى بِاللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو الرَّبِيعِ سُلَيْمَانَ ، ابْنَ الْإِمَامِ الْحَاكِمِ (وَذَكَرَ نَسَبَهُ عَلَى الْعَادَةِ) جَعَلَ اللهُ الْخِلَافَةَ كَلِمَةً بَاقِيَةً فى عَقِبِهِ ، وَأَمَتَعَ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ بِشَرْفَى حَسَبِهِ وَنَسَبِهِ ؛ وَعَهَّدَ إِلَى الْمَقَامِ الْعَالِى السُّلْطَانِ بِكُلِّ مَا وَرَاءَ سِرِّرِ خِلَافَتِهِ ، وَقَلَّدَهُ جَمِيعَ مَا هُوَ مَقْلَدٌ مِنْ أَحْكَامِ إِمَامَتِهِ ؛ وَبَسَطَ يَدَهُ فى السُّلْطَنَةِ الْمُعْظَمَةِ ، وَجَعَلَ أَوَامِرَهُ هِىَ النَّافِذَةُ وَأَحْكَامُهُ هِىَ الْمُحْكَمَةُ ؛ وَذَلِكَ بِالْبُدْيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَالْمَمَالِكِ الشَّامِيَّةِ ، وَالْفِرَاتِيَّةِ ، وَالْجَبَلِيَّةِ ، وَالسَّاحِلِيَّةِ ، وَالْقِلَاعِ وَالْثَغُورِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَالْبِلَادِ الْحِجَازِيَّةِ ، وَالْيَمَانِيَّةِ ، وَكُلِّ مَا هُوَ إِلَى خِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَنَسُوبٌ ، وَفِي أَقْطَارِ إِمَامَتِهِ مَحْسُوبٌ ؛ وَأَلْقَى إِلَى أَوَامِرِهِ أَرْزَمَةَ الْبَسْطِ وَالْقَبْضِ ، وَالْإِبْرَامِ وَالنَّقْضِ ، وَالرَّفْعِ وَالْخَفْضِ ؛ وَمَا جَعَلَهُ اللهُ فى يَدِهِ مِنْ حُكْمِ الْأَرْضِ ، وَمِنْ إِقَامَةِ سُنَّةٍ وَفَرْضِ ؛ وَفِي كُلِّ هِبَةٍ وَتَمْلِكٍ ، وَتَصَرُّفٍ فى وَلايَةِ أُمُورِ الْإِسْلَامِ مِنْ غَيْرِ شَرِيكَ ؛ وَفِي تَوَلِيَةِ الْقَضَاةِ وَالْحُكَّامِ ، وَفَصْلِ الْقَضَايَا وَالْأَحْكَامِ ؛ وَفِي سَائِرِ التَّحَكُّمِ فى الْوُجُودِ ، وَعَقْدِ الْأَلْوِيَةِ وَالْبُنُودِ ؛ وَتَجْنِيدِ الْكُتَّابِ وَالْجُنُودِ ،

وتجهيز الجيوش الإسلامية من التأييد إلى كل مقام محمود ؛ وفي قهر الأعداء الذين
 نرجو بقوة الله تعالى أن يملكته من نواصيهم ، ويحكم قواضيه في استئثارهم من
 صياصيهم ، وأستئصال شأفة عاصيهم ؛ حتى يحو إن شاء الله تعالى بمصاييح سيوفه
 سواد خطوب الشرك المذلّمه ، وتغدو سراياه في أفئلاع قلاع الكفر مستهمه ؛
 وترهبهم خيل بعوته وخيالها في البقظة والمنام ، ويدخل في أيامه أهل الإسلام
 «مدينة السلام» بسلام - تفويضا تاما عاما ، منضدا منظما محكما محكما ؛ أقامه مولانا
 أمير المؤمنين في ذلك مقام نفسه الشريفه ، وأستشهد الكرام الكاتبين في ثبوت هذه
 البيعة المنيفه .

فليتقدّم المقام الشريف العالى السلطانى - أعز الله نصره - عقد هذا العهد الذى
 لا تطمح لمثله الآمال ، وليستمسك منه بالعررة الوثقى التى لا انفصام لها ولا انفصال ؛
 فقد عول أمير المؤمنين على يمين آرائك التى ما برحت الأئمة بها فى المعضلات تستشفي ،
 وأستكفى بكفائيتك وكفالتك فى حياطة الملك فأضحي وهو بذلك المستكفى ؛
 وهو يقص عليك من أنباء الوصايا أحسن القصص ، وينص لديك ما أنت آخذ منه
 بالعزائم إذا أخذ غيرك فيه بالرخص ؛ فإن نبهت على التقوى فطامنا تمسكت منها
 بأوثق عروه ، وإن هديت إلى سبيل الرشاد فما زلت ترقى منه أشرف ذروه ؛
 وإن أسترهفنا عزمك الماضى الغرار ، وأستدعينا حزمك الذى أضاء به دهرك
 وأستنار ، فى إقامة منار الشرع الشريف ، والوقوف عند نهيه وأمره فى كل حكم
 وتصريف ، فما زلت - خلد الله سلطانك - قائما بسنته وفرضه ، دائبا فى رضا
 الله تعالى بإصلاح عقائد عباده فى أرضه ؛ وما برح سيفك المظفر للأحكام الشرعية
 خادما ، ولمواد الباطل حاسما ، ولأنوف ذوى البدع راغما ؛ فكل ما نوصيك به

من خير قد جِلَّتْ عليه طِبَاعُكَ ، ولم يَزَلْ مُشْتَدًّا فِيهِ سَاعِدُكَ مُمْتَدًّا إِلَيْهِ بِأَعْلَكَ ؛ غير
أَنَا نُورِدُ لِمُعَةٍ اقْتَضَاهَا أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْإِقْتِدَاءِ بِالتَّذْكَرَةِ فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ ، وَأَوْجِبُهَا
نَصُّ قَوْلِهِ تَعَالَى : (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) . وَيُنْدِرُجُ تَحْتَ أَصُولِهَا
فِرْعَوْ يُسْتَغْنَى بِدَقِيقِ ذِهْنِهِ الشَّرِيفِ عَنْ نَصِّهَا ، وَبِفِكَرِهِ الثَّاقِبِ عَنْ قَصِّهَا ؛ فَأَعْظَمُهَا
لِللَّهِ نَفْعًا ، وَأَكْثَرُهَا لِلْبَاطِلِ دَفْعًا ، الشَّرْعُ الشَّرِيفُ : فَلْيَكُنْ - أَعَزَّ اللَّهُ نَصْرَهُ -
عَامِلًا عَلَى تَشْيِيدِ قَوَائِدِ إِحْكَامِهِ ، وَتَنْفِيزِ أَوَامِرِ أَحْكَامِهِ ؛ فَالْسَّعِيدُ مِنْ قَرَنِ أَمْرِهِ
بِأَمْرِهِ ، وَرِضَى فِيهِ بِمُحَلُّو الْحَقِّ وَمُرَّه . وَالْعَدْلُ فَلْيَنْشُرْ لَوَاءَهُ حَتَّى يَأْوِيَ إِلَيْهِ الْخَائِفُ ،
وَيَنْكَفَّ بِرَدِّهِ حَيْفُ كُلِّ حَائِفٍ ؛ وَيَتَسَاوَى فِي ظِلِّهِ الْغَنِيُّ وَالْفَقِيرُ ، وَالْمَأْمُورُ وَالْأَمِيرُ ؛
وَيَمْسِيَ الظُّلُّ فِي أَيَّامِكَ وَقَدْ نَحَدَّتْ نَارُهُ ، وَعَقَّتْ آثَارُهُ .

وَأَهْمُّ مَا أَحْتَفَلْتُ بِهِ الْعَزَائِمُ ، وَاشْتَمَلْتُ عَلَيْهِ هِمَمُ الْمُلُوكِ الْعِظَامِ ، وَأَشْرِعْتُ لَهُ
الْأَسِنَّةَ وَأَرْهَفْتُ مِنْ أَجْلِهِ الصُّورَ ؛ أَمْرُ الْجِهَادِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى حِصْنًا
لِلْإِسْلَامِ وَجُنَّةً ، وَاشْتَرَى فِيهِ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَمْ الْجَنَّةَ ؛ فَجَدَّ لَهُ الْجُنُودَ وَآجَمَعَ
لَهُ الْكُتَّابَ ، وَأَقْضَى فِي مَوَاقِفِهِ عَلَى الْأَعْدَاءِ مِنْ بَأْسِكَ بِالْقَوَاضِي الْقَوَاضِبِ ؛
وَأَغْزَاهُمْ فِي عَقْرِ الدَّارِ ، وَأَرْهَفَ سَيْفَكَ الْبَتَّارَ : لِتَأْخُذَ مِنْهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ بِالْثَّارِ . وَالثُّغُورِ
وَالْحَصُونِ ، فَهِيَ سِرُّ الْمُلْكِ الْمُصُونِ ، وَهِيَ مَعَاوِلُ النُّفُوسِ إِذَا دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ
الزَّبُونِ ؛ فَلْيَقْلُدْ أَمْرَهَا لِكُفَاتِهَا ، وَيَخْصَّ حِمَايَتَهَا بِمُجَاهَتِهَا ، وَيَضَاعِفْ لِمِنْهَا أَسْبَابَ
قُوَّتِهَا وَمَادَّةَ أَقْوَاتِهَا . وَأَمْرَاءُ الْإِسْلَامِ وَجُنُودُ الْإِيمَانِ فَهَمُّ أَوْلِيَاءِ نَصْرِكَ ، وَحَفَظَةُ
شَامِكَ وَمِصْرِكَ ؛ وَحِزْبُكَ الْغَالِبُ ، وَفَرِيقُكَ الَّذِينَ تَفَرَّقَ مِنْهُمْ قُلُوبُ الْعِدَا فِي الْمَشَارِقِ
وَالْمَغَارِبِ ؛ فَلْيَكُنْ الْمَقَامُ الْعَالِي السُّلْطَانِيَّ - أَعَزَّهُ اللَّهُ تَعَالَى - لِأَحْوَالِهِمْ مُتَقَدِّدًا ،
وَيَبْسُطُ وَجْهَهُ لَهُمْ مُتَوَدِّدًا ؛ حَتَّى تَتَأَكَّدَ لِمَقَامِهِ الْعَالِي طَاعَتَهُمْ ، وَتَتَجَدَّدَ لِسُلْطَانِهِ الْعَزِيزِ

ضَرَعْتُمْ . وأما غير ذلك من المصالح ، فما بَرَحَ تديرُهُ الجميل لها يَنْفَذُ ورأيُهُ الأصيل بها يُشِيرُ ، فلا يَحْتَاجُ مع علمه بَعَوَامِضُهَا إلى إِيضَاحِهَا ((وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ)) . والله تعالى يَخْصُ دولته من العدل والإحسان بأَوْفَرِ نصيب ، ويمُنَحُ سلطانه ما يَرْجُوهُ من النصر المَعْجَلِ والفتح القَرِيبِ ؛ إن شاء الله تعالى .

المذهب الثاني

(أن يَفْتَحَ العهد بلفظ « من فلان » باسم الخليفة وَكُنْيَتِهِ وَلَقَبِ الخِلافة ، « إلى فلان » باسم السلطان وَكُنْيَتِهِ وَلَقَبِ السلطنة كما في المكاتبات ، ثم يَأْتِي بعد ذلك بلفظ « أما بعد »)

ثم تارة يَأْتِي بعد البعدية بتحميد ، مثل أن يقول : « أما بَدْءُ فالحمد لله » ويتخلص إلى ذكر أمر الولاية وما يَخْرِطُ في سِلْكِهَا ؛ وتارة يَأْتِي بعد البعدية بخطاب المولى والدعاء له ، ويتخلص إلى مقاصد العهد : من الوصايا وغيرها ، على اختلاف مقاصد الكُتَّاب ، وعلى ذلك كانت العهود في دولة الفاطميين بمصر .

قلت : وقد يُسَحَّسنَ هذا المذهبُ فيما إذا كان المعهود إليه غائباً عن حضرة الخليفة : لأن العهد يصير حينئذ كالرسالة الصريحة إليه ، بخلاف ما إذا كان بحضرته فإنه لا يكون في معنى الرسالة الصريحة .

وعلى هذا المذهب كتب أبو إسحاق الصابى عن الطائع لله عهد شرف الدولة شيرزك بن عضد الدولة بن بويه ، وهذه نسخته :

من عبد الله « عبد الكريم الإمام الطائع لله » أمير المؤمنين ، إلى شيرزك بن عضد الدولة وتاج الملة أبي شجاع مولى أمير المؤمنين :

سلامٌ عليك ، فإنَّ أمير المؤمنين يحمّدُ إليك الله الذي لا إلهَ إلا هو ، ويسأله أن يصلى على محمّدٍ وعبدِهِ ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد - أطالَ اللهُ بقاءَكَ ، وأدامَ عزَّكَ وتأييدَكَ ، وسعادَتَكَ ونعمَتَكَ ، وأمتع أمير المؤمنين بك وبالموهبة فيك وعندَكَ - فإنَّ أمير المؤمنين يرى أن يحفظ على كلِّ وليٍّ أحمدَ مَذاهِبِهِ ، وأرضى ضرائبِهِ ، وأنصرفَ عن الدنيا متمسكاً بطاعته ، متديناً بمشايعته ، حقوقه المتوحّده ، وحُرُماتِهِ المتمدّهة ، فيمن يخلّفه بعده من ولدٍ أمّل أن يرث عنه محلّه ، ويقومَ فيه مقامه ، وفاءً لأهل الولاية ، وتصرّفاً على أحكام الرّعاية ، وسياقةً للصنيعة من سالفٍ إلى خالف ، وإمضاءً من تالٍ إلى طارف . هذا على الأمرِ الجامع ، والعمومِ الشامل ، فإذا اتَّفَقَ أنْ مُتَّهِىَ وِراثة القُربِ إليه ، والمنازِلِ لَدَيْهِ ، إلى التَّجَبُّاءِ الأفاضِلِ ، والحُصَفَاءِ الأماثِلِ ، الذين يَسْتَجِبُونَ اسْتِثْنَاءَ الإِصْطِنَاعِ لَهُمْ ، واسْتِقْبَالَ التَّفْوِيضِ إِلَيْهِمْ بِالمَنَاقِبِ الموجودةِ فيهم ؛ لو أنفردتْ عَمَّا حازوه عن آبائِهِمْ وأولِيائِهِمْ ، أَجْرَى أمير المؤمنين ما يُفِيضُهُ عليهم من الأيادي ، ويُفَقِّهِمُ إِلَيْهِ مِنْ هَضَابِ المَعَالَى ، مُجْرَى الأمرِ الواجبِ الذى كَثُرَتِ الدَّوَاعِي إِلَيْهِ ، وَاتَّفَقَ الرأى والهوى عليه ، وتطابق الإيثارُ والإِخْتِبَارُ فِيهِ ، وَاقْتَرَنَ الصَّوَابُ والسَّدَادُ بِهِ ، وَأَشْتَرَكِ الْمَسَامُونُ فِي اسْتِمَارِ فائِدَتِهِ وعائِدَتِهِ ، وَالِإِتِّفَاعِ بِتَأْدِيَتِهِ وعاقِبَتِهِ ؛ والله يَخِيرُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فيما يُمَضِّيه مِنَ العِزَائِمِ ، وَيَبَيِّنُهُ مِنَ الدَّعَائِمِ ؛ وَيَعْتَمِدُهُ مِنَ المَصَالِحِ ، وَيَتَوَخَّاهُ مِنَ الْمَنَاجِحِ ؛ إِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرٌ ، وَبِهِ جَدِيرٌ ؛ وَهُوَ حَسْبُ أمير المؤمنين ونعم الوكيل .

وقد علِمْتَ - أدامَ اللهُ عزَّكَ وأمتعَ أمير المؤمنين بك - أن شجرة بيتك [هى] التى تمكَّنتْ فى الخدمة أَصُولُهَا ، والفضيلةُ مَنْوُطَةُهَا ، وأسبابُ النِّجَامِ والدوامِ مَجْتَمِعَةٌ فِيهَا ؛

فذلك سبغت النعمة عليكم، وأمتد ظلها إليكم؛ ووثقت فيها أقداحكم، وتوفرت منها حظوظكم؛ فتداولتموها بينكم كإبراً عن كابر بمساعيكم الصالحة، ومناهيكم الواضحة؛ وتعاضدكم على ما لم تشعث الدولة الجامعه، وطرف عنها الأعين الحاسده؛ وكان شيخك عضد الدولة، وتاج الملة؛ أبو شجاع رضوان الله عليه، صاحب الرتبة الزعمى عند أمير المؤمنين وهماهما، والمتطى غاربها وسنامها؛ فعاش ماعاش مشكورا محمودا؛ ثم أنقلب إلى لقاء ربه سعيدا رشيدا؛ وأوجب أمير المؤمنين لك وله منك الحلول بمكانه، وحيازة خطره وشانه؛ إذ كنت أظفر ولده، وأول المستحقين لوراثته؛ وكانت فيك مع ذلك الأدوات المقتضيات لأن يفوض الأمور إليك، ويعتمد فيها عليك : من كفاية وغناء، وأستقلال ووفاء؛ وسياسة وتدبير، وشهامة وتسمير؛ وتصرف على طاعة أمير المؤمنين، وإشبال^(١) على إخوانك أجمعين؛ وحسن أثر فيما أنفذ أمرك فيه، وإفاضة أمن فيمن أمضيت ولايتك عليه؛ وإحاطة بدلائل الحوالة، وتخايل الأصالة؛ بمثلها ثل الغايات الأفاصى، وتفرع الذوائب والنواصى؛ فتوكل أمير المؤمنين تلك المائتة، وخوكل تلك المفخرة، وجعل أخاك صمصاص الدولة، وشمس الملة؛ أبا كاليبجار - أمتع الله [بك] أمير المؤمنين - بك تأييده، والمتقدم بعدك على ولد أهلك؛ وأجرا كما في التطبيق بينكما والتقرير لمنازلكما على مثل ماجرى الأمر عليه بين ركن الدولة أبي علي ومير الدولة أبي الحسين سالفًا، ثم بين عضد الدولة وتاج الملة أبي شجاع ومؤيد الدولة أبي منصور آفا؛ تولاهم الله بالرحمة، ونفعهم بما قبضهم عليه من وثائق العصمة؛ وخصك أمير المؤمنين بعد ذلك بما يخص به ذو القدر الشاوخ والقدم السابقة، والمحلة السامية؛ فذكرك بالتكنية، ورقعك عن التسمية؛ ولقبك لقبين : أحدهما «شرف الدولة» لتشريفه بك أولياءه

(١) الإشبال التعطف على الرجل ونعونه . انظر اللسان ج ١٣ ص ٣٧٥ .

الذين أوطأهم عَقَبَكَ ، وأعلَقَهم حَبْلَكَ ، والآخِرُ «زَيْنُ الْمِلَّةِ» لَرِيْنَةُ أَيَّامِهِ بِمَعَالِكَ ،
وتَضَاعَفَ بِجَمَالِهَا بِمَسَاعِيكَ ؛ وَعَقَدَ لَكَ بِيَدِهِ لَوَائِنَ يَلْوِيَانِ إِلَيْكَ الْأَعْنَاقَ بِالطُّوْعِ
مِنْ سَرَاتِهِ وَأَبْهَجَاهُ ، وَالكَرْهَ مِنْ رَاعَاهُ وَأَزْجَاهُ ؛ وَأَمْرٌ بِأَنْ تُقَامَ لَكَ الدَّعْوَةُ عَلَى مَنَابِرِ
مَدِينَةِ السَّلَامِ وَمَا يَجْرِي مَعَهَا مِنَ الْأَعْمَالِ بَيْنَ الدَّعْوَةِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَبَيْنَ
الدَّعْوَةِ لَصَمْنُصَامِ الدَّوْلَةِ وَشَمْسِ الْمِلَّةِ ؛ أَمَتَعَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَ ، وَأَحْسَنَ الدَّفَاعَ
لَهُ عِنْدَكَ : الْإِحْقَاقَ لَكَ وَلَهُ بِبَيْتِكَ بَابِيكَمَا كَانَ شُرْفٌ بِهِ مِنْ هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي لَمْ يُلْغُهَا
غَيْرُهُ ، وَلَا أَهْلٌ لَهَا أَحَدٌ قَبْلَهُ ، وَأَنْ يُثَبَّتَ ذِكْرُكَ بِالْقَلْبِ وَالْكُتَيْبَةِ فِيمَا يُنْقَشُ مِنْ
سِكَكِ الْعَيْنِ وَالْوَرِقِ فِي دُورِ الضَّرْبِ بَادِيًا ، وَذِكْرُ صَمْنُصَامِ الدَّوْلَةِ - كَلَامًا اللَّهُ -
تَالِيًا . وَحَبَاكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ ذَلِكَ بِخَلْعِ تَامَّةٍ تُفَاضُ عَلَيْكَ ، وَفَرَسَيْنِ مِنْ جِيَادِ خَيْلِهِ
يُقَادَانِ إِلَيْكَ ؛ بِمَرْكَبِي ذَهَبٍ مِنْ خَاصِّ مَرَآكِبِهِ ، وَسَيْفٍ مَاضٍ مِنْ خِيَارِ أَسْيَافِهِ ؛
يُعِزُّ اللَّهُ مَنَكِيكَ بِبَجَادَتِهِ ، وَيُذِلُّ مَنَاكِيبَ أَعْدَائِكَ بِغَرَارِيهِ ، وَطَوَقَ وَسَوَارِيهِ .
وَأَنْ تُجَرِّى فِي الْمَكَاتِبَةِ عَنْهُ إِلَى الْغَايَةِ الَّتِي أَجْرَى أَبُوكَ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَيْهَا ، وَهَذَا الْكِتَابُ
نَاطِقٌ بِهَا وَدَالٌّ عَلَيْهَا . وَنَدَبٌ لِإِيصَالِ الْجَمِيعِ إِلَيْكَ عَلَى بَنِي الْحُسَيْنِ الْهَاشِمِيِّ الزَّيْنِيِّ ،
وَأَحْمَدَ بْنَ نَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ حَاجِبِهِ وَوَحْيِ خَادِمِهِ ؛ فَتَلَقَّ شَرَفَ الدَّوْلَةِ وَزَيْنَ الْمِلَّةِ
وَأَبَا الْقَوَارِسِ [ذَلِكَ] - أَدَامَ اللَّهُ عَزْرَكَ - بِمَا يَحِقُّ عَلَيْكَ مِنْ تَقْوَى اللَّهِ فِي سِرِّكَ وَجَهْرِكَ ،
وَمِرَاقَبَتِهِ فِي قَوْلِكَ وَعَمَلِكَ ، وَابْتِغَاءِ رِضَاهُ فِي مَخْتَلِجِ خَطَرَاتِكَ وَفِكَرِكَ ، وَاتِّبَاعِ
طَاعَتِهِ فِي مَخَارِجِ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ ؛ وَقَابِلِ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ ، وَأَحْسَنَ فِيهِ إِلَيْكَ ؛ بِالشُّكْرِ
الَّذِي مَوْقِعُهُ مِنَ النِّعْمَةِ مَوْقِعُ الْقِرَى مِنَ الضَّيْفِ ، فَإِنْ وَجَدَهُ لَمْ يَذُمَّ ، وَإِنْ قَفَدَهُ
لَمْ يُقِمَّ ؛ وَأَمَدَّدَ عَلَى مَنْ وُلِّيتَ عَلَيْهِ مِنَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ظِلَّكَ ، وَوَطَّنَ لَهُمْ كَنَفَكَ
وَأَعْمَرَهُمْ بِطَوْلِكَ ؛ وَسُنَنَهُمْ سِيَاسَةً يَكُونُ بِهَا صَلَاحُهُمْ مَضْمُونًا ، وَحَرِيمُهُمْ مَصُونًا ؛
وَبِلَادَهُمْ مَعْمُورَةً ، وَمَنَافِعُهُمْ مُؤَفَّرَةً ؛ وَحَلَبُهُمْ دَارًا ، وَعَيْشُهُمْ رَغَدًا ؛ وَتَغَوُّرُهُمْ

مُسَدُّودَه ، وَأَعَادِيهِمْ مَدُّودَه ؛ وَمَسَالِكُهُمْ مَحِيَّهٌ ، وَمَسَاكِنُهُمْ مَرْعِيَّهٌ ؛ وَمُرُّهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ، وَأَنْهَهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ؛ وَأَبْعَثَهُمْ عَلَى الْحَسَنَاتِ ، وَكَفَّفَهُمْ عَنِ السَّيِّئَاتِ ؛ وَسَاوَى فِي الْحَقِّ بَيْنَ شَرِيفِهِمْ وَمَشْرُوفِهِمْ ، وَقَوِيَّتِهِمْ وَضَعِيفِهِمْ ؛ وَقَرِيبِهِمْ وَغَرِيبِهِمْ ؛ وَمِلِّيَّتِهِمْ وَذَمِّيَّتِهِمْ ؛ وَقَوْمَ سُقُفَاهِهِمْ وَجُهَّالِهِمْ ، وَأَنْفِ دُعَارِهِمْ وَخُرَابِهِمْ ؛ وَآكِرِمَ صَلَحَاءِهِمْ وَعُلَمَاءِهِمْ ، وَشَاوَرِ فُضَلَاءِهِمْ وَعُقَلَاءَهُمْ ؛ وَجَالَسَ أَذْيَانِيَّاهُمْ وَأَعْلِيَاءَهُمْ ؛ وَأَنْلَهُمْ مَرَائِبَهُمْ ، وَتَرَفَّمْ مَنَازِلَهُمْ ؛ وَأَرِيَهُمْ تَمَسُّكَكَ بِالْدِينِ لِيَقْتَدُوا بِكَ فِيهِ ، وَرَغَبْتَكَ فِي الْخَيْرِ لِيَتَقَرَّبُوا إِلَيْكَ بِهِ ؛ وَخَذَ الْحَقَّ وَأَعْطَاهُ ، وَأَبْسَطَ الْعَدْلَ وَقُلَّ بِهِ ؛ وَأَدْرَأَ الْحُدُودَ بِالشُّبُهَاتِ ، وَأَقْفَاهَا وَأَمِضَهَا بِالْبَيِّنَاتِ : لَتَكُونَ الرِّغْبَةُ إِلَيْكَ فِي رَغَبٍ ، وَالرَّهْبَةُ مِنْكَ فِي رَهَبٍ ؛ وَبِالْجُمْلَةِ فَاحْلِلِ النَّاسَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ - جَلَّ وَعَزَّ - وَأَدَايِهِ ، وَسُنَّةِ الرَّسُولِ وَمَا جَاءَ بِهِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ جَعَلَ كِتَابَهُ هَذَا عَهْدًا إِلَيْكَ ، وَحِجَّةً لَكَ وَعَلَيْكَ ؛ وَأَنَّ الْأَوَامِرَ وَالنَّوَاحِيَ فِي الْعَهْدِ تَكُونُ كَثِيرَةً : وَإِنَّمَا قَصَّرَ فِيهِ عَنْ اسْتِيفَائِهَا ، لِإِرْتِفَاعِ طَبَقَتِكَ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَى اسْتِقْصَائِهَا ، وَلِلخُرُوجِ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْحَقِّ فِي تَضْمِينِهِ هَذِهِ الْجُمْلَةَ مِنْهَا ؛ فَإِذَا وَصَلَ ذَلِكَ إِلَيْكَ مَعَ كَرَامَاتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهَا لَكَ ، فَالْبَسْ خِلْعَهُ ، وَتَقَلَّدْ سَيْفَهُ ؛ وَتَحَلَّ بِحِلَاةٍ ، وَأَبْرُزْ لِمَنْ يَلِيكَ عَلَى حُمْلَانِهِ ^(١) ، وَأُظْهِرْ لَهُمْ ضُرُوبَ إِحْسَانِهِ وَأَمْتِنَانِهِ ؛ وَأَنْصِبْ أَمَامَكَ اللَّوَاءَيْنِ ، وَتَكَنَّ وَتَلَقَّبْ بِاللَّقَبَيْنِ ؛ وَكَاتِبٌ مِنْ تُكَاتِبِ مَنْ طَبَقَاتِ النَّاسِ مُتَلَقِّبَا بِهِمَا مُتَكَنِّيَا ، إِلَّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ الْأَدَبَ أَنْ لَا تَكْتُبَهُ مُتَلَقِّبًا بِلِ مَتَسِّيًا ؛ وَلَيْسَ ذَلِكَ نَاقِصًا لَكَ فِيمَا أُعْطِيْتَهُ ، وَلَا مُرْتَجِمًا شَيْئًا مِمَّا حُيِّتَ بِهِ ؛ وَلَكِنَّهُ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالرَّسْمُ الْمَالُوفُ ؛ وَصِلْ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَخِيكَ

(١) فِي الْقَامُوسِ مَا نَصَّهُ « وَالْحُمْلَانُ بِالضَّمِّ مَا يَحْمِلُ عَلَيْهِ مِنَ الدُّوَابِّ فِي الْمَهَةِ خَاصَّةً » .

تخصيص الدولة وشمس الملة - أدام الله الإمتاع بكما - بالموّده، كما وصله الله بالأخوة؛
وكوناً جميعاً يداً في طاعة أمير المؤمنين ، وأستقيماً على كلمة سواءٍ في رعاية المسلمين ؛
وأنفقاً على مسألة المسلمين، وتعاضداً في محاربة المحاريين ؛ فإت ذلك أرباب
للصدع، وأحتم للبشر، وأنظم للشمل، وأليق بالأهل . وأقيم الدعوة لنفسك على
منابر الممالك بعد إقامتها لأمر المؤمنين ؛ وكتب أمير المؤمنين بأخبارك ، وطالعه
بأنارك ؛ وأستدع أمره فيما أستعجم من التدبير عليك، ورأيه فيما أستبهم من الأمور
دونك ؛ وأسترشه إلى الحظ يرشدك ، وأستمه في الخطوب يهدك ؛ وأستمه
من المعونة يمددك، وأشكر آلاءه يزيدك ؛ إن شاء الله تعالى .

أطال الله بقاءك وأدام عزك وتأييدك، وسعادتك ونعمتك ؛ وأمتع أمير المؤمنين
بك وبالرغبة فيك وعندك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .



وعلى هذا النمط كتب القاضي الفاضل عهد أسد الدين شيركوه بالوزارة
عن العاضد الفاطمي، والوزارة يومئذ قائمة مقام السلطنة على ما تقدم ذكره ،
وهذه نسخته :

من عبد الله وليّه، عبد الله أبي محمد الإمام العاضد لدين الله أمير المؤمنين،
إلى السيد، الأجل، الملك، المنصور، سلطان الجيوش ، ولي الأمه، نحر الدولة،
أسد الدين ، كافل قضاة المسلمين ، وهادي دعاة المؤمنين ؛ أبي الحرث شيركوه
العاضي، عضد الله به الدين، وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين ؛ وأدام قدرته،
وأعلى كلمته .

سلام عليك : فإن أمير المؤمنين يمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلى على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، الأئمة المهديين ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد ، فالحمد لله القاهر فوق عباده ، الظاهر على من جاهر بعباده ، القادر الذى يعجز الخلق عن دفع ما ودع ضمائر الغيوب من مراده ، القوى على تقريب ما عزبت الهمم باستبعاده ، الملى بحسن الجزاء لمن جاهد فى الله حق جهاده ، مؤتى الميث من يشاء بما أسلفه من ذخائر رشاده ، ونازعه ممن يشاء بما أقرقه من كجائر فساده ، منجد أمير المؤمنين بمن أمضى فى نصرته العزائم ، وأستقبله الأعداء بوجوه الندم وظهور الهزائم ، وفعلت له المهابة ما لا تصنع الهمم ، وخلعت آثاره على الدنيا ما تحلعه الأنوار على الظلم ، وعدست نظراؤه بما وجد من محاسنه التى فاق بها ملوك العرب والعجم ، وأنتقم الله به ممن ظلم نفسه وإن ظن الناس أنه ظلم ، وذاد عن موارد أمير المؤمنين من هو [منه] أولى بها ويأبى الله سبحانه إلا إمضاء ما حتم ، ورأى إخفاء فضائله وهل يشهر طيب المسك إلا إذا آكتم ؟ مؤيد أمير المؤمنين بإمام أقر الله به عينهم ، وقضى على يده من نصرته الدين دينهم : ﴿ لو أنفقَت مافى الأرض جميعا ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ﴾ .

والحمد لله الذى خص جدنا محمدا بشرف الأصطفاء والإجتباء ، وأنهضه من الرسالة بأثقل الأعباء ، وذخر له من شرف المقام المحمود أشرف الأنصباء ، وأقام به القسطاس ، وطهر به من الأدناس ، وأيده بالصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ،

والبس شريعته من مكارم الأفعال والأقوال أحسن لباس؛ وجعل النور ساريًا منه في عقبه لا ينقصه كثرة الإقتباس : ﴿ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ ﴾ .

والحمد لله الذي اختار أمير المؤمنين لأن يقوم في أمته مقامه، وهدى بمرآته نوره إلى طرق دار المقامه، وأوضح به منار الحق وأعلامه؛ وجعله شهيد عصره، ومجته أمره؛ وباب رزقه، وسبيل حقه؛ وشفيع أوليائه، والمستجار من الخطوب بولائه، والمضمونة لذويه العقبى، والمسئول له الأجر في القربى؛ والمفترض الطاعة على كل مكلف، والغاية التي لا يقصر عنها بولائه إلا من تأخر في مضمار النجاة وتخلف المشفوع الذكر بالصلاة والتسليم، والهادي إلى الحق وإلى طريق مستقيم؛ لا يقبل عمل إلا بخفارة ولائه، ولا يضل من استضاءه بأنجم هدايته الألامه، ولا دين إلا به ولا دنيا إلا معه : ليتضح النهج القاصد، ولتقوم الحجة على الجاحد؛ وليكون لشيعته إلى الجنة نعم الشافع والرائد، وليأتى الله به بئان الأعداء من القواعد، وليبين لهم الذي اختلفوا فيه وليعلموا أنما هو الله واحد .

يمجده أمير المؤمنين على ما حباه من التأيد الذي ظهر فبه، وانتشرف نعمته البشر؛ والإظهار الذي أشرك فيه جنود السماء والأرض، والإظفار الذي عقد الله منه عقدا لا تدخل عليه أحكام النقض، والانتصار الذي أبان الله به معنى قوله : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ﴾ .

ويسأله أن يصلي على سيدنا محمد الأمين، المبعوث رسولاً في الأميين؛ الهادي إلى دار الخلود، المستقل^(١) بيبانه استقلال الجود، والمعدود أفضل نعمة على أهل الوجود؛ والصابية بشريعته مشارع النعمه، والواضحة به الحنيفية البيضاء

(١) المستقل - من استقل الشيء إذا ارتفع يريد أن بيانه مرتفع ارتفاع عوار الجود .

لئلا يكون أمر الخلق عليهم غمهم ؛ وعلى أئمتنا أخيه وآبن عمه أمير المؤمنين على بن أبى طالب ناصر شريعته وقسيمه فى النسب والسبب ، ويد الحق التى حكم لها فى كل طالب بالغلب ؛ وعلى الأئمة من ذريتهما وسائط الحكم ، ومصايح الظلم ومفاتيح النعم ؛ والمخفيين دعوى من باهاهم وفانحروا ، والباذلين جهدهم فى جهاد من أخذ مع الله إلهها آخر ؛ وسلم وردد ، ووالى وجدد .

وإن أمير المؤمنين لما فوضه الله تعالى إليه من إزلة الخليفة ، ومنحه من كرم السجية وكرم الخليفة ؛ وبسطه من يده على أهل الخلاف ، وأنجزه من موعوده الذى ليس له إخلال ولا إخلاف ؛ وأوضحه من براهين إمامته للبصائر ، وحفظ به على الإسلام من طليعة المبادئ وساقية المصائر ؛ وأورثه من المقام الذى لا يذبحى إلا له فى عصره ، وأستخدم فيه السيوف والصروف من تادية فرائض نصره ؛ وأظهر له من المعجزات ، التى لا يخلو منها زمن ، وظاهر له من الكرامات ، التى زادت على أمانة كل مؤمن ، وأتمنه عليه من أسرار النبوة التى رآه الله تعالى لها أشرف مودع وعليها أكرم مؤتمن ؛ وأجرى عليه دولته من تذليل الصعاب وتسهيل الطلب ، وتقليل أحزاب الشرك إذا اجتمعوا كما اجتمع على جدّه صلى الله عليه وسلم أهل الأحزاب . يواصل شكر هذه النعم التوام ، ويعرف بهوارفها الفرادى والتوام ؛ ويقدم بين يدى كل عمل رغبة إليه فى إيضاح المرآشد ، ونية لا تضل عنها الهداية ولا سيما وهو الناشد ؛ ويستخير عاكما أنه يقدم إليه أسباب الخير ، ويناجيه فيطلبه الإلهام على ما يحل السير ويحل الغير ؛ يأخذ بيد الله حقه إذا اغضبت حقوقه ، ويستنجده بالله إذا استبيح خلافه وأستجيز عقوبه ؛ ويقزع إلى الله تعالى إذا قرع الضائر ، ويثق بوعده الله تعالى إذا استهلكت الشبه البصائر ؛ فما أعترض ليل كربة إلا أنصدع

له عن بَخْرٍ وَضَّاحٍ ، وَلَا أَنْتَقِضَ عَقْدُ غَادِرٍ إِلَّا عَاجِلَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِأَمْرِ فَضَّاحٍ ؛
وَلَا أَنْقَطَعَتْ سُبُلُ نُصْرَةٍ إِلَّا وَصَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِمَنْ يُرْسِلُهُ وَلَا أَنْصَدَعَتْ عَصَا أُلْفَةٍ
إِلَّا تَدَارَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِمَنْ يَجْزُدُهُ تَجْرِيدَ الصَّفَاحِ ؛ وَإِذَا عَدَدَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هَذِهِ النِّعَمَ
الْجَسِيمَةَ ، وَالْمِنْحَ الْكَرِيمَةَ ؛ وَاللِّطَائِفَ الْعَظِيمَةَ ، وَالْعَوَارِفَ الْعَمِيمَةَ ؛ وَالْآيَاتِ
الْمَعْلُومَةَ ، وَالْكِفَايَاتِ الْمُحْتَمَوَةَ وَالْعَادَاتِ الْمُنْظُومَةَ ؛ كُنْتُ أَيُّهَا السَّيِّدُ الْأَجَلُ -
أَدَامَ اللَّهُ قُدْرَتَكَ ، وَأَعْلَى كَلِمَتِكَ - أَعْظَمَ نِعَمَ اللَّهِ تَعَالَى أَتْرَا ، وَأَعْلَاهَا خَطَرًا ،
وَأَقْضَاهَا لِلْأُمَّةِ وَطَرًا ؛ وَأَحَقُّهَا بِأَنْ تَسْمَى نِعْمَةً ، وَأَجْدَرُهَا بِأَنْ تُعَدَّ رَحْمَةً ؛ وَأَسْمَاهَا
أَنْ تَكْشِفَ غُمَّهُ ، وَأَنْضَاهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَزَمَهُ ؛ وَأَمْضَاهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ
حَدًّا ، وَأَبْدَاهَا فِي الْجِهَادِ جِدًّا ؛ وَأَعْدَاهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ يَدًّا ، وَأَحْسَنَهَا فِعْلًا لِلْيَوْمِ
وَأَرْجَاهَا غَدًا ؛ وَأَفْرَجَهَا لِلْأَزْمَةِ وَقَدْ كَادَتْ الْأُمَّةُ تَصِيرُ سُدًى ، وَأَحَقُّ الْأَوْلِيَاءِ
بِأَنْ يَدْعَى لِلْأَوْلِيَاءِ سَيِّدًا ، وَأَبْقَاهُمْ فَعْلَةً لَا يَنْصَرِمُ فِعْلُهَا الَّذِي بَدَأَ أَبَدًا .

فَلْيَهَيِّئْكَ^(١) أَنْتَ حِزْبُ اللَّهِ الْغَالِبِ ، وَشِهَابُ الدِّينِ الثَّاقِبِ ، وَسَيْفُ اللَّهِ الْقَاضِبِ ؛
وِظْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُدُودِ ، وَمَوْرِدُ نِعْمَتِهِ الْمُرُودِ ، وَالْمَقْدَمُ فِي نَفْسِهِ وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا
لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ ؛ نَصْرَتُهُ حِينَ تَنْصَرُّ أَهْلُ الضَّلَالِ ، وَهَاجَرَتْ إِلَيْهِ هَاجِرًا بَرْدُ الزَّلَالِ ؛
وَبَرْدُ الظَّلَالِ ؛ وَخُضَّتْ بِحَارَ الْأَهْوَالِ ، وَفِي يَدِكَ أَمْوَاجُ الْبَصَالِ ؛ وَهِيَ فِي جِيدِكَ الْيَوْمِ
عِقْدُ جَوَاهِرٍ مِنْهُ وَنَظْمُ لآلٍ ، بَلْ قَدْ بَلَغَتْ السَّمَاءَ وَزُيِّنَتْ مِنْكَ بِنُجُومِ نَهَارٍ لَا تُجُومُ
لَيْالٍ ؛ وَكُشِفَتْ الْغَمَاءُ وَهِيَ مُطْبِقُهُ ، وَرَفَعَتْ نَوَاطِرَ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَهِيَ مُطْرِقُهُ ؛
وَعَقَصَتْ أَعْنَةَ الطُّغْيَانِ وَهِيَ مُطْلَقُهُ ، وَأَعَدَّتْ بِمُحَنِّكَ عَلَى الدَّوْلَةِ الْعَلَوِيَّةِ بِهَجَّةٍ
شَبَابِهَا الْمُؤَنِقَةِ ؛ وَأَنْقَذَتْ الْإِسْلَامَ وَهُوَ عَلَى شَفَى جُرْفٍ هَارٍ ، وَنَفَذَتْ حِينَ لَا تَنْقُذُ

(١) فِي الْأَصْلِ فَلْيَهَيِّئْكَ . وَفِي اللَّسَانِ ج ١ ص ١٨٠ « وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِيَهَيِّئْكَ الْفَارِسُ بِحِزْمِ الْهَمْزَةِ
وَلِيَهَيِّئْكَ الْفَارِسُ بِيَاءٍ سَاكِنَةٍ وَلَا يَجُوزُ لِيَهَيِّئْكَ كَمَا تَقُولُ الْعَامَّةُ » . فَتَنَهُ .

السَّهام عن الأوتار؛ وسمعت دَعْوَتَهُ على بُعد الدار، وأبصرت حقَّ الله ببصيرتك وكنَّ من أناس لا يروونه بأبصار؛ وأجلت طاغية الكُفر وسواك اجتذبه، وصدقت الله سبحانه حين دأهته منْ لا بصيرة له وكذَّبه؛ وأقدست على الصَّليب وجمراته متوقِّده، وقاتلت أولياء الشيطان وعمراته متمرَّده؛ وما يومك في نُصرة الدولة بواحد، ولا أمسك بمجحود وإن رَغِمَ أنفُ الجاحد؛ بل أوجبت الحقَّ بهجرة بعد هجره، وأوجبت دَعْوَةَ الدين قائماً بها في غمرة بعد غمره؛ وأقترعت صهوة هذا المحلِّ الذي رَقَّك إليه أمير المؤمنين باستحقاقك، وأمات الله العاجزين بما في صُدُورهم من حَسرات لحاقك؛ وكنْتَ البعيدَ القريب نُصْحُهُ، المحجوبَ النافذَ بحجَّته المذعورة أعداء أمير المؤمنين [به] إن فُوقَ سَهْمُهُ أو أُشْرِعَ رُحْمُهُ؛ وما ضَرَّكَ أنْ يَخِطَّكَ أعداءُ أمير المؤمنين وأمير المؤمنين قد أرْتَضاكَ، ولا أنْ مَنَعَكَ المُعانِدُ حَقَّكَ وقد قضى لك وأقتضاكَ؛ وما كان في مُحاجرتك عن حَظِّكَ من خدمة أمير المؤمنين الذي أنتَ به منه أولى، ومُدافعتك عن حَقِّكَ في قُرب مقامه الذي لا يستطيع طَوْلاً؛ إلا مغالبةُ الله فيكَ والله غالبٌ على أمره، ومباعدتك وقد قربك الله من سِرِّ أمير المؤمنين وإن بُعدتَ من جَهره؛ استَشرفْتَكَ الصُّدُور، وتطلَّعت إليك عيونُ الجُهور، وأستوجبْتَ عقيلةَ النعم بما قدمتَ من المهور؛ ونصرتَ الإيمانَ بأهله، وأظهرتَ الدينَ بمظاهرك على الدينِ كُلِّه؛ وناهضتَ الكُفْرَةَ بالباعِ الأشدَّ والرأى الأسدَّ، ونادتهم سيوفُك : - ولا قَرَّارَ على زَأْرِ مِنَ الأسد - وأدال الله بك من قَدَمٍ على ما قَدَمَ، ونَدِمَ فما أغنى عنه النَّدَمُ؛ حينَ لَجَّ في جَهلته، وتمادى في ضلَّالته؛ وأستمرَّ على استِطالته، وتوالى منه عَثَرَاتُ ما أتبعها باستِقالته؛ فكم أجتاحَ للدولة رجالاً، وضيقَ من أرزاقِهِم جبالاً؛ وسلبَ من خزائنها ذخائرَ وأسلحةً وأموالاً، ونقلها من أيدي أوليائها إلى أعداءِ الله تبارك وتعالى؛ واتَّسعتْ هَفَواته عن التعديدِ،

وما العهدُ منها ببعيد ؛ وقد نسخَ الله تعالى بك حوادثها فوجب أن تُنسخَ أحاديثها ،
 وأتى الأئمة منك بمن هو وليها والأئمة بمن هو مُغيثها ؛ ودعاك إمامَ دُعرك بقلبه
 ولسانه وخطه على بُعد الدار ، وتحقق أنك تتصرف معه حيث تصرف وتدور معه
 حيث دار ، واختارك على ثقة من أن الله تعالى يُجده فيك عواقب الاختيار ؛ ورأى
 لك إقدامك ورقاب الشرك صاغره ، وقُدومك وأفواه المخاوف فاعِره ، وكرّتك
 في طاعته وأبى الله تعالى أن تكونَ خاسره ؛ وسَطًا بك حين تمالي بك المشركون ،
 وتمثلَ لرسُلهم بقوله سبحانه : ﴿ أَحْسَسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴾ وَأَنْفَتَ عِزَّتَهُ هُجْنَةً
 الهُذْنَةَ ، وقال لأوليائه : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ وَأَزْدَرَى بَحَاذِيرِهِمْ أَنْتَظَارًا
 لَوْصُولِكَ بِأَسُودِ الْإِسْلَامِ ، وصَبَرَ على علم أنك تُلَبِّي نِدَاءَهُ بِالسَّنةِ الْأَعْلَامِ قَبْلَ السَّنةِ
 الْأَقْلَامِ ؛ فَكُنْتَ حَيْثُ رَجَا وَأَفْضَلَ ، وَوُجِدْتَ بِحَيْثُ رَعَى وَأَعْجَلَ ؛ وَقَدِمْتَ
 فَكَتَبَ اللَّهُ لَكَ الْعُلُوقَ ، وَكَبَتَ بِكَ الْعَدُو ؛ وَجَمَعَ عَلَى التَّوْفِيقِ لَكَ طَرَفِي الرِّوَاكِ
 وَالْقُدُوقِ ، وَلَمْ يَلَيْسَ الْكَافِرُ لِسَهَامِكَ جُنَّةً إِلَّا الْفِرَارُ ، وَكَانَ ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ
 مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَالَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ فَاللهُ دَرَكُ حِينَ قَانَلْتَ بِحَبْرِكَ ، قَبْلَ عَسْكَرِكَ ،
 وَنَصِرْتَ بِأَنْيَرِكَ ، قَبْلَ عَشِيرِكَ ؛ وَأَكْرَمَ بِكَ مِنْ قَادِمِ خَطَوَاتِهِ مَبْرُورَهُ ، وَسَطَوَاتِهِ
 لِلْأَعْدَاءِ مُبِيرَهُ ، وَكُلَّ يَوْمٍ مِنْ أَيْامِهِ يُعَدُّ سِيرَهُ ؛ وَإِنَّكَ لِمَبْعُوثٌ إِلَى بِلَادِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 بَعَثَ السَّحَابَ الْمُسَخَّرَ ، وَمَقَدَّمٌ فِي النَّبِيَّةِ وَإِنْ كُنْتَ فِي الزَّمَانِ الْمَوْتَحَرِّ ، وَطَالِغٌ بِفِئَةِ
 الْإِسْلَامِ ذَيْرٍ بَعِيدٍ أَنْ يُفِيءَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِلَادَ الْكُفَّارِ ، وَرِجَالِ جِهَادٍ عَدَدَنَاهُمْ عِنْدَنَا مِنْ
 الْمُصْطَفِيِّينَ الْأَخْيَارِ ؛ وَأَبْنَاءَ جِلَادٍ يَشْتَرُونَ الْجَنَّةَ بِعَزَائِمِ كَالِنَارِ ، وَغُرَرِ نَصِيرِ سُكُونِ
 الْعَدُوِّ بَعْدَهَا غُرُورٌ وَنَوْمُهُ غِرَارٌ .

ولما جرى من جرى ذكرك على عادته في إيمائك والإيماء منك بكواذب
 الظنون ، ورأى رجعتك عن الحضرة وقد قرت بك الدار وقرت بك العيون ؛ وكان

كما قال الله تعالى في كتابه المكنون : ﴿ لَقَدْ ابْتَدِئُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ ^(١) هناك عَصَبَتْ نفوس الإسلام ففتكت به أيديها ، وكشفت له عن غطاء العواقب التي كانت منه مباديها ؛ وأخذه من أخذه أليمٌ شديد ، وعدل فيه من قال ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ .

ولما نشرت لواء الإسلام وطواه ، وعصدت الحق وأضعف قواه ؛ وجنبت عقيب ما نويت وجنى عقيب ما نواه ، وأبنت إلا إمضاء العزم في الشك وما أمضاه ؛ ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله ﴾ ودفعت الخطب الأشق ، وطلعت أنوار النصر مشرقة بك وهل تطلع الأنوار إلا من الشرق ؟ وقال لسان الحق : ﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ ﴾ ، قضى الله تعالى إلى أمير المؤمنين عُدَّةً قدمها ثم قضاهَا ، وولاه كما ولي جده صلى الله عليه وسلم قبلةً يرضاهَا ؛ وأنتصر له بك انتصاره لأهل البيت بسلمانه وعماره ، وأنطق أمير المؤمنين باصطفائك اليوم وبالأمس كنت عقد إضماره ؛ وفلذلك أمير المؤمنين أمر وزارته ، وتدير مملكته وحيطة ما وراء سرير خلافته ، وصيانة ما أشتملت عليه دعوة إمامته ، وكفالة قضاة المسلمين ، وهداية دعاة المؤمنين ؛ وتدير ماعدقه الله بأمر المؤمنين من أمور أوليائه أجمعين ، وجنوده وعساكره المؤيدين ، المقيمين منهم والقادمين ؛ وكافة رايَا الحضرة بعديها ودانيها ، وسائر أعمال الدول باديها وخافيا ؛ وما يفتح الله تعالى على يديك من البلاد ، وما تستعيده من حقوقه التي اغتصبها الأضداد ؛ وألقى إليك المقاليد بهذا التقليد ؛ وقرب عليك كل غرض بعيد ؛ وناط بك العقد والحل ، والولاية والعزل ، والمنع

(١) في اللسان "عصبت الابل وعصبت بالكسر اذا اجتمعت" . ولعل هذا مراده ان لم يكن اهل

نقطه وأصله غضبت . تأمل .

الوطاة ما أستطعت عنهم ؛ وبدلهم من بعد خوفهم أننا ، وكف من يعترضهم في عرض هذا الأدنى .

والجهاد فهو سلطان الله تعالى على أهل العناد ؛ وسطوة الله تعالى التي يُمضيها في شرّ العباد على يد خير العباد ؛ ولك من الغناء فيه مصرا وشاماً ، وثبات الجأش كراً وإقداماً ؛ والمصاف التي ضربت فكنت ضارب كُتبتها ، والمواقف التي اشتدت فكنت فارح هبواتها ؛ والتدريب الذي أطلق جدك ، والتجريب الذي أوري زندق ، [ما] يُغني عن تجديد الوصايا البسيطة ، وتأكيد القضايا المحيطة ؛ وما زلت تأخذ من الكفار باليمن ، وتعظم فتوحك في بلاد الشمال فكيف تكون في بلاد اليمن ؛ فاطلب أعداء الله براً وبحراً ، وأجلب عليهم سهلاً ووعراً ؛ وقسم بينهم الفتكات قتلاً وأسراً ، وغارة وحصراً ؛ قال الله تعالى في كتابه المكنون : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

وتوفيق الله تعالى يفتح لك أبواب التدبير ، وخبرتك تُدلك على مرشد الأمر : ﴿ وَلَا يَنْبُئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ﴾ فانت تبتدع من المحاسن ما لا تُحيط به الوصايا ، وتخترع من الميامن ما يتعترف بركاته الأولياء والرعايا ؛ والله سبحانه وتعالى يحقق لأمر المؤمنين فيك أفضل الخايل ، ويفتح على يدك مستغلق البلاد والمعاقل ؛ ويصيب بيسهامك من الأعداء التهور والمقاتل ، ويأخذ للإسلام بك ماله عند الشرك من الثارات والطوائل ؛ ولا يضيع لك عملك في خدمة أمير المؤمنين إنه لا يضيع عمل دامل ، ويحوي الأرزاق والآجال بين سيبك الفاضل وحكمك الفاضل ؛ فأعلم هذا من أمر أمير المؤمنين ورسمه ، وأعمل بموجبه وحكمه ؛ إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .



وعلى نحو منه كتب القاضى الفاضل أيضا عهدَ الملكِ الناصر ، صلاح الدين يوسف بن أيوب بالوزارة عن العاضد أيضا ، وهذه نسخته :

من عبد الله ووليه عبد الله أبى محمد الإمام العاضد لدين الله أمير المؤمنين ، إلى السيد الأجل (على نحو ما تقدم فى تقليد عمه أسد الدين شيركوه) .

أما بعد ، فالحمد لله مصرفِ الأقدارِ ومشرّفِ الأقدار ، ومُحْصِي الأعمالِ والأعمالِ ؛ ومبْتَلِي الأخيارِ والأبرار ، وعالمِ سِرِّ الليلِ وجَهْرِ النهار ؛ وجاعِلِ دولةِ أمير المؤمنين فلِكَا تتعاقبُ فيه أحوالُ الأُمَمِ : بين آتِقضاءِ سِرِّارِ وآسْتِقْبَالِ إِبْدَارِ ؛ ورَوْضًا إذا هَوَتْ فيه الدُّوحَاتُ أُنِيعَتِ القُرُوعُ سَابِقَةَ النُّوَارِ بِاسِقَةِ النُّمَارِ ؛ ومُنْجِدِ دعوته بالقُرُوعِ الشَّاهِدَةِ بِفَضْلِ أَصُولِهَا ، والجواهرِ المستخرجة من أَمْضَى نُصُولِهَا ، والقائمِ بِنُصرةِ دولته فلا تزال حتى يرثَ الله الأرضَ ومنَ عليها قائمةً على أَصُولِهَا .

والحمد لله الذى اختارَ لأَمرِ المؤمنين ودلَّهُ على مَكَانِ الإِخْتِيَارِ ، وأَغْنَاهُ بِاقتضابِ الإِلْهَامِ عن رَوِيَّةِ الإِخْتِبَارِ ؛ وَعَضَّدَ به الدينَ الذى آرْتَضَاهُ وَعَضَّدَهُ بِمِنْ آرْتَضَاهُ ، وَأَنْجَزَهُ مِنْ وَعْدِ السَّعْدِ مَا قَضَاهُ قَبْلَ أَنْ أَقْتَضَاهُ ، ورفعَ محَلَّهُ عن الخلقِ فَكُلُّهُمْ مِنْ مُضَافٍ إِلَيْهِ غَيْرُ مُضَاهٍ ؛ وجعلَ مَمْلَكَتَهُ عَرِيْنًا لاعتزازها بِالْأَسَدِ وشِبْلِهِ ، ونَعَمَتَهُ مِيرَاثًا أَوْلَى بِهَا ذَوِي الأَرْحَامِ مِنْ بَنِي الوَلَاءِ وَأَهْلِهِ ، وأَظْهَرَ فى هذه القضيةِ ما أَظْهَرَهُ فى كُلِّ القَضَايَا مِنْ فَضْلِ أمير المؤمنين وَعَدْلِهِ ؛ فَأَوْلِيَاؤُهُ كَالْآيَاتِ الَّتِي تُتَسَّقِ دَرَارِيْ أَفْقِهَا المُنِيرِ ، وَتَتَسَّقِ دُرَرِ عِقْدِهَا النِّظِيمِ النِّصِيرِ : ﴿ مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِئُهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ نَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

والحمد لله الذى أتمَّ بأمر المؤمنين نعمة الإرشاد ، وجعله أَوَّلَى مَنْ لَخَلَقَ سَادَ وَلَحَقَّ شَادَ ، وآثره بِالْمَقَامِ الذى لا يُبْنَى إِلَّا لَهُ فى عَصْرِهِ ، وأظهر له من معجزات نصره مالا يَسْتَقِيلُ الْعِدُّ بِحُصْرِهِ ، وجمع لمن والاه بين رَفْعِ قَدْرِهِ وَوَضْعِ إِصْرِهِ ، وجعل الإمامة محفَوظَةً فى عَقِبِهِ والمعقبات تحفَظُهُ بأمره ، وأودعه الحِكمَ التى رآه لها أَحَوطَ من أودعه ، وأطلع من أنوار وجهه الفجر الذى جَهِلَ من ظَنٍّ غير نُورِهِ مَطْلَعِهِ ، وآتاه ما لم يُؤْتِ أَحَدًا ، وأمات به غِيًّا وأحيا رَشَدًا ، وأقامه للدين عاضدا فأصبح به معتضدا ، وحفِظَ به مَقَامَ جَدِّهِ وإن رَغِمَ المُستَكْبِرُونَ ، وأنعم به على أُمَّتِهِ أَمَانًا لولاه ما كانوا يَنْظُرُونَ ولا يُبْصِرُونَ ، ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ .

يُجِدُّهُ أمير المؤمنين على ما آتاه من توفيقٍ يُدَلِّلُ له الصَّعْبَ الجالِحَ ، ويُذِنُ منه البعيدَ النَّازِحَ ، ويُخَلِّفُ على الدين من صلاحِهِ الخلفَ الصالحَ ، ويُلْزِمُ آراءَهُ جَدَّ السُّعُودِ الواضِحَ ، ويُريهِ آياتِ الإرشادِ فَإِنَّهُ نَازِحٌ (؟) قَدَحَ القَادِحَ ، ويسأله أن يصلَّى على جَدِّهِ محمدٍ الذى أنجى أَهْلَ الإِيْمَانِ بِبَعْثِهِ ، وطَهَّرَ بِهِدْيِهِ مَنْ رَجَسَ الكُفْرَ وخَبَثَهُ ، وأجار بِاتِّبَاعِهِ مَنْ عَنَتِ الشَّيْطَانُ وَعَبَثَهُ ، وأَوْصَحَ جَادَةَ التَّوْحِيدِ لكلِّ مُشْرِكٍ الاعتقادَ مِثْلَتَهُ ، وعلى أبنينا أمير المؤمنين على بن أبى طالب الذى جادَلَتْ يَدُهُ بِلِسَانِ ذِي الْفَقَارِ ، وَقَسَمَ وَلَاؤَهُ وَعَدَاوَتُهُ بَيْنَ الْأَقْيَاءِ وَالْأَشْقِيَاءِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، وعلى الأئمة من ذُرِّيَّتِهِمَا الذين أَدَلَّ اللَّهُ بِعِزَّتِهِمْ أَهْلَ الْإِلْحَادِ ، وَأَصْفَى بِمَا سَفَكُوهُ مِنْ دِمَائِهِمْ مَوَارِدَ الرِّشَادِ ، وَجَرَتْ أَيْدِيهِمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِأَقْوَاتِ الْقُلُوبِ وَأَرْزَاقِ الْعِبَادِ ، وَسَلَّمْ وَمَجِّدْ ، ووالى وَجَدَّ .

وإن الله سبحانه ما أخلى قط دولة أمير المؤمنين التي هي مهبط الهدى ومحط
الندى، ومورد الحياة للولى والردى للعدا، من لطف يتلافى الحادثة ويتسببها
ويرأبها، ونعمة تبلغ بها النفوس أربها، وموهبة تسد موضع الكلم، وتسد
موضع السلم، وتجل غمائم الغم، وتخل مغامير النعم، وتستوفي شرائط المناسج،
وتستدنى قوارط المصالح، ولم يكن ينسئ الحادثة في السيد الأجل الملك المنصور
رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة مثقله ومثواه، التي كادت لها أوانى الملك^(١)
تترزع، ومباني التدبير تتضعع، إلا ما نظر فيه أمير المؤمنين بنور الله
من أصطفائك أيها السيد الأجل الملك الناصر: - أدام الله قدرتك - لأن تقوم
بخدمته بعده، وتسد في تقدمه جيوشه مسده، وتقو في ولاته أثره، ولا تفقد منه
إلا أثره، فوازت الفادحة فيه النعمة فيك، حتى تستوفي حظها من أمير المؤمنين بأجر
لا يضيع الله فيه عمله، فاستوجب مقعد صدق بما اعتقده من تأدية الأمانة له
وحمله، واستحق أن ينضر الله وجهه بما أخلقه الله من جسمه في مواقف الجهاد
وبدله، ومضى في ذمام رضا أمير المؤمنين: وهو الذمام الذي لا يقطع الله منه
مأمره أن يصله، وأتبع من دعائه بخف أول ما تلقاه بالروح والريحان، وذخرت
له من شفاعته ما عليه معول أهل الإيمان في الأمان، فرعى الله له قطعه البيداء
إلى أمير المؤمنين وتجشمه الأسفار، ووطأه المواطن التي تغيظ الكفار، وطلوعه
على أبواب أمير المؤمنين طلوع أنوار النهار، وهجرته التي جمعت له أجرين: أجر
المهاجرين وأجر الأنصار، وشكره ذلك المسعى الذي بلغ من الشرك النار، وبلغ

(١) الأوانى جمع أخية وهي عود يعرض في الحائط ويدفن طرفاه فيه ويصير وسطه كالعروة تشد إليه

الذئابة - انظر اللسان ج ١٨ ص ٢٤٠

الإسلام الإيثار . وما لقي ربه حتى تعرض للشهادة بين مختلف الصفاح ، ومشتجر
الرماح ، ومفترق الأجسام من الأرواح ؛ وكانت مشاهدته لأمر المؤمنين أجراً فوق
الشهادة ، ومِنَّة الله تعالى عليه له بها ما للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ؛ وحتى رآك
أيها السيد الأجل الملك الناصر - أدام الله قدرتك - قد أقررت ناظره ، وأرغمت
مُناظره ؛ وسدّدت سلطانه ، وسدّدت مكانه ؛ ورعى بك فأصاب ، وسقى بك
فصاب ، وجمعت ما فيه من أبهة المشيب إلى ما فيك من مضاء الشباب ؛ ولقيت
ما أفادته التجارب بحمله ، وأعانتك المحاسن التي هي فيك جُله ؛ وقلّب عليك إسناد
الفتكات فتقلّبت ، وأوضح لك منهاج البركات فتقلّبت ؛ وسدّدتك تنهما ، وجرّدك
شهما ؛ وانتضاك فارتضاك غربا ، وآثرك على آثر ولده إمامة في التدبير وحرّبا ؛
وكنّيت في السلم لسانه الآخذ بجامع القلوب ، وفي الحرب سنانَه النافذ في مضايق
الخطوب ، وساقته إذا طَلَب ، وطليعته إذا طَلَب ، وقلّب جيشه إذا ثبّت
وجناحه إذا وثب ؛ ولا عُدّ لشلّ نشأ في حجر أسد ، ولا لهلّال استنلّي النور من
شمس وأسَمَد :

هذا ولو لم يكن لك هذا الإسناد في هذا الحديث ، وهذا المُسنَد الجامع من قديم
الفخر وحديث ؛ لأغنتك غريزة عزيزة وبحيّة سحيّة وشيعة وسيمة ، وخلّاتق ، فيها
ما يُحبّ الخلائق ، ونَحَازِر ، لم يحز مثلها حائز ؛ ونَحَاسِن ، ماؤها غيرُ أسِن ، وماثرُ جَد
غير عائر ؛ ومفانِر ، غفل عنها الأَوَّل : ليستأثر بها الآخر ؛ وبراعة لسان ، ينسجِم
قطارها ، وشجاعة جَنان ، تضطّرم نارها ؛ وخِلالٌ جِلالٌ عليك شواهد أنوارها
تنوّج ، ومَساعي مُساعدٍ لديك كائِمُ نورها تتفتح ؛ فكيف وقد جمعت لك في المجد
بين نفس وأبٍ وعمّ ، ووجب أن سألَكَ من أصطفاه أمير المؤمنين ماذا حصل ثمّ
على الخلق عمّ ؛ فيومك واسطة في المجد بين غديك وأميسك ، وكلّ ناي من أنديّة الفخار

لك أن تقول فيه وعلى غيرك أن يمسك ؛ فبشرارك أن أنعم أمير المؤمنين موصولةً
منكم بوالدٍ وولدٍ ، وأن شمس ملكه بكم كالشمس أقوى ما كانت في بيت الأسد .

ولما رأى الله تقلب وجه أمير المؤمنين في سماءه ولآه من اختيارك قبله ، وقامت
محجته عند الله باستكفائك وزيراً له ووزراً لله ؛ فناجته مرشد الإلهام ، وأضاءت
له مقاصد لا تمقلها كل الأفهام ؛ وعزم له على أن قللك تدير مملكته الذي أعرفت
في إزته وأغرقت في كسبه ، ومهد لك أبعاد غاية في الفخر بما يسر لك من قربه ؛
ولقد سبق أمير المؤمنين إلى اختيارك قبل قول لسانه بضمير قلبه ، وذَكَرَ فيك قول
ربه : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾ . وقللك لأنك سيفٌ من سيوف الله
تعالى يحق به التقلد وله التقليد ، وأصطفاك على علم بأنك واحدٌ متَّظِمٌ في معنى
العديد ؛ وأخيا في سلطان جُيُوشه سنة جدّه الإمام المستنصر بالله في أمير جُيُوشه
الأول ، وأقامك بعده كما أقام بعده ولده وإنه ليرجو أن تكون أفضل من الأفضل ؛
ونخرج أمره إليك بأن يؤعز إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السَّجَل لك بتقليدك
وزارته التي أحلك ربوتها ، وأحل لك صهوتها ؛ وحللك نعمتها ، و
لك

نعمتها ؛ فتقلد وزارة أمير المؤمنين من رتبها التي تناهت في الإفاة ، إلى أن لارتبة
فوقها إلا ما جعله الله تعالى للخلافه ؛ وتبوأ منها صدرا لا تتطلع إليه عيون الصدور ،
وأعتقل منها في درجة على مثلها تدور البُذور : ﴿ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ
عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ : وقُلِ ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ .
وباشر مستبشرا ، وأستوطن متديرا ؛ وأبسط يدك فقد فوض إليك أمير المؤمنين
بسطا وقبضا ، وأرفع ناظرَكَ فقد أباح لك رفعا وخفضا ؛ وأثبت على درجات

السعادة فقد جعل لحُكْمِكَ تَثْبِيْتًا وَدَحْضًا ، وَاعْقَدُ حُبِّي الْعَزَمَاتِ لِلصَّالِحِ فَقَدْ أَطْلَقَ
بِأَمْرِكَ عَقْدًا وَنَقَضًا ؛ وَأَنْفُذْ فِيمَا أَهْلَكَ لَهُ فَقَدْ أَدَّى بِكَ نَافِلَةً مِنَ السِّيَاسَةِ وَفَرْضًا ؛
وَصَرَّفْ أُمُورَ الْمَمْلَكَةِ فَإِلَيْكَ الصَّرْفُ وَالتَّصْرِيفُ ، وَتَقَفْ أَوْدَ الْأَيَّامِ فَعَلَيْكَ أَمَانَةُ
التَّهْدِيبِ وَالتَّثْقِيفِ ؛ وَاسْتَحْبُ ذُبُولَ الْفَخَّارِ حَيْثُ لَا تَصِلُ التِّيَّجَانُ ، وَأَمْلًا لِحُظَا مِنْ
نُورِ اللَّهِ تَعَالَى حَيْثُ تَتَّقِي الْأَبْصَارُ لِحَيِّينَ الْأَجْفَانِ ؛ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ فَارْتَبِطْهُ
بِالتَّقْوَى الَّتِي هِيَ عُرْوَةُ النَّجَاةِ وَذَخِيرَةُ الْحَيَاةِ وَالْمَمَاتِ ، وَصَفْوَةُ مَا تَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ
مِنَ الْكَلِمَاتِ ؛ وَخَيْرُ مَا قَدَّمَتْهُ النُّفُوسُ لِنَفْسِهَا فِي أَمْسِهَا ، وَجَادَلَتْ [بِهِ] يَوْمَ تَجَادِلُ كُلُّ
نَفْسٍ عَنْ نَفْسِهَا ؛ قَالَ اللَّهُ سَبِّحَانَهُ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا : ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ
أَتَتْهُ وَلَا تُظْلَمُونَ فَيَلًا ﴾ . وَاسْتَمِّ بِالْعَدْلِ نِعَمَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ ، وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ
اللَّهُ إِلَيْكَ ؛ وَأَمُرٌ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهِ ، وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ كَمَا كُنْتَ تَنْزَعُ عَنْ فِعْلِهِ .
وَأَوْلِيَاءُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْصَارُهُ الْمَيَّامِينَ ، وَمَنْ يُحْفُ بِمَقَامِ مُلْكِهِ مِنَ الْأَمْرَاءِ
الْمَطُوقِينَ ، وَالْأَعْيَانِ الْمَعْصِيِينَ ، وَالْأَمَانِلِ وَالْأَجْنَادِ أَجْمَعِينَ ؛ فَهُمْ أَوْلِيَاؤُهُ حَقًّا ،
وَمَالِكُهُ رِقًّا ، وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ سَبْقًا ، وَأَنْصَارُهُ غَرَبًا كَمَا أَنَّ عَسَاكَ
أَنْصَارُهُ شَرْقًا ؛ فَهُمْ وَهُمْ يَدٌ فِي الطَّاعَةِ عَلَى مَنْ نَاوَاهُمْ ، يَسْعَى يَذِمُّهُمْ أَذْنَاهُمْ ؛ وَتَحْكُمُ
فِيهِمْ وَأَنْتَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَاهُمْ .

هَذَا وَقَدْ كَانَ السَّيِّدُ الْأَجَلُ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - اسْتَمَطَّرَ لَهُمْ [مِنْ]
لِإِنْعَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَسَاحَةِ بَعْلَقِهِمْ ، وَوَأَسَى^(١) فِي هَذِهِ الْمُنْقَبَةِ الَّتِي اسْتَحَقَّ بِهَا حُسْنَ
الذِّكْرِ بَيْنَ طَوَائِفِهِمْ وَفِرْقِهِمْ ، فَصَنَّهُمْ مِنْ جَائِحَاتِ الْإِعْتِرَاضِ ، وَأَبْدَلَ لَهُمْ صَالِحَاتِ
الْإِغْرَاضِ ؛ وَارْفَعَ دُونَهُمُ الْحِجَابَ ، وَيَسَّرَ لَهُمُ الْأَسْبَابَ ، وَاسْتَوْفَ مِنْهُمْ عِنْدَ

(١) لَعَلَهُ وَسَاوَى كَمَا لَا يَحْفَى .

الحُضور إليك غاياتِ الخطاب ؛ وصرفهم في بلاد أمير المؤمنين ولاةً وحماة ،
كما تُصرفهم في أوقاتِ الحرب لُماةً وكُناه ؛ وعرفهم بركةِ سلطانك ، وأقتد قلوبهم
بزمام إحسانك .

وأما القضاة والُدعاةُ فهم بين كفالتك وهديك ، والتصريف على أمرِك
ونهيك ؛ فاستعمل منهم مَنْ أحسنَ عملاً ، فأما بالعنايات فلا .

والجهاد فانت راضعُ دَره ، وناشئةُ حَجَره ؛ وظهورُ الخيلِ مواطنك ، وظلال
الجليل مساكك ؛ وفي ظلماتِ مَشايك ، نُجلى محاسنك ، وفي أعقابِ نَوازله ، تُتلى
ميامنك ؛ فشمر له غن ساقٍ من القنا ، وحُض فيه بحرًا من الطُّبّا ، وأخلُ فيه عُقْدَة
كلماتِ الله سبحانه وثِقاتِ الحُبى ؛ وأسلِ الوهادَ بدماءِ العدا وأرفعَ برءوسهم الرُّبّا ؛
حتى يأتى اللهُ بالفتح الذى يرجو أمير المؤمنين أن يكونَ مذخوراً لأَيامك ، ومشهوداً
به يومَ مقامك بين يديه من لسانِ إمامك .

والأموالُ فهى زُبدةُ حَلَبِ اللُّطف لا العُنف ، وجمَّةٌ يمتريها الرِّفق لا العسْف ،
وما يرحتُ أجدَ ذخائرَ الدُّول للصفوف ، وأحدُ أسلِحَتها التى تَمضى وقد تَنسُو
السُّيوف ؛ فقدم للبلادِ الاستعمار ، تُقدم لكِ الاستِثمار ، وقطرةٌ من عدلٍ تنحربها
من مالٍ بحار .

والرعايا فهم ودائعُ الله لأَمرِ المؤمنين وودائعُهم لديك ، فاقبض عنهم الأيدي
وأبسط بالعدلِ فيهم يديك ؛ وكُن بهم رؤوفاً ، وعليهم عطفوفاً ؛ وأجعل الضعيفَ منهم
فى الحقِّ قوياً واقوياً فى الباطلِ ضَعيفاً ؛ ووكلْ برعايتهم ناظرَ آجتِهَادك ، وأجعل
ألسنتهم بالدعاء من سلاحك وقلوبهم بالحبَّة من أجدادك ؛ ولو جاز أن يستغنى عن

الوصية قائم بأمر، أو جالس في صدر، لاستغنىت عنها بفضلك الزكية، وفطرتك الذكية؛ ولكنها من أمير المؤمنين ذكرى لك وأنت من المؤمنين، وعراة بركة فتلق رايها باليمين؛ والله تعالى يؤيدك أيها السيد الأجل - أدام الله قدرتك - بالنصر العزيز، ويقضى لدولة أمير المؤمنين على يدك بالفتح الوجيز؛ ولأهلها في نظرك بالأمر الحريز، ويمتد دست الملك بحلي مجديك الإبريز؛ ويقر عيون الأعيان بما يظهر لك في ميدان السعادة من السبق والتبريز؛ ويملك من نخلة أنعم أمير المؤمنين بما ملكك إياه ملك التحويز؛ ويلحق بك في المجد أولك، ويحمد فيك العواقب ولك؛ فأعلم ذلك من أمر أمير المؤمنين ورسمه، وأعمل بموجبه وحكمه؛ إن شاء الله تعالى .

المذهب الثالث

(أن يفتح العهد بخطبة)

وهو ما حكاه في " التعريف " عن صاحب نحر الدين إبراهيم بن لقمان، فيما كتب به للظاهر بيبرس، وذكر أن ابن لقمان ليس بخطبة . ثم قال : على أن الفاضل محي الدين بن عبد الظاهر قد تبعه فيما كتب به للنصور قلاوون .

قلت : ليس ابن لقمان هو المبتكر لهذا المذهب، بل كان موجودا معمولا به . استعمله كتاب الإنشاء بديوان الخلافة ببغداد قبل ذلك بزمن طويل، وهو منبع الكتابة الذي عنه يصدر الترتيب، وقاعدتها التي يبنى عليها المصطلح . وعليه كتب عهد العادل أبي بكر بن أيوب أنحى السلطان صلاح الدين يوسف « من بغداد » .^(١) وإلى مال ابن الأثير في " المثل السائر " . وذكر أن الافتتاح بـ « هذا ماعهد » قد

(١) لعله لملك الكامل ابن الملك العادل الخ كما يفيد ما يأتي في صلب العهد . تأمل .

أَبْتَدِلَ بِكَثْرَةِ الْإِسْتِمَالِ ، وَأَبْنُ لِقْمَانَ تَابِعٌ لِمَتَّبِعٍ . عَلَى أَنْ إِنْشَاءَهُ يَدُلُّ عَلَى تَقَدُّمِهِ فِي الْكِتَابَةِ ، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ لَيْسَ بِحُجَّةٍ فَابْنُ الْأَثِيرِ حُجَّةٌ فِي هَذَا الشَّانِ ، يُرْجَعُ إِلَيْهِ وَيَعْمَلُ بِقَوْلِهِ ، وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ : ” كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَأْسٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ فَهُوَ أَجْدَمٌ “ . وَلِذَلِكَ مَالُ أَهْلِ الْعَصْرِ إِلَى اخْتِيَارِهِ وَالْعَمَلِ عَلَيْهِ ؛ إِلَّا أَنَّ فِيهِ مَخَالَفَةً لِمَا وَقَعَ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَمْرُؤُا بِنِ حَزْمٍ وَغَيْرِهِ مِنْ عُهُودِ الصَّحَابَةِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ .

وَبِكُلِّ حَالٍ فَأَهْلُ هَذَا الْمَذْهَبِ لَا يَخْرُجُونَ فِيهِ عَنْ ضَرِيَيْنِ : ضَرْبِ يَعْبرُونَ عَنْ الْأَوَامِرِ الْوَارِدَةِ فِي الْعَهْدِ عَنِ الْخَلِيفَةِ بِقَوْلِهِ : « أَمْرُهُ بِكَذَا وَأَمْرُهُ بِكَذَا » وَهِيَ طَرِيقَةُ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْهُمْ ، وَعَلَيْهَا كُتِبَ عَهْدُ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ الْمَشَارِإِلَيْهِ . وَضَرْبِ يَعْبرُونَ بِقَوْلِهِمْ « أَنْ يَفْعَلَ كَذَا وَكَذَا » وَمَا يَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى ، وَهِيَ طَرِيقَةُ أَهْلِ زَمَانِنَا .

وهذه نسخة العهد المكتوب به من ديوان الخلافة ببغداد عَلَى هذه الطريقة ،
لِلْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَيُّوبَ أَنْحَى السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ « يَوْسُفَ بْنِ أَيُّوبَ » وَهِيَ :
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْمَأَنَّتِ الْقُلُوبُ بِذِكْرِهِ ، وَوَجَبَ عَلَى الْخَلَائِقِ جَزِيلُ حَمْدِهِ
وَشُكْرِهِ ؛ وَوَسَّعَتْ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَتُهُ ، وَظَهَرَتْ فِي كُلِّ أَمْرٍ حِكْمَتُهُ ؛ وَدَلَّ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ
بِعَجَائِبِ مَا أَحْكَمَهُ صُنْعًا وَتَدْوِيرًا ، وَخَلَقَ كُلُّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ؛ مُدِّ السَّائِرِينَ
بِنِعْمِهِ الَّتِي لَا تُحْصَى عَدَدًا ، وَعَالِمِ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ؛ لَا مُعَقَّبَ
لِحُكْمِهِ فِي الْإِبْرَامِ وَالْتِقَاضِ ، وَلَا يَتَوَدُّهُ حِفْظُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ؛ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ

(١) تَقَدَّمَ قَبْلَ التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ . تَأَمَّلْ .

(٢) فِي الْأَصُولِ عَمِ السُّلْطَانِ وَهُوَ سَبْقُ قَلَمِ .

بُحْكِهِ الضَّمِير ، وَجَلَّ أَنْ يَبْلُغَ وَضْفَهُ الْبَيَانُ وَالتَّفْسِيرُ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ؛ وَابْتَعَثَهُ هَادِيًا لِلخَلْقِ ، وَأَوْضَحَ بِهِ مَنَاهَجَ الرُّشْدِ وَسُبُلَ الْحَقِّ ؛ وَأَصْطَفَاهُ مِنْ أَشْرَفِ الْأَنْسَابِ وَأَعَزَّ الْقَبَائِلِ ، وَأَجْتَبَاهُ لِإِضْاحِ الْبَرَاهِينِ وَالذَّلَائِلِ ؛ وَجَعَلَهُ لَدَيْهِ أَعْظَمَ الشُّفَعَاءِ وَأَقْرَبَ الْوَسَائِلِ ، فَقَدَفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ ؛ وَحَمَلَ النَّاسَ بِشَرِيعَتِهِ الْهَادِيَةِ عَلَى الْمَحَبَّةِ الْبِيضَاءِ وَالسَّنَنِ الْعَادِلِ ، حَتَّى اسْتَقَامَ أَعْوَجَاجُ كُلِّ زَائِعٍ وَرَجَعَ إِلَى الْحَقِّ كُلُّ حَائِدٍ عَنْهُ وَمَائِلٌ ؛ وَسَجَدَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ تَتَقِيًا ظِلَالَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْكَرَامِ الْأَفْاضِلِ ، صَلَاةً مُسْتَمِرَّةً بِالْغُدُواتِ وَالْأَصْبَاحِ ؛ خُصُوصًا عَلَى عَمِّهِ وَصْنُو أَبِيهِ الْعَبَاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الَّذِي أَشْتَهَرَتْ مَنَاقِبُهُ فِي الْمَجَامِعِ وَالْمَحَافِلِ ؛ وَدَرَّتْ بِرَكَّةِ الْإِسْتِسْقَاءِ بِهِ أَخْلَافُ الشُّعْبِ الْهَوَاطِلِ ، وَفَازَ مِنْ تَنْصِيصِ الرَّسُولِ عَلَى عَقِبِهِ فِي الْخِلَافَةِ بِمَا لَمْ يُفُزْ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْأَوَائِلِ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَازَ مَوَارِيثَ النُّبُوَّةِ وَالْإِمَامَةِ ، وَوَفَّرَ جَزِيلَ الْأَقْسَامِ مِنَ الْفَضْلِ وَالْكَرَامَةِ ؛ لِعَبْدِهِ وَخَلِيفَتِهِ ، وَوَارِثِ نَبِيِّهِ وَمُحِبِّي شَرِيعَتِهِ ؛ الَّذِي أَحَلَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ مَعَارِجِ الشَّرَفِ وَالْجَلَالِ فِي أَرْفَعِ دَرُورِهِ ، وَأَعْلَقَهُ مِنْ حُسْنِ التَّوْفِيقِ الْإِلَهِيِّ بِأَمْتِنِ عِصْمَةٍ وَأَوْثَقِ عُرْوَةٍ ؛ وَاسْتَخْرَجَهُ مِنْ أُنْبَرَفِ نِجَارٍ وَعُغْصَرٍ ، وَأَخْتَصَّهُ بِأَرْكَانِ مَنَحَةٍ وَأَعْظَمِ مَفْخَرٍ ؛ وَنَصَبَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ عَالِمًا ، وَأَخْتَارَهُ لِلْمُسْلِمِينَ إِمَامًا وَحَكَمًا ؛ وَنَاطَ بِهِ أَمْرَ دِينِهِ الْحَنِيفِ ، وَجَعَلَهُ قَائِمًا بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ بَيْنَ الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ ؛ إِمَامًا لِلْمُسْلِمِينَ ، وَخَلِيفَةً رَبِّ الْعَالَمِينَ ؛ أَيْ جَعَفَرُ الْمَنْصُورِ الْمُسْتَنْصَرِ بِاللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛

أَبْنُ الْإِمَامِ السَّعِيدِ التَّقِيِّ ، أَبِي نَصْرِ مُحَمَّدٍ الظَّاهِرِ بِأَمْرِ اللَّهِ ، أَبْنُ الْإِمَامِ السَّعِيدِ الْوَفِيِّ
أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ النَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ ، أَبْنُ الْإِمَامِ السَّعِيدِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمُسْتَضَى بِأَمْرِ اللَّهِ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ^(١) ، وَعَلَى آبَائِهِ الطَّاهِرِينَ ، الْأُئِمَّةِ
الْمُهَدِّدِينَ ؛ الَّذِينَ قَضَوْا بِالْحَقِّ وَبِهِ كَانُوا يَعْدِلُونَ ، وَلَقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ
وَهُمْ عَنْهُ رَاضُونَ .

وبعد ، فَبِحَسَبِ مَا أَفَاضَهُ اللَّهُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ - مِنْ
خِلَافَتِهِ فِي الْأَرْضِ ، وَفَوَّضَهُ إِلَى نَظَرِهِ الْمُقَدَّسِ فِي الْأُمُورِ مِنَ الْإِبْرَامِ وَالنَّقْضِ ،
وَمَا اسْتَخْلَصَهُ لَهُ مِنْ حِيَاطَةِ بِلَادِهِ وَعِبَادِهِ ، وَوَكَّلَهُ إِلَى شَرِيفِ نَظَرِهِ وَمُقَدَّسِ
أَجْتِهَادِهِ ؛ لَا يَزَالُ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ^(١) - يَكْلَأُ الْعِبَادَ بَعَيْنَ الرَّيَاةِ ، وَيُسَلِّكُ بِهِمْ
فِي الْمَصَالِحِ الْعَامَةِ وَالْخَاصَّةِ مَذَاهِبَ الرَّشْدِ وَسُبُلَ الْهِدَايَةِ ؛ وَيُنْشُرُ عَلَيْهِمْ جَنَاحِي
عَدْلِهِ وَإِحْسَانِهِ ، وَيُنْعِمُ لَهُمُ النَّظَرَ فِي أَرْتِيَادِ الْأُمْنَاءِ وَالصَّلَاحِ مِنْ خُلَصَاءِ أَكْفَائِهِ
وَأَعْوَانِهِ ؛ مَنْخِيَرًا لِلِاسْتِرْعَاءِ مَنْ اسْتَحْمَدَ إِلَيْهِ بِمَشْكُورِ الْمَسَاعِي ، وَتَعَرَّفَ إِلَيْهِ
فِي سِيَاسَةِ الرَّعَايَا بِجَمِيلِ الْأَسْبَابِ وَالذَّوَاعِي ؛ وَسَلَكَ فِي مَفْتَرَضِ الطَّاعَةِ الْوَاجِبَةِ عَلَى
الْخَلَائِقِ قَصْدَ السَّبِيلِ ، وَعُلِمَ مِنْهُ حُسْنُ الْأَضْطِلَاعِ فِي مَصَالِحِ الْمَسَالِمِينَ بِالْعِبَاءِ
الْقَبِيلِ ؛ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُؤَيِّدُ آرَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ^(١) - بِالتَّأْيِيدِ
وَالْتَّسَدِيدِ ، وَيُمَدِّدُ أَبَدًا مِنْ أَقْسَامِ التَّوْفِيقِ الْإِلَهِيِّ بِالْمَوْفُورِ وَالْمَزِيدِ ؛ وَيَقْرُنُ عِزَّ أَيْمَةِ
الشَّرِيفَةِ بِالْإِيمَنِ وَالنَّجَاحِ ، وَيُسَنِّئُ لَهُ فِيمَا يَأْتِي وَيَذَرُ أَسْبَابَ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ ؛
وَمَا تَوْفِيقُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ وَإِلَيْهِ يُنِيبُ .

(١) لم نقف على استعمال هذه الصيغة في عهود غير الفاطميين إلا في هذا العهد .

ولما وفق الله تعالى نصير الدين محمد بن سيف الدين أبي بكر بن أيوب من الطاعة المشهورة ، وانلحم المشكورة ، والحظوة في جهاد أعداء الدين بالمساعي الصالحة ، والفوز من المراضى الشريفة الإمامية - أجلها الله تعالى - بالمغانم الجزيلة والصفقة الراجحة ؛ لما وصل فيه سالف شريف الاختصاص بأنفه ، وشفع تالده في تحصيل مآثور الاستخلاص بطاريفه ؛ وأستوجب بسلوكة في الطاعة المفروضة مزيد الإكرام والتفضيل ، وصرع في الإنعام عليه بمنشور شريف إمامي يسلك في أتباعه هُداة والعمل بمراشده سواء الصراط وقصد السبيل - أقتضت الآراء الشريفة المقدسة - زادها الله تعالى جلالاً متألّق الأنوار ، وقُدسا يتساوى في تعظيمه من هو مستخف بالليل وسارب بالنهار - الإيعاز بإجابته إلى ما وجه أمله إلى الإنافة فيه به إليه ، والجذب بضبعيه إلى ذروة الاجتباء الذي تظهر أشعة أنواره الباهرة عليه ؛ فقلده - على خيرة الله تعالى - الزعامة والغلات ، وأعمال الحرب والمعاون والأحداث والخراج والضيايع والصدقات ، والجواري وسائر وجوه الجبايات ؛ والعرض والعطاء ، والنفقة في الأولياء ؛ والمظالم والحسبة في بلاده ، وما يفتتحه ويستولى عليه من بلاد الفرنج الملاحين ، وبلاد من تبرز إليه الأوامر الشريفة بقصده من الشاذين عن الإجماع المنعقد من المسلمين ؛ و[من] يتعدى حدود الله تعالى بخالفة من يصل (٩) من الأعمال الصالحات بولائه المفروض على الخلائق مقبولة ، وطاعته ضاعف الله جلاله بطاعته وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم موصولة ؛ حيث قال عز من قائل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ . واعتمد - صلوات الله عليه وسلامه - في ذلك على حسن نظره ومدد رعايته ، وألقى مقاليد التفويض إلى وفور آجهاده وكال سياسته ؛ وخصه من هذا الإنعام الجزيل بما

يَبْقَى لَهُ عَلَى تَعاقُبِ الدهرِ وَاسْتِمْراره، وَيُحَلِّدُ لَهُ عَلَى مَمَرِ الزمانِ حَسَنَ ذِكْرِهِ وَجَزِيلَ نَحْاره؛ وَحِباةً بِتَقْلِيدِ يُوطِدُ لَهُ قَواعِدَ الممالك، وَيُفَتِّحُ بِإِقْلِيدِهِ رِجَاجَ الأبوابِ وَالْمَسالكِ؛ وَيُفِيدُ قَاعِدَتَهُ فِي بِلادِهِ زِيادَةَ تَقْرِيرٍ وَتَمْهِيدٍ، وَيَطِيرُ بِهِ صِيئَتَهُ فِي كُلِّ قَرِيبٍ وَبَعِيدٍ؛ وَوَسَمَهُ بِالْمَلِكِ الْأَجَلِّ، السَّيِّدِ، الْكاملِ، الْمُجاهِدِ، الْمُرابطِ؛ نَصِيرِ الدِّينِ، رُكنِ الْإِسْلامِ، أَثِيرِ الْأَنْعامِ، تاجِ الْمُلُوكِ وَالسُّلاطينِ، قاضِ الْكُفْرِ وَالْمُشْرِكِينَ، قاهرِ الْخَوارجِ وَالْمُتَمَرِّدِينَ، غازی بَكْ مُحَمَّدٍ، بْنِ أَبِي بَكْرٍ، بْنِ أَيُّوبَ، مَعِينِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؛ رَعايَةً لِسُوابِقِ خِدْمَةٍ وَخِدَمِ أَسْلافِهِ وَأَبائِهِ، عَنِ وُفُورِ أَجْتِبَائِهِ، وَكَمالِ أَزْدِلانِهِ؛ وَإِنافَةً مِنْ ذِرْوَةِ الْقُرْبِ إِلَى مَحَلِّ كَرِيمٍ، وَأَخْتِصاصًا لَهُ بِالْإِحْسانِ الَّذِي لَا يُلْقَاهُ إِلَّا مَنْ هُوَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾. وَتَوْقًا بِصَحَّةِ دِيانَتِهِ الَّتِي يَسْلُكُ فِيهَا سَوَاءَ سَبِيلِهِ، وَاسْتِنامَةً إِلَى أَمَانَتِهِ فِي الْخِدْمَةِ الَّتِي يَنْصَحُ فِيهَا لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ؛ وَرُكُونًا إِلَى [كُونِ] الْإِنْعَامِ عَلَيْهِ مَوْضُوعًا بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَحْسَنِ مَوْضِعٍ، واقِعًا بِهِ لَدَيْهِ فِي خَيْرِ مَسْتَقَرٍّ وَمَسْتَوْدَعٍ.

وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْهِ (لَا زَالَتِ الْحَيَّةُ مُوصُولَةً بِأَرائِهِ، وَالتَّائِيدُ الْإِلَهِيُّ مَقْرُونًا بِإِنْفادِهِ وَإِمضائِهِ) يَسْتَمِدُّ مِنَ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ حُسْنَ الْإِعَانَةِ فِي أَصْطِفائِهِ الَّذِي آقْتَضَاهُ نَظَرُهُ الشَّرِيفُ وَأَعْتَمَدَهُ، وَأَدَّى إِلَيْهِ أَرْتِيادُهُ الْمُقَدَّسُ الْإِمَامِيُّ وَاجْتِهَادُهُ؛ وَحَسْبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي هِيَ الْجُنَّةُ الْواقِيَةُ، وَالنَّعْمَةُ الْباقِيَةُ؛ وَالْمَلْجَأُ الْمَنِيعُ، وَالْعِمَادُ الرَّفِيعُ؛ وَالذَّخِيرَةُ النَّافِعَةُ فِي السَّرِّ وَالنَّجْوَى، وَالْجُدَّةُ الْمُقْتَبَسَةُ مِنْ قَوْلِهِ سُبْحانَهُ: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ وَأَنْ يَدَّرِعَ بِشِعَارِها، فِي جَمِيعِ الْأَقْوالِ وَالْأَفْعالِ، وَيَهْتَدَى بِأَنْوارِها، فِي مَشْكلاتِ الْأُمُورِ وَالْأَحْوالِ؛ وَأَنْ يَعْمَلَ بِها سَرًّا

وأمره أن يسعى إلى صلوات الجُمع والأعياد، ويقوم في ذلك بما فرضه الله تعالى عليه وعلى العباد؛ وأن يتوجه إلى الجوامع والمساجد متواضعا، ويبرز إلى المصلّيات الضاحية في الأعياد خاشعا، وأن يحافظ في تشييد قواعد الإسلام على الواجب

والمندوب ، ويعظم باعتماد ذلك شعائر الله التي هي من تقوى القلوب ؛ وأن يشمل بوافر اهتمامه وأعتنائه ، وكلال نظره وإرعائه ؛ بيوت الله التي هي محال البركات ، ومواطن العبادات ؛ والمساجد التي تأكد في تعظيمها وإجلالها حُكْمُها ، والبيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ؛ وأن يرتب لها من الخدم من يتبتل لإزالة أذناسها ، ويتصدى لإذكاء مصابيحها في الظلام وإيناسها ؛ ويقوم لها بما تحتاج إليه من أسباب الصلاح والعِارات ، ويحضر إليها ما يليق من الفُرش والكِسوات .

وأمره بالتَّبَاع سنة النبي صلى الله عليه وسلم التي أوضح جددها ، وثقف - عليه السلام - أودها ؛ وأن يعتمد فيها على الأسانيد التي نقلها الثقات ، والأحاديث التي صحّت بالطرق السليمة والروايات ؛ وأن يقتدى بما جاءت به من مكارم الأخلاق التي تدب صلى الله عليه وسلم إلى التمسك بسببها ، ورغب أمته في الأخذ بها والعمل بآدبها ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ . وقال سبحانه وتعالى : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ .

وأمره بمجالسة أهل العلم والدين ، وأولى الإخلاص في طاعة الله تعالى واليقين ؛ واستشارتهم في عوارض الشك والالتباس ، والعمل بأرائهم في التمثيل والقياس ؛ فإن الاستشارة لهم عين الهداية ، وأمن من الضلالة والغواية ؛ وبها تلقح عقم الأفهام والألباب ، ويقتدح زناد الرشد والصواب ؛ قال الله تعالى في الإرشاد إلى فضلها ، والأمر في التمسك بجلها : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ .

وأمره بمراعاة أحوال الجند والعسكر في نُغُورِهِ ، وأن يشملهم بحسن نظره وجميل تدبيره ؛ مستصاحبا نياتهم بإدامة التلطف والتعهد ، مستوضحاً أحوالهم بمواصلة التفحص والتفقد ؛ وأن يسوسهم سياسة تبعثهم على سلوك المنهج السليم ، ويهديهم

في آنتظامها وأساقها إلى الصراط المستقيم ؛ ويَجْمَلُهم على القيام بشرائط الخدم ،
والتمسك منها بأقوى الأسباب وأمتن العَصَم ؛ ويدعُوهم إلى مصلحة التواصل
والإئتلاف ، ويصُدِّهم عن موجبات التخاذل والإختلاف ؛ وأن يعتمد فيهم شرائط
الحزم في الإعطاء والمنع ، وما تقتضيه مصلحة أحوالهم من أسباب الخفض والرفع ؛
وأن يُثَبِّبَ المحسن على إحسانه ، ويُسَبِّلَ على المسيء ما وسَّعه العفو واحتمله الأمر
ذيل صفحه وأمتنانه ؛ وأن يأخذ برأى ذوى التجارب منهم والحُكْمَ ، ويحتجى
بمشاورتهم في الأمر ثمر الشُّركه ؛ إذ في ذلك أمنٌ من خطأ الأفراد ، وترجُح عن
مقام الزَّيغ والاستبداد .

وأمره بالثبُّت لما يليه من البلاد ، ويتَّصل بنواحيه من ثُغُور أولى الشُّرك
والعناد ؛ وأن يصرف بجَمِيعِ الإلتفات إليها ، ويخصَّها بوقُور الإهتمام بها والتطلع
عليها ؛ وأن يشمَل ما يبلاده من الحصُون والمعافل بالإحكام والإتقان ، ويتتَمَّي
في أسباب مصالحها إلى غاية الوُسْع ونهاية الإمكان ؛ وأن يشخنها بالميرة الكثيرة
والدَّخائر ، ويمدِّها من الأسلحة والآلات بالعدد المستصلح الوافر ، وأن يتخَيَّر
لحراستها [من يختارُه] من الأُمَناء الثَّقا ، ولسدِّها من يتَّخبه من الشُّجعان الكُماه ؛
وأن يؤكِّد عليهم في استعمال أسباب الحِفْظَة والإِسْطِظْهار ، ويوقِّظهم للاحتِراس من
غوائل الغفلة والإِغْتِيار ؛ وأن يكون المشار إليهم ممن ربَّوا في ممارسة الحُرُوب على
مكافئة الشدائد ، وتدرَّبوا في نَصَب الجبائل للشركين والأخذ عليهم بالمرأصد ؛
وأن يعتمد هذا القليل بمواصلة المدد ، وكثرة العدد ، والتَّوسُّع في النفقة والعطاء ،
والعمل معهم بما يقتضيه حالهم وتفاوتهم في التقصير والغناء ؛ إذ في ذلك حسمٌ لمادة
الأطاع في بلاد الإسلام ، وردُّ لكيد المعاندين من عبدة الأصنام ؛ فَعُلوْمُ أنَّ هذا
الغرض أولى ما وُجِّهت إليه العناية وصُرفت ، وأحق ما قُصِرَت عليه الهِمَم

وَوُفِّقَتْ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَهُ مِنْ أَهَمِّ الْفُرُوضِ الَّتِي كَرَّمَ فِيهَا الْقِيَامَ بِحَقِّهِ ، وَأَكْبَرَ الْوَاجِبَاتِ الَّتِي كَتَبَ الْعَمَلُ بِهَا عَلَى خَلْقِهِ ؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هَادِيًا فِي ذَلِكَ إِلَى سَبِيلِ الرِّشَادِ ، وَمَحَرِّضًا لِعِبَادِهِ عَلَى قِيَامِهِمْ بِفُرُوضِ الْجِهَادِ : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلَا يَنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ . وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” مَنْ نَزَلَ مِثْرًا يُخِيفُ فِيهِ الْمُشْرِكِينَ وَيُخَفِّقُونَهُ ، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ سَاجِدٍ لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَأَجْرٍ قَائِمٍ لَا يَقْعُدُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَأَجْرٍ صَائِمٍ لَا يُفْطِرُ “ . وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ” غَدَاةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ “ . هَذَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَقِّ مَنْ سَمِعَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ فَوَقَفَ لَدَيْهَا ، فَكَيْفَ بِنَ كَانُوا قَالُوا عَلَيْهِ السَّلَامُ : ” أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ : مِمَّنْ كُنَّ بَيْنَهُمْ فَرَسُهُ كُلُّهَا سَمِعَ هَيْعَةً طَارَ إِلَيْهَا “ .

وَأَمْرُهُ بِإِقْتِفَاءِ أَوَامِرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي رَعَايَاهُ ، وَالْإِهْتِدَاءِ إِلَى رَعَايَةِ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ وَالْإِحْسَانِ بِمَرَّاشِدِهِ الْوَاضِحَةِ وَوَصَايَاهُ ؛ وَأَنْ يَسْلُكَ فِي السِّيَاسَةِ [بِهِمْ] سُبُلَ الصَّلَاحِ ، وَيُشْمَلَهُمْ بِلَيْنِ الْكَنْفِ وَخَفْضِ الْجَنَاحِ ؛ وَيُمَدِّ ظِلَّ رِعَايَتِهِ عَلَى مُسْلِمِهِمْ وَمُعَاهِدِهِمْ ، وَيُزَحِّحَ الْأَقْدَاءَ وَالشَّوَابِبَ عَنْ مَنَافِعِهِمْ فِي الْعَدْلِ وَمَوَارِدِهِمْ ؛ وَيَنْظُرَ فِي مَصَالِحِهِمْ نَظْرًا يُسَاوِي فِيهِ بَيْنَ الضَّعِيفِ وَالْقَوِي ، وَيُقِيمُ بِأَوْدِهِمْ قِيَامًا يَهْتَدِي بِهِ وَيَهْدِيهِمْ فِيهِ إِلَى الصِّرَاطِ السَّوِيِّ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

وأمره باعتبار أسباب الإستظهار والأمانة، وأستقضاء الطاعة المستطاعة والقُدرة المحيكة، في المساعدة على قضاء تَفَثِ حُجَّاجِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَزُؤَارِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ؛ وَأَنْ يُمِدَّهُم بِالْإِعَانَةِ فِي ذَلِكَ عَلَى تَحْقِيقِ الرَّجَاءِ وَبُلُوغِ الْمَرَامِ، وَيَحْرُسَهُمْ مِنَ التَّخَطُّفِ وَالْأَذَى فِي حَالَتِي الظُّعْنِ وَالْمَقَامِ؛ فَإِنَّ الْحِجَّ أَحَدُ أَرْكَانِ الدِّينِ الْمَشِيدَةِ، وَفُرُوضِهِ الْوَاجِبَةِ الْمُؤَكَّدَةِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ .

وأمره بتقوية أيدي العاملين بحُكْمِ الشَّرْعِ فِي الرِّعَايَا، وَتَنْفِيزِ مَا يُصْدُرُ عَنْهُمْ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالْقَضَايَا، وَالْعَمَلِ بِأَقْوَالِهِمْ فِيمَا يَثْبُتُ لَدَوِي الْأَسْتَحْقَاقِ، وَالشَّدِّ عَلَى أَيْدِيهِمْ فِيمَا يَرَوْنَهُ مِنَ الْمَنْعِ وَالْإِطْلَاقِ؛ وَأَنَّهُ مَتَى تَأَنَّرَ أَحَدُ الْخَصْمَيْنِ عَنْ إِجَابَةِ دَاعِي الْحُكْمِ، أَوْ تَقَاعَسَ فِي ذَلِكَ لَمَّا يُلْزَمُ مِنَ الْأَدَاءِ وَالْعُدْمِ، جَذَبَهُ بَعْنَانُ الْقَسْرِ إِلَى مَجْلِسِ الشَّرْعِ، وَأَضْطَرَّهُ بِقُوَّةِ الْإِنْصَافِ إِلَى الْأَدَاءِ بَعْدَ الْمَنْعِ . وَأَنْ يَتَوَخَّى عُمَالُ الْوُقُوفِ الَّتِي تَقَرَّبَ الْمُتَقَرَّبُونَ بِهَا، وَاسْتَمْسَكُوا فِي ثَوَابِ اللَّهِ بِمَتْنِ حَبْلِهَا . وَأَنْ يُمِدَّهُمْ بِجَمِيلِ الْمَعَاوَنَةِ وَالْمُسَاعَدَةِ، وَحُسْنِ الْمُوَازَرَةِ وَالْمُعَاذَةِ، فِي الْأَسْبَابِ الَّتِي تُؤْذِنُ بِالْعَارَةِ وَالْإِسْتِثْمَاءِ، وَتَعُوذُ عَلَيْهَا بِالمصلحة والاستخلاص والاستيفاء؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ .

وأمره أَنْ يَتَغَيَّرَ مِنْ أَوْلَى الْكَفَاءَةِ وَالزَّاهَةِ مَنْ يَسْتَخْلِصُهُ لِلْخِدْمِ وَالْأَعْمَالِ، وَالْقِيَامِ بِالْوَجِبِ: مِنْ أَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَالْحِرَاسَةِ وَالتَّمْيِيزِ لِبَيْتِ الْمَالِ . وَأَنْ يَكُونُوا مِنْ دَوِي الْأَضْطِلَاجِ بِشَرَائِطِ الْخِدْمِ الْمَعِينَةِ وَأُمُورِهَا، وَالْمُهْتَدِينَ إِلَى مَسَالِكِ صَلَاحِهَا وَتَدْوِيرِهَا . وَأَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ بِأَخْذِ الْحُقُوقِ مِنْ وُجُوهِهَا الْمُتَيَقَّنَةِ، وَجِبَابَتِهَا فِي أَوْقَاتِهَا الْمَعِينَةِ؛ إِذْ ذَاكَ مِنْ لَوَازِمِ مَصَالِحِ الْحُنْدِ وَوُقُورِ الْإِسْتِظْهَارِ، وَمُوجِبَاتِ قُوَّةِ الشُّوْكَةِ

بكثير الأعوان والأَنْصار، وأسباب الحِفْظَةِ^(١) التي تُحْمَى بها البلادُ والأَمْصارُ؛ ويأْمُرهم بالجرى في الطُّسُوقِ^(٢) والشُّروطِ على النَّمطِ المعتادِ؛ والقيام في مصالح الأعمال على أقدام الحَدِّ والإِجتهاد . وإلى العاملين على الصَّدَقَاتِ بأخذ الزَّكَّاتِ على مشرُوع السنِّ المُمْتَعِ ، وقصد الصراطِ المُتَّبَعِ ؛ من غير عدُول في ذلك عن المنهاج الشرعي ، أو تساهل في تبديل حُكْمِها المفروض وقانونِها المرعى ؛ فإذا أُخِذَتْ من أربابها ، الذين يُطهِّرون ويُزَكِّون بها ، كان العمل في صرفها إلى مستحقها بحكم الشريعة النبوية وموجبها . وإلى جُباةِ الحزبية من أهل الذِّمَّةِ بالمطالبة بأدائها في أول السنة ، وأستيفائها منهم على حسب أحوالهم بحكم العادة في الثروة والمسكنة ؛ لإجراء في ذلك على حكم الاستمرار والإِنتظام ، ومحافظة على عظيم شعائر الإسلام .

وأمره أن يتطلع على أحوال كُلِّ من يستعمله في أمر من الأمور، ويُصرِّفه في مصلحة من مصالح الجمهور ، تطلُّعاً يقتضى الوقوف على حقائق أماناتهم ، وموجب تهذيبهم في حركاتهم وسكناتهم ؛ ذهاباً مع النصيح لله تعالى في بريته ، وعملاً فيه بقول النبي صلى الله عليه وسلم : " كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ " .

وأمره أن يستصليح من ذوى الأَضْطِلَاعِ والفناء ، من يرتب العَرَضَ والعطاء ، والنفقة في الأولياء ؛ وأن يكونوا من المشهورين بالحزم والبصيرة ، والموسومين في المناصحة بإخلاص الطوية وإصفاة السريه ؛ حالين من الأمانة والصون بما يزين ، ناكين عن مظان الشبه والطمع الذي يَصُمُّ ويشين ؛ وأن يأمرهم باتباع عادات أمثالهم في ضبط أسماء الرجال ، وتحلية الأشخاص والأشكال ؛ وأعتبار شيات

(١) في القاموس « الحفظة بالكسر والحفيظة الحمية والغضب » .

(٢) الطسوق جمع طسق وهو شبه الخراج له مقدار معلوم وليس يعرب خالص . انظر اللسان .

الخيول وإثبات أعدادها ، وتحريض الجند على تخييرها وأقتناء جيادها ؛ وبذل الجُهد في قيامهم من الكراع واليزك والسلاح بما يلزمهم ، والعمل بقوله تعالى : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ . فاذا نظقت جرائد الجند المذكورين بما أثبت لديهم ، وحقق الاعتبار والعيان قيامهم بما وجب عليهم ؛ أُطلقت لهم المعاش والأرزاق بحسب إقراراتهم ، وأوصلت إليهم بمقتضى واجباتهم واستحقاقاتهم : فإن هذا الحال أصل حراسة البلاد والعباد ، وقيام الأمر بما أوجبه الله تعالى من الاستعداد بفرض الجهاد ؛ قال الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

وأمره بتفويض أمر الحسبة إلى مَنْ يكون بأمرها مضطلعا ، وللسنة النبوية في إفامة حدودها متبعا ؛ فيعتمد في الكشف عن أحوال العامة في تصرفاتها الواجب ، ويسلك في التطلع إلى معاملاتهم السبيل الواضح والسنن اللائح ؛^(١) في الأسواق لأعبار المكايل والموازين . ويُقيمه [مقامه] في مؤاخذه المطففين وتأديبهم بما تقتضيه شريعة الدين ؛ ويحذرهم في تعدى حدود الإنصاف شدة نكاله ، ويقابل المستحق المؤاخذه بما يرتدع به الجمع الكثير من أمثاله ؛ قال الله تعالى : ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ وَزِنُوا بِالْقِسْطِاسِ الْمُسْتَقِيمِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ . وقال سبحانه : ﴿وَيْلٌ لِلطَّافِقِينَ الَّذِينَ إِذَا أَكْمَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ زَوَّاهُمْ يُخْسِرُونَ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

(١) يلخص في الأصل ولعله «ويطوف في الأسواق» الخ .

فليتول الملك السيد، الكامل، المجاهد، المرباط، نصير الدين، ركن الإسلام،
 أثير الأنام، جلال الدولة، فخر الله، عز الأمة، سند الخلافة، تاج الملوك
 والسلاطين، قانع الكفرة والمشركين، قاهر الخوارج والتمردين، أمير المجاهدين،
 غازى بك معين أمير المؤمنين - ماقلده عبد الله وخليفته فى أرضه، القائم له بحقه
 الواجب وفرضه؛ أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين، تقليد مطمئن
 بالإيمان، وينصح لله ولرسوله وخليفته - صلوات الله عليه - فى السر والإعلان؛
 ويُشرح بما فوّض إليه من هذه الأمور صدرا، ويُقيم بالواجب عليه من شكر هذا
 الإنعام الجزيل سرا وجهرا؛ وليعمل بهذه الوصايا الشريفة الإمامية، وليقف آثار
 مرآستها المقدسة النبوية؛ وليظهر من أثر الحدد فى هذا الأمر والاجتهاد، وتحقيق
 النظر الجميل لله والإرشاد، ما يكون دليلا على تأييد رأى الأشرف المقدس - أجله
 الله تعالى - فى أصطناعه وأستكفائه، وإصابة مواقع النجح والرشد فى التفويض
 إلى حسن قيامه وكإل اعتناؤه؛ فليقدر النعمة فى هذه الحال حق قدرها، وليتمتر
 بأداء الواجب بما غلب عليه من جزيل الشكر غزير دَرّها؛ وليطالع مع الأوقات
 بما يُشكل عليه من الأمور الغوامض، وليُنه إلى العلوم الشريفة المقدسة - أجلها الله
 تعالى - ما يلبس عليه من الشكوك والغوامض (؟)؛ ليرد عليه من الأمثلة ما يوضح له
 وجه الصواب فى الأمور، ويستمد من المرآشد الشريفة التى هى شفاء لما
 فى الصدور بما يكون وروده عليه وتتابعه إليه نورا على نور؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة العهد الذى كتب به صاحب فخر الدين : إبراهيم بن لقمان ،
 للظاهر بيبرس ، التى أنكر عليه القاضى شهاب الدين بن فضل الله فى " التعريف "
 ابتداءها بخطبة ، وهى :

الحمد لله الذي أضفى^(١١) [على الإسلام] ملايس الشرف، وأظهر دُرره وكانت خافية بما استَحْكَمَ عليها من الصِّدْفِ ؛ وشيّد ما وهى من علائه حتى أنسى ذكر ما سلف، وقبض لنصره ملوكًا اتفق على طاعتهم من أختلف .

أحمد على نعمه التي رعت الأعين منها في الروض الأتف، والطافه التي وقفت الشكر عليها فليس له عنها مُنْصَرَفٌ ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة توجب من المخاوف أمنًا، وتسهّل من الأمور ما كان حزنًا؛ وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي جبر من الدين وهنا، وصفيه الذي أظهر من المكارم فنونا لافتًا؛ صلى الله عليه وعلى آله الذين أضحّت مناقبهم باقية لا تنفى، وأصحابه الذين أحسنوا في الدين فاستحقوا الزيادة من الحسن .

وبعد، فإن أولى الأولياء بتقديم ذكره، واحقّهم أن يُصبح القلم ساجدًا وراكعًا في تسطير مناقبه وِبره ؛ من سعى فأضحي بسعيه الجميل متقدمًا، ودعا إلى طاعته فأجاب من كان مُنجدا ومُثمما ؛ وما بدت يد من المكرّمات إلا كان لها زندا ومُعصما، ولا استباح بسيفه حمى وعى إلا أضرمه نارًا وأجراه دما .

ولما كانت هذه المناقب الشريفة مُختصة بالمقام العالى، المولوى، السلطانى، الملكى، الظاهرى، الركنى، شرفه الله تعالى وأعلاه، ذكره الديوان العزيز، النبوى، الإمامى، المستنصرى - أعز الله تعالى سلطانه - تتويها بشريف قدره، وأعترافا بصنعه الذى تُفد العبارة المُسَمَّية ولا تقوم بشكره؛ وكيف لا ؟ وقد أقام الدولة العباسية بعد أن أفعدتها زمانة الزمان، وأذهبت ما كان لها من محاسن وإحسان ؛ واستعُتِبَ دهرها المسمى فأعْتَبَ، وأرضى عنها زمانها وقد كان صال

عليها صَوْلَةٌ مُغْضَبٌ ؛ فأعاده لها سَلَامًا بعد أن كان عليها حَرْبًا ، وَصَرَفَ أَهْتَامَهُ فَرَجَعَ كُلَّ مُتَضَائِقٍ مِنْ أُمُورِهَا وَإِسْعَا رَحْبًا ؛ وَمَنَحَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ الْقُدُومِ عَلَيْهِ حُتًوًا وَعَظْفًا ، وَأَظْهَرَ لَهُ مِنَ الْوَلَاءِ رَغْبَةً فِي ثَوَابِ اللَّهِ مَا لَا يُخْفَى ، وَأَبْدَى مِنَ الْإِهْتِمَامِ بِالْبَيْعَةِ أَمْرًا لَوْ رَامَهُ غَيْرُهُ لَا مَتَنَعَ عَلَيْهِ ، وَلَوْ تَمَسَّكَ بِجَبَلِهِ مَتَمَسَّكَ لَا تَقَطَّعَ بِهِ قَبْلَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ ؛ لَكِنَّ اللَّهَ أَذْخَرَ هَذِهِ الْحَسَنَةَ لِيُثْقَلَ بِهَا فِي الْمِيزَانِ ثَوَابُهُ ، وَيُخَفَّفَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِسَابُهُ وَالسَّعِيدُ مِنْ خُفَّفَ حِسَابُهُ ؛ فَهَذِهِ مَتَقَبَّةُ أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَخْلِدَهَا فِي صَحِيفَةٍ صُنْعُهُ ، وَتَكْرِمَةٌ قَضَتْ لِهَذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ بِجَمْعِهِ بَعْدَ أَنْ حَصَلَ الْإِيَّاسُ مِنْ جَمْعِهِ ؛ وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَشْكُرُكَ هَذِهِ الصَّنَائِعُ ، وَيَعْرِفُ أَنَّهُ لَوْلَا أَهْتَامُكَ لَا تَسَّعَ الْخَرْقُ عَلَى الرَّاقِعِ ؛ وَقَدْ قَلَّدَكَ الدِّيَارَ الْمَصْرِيَّةَ وَالْبِلَادَ الشَّامِيَّةَ ، وَالْدِّيَارَ الْبَكْرِيَّةَ وَالْحِجَازِيَّةَ وَالْيَمِينِيَّةَ وَالْقُرَاتِيَّةَ ؛ وَمَا يَتَجَدَّدُ مِنَ الْفُتُوحَاتِ غَوْرًا وَنَجْدًا ، وَفَوْضَ أَمْرِ جُنْدِهَا وَرَعَايَاهَا إِلَيْكَ حِينَ أَصْبَحَتْ فِي الْمَكَارِمِ قَرْدًا ؛ وَلَمْ يَجْعَلْ مِنْهَا بَلَدًا مِنَ الْبِلَادِ وَلَا حِصْنًا مِنَ الْحِصُونِ مُسْتَنْثَى ، وَلَا جِهَةً مِنْ الْجِهَاتِ تُعَدُّ فِي الْأَعْلَى وَلَا الْأَدْنَى .

فَلَا حِظَّ أُمُورَ الْأُمَّةِ فَقَدْ أَصْبَحَتْ لَهَا حَامِلًا ، وَخَلَصَ نَفْسُكَ مِنَ التَّبِعَاتِ الْيَوْمَ فَقَى غَيْدَ تَكُونُ مَسْئُولًا لَا سَائِلًا ؛ وَدَعَا الْإِغْتِرَارَ بِالدُّنْيَا فَمَا نَالَ أَحَدٌ مِنْهَا طَائِلًا ، وَمَا رَأَاهَا أَحَدٌ بَعِينَ الْحَقِّ إِلَّا رَأَاهَا خَيَالًا زَائِلًا ؛ فَالسَّعِيدُ مَنْ قَطَعَ أَمَالَهُ الْمَوْصُولُ ، وَقَدَّمَ لِنَفْسِهِ زَادَ التَّقْوَى فَتَقَدَّمَ غَيْرَ التَّقْوَى مُرَدُّدَةً لَا مَقْبُولَةً ؛ وَأَبْسَطَ يَدَكَ بِالْإِحْسَانِ وَالْعَدْلِ فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ فِي مَوَاضِعَ مِنَ الْقِرَاءَانِ ؛ وَكَفَّرَ بِهِ عَنِ الْمَرْءِ دُنُوبًا وَأَتَانًا ، وَجَعَلَ يَوْمًا وَاحِدًا فِيهِ كِعِبَادَةِ الْعَالِيدِ سِتِّينَ عَامًا ، وَمَا سَلَكَ أَحَدٌ سَبِيلَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ، إِلَّا وَاجْتُنِبَتْ ثَمَارُهُ مِنْ أَفْنَانٍ ؛ وَتَرَاجَعَ الْأَمْرُ فِيهِ بَعْدَ تَدَاوُعِ أَرْكَانِهِ وَهُوَ مُشْبِيذُ الْأَرْكَانِ ، وَتَحَصَّنَ بِهِ مِنْ حَوَادِثِ الزَّمَانِ ؛ وَكَانَتْ

أَيَّامُهُ فِي الْأَيَّامِ أَهْيَىٰ مِنَ الْأَعْيَادِ ، وَأَحْسَنَ فِي الْعْيُونِ مِنَ الْغُرَرِ فِي أَوْجِهٍ الْحَيَادِ ،
وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعُقُودِ إِذَا حُلِّيَ بِهَا عَطَلُ الْأَجْيَادِ .

وهذه الأقاليم المنوطة بك تحتاج إلى ثوابٍ وحُكَمٍ ، وأصحابِ رأى من أصحابِ
السيوف والأقلام ؛ فإذا آستعنتَ بأحدٍ منهم في أمورِكَ فنَقَّبَ عليه تنقيباً ، وأَجَلَّ
عليه في تصرفاته رقبياً ؛ وسَلَّ عن أحواله ففي القيامةِ تَكُونُ عنه مَسْئُولا وبما أَجَرَمَ
مَطْلُوبا ، ولا تُؤَلِّمُ منهم إلا من تَكُونُ مَسَاعِيهِ حَسَنَاتٍ لك لا ذُنُوباً ؛ وأَمْرُهُم
بالْأَنَاءَةِ فِي الْأُمُورِ وَالرَّفْقِ ، ومُخَالَفَةُ الْهَوَىٰ إِذَا ظَهَرَتْ أَدَلَّةُ الْحَقِّ ؛ وَأَنْ يَقَابِلُوا الضَّعْفَاءَ
فِي حَوَائِجِهِم بِالْفَرِّ الْبَاسِمِ وَالْوَجْهَ الطَّلُقِ ، وَأَنْ لَا يُعَامِلُوا أَحَدًا عَلَى الْإِحْسَانِ وَالْإِسَاءَةِ
إِلَّا بِمَا يَسْتَحِقُّ ؛ وَأَنْ يَكُونُوا لِمَنْ تَحْتَ أَيْدِيهِم مِنَ الرِّعْيَةِ إِخْوَاناً ، وَأَنْ يُوسِعُوهُمْ
رِاءاً وَإِحْسَاناً ؛ وَأَنْ لَا يَسْتَحِلُّوا حُرْمَاتِهِمْ إِذَا اسْتَحَلَّ الزَّمَانُ لَهُمْ حِرْمَاناً ، فَلِلْمُسْلِمِ أَخُو
الْمُسْلِمِ وَلَوْ كَانَ عَلَيْهِ أَمِيرًا وَسُلْطَانًا ؛ وَالسَّعِيدُ مَنْ تَسَجَّ وَلَايَتُهُ فِي الْخَيْرِ عَلَى مَنْوَالِهِ ،
وَأَسْتَسَنَّ بِسُنَّتِهِ فِي تَصَرُّفَاتِهِ وَأَحْوَالِهِ ، وَتَحَمَّلَ عَنْهُ مَا تَعَجَّزَ قَدْرَتُهُ عَنْ حَمْلِ أَنْقَالِهِ .

وَمَا يُؤْمَرُونَ بِهِ أَنْ يُخْفَىٰ مَا أُحْدِثَ مِنْ سَيِّئِ السَّنَنِ ، وَجُدَّ مِنَ الْمَظَالِمِ الَّتِي هِيَ
مِنْ أَعْظَمِ الْحَيْنِ ، وَأَنْ يُسْتَرَىٰ بِإِبْطَالِهَا الْحَامِدُ رَخِيسَةً بِأَغْلَى ثَمَنٍ ؛ وَمَهْمَا جُئِيَ مِنْهَا
مِنَ الْأَمْوَالِ فَإِنَّمَا هِيَ بَاقِيَةٌ فِي الذَّمِّ حَاصِلُهُ ، وَأَجْيَادُ الْخَزَائِنِ إِنْ أَفْضَحَتْ بِهَا حَالِيَةً
فَإِنَّمَا هِيَ عَلَى الْحَقِيقَةِ مِنْهَا عَاطِلَةٌ ؛ وَهَلْ أَشْقَىٰ مِمَّنْ أَحْتَقَبَ إِثْمًا ، وَأَكْتَسَبَ
بِالْمَسَاعَى الذَّمَّ ذِمًّا ؛ وَجَعَلَ السَّوَادَ الْأَعْظَمَ [لَهُ] يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَصْمًا ، وَتَحَمَّلَ ظُلْمَ
النَّاسِ فِيمَا صَدَرَ عَنْهُ مِنْ أَعْمَالِهِ ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ .

وحقيق بالمقام الشريف المولوى ، السلطانى ، الملكى ، الظاهرى ، الركنى
أَنْ تَكُونَ ظُلَامَاتُ الْأَنَامِ مَرْدُودَةً بَعْدَهُ ، وَطَاعَتُهُ مُخَفَّفٌ ثِقَلًا لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِحَمْلِهِ ؛

فقد أضحى على الإحسان قادرا ، وصنعت له الأيام ما لم تصنعه لمن تقدم من الملوك وإن جاء آخرها ، فاحمد الله على أن وصل إلى جنابك إمام هدى يوجب لك منزلة التقديم ، ويثبت الخلائق على ما خصك الله به من الفضل العظيم ، وهذه أمور يجب أن تلاحظ وترعى ، ويوالى عليها حمد الله فإن الحمد يجب عليها عقلا وشرعا ، وقد تبين لك أنك صرت فى الأمور أصلا وصار غيرك فرعاً .

ومما يجب أيضا تقديم ذكره أمر الجهاد الذى أضحى على الأمة فرضا ، وهو العمل الذى يرجع به مسود الصوائف مبيضا ، وقد وعد الله المجاهدين بالأجر العظيم ، وأعد لهم عنده المقام الكريم ، وخصهم بالجنة التى لا تغوف فيها ولا تأثيم ، وقد تقدمت لك فى الجهاد يد بيضاء أسرع فى سواد الحساد ، وعرفت منك عزيمة وهى أمضى مما تحبته ضماير الأعماد ، وأشتهرت لك مواقف فى القتال وهى أشهر وأشهى إلى القلوب من الأعياد ، وبك صان الله حى الإسلام أن يتبدل ، وبِعزمك حفظ على المسلمين نظام هذه الدول ، وسيفك أثر فى قلوب الكافرين قروحا لا تسدمل ، وبك يرجى أن يرجع مقر الخلافة إلى ما كان عليه فى الأيام الأول ، فأيقظ لنصرة الإسلام جفنا ما كان غافيا ولا هاجعا ، وكُن فى مجاهدة أعداء الله إماما متبوعا لا تابع ، وأيد كلمة التوحيد فما تجد فى تأييدها إلا مطيعا سامعا ، ولا تحل الثغور من اهتمام بأمرها تبسم له الثغور ، واحتفال بيدل مادجا من ظلماتها بالنور ، فهذه حصون بها يحصل الانتفاع ، وعلى العدو داعية أفتراق لا اجتماع ، وأولاها بالاهتمام ما كان البحر له مجاورا ، والعدو إليه ملتفتا ناظرا ، لاسيما ثغور الديار المصرية فإن العدو وصل إليها راجحا وراح خاسرا ، وأستأصلهم الله فيها حتى ما أقال منهم عاثرا ، وكذلك الأسطول الذى ترى خيله كالإلهة ، وركابته سابقة بغير سائق مستقلة ، وهو أخو الجيش السليمانى فإن ذاك غدت الريح له حامله ،

وهذا تكفلت بحمله الرِّيح السابله ؛ وإذا لحظها الطَّرْف جاريةً في البحر كانت كالأعلام، وإذا شَبَّها قال : هذه لَيَالٍ تُقْلَعُ بالأيام ؛ وقد سئى الله لك من السعادة كُلَّ مَطْلَب، وآتاك من أصالة الرأى الذى يُريك المُغَيَّب ؛ وبسطَ بعد القبض منك الأمل، ونَشِطَ بالسعادة ما كان من كَسَل ؛ وهَدَاكَ إلى مَنَاجِ الحَقِّ وما زِلْتَ مهتدياً إليها ، وأزَمَكَ المَرَاشِدَ فلا تَحْتَاجُ إلى تنبيه عليها ؛ والله تعالى يُمِدُّكَ بأسباب نصره ، وَيُوزِعُكَ شُكْرَ نِعَمِهِ فَإِنَّ النِّعْمَةَ تَسْتَمُّ بِشُكْرِهِ ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة عهد كتب بها القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر ، للسلطان الملك المنصور قلاوون، عن الخليفة الإمام أبى العباس أحمد الحاكم بأمر الله المتقدم ذكره على هذه الطريقة، وهى :

الحمد لله الذى جعل آيةَ السيف ناسخةً لكثيرٍ من الآيات، وفاسخةً لِعُقُودِ أُولَى الشَّكِّ والشُّبُهَات ؛ الذى رفع بعض الخَلْقِ على بعضِ دَرَجات ، وأَهْلَ لأُمُورِ البلاد والعباد مَنْ جَاءَتْ خَوَارِقُ تَمَلُّكِهِ بالذى إن لم يكن من المَعِجَزَاتِ فمن الكَرَامَاتِ .

ثم الحمد لله الذى جعل الخلافةَ العباسيةَ بعد القُطُوبِ حَسَنَةً الإِنْسَامِ ، وبعد الشُّحُوبِ جَمِيلَةً الإِنْسَامِ ، وبعد التَّشْرِيدِ كُلِّ دارِ إِسْلَامٍ لها أعْظَمُ من دارِ السَّلامِ .

والحمد لله على أن أشهدَها مَصَارِعَ أعدائها ، وأَحَدَ لها عَوَاقِبَ إِيغَادَةِ نصرها وإِبْدَائِهَا ، وَرَدَّ تَشْيِيتِهَا بعد أن ظَنَّ كُلُّ أَحَدٍ أَنَّ شِعَارَهَا الأَسْوَدَ مَا بَقِيَ مِنْهُ إِلَّا مَاصَاتُهُ العَيُونُ فى جُفُونِهَا والقُلُوبُ فى سُوَيْدَائِهَا . ونشهد أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده

لا شريك له شهادة يتلذذ بذكرها اللسان، وتتمطر بنفحاتها الأفواه والأردان،
وتتلقاها ملائكة القبول فترفعها إلى أعلى مكان. ونصلى على سيدنا محمد الذى أكرمنا
الله به وشرف لنا الأنساب، وأعزنا به حتى نزل فينا محكم الكتاب؛ صلى الله عليه
وعلى آله الذين أنجب الدين منهم عن أنجب، ورضى الله عن صحابته الذين هم
خير صحاب؛ صلاة ورضوانا يوفى قائلها أجره يوم الحساب من الكثرة بغير
حساب (؟) يوم الحساب.

وبعد حمد الله على أن أحمد عواقب الأمور، وأظهر للإسلام سلطاناً أشتدت
به للأمة الظهور وشفيت الصدور؛ وأقام الخلافة العباسية في هذا الزمن بالمنصور
كما أقامها فيما مضى بالمنصور، وأختار لإعلان دعوتها من يُنجي معاملها بعد العفاء
ورسومها بعد الدثور؛ وجمع لها الآن ما كان جمح عليها فيما قبل من خلاف كل
ناجم، ومنحها ما كانت تبشرها به مُحف الملاحم^(١)؛ وأنفذ كلمتها في ممالك الدولة
العلوية بخير سيف مشحون ماضى العزائم، ومازج بين طاعتها في القلوب وذكرها
في الألسنة وكيف لا والمنصور هو الحاكم؟؛ وأخرج لحياطة الأمة المحمدية ملكاً
تقسم البركات عن يمينه، وتقسم السعادة بنور جبينه؛ وتقهّر الأعداء بفتكاته،
وتهمر عقائل المعائل بأصغر راياته؛ ذو السعد الذى مازال نوره يشف حتى ظهر،
ومعجزه يرف إلى أن بهر؛ وجوهره ينتقل من جيد إلى جيد حتى علا الجبين،
وسره يكمن في قلب بعد قلب حتى علم - والحمد لله - نبأ تمكينه في الأرض بعد
حين؛ فاختره الله على علم، وأصطفاه من بين عباده بما جبّله الله عليه من كرم
وشجاعة وحلم؛ وأتى به الأمة المحمدية في وقت الاحتياج عوناً وفي إبان الاستمطار

غَنِيًّا ، وفي حين عَيْثِ الْأَشْبَالِ فِي غَيْرِ الْإِقْتِرَاسِ لَيْشَا ؛ فَوَجَبَ عَلَى مَنْ لَهُ فِي أُعْنَاقِ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ مُبَايَعَةُ رِضْوَانِ ، وَعِنْدَ أَيْمَانِهِمْ مَصَاحِفُهُ أَيْمَانٌ ؛ وَمَنْ وَجِبَتْ لَهُ الْبَيْعَةُ بِاسْتِحْقَاقِهِ لِمِيرَاثِ مَنْصِبِ النَّبَوَةِ ، وَمَنْ تَصَحُّهُ بِهِ كُلُّ وِلَايَةٍ شَرْعِيَّةٍ يُؤْخَذُ كِتَابُهَا مِنْهُ بِقُوَّةٍ ؛ وَمَنْ هُوَ خَلِيفَةُ الزَّمَانِ وَالْعَصْرِ ، وَمَنْ بَدَعَوَاتِهِ تَنْزِلُ بِالنَّصْرِ عَلَيْكُمْ مَعَاشِرَ الْإِسْلَامِ مَلَائِكَةُ النَّصْرِ ، وَمَنْ نَسَبُهُ بِنَسَبِ نَبِيِّكُمْ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُتَشَجِّعٌ ، وَحَسَبُهُ بِحَسَبِهِ مُمْتَرِجٌ ، أَنْ يَفُوضَ مَا فُوضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الْخَلْقِ ، إِلَى مَنْ يَقُومُ عَنْهُ بِفَرْضِ الْجِهَادِ وَالْعَمَلِ بِالْحَقِّ ؛ وَأَنْ يُؤَلِّيَهُ وِلَايَةً شَرْعِيَّةً تَصَحُّ بِهَا الْأَحْكَامُ وَتَنْضَبِطُ أُمُورُ الْإِسْلَامِ ، وَتَأْتِي هَذِهِ الْعُصْبَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ أُمَّةٍ بِإِمَامِهِمْ مِنْ طَاعَةِ خَلِيفَتِهِمْ هَذَا بِخَيْرِ إِمَامٍ ؛ وَنَحْرَجُ أَمْرَ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - شَرَفَهُ اللَّهُ - أَنْ يَكُونَ لِلْقَرَّرِ الْعَالِي ، الْمَوْلُودِ ، السَّاطِنِ ، الْمَلَكِيِّ ، الْمَنْصُورِيِّ ، أَجَلَهُ اللَّهُ وَنَصَرَهُ ، وَأُظْفَرَهُ وَأَقْدَرَهُ ، وَأَبَدَهُ وَأَيَّدَهُ ، كُلِّ مَا فُوضَهُ اللَّهُ لِمَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حُكْمٍ فِي الْوُجُودِ ، وَفِي التَّهَائِمِ وَالتَّجُودِ ؛ وَفِي الْمَدَائِنِ وَالْخَزَائِنِ ، وَفِي الظُّوَاهِرِ وَالْبَوَاطِنِ ؛ وَفِيمَا فَتَحَهُ اللَّهُ وَفِيمَا سَيَفْتَحُهُ ، وَفِيمَا كَانَ فَسَدٌ بِالْكَفْرِ وَالرَّجَاءِ مِنْ اللَّهِ أَنَّهُ سَيُصْلِحُهُ ؛ وَفِي كُلِّ جُودٍ وَمَنْ ، وَفِي كُلِّ عَطَاءٍ وَمَنْ ؛ وَفِي كُلِّ هِبَةٍ وَتَمْلِكٍ ، وَفِي كُلِّ تَفَرُّدٍ بِالنَّظَرِ فِي أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ بِغَيْرِ شَرِيكَ ؛ وَفِي كُلِّ تَعَاهُدٍ وَتَبَذٍ ، وَفِي كُلِّ عَطَاءٍ وَأَخْذٍ ؛ وَفِي كُلِّ عَزَلٍ وَتَوَلِّيٍّ ، وَفِي كُلِّ تَسْلِيمٍ وَتَخْلِيٍّ ؛ وَفِي كُلِّ إِرْفَاقٍ وَإِنْفَاقٍ ، وَفِي كُلِّ إِنْعَامٍ وَإِطْلَاقٍ ؛ وَفِي كُلِّ تَجْدِيدٍ وَتَعْوِيضٍ ، وَفِي كُلِّ حَمْدٍ وَتَقْرِيبٍ ؛ وَوِلَايَةً عَامَةً تَامَّةٌ مُحْكَمَةٌ مُحْكَمَةٌ ، مَنْصُودَةٌ مَنْظُمَةٌ ، لَا يَتَعَقَّبُهَا نَسْخٌ مِنْ خَلْفِهَا وَلَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهَا ، وَلَا يَغْتَرِيهَا فَسْخٌ يَطْرَأُ عَلَيْهَا ؛ يَزِيدُهَا مَرُّ الْأَيَّامِ جَدَّةً يُعَاقِبُهَا حُسْنُ شَبَابٍ ، وَلَا يَنْتَهِي عَلَى الْأَعْوَامِ وَالْأَحْقَابِ ، نَعْمٌ يَنْتَهِي إِلَى مَا نَصَبَهُ اللَّهُ لِلْإِرْشَادِ مِنْ سُنَّةٍ وَكِتَابٍ ؛

وذلك من شرع الله أقامه للهداية علما ، وجعله إلى احتياز الثواب سُلما .
 فالواجب أن يعمل بِجُزْئِيَّاتِ أمره وَكُلِّيَّاته ، وأن لا يَخْرُجَ أَحَدٌ عن مَقَدَّماته ،
 والعدل فهو الغرس المُشِير ، والسحابُ المُطَرِّ ، والروضُ المزهَر ، وبه تَنْتَزِلُ
 البركات ، وتختلف الهَبَات ، وتُرَبَّى الصَّدَقَات ، وبه عِمَارَةُ الأرض ، وبه تُؤَدَّى السَّنَةُ
 والقرص ؛ فمن زرع العدلَ أَجْتَنَى الخير ، ومن أَحْسَنَ كُفَى الصَّرر والضَّيْر ، والظلم
 فعاقِبته وَخِيمه ، وما يطولُ عُمُرُ المُلْكِ إلا بالمَعْدَلَةِ الرحيمه ؛ والرعية فهم الوديعه
 عند أُولَى الأمر ، فلا يَخْصُصُ بِحَسْنِ النظر منهم زَيْدٌ ولا عَمْرُو ، والأموال ، فهي
 ذخائرُ العاقِبَةِ والمآل ؛ والواجب أن تُؤْخَذَ بِحَقِّهَا ، وتُنْفَقَ في مَسْتَحِقَّهَا ، والجهاد
 براً وبحراً فمن كَنَانَةِ الله تُفَوَّقُ سِهَامُهُ ، وتَوَرَّخُ أَيَامُهُ ، وَيُنْتَضِي حُسَامُهُ ، وتَجْرَى
 مُنْشَاتُهُ في البحر كالأعلام وتُنْشَرُ أَعْلَامُهُ ؛ وفي عُقْر دار الحرب يُحْطُّ رِكَابُهُ ، ويُحْطُّ
 كِتَابُهُ ؛ وتُرْسَلُ أَرْسَانُهُ ، وتَجُوسُ خِلَالَهَا فُرسَانُهُ ؛ فَلْيَلْزَمْ مِنْهُ دَيْدَنَا ، ويستصحب
 مِنْهُ فِعْلا حَسَنًا ؛ وَجِيُوشُ الإسلام وَكِبَاتُهُ ، وَأَمْرَاؤُهُ وَحُمَاتُهُ ؛ فهم مَنْ قد علمتَ
 قِدَمَ هِجْرِهِ ، وَعِظَمَ نُصْرِهِ ؛ وَشِدَّةَ بَاسِ ، وَقُوَّةَ مِرَاسِ ؛ وما مِنْ شَهِدٍ
 الْفَتْوحَاتِ وَالْحُرُوبِ ، وَأَحْسَنَ فِي الْمُحَامَاةِ عَنِ الدِّينِ الدُّعُوبِ ؛ وَهُمْ بَقَايَا الدُّوَلِ ،
 وَنَحَايَا المُلُوكِ الْأَوَّلِ ؛ لاسِيَّما أُولَى السَّعْيِ النَاجِحِ ، وَمَنْ لَهُمْ نِسْبَةٌ صَالِحِيَّةٌ إِذَا نَفَرُوا بِهَا
 قِيلَ لَهُمْ : نَعَمْ السَّلَفُ الصَّالِحُ ؛ فَأَوْسِعْهُمْ بَرًّا ، وَكُنْ بِهِمْ بَرًّا ، وَهُمْ بِمَا يَجِبُ مِنْ
 خِدْمَتِكَ أَعْلَمُ وَأَنْتَ بِمَا يَجِبُ مِنْ حُرْمَتِهِمْ أَدْرَى ؛ وَالثَّغُورُ وَالْحَصُونُ فَهُمْ ذَخَائِرُ
 الشَّدَّةِ ، وَخَزَائِنُ الْعَدِيدِ وَالْعُدَّةِ ؛ وَمَقَاعِدُ الْقِتَالِ ، وَكَائِنُ الرَّجَاءِ وَالرَّجَالِ ؛ فَأَحْسِنْ لَهَا
 التَّحْصِينَ ، وَفَوِّضْ أَمْرَهَا إِلَى كُلِّ قَوِيٍّ أَمِينٍ ؛ وَإِلَى كُلِّ [ذِي] دِينٍ مَتِينٍ ، وَعَقْلٍ
 رَصِينٍ ؛ وَتَوَابِ الْمَالِكِ وَتَوَابِ الْأَمْصَارِ ، فَأَحْسِنْ لَهُمُ الْإِخْتِيَارَ ؛ وَأَجِزْ لَهُمُ
 الْإِخْتِيَارَ ، وَتَفَقَّدْ لَهُمُ الْأَخْبَارَ .

وَأَمَّا مَا سَوَى ذَلِكَ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي حُدُودِ هَذِهِ الْوَصَايَا النَّافِعَةِ ، وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ أَمَرَنَا
بِالتَّذَكُّرِ ، لَكَانَتْ سَبَّحَايَا الْمَقَرِّ الْأَشْرَفِ السُّلْطَانِي ، الْمَلَكِي ، الْمَنْصُورِي ، مَكْتَفِيَةً
بِأَنْوَارِ الْمَعِيَتَةِ السَّاطِعَةِ ؛ وَزِمَامُ كُلِّ صَلَاحٍ يَجِبُ أَنْ يَشْغَلَ بِهِ جَمِيعَ أَوْقَاتِهِ ،
هُوَ تَقْوَى اللَّهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ .

فَلْيَكُنْ ذَلِكَ نُصَبَ الْعَيْنِ ، وَشَغَلَ الْقَلْبَ وَالشَّفَتَيْنِ ؛ وَأَعْدَاءُ الدِّينِ مِنْ أَرْمَنِ
وَفَرَنْجٍ وَتَتَارَ ، فَأَذْفِقْهُمْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ فِي كُلِّ إِيرَادٍ لِلغَزْوِ وَإِصْدَارٍ ؛ وَتُرْلَانِ تَأْخُذُ
لِلخَلْفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ الثَّارَ ، وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ نَصِيرُكَ عَلَى ظُلْمِهِمْ
وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ .

وَأَمَّا غَيْرُهُمْ مِنْ مُجَاوِرِيهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَأَحْسِنْ بِاسْتِنْقَاذِكَ مِنْهُمْ الْعِلَاجَ ، وَطُبِّهِمْ
بِاسْتِصْلَاحِكَ فَبِالطَّبِّ الْمَلَكِي وَالْمَنْصُورِي يَنْصَلِحُ الْمِزَاجَ ؛ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .



وَعَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ مَشَى الْمَقَرُّ الْأَشْرَفُ النَّاصِرِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ الْبَارِزِيِّ الْحَمَوِيُّ صَاحِبُ
دَوَاوِينِ الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ بِالْأَمِيرِ الْمَصْرِيِّ وَسَائِرِ الْمُلُوكِ الْإِسْلَامِيَّةِ : جَمَلَ اللَّهُ تَعَالَى
الْوُجُودَ بِوُجُودِهِ ، وَأَنَافَ بِقَدْرِهِ عَلَى كَيْوَانٍ^(١) فِي آرْتِقَائِهِ وَصُوعُودِهِ ، وَجَعَلَهُ لِسُلْطَانِهِ
الْمُؤَيَّدِ رِدْءًا مَابِدًا سَعْدُ الْمُلْكِ صَاعِدًا إِلَّا كَانَ لَهُ سَعْدُ سُعُودِهِ .

فَكَتَبَ عَلَى ذَلِكَ عَهْدَ السُّلْطَانِ الْمُلْكِ الْمُؤَيَّدِ أَبِي النَّصْرِ « شَيْخ » خَلَّدَ اللَّهُ
سُلْطَانَهُ ، عَنْ الْإِمَامِ الْمُسْتَعِينِ بِاللَّهِ أَبِي الْفَضْلِ الْعَبَّاسِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ خَلِيفَةِ الْعَصْرِ -

(١) أَسْمَ لِكَوْكَبٍ زَحَلٍ وَهُوَ مَنُوعٌ مِنَ الصَّرْفِ لِلْعَلْبِيَّةِ وَالْعَجْمَةِ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ أَسْمَ عَيْنُهُ يَاءُ
وَلَامُهُ وَآوُ . انْظُرِ الْلسَانَ فِي مَادَّةِ خ وَن ج ١٦ .

أيد الله تعالى به الدين - في شعبان المكرم سنة خمس عشرة وثمانمائة، بعد خلع
الناصر قرق، فأتى فيه بما أنجل الرّوض المنمنم والنجم الزاهر، وأوجب على
العارف بتقدّ الأمرين أن يقول: كم ترك الأول للآخر؛ عدد فيه وقائعه المشهورة،
وذكر مناقبه التي صارت على صفحات الأيام مرقومة وعلى مرّ الليالي مذكورة،
وفي بطون التواريخ على توالى الجديدين وتعاقب الدهور مسطوره؛ (فكتب على ذلك
عهد السلطان الملك المؤيد أبي النصر شيخ خلد الله سلطانه)^(١)، ونصه:

الحمد لله الذي جعل الدين بنصره مؤيداً، وأنتضاه لمصالح الملوك والدين فأصبح
ومن مرفقات عزمه بادية بأئدة العدا، وفتح على فقر الزمان بشيخ ملك زويت له
عوارف العدل ومعارف الفضل فاستغنى - ولله الحمد - بسعيد السعدا، وأصلح
فساد الأحوال بأحكام رأيه وإحكام حكمه فأصبحت مأمونة الرءاء آمنة من الردى؛
وأمتن على أولياء الدولة الشريفة بمن لم يزل سهم تديره الشريف فيهم مُسدداً، ومياه
الظفر جارية من قناة غوره الذي بذلك تعودا، وبجر إحسانه الكامل وإن قدم
العهد المديد مُجدداً.

والحمد لله الذي جعل وجوه هذه الأيام بالأمن مُسفرة، وليالى جودها بالعدل
مُقمرة؛ وعدّبات أوليائها بالأفراح مُزهره، وحدائق أخصائها بالنجاح مُثمرة؛
ومنازل أعدائها مُقفرة موحشه، ونوازلهم مُدعرة مُدهشه؛ وأجسادهم بأمراض
قلوبهم مُشوشه، وأجسادهم بلوايح زفرائهم مُعطشه.

والحمد لله الذي جعل هذه الأيام الفاضلة الجلال جليلة الفضل، شاملة النظام
ناظمة الشمل، هامية بالمكرّمات هائمة بالعدل؛ دانية القُطوف، معروفة بالمعروف،
مُغيثة الملهوف، مُرهبة للألوف، متصرفة في الآفاق صارفة الصروف؛ حمداً يُبرج

(١) تقدمت هذه الجملة بنصها قبل ستة أسطر فلعلها تكررت من قلم النسخ أو سهو من المؤلف فتنبه.

النُّفُوسَ ، وَيُزِيلُ الْبُوسَ ، وَيُدِيمُ السُّرُورَ ، وَيُذِيبُ الْمُحْذُورَ ، وَ (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ) .

نحمده على هذه النعم التي تفيأت الأُمُّ بِظِلِّهَا ، وبلغت بها النفوس غايةَ آمالها ؛ وَرَوِيَتْ بعد ظِلِّ الخوفِ من حِيَاضِ أَمْنٍ زَلَالِهَا ، وَاسْتَسَرَّتْ بعد الحزنِ بأفراحِ قَبُولِهَا وإقبالِهَا ، وَارْتَفَعَتْ بعد انْخِفَاضِهَا رُءُوسُ أَبْطَالِهَا وأَقْبَالِهَا .

ونشهد أن لا إلهَ إلاَّ الله وحده لا شريكَ له شهادةً تديمُ النِّعماءَ ، وتُجْزِلُ العَطَاءَ ، وتَكْشِفُ الغَمَّاءَ ، وتَقْهَرُ الأَعْدَاءَ ؛ ونشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله الذي قرنَ طاعةَ أُولَى الأَمْرِ بِطَاعَتِهِ ، وأَيَّدَ مِنْ أَهْتَدَى مِنْهُمْ بِهِدَايَتِهِ ؛ وَأَعَانَهُ لِمَا اسْتَعَانَ بِعَيْنَيْتِهِ ، وَأَظْلَمَهُ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ ؛ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ أَنْحَازُوا إِلَى حَوْزَتِهِ وَأَحْتَمَوْا بِجَمَاتِهِ ، وَأَثْمَرُ لَهْمِ غَرْسِ دِينِهِ فَرَعُوهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ ، وَشَرَفُوا وَكْرَمُوا .

وبعدُ ، فَلَمَّا كَانَتْ رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى لِنَفْسِهِ سَابِقَةً ، وَرَأْفَتُهُ بِعِبَادِهِ مَتَلَحِّقَةً ، وَكَانَتْ الْمَالِكُ الشَّرِيفَةُ قَدْ أَخْتَلَّتْ أُمُورُهَا ، وَصَارَ إِلَى الدُّثُورِ مَعْمُورُهَا ، وَأَشْرَفَ عَلَى الْبَوَارِ أَمِيرُهَا وَمَأْمُورُهَا ؛ فَالْشَّرَائِعُ مَتَغَيَّرَتْ شَرَائِعُهَا ، وَالْعَوَائِدُ مَفْقُودَةٌ مَا تَرَاهَا ؛ وَالْمِظَالِمُ قَوِيٌّ سُلْطَانُهَا ، كَثِيرٌ أَعْوَانُهَا ؛ ضَعِيفٌ مُضَادِدُهَا ، قَلِيلٌ مُعَانِدُهَا ؛ فَلَا نَائِبُ سِيَاسِيَّةٍ إِلَّا مَشْغُولٌ بِالنَّوَابِ ، وَلَا حَاكِمٌ شَرَعٌ إِلَّا وَقَدْ سَأَلَتْ عَلَيْهِ الْمَذَاهِبُ ؛ وَلَا تَاجِرٌ إِلَّا وَقَدْ خَسِرَتْ تِجَارَتُهُ فَمَا رِيحَتْ ، وَلَا ذُو قِرَاضٍ إِلَّا وَرُءُوسُ أُمُوالِهِ قَدْ أَنْقَرَضَتْ ، وَلَا صَاحِبُ ثَرَاثٍ إِلَّا وَقَدْ حُجِّتْ آيَةُ مِيرَاثِهِ وَنُسِخَتْ ؛ وَلَا رُكْنٌ مُلْكَةٍ إِلَّا وَقَدْ أَنْهَدَمَ أَسَاسُهُ ، وَلَا عَصْدُ دَوْلَةٍ إِلَّا وَقَدْ بَطَلَ إِحْسَاسُهُ . أَقَامَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِإِزَالَةِ هَذِهِ النَّوَازِلِ الْفَادِحَةِ ، وَإِخْلَاصِ نَارِ هَذِهِ الْقَبَائِحِ الْفَادِحَةِ ؛

مَنْ تَوَفَّرَتِ الدَّوَاعِي عَلَى اسْتِحْقَاقِهِ السُّلْطَنَةَ الشَّرِيفَةَ ، وَأَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى انْتِحْصَارِ ذَلِكَ فِي أَوْصَافِهِ الْمُنِيفَةِ ؛ وَدَلَّتْ أَمَّاؤُ السُّعُودِ عَلَى مَحَلَّةِ الْجَلِيلِ ، وَجَنَابِهِ الَّذِي إِذَا لَازَبَهُ مِنْ خَافِ الدَّهْرِ رَجَعَ وَطَرَفُ الدَّهْرِ عَنْهُ كَلِيلٌ ؛ طَالَمَا أَصْنَى مُوَارِدَ الْعَدْلِ ، وَأَصْنَى أَذْيَالَ الْقَضَلِ ؛ وَأَمَّنَ الْخَائِفَ ، وَرَوَّعَ الْخَائِفَ ؛ وَأَمْضَى فِي الْجِهَادِ عَزَمَهُ ، وَأَنْفَذَ فِي السَّرَايَا إِلَيْهِ حُكْمَهُ ، وَسَدَّدَ إِلَى مَعَاوِنِهِ فِي غَرَضِ الْكُفَّارِ سَهْمَهُ ؛ وَفَتَحَ الطَّرِيقَ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ بَعْدَ الْإِنْسِدَادِ ، وَأَنْعَمَ عَلَى الْقَانِعِ وَالْمُعْتَرِّ بِالرَّاحِلَةِ وَالزَّادِ ؛ وَعَمَّرَ الْمَسَاجِدَ ، وَجَعَلَهَا آهَلَةً بِالرَّاكِعِ وَالسَّاجِدِ ؛ وَجَلَّا عُرُوسَ الْأُمُومَى فِي حُلِّ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ ، وَأَعَادَ عُودَ مِنبَرِهِ الذَّائِلِ وَهُوَ نَضِيرٌ . هَذَا مَعَ شَجَاعَةٍ شَاهَدَهَا وَشَهِدَ بِهَا أَبْطَالُ الْإِسْلَامِ ، وَسَطُورَةٌ تَحْشَاهَا الْأُسُودُ فِي الْآجَامِ ، وَوَقَارٍ يُخَضِّعُ بِالْهِيبَةِ رُعُوسَ الْأَعْلَامِ ؛ وَبِشْرِ يَطْلُعُ جَفْرُهُ مِنْ طَالِعِ جَبْهَتِهِ ، وَنُورٍ سَاطِعٍ مِنْ جِهَةِ جَبْهَتِهِ ؛ وَحَيَاءٍ مُتَطَلِّعٍ مِنْ طَلْعَتِهِ ، وَحِبَاءٍ مُتَدَفِّقٍ مِنْ أَمَلَتِهِ ؛ وَكُنْتُ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْجَلِيلُ الْمُؤَيَّدُ - لَا زَالَ تَمَلُّ الدِّينَ بِكَ مُجْمُوعًا ، وَعَلِمَ الْإِسْلَامَ مَرْفُوعًا ، وَقَلْبُ أَهْلِ الشَّرْكِ وَالنِّفَاقِ مَرْوَعًا - أَنْتَ الْمُتَّصِفُ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ ، وَالْكَاشِفُ لِنُكْثِ الشَّدَائِدِ الشَّدِيدَةِ ؛ فَلَمْ يَرَعْكَ خَطَرُ الْخَطَّارَةِ ، وَلَا انْخِلَالُ أَهْلِ صَرْخَدَ حَيْثُ أَشْهَرْتَ عِزَّائِمَ صَوَارِمِكَ الْبِتَّارَةِ ؛ وَلَا خَطَرُكَ مِنَ الْقَيْسَارِيَّةِ إِلَى الرِّيدَانِيَّةِ فِي أَسْرَعِ مِنْ غَفْوِهِ ، وَالشَّيْخُ لَا تُتَكْرَلُهُ الْخَطُوبُ ؛ وَلَا مَشَاهِدَةُ الْحِمَامِ فِي الْحَمَامِ ، وَلَا زَاغَ بَصْرِكَ بِالْبُحُونِ حِينَ أَظْلَمَ الْقَتَامُ ؛ حَتَّى زَالَ الْمَانِعُ ، وَهَجَعَ الْهَاجِعُ ؛ وَأُمِنْتَ الْخُطُوبَ ، وَفُرِّجْتَ الْكُرُوبَ ؛ وَحَلَّ دَسْتُ السُّلْطَنَةِ مِنْ نَكْثِ الْإِيْمَانِ ، وَأَصَرَّ عَلَى الْإِيْمِ وَالْعُدْوَانِ ، وَأَقَرَّتْ أَسَمَ الْخِلَافَةِ عَلَى الْإِنْفِرَادِ ، لَيْسَتْ خَيْرَ اللَّهِ فِي الْأَصْلَحِ لِلْعِبَادِ وَالْبِلَادِ .

هَذَا وَرَأَى أَهْلَ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ مِنْ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ وَأُمَرَائِهِ ، وَقُضَاتِهِ وَعُلَمَائِهِ ، وَمَشَايِخِهِ وَصُلَحَاءِهِ ، وَخَاصَّتِهِ وَعَامَّتِهِ ، وَرَأَى مُوَلَانَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَعَزَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ

الدِّينَ ، وَجَمَعَ بَيْنَ بَرَكَتِهِ شَمْلَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ؛ مُجْمَعٌ عَلَى تَفْوِضِ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ
وَوَلَايَةِ عَهْدِهِمْ وَكَفَالَةِ السُّلْطَانَةِ الشَّرِيفَةِ وَالْإِمَامَةِ الْعُظْمَى إِلَيْكَ - خَلَّدَ اللَّهُ سُلْطَانَكَ ،
وَجَعَلَ الدَّهْرَ خَدِيكَ وَالْمَلَائِكَةَ أَعْوَانَكَ ؛ فَقَدَّمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْإِسْتِخَارَةِ أَمَامَ
هَذَا التَّقْلِيدِ مَا يُعْتَبَرُ فِي السُّنَّةِ الشَّرِيفَةِ وَيُقَدَّمُ ، وَعَلِمَ أَنَّ الْمَصْلَحَةَ فِيمَا خَارَهُ اللَّهُ لَهُ
وَلِلْأُمَّةِ مِنْ وِلَايَتِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُبْجَلُ وَالسُّلْطَانُ الْأَعْظَمُ ؛ وَأَنَّكَ أَجْرًا لِلدَّيْمِ ، وَأَبْرَ
بِالْأُمَّةِ ؛ وَشَاهَدَ بِاجْتِمَاعِ الْأُمَّةِ عَلَى سَاطِطِكَ مِنَ التَّائِلِ وَالْإِتِّفَاقِ ، مَا نَفَى الْخِلَافَ
وَالشَّقَاقَ ؛ وَمَا سَرَّ الْجُمْهُورَ الطَّائِعِينَ مِنْ غَيْرِ دِفَاعٍ ، وَالْحَمَّ الْغَفِيرَ لِبَدِيعِ آرَائِكَ وَرَفِيعِ
رَايَاتِكَ مُذْنَعِينَ لِحَسَنِ الْإِتِّبَاعِ ؛ وَأَهْلَ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ لِأَمْرِكَ وَنَبِيكَ قَدْ خَضَعَتْ
مِنْهُمْ الرِّقَابَ ، وَسَارَعُوا إِلَى إِبَاجَةِ دَعْوَتِكَ حِينَ أَنْضَحَتْ لَهُمْ أَدْلَةُ الصَّوَابِ .
وَالزَّمَانُ بِإِقْفَاءِ الْأَمْرِ إِلَيْكَ قَدْ طَابَ وَاعْتَدَلَ ، وَالْأَرْضُ فِي مِشَارِقِهَا وَمَغَارِبِهَا
بِمَهَابَتِكَ قَدْ أَمِنَتْ مِنَ الْوَجَلِ ، وَالنَّفُوسُ الْآيِيَّةُ قَدْ أَدْعَنْتْ لِمُبَايَعَتِكَ مِنْ غَيْرِ مَهَلٍ ؛
وَالْفِتْنَةُ وَقَدْ رَدَّ اللَّهُ بِالْفَيْظِ مُيَرَّهَا ، وَالْأُلْفَةُ وَقَدْ بَرَقَتْ مِنْ سَرَائِرِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ
أَسَارِيرُهَا ؛ وَالْعَسَاكِرُ الْمَنْصُورَةُ قَدْ أَحَاطَتْ بِهِ كَمَا أَحَاطَتْ بِالْبُدُورِ الْهَالِكَةِ ، وَقَدْ أُنْزِلَ
اللَّهُ عَلَيْكَ نَامُوسَ الْمَهَابَةِ وَالْحَسَالَةِ ؛ وَفُوضَ إِلَيْكَ مَا وَلَّاهُ اللَّهُ مِنْ أُمُورِ الْإِسْلَامِ
وَالْمُسْلِمِينَ ، وَأَسَدَّ إِلَيْكَ مَا فِي يَدِهِ مِنْ مَصَالِحِ عِبَادَةِ الْمُؤْمِنِينَ : لَتُقِيمَ عَلَى أُسَاسِ
أَحْكَامِكَ دَعَائِمُ الدِّينِ الْقَوِيمِ ، وَتُسَيَّرَ الْخِلَافُ عَلَى مِنْهَاجِ طَرِيقِكَ الْمُسْتَقِيمِ ؛
وَتَحْسُنَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - بِرِعَايَتِكَ عَاقِبَةُ الرِّعْيَةِ ، كَمَا أَصْبَحَتْ قُلُوبُهُمْ بِكَ رَاضِيَةً
مَرْضِيَةً .

وَعَهْدَ إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي كُلِّ مَا وَرَاءَ سَرِيرِ خِلَافَتِهِ ، وَفِي كُلِّ مَا يَرْتَبِطُ بِأَحْكَامِ
إِمَامَتِهِ ؛ وَقَدْ لَكَ ذَلِكَ شَرْقًا وَغَرْبًا ، وَبُعْدًا وَقُرْبًا ؛ وَبَرًّا وَبَحْرًا ، وَسَهْلًا وَوَعْرًا ؛
وَفِي كُلِّ مَا لَكَ مِنَ الْمُلْكِ وَالْمَالِكِ ، وَمَا يَفْتَحُهُ [اللَّهُ] عَلَى يَدِكَ بَعْدَ ذَلِكَ ؛ تَفْوِضًا

شاملاً، وتقليداً كاملاً؛ وعهداً تاماً، وإسناداً عاتماً؛ ولَايَةً مَكَّةَ الْبَنَانِ، مؤسَّسةً على تَقْوَى من الله وِرْضوان؛ وسلطنةً آخذةً بالذَّم، مشتملةً على جميع الأُمم؛ يدخل في هذا العهد العامُّ والتفويض التامُّ، والرأى الذى شهد له إجماعُ الأُمّة بالإحكام؛ [يدخل في ذلك] مَفْضُولُ النَّاسِ وَفَاضِلُهُمْ، وَعَالِمُهُمْ وَجَاهِلُهُمْ؛ وَخَاصُّهُمْ وَعَامُّهُمْ، وَنَاقِصُهُمْ وَتَامُّهُمْ؛ وَشَرِيفُهُمْ وَمَشْرُوفُهُمْ، وَقَوِيَّهُمْ وَضَعِيفُهُمْ؛ وَأَمْرُهُمْ وَمَأْمُورُهُمْ، وَقَاهِرُهُمْ وَمَقْهُورُهُمْ؛ وَالْجَمْعُ وَالْجَمَاعَاتُ، وَبُيُوتُ الْعِبَادَةِ وَالطَّاعَاتُ؛ وَالْقَضَاةُ وَأَحْكَامُهَا، وَالْخُطَبَاءُ وَمَنَارُهَا وَأَعْلَامُهَا؛ وَالْجِيُوشُ وَالْعَسَاكِرُ وَالْكَتَائِبُ، وَرَبُّ سَيْفٍ وَكَاتِبُ إِنْشَاءٍ وَقَلَمُ حَاسِبٍ؛ وَطَوَائِفُ الرِّعَايَا عَلَى اخْتِلَافِ أَطْوَارِهِمْ، وَتَفَاوُتِ أَرْزَاقِهِمْ وَأَقْدَارِهِمْ؛ وَالْعُرَبَانُ وَالْعَشَائِرُ، وَبُيُوتُ الْأَمْوَالِ وَالذَّخَائِرِ؛ وَدَانِي الْأُمَمِ وَقَاصِيهَا، وَطَائِعُهَا وَعَاصِيهَا؛ وَالْخَرَاجُ وَجَبَايَاهُ، وَالْمَصْرُوفُ وَجِهَاتُهُ؛ وَالصَّدَقَاتُ وَمَسْتَحَقُّوهَا، وَالرِّزْقُ وَمَرْتَرِقُوهَا؛ وَالْإِقْطَاعَاتُ وَالْأَجْنَادُ، وَمَا يُسْتَعَدُّ [به] لِمَوَاطِنِ الْجِهَادِ؛ وَالْمَنَعُ وَالْعَطَاءُ، وَالْقَبْضُ وَالْإِمْضَاءُ؛ وَالْخُمْسُ وَالزُّكُوتُ، وَالْهُدَنُ وَالْمَعَاهِدَاتُ، وَالْبَيْعُ وَالْقَامَاتُ؛ وَمَا يَظْهَرُ مِنْ أُمُورِ الْمَلِكِ وَمَا يَخْفَى، وَمَا تَسْتَدْعِيهِ بَرَاعَتُكَ فِي السِّرِّ وَالْخَفَاءِ؛ وَشِعَارُ السُّلْطَنَةِ وَأَهْبَتُهَا، وَنَوَامِيسُ الْمَلِكِ وَحُرْمَتُهَا.

فأجبت - رعاك الله - دعوة أمير المؤمنين ودعوتهم لقبول ذلك مسئُلاً، معتمداً على أن الله سَيُنْزِلُ إِلَيْكَ مِنْ يُسَدِّدُكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِعْلاً وَقَوْلًا؛ فَأَجْلِسْ - أَيْدِكَ اللَّهُ - عَلَى تَحْتِ مُلْكٍ قَدْ هَيَّاهُ اللَّهُ لِمَوَافِقِكَ الْمَطْهَرَةِ، وَسِرِّرِ سُلْطَنِيَّةِ عُلُقَتِ سِرِّرِ سَعْدِكَ الْأَمْجِدِ فَتَقَاعَسَتْ الْهِمَمُ عَنْهُ مَقْصَرَةٌ .

فالحمد لله ثم الحمد لله عن الدهر وأبنائه، ولا مثل هذه النعمة بهذا الخبر وأبنائه؛ **﴿ ذَلِكُمْ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ ﴾** وهذا ما كان من قِصَّةِ الدِّينِ عَلَى رَغَمِ

الْوَسْوَاسَ الْخَنَّاسَ ؛ وهذا ما كانت الآمالُ تنتظرُ وروده، وجواري القِدمِ ترتقبُ
سُعوده :

والله ما زادوك مُلكاً إلماً * زادوا أكفَّ الطالبين نوالاً !

وأما الوصايا، فانت بحمد الله طالماً ملأت بها الأسماع، وكشفت عاطفتك لمن
أردت ترتيبه عنها القناع ؛ ولكن عهد من تعبداتك السماع لشذوها، والطرب
لحدوها؛ فعليك بتقوى الله، فيها تورق أغصانُ الأرب الذوابل، ويُغرّد طائرُ عزك
الميمون بالأنحار والأصائل؛ فاجعلها ربيع صدرك، وأينع بها حدائق فكرك؛
وروح بعرفها الأريج أرجاء مُلكك، وأجرِ الشرع الشريف على ما عودته من نصرك،
والعلماء على ما ألقوه من برك وخيرك؛ فهم ورثة الأنبياء عليهم السلام، والدالون على
الشريعة بأسنة أعلامهم ما يكُل عنه حد الحسام ؛ وطهر منصب الشرع الشريف
من الرذائل، وضمن أيام مُلكك الشريف عن الجهال والآكلين أموال الناس
بالباطل؛ والعدل - ونستغفر الله - فإنك مُتمر لغراسه، رافع ما أنهدم من أساسه؛
قد جعلته مجلس محاكماتك، وأنيس خلواتك؛ والفضل - وبرك أنجمل الأعلام
فلومر بك راجيك على الصفا لأرتاح للعروف، أو شاهد هباتك حاتم لرجع طرفه
عنها وهو مطروف؛ ولا سرف في الخير، ولا ضرر ولا ضير؛ وأمر بالمعروف وأنه
عن المنكر فانت المسئول بين يدي الله عن ذلك، وأنه نفسك عن الهوى بحيث
لا يراك الله هنالك؛ وحدود الله فلا تتعداها، والرايا فخطها بعين رعايتك وأرعاها؛
وجند الجنود برأ وبجرا، وأنل أعداءك قهراً وقسراً؛ وراجع النظر في أمر ثواب
السلطنة الشريفة مراجعة الناقد البصير، وتيقظ لصيانة قلاع الممالك ومعاقلها
وحصونها، وتخبر لها من ليس بمشكوك المناصحة ولا مظنونها؛ وحطها مع عمارتها

بالعدة والعدد، والأقوات لكي تطمئن النفوس بمددها منها إذا طالت المدد؛ وتفقد أحوال من فيها من المستخدمه، وأرع حقوق من له بها خدمة متقدمه؛ وأجعل الثغور باسمه بحفظتها، ولا حظ الأمور بحسن تدبيرك المألوف في سياستها. وأستوص خيراً بأمرائك الخالصين من الشكوك، السالكين في طاعتك أحسن السلوك؛ وضاعف لهم الحرمه، وأرع لهم الذمه؛ لاسيما أولى الفكر الثاقب، والرأي الصائب؛ فشاوهم في مهمات الأمور، وأشرح بإحسانك منهم الصدور؛ وأرع حقوق المهاجرين والأنصار، الذين سلكت معك مطاياهم البطاح والقفار، وهجروا محبوبهم من الوطن والدار؛ وجادلوا وجادلوا، وآووا في سبيلك وقاتلوا؛ وأنبأ كلاً منهم ما يرجوه، وأشرح صدورهم بإدراك ما أمّلوه؛ وجيوش الإسلام فاغرس محبتك في قلوبهم بإحسانك، وكما سبقتهم حساً فتحبب إليهم بجزيل أمتنانك؛ وجيوش البحر فكُن لها محيطاً، وبجليات مشيها محيطاً؛ فإنها توجه للأصقاع، سليمانية الإسراع؛ تقذف بالرعب في قلوب أعداء الدين، وتقلع بقلوعها آثار الملحدين؛ فواصل تجهيز السرايا لركوب ثبجه، والغوص إلى أعداء الله في عميق ثبجه. وأجمل النظر في بيت الله الحرام، وحرم رسوله عليه أفضل الصلاة والسلام؛ لتسلك عين الأمن الأباطح، وتقر عيون حمره بالمائع والمائع؛ وتتعرف بعرفانك عرفات، وترى مخاوف الخيف من أيدي مهايتك بالجمرات؛ وصل جيرانهما بصلاتك؛ لتسهر أعينهم بالدعاء لك وأنت في غفواتك. والقدس الشريف الذي هو أحد المساجد التي تشد إليها الرحال فزد تقديسه، وأجعل ربوع عباداته بالصلوات مأنوسه. وإقامة موسم الحج كل سنة فانت بعد حركة تيمور فاتح سبيله، وكاسي تحمله حلل توقيره وتبجيله.

هذه الوصايا تذكّرة للخاطر الشريف وحاشاك من النسيان ، وهذا عهد أمير المؤمنين ومبايعة أولى الحل والعقد قد تفاضيا إلى حَقِّك على الزمان ، وعندك كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ماضل من تمسك بهما ولا مان ، فاتّبع أحكام الله يُوسّع الله لك في مُلكك ، وأجعل هديك بهما إمام نبيك وأمرك ؛ وأد ماقلدك الله من حقوق الإمامة والأمانة إلى خلقه أداء موفورا : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ .

قلت : ولما كان هذا العهد قد آدرع جُلُباب العجائب فأعجب ، وآرتدى برداء الغرائب فأغرب ؛ وسقى غرسه ماء البلاغة فأعجب ، وشفّ الأسماع إذ أسمع فأرقص على السماع وأطرب ؛ وأمتطى صهوة جياذ البيان فتنقل فيها من كُمت إلى أشقر ومن أحوى إلى أنهب - أحببت أن آتي له بطرة هى له فى الحقيقة ذيل ، ونُفبة من بحر وقطرة من سيل ؛ لأجرم جعلتها فى الوضع فى الكتاب له للاحقه ، وإن جرت العادة أن تكون الطرة للعهد سابقه ؛ وهو :

هذا عهد شريف ترقه أعلام أشعة الشمس بذهب الأصيل على صفحات الأيام ، وتُعجمه كف الثريا بنقطة النجوم الزواهر وإن كان لالعهد للعهد بالإنعام ، وتعرّف ملوك الأرض أنّ صاحبه شيخ الملوك والساطين فتقدمه فى الرأى ونجله فى الرتبة وتعامله بالإجلال والإعظام ؛ من عبد الله ووليّه ، وخليفته فى أرضه وصفيه ، وسليل خلفائه الراشدين وابن عم نبيه ؛ الإمام الفلانى (إلى السلطان الاعظم الملك الفلانى إلى آخر الألقاب) .



وهذه نسخة عهد على هذا المذهب ، كُتِبَ به عن أمير المؤمنين المستعين بالله
أبى الفضل العباس خليفة العصر، لللك العادل شمس الدنيا والدين «مظفر شاه»
بالسلطنة بالملكة الهندية، فى شوال سنة ثلاث عشرة وثمانمائة بدمشق المحروسة؛ من
إنشاء الشيخ الإمام علامة العصر، جامع أشتات الأدب ومالك زمانه، تقى الدين
محمد بن حجة، الشاعر الحموى، ومفتى دار العدل بحماة المحروسة، مما كُتِبَ بخط
المولى تاج الدين عبد الرحمن بن التاج ، أحد كُتَّاب الإنشاء الشريف بالأبواب
الشريفة ، فى قطع البغدادى الكامل بخفيف الطومار، وكانت الطرة المكتتبة
فى الوصل الأول خمسة أسطر بالقلم المذكور، وسطرين بخفيف الحقق ، والطرة
البيضاء خمسة أوصال ، والبياض بين كل سطرين ثلث ذراع، ويئت العلامة
الشريفة ضعف ذلك ، والهامش رُبع الورق على العادة . وصورة الطرة :

عهد شريف عهد به عبد الله ووليه سيدنا ومولانا الإمام الأعظم العباس أبو الفضل
المستعين بالله أمير المؤمنين، وآبن عم سيد المرسلين، أعز الله به الدين، وأمتع ببقائه
الإسلام والمسلمين؛ إلى المقام الأشرف، العالى، السلطاني، العادلى، الشمسى ،
أبى المجاهد «مظفر شاه» أعز الله تعالى أنصاره . وقلده السلطنة المعظمة بحضرة
«دهلى» وأعمالها ومضافاتها على عادة من تقدمه فى ذلك؛ ولاية عامة شاملة كاملة
جامعه، وأزعة قاطعة ساطعه؛ شريفة منيفة : فى سائر الممالك الهندية وأقاليمها ،
وتغورها وبلايدها، وعساكرها وأكابرها وأصاغرها ، ورعاياها ورعاتها، وحكامها
وقضاتها، وما آخوت عليه شرقا وغربا، بعدا وقربا على ما شرح فيه .

الصدر بعد البسملة الشريفة :

الحمد لله الذى وثَّقَ عهدَ النَّجَاحِ للمستعين به ، وثَبَّتْ أوتادَه : ليفُوزَ من تَمَسَّكَ من غيرِ فاصلةٍ بَسْبِبه ؛ وَزَيَّنَ السماءَ الدنيا بمصابيحٍ وحِفظا ، وأفرغَ على أعطافِ الأرضِ حُلَّ الخِلافةِ الشريفه ، وعلم أنَّ خَلَفَها الشريفَ زَهْرَةَ الحَيَاةِ الدنيا فقال عز من قائل : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . وأختارها من بيتِ بَراعةٍ أَسْتَهْلَلهُ فى أولِ بيتٍ وُضِعَ للناسِ ، وسبقتُ إرادتَه - وله الحمد - أن تكونَ هذه النِّهْلَةُ من سِقَايةِ العَبَّاسِ .

فالحمد لله على أن جعلَ هذه السَّقَايَةَ عَيْنًا يَشْرَبُ بها المُقَرَّبُونَ ، ومن عِلْمِ شَرَفِها تَمَيَّزَ وتَمَسَّكَ بقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

والحمد لله الذى أَسْتَخْلَفَ آلَهَ فى الأرضِ وَفَضَّلَهُمْ ، فإن تَحَدَّثَ أحدٌ فى شَرَفِ بيتِ فَاللهُ سُبْحَانَهُ قد جعلَ البيتَ والحديثَ لهم ؛ فَأَكْرَمَ بِهِ بَيْتًا من أَقْرَبُ بَعْدِيَّتِهِ كانَ لَهُ بِمَجْدِ اللهِ مِنَ النَارِ عِثْقًا ، وَتَمَتَّعَ بِبَرَكَتِهِ التى لَا يَتَجَنَّبُهَا إِلَّا الْأَشْقَى ؛ وَهُوَ الْبَيْتُ الذى بَعَثَ اللهُ مِنْهُ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، وداعيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ، وَصَفَّى أَهْلَهُ مِنَ الْأَدْنَسِ وَأَنْزَلَ فى حَقِّهِمْ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ . وصَيَّرَ عِلْمَهُمُ الْخَلِيفَةَ عَلَى وَجْهِ الدَّهْرِ شَامَةً ، وَخَصَّصَهُمُ بِالتَّقديمِ فَالحمد لله واللهُ أَكْبَرُ لَهُدِهِ الْإِمَامَةِ ؛ وَإِذَا كَانَ النِّسَبُ مَقْدَمًا فى الْمَدْحِ وَهُوَ فى النِّظْمِ واسِطَةً الْعُقُودِ ، فَهَذَا هُوَ النِّسَبُ الذى كَانَتْ عَلَيْهِ من شَمْسِ الضُّحَى نُورًا ومن فَلَقِ الصَّبَاحِ عُمُودٌ ؛ وَهَذَا هُوَ الرُّكْنُ الذى مِنْ أَسْتَمَدَ وَإِلَيْهِ قِيلَ لَهُ : فُزْتَ بَعْلُو سَدِّكَ ، فَقَدْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِعَمِّهِ الْعَبَّاسِ : ” يَا عَمُّ أَلَا أُبَشِّرُكَ ؟ ” قَالَ : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ - قَالَ : إِنَّ اللهَ فَتَحَ الْأُمْرَ بِي

وَيَحْتَمُّهُ بَوْلَدِكَ“ . وهذا الحديث يُرشد إلى التمسك بِطِيبِ الْعُهُودِ الْعَبَاسِيَّةِ لِتُقِيَصَ عَلَى الْمُتَمَسِّكِ بِهَا نَيْلُ الْوَفَاءِ، وَتُعَيَّنَ مِنْ أَسْتَعَانِ بِالْمُسْتَعِينِ وَعِلْمُ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِحَدِّثِهِ : ” أَنتَ أَبُو الْخُلَفَاءِ “ . وَنَاهِيكَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأُمِّ فَضْلٍ وَهِيَ شَاكَّةٌ فِي الْحَمْلِ : ” أَذْهَبِي بِأَبِي الْخُلَفَاءِ “ فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ الْمُتَنَزِّهُ بِهِ هَذَا الشَّمْلُ فَأَحْبَبَ بِهَا شَجَرَةً زَكَوَتْ عَنْهَا وَنَمَّاءٌ، وَتَسَامَتْ بِهَا الْأَرْضُ وَكَيْفَ لَا ؟ وَأَصْلُهَا ثَابِتٌ وَقَرَعَهَا فِي السَّمَاءِ فَسَلَامٌ عَلَى هَذَا الْخَلْفِ الَّذِي مِنْهُ الْمُسْتَعِينُ بِاللَّهِ وَالْمُتَوَكِّلُ عَلَيْهِ وَالْوَاتِقُ بِهِ وَالْمُعْتَصِمُ وَالرَّشِيدُ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ . نَحْمَدُهُ حَمْدَ مَنْ عِلْمُهُ أَنَّ آلَ هَذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ كَسْفِينَةِ نُوحٍ وَتَعَلَّقَ بِهِمْ فَتَجَا ، وَنَشْكُرُهُ شُكْرَ مَنْ مَالَ إِلَى الدُّخُولِ تَحْتَ الْعِلْمِ الْعَبَّاسِيِّ وَتَتَّصِلُ مِنَ الْخَوَارِجِ فَوَجَدَ لَهُ مِنْ كُلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجًا ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً نَزَجُوا أَنْ تَكُونَ مَقْبُولَةً عِنْدَ الْحَاكِمِ وَقَتَ الْأَدَاءِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي حَرَّضَنَا عَلَى التَّمَسُّكِ بِالْعُهُودِ وَأَرْشَدَنَا إِلَى طَرِيقِ الْهُدَى ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ وَقَّوْا بِالْعُهُودِ ، وَكَانُوا فِي نِظَامِ هَذَا الدِّينِ وَجَعَهُ فَرَائِدَ الْعُقُودِ ؛ صَلَاةً يَسْقِي عَهَادَ الرَّحْمَةِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - عَهْدَهَا ، وَيَنْتَظِمُ فِي سِلْكِ الْقَبُولِ عَقْدَهَا ؛ وَسَلَامٌ تَسْلِيماً .

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي أَلْهَمَنَا الرَّشْدَ وَجَعَلَ مِنَّا الْخُلَفَاءَ الرَّاشِدِينَ ، وَهَدَانَا بَنِيَّةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَصَّنَا مِنْ بَيْتِهِ الشَّرِيفِ بِالْأُئِمَّةِ الْمُهَدِّيِّينَ ؛ وَأَصْطَفَى مِنْ هَذَا الْخَلْفِ خِلَافَةَ الْأَرْضِ ، وَسَنَّ مَوَاضِيَ الْعُقُولِ الَّتِي قَطَعَتْ أَنَّ طَاعَتَنَا قَرَضٌ ؛ فَإِنَّ لِعَهْدِنَا الْعَبَّاسِيِّ شَرَفًا لَا يُرْفَلُ فِي حُلَلِهِ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ مَعَ اللَّهِ عَهْدًا وَأَتَاهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ أَعْوَدُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . وَلَا يَتَمَسَّكُ بِهَذَا الْعَهْدِ إِلَّا مَنْ صَحَّاحًا إِلَى الْقِيَامِ

بواجب الطاعة وترك أهل الجهل في سكرتهم يعمهون، وانتظم في سلك من أنزل الله في حقهم : ﴿ وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ .

فن نهض إلى المشي في مناجاه مشى بعين البصيرة في الطريق القويم، وتلا له لسان الحال : ﴿ أَفَنَنْ يَمْشِي مُكَبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ . وهو قبضة من آثار البيعة النبوية ، وشعار يتشرف به من مشى تحت ألويته العباسية ؛ وما أرسل هذا العهد النبوي إلى أحد من ملوك الأرض إلا عمه الشرف من جميع جهاته ، و ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ وشادت أعواد منبره طربا ، وأزهرت رونقا وأثمرت أدبا ؛ وأستطالت بيد الخلافة لإقامة الحدد ، وكيف لا ويد الخلافة لا تطاويلها يد ؛ وكان المقام الأشرف (إلى آخر الألقاب المذكورة في التعريف وأسمه المكتتب في الطرة) هو الذي رغب في التمسك بهذا العهد الشريف ليزيل عن ملكه الإلباس ، وأستند إليه ليروي بسنده العالی عن ابن عباس ؛ فإنه الملك الذي ظفره الله بأعداء هذا الدين وسماه مظفرا ، ولقبه بالشمسي وأختار له أن يقارن من الطلعة المستعينية قمرأ ؛ أبلغ زهر العدل من حضرة ”دهلي“ فعطر الآفاق ، وضاع نشره بالهند فعاد الشم إلى المزكوم بالعراق ؛ وصارت دمن ”صومنات“^(١) عامرة بقيام الدين ، وأيده الله فيها بعد القتال بالفتح المبين ؛ ولم يترك للعدو في بيت بيت ليله ، وأبطل مادهره أهل دهلي بحسن اليقظة وقوة الصولة ؛ وأباد الكفرة من أهل ديو ولم يقبل لهم ديه ، وفأوا إلى غير أمر الله فأبادهم بسيفه الهندي فلم تقم لهم فيه ؛ وفطر أجداد من ناواه بها فلازموا عن رؤيتها الصوم ، ونادى منادى عدله

(١) تقدم في (ج ٥) من هذا المطبوع أنها ”صومنات“ بالصاد المهملة ويقال أيضا بالسين المهملة

بدل الصاد .

بالبلاد الهندية : لا ظَمَ اليَوْمَ؛ ودانت له تلك الممالك بَرًّا وبحرا، وسَهْلا ووَعْرًا؛
ما نَظَمَ الأعداءُ على البحرِ المديدِ بيتًا إلا أبانَ زِحَافَهُ وأدار عليه دوائِرَهُ ، فكم نَظَمَ
شَمْلُ الرعايا بالعدلِ ونَثْرُ رُعُوسِ الطُّغَاةِ بالسيفِ فلا عَدِمَ الإسلامُ نَاطِمَهُ ونَاثِرَهُ ؛
سُئِلَتِ الرُّجُبانُ في البرِّ عن مَنَاقِبِهِ الجميلةِ وعمَّ يَتَسَاءَلُونَ وقد صار لها عَظِيمُ النِّبَا ،
وصرَّحَ رَاكِبُ البحرِ بعد التسميةِ بِاسْمِهِ ﴿ وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ مَجْجَابًا ﴾ فَظَلَّهُ فِي الْبَرِّ
ظَلِيلٌ ، وَعَدَلُهُ فِي الْبَحْرِ بِسَيْطٍ وَطَوِيل .

(١)

هذا ولم يَبْقَ في تلك الممالكِ الهنديةِ بقعةٌ إلا ولم يصغر اللهُ بِسَنَابِكِ الخيلِ فيها
مَشَاهِدًا ، ولا نَفْسٌ خَارجَةٌ عن الطاعةِ إلا وماتت في رُقعةِ الأرضِ بِمَظْفَرٍ شاهٍ ؛ فذلِكَ
رُسْمُ بالأمرِ الشريفِ العالى ، المولوى ، السيِّدى ، الإمامى ، الأعظمى ، النبوى ،
المستعنى ، سيدنا ومولانا أمير المؤمنين المستعين باللهِ أبى الفضل العباس (ونسبه
إلى الحاكم بأمر الله ، والدعاء) بعد أن آستخار الله تعالى سيدنا ومولانا أمير المؤمنين
كثيرا ، وآتخذَه هادِيًا ونَصِيرًا ، وصلى على أبْنِ عمِّه سيدنا محمدٍ صلى الله عليه وسلم -
أن يفوض إلى المقام الأشرف المشار إليه ولايةَ العهدِ وكفالةَ الساطنة المعظمة ،
بمحضرةِ دَهْلِيٍّ وأعمالها كما في الطرَّة كما هو المعهود : لِيَهْطَلَ جُودُ الرحمةِ على تلك البقاعِ
المباركةِ إن شاء الله ويَجُودَ : لما رآه من صلاحِ الأئمةِ ومصالحِ الخلقِ ، آستخلافًا
نَحَلَّى بذكره الأفواه ، وتَسْتَنِدُ إليه الرِّوَاةُ ، وتترنَّمُ به الحُدَّاءُ ، وتَسْتَبْشِرُ به كافةُ الأُتَمِّ ،
ويَقْطَعُ به وَيَحْفَظُهُ رَبُّ كلِّ سيفٍ وقَلَمٍ ، ويعتمدُ عليه كلُّ ذى عِلْمٍ وعِلْمٍ ، فلا زعيمَ
جيشٍ بها إلا وهذا التفويضُ يَسْعُهُ ويشْمَلُهُ ، ولا إقْلِيمَ من أقاليمها إلا ومن به
يُقْبَلُ ويقْبَلُهُ ، ويمْتَثَلُ به ويمْتَثِلُهُ ، ولا منْبَرٍ يجوامعها إلا وخطيبُهُ يتلو برهانَ هذا
التفويضِ ويرتِّلُهُ .

وأما الوصايا فعنده - إن شاء الله - تَهَبُ نَسَبَاتُ قَبُولِهَا ، وتُعَرَّبُ عَنْ نَصَبِ مَفْعُولِهَا ؛ وهو بحمد الله تعالى لوصايا هذا العهد المبارك نِعَمَ الْقَابِلِ ، ففى الصّحّاحين عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلم : ” سَبْعَةٌ يَظْلَهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ مِنْهُمْ الْإِمَامُ الْعَادِلُ “ والوصيّة بالرّعايا واجبة والعَدْلُ فيهم قد حَرَضَ النّبيّ صلّى الله عليه وسلم عليه ، وقال : ” يَوْمَ مِنْ إِمَامٍ عَادِلٍ أَفْضَلُ مِنْ مَطَرٍ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا أَحْوَجَ مَا تَكُونُ الْأَرْضُ إِلَيْهِ “ . وقال ابنُ عَمَّانَ عَلَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ « الْمُلْكُ وَالِدَيْنِ أَخَوَانِ لَاغْنَى لِأَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ ، وَتَشْرَهُمَا فِي الرِّعْيَةِ ضَائِعٌ ، فَالِدَيْنِ أَسُّ وَالْمُلْكُ حَارَسٌ ، فَمَا لَمْ يَكُنْ لَهُ أَسٌّ فَهُدُومٌ ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَارَسٌ فَضَائِعٌ » - فليأْمُرْ بالمعروف وَيَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ غَالِبًا أَنَّهُ لَيْسَ يُسَالُ غَدًا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ عِزٌّ وَجَلٌّ عَنْ ذَلِكَ سَوَانًا وَسَوَاءً ، وَيَنْهَ نَفْسَهُ عَنِ الْهَوَىِّ فَلَا يَحْسُنَ لِعُودِ قَدِّهِ أَنْ يَمِيلَ مَعَ هَوَاهُ - وَلِيَتْرِكَ التَّغُورَ بَعْدَهِ بِاسْمِهِ ، وَقَوَاعِدَ الْمُلْكِ بِفَضْلِهِ قَائِمَةً - وَلِيَجَاهِدَ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، وَيَلْطَفَ بِالرَّعَايَا وَيَعْلَمَ أَنَّ اللهَ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ - وَلِيُشْرَحَ لَهُمُ بِالْإِحْسَانِ صَدْرًا ، وَيُخْرِجَهُمْ إِذَا وَقَفَ عَلَى أَحْوَالِهِمْ أَحْسَنَ مَخْرَجٍ ؛ وهو بحمد الله غير محتاج إلى التأكيد : لِأَنَّهُ لَمْ يَخْلُ لَهُ مِنَ الْقِيَامِ فِي مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ فِكْرٌ ، وَلَكِنَّهُ تَجْدِيدُ ذِكْرِ عَلَى ذِكْرٍ ؛ وَاللهُ تَعَالَى يَمْتَعَ بِطُولِ بَقَائِهِ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ ، وَلَا بَرَحَتْ سَيُوفُهُ الْهِنْدِيَّةُ تَكَلِّمُ أَعْدَاءَ هَذَا الدِّينِ بِالسَّنَةِ حَدَادٍ ؛ وَثَبَّتْ مُلْكُهُ بِالْعَدْلِ وَشَيَّدَ أَقْوَالَهُ وَأَفْعَالَهُ ، وَخَتَمَ بِالصَّالِحَاتِ أَعْمَالَهُ ؛ وَالْأَعْتَادُ عَلَى الْخَطِّ الْإِمَامِيِّ الْمُسْتَعِينِيَّ أَعْلَاهُ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

قلت : ولم يُعْهَدَ أَنَّهُ كُتِبَ عَنِ الْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ الْقَائِمِينَ بِالْأَمْرِ الْمَصْرِيَّةِ عَهْدُ الْمَلِكِ مِنْ غَيْرِ مَلُوكِ الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ سِوَى هَذَا الْعَهْدِ .

المذهب الرابع

(١) [أن يفتح العهد بقوله أما بعد] « فالحمد لله » أو « أما بعد
فإن أمير المؤمنين » أو « أما بعد فإن كذا » ونحو ذلك)

ويأتى بما يناسب من براعة الاستهلال وحال المتولى والمولى وما يجري مجرى ذلك مما يستح للكتاب ذكره مما يناسب الحال ، ويأتى من الوصايا بما يناسب المقام : إما بلفظ الغيبة أو بلفظ الخطاب كما فى غيره من المذاهب السابقة ، وهى طريقة اقترحها الوزير ضياء الدين بن الأثير فى " المثل السائر " أنشأ عليها عهدا فى معارضة المكتوب للسلطان صلاح الدين « يوسف بن أيوب » من ديوان الخلافة ببغداد الآتى ذكره فى المذهب الخامس ، وهذه نسخته :

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين يبدأ بحمد الله الذى يكون لكل خطبة قيادا ، ولكل أمر مهادا ، ويستريده من نعمه التى جعلت التقوى له زادا ، وحملته عبء الخلافة فلم يضعف عنه طوقا ولم يأل فيه اجتهادا ، وصغرت لديه أمر الدنيا فما تسورت له محرابا ولا عرست عليه جادا ، وحقت فيه قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ . ثم يصلى على من أنزلت الملائكة لنصره إمدادا ، وأسرى به إلى السماء حتى ارتقى سبعا شدادا ، وتجلّى له ربه فلم يزغ منه بصرا ولا أكذب فؤادا ، ثم من بعده على أسرته الطاهرة التى زكت أوراقا وأعوادا ، وورث النور المبين تلامدا ، ووصفت بأنها أحد الثقلين هداية وإرشادا ، وخصوصا عمه العباس المدعوله بأن يحفظ نفسه وأولادا ، وأن تبقى كلمة الخلافة فيهم خالدة لا تخاف دركا ولا تحشى نقادا .

(١) بياض بالأصل ، والتصحيح مما يقتضيه المقام .

وَإِذَا اسْتَوَيْتُ الْقَلَمَ مِدَادَهُ مِنْ هَذِهِ الْحَمْدِ لَهُ ، وَأَسْنَدَ الْقَوْلَ فِيهَا عَنْ قِصَاحَتِهِ
 الْمُرْسَلَةِ ؛ فَإِنَّهُ يَأْخُذُ فِي إِنْشَاءِ هَذَا التَّقْلِيدِ الَّذِي جَعَلَهُ حَلِيفًا لِقِرْطَاسِهِ ، وَأَسْتَدَامَ
 مُجُودَهُ عَلَى صَفْحَتِهِ حَتَّى لَمْ يَكُنْ يَرْفَعُ مِنْ رَأْسِهِ ؛ وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِإِفَاضَتِهِ فِي وَصْفِ
 الْمَنَاقِبِ الَّتِي كَثُرَتْ فَحُسِّنَ لَهَا مَقَامُ الْإِمْثَارِ ، وَأَشْتَبَهَ التَّطْوِيلُ فِيهَا بِالْإِخْتِصَارِ ؛
 وَهِيَ الَّتِي لَا يَفْتَقِرُ وَاصِفُهَا إِلَى الْقَوْلِ الْمُعَادِ ، وَلَا يَسْتَوْعِرُ سُلُوكُ أَطْوَادِهَا وَمِنْ
 الْعَجَبِ وَجُودُ السَّهْلِ فِي سُلُوكِ الْأَطْوَادِ ؛ وَتِلْكَ مَنَاقِبُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ النَّاصِرُ الْأَجَلُّ ،
 السَّيِّدُ ، الْكَبِيرُ ، الْعَالِمُ ، الْعَادِلُ ، الْمَجَاهِدُ ، الْمُرَاطِبُ ؛ صَلَاحُ الدِّينِ أَبُو الْمُظَفَّرِ يَوْسُفُ
 بَنِ أَبِي يُونُسَ ؛ وَالِدِيوَانُ الْعَزِيزُ يَتْلُوهَا عَلَيْكَ تَحَدُّثًا بِشُكْرِكَ ، وَيَبَاهِي بِكَ أَوْلِيَائَهُ تَتَوَيَّاهَا
 بِذِكْرِكَ ؛ وَيَقُولُ : أَنْتَ الَّذِي تُسْتَكْفَى فَتَكُونُ لِلدَّوْلَةِ سَهْمَهَا الصَّائِبَ ، وَشِهَابَهَا
 الثَّاقِبَ ؛ وَكَثَرَتِهَا الَّتِي تَذْهَبُ الْكَنُوزُ وَلَيْسَ بِذَاهِبٍ ، وَمَا ضَرَّهَا وَقَدْ حَضَرَتْ
 فِي نُصْرَتِهَا إِذَا كَانَ غَيْرُكَ هُوَ الْغَائِبَ ؛ فَأَشْكُرُ إِذَا مَسَاعِيكَ الَّتِي أَهْلَتَكَ لَهَا أَهْلَتَكَ ،
 وَفَضَّلْتَكَ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ بِمَا فَضَّلْتَكَ ؛ وَلَيْتَنِي سُورِكْتُ فِي الْوَلَاءِ بِعَقِيدَةِ الْإِخْمَارِ ،
 فَلَمْ تُشَارِكْ فِي عَزْمِكَ الَّذِي آتَتْصَرَ لِلدَّوْلَةِ فَكَانَ لَهُ بَسْطَةُ الْإِخْتِصَارِ ؛ وَفَرَّقَ بَيْنَ مَنْ
 أَمَدَ بَقْلَهُ وَمَنْ أَمَدَ بِيَدِهِ فِي دَرَجَاتِ الْإِمْدَادِ ، وَمَا جَعَلَ اللَّهُ الْقَاعِدِينَ كَالَّذِينَ قَالُوا
 ”لَوْ أَمَرْنَا لَضَرَبْنَا أَسْبَاطَهَا إِلَى بَرْكَ الْعِيَادِ“ . وَقَدْ كَفَاكَ مِنَ الْمَسَاعِي أَنْكَ كَفَيْتَ
 الْخِلَافَةَ أَمْرَ مَنَازِعِيهَا ، فَطَمَسْتَ عَلَى الدَّعْوَةِ الْكَاذِبَةِ الَّتِي كَانَتْ تَدْعِيهَا ؛ وَلَقَدْ مَضَى
 عَلَيْهَا زَمَنٌ وَمَحْرَابٌ حَقَّهَا مُحْفُوفٌ مِنَ الْبَاطِلِ مُخْرَائِينَ ، وَرَأَتْ مَا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ السُّوَارِينَ الَّذِينَ أَوَّلَمَّا كَذَّابِينَ ؛ فَبِمَضَرِّهِمَا وَاحِدًا تَاهَ بِمَجْرَى
 أَنْهَارِهَا مِنْ تَحْتِهِ ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ طَاغُوتِهِ وَجِبْتِهِ ، وَلَعِبَ بِالْبَدِينِ حَتَّى لَمْ يَدْرْ
 يَوْمَ جُمُعَتِهِ مِنْ [يَوْمِ أَحَدِهِ وَلَا] ^(١) يَوْمَ سَبْتِهِ ؛ وَأَعَانَهُ عَلَى ذَلِكَ قَوْمٌ رَمَى اللَّهُ بَصَائِرَهُمْ

بالعمى والصمم، واتخذوه صنماً [بينهم] ^(١) ولم تكن الضلالة هناك إلا بعجل أو صنم؛ فقامت أنت في وجهه باطله حتى قعد، وجعلت في جيده حبلاً من مسد، وقلت لبيده: تبت فأصبح ^(١) [وهو] لا يسعى ^(١) [بقدم] ولا يبطش بيد؛ وكذلك فعلت بالآخر الذى نجت باليمن ناجمته، وسامت فيه سائمته؛ فوضع بيته موضع الكعبة الأيمانية، وقال: هذا ذو الخلصة الثانية؛ فأى مقاميك يعترف الإسلام بسبقه، أم أيهما يقوم بأداء حقه؛ وهاهنا فيصبح القلم للسيف من الحساد، ولتقصر مكانته عن مكانته وقد كان له من الأنداد؛ ولم يحظ بهذه المزية إلا أنه أصبح لك صاحباً، ونفرك حتى طال نفرا كما عز جانباً، وقضى بولايتك فكان بها قاضياً لما كان حده قاضياً .

وقد قللك أمير المؤمنين البلاد المصرية والأيمانية غوراً ونجداً، وما آسملت عليه رعية وجندا؛ وما آنتهت إليه أطرافها براً وبحراً، وما يستنقذ من مجاورها مسألة وقهراً؛ وأضاف إليها بلاد الشام وما تحوى عليه من المدين الممدنه، والمراكز المحصنه؛ مستثنياً منها ما [هو] بيد نور الدين إسماعيل بن نور الدين محمود رحمه الله: وهو حلب وأعمالها، فقد مضى أبوه على آثار في الإسلام ترفع ذكره في الذاكرين، وتحلفه في عقبه في الغابرين؛ وولده هذا قد هدبته الفطرة في القول والعمل، وليست هذه الربوة إلا من ذلك الجبل .

فليكن له منك جاريدون منه وداً كما دنا أرضاً، ويصبح وهو ^(١) [له] كالبنان يشد بعضه بعضاً؛ والذي قدمناه من الثناء عليك ربماً تجاوز بك درجة الإقتصاد، وألفتك عن فضيلة الأزياد؛ فإياك أن تنظر إلى سعيك نظر الإعجاب، وتقول: هذه بلاد أنا أفتحتها بعد أن أضرب عنها كثير من الأضراب؛ ولكن أعلم أن

الأرض لله ولرسوله ثم لخليفته من بعده ، ولا مئة للعبد بإسلامه بل المنة لله بهداية عبده ؛ وكم سلف قبلك ممن لورام مارمته لدنا شاسعه ، وأجاب مانعه ؛ لكن ذخره الله لك لتخطي في الآخرة بمفازه ، وفي الدنيا برقم طرازه ؛ فألق بيدك عند هذا القول إلقاء التسليم ، قل : ((لَاعِلَمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)) .

وقد قرن تقليدك هذا بخلة تكون لك في الاسم شعارا ، وفي الرسم فخارا ، وتناسب محل قلبك وبصرك وخير ملابس الأولياء ماناسب قلوبا وأبصارا ؛ ومن جعلها طوق يوضع في عنقك موضع العهد والميثاق ، ويشير إليك بأن الإنعام قد أطاف بك إطفاء الأطواق بالأعناق ؛ ثم إنك قد خوطبت بالملك وذلك خطاب يقضى لصدرك بالإشراح ، ولأملك بالإنفاس ، وتؤمر معه بمد يدك إلى العلياء لا بضمها إلى الجناح ؛ وهذه الثلاثة المشار إليها هي التي تكمل بها أقسام السيادة ، وهي التي لا مزيد عليها في الإحسان فيقال : إنها الحسنى وزياده ؛ فإذا صارت إليك فانصب لها يوما يكون في الأيام كريم الأنساب ، وأجعله لها عيدا وقل : هذا عيد التقليد والخلة والخطاب ؛ هذا ولك عند أمير المؤمنين مكانة تجعلك لديه حاضرا وأنت ناء عن الحضور ، وتضمن أن تكون مشتركة بينك وبين غيرك والضنة من شيم الغيور ؛ وهذه المكانة قد عرفتكم أنفسها وما كنت تعرفها ، وما نقول إلا أنها لك صاحبة وأنت يوسفها ؛ فاحرسها عليك حراسة تقضى بتقديمها ، وأعمل لها فإن الأعمال بخواتمها ؛ وأعلم أنك قد تقلدت أسرا يفتن به تقي الحلوم ، ولا ينفك صاحبه عن عهدة الملوم ، وكثيرا ما ترى حسنة يوم القيامة وهي مقتسمة بأيدي الخصوم ؛ ولا ينجو من ذلك إلا من أخذ أهبة الحذار ، وأشفق من شهادة الأسماع والأبصار ؛ وعلم أن الولاية ميزان إحدى كفتيه في الجنة والأخرى في النار . قال النبي صلى الله عليه وسلم : ” يَا أَبَا ذَرٍّ إِنِّي أَحِبُّ لَكَ مَا أَحِبُّ لِنَفْسِي لَا تَأْمُرَنَّ عَلَيَّ أَشْيَيْنِ وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ “ .

فانظر إلى هذا القول النبوي نَظَر من لم يُخَدِّع بِحَدِيثِ الْحِرْصِ وَالْآمَالِ ، وَمِثْلِ
الدُّنْيَا وَقَدْ سَيِّقَتْ [إِيكَ] بِخِذَافِهَا أَلَيْسَ مَصِيرُهَا إِلَى زَوَالٍ ؟ . وَالسَّعِيدُ مَنْ إِذَا
جَاءَتْهُ قَضَىٰ بِهَا أَرْبَ الْأَرْوَاحِ لَا أَرْبَ الْجُسُومِ ، وَاتَّخَذَ مِنْهَا وَهِيَ السُّمُّ دَوَاءً وَقَدْ
تُخَذَ الْأَدْوِيَةُ مِنَ السُّمُومِ ، وَمَا الْإِغْتِبَاطُ بِمَا يَخْتَلِفُ عَلَى تَلَاثِيهِ الْمَسَاءِ وَالصَّبَاحِ ؟
وَهُوَ ﴿ كَمَا أُنْزِلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ ﴾
وَاللَّهُ تَعَالَىٰ يَعِصُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَوَلَاةَ أَمْرِهِ مِنْ تَبِعَاتِهَا الَّتِي لَا يَسْتَتِمُّ وَلَا يَسُوُّهَا ،
وَأَحْصَاهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَنُسُوها ؛ وَلَكِ أَنْتَ مِنْ هَذَا الدَّعَاءِ حَظٌّ عَلَى قَدَرِ مَحَلِّكَ مِنَ
الْعَنَاءِ الَّتِي جَذَبَتْ بِضَبْعِكَ [وَمَحَلِّكَ مِنَ الْوَلَايَةِ الَّتِي بَسَطَتْ مِنْ دِرْعِكَ ^(١)] .

نَحْنُ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي تَقَلَّدَتْهُ أَخَذَ مَنْ لَمْ يَتَقَبَّهِ بِالنَّسِيَانِ ، وَكُنْ فِي رِعَايَتِهِ مِمَّنْ إِذَا
نَامَتْ عَيْنَاهُ كَانَ قَلْبُهُ يَقْظَانِ .

وَمِلَاكَ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي إِسْبَاغِ الْعَدْلِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ ثَالِثَ الْحَدِيثِ وَالْكِتَابِ ،
وَأَغْنَىٰ بِشَوَابِهِ وَحَدَهُ عَنْ أَعْمَالِ الثَّوَابِ ، وَقَدَّرَ يَوْمَانَهُ بِعِبَادَةِ سِتِّينَ عَامًا فِي الْحِسَابِ ؛
وَلَمْ يَأْمُرْ بِهِ أَمْرٌ إِلَّا زَيْدَ قُوَّةٍ فِي أَمْرِهِ ، وَتَحَصَّنَ بِهِ مِنْ عُدُوِّهِ وَمِنْ دَهْرِهِ ؛ ثُمَّ يَجَاءُ بِهِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَفِي يَدَيْهِ كِتَابًا أَمَانًا ، وَيَجْلِسُ عَلَى مَنبَرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ؛ وَمَعَ
هَذَا فَإِنَّ مَرَكَبَهُ صَعْبٌ لَا يَسْتَوِي عَلَى ظَهْرِهِ إِلَّا مَنْ أَمْسَكَ عِنَانَهُ نَفْسُهُ قَبْلَ إِمْسَاكِ
عِنَانِهِ ، وَغَلَبَتْ لَمَّةُ مَلَكِهِ عَلَى لَمَّةِ شَيْطَانِهِ ، وَمَنْ أَوْكَدَ فُرُوضِهِ أَنْ يَمْحَى السَّنَنَ السَّيِّئَةَ
الَّتِي طَالَتْ مُدَدَ أَيَّامِهَا ، وَيَتَّسِرَ الرِّعَايَا مِنْ رَفْعِ ظُلَامَاتِهَا فَلَمْ يَجْعَلُوا أَمَدًا لِانْتِحِسَارِ
ظُلَامَاتِهَا ؛ وَتِلْكَ هِيَ الْمُكْحُوسُ الَّتِي أَنْشَأَهَا الْهَمُّ الْحَقِيرُ ، وَلَا غِنَى لِلْأَيْدِي الْغَنِيَّةِ إِذَا
كَانَتْ ذَاتَ [نَفْسٍ فَقِيرَةٍ ؛ وَكُلَّمَا زِيدَتْ الْأَمْوَالُ الْحَاصِلَةُ مِنْهَا قَدْرًا زَادَهَا اللَّهُ مُحَقًّا ،

وقد استمرت عليها العوائد حتى ألحقها الظالمون بالحقوق الواجبة فسموها حقاً ؛ ولولا أن صاحبها أعظم الناس جرماً لما أغلظ في عقابه ، ومثلت توبه المرأة الغامدية بمتابه ؛ وهل أشقى من يكون السواد الأعظم له خصماً ، ويصبح وهو مطالب منهم بما يعلم وبما لم يحيط به علماً . وأنت مأمور بأن تأتي هذه الظلمات فتُنحى على إبطائها ، وتُلحق أسماءها في المحو بأفعالها ؛ حتى لا يبقى لها في العيان صور منظوره ، ولا في الألسنة أحاديث مذكوره ؛ فإذا فعلت ذلك كنت قد أزلت عن الماضي سنة سوء سنتها يدها ، وعن الآتي متابعة ظلم وجدّه طريقاً مسلوكةً بخرى على مدها .

فبادر إلى ما أمرت به بمبادرة من لم يَضُقْ به ذِراعاً ، ونظر إلى الحياة الدنيا بعينه فراها في الآخرة متاعاً ؛ وأحمد الله على أن قيض لك إمام هدى يقف بك على هُداك ، ويأخذُ بجُجرتك عن خطوات الشيطان الذي هو أعدى عداك ؛ وهذه البلاد المنوطة بنظرك تشتمل على أطراف متباعده ، وتفترق في سياستها إلى أيدي مُساعده ؛ وبهذا تكثر فيها قُضاة الأحكام ، وأولو تديرات السيوف والأفلام ؛ وكل من هؤلاء ينبغي أن يُقَنَّ على نار الاختبار ، ويسلَّط عليه شاهداً عدل من أمانة الدرهم والدينار ؛ فإضل الناس شيءٌ كُحِبَّ المال الذي فُورِقَتْ من أجله الأديان ، وهُجِرَتْ بسببه الأولاد والإخوان ، وكثيراً ما يرى الرجل الصائم القائم وهو عابد له عبادة الأوثان ؛ فإذا آستعنت بأحد منهم على شيءٍ من أمرك فأضرب عليه بالأرزاد ، ولا ترض بما عرفته من مبدل حاله فإن الأحوال تتنقل تنقل الأجساد ، وإياك أن تُخدع بصلاح الظاهر كما خُدِعَ عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه بالربيع ابن زياد ؛ وكذلك قائم هؤلاء على اختلاف طبقاتهم أن يأمرُوا بالمعروفِ مؤاظمين ، وينهَوْا عن المنكر محاسنين ، ويعلموا أن ذلك من دأب حزب الله الذين جعلهم

الغالبين؛ وليدعوا أولاً بأنفسهم فيعدلوا بها عن هواها، ويأمروها بما يأمرون به من سواها؛ ولا يكونوا من هدى إلى طريق البر وهو عنه حائد، وانتصب لطلب المرضى وهو محتاج إلى طبيب وعائد؛ فما تنزل بركات السماء إلا على من خاف مقام ربه، وألزم التقوى أعمال يده ولسانه وقلبه؛ فإذا صلحت الولاية صلت الرعية بصلاحهم، وهم لهم بمنزلة المصابيح ولا يستضيء كل قوم إلا بمصابيحهم.

ومما يؤمرون به أن يكونوا لمن تحت أيديهم إخوانا في الأرض طحاب، وأعوأنا في توزع الحمل الذي يتقل على الرقاب؛ فالمسلم أخو المسلم وإن كان عليه أميرا، وأولى الناس باستعمال الرفق من كان فضل الله عليه كبيرا؛ وليست الولاية لمن يستجد بها كثرة اللفي، ويتولأها بالوطء العنيف؛ ولكنها لمن يمال على جوانبه، ويؤكل من أطايبه؛ وإن إذا غضب لم ير للغضب عنده أثر، وإذا ألحف في سؤاله لم يلحق الإلحاف بخلق الضجر؛ وإذا حضر الخوصوم بين يديه عدل بينهم في قسمة القول والنظر؛ فذلك الذي يكون لصاحبه في أصحاب الأيمن، والذي يدعى بالحفيظ العليم والقوى الأمين؛ ومن سعادة المرء أن يكون ولأته متأدبين بأدابه، وجارين على نهج صوابه، وإذا تطايرت الكتب يوم القيامة كانت حسناته مثبتة في كتابه.

وبعد هذه الوصية فإن هاهنا حسنة هي للحسنات كالأمم الولود، ولطالما أغنت عن صاحبها إغناء الجنود، وتيقظت لنصره والعيون رقاد؛ وهي التي تُسبغ لها الآلاء، ولا يتخطأها البلاء؛ ولأمر المؤمنين بها عناية تبغها الرحمة الموضوعة في قلبه، والرغبة في المغفرة لما تقدم وتأخر من ذنبه؛ وتلك هي الصدقة التي فضل الله بعض عباده بمزية إفضالها، وجعلها سببا إلى التعويض عنها بعشر أمثالها. وهو يأمرك

أَنْ تَتَقَدَّ أحوالَ الفقراء الذين قُدِّرَتْ عليهم مادَّةُ الأرزاقِ ، وألبسهم التعفُّفُ ثوبَ الغنى ، وهم في ضيقٍ من الإملاق ؛ فأولئك أولياءُ الله الذين مَسَّتْهُمُ الضَّرَاءُ فَصَبَرُوا ، وَكَثُرَتْ الدنيا في يَدِ غَيْرِهِمْ فَمَا نَظَرُوا إِلَيْهَا إِذْ نَظَرُوا ؛ وَيَذْنِي أَنْ يَهَيَّيْ لَهُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ مَرَقًا ، وَيَضْرِبَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْفَقْرِ مَوْبِقًا .

وما أطلنا لك القول في هذه الوصية إلا إعلاماً بأنها من المِهْمِ الذي يُسْتَقْبَل ولا يُسْتَدْبَرُ ، وَيَسْتَكْثَرُ مِنْهُ ولا يَسْتَكْثَرُ ؛ وهذا يُعَدُّ من جهاد النفس في بذل المال ، ويتلوه جهاد العدو الكافر في مَوَاقِفِ القتال ؛ وأمير المؤمنين يعزُّفُك من ثوابه ما تجعل السيف في ملازمته أخاً ، وتسخو له بنفسك إن كان أحدٌ بنفسه سخياً ؛ ومن صفاته أنه العملُ المحبُّ بفضل الكرامة ، الذي يَنْبَغِي أَجْرُهُ بعد صاحبه إلى يوم القيامة ؛ وبه تُمْتَحَنُ طاعةُ الخالق على المخلوق ، وكلُّ الأعمال عاطلةٌ لا خَلْقَ لها وهو مَخْصَصٌ دُونَهَا زينةُ المخلوق ؛ ولولا فضله لما كان محسوباً بِشَطْرِ الإيمان ، ولَمَّا جعلَ الله الجنةَ له ثَمناً وليستَ لغيره من الأثمان ؛ وقد علمتَ أن العدو هو جارِكُ الأَدْنَى ، والذي يبلِّغُك وتبلغه عينا وأدناً ؛ ولا يكون للإسلام نِعَمُ الجارِ حتى تكون له بُسُّ الجار ، ولا عُدْرَ لك في ترك جهاده بنفسك ومالك إذا قامتَ لغيرك الأعذار ؛ وأمير المؤمنين لا يَرْضَى مِنْكَ بَأَنْ تَلْقَاهُ مُكَلِّفًا ، أو تَطْرُقَ أرضَه مَاسِيًا أو مُصَابِحًا ؛ بل يُريدُ أَنْ تَقْصِدَ البلادَ التي في يده قصدَ المستنقذ لا قصدَ المُغِيرِ ، وأن تُحْكَمَ فيها بِحُكْمِ الله الذي قضاه على لسان سعيدٍ في بَنِي قُرَيْظَةَ والنَّضِيرِ ؛ وعلى الخُصُوصِ البيتُ المقدسُ فإنه تِلَادُ الإسلام القديم ، وأخو البيت الحرام في شَرَفِ التعظيم ، والذي توجَّهَتْ إليه الوجوه من قبلُ بالسُّجُود والتسليم ؛ وقد أصبح وهو يشكو طُولَ المدة في أَسْرَاقَتِهِ ، وأصبحت كلمة التوحيد وهي تشكو طُولَ الوحشة في غُرْبَتِهَا عنه

وغربته ؛ فانهض إليه نهضةً توغل في قرحه ، وتبدل صعب قياده بسمحه ، وإن كان له عامٌ حديبيةً فاتبعه بعامٍ فتحه ؛ وهذه الاستزادة إنما تكون بعد سداد مافي اليد من تغير كان مهملاً فحمت موارده ، أو مستهدماً فرفعت قواعده ؛ ومن أهمها ما كان حاضراً البحر فإنه عورة مكشوفة ، وخطة مخوفة ؛ والعدو قريب منه على بعده ، وكثيرا ما يأتيه بقاء حتى يسبق برقه برعه ؛ فينبغي أن ترتب بهذه الثغور رابطة تكثر شجعانها ، وتقل أقرانها ، ويكون قتالها لأن تكون كلمة الله هي العليا لا لأن يرى مكانها ؛ وحينئذ يصبح كل منها وله من الرجال أسوار ، ويعلم أهله أن بناء السيف أمنع من بناء الأحجار ؛ ومع هذا لا بد من اصطول يكثر عدده ، ويقوى مدده ؛ فإنه العدة التي تستعين بها في كشف الغم ، والاستكثار من سبأيا العبيد والإماء ، وجيشه أخو الجيش السلطاني : فذاك يسير على متن الريح وهذا على متن الماء ؛ ومن صفات خيله أنها جمعت بين العوم والمطار ، وتساوت أقدار خلقها على اختلاف مدة الأعمار ؛ وإذا أشرعت قيل جبال متلفعة بقطع من الغيوم ، وإذا نظرت إلى أشكالها قيل : إنها أهلة غير أنها تهتدي في مسيرها بالنجوم ؛ ومثل هذه الخيل ينبغي أن يغالى في جيادها ، ويستكثر من قيادها ؛ وليؤمر عليها أمير يلقى البحر بمثله من سعة صدره ، ويسلك طرقه سلوك من لم تقتله بجهلها ولكن قتلها بحبره ؛ وكذلك فليكن من أفنت الأيام تجاربه ، وزحمتها منابكه ، ومن يذل الصعب إذا هو سابه وإن سيس لان جانبه ؛ وهذا هو الرجل الذي يرأس على القوم فلا يجد هزّة بالرياسة ؛ وإن كان في الساقة ففي الساقة أو في الحراسة ففي الحراسة ؛ ولقد أفلحت عصابة اعتصبت من ورأته ، [وأيقنت بالنصر من رايته كما أيقنت بالنصر من رأته ^(١)] .

وَأَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ أُخِلَّ مِنَ الْجِهَادِ بَرْكُنٌ يَقْدَحُ فِي عَمَلِهِ ، وَهُوَ تَامُهُ الَّذِي يَأْتِي فِي آخِرِهِ
 كَمَا أَنَّ صِدْقَ النِّيَّةِ يَأْتِي فِي أَوَّلِهِ ، وَذَلِكَ هُوَ قَسْمُ الْغَنَائِمِ فَإِنَّ الْأَيْدِيَ قَدْ تَدَاوَلَتْهُ
 بِالْإِحْجَافِ ، وَخَلَطَتْ جِهَادَهَا فِيهِ بَغْلُوطًا فَلَمْ تَرْجِعْ بِالْكَفَافِ ، وَاللَّهُ قَدْ جَعَلَ الظُّلْمَ
 فِي تَعَدَّى حُدُودِهِ الْمَحْدُودَةِ ، وَجَعَلَ الْأَسْتِثْنَاءَ بِالْمَقْعَمِ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ الْمَوْعُودَةِ ،
 [وَنَحْنُ نَعُوذُ بِهِ] ^(١) أَنْ يَكُونَ زَمَانُنَا هَذَا شَرَّ زَمَانٍ وَنَاسُهُ شَرَّ نَاسٍ ، وَلَمْ يَسْتَخْلِفْنَا عَلَى
 حِفْظِ أَرْكَانِ دِينِهِ ثُمَّ نَهْمَلِهِ إِهْمَالًا مُضَيِّعًا وَلَا [إِهْمَالًا] ^(١) نَاسٍ ، وَالَّذِي نَأْمُرُكَ بِهِ أَنْ
 تُجْرِيَ [هَذَا] الْأَمْرَ عَلَى الْمَنْصُوصِ مِنْ حَكْمِهِ ، وَتُبْرِّئَ ذِمَّتَكَ مِمَّا يَكُونُ غَيْرُكَ الْفَائِزَ
 بِفَوَائِدِهِ وَأَنْتَ الْمُطَالِبَ بِإِثْمِهِ ، وَفِي أَرْزَاقِ الْمُجَاهِدِينَ بِالْدِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَالشَّامِيَّةِ مَا يُغْنِيهِمْ
 عَنْ هَذِهِ الْأُكْلَةِ الَّتِي تَكُونُ غَدًا أَنْكَالًا وَجَحِيحًا ، وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا .

فَنَصَفَحَ مَا سَطَرَنَاهُ لَكَ فِي هَذِهِ الْأَسَاطِيرِ الَّتِي هِيَ عِزَائِمُ مُبَرَّمَاتٍ ، بَلْ آيَاتٍ
 مُحْكَمَاتٍ ، وَتَحَبَّبَ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَقْنَاءِ كِتَابِهَا ، وَأَبْنَى لَكَ مِنْهَا مَجْدًا
 يَبْقَى فِي عَقَبِكَ إِذَا أُصِيبَتِ الْبُيُوتُ فِي أَعْقَابِهَا ، وَهَذَا التَّقْلِيدُ يَنْطِقُ عَلَيْكَ بِأَنَّهُ لَمْ يَأَلْ
 فِي الْوَصَايَا الَّتِي أَوْصَاها ، وَأَنَّهُ لَمْ يُغَادِرْ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاها ، ثُمَّ إِنَّهُ قَدْ خَتَمَ
 بِدَعَاوِي دَعَاها أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ خَتَامِهِ ، وَسَأَلَ فِيهَا خَيْرَةَ اللَّهِ الَّتِي تَنْتَزِلُ مِنْ كُلِّ
 أَمْرٍ بِمَنْزِلَةِ نِظَامِهِ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ عَلَى مَنْ قَلَدْتَهُ شَهَادَةً تَكُونُ عَلَيْهِ
 رَقِيبَةً ، وَلَهُ حَسِيبَةٌ ، فَإِنِّي لَمْ أَمُرْهُ إِلَّا بِأَوَامِرِ الْحَقِّ الَّتِي فِيهَا مَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ ، وَهِيَ
 لِمَنْ أَتَّبَعَهَا هَدًى وَرَحْمَةٌ وَبُشْرَى ، فَإِذَا أَخَذَهَا فَلَجَّ بِحُجَّتِهِ يَوْمَ يُسْأَلُ عَنِ الْحُجَجِ ،
 وَلَمْ يُخْتَلَجْ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ عَنِ الْحَوْضِ فِي جَمَلَةٍ مِنْ يُخْتَلَجُ ، وَقِيلَ لَهُ : لَا حَرَجَ عَلَيْكَ
 وَلَا إِيْثَمٌ إِذْ نَجَوْتَ مِنْ وَرَطَاتِ الْإِثْمِ وَالْحَرَجِ ، وَالسَّلَامُ .

(١) الزيادة من كتاب "المثل السائر" ص ١٤٧ وهي لازمة لاستقامة الكلام .

المذهب الخامس

(أن يفتتح العهد بـ «إِنَّ أَوْلَى ما كان كذا» ونحوه)

وهى طريقة غريبة، كُتِبَ عليها عهدُ السلطان صلاح الدين «يوسف بن أيوب» بالديار المصرية من ديوان الإنشاء ببغداد . وهو الذى عارضه الوزيرُ ضياءُ الدين بن الأثير فى العهد المتقدم ذكره فى المذهب [الرابع] ^(١) . وهذه نسخته :

إِنَّ أَوْلَى ما جادَتْ رِباعه تُحِبُّ الإِصْطِناع ، وَخُصَّ من الإِصْطِفاء والإِجْتِناء بالصفايا والمرباع ؛ مَنْ تَرَسَّمَ أَنتِهاجُ الجَدِّ القويم ، والطريق الواضح المستقيم ؛ وأَعْتَلَقَ من الولاء بأَوْثَقِ عَصِمِهِ وَحِبَالِهِ ، والفِئاء الذى يَهْتَدِى بأنواره فى مَتَصَرِّفاتِهِ وأَعْمالِهِ ؛ والتَحَلَّى بِجَمِيلِ الذِكر فى سِيرَتِهِ ، وَخُلُوصِ الإِعتناء بِأُمُورِ رِعِيَّتِهِ ؛ وكان راعباً فى أَقْتِناءِ حَمِيدِ الحلال ، مجتهداً فى طاعةِ الله بما يُرِضِيهِ من العَدلِ المُنْتَدِ الظلال ؛ عاملاً فيما يَنُاطُ بِهِ بما يَتَضَوَّقُ تَسَرُّحَهِ ، وَيُجْتَنِى بِحُسْنِ صُنْعِهِ يانِعُ ثَمَرِهِ ؛ باذلاً وَسِعَهُ فى الصلاح ، مُؤَذِّنَةً مَساعِيهِ بِقُوزِ القَداح .

ولَمَّا كان المَلِكُ الأَجَلُ ، السَيِّدُ ؛ صلاحُ الدين ، ناصراً للإسلام ، عمادُ الدولة ، جَمالُ المَلِكِ ، نَجْمُ المَلَّةِ ، صَفَى الخِلافةِ ؛ تاجُ المُلُوكِ والسلاطين ، قَامِعُ الكَفَرَةِ والمُشْرِكِينَ ، قاهرُ الخَوارجِ والمُتَمَرِّدِينَ ، عِزُّ المَجاهِدِينَ ؛ أَلْبَ غازى بَكِ ابنِ يوسف ابنِ أيوب - أدام الله علوه - على هذه السَّجَايا مُقْبِلاً ، وبِصِفَاتِها الكامِلةَ مُشْتَمِلاً ؛ مُؤَثِّراً تَضاعُفَ المائِراتِ ، متابراً على ما تُرْكُو بِهِ الأَعْمالُ الصالحات ؛ مَتَحَلِّياً بِالمَحامِدِ الرائِقةِ ، مُسْتَبِداً بِالمناقبِ التى هى لِجَميلِ أفعالِهِ مَوافِقَةٌ مُطابِقَةٌ ؛ مُحَصِّلاً من رِضاِ الله تعالى ما يُؤَثِّرُهُ ويرومُهُ ؛ [و] من طاعةِ الدَّارِ العَزيزَةِ - لازالت مُشِيدَةُ البِناءِ ، سابِغةً

(١) بياض بالأصل والصحيح ما تقدم .

النعماء ؛ دائمة الاستبشار ، عزيزة الانتصار - [و] من استمرار الظفر ما يستدیه ، -
 أقتضت الآراء الشريفة - لازال التوفيق قرينها ، والتأييد مظافرها ومعينها - إمضاء
 تصرفه وإنفاذ حكمه في بلاد مصر وأعمالها ، والصعيد الأعلى ، والإسكندرية ،
 وما يفتحه من بلاد الغرب والساحل ، وبلاد اليمن وما أفتحه منها ويستخلصه بعد
 من ولايتها ، والتعويل في هذه الولايات عليه ، وأستنفاد ما استولى عليه الكفار
 من البلاد ، وإعزاز كل من أذلوه وأضطهدوه من العباد : لتعود الثغور بمن نقيته
 ضاحكة المباسم ، وبإصابة رأيه قائمة المواسم .

أمره بادئاً بتقوى الله التي هي الجنة الواقية ، والذخيرة الباقية ، والعصمة
 الكافية ، والراد إذا أنفض وفد الآخرة وأرملوا ، والعائد النافع إذا وجدوا شاهداً
 لهم وعليهم ماعملوا : فإنها العلم المنسوب للرشد ، قال الله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّقَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ .

وأمره أن يتخذ كتاب الله سبحانه العلم الذي به يقتدى ، وبأنواره إلى حدود
 الصواب يتهدى ، ويستمع لزواجره ومواعظه ، ويعتبر بتخويفه وملاحظته ، ويصغي
 إليه بسمعه وقلبه ، وجوارحه ولبه ، ويعمل بأوامره المحكمه ، ويقف عند نواحيه
 المبرمه ، ويتدبر ما حوته آياته من الوعد والوعيد ، والزجر والتهديد ؛ قال الله عز
 وجل : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ
 مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

وأمره أن يكون على صلاته محافظاً ، ولنفسه عن الإخلال والتقصير في أداء
 فرضها واعظاً ؛ فيغتنم الاستعداد أمام أوقاتها للأداء ، ويحترز من فواتها والحاجة إلى
 القضاء ؛ موفياً حقها من الركوع والسجود ، على الوصف الواجب المحدود ؛ مُخلصاً
 سره عند الدخول فيها ، وناهياً نفسه عما يصددها بالأفكار ويُلْهِمها ؛ مجتهداً في نفي

الفكر والوسواس عن قلبه، مستصباً في إخلاص العبادَة لربّه: ليغدو بوصف الأبرار منعوتاً، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾.

وأمره بقصد المساجد الجامعة في أيام الجمع، أمثالاً لأمر الله المتبّع؛ بغزيمية في الخير صافه، ونية للعبادة موافقه؛ وفي الأعياد إلى المصلّيات المصحرة المجمّلة بالمنابر الحاليّة، التي هي عن الأذناس مطهّرة نائيّة؛ فإنها من مواضع العبادة ومواطنها، ومطّان تلاوة القرآن المأمور بحفظ آدابها وسنتها؛ فقد وصف الله تعالى من وفقه لتحصيل مؤنه بالعمارة، بما أوضح فيه الإشاره؛ وشرفه بوضع سمة الإيمان عليه بالإكرام الفائق، فقال: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: فيقيم الدعوة الهاديّة على المنابر على عادة من تقدّمه، ومُتّبِعِيها إلى أحسن ماعهده وعلمه.

وأمره بلزوم نزاهة الحرمات، واجتناب المحرّمات؛ والتحلّي من العفاف والورع بأجل القلائد الراقية، والتقمّص بملابس التقوى التي هي بأمثاله لائقه؛ وسلوك مناهج الصّلاح الذي يجمّل به فعله، ويصفّو له علّه ونهله؛ وأن يمنع نفسه من الغضب؛ ويُرّدها عما تأمر به من سوء المكتسب؛ ويأخذها بآداب الله سبحانه في نهىها عن الهوى، وحملها على التقوى؛ وردّعها عن التورط في المهادى والشبهة، وكلّ أمر يلتبس فيه الحقّ ويشتهيه؛ ويلزّمها الأخذ بالعفو والصفح، والتأمّل لمكان الأعمال فيه واللح؛ قال الله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾.

وأمره بإحسان السيرة في الرعايا بتلك البلاد، واختصاصهم بالصّون الرائع الغاد؛ ونشر جناح الرعاية على البعيد منهم والقريب، وإحلال كلّ منهم محله على القاعدة

والترتيب ؛ وإشاعة المَعْدَلَةِ فيهم ، وإسهام دَانِيهِمْ مِنْ وإِفْرَاطَ مَلَا حَظَّتِهِ وقاصِيهِمْ ؛
وَأَنْ يُنْجِيَ سَرَحَهُمْ مِنْ كُلِّ دَاعِرٍ ، وَيُذَوِّدَ عَنْهُمْ كُلَّ مُوَارِبٍ بِالْفَسَادِ وَمُظَاهِرٍ ؛ حَتَّى
تَضْفُو لَهُمْ مِنَ الْأَمْنِ الشَّرَائِعَ ، وَتَضْفُو عَلَيْهِمْ مِنْ بَرَكَةِ وَلَايَتِهِ الْمَدَارِعَ ، وَتَسْتَنِيرَ
بِضَوْءِ الْعَدْلِ مِنْهُمْ الْمَطَالِعَ ؛ وَيَحْتَرِمَ أَكْبَارَهُمْ ، وَيُخَوِّعَ عَلَى أَصَاغِرِهِمْ ؛ وَيُسْمَلِّهِمْ
بِكَنَفِهِ وَدِرْعِهِ ، وَيُنْتَهِيَ فِي مَصَالِحِهِمْ إِلَى غَايَةِ وَسْعِهِ ؛ وَلَا يَأْلُوهُمْ فِي النُّصْحِ جُهْدًا ،
وَلَا يُخْلِفُ لَهُمْ فِي الْخَيْرِ وَعَدًا ؛ وَيُشَاوِرُهُمْ فِي أَمْرِهِ فَإِنَّ الْمَشُورَةَ دَاعِيَةٌ إِلَى الْفَلَاحِ ،
وَمِفْتَاحُ بَابِ الصَّلَاحِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ
فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ .

وَأَمْرُهُ بِإِظْهَارِ الْعَدْلِ فِي الرِّعْيَةِ الَّتِي تَضُمُّهَا جَمِيعُ الْأَكْثَافِ وَالْأَطْرَافِ ، وَالتَّحَلِّيِ
مِنْ النِّصْفَةِ بِأَكْلِ الْأَوْصَافِ ؛ وَحَمْلِ كَافَتِهِمْ عَلَى أَقْوَمِ جَدَدٍ ، وَعِصْيَانِ الْهَوَى
فِي تَقْوِيمِ كُلِّ أَوْدٍ ؛ وَالْمَسَاوَاةِ بَيْنِ الْفَاضِلِ وَالْمَفْضُولِ فِي الْحَقِّ إِذَا ظَهَرَ صِدْقُ دَلِيلِهِ ،
وَالِاشْتِمَالِ عَلَيْهِمْ بِالْأَمْنِ الَّذِي يَعُذُّبُ لَهُمْ بَرْدُ مَقِيلِهِ ؛ وَكَشْفِ ظُلَامَةٍ مِنْ أَنْبَسَطَتْ
إِلَى تَحْيِيفِهِ الْأَيْدِي وَالْأَطْعَامَ ، وَأَعْجَزَتْهُ النُّصْرَةُ لِنَفْسِهِ وَالِدِّفَاعَ ؛ وَتَصَفُّحِ أَحْوَالِهِمْ بَعِيْنٍ
لَا تَرْتَوِي إِلَى هَوَى يَمِيلُ بِهَا عَنِ الْوَاجِبِ ، وَتَسْمَعُ لَا يَصْنَعُ إِلَى مَقَالَةٍ مَائِنٍ وَلَا كَاذِبٍ ؛
وَلَا يَغْفُلُ عَنْ مَصْلَحَةٍ تَعُودُ إِلَيْهِمْ ، وَيَرْجِعُ نَفْعُهَا عَلَيْهِمْ ؛ وَلَا عَنْ كَشْفِ ظُلُمَاتٍ
بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، وَرَدِّهِمْ إِلَى الْحَقِّ فِي كُلِّ رَفْعٍ مِنْ أَحْوَالِهِمْ وَخَفْضٍ ؛ فَلَا يُرَى
إِلَّا بِالْحَقِّ عَامِلًا ، وَلِلْأُمُورِ عَلَى سَنَنِ الشَّرِيعَةِ حَامِلًا ؛ مُجْتَنِبًا إِنْغِفَالَ مَصَالِحِهِمْ
وِإِهْمَالَهَا ، وَحَارَسًا نِظَامَهَا عَلَى نَتَائِجِ الْأَيَّامِ وَأَتِّصَالِهَا ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ إِلَى وَقُورِ الْأَجْرِ
دَاعِيَا ، وَبِحَسَنِ الْأُخْدُوثةِ قَاضِيَا ؛ مُقْتَدِيَا بِمَا نَطَقَ بِهِ الْقُرْءَانُ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ
بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ .

وأمره أن يأمر بالمعروف ويُقيم مناره، وينهى عن المنكر ويحو آثاره ؛ فلا يترك ممكنا من إظهار الحق وإعلانه، وقمع الباطل وإنحاد نيرانه ؛ ويعتمد مساعدة كل مرشد إلى الطريق الأقصد، وناه عن التظاهر بالمحظور في كل مشهد ؛ وكل من^(١) تضعي مؤنته مشاركة في إحراز المثوبة ومسايمه ، ومساومة في آقنناء الأجر ومقاسمته ؛ وأن يؤخر بإزالة مظان الریب والفساد في الدانی من الأعمال والقاصي ، فإنها مواطن الشيطان وأما كن المعاصي ؛ وأن يشد على أيدي الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، ويعينهم على ذلك بما يطيب ذكره في كل مشهد ومحضر ؛ ويحتشد في إزالة كل محظور ومنكر، مقدم في الباطل ومؤخر ؛ قال الله تعالى :
﴿ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ .

وأمره أن يقدم الاحتياط في حفظ الثغور ومجاوريها من الكفار، ويستعمل غاية التيقظ في ذلك والاستظهار : ليأمن عليها غوائل المكائد ، ويفوز من التوفيق لذلك بأنواع المحامد ؛ ويتجود لجهاد أعداء الدين، والانتقام من الكفرة المارقين ؛ أخذا بقول رب العالمين : **﴿ اَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾** . وأن يعمل فيما يحصل من الغنائم عند قل جوعهم، وافتتاح بلادهم وربوعهم ، بقول الله وما أمر به في قسمتها، وإيفاء كل صاحب حصته منها ؛ سالكا سبل من غدا لآثار الصلاح مُقتنيا ، وللقرض في ذلك مؤديا ؛ ويهدي ذوي الرشد مهتديا . قال الله تعالى في محكم التنزيل : **﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾** .

(١) في الأصل فانه من تضعي الخ تأمل .

وأمره أن يُجيبَ إلى الأمان من طلبه منه، ويكونُ وفاءً مقتراً بما تضمَّنه ؛
غير مُضمِرٍ خلافَ ما يُعطى به صَفَقَةُ أمانه، ويحتنبُ الغدرَ وما فيه من العار،
وإنْخاطَ المَلِكِ الجَبَّارِ؛ قال الله عز وجل : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا
الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ .

وأمره بأن يأمرَ أصحابَ المعاونِ بمساعدة القضاة والحكام ، وموئتهم بما
يَقْضِي [يَلْمُ] شَمْلَ الصلاح في تنفيذ القضايا والأنظمة ؛ وأخذ الخُصُومِ بإجابة الداعي
إذا استُحْضِرَ [وا] إلى أبوابهم للإِنصاف ، والمُسارعة إلى الحقِّ الواجبِ عليهم من
غيرِ خلاف ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَأَكْثَرُهُمُ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ .

وأمره بالتعويل في المظالم وأسواق الرقيق ودور الضرب والحسبة على مَنْ يَأْوِي
إلى عَفَافٍ ودين ، وعِلْمُ بأحكام الشريعة وَصِحَّةِ يَقِين ؛ لا يَخْفَى عليه ما حرَّمه الله تعالى
وأحلَّه ، ولا يلتبسُ على علمه ما أَوْضَحَ إلى الحقِّ الواضح سُبُلَه ؛ وإلى مَنْ يتوَلَّى المَظَالِمَ
بإيصال الخُصُومِ إليه ، وإِنصافهم كما أوجبهُ الله تعالى عليه ؛ وأستماع ظَلَاماتهم ،
وإحسان النظر في مُشاجراتهم ؛ فإن أسفَرَ للحق ضياءً تبعه ، أو أَشْتَبَه الأمرُ رده إلى
الحُكَّام ورَفَعه . و[إلى] الناظر في أسواق الرقيق بالاحتراز والاستظهار ، وتَعْرِيةِ
الأحوال من الشبهة في امتِراج العبيد بالأحرار : لتضحى الأَنسابُ مَصُونَةً مَرِيعَةً ،
والأموالُ عن التَّم محروسةً حميَّة . وإلى من ينظر في الحسبة بتصفُّح أحوال العامة
في متاجرهم وأموالهم ، وتتبع آثارِ حجتهم في المعاملة وأَعْتِلَالِهِمْ ؛ وأعتبار الموازين
والمكاييل ، وإلزام أربابها الصَّحَّةَ والتعديـل ؛ قال الله سبحانه وتعالى :
﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ .

وَأَنْ يُعْمَلَ الْخَفْنُ فِي تَطْهِيرِ الْبِلَادِ، مِنْ كُلِّ مَدْخُولِ الْإِعْتِقَادِ، بِمَعْرُوفٍ بِالشَّبَهِ فِي دِينِهِ وَالْإِلْحَادِ، وَمَنْ يَسْعَى مِنْهُمْ فِي الْفَسَادِ، وَيَأْمُرُ الْمُرْتَبِينَ فِي الْمَرَكَزِ وَالْأَطْرَافِ بِاقْتِنَاصِهِمْ، وَكَفِّ فُسَادِهِمْ وَإِجْلَائِهِمْ عَنْ عِرَاصِهِمْ، وَأَنْ يُجْرَى عَلَيْهِمْ فِي السِّيَاسَةِ مَا يَجِبُ عَلَى أَمْثَالِهِمْ مِنَ الزَّانَدَةِ وَالَّذِينَ تَوْبُهُمْ لَا تُقْبَلُ، وَأَمْرُهُمْ عَلَى جُحْمِ الْمُخَاطِبِينَ لَا يَجْلُ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾ .

وَأَمْرَهُ أَنْ يَتَلَقَّى النِّعْمَةَ الَّتِي أُفْرِغَتْ عَلَيْهِ، وَأَنْسَاقَتْ إِلَيْهِ، بِشُكْرِ يَنْطِقُ بِهِ لِسَانُهُ، وَيُتَرْجَمُ عَنْهُ بَيَانُهُ : لَيْسَتْ دِيمَ بِذَلِكَ الْإِكْرَامِ، وَيَقْتَرِنُ الْإِحْسَانُ عِنْدَهُ بِالْإِلْتِمَامِ، وَأَنْ يُوقِفَهَا حَقَّهَا مِنْ دَوَامِ الْحَمْدِ، وَالْقَصْدُ إِلَى شُكْرِهَا وَالْعَمْدُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴾ .

وَلْيَعْلَمْ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ بَيَّنَّ لَهُ مِنَ الصَّلَاحِ مَا اتَّضَحَتْ أَعْلَامُهُ، وَأُثْبِتَتْ فِي الْمَرَامَى سِهَامُهُ، وَأَرْشَدَ إِلَى مَا أَوْدَعَ هَذَا الْمُنْشُورُ مِنْ جَدِّ الْفَوْزِ بِمَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى وَشُكْرِ عِبَادِهِ، عَامِلًا فِي ذَلِكَ بِمَقْتَضَى جِدِّهِ وَاجْتِهَادِهِ : لِيُحْزِرَ السَّبْقُ فِي دُنْيَاهُ وَعُقْبَاهُ، وَيَتَوَقَّرَ عِنْدَهُ مَا مُنِحَ بِهِ مِمَّا أَرْهَفَ عَزْمَهُ وَحَبَاهُ، وَغَدَا بِمَكَانِهِ رَافِلًا فِي مَلَابِسِ الْفَخْرِ وَالْبَهَاءِ، نَائِلًا مَنَى مَا طَالَ بِهِ مَنَاكِبَ الْقُرْنَاءِ، وَأَخْتَصَّ بِمَا أَعْلَى دَرَجَتَهُ فَتَقَاعَسَتْ عَنْهُ آمَالُ حَاسِدِيهِ، وَتَفَرَّدَ بِالْمَكَانَةِ عَنْ مَقَامٍ مِنْ يُبَارِيهِ وَيُنَاوِيهِ، وَأَوَّلَى مِنَ الْإِنْعَامِ مَا أَمَّنَ بِهِ سِرْبَ النِّعْمَةِ عِنْدَهُ، وَأَصْفَى مِنْ مَنَاهِلِ الْإِحْسَانِ وَرَدَهُ، وَأَهْدَى إِلَيْهِ مِنَ الْمَوَاعِظِ مَا يَجِبُ أَنْ يُودِعَهُ وَاعِيَةَ الْأَسْمَاعِ، وَيَأْخُذَ بِالْعَمَلِ بِهِ كُلِّ رَاحٍ، فَيَنْهَجُ - أَدَامَ اللَّهُ عُلُوَّهُ - نَحَاجَّ الْوَلَاءِ، الَّذِي عَهْدُهُ مِنْ أَمْثَالِهِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ،

(١) فِي الْأَصْلِ وَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ وَهُوَ غَيْرُ مَوَاقِفَ لِبَاقِ الْكَلَامِ كَمَا لَا يَجْنَى .

متزَّهًا عن تقصيرٍ منه في عامَّة الأوقات ، ومراعياً أفعاله في جميع التصرفات ؛ ويعلم أنه مسؤل عن كل ما تلقَّظ به لسانه ناطقاً ، ونظر طَرَفُه إليه رامقاً ؛ قبل أن يُجانب هَوَاهُ ، ويتيقَّ رهيئاً بما آكتسبت يدها ؛ ولا يغترَّ من الدنيا وزُخرفِها بغير أن ليس الوفاء من طباعه ، ومُعيرٍ ما أقصر مدَّة ارتجاعه ؛ وسيدلُّ كافَّة القضاة والأعيان ومقدمي العساكر والأجناد ؛ ورؤساء البلاد ؛ متابعته وموافقته ، وطلب مصالحهم من جنابه ، والتصرف على استصوابه ؛ وقد أُكثرت وصائنه في الرفق بهم والاشتغال عليهم ، والإحسان إليهم ، وإجمال السيرة فيهم ؛ وكلُّها أشكل عليه أمرٌ من المتجددات يطالع به الديوان العزيز - مجده الله تعالى - لينهج له السبيل إلى فتح رتاجه ، وسُلوك منهاجه ؛ والله وليُّ التوفيق والهداية ، وجمع الكلمة في كلِّ إعادة وبدايه ، والمعونة على العِصمة من الزَّلل ، والتأييد في القول والعمل ؛ إن شاء الله تعالى ، وهو حسْبنا ونعم الوكيل .

الوجه السابع

(فيما يكتب في مستند عهد السلطان عن الخليفة ، وما يكتبه الخليفة في بيت العلامة ، وما يكتب في نسخة العهد من الشهادة أو ما يقوم مقامها)

أما ما يكتب في المستند ، فقد جرت العادة أن يكتب فيه نحو ما تقدم في البيعات وعهود ولاة العهد بالخلافة : وهو : « بالإذن العالي ، المولوى ، الإمامى ، النبوى ، الفلانى » (بلقب الخلافة) أعلاه الله تعالى .

وأما ما يكتبه الخليفة في بيت العلامة ، فإنه يكتب علامته وتحته : « فوضت إليه ذلك ، وكتب فلان بن فلان » . ورأيت في بعض الدساتير نقلاً عن الحاكم بأمر الله

أبى العباس [ابن الخليفة] المستكفي بالله أبى الربيع سليمان [أنه] كان يكتب :
« وكتب أحمد ابن عم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم » .

وأما ما يكتب في نسخة العهد من الشهادة، فقد جرت العادة أن يكتب قاضيان
فأكثر من قضاة القضاة الأربعة في حاشية العهد أو في ذيله ماصورته : « أشهدنى
مولانا أمير المؤمنين العاهد المشار إليه فيه - أدام الله تعالى أيامه - بما نسب إليه
فيه من العهد إلى فلان بن فلان » أو ما في معنى ذلك .

قلت : والواجب أن يضموا في رسم شهادته الشهادة على السلطان بقبول العهد؛
بأن يقال قبل على ما نصّ وشرح فيه : « وعلى مولانا السلطان المشار إليه فيه بقبول
ماؤوض إليه فيه » أو نحو ذلك : لأنه كما يعتبر العهد من العاهد يعتبر القبول من
المعهود إليه كما تقدم في موضعه .

الوجه الثامن

(في قطع الورق الذى يكتب فيه عهد الملوك عن الخلفاء، والقلم الذى
يكتب به، وكيفية كتابتها، وصورة وضعها فى الورق)

أما قطع الورق فلا نزاع فى أنه يكتب فى قطع البغدادى الكامل ، على ما هو
مستقر العادة إلى الآن . وقد تقدم فى الكلام على مقادير قطع الورق فى المقالة الأولى^(١)
من الكتاب أن عرضه ثلاثة أشرار وخمسة أصابع ، وطول الوصل كذلك .

(١) كذا فى الأصل مضببا عليه ولم يتقدم فى الأولى وإنما تقدم فى المقالة الثالثة الكلام على
المقادير وأن عرض البغدادى الكامل ذراع واحد وذراع القماش المصرى . انظر ج ٦ ص ١٩٠
من هذا المطبوع .

وأما القلم الذى يكتب به ، فمختَصَر قلم الطُّومار لمناسبته له على ما تقدّم فيما يناسب كل قطع من الورق من الأقلام .

وأما كيفية كتابة العهد وصورة وضعه فى الورق ، فعلى ما تقدّم فى البيعات وعهود أولياء العهد بالخلافة : وهو أن يبدأ بكتابة الطّرة فى أعلى الدرج من أول عرض الورق إلى آخره سطوراً متلاصقة من غير هامش ، وفى أعلاه قدرُ أصبعٍ بياضاً ، ثم يترك ستة أوصالٍ بياضاً من غير كتابة غير الوصل الذى فيه الطّرة ؛ ثم تكتبُ البسملةُ فى أولِ الوصل الثامن بحيثُ تكونُ أعالي ألفاتها تكادُ تُلحَق بالوصل الذى فوقه ، بهامش عن يمين الدرج قدرُ أربعة أصابع مطبوعة أو خمسة ؛ ثم يكتبُ سطراً من أول العهد تحت البسملة ملاصقاً لها بحيثُ تكادُ أعالي ألفاته تُلحَق بالبسملة ، ثم يخلى بيتَ العلامة قدرَ شبر ، ثم يكتبُ السطر الثانى من العهد على سَمتِ السطر الذى تحت البسملة ، ويسترسِل فى كتابة بقية العهد .

ثم الذى رأيته فى دُستُور معتمد يُنسَب للقَر العَلاؤى بن فضل الله أنه يكون بين كلِّ سطرين قدر ربيع ذراع . وأخبرنى بعضُ فضلاء الكُتّاب أنه رأى فى بعض الدساتير أنَّ سَطوره تكون مُزدوجة على نظير البسملة والسطر الأول ، وبين كلِّ سطرين بعد بيت العلامة تقديرُ خمسة أصابع مطبوعة .

قلت : ولعل ذلك تفنُّن من الكاتب وتطريزٌ للكتابة ، لاعلى سبيل اللزوم .

فإن قيل : لم كان مقدارُ البياض بين سَطُور العهد مع كبر قطع الورق دُونَ بياض ما بين سَطُور التقاليد ونحوها مما يكتب عن السلطان على ما سياتى ذكره ؟ فالجواب أن العهد كالمكتوبة من العاهد للعُهود إليه ، كما أنَّ التقليد كالمكتوبة من المقلد للمقلد ، والأعلى فى حقِّ المكتوب إليه أن تكون السطور متضايقة على ما تقدّم

في الكلام على المكتبات؛ فناسب أن تكون سطور العهد أكثر تقارباً من سطور التقليد وما في معناه، تعظيماً لشأن السلطان في الحالتين .

فإن قيل : يُنقَضُ ذلك بعظم قلم العهد ، ضرورة أنه كلما غلظ القلم كان أنزل في رتبة المكتوب إليه على ما تقدم أيضاً ، فالجواب : أن غلظ القلم في العهد تابع للورق في كبر قطره ، وقاعدة ديوان الإنشاء أنه كلما كبر قطع الورق في المكتبات ، كان تعظيماً للمكتوب إليه ، بدليل أن كل من عظم مقداره من الملوك كان قطع الورق في مكاتبه أكبر ، ولو كتبت العهد بقلم دقيق مع ضيق السطور وسعة الورق لجاء في غاية القصر . ثم قد جرت العادة أن تكون كتابة العهد من أوله إلى آخره من غير نقط ولا شكل ، وعليه عمل الكتاب إلى آخر وقت .

قلت : هذا بناء على المذهب الراجح في أن المكتبة إلى الرئيس تكون من غير إعجام ولا ضبط : لما في الإعجام والضبط من استجهال المكتوب إليه ونسبته للعبادة وقلة الفهم ، بخلاف من ذهب إلى أن الكتابة إلى الرئيس تُقَيَّدُ بالإعجام والضبط كي لا يعتريه الشك ، ولا يكلف إعمال الفكر ، على ما تقدم ذكره في أوائل المكتبات ، فإنه يرى نقط العهد وشكله .

وإذا انتهى إلى آخر العهد كتب المشيئة ، ثم التاريخ ، ثم المستند ، ثم الحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم الحسبلة ، على ما تقدم في الكلام على الفواتح والخواص في أوائل المقالة الأولى من الكتاب .

وهذه صورة وضعه في الورق ، ممثلاً له بالطرة التي أنشأها القاضي علاء الدين ابن عبد الظاهر ، والعهد الذي أنشأه القاضي شمس الدين إبراهيم بن القيسراني للملك الناصر "محمد بن قلاوون" وهو العهد الأخير من المذهب الأول .

الطزوة

هذا عهد شريف تجددت مَسَرَّاتُ الإسلام بتجديده، وتأكَّدت أسبابُ الإيمان بتأكيده، ووُجد النصرُ العزيزُ والفتحُ المبينُ بوجوده، ووَقَدَ اليَمْنُ والإقبالُ على الخَلِيقَةِ بوفوده، ووردَ الأَناؤُ مُورِدَ الأمانِ بوروده . من عبد الله وولَّيه الإمامُ المستكفَى بالله أبي الربيع سليمان أمير المؤمنين، أبن الحَاكِمِ بأمر الله أبي العباس أحمد، عَهِدَ به إلى السلطان الملك الناصر أبي الفتح محمد خَلَّدَ الله سلطانه، أبن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى قَدَّسَ الله روحه على ما شَرَحَ فيه .

بسم الله الرحمن الرحيم

المباش هذا عهد شريف يعمر بك للإسلام المعاهد، وينصركم الإِعْتِزَامَ

بيت العلامة

فَتَعْنِي عَنْ أُمُورِ الْمَعَاوِدِ، وَيُلْقِي إِلَيْكَ مَقَالِيدَ الْأُمُورِ لَتَحْمِي فِي مَرْضَاةِ

تقدير ربع ذراع

الله وتجاهد، ويعنك على العمل بالكتاب والسنة : ليكونا شاهدين لك

تقدير ربع ذراع

عند الله في أعظم المشاهد - إلى أن يأتي إلى قوله في آخره : والله تعالى

الماس يخلد له رتبة الملك التي أعلى بها مقامه، ويديمه ناصراً للدين الحنيف

فأنصاره لا يزالون ظاهرين إلى يوم القيامة؛ ويجعل سبب هذا العهد

مدى الأيام متيناً، ويحدد له في كل وقت نصراً قريباً وفتحاً مبيناً؛

والخط الحاكم أعلاه، حجة بمقتضاه

إن شاء الله تعالى

كتب في من شهر كذا

سنة كذا

بالإذن العالي الولوى الإمامى النبوى الحامى

أعلاه الله تعالى

الحمد لله وحده، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه

حسبنا الله ونعم الوكيل

النوع الثالث

(من العهود عهودُ الملوك لولاية العهد بالملك)

وهو أن يعهد الملك بالملك بعده لمن يختاره من أولاده أو إخوته أو غيرهم من الأقارب أو الأجانب .

ويتعلق النظرُ به من سبعة أوجه :

الوجه الأول

(في بيان صحّة ذلك)

لما صحّت إمارةُ الاستيلاء إجماعاً للفتن، وتنفيذاً للأحكام الشرعية على ما تقدّم من كلام الماورديّ في النوع الثاني من العهود، اقتضت المصلحة تصحيح العهد بالملك لما فيه من المعنى المتقدّم . وقد جرّث عهودُ من الملوك لأبنائهم بالديار المصرية وغيرها بحضرة الجُم الغفير من العلماء وأهل الحلّ والعقد فأَمْضَوْا حكم ذلك ولم ينكروه، وذلك منهم دليلُ الجواز .

فإن قيل : قد تقدّم في النوع الثاني من العهود من كلام الماورديّ أن وزيرَ التفويض لا يجوز له أن يعهد بالوزارة لغيره ، ووزارة التفويض في معنى السلطنة الآن أو قريبةً منها على ما تقدّم هناك ، فالجواب : أنه قد تقدّم أن السلطنة الآن مُركّبة من وزارة التفويض وإمارة الاستيلاء، بل السلطان الآن كالمتبّد بالأمر، والشوكة مصحّحة لأصل الولاية فلأن تكون مصحّحة لفرعها أولى .

الوجه الثاني

(فيما يكتب في الطرّة)

ينبغي أن يكون ما يكتب فيها على نحو ما يكتب في طرر عهود الملوك عن الخلفاء ،
إلا أنه يُزاد فيها : « عهد إليه بالملك بعده » كما يقال في عهود الخلفاء عن الخلفاء :
« عهد إليه بالأمر بعده » .

وهذه نسخة طرّة :

« هذا عهد شريف جليل قدره ، رفيع ذكره ، على نخره ، متبلج صبحه ضوى
بحره . من السلطان الأعظم الملك الفلاني فلان الدنيا والدين فلان ، خلد الله تعالى
سلطانه ، ونصر جيوشه وأعوانه - بالسلطنة الشريفة لولده المقام العالي السلطاني
الملك الفلاني ، بلغه الله تعالى فيه غاية الآمال ، وحقق فيه للرعية ما يرجونه من مزيد
الإفضال ، على ما شرح فيه » .

الوجه الثالث

(في الألقاب التي تكتب في أثناء العهد)

وقد ذكر في " التعريف " أنه يكتب له : المقام الشريف أو الكريم ، أو العالي
محترداً عن الشريف والكريم ، ويُقتصر فيها على الألقاب المفردة دون المركبة .

قلت : وعلى هذه الطريقة كتب القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ألقاب
الملك الصالح على بن المنصور قلاوون في عهده بالسلطنة عن والده المذكور ،
فقال : « ولما كان المقام العالي الولدي السلطاني الملكي الصالح العادي » .

وعلى نحو من ذلك كتب المشار إليه ألقاب الملك السعيد بركة بن الظاهر بيبرس في عهده بالسلطنة عن والده المذكور ، فقال : « وخرج أمرنا بأن يكتب هذا التقليد لولدنا الملك السعيد ناصر الدين بركة خاقان محمد » إلا أنه قد خالف ذلك فيما كتب به في ألقاب الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون في عهده بالسلطنة عن والده فجمع بين الألقاب المفردة والمركبة ، فقال : « هذا عهدنا للسيد الأجل الملك الأشرف صلاح الدنيا والدين ، نغري الملوك والسلاطين ، خليل أمير المؤمنين » ولم يتعرض في التعريف لحكاية هذا المذهب ، مع كون كلام ابن عبد الظاهر حجة يرجع إليه في هذا الفن .

الوجه الرابع

(ما يكتب في المستند)

ويتعين أن يكتب فيه « حسب المرسوم الشريف » لصُدوره عن السلطان كما يكتب في التقاليد .

الوجه الخامس

(ما يكتب في متن العهد)

والكتاب فيه طريقتان :

الطريقة الأولى — أن يفتح العهد بعد البسملة بلفظ « هذا » ونحوه على ما تقدم في عهود الملوك عن الخلفاء .

وعلى هذه الطريقة كتب أبو بكر بن القصيرة المغربي الكاتب عن أمير المسلمين « يوسف بن تاشفين » سلطان المغرب بولاية عهده لأبنته أبي الحسن على ما بيده من الغرب والأندلس ، في ذى الحجة سنة ست وتسعين وأربعمائة ، وهو :

كُتِبَ تَوَلِيَّةٌ عَظِيمٌ جَسِيمٌ ، وَتَوْصِيَّةٌ حَمِيمٌ كَرِيمٌ ، مُهَّدَتْ عَلَى الرِّضَا قَوَاعِدُهُ ،
وَأُكِّدَتْ بِيَدِ التَّقْوَى مَعَاقِدُهُ ، وَأُبْعِدَتْ عَنِ الْغَوَايَةِ وَالْهَوَى مَصَادِرُهُ وَمَوَارِدُهُ ،
أَنْقَذَهُ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ وَنَاصِرُ الدِّينِ ، أَبُو يَعْقُوبَ يَوْسُفُ بْنُ تَاشَفِينَ ، أَدَامَ اللَّهُ أَمْرَهُ ،
وَأَعَزَّ نَصْرَهُ ، وَأَطَالَ فِيمَا يُرْضِيهِ وَيَرْضَى بِهِ عَنْهُ عُمُرَهُ ، غَيْرَ مُحَابٍ ، وَلَا تَارِكٍ
فِي النَّصِيحَةِ لِلَّهِ عِزٍّ وَجَلٍّ وَلِرَسُولِهِ مَوْضِعَ أَرْثَابٍ لِمُرْتَابٍ - لِلْأَمِيرِ الْأَجَلُّ أَبُو الْحَسَنِ
عَلَى ابْنِهِ الْمُتَقَبِّلِ شَيْمِهِ وَهَمَمِهِ ، الْمُنَاقِلِ حِلْمَهُ وَتَحَلُّمَهُ ، النَّاشِئُ فِي حَجَرِ تَقْوِيمِهِ وَتَأْدِيبِهِ ،
الْمُتَصَرِّفُ بَيْنَ يَدَيِ مُتَحَدِيهِ وَتَهْدِيهِ ، أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ وَتَوْفِيقَهُ ، وَأَنْهَجَ إِلَى كُلِّ صَالِحٍ
مِنَ الْأَعْمَالِ طَرِيقَهُ ، وَقَدْ تَهَمَّ بِمَنْ تَحْتَ عَصَاهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَهَذَا فِيمَنْ يَخْلُفُهُ
فِيهِمْ هُدًى لِلتَّقِينَ ، وَلَمْ يَرَأَنْ يَتْرُكْهُمْ سُدًى غَيْرَ مَدِينِينَ ، فَأَعْتَمَّ فِي النَّصَابِ الرِّفِيعِ
وَأَخْتَارَ ، وَاسْتَنْصَحَ أُولَى الرَّأْيِ مِنْهُمْ وَمِنْ غَيْرِهِمْ وَاسْتَشَارَ ، وَاسْتَضَاءَ بِشِهَابِ
اسْتِخَارَةِ اللَّهِ عِزٍّ وَجَلٍّ وَاسْتَنَارَ ، فَلَمْ يُوقِعْ اللَّهَ بَعْدَ طُولِ تَأَمُّلٍ ، وَتَرَاحِي مُدَّةٍ وَتَهْمُلٍ ،
اِخْتِيَارَهُ وَلَا اخْتِيَارَ مَنْ فَاوَضَهُ فِي ذَلِكَ مِنْ أُولَى التَّقْوَى وَالْحِكْمَةِ وَالتَّجَرُّبَةِ
وَاسْتَشَارَهُ إِلَّا عَلَيْهِ ، وَلَا صَارَ بِهِ وَبِهِمُ الْاجْتِهَادُ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا التَّقْيُّ وَرَادُّ التَّرَائِي
وَالْتَشَاوُرُ إِلَّا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَوَلَّاهُ عَلَى اسْتِحْكَامٍ بَصِيرَةٍ وَبَعْدَ طُولِ مَشُورَةٍ عَهْدَهُ ،
وَأَفْضَى إِلَيْهِ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْبَسْطِ وَالْقَبْضِ بَعْدَهُ ، وَجَعَلَهُ خَلِيفَتَهُ فِي رِعَايَا مَسْنَدِهِ
وَأَوْطَأَ عَقِبَهُ جَمَاهِيرَ الرِّجَالِ ، وَنَاطَهُ بِمُهِمَّاتِ الْأُمُورِ وَالْأَحْوَالِ ، وَعَهَّدَ إِلَيْهِ أَنْ
يَتَّقِيَ اللَّهَ مَا اسْتَطَاعَ ، وَلَا يَعْدِلَ عَنْ سُنَّتِ الْعَدْلِ وَحُكْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي أَحَدٍ
عَصَى أَوْ أَطَاعَ ، وَلَا يَنَامَ بِهِ عَنْ حِمَايَةِ مَنْ أَسْهَرَهُ الْحَيْفَ وَالْخَوْفَ وَالْإِضْطِجَاعَ ،
وَلَا يَنْتَلِهُ دُونَ مَعْلَنِ شَكْوَى ، وَلَا يَتَصَمَّمُ عَنْ مُسْتَصْرِخٍ لِدِفَاعِ بَلَوَى ، وَأَنْ يَنْتَظِمَ
أَقْصَى بِلَادِهِ وَأَدْنَاهَا فِي سِلْكِ تَدْيِيرِهِ ، وَلَا يَكُونَ بَيْنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ مِنْ رِعْيَتِهِ بَوْنٌ

في إحصائه وتقديره ؛ ثم دَعَا - أدام الله تأييده - لمبايعته مَنْ دَنَا ونَأَى من المسلمين ، فلبَّوا مسرعين وأَتَوْا مُهْطِعِينَ ، وأعطوا صَفْقَةً أيمانهم متبرعين متطوعين ؛ وبايعوه على السَّمْع والطاعة ، والْتِزَامِ سَنَنِ الْجَمَاعَةِ ؛ وبَذَلِ النصيحة ، وإِصْفَاءِ النَّيَّاتِ الصحيحة ؛ ومُوَادَّةِ مَنْ صَاحَبَهُ ، ومُحَارَبَةِ مَنْ حَارَبَهُ ؛ ومُكَايَدَةِ مَنْ كَايَدَهُ ، ومُعَانَدَةِ مَنْ عَانَدَهُ ؛ لا يَدْنَحُونَ في ذلك على حال المَكْرِهِ والمُنْشَطِ مَقْدِرِهِ ، ولا يَحْتَجُونَ في وقتي السُّخْطِ والرضا بِمَعْدِرِهِ ؛ ثم أمر بخاطبة أهل البلاد لِتُبَايَعَهُ كُلُّ طَائِفَةٍ في بلدِها ، وتُعْطِيَهُ كما أعطاه مَنْ حَضَرَ صَفْقَةً يَدِها ؛ حتَّى يَسْتَوِيَ في الِاتِّزَامِ بَيْعَتُهُ ، القَرِيبُ والبَعِيدُ ، ويَجْتَمِعَ على الإِعْتِصَامِ بِحُجْلِ دَعْوَتِهِ ، الغَائِبُ والشَّهِيدُ ؛ وتَطْمَئِنَّ من أعلام الناس وَخَيْرُهُمْ قُلُوبٌ كانت من تَرَائِجِي مَا أُنْتَجَزَ قَلْقِهِ ، ولم تَزَلْ بَقِيَّةَ التَّأَثُّرِ أَرْقَهُ ؛ ويشْمَلُ النَّاسَ السُّرُورُ وَالْإِسْتِبْشَارُ ، ونُتْمَكُنْ لَهُمُ الدَّعَاةُ وَيَتَمَهَّدُ الْقَرَارُ ؛ وتَشَأُ في الصَّلَاحِ لَهُمْ آمَالُ ، وَيَسْتَقْبِلُهُمْ جَدُّ صَاعِدٌ وَإِقْبَالُ ، والله يُبَارِكْ لَهُمْ فِيهَا بَيْعَةَ رِضْوَانٍ ، وَصَفْقَةَ رُجْحَانٍ ، ودَعْوَةَ إِيْمَانٍ ؛ إِنَّهُ على مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ، لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ نِعْمَ المَوْلَى ونِعْمَ النصيرُ .

شهد على أمير المسلمين ناصر الدين ، أبي يعقوب يوسف بن تاشفين - أدام الله أمره ، وأعز نصره - بكلِّ ما ذُكِرَ عنه من الِاتِّزَامِ البَيْعَةِ المنصوصة فوق هذا ، وأعطى صَفْقَةً يَمِينَهُ مَتَبَرعاً بها ، وبالله التوفيق . وذلك بحضرة قُرْطُبَةَ حَمَاهَا اللهُ تَعَالَى .

الطريقة الثانية - أن يُفْتَتَحَ العهدُ بعد البَسْمَلَةِ بِخُطْبَةٍ مَفْتَتَحَةٍ بِالْحَمْدِ لله ، وهي طريقة المِصْرِيِّينَ ، وعليها أَقْتَصَرَ الْمُقَرَّرُ الشَّهَابِيُّ بنُ فَضْلِ اللهِ في " التعريف " وعلى هذه الطريقة كتب القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر عن الظاهر بَيْرُوسَ عهد ولده الملك السعيد بركة ، وهذه نسخته :

(١) في الأصول أمير المؤمنين وهو سوعما تقدم فقهه .

الحمد لله منمى الغروس ، ومبهج النفوس ، ومزين سماء المملكة بأحسن الأهلة
وأضوا البدور وأشرق الشمس ؛ الذى شد أزر الإسلام ، بملك يتعاقبون مصالح
الأنام ، ويتناوبون تدبيرهم كتناوب العينين واليدين فى مهمات الأجساد ومهمات
الأجسام .

نحمده على نعمه التى أيقظت جفن الشكر المتغافى ، وأوردت نهل الفضل الصافى ،
وخولت الآلاء حتى تمسكت الآمال منها بالوعد الوفى وأخذت بالوزن الوافى ؛
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبده كثير الله عدده وعدده ،
وأحمد أمسه ويومه ويحمده - إن شاء الله تعالى - غده ؛ ونصلى على سيدنا محمد
الذى أطلع الله به نجم الهدى ، وألبس المشركين به أردية الردى ؛ وأوضح به
منهج الدين وكانت طرائق قديدا ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة دائمة
لا تنقضى أبدا .

وبعد ، فإننا [بما] ألهمنا الله من مصالح الأمم ، وخولنا من الخرص على مهمات
العباد الذى قطع به شافة الكفر وختم ، وأتى به والشرك قد علم كل أحد اشتعال
ناره فكان علما بنار مضرمة لا نارا على علم ؛ وقدره من رفع الكفر من جميع
الجوانب ، وقفوهم من كل جهة حتى رماهم بالحنف الواصل والعذاب الواصب ؛
فأصبح الشرك من الإبادة فى شرك ، والإسلام لا يحشى من قتل ولا يخاف من
درك ؛ وتغور الإسلام عالية المبتقى ، جانية مكار الإدخار من هنا ومن هنا ؛ تراحم
بروجها فى السماء البروج ، وتشاهد الأعداء منها سماء قد بنيت وزينت وما لها من
فروج ؛ وعساكر الملة الحمديّة فى كل طرف من أطراف الممالك تجول ، وفى كل
وايد تهم حتى تشعر بالنصر ولكنها تفعل ما تقول ؛ قد دوت البلاد فقتلت الأعداء

تَارَةً بِالْإِلَامِ وَتَارَةً بِالْإِذْهَامِ ، وَسَلَّتْ سُيُوفُهَا فِرَاعَتَهُمْ يَقْظَةً بِالْقِرَاعِ وَنَوْمًا بِالْأَحْلَامِ ؛
 تَرَى أَنَا قَدْ لَدَّ لَنَا هَذَا الْأَمْرُ أَلْتِدَاذَ الْمُسْتَطِيبِ ، وَحَسُنَ لَدَيْنَا مَوْقِعُهُ فَعَكَفْنَا عَلَيْهِ
 عُكُوفَ الْمُسْتَجِيدِ وَلَبَّيْنَا تَلِيَّةَ الْمُسْتَجِيبِ ؛ وَجَعَلْنَا فِيهِ جَمِيعَ الْآلَاتِ وَالْحَوَاسِ ،
 وَتَقَسَّمتْ مَبَاشِرَتُهُ وَمُؤَامَرَتُهُ سَائِرَ الزَّمَنِ حَتَّى غَدَا أَكْثَرَ تَرَدُّدًا إِلَى النَّفْسِ مِنْ
 الْأَنْفَاسِ ؛ وَاسْتَفْتَدْنَا السَّاعَاتِ فِي أَمْتِطَاءِ الْمُضْمَرِّ الشَّمُوسِ ، وَأَدْرَاعِ مُحْكَمِ الدَّلَاصِ
 الَّتِي كَانَتْهَا وَمِضُّ بَرَقِ أَوْشُعَاءِ شَمُوسِ ؛ وَتَجْرِيدِ الْمُرهَفَاتِ الَّتِي جَفَتْ لِحَاطِهَا
 الْأَجْفَانِ ، وَجَرَتْ فَكَالْمِيَاهِ وَأُضْرِمَتْ فَكَالْتَّيْرَانِ ؛ وَتَفْوِيقِ السَّهَامِ الَّتِي غَدَتْ قِسِيَّهَا
 مَرَابِعًا نَبَالُهَا بَانَ (؟) ، وَاعْتِقَالِ السَّمْهَرِيَّةِ الَّتِي تَقَرَّعَ الْأَعْدَاءُ سِنَهَا نَدَمَا كُلَّمَا قَرَعَتْ
 هِيَ السَّنَانَ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ كُلِّ غَارَةٍ شَعْوَاءَ نُسَىءٍ لِلْكَفَّارِ الصَّبَاحِ ، وَتَصْدُمُ
 كَالْجِبَالِ وَتَسِيرُ كَالرِّيَّاحِ ؛ وَمُنَازَلَاتٍ كَمْ اسْتَلَبْتُ مِنْ مَوْجُودٍ ، وَكَمْ اسْتَنْجَزْتُ مِنْ
 نَصِيرٍ مَوْعُودٍ ، وَكَمْ مَدِينَةٍ أَصَحَّتْ لَهَا مَدِينَةٌ وَلَكِنْ أَخْرَجَهَا اللَّهُ إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ .

وَكَانَتْ شَجَرَتُنَا الْمُبَارَكَةُ قَدْ أَمْتَدَتْ مِنْهَا فَرْعٌ تَفَرَّسْنَا فِيهِ الزِّيَادَةَ وَالنُّمُوَ ، وَتَوَسَّمْنَا مِنْهُ
 حُسْنَ الْجَنَى الْمَرْجُوقِ ؛ وَرَأَيْنَا أَنَّهُ الْهَلَالُ الَّذِي قَدْ أَخَذَ فِي تَرْقِي مَنَازِلِ السُّعُودِ إِلَى
 الْإِبْدَارِ ، وَأَنَّهُ سِرْنَا الَّذِي صَادَفَ مَكَانَ الْإِخْتِبَارِ لَهُ مَكَانَ الْإِخْتِبَارِ ؛ فَأَرَدْنَا أَنْ نَنْصِبَهُ
 فِي مَنْصِبِ أَحْلَانَا اللَّهُ فَمَسِيحَ غُرْفِهِ ، وَنُشَرِّفَهُ بِمَا خَوَّلَنَا اللَّهُ مِنْ شَرَفِهِ ؛ وَأَنْ تَكُونَ
 يَدُنَا وَبِيْدُهُ تَلْتَقِطَانِ مِنْ ثَمَرِهِ ، وَجِيْدُنَا وَجِيْدُهُ يَحْتَلِيَانِ بِجَوْهَرِهِ ؛ وَأَنَا نَكُونُ لِلْسَّاطِنَةِ
 الشَّرِيفَةِ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ ، وَلِلْمَلِكَةِ الْمُعْظَمَةِ فِي التَّنَاقُوبِ بِالْإِضَاءَةِ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ؛
 وَأَنْ تَصُولَ الْأُمَّةُ مِنَّا وَمِنْهُ بِمُحَدِّثِينَ ، وَيَطِطُّوْا مِنْ أَمْرِنَا وَأَمْرِهِ بِيَدَيْنِ ، وَأَنْ نُزَيِّبَهُ
 عَلَى حُسْنِ سِيَاسَةٍ تَحْمَدُ الْأُمَّةُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - عَاقِبَتَهَا عِنْدَ الْكِبَرِ ، وَتَكُونُ

الأخلاق الملوكة منتشة منه ومنتشة به من الصغر؛ ونجعل سعى الأمة حمداً، ونهب لهم منه سلطاناً نصيراً ومُلْكاً سعيداً؛ ونقوى به عضد الدين ونريش جناح الملكة، ونُفِّح مَطْلَبَ الأمة بآيائِهِ وكيف لا يُنْفِج مَطْلَبَ فيه بَرَكَه ؟ .

ونخرج أَمْرُنَا لا بَرَح مُسْعِداً ومُسْعِفاً ، ولا عَدِمَتِ الأمة منه خَلْفاً مُنِيلاً ونَوْاً مُخْلِفاً ؛ بأن يُكْتَبَ هذا التقليد لولدنا السعيد ناصر الدين « بركة خاقان محمد » جعل الله مَطْلَعَ سعده بالإشراق مُحْفُوفاً ، وأرى الأمة من مِيَامِنِهِ ما يُدْفَعُ للدهر صرفاً ويُنْحَسِنُ بالتدبير تَصْرِيفاً - بولاية العهد الشريف على قُرب البلاد وبعدها ، وغورها ونَجْدِها ؛ وقلاعها وتُغُورِها ، وبرورها وبحورها ؛ وولاياتها وأقطارها ، ومُدُنِها وأمصارها ؛ وسنهلها وجبلها ، ومُعْطَلِها ومُغْتَلِّها ؛ وما تحوى أقطاره الأحلام ، وما يُنسَبُ للدولة القاهرة من يَمِينٍ وحِجَازٍ ومِصرٍ وغَرْبٍ وسَوَاحِلٍ وشامٍ بعد شام ؛ وما يتداخل ذلك من قِفَارٍ ومن بَيْدٍ في سائر هذه الجهات ، وما يتخللها من نِيلٍ وِملحٍ وعَذْبٍ فُراتٍ ؛ ومن يسكنها من حَقِيرٍ وجَلِيلٍ ، ومن يَحُلُّها من صَاحِبِ رُغَاءٍ وتُغَاءٍ وَصَلِيلٍ وَصَهِيلٍ ؛ وجعلنا يده في ذلك كله المَبْسُوطِ ، وطاعته المَشْرُوطِة ونَوَامِيسِهُ المَضْبُوطِة ؛ ولا تَدِيرُ مُلْكٍ كُلِّىٍّ إلّا بنا أو بولدنا يُعْمَلُ ، ولا سَيْفٌ ولا رِزْقٌ إلّا بأمرنا هذا يُسَلُّ وهذا يُسَالُّ ؛ ولا دَسَتْ سُلْطَنَةٍ إلّا بأحدنا يتَوَصَّعُ منه الإِشْراقُ ، ولا غُصْنٌ قَلَمٌ في رَوْضِ أَمْرٍ ونَهْيٍ إلّا ولدينا ولديه تمتدُّ له الأَوْرَاقُ ؛ ولا مَنَبَرٌ خُطِيبٍ إلّا بِاسْمِنَا يَمِيسُ ، ولا وَجَهَ دِرْهَمٍ ولا دِينَارٍ إلّا بنا يُشْرِقُ ويكَادُ تَبَرُّجاً لا بَهْرَجاً يتَطَّلَعُ من خلال الكيس .

فليقلّد الولدُ ما قلّدناه من أمور العباد ، وليشركنا فيما نبشّره من مصالح الثغور والقلاع والبلاد ؛ وستعاهد هذا الولد من الوصايا بما سيُخْشَأُ معه تَوْعَماً ، ويمتَرِجُ

(١) يقال أنبت الرجل ونبلته اذا ناولته النبل ليرى والمراد أنه نافع معين تأمل .

بَلِّغْهُ وَدَمِهِ حَتَّى يَكَادَ يُكُونُ ذَلِكَ إلهَامًا لَا تَعْلَمُ ؛ وَفِي الْوَلَدِ بِحَمْدِ اللَّهِ مِنْ نَقَازِ
الذَّهْنِ وَصِحَّةِ النَّصُورِ مَا تَتَشَكَّلُ فِيهِ الْوَصَايَا أَحْسَنَ التَّشْكِيلِ ، وَتُظْهَرُ صُورَةُ الْإِبَانَةِ
فِي صِفَائِهِ الصَّغِيرِ ؛ فَلِذَلِكَ آسْتَعِينَا عَنْ شَرْحِهَا هَاهُنَا مَسْرُودَةً ، وَفِيهِ - بِحَمْدِ اللَّهِ -
مِنْ حُسْنِ الْخَلِيقَةِ مَا يَحَقِّقُ أَنَّهَا بَشَرُ الْإِلَهَامِ مُوجُودَةٌ ؛ وَاللَّهُ لَا يُعْذِرُنَا مِنْهُ إِشْفَاقًا
وَبَرًّا ، وَيَجْعَلُهُ أَبَدًا لِلْأُمَّةِ سَنَدًا وَدُخْرًا ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وَعَلَى ذَلِكَ كَتَبَ الْقَاضِي عَمِّي الدِّينُ بْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ أَيْضًا عَنِ الْمَنْصُورِ « قَلَاوُونَ »
عَهْدَ وَلَدِهِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ صَلَاحِ الدِّينِ « خَلِيل » وَهَذِهِ نَسَخَتُهُ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ لَهُ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَمَرَ ، وَالرِّضَا وَالشُّكْرُ فِيمَا هَدَمَ مِنْ
الْأَعْمَارِ وَمَا عَمَّرَ ، وَالتَّفْوِيزُ فِي التَّعْوِيزِ إِنْ غَابَتِ الشَّمْسُ بَقِيَ الْقَمَرُ .

نَحْمَدُهُ عَلَى أَنْ جَعَلَ سُلْطَانَنَا ثَابِتَ الْأَرْكَانِ ، كُلُّ رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِهِ ذَاتُ أَفْنَانٍ ؛
لَا تُزْعِزُهُ رِيحٌ عَقِيمٌ ، وَلَا يُخْرِجُهُ رُزْءٌ عَظِيمٌ عَنِ الرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ ؛ وَلَا يُعْتَبِطُ مِنْ جَمَلَتِهِ
كَرِيمٌ إِلَّا وَيُعْتَبِطُ مِنْ أَسْرَتِهِ بِكَرِيمٍ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً
تَزِيدُ قَائِلَهَا تَفْوِيزًا وَتُجْزِلُ لَهُ تَعْوِيزًا ، وَتُحْسِنُ لَهُ عَلَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ فِي كُلِّ
خَطْبٍ جَلِيلٍ تَحْرِيزًا ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ فِي التَّسْلِيمِ :
﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ . وَالنَّبِيُّ الَّذِي أَوْصَحَ بِهِ الْمَنَاجِحَ
وَبَيَّنَ بِهِ السُّبُلَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا تَجَاوَبَتِ الْحَاوِرُ وَالْمَنَابِرُ فِي الْبُكْرِ
وَالْأَصْلِ ؛ وَمَا ثَبَرَتْ عُقُودُ وَنُظِمَتْ ، وَنُسِخَتْ آيَاتُ وَأُحْكِمَتْ ؛ وَنُقِضَتْ أُمُورٌ
وَأُبْرِمَتْ ، وَمَا عَزَمَتْ آرَاءُ فَتَوَكَّلْتَ وَتَوَكَّلْتَ فَعَزَمْتَ ؛ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ أَصْحَابِهِ

الذين منهم من كان للخليفة نعم الخليفة ، ومنهم من لم يدرك أحد في تسويد النفس
الحصيفة ولا في تبيض الصحيفة مدّه ولا نصيفه ؛ ومنهم من يسر الله لتجهيز
جيش العسرة فعرف الله ورسوله معروفه ، ومنهم من عمل صالحاً أرضى ربه وأصلح
في ذريته الشريفة .

وبعد ، فإن من أطف الله تعالى بعباده ، واكتناف عواطفه ببلاده ؛ أن جعلنا
كلّما وهى لللك ركن شديد شيدنا ركنًا عوضه ، وكلما أعتزّت للقادر جملة بدّلنا
آية مكان آية وتناسينا - تجلّدا - تلك الجملة المعترضة ؛ فلم يُجوج اليوم لأمسه ، وإن
كان حميدا ، ولا الغارس لغرسه ، وإن كان ثمره يابغا وظله مديدا ؛ فأطاعنا في أفق
السلطنة كوكبا سعيذا كان لحسن الاستخلاف معدّا ، ومن لقييل المسلمين خير ثوبا
وخير مرّدا ؛ ومن يبشّر الله به من الأولياء المتّقين ويُنذِر من الأعداء قوما لّذا ، ولم
يبق [إلا] به أنسنا بعد ذهاب الذين تحسّبهم (كالسيف فردا) ؛ والذي مامضى حده
ضريبة إلا (قدّ البيض والأبدان قدا) ؛ ولا جهز راية كتيبة إلا أغنى غناء الذاهبين
وعدّ الأعداء عدا ؛ ولا بعثه جزع فقال : (كم من أخ لي صالح) إلا لقيه ورع فقال :
(وخلقت يوم خلقت جلدا) ؛ وهو الذى بقواعد السلطنة أدرى وبقوانينها الأعرف ،
وعلى الرعايا الأعطف وبالرعايا الأرف ؛ وهو الذى ما قبل لبناء ملك هذا عليه قد
وهى إلا وقيل هذا بناء مثله منه أنسى ملك أشرف . والذي ما برح النصر يتسم
من مهاب تأمليه الفلاح ، ويتسم نغره فتوسم الغور من مبسمه النجاح ؛ ويقسم
نوره على البسيطة فلا مضر من الأمصار إلا وهو يشرب إلى ملاحظة جبين عهده
الوضاح ، ويتفتق اشتقاق الثعوت فيقول التسلى للتعلّى : سواء الصالح والصلاح ؛
والذى ما برح إشعار السلطنة إلى توقّله وتنقله أتم حنين ، وكأنما كوشفت الإمامة
العباسية بشرف مسماه فيا تقدّم من زمن سلف ومن حين ؛ فسمت ووسمت باسمه

أَكْبَارِ الْمُلُوكِ وَأَخَارِ السَّلَاطِينِ، نُحُوطَبَ كُلُّ مِنْهُمْ بِمَا لَا كَهْدَ الْحَقِيقَةِ «بِجَلِيلِ»
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؛ وَالَّذِي [كَمْ] جَلَالُ بَيْتِ جَبِينِهِ مِنْ بَيْهِمْ، وَكَمْ غَدَا الْمُلْكُ بِحُسْنِ رُؤَايِهِ
 وَيُؤْمِنُ آرَائِهِ يَسِيمٍ، وَكَمْ أَبْرَأَ مُورِدُهُ الْعَذْبُ هَيْمَ عِطَاشٍ وَلَا يُتَنَكَّرُ الْخَلِيلُ إِذَا قِيلَ عَنْهُ
 أَبْرَاهِيمُ؛ وَمَنْ تَشَخَّصَ الْأَبْصَارُ لِكَمَالِهِ يَوْمَ رُكُوبِهِ حَسِيرِهِ، وَتَلْقَى الْبَنَانُ سِلَاحَهَا ذَهَلًا
 وَهِيَ لَا تَدْرِي لَكثَرَةِ الْإِيْمَاءِ إِلَى جَلَالِهِ إِذَا يَبْدُو مَسِيرِهِ؛ وَالَّذِي أَلْهَمَ اللَّهُ الْأُمَّةَ لِحُودِهِ
 وَوُجُودَهُ صَبْرًا جَمِيلًا، وَأَتَاهُمْ مِنْ نَفَاسَةِ كَرَمِهِ وَحِرَاسَةِ سَيْفِهِ وَقَلَمِهِ تَأْمِينًا وَتَأْمِيلًا؛
 وَعَظُمَ فِي الْقُلُوبِ وَالْعُيُونِ بِمَا مِنْ بَرٍّ سَيَكُونُ فَسَمَتَهُ الْأَبُوتَةُ الشَّرِيفَةُ وَلَدَا وَسَمَاهُ اللَّهُ
 « خَلِيلًا » .

وَلَمَّا تَحْتَمَّ مِنْ تَفْوِيضِ أَمْرِ الْمُلْكِ إِلَيْهِ مَا كَانَ لَوْفَتِهِ الْمَعْلُومُ قَدْ تَأَنَّرَ، وَتَحَيَّنَ
 حِينَهُ فَكُلَّ زِيَادَةَ كَرِيَادَةِ الْهَلَالِ حَتَّى بَادَرَ تَمَامَهُ فَأَبْدَرَ؛ أَقْتَضَى حُسْنَ الْمُنَاسِبَةِ
 لِنَصَائِحِ الْجُمْهُورِ، وَالْمِرَاقِبَةِ لِمَصَالِحِ الْأُمُورِ؛ وَالْمُصَاقِبَةِ لِمَنَاجِحِ الْبِلَادِ وَالثُّغُورِ، وَالْمُقَارَبَةِ
 مِنْ قَوَائِحِ كُلِّ أَمْرٍ مَيْسُورٍ؛ أَنْ تُفَوِّضَ إِلَيْهِ وَلَايَةَ الْعَهْدِ الشَّرِيفِ بِالسُّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ
 الْمَعْظُمَةِ، الْمَكْرَمَةِ الْمَفْخَمَةِ الْمُنَظَّمَةِ؛ وَأَنْ يَبْسُطَ يَدَهُ الْمُتَيْفَةَ لِمَصَاحِفِهَا بِالْعُهُودِ،
 وَتَحْكُمُهَا فِي الْعَسَاكِرِ وَالْجُنُودِ، وَفِي الْبُحُورِ وَالثُّغُورِ وَفِي التَّهَامِ وَالتَّجُودِ؛ وَأَنْ يُعَدِّقَ
 بِبَسْطِهَا وَقَلَمِهَا كُلَّ قَطْعٍ وَوَصْلٍ، وَكُلَّ فَرْعٍ وَأَصْلٍ، وَكُلَّ نَصْرٍ وَنَصْلٍ؛ وَكُلَّ مَا يَنْجِي
 سَرَحًا، وَيَهْمِي مَنَحًا، وَفِي الْمُنْشِرَاتِ فِي الْإِعْدَاءِ عَلَى الْأَعْدَاءِ نَقْعًا وَفِي الْمَغِيرَاتِ
 صُنْبَحًا؛ وَفِي الْمَنْعِ وَالْإِطْلَاقِ، وَفِي الْإِرْفَادِ وَالْإِرْفَاقِ؛ وَفِي الْخَمِيسِ إِذَا سَاقَ،
 وَفِي السُّيُوفِ إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِي وَقِيلَ مَنْ رَاقَ، وَفِي الرِّمَاحِ إِذَا أَثْنَتِ السَّاقُ
 بِالسَّاقِ؛ وَفِي الْمُعَاهِدَاتِ وَالْهَدَنِ، وَفِي الْفِدَاءِ بِمَا عَرَضَ مِنْ عَرْضٍ وَبِالْبُدْنِ
 بِالْبَدْنِ؛ وَفِيمَا ظَهَرَ مِنْ أُمُورِ الْمُلْكِ وَمَا بَطَنَ، وَفِي جَمِيعِ مَا تَسْتَدْعِيهِ بَوَاعِثُهُ، فِي السَّرِّ
 وَالْعَلَنِ، وَتَسْتَرِيهِ نَوَافِثُهُ، مَنْ كَبَتْ وَكُتِبَ مُتَفَرِّقَيْنِ أَوْ فِي قَرْنٍ؛ عَهْدًا مَبَارَكًا عُوْذُهُ

وتماثمه ، وفوائحه وخواتمه ؛ ومناسمه ومياسمه ، وشروطه ولوازمه ؛ وعلى عاتق الملك الأعزّ نجاذه وفي يد جبار السموات قائمه ؛ لا راد لحكمه ولا ناقض لبرمه ، ولا داحض لما أثبتته الأقاليم من مكنون علمه .

[و] يزيده مرّ الليالي جدّة * وتقادّم الأيام حسن شباب

وتلزم السنون والأحقاب ، استيداعه للذرائع والأعقاب ؛ فلا سلطان ذو قدر وقدره ، ولا ذو أمر وإمره ؛ ولا نائب في مملكة قربت أو بعدت ، ولا مقدّم جيوش أتهمت أو أنجذت ، ولا راج ولا رعية ، ولا ذو حكم في الأمور الشرعية ؛ ولا قلم إنشاء ولا قلم حساب ، ولا ذوو أنساب ولا ذوو أسباب ؛ إلا وكلّ داخل في قبول هذا العقد الميمون ، وتمسك بحكم كتابه المكنون ، والتسليم لنصّه الذي شهد به من الملائكة الكرام الكاتبون ؛ وأمست بيعته بالرضوان محفوفة ، والأعداء يدعونها تضرعاً وخيفة ، وليشكروا الصنيع الذي بعد أن كانت الخلفاء تُسلطن الملوك قد صار سلطانهم يقيم من ولاة العهد خليفة بعد خليفه .

وأما الوصايا فأنت يا ولدنا الملك الأشرف - أعزك الله - بها الدرب ، ولسماع شدوها وحدوها الطرب ، الذي للغو لا يضطرب ؛ فعليك بتقوى الله عز وجل فإنها ملاك سدادك ، وهلاك أضدادك ؛ وبها يراش جناح نجاحك ، ويحسن اقتداء اقتداحك ؛ فاجعلها دفين جوانج تأمليك ووعيك ، ونصب عيني أمرك ونهيك ؛ والشرع الشريف فهو قانون الحق المتبع ، ومأمون الأمر المستمع ؛ وعليه مدار إعاء كل إعاز ، وبه يتمسك من أشار وأمتاز ، وهو جنة والباطل نار : ﴿ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ . فلا تخرج في كل حال عن لوائمه وشروطه ، ولا تتكبر عن معلقه ومَنوطه . والعدل فهو مُمَرَّغُ رَسِّ الأموال ، ومعمّر بيوت

الرَّجَاءَ وَالرَّجَالَ ، وَبِهِ تَزْكُو الْأَعْمَارُ وَالْأَعْمَالُ ؛ فَاجْعَلْهُ جَامِعَ أَطْرَافِ مَرَامِكَ ،
وَأَفْضَلَ أَيَّامِ مَوَاسِمِكَ ؛ وَسِمَ بِهِ فِعْلُكَ ، وَسِمَ بِهِ فَرْضُكَ وَنَفْلُكَ ، وَلَا تُفَرِّدْ بِهِ فَلَانَا
دُونَ فَلَانٍ ، وَلَا مَكَانًا دُونَ مَكَانٍ ، وَأَقْرِنْهُ بِالْفَضْلِ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ ﴾ . وَأَحْسِنِ التَّخْوِيلَ ، وَأَجْمِلِ التَّنْوِيلَ ؛ وَكَثِّرْ لِمَنْ حَوْلَكَ التَّمْوِينَ
وَالْتَّمْوِيلَ ، وَضَاعِفِ الْخَيْرِ فِي كُلِّ مُضَافٍ لِقَامِكَ ، وَمُسْتَضِيفِ بِنِعَامِكَ ؛ حَتَّى
لَا تَعْدَمَ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَكُلِّ زَمَانٍ ضَيَافَةَ الْخَلِيلِ ؛ وَالتَّغُورَ فِيهِ لِلْمَالِكِ مَبَاسِمُهَا ،
وَلِلسَّالِكِ مَنَاسِمُهَا ؛ فَاجْعَلْ نَوَاجِذَهَا تَفْتَرُّ عَنْ حُسْنِ ثَنَائِهَا الصَّوْنَ ، وَمَرَاشِفَهَا شَيْبَةَ
السَّهَابِ بِحُسْنِ الْعَوْنِ ؛ وَمِنْهَا ، بِمَا يَنْجِي السَّرْحَ مِنْهَا ، وَأَعْنِهَا ، بِمَا يَذْفَعُ الْمَكَارَهَ
عَنْهَا ؛ فَإِنَّهَا لِلنَّصْرِ مَقَاعِدُ ، وَبِهَا حِفْظُ الْبِلَادِ مِنْ كُلِّ مَارٍّ مِنَ الْأَعْدَاءِ مَارِدٍ ؛
وَأَهْرَاءُ الْجِيُوشِ فَهَمُ السُّورِ الْوَاقِي بَيْنَ يَدَيِ كُلِّ سُورٍ ، وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا كُلُّ بَطَلٍ
بِالنَّصْرِ مَشْهُورٌ ، كَمَا سَيُفْهَمُ مَشْهُورٌ ؛ وَهُمْ ذَخَائِرُ الْمُلُوكِ ، وَجَوَاهِرُ السُّلُوكِ ، وَأَخَايِرُ
الْأَكْبَرِ الَّذِينَ خَلَصُوا مِنَ الشُّكُوكِ ؛ وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ لَهُ خِدْمَاتٌ سَلَفَتْ ، وَحَقُوقٌ
عُرِفَتْ ، وَمَوَاتٌ عَلَى أَسْتِزَامِ الرَّعَايَةِ لِلْعُهُودِ وَقِفَتْ ؛ فَكُنْ لْجُنُودِهِمْ مُتَجَبِّبًا ،
وَلِمَرَابِعِهِمْ مُحْصِبًا ، وَلِمَصَالِحِهِمْ مُرْتَبًّا ، وَلِأَرْأَاهِمُ مُسْتَضِيْبًا ، وَلِإِعْتِضَادِهِمْ مُسْتَضِجِبًا ،
وَفِي حَمْدِهِمْ مُطْنِبًا ، وَفِي شُكْرِهِمْ مُسْنِبًا ؛ وَالْأَوْلِيَاءُ الْمَنْصُورِيُونَ الَّذِينَ هُمْ كَالْأَوْلَادِ ،
وَلَهُمْ سَوَائِقُ أُمَّتٍ مِنْ سَوَائِقِ الْإِيْحَادِ ؛ وَهُمْ مَنْ عَلِمَتْ أَسْتِكَانَةٌ مِنْ قُرْبِنَا ،
وَمَكَانَةٌ مِنْ قَلْبِنَا ؛ وَهُمْ الْمَسَاهِمُونَ فِيمَا نَابَ ، وَمَا بَرَّحُوا لِلدُّوْلَةِ الطُّفْرَ وَالنَّابَ ؛
فَأَسْمِهِمْ لِكُلِّ مِنْهُمْ مِنْ أَحْتِرَامِكَ نَصِيْبًا ، وَأَدِمْ لَهُمْ أَرْتِيَا حَاكَ ، وَأَلِنْ جِمَا حَاكَ ، وَقَوِّهِمْ
بِسَلَا حَاكَ ، تَجِدْ مِنْهُمْ ضُرُوبًا ، وَتَرَى كُلًّا مِنْهُمْ فِي أَعْدَائِكَ ضُرُوبًا .

وَكَمَا أَنَا نُوصِيكَ بِجِيُوشِ الْإِسْلَامِ ، كَذَا نُوصِيكَ بِالْجِيْشِ الَّذِي لَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَاتُ
فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ؛ فَهُوَ جِيْشُ الْأَمْوَاهِ وَالْأَمْوَاجِ ، الْمُضَافُ إِلَى الْأَفْوَاجِ مِنْ جِيْشِ

الْفَجَاجُ ؛ وَهُوَ الْجَيْشُ السَّلْيَانِيُّ فِي إِسْرَاعِ السَّيْرِ ، وَمَا سُمِّيَتْ شَوَانِيهِ غِرْبَانَا
إِلَّا لِجَمْعِهَا لَنَا مَا أَجْتَمَعَ لِسُلَيْمَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ تَسْخِيرِ الرِّيحِ وَالطَّيْرِ ؛
وَهِيَ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ عَلَى شَجِّ الْبَحْرِ الْأَسْوَارِ ، فَإِنْ قُذِفَتْ قَذَفَتْ الرَّعْبَ فِي قُلُوبِ
الْأَعْدَاءِ وَإِنْ أَقْلَعَتْ قَلَعَتْ مِنْهُمْ الْآثَارَ ؛ فَلَا تُنْجِلُهُ مِنْ تَجْهِيْزِ جَيْشِهِ ، وَسَكَنَ طِينُ
الْبَحْرِ بَطْنِيْشَهُ ؛ فَيُصْبِحُ لَكَ جَيْشَانِ كُلُّ مِنْهُمَا ذَوْكَرٌ وَقَرْ ، : هَذَا فِي بَرٍّ وَهَذَا يَجْرِي
بَرٌّ ؛ وَبُيُوتُ الْعِبَادَاتِ فَهِيَ الَّتِي إِلَى مَصْلَى سَمِيَّكَ « خَلِيل » اللَّهُ تَنْتَهِيْ بِحَارِيبِهَا ،
وَبِهَا لَنَا وَلَكَ وَلِلْمُسْلِمِينَ سُرَى الدَّعَوَاتِ وَتَأْوِيْهَا ؛ فَوْفَهَا نَصِيْبُهَا الْمَفْرُوضَ غَيْرَ مَقْصُوصَ ،
وَمُرَّ بَرْفَعِهَا وَذَكَرِ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى [فِيهَا] لِلْأَمْرِ الْمَنْصُوصِ ؛ وَأَخَوَاتُهَا مِنْ بُيُوتِ
الْأَمْوَالِ الْوَاجِبَاتِ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا كُلُّهَا بُيُوتُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : هَذِهِ
لِلصَّلَاةِ وَهَذِهِ لِلصَّلَاتِ ؛ وَهَذِهِ كَهَذِهِ فِي رَفْعِ الْمَنَارِ وَجَمْعِ الْمَبَارِ ، وَإِذَا كَانَتْ تِلْكَ
مِمَّا أَدْنَى اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ فَهَذِهِ تُرْفَعُ وَيُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُهُ حَتَّى عَلَى الدَّرْهِمِ
وَالدِّيْنَارِ ؛ فَاصْرِفْ إِلَيْهَا أَجْتِهَادَكَ فِيمَا يُعُودُ بِالتَّشْمِيرِ ، كَمَا يُعُودُ عَلَى تِلْكَ بِالتَّنْوِيرِ ؛ وَعَلَى
هَذِهِ بِاشْتِحَانِهَا بِأَنْوَاعِ الصُّرُوفِ ، كَإِثْمَانِ تِلْكَ بِاسْتِوَاءِ الصُّفُوفِ ، فَإِنَّمَا إِذَا أَصْبَحَتْ
مَصُونَةٌ ، أَجْمَلَتْ بِحَمْدِ اللَّهِ الْمَعُونَةِ ؛ وَكَفَلَتْ بِالمُؤْنَةِ وَبِالزِّيَادَةِ عَلَى الْمُؤْنَةِ ، فَتُكَمَّلُ
هَذِهِ لِكُلِّ وَلِيٍّ دُنْيَاهُ كَمَا كَلَّمَتْ تِلْكَ [لِكُلِّ] وَلِيٍّ دِينَهُ ؛ وَحُدُودُ اللَّهِ فَلَا يَتَعَدَّاهَا أَحَدٌ ،
وَلَا يَرَأْفُ فِيهَا وَلَدٌ بَوَالِدٍ وَلَا وَالِدٌ بَوْلَدٍ ؛ فَاقْفِهَا وَقُمْ فِي أَمْرِهَا حَتَّى تَنْضَبِطَ أَمَّ الضَّبِطِ ،
وَلَا تَجْعَلْ يَدَ الْفَتَنِ مَغْلُولَةً إِلَى عُقْفِهَا وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ؛ فَلِكُلِّ مِنَ الْجَنَائِثِ
وَالْقِصَاصِ شَرْطُ شَرْطِهِ اللَّهُ وَحْدَهُ حَدُّهُ فَلَا يَتَجَاوَزُ أَحَدٌ ذَلِكَ الْحَدَّ وَلَا يَخْرُجُ عَنْ

(١) لعل الصواب بشحنها من شحن الثلاثي يقال شحنة يشحنه ملاءه ، وأما الرباعي فعناه الاعتماد يقال

سيوف مشحنة أى مغمدة وأشحن الرجل اشحنانا تهيأ للبكاء وهو غير مناسب هنا تأمل .

(١)

ذلك الشرط ؛ والجهد فهو الدِّين المألوف من حيث نشأ نشأ ونشأتك
 وفي ظهور الخيل ، فإل على الأعداء كُلَّ الميل ؛ وصَبَّحهم من فتَكَاتك بالويل بعد
 الويل ، وآرَمهم بكلِّ شَمْرَى^(٢) قد شَمَّر من يده عن الساعد ومن رُفحه عن الساق ومن
 جَوَّادته الذَّيْل ؛ وأذهب لهم من كُلِّ ذلك مَذْهَب ، وأزْرَجُوم الخِرْصان كُلَّ غَيٍّ
 وَغَيْب ؛ وتكثَّر في غَزْوهم من الليل بكلِّ أدْهم ومن الشَّفَق بكلِّ أحر وأشقر
 ومن الأصيل بكلِّ أَصفر ومن الصبح بكلِّ أَشهب ، وأستَنِب أعمارهم وأجعلها
 آخر ما يُسَلَب وأوَّل ما يُنْهَب ؛ ونزجو أن يكون الله قد خبَّا لك من الفتوحات
 ما يستنجزها لك صادق وَعْدِه ، وأن ينصرك جُيُوش الإسلام ، في كُلِّ إنْجَاد
 وإِتهام ، وما النَّصْر إلَّا من عِنْدِه ؛ وبيت الله المحجَّوج من كُلِّ بَغ ، المقصود من
 كُلِّ نَهْج ؛ فسير سبيله ، ووسَّع [له] الخير وأحسن تسييله ؛ وأوصل من رُكَّ لكلِّ
 من الحرمين مأهوله ، لتُصبح رُبوعه بذلك مأهولة ؛ وآخيه من يُريد فيه بإلحاد بظلم ،
 وطَّهره من مَكْس وعُرم : ليعود ثَقُوك على البادية والعاكِف ، ويُصبح واديه
 وناديه مستغنيين ببذلك عن السَّحاب الواكِف ؛ والرعايا فهم للعَدل زُرُوع ،
 وللإِسْتِمَار فُرُوع ، ولأستلزام العارة سُروع ؛ فمتى جادهم غَيْثٌ أعجب الزَّرَّاع نَبَاتهم ،
 ومَتَّ بالصلاح أقواتهم ، وصَلَحَتْ بالثَّماء أوقاتهم ؛ وكثُرَت للجنود مستغلاتهم ،
 وتوفَّرت زَكَواتهم وتنوَّرت مشكلاتهم ؛ والله يضاعف لمن يشاء .

هذا عهدنا للسيد الأجل ، الملك ، الأشرف ، صلاح الدنيا والدين ، نحر المملوك
 والساطين ، خليل أمير المؤمنين ، أعزَّ الله تعالى ببقائه الدِّين ؛ فليكن بعروته
 متمسكا ، وبفتحته متمسكا ؛ وليتقلد سيف هذا التقليد ، ويفتح مُغلق كلِّ فتح منه

(١) بياض في الأصل بقدر كلمة صغيرة .

(٢) الشمري بفتح الشين وكسرها مع شد الميم فيما الماضي في الأمور المحرب انظر اللسان ج ٦ ص ٩٦ .

بخير إقديد؛ وها نحن قد كثرنا لديه جواهره فدونه ما يشاء تحليته من تتويج مفريق
وتختيم أنامل وتسوير زند وتطويق جيد، ففي كل ذلك تجميل وتمجيد؛ والله تعالى
يجعل استخلافه هذا للتقين إماما، وللدّين قواما، وللجاهدين اعتصاما، وللمتدين
أنفصاما؛ ويطفى بمياه سُيوفه نار كل خطب حتى يُصبح كما أصبحت نار سميّه
صلّى الله عليه وسلم بردّا وسلاما؛ إن شاء الله تعالى.



وعلى ذلك كتب القاضي محي الدين بن عبد الظاهر، عن المنصور «قلاوون»
المتقدم ذكره، عهد ولده الملك الصالح «علاء الدّين على» وهذه نسخته :

الحمد لله الذى شرف سرير الملك منه بعليّه، وحاطه منه بوصيّه، وعضد منصوره
بولاية عهد صالحه وأسمى حاتم جوده بمكارم حازها بسبق عديّه، وأبهج خير الآباء
من خير الأبناء بمن سُمّوا به منه بشريف الخلق وأبيه، وغدّى روضه بمتابعة وسميه
وبمسارعة وليّه.

نحمده على نعمه التى جمعت إلى الزهر الثمر، وداركت بالبحر وباركت فى النهر؛
وأجملت المبتدأ وأحسنّت الخبر، وجمعت فى لذّاة الأوقات وطيبها بين رقيق
الآصال ورقّة البكر. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُليّس الألسنة
منها فى كلّ ساعة [ثوبا] جديدا، ونتقيّ منها ظلّا مديدا، ونستقرب من الآمال
ما يراه سوانا بعيدا. ونصلّى على سيدنا محمد الذى طهر الله به هذه الأمة من الأدناس،
وجعلها بهدايته زاكية الغراس؛ صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم من فهم
حُسن استخلافه بالأمر له بالصلاة بالناس، ومنهم من بنى الله به قواعد الدّين
وجعلها موطدة الإساس، ومنهم من جهّز جيش العسرة وواسى بماله حين الضراء

والباس ، ومنهم من قال عنه صلى الله عليه وسلم : ”لَأَعْطِينَ الرَّأْيَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّهُ
اللهُ وَرَسُولُهُ وَيُحِبُّ اللهُ وَرَسُولَهُ“ فحُسْنُ الْإِلْتِمَاسِ بِذَلِكَ وَالْإِقْتِبَاسُ ، وزاد في شرفه
بأن طَهَّرَ أَهْلَ بَيْتِهِ وَأَذْهَبَ عَنْهُمْ الْأَرْجَاسَ ، صَلَاةً لَا تَزَالُ تَرْدُدُ تَرْدُدَ الْأَنْفَاسِ ،
وَلَا تَبْرَحُ فِي الْآثَاءِ حَسَنَةُ الْإِيْنِاسِ .

وبعد ، فَإِنَّ خَيْرَ مَنْ شُرِّفَ مَرَاتِبُ السُّلْطَنَةِ بِجُلُودِهِ ، وَفُوتَ مَلَابِسُ التَّحْكِيمِ
بِقُبُولِهِ ، وَمَنْ تَزْهَى مُطَالِيعُ الْمُلْكِ بِإِشْرَاقِهِ ، وَتَبَادُرُ الْمَمَالِكُ مُدْعِنَةً لِاسْتِحْقَاقِهِ ؛ وَمَنْ
يَزِدُّهُي مُلْكٌ مَنْصُورُهُ - نصره الله - بَوْلَدِهِ وَوَلَى عَهْدِهِ مَكْنَةً بَانِيَهُ ، وَمَنْ يَتَشَرَّفُ
إِيْوَانُ عَظْمِيَّةٍ : إِنْ غَابَ وَالِدُهُ فِي مَصْلَحَةِ الْإِسْلَامِ فَهُوَ صَدْرُهُ وَإِنْ حَضَرَ فَهُوَ
ثَانِيهِ ؛ وَمَنْ يَتَجَمَّلُ غَابُ الْإِيَالَةِ مِنْهُ بِخَيْرِ شَيْءٍ كَفَلَ لَيْثًا ، وَيَتَكَفَّلُ غَوْتُ الْأُمَّةِ بِخَيْرِ
وَإِيلٍ خَلَفَ غَيْثًا ؛ وَمَنْ أَلْهِمَ الْأَخْلَاقَ الْمُلُوكِيَّةَ وَأَوْقَى حُكْمَهَا صَبِيًّا ، وَمَنْ خَصَّصَتْهُ
الْأَدْعِيَّةُ الشَّرِيفَةُ بِصَالِحِهَا وَلَمْ يَكُنْ بُدْعَانِهَا شَقِيًّا ، وَمَنْ رُِعِمَتْ بِهِ هَضْبَةُ الْمُلْكِ حَتَّى
أَمْسَى مَكَائِنَهَا عَلَيْهِ ؛ وَمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِأَنْ يُحِبَّ الْأَمَلَ وَيُنْجِحَ ، وَأَوْلَى بِأَنْ يُتَى لَهُ :
(« أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ ») . وَمَنْ هُوَ بِكُلِّ خَيْرٍ مَلِي ، وَمَنْ إِذَا فُوضَتْ إِلَيْهِ أُمُورُ
الْمُسْلِمِينَ كَانَ أَشْرَفَ مِنْ لَأُمُورِهِمْ بَلِي ؛ وَمَنْ يَتَحَقَّقُ مِنَ وَالِدِهِ الْمَاضِي الْغِرَارَ ، وَمَنْ
أَسْمَاهُ الْعَالِي الْمَنَارَ ، أَنْ لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ وَلَا قَتْلَ إِلَّا عَلِيًّا .

وَلَمَّا كَانَ الْمَقَامُ الْعَالِي ، الْوَلَدِيُّ ، السُّلْطَانِيُّ ، الْمَلِكِيُّ ، الصَّالِحِيُّ ، الْعَلَائِيُّ -
عِزُّهُ اللهُ بِهِ الدِّينَ ، وَجَمَعَ إِذْعَانَ كُلِّ مُؤْمِنٍ عَلَى إِحْيَابِ طَاعَتِهِ لِمَبَاشَرَةِ أُمُورِ
الْمُسْلِمِينَ ، حَتَّى يُصْبِحَ وَهُوَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ - هُوَ الْمَرْجُوُّ لِتَنْدِيرِ هَذِهِ الْأُمُورِ ، وَالْمَأْمُولُ
لِصَّلَاحِ الْبِلَادِ وَالثُّغُورِ ، وَالْمَدْنَحُ فِي النَّصْرِ لِشِفَاءِ مَا فِي الصُّدُورِ ، وَالَّذِي تَشْهَدُ الْفِرَاسَةُ
لَأَبِيهِ وَلَهُ بِالتَّحْكَمِ : أَوَلَيْسَ الْحَاكِمُ أَبُو عَلِيٍّ هُوَ الْمَنْصُورُ ؟ . فَلِذَلِكَ أَقْتَضَتْ رَحْمَةُ

والشفقة على الأمة ؛ أن يُنصب لهم ولي عهد يتمسكون من الفضل بعروة كرمه ،
ويسعون بعد الطواف بكعبة أبيه لحرمه ؛ ويقتطفون أزاهر العدل وثمار الجود
من كلمه وقلمه ، وتستسعد الأمة منه بالملك الصالح الذى تقسم الأنوار لجبينه وتقسم
المبار من كراماته وكرمه .

فلذلك خرج الأمر العالى ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، المنصورى ، السيفى -
أخذه الله القدر ، ولا زالت الممالك تتباهى منه ومن ولي عهده بالشمس والقمر -
أن يفوض إليه ولاية العهد وكفالة السلطنة المعظمة ، ولاية تامة عامة شاملة
كامله ؛ شريفة منيفه ، عطوفة رءوفه ؛ فى سائر أقاليم الممالك وعساكرها وجندها ،
وعربها وتركمانها وأكرادها وتوابها وولاتها ، وأكبرها وأصاغرها ورعاياها ورعاتها ،
وحكامها وقضاتها ، وسارحها وسابحها ؛ بالديار المصرية وتغورها وأقاليمها
وبلادها ؛ وما آتوت عليه . والمملكة الحجازية ، وما آتوت عليه . ومملكة الثوبة ،
وما آتوت عليه ، والفتوحات الصفدية والفتوحات الإسلامية الساحلية وما آتوت
عليه . والممالك الشامية وحصونها ، وقلاعها ومدنها ، وأقاليمها وبلادها ، والمملكة
الحصينة ، والمملكة الحصينة الأكرادية والحبيلية وفتوحاتها ، والمملكة الحلبية وتغورها
وبلادها ، وما آتوت عليه ، والمملكة الفراتية ، وما آتوت عليه ؛ وسائر القلاع
الإسلامية برا وبحرا ، وسهلا ووعرا ؛ شاما ومصر ، يما وحجازا ، شرقا وغربا ،
بعدا وقربا . وأن تلقى إليه مقاليد الأمور فى هذه الممالك الشريفة ، وأن تستخلفه
سلطنة والده - خلد الله دولته - لتشهد الأمة منه فى وقت واحد سلطانا وخليفة ؛
ولاية واستخلافا تسندهما الرواه ، وتترنم بهما الحداة ، وتعيها الأسماع وتنطق بهما
الأفواه ؛ تفويضا يعلن لكافة الأمم ، ولكل رب سيف وقلم ، ولكل ذى علم وعلم ؛
بما قاله صلى الله عليه وسلم لسميه رضى الله عنه حين أولاه من الفخار ما أولاه :

”مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِي مَوْلَاهُ“. فلا مَلِكُ إقْلِيمٍ إِلَّا وهذا الخطابُ يَصِلُهُ وَيُوصَلُهُ ،
ولا زعيمُ جيشٍ إِلَّا وهذا التفويضُ يَسْعُهُ وَيَشْمَلُهُ ؛ ولا إقْلِيمٌ إِلَّا وكلُّ مَنْ به
يُقْبَلُهُ وَيَقْبَلُهُ ، ويمتثلُ بين يديه ويمثله ، ولا منبرٌ إِلَّا وخَطِيئُهُ يتلو فرقانَ هذا
التقديم ويرتله .

وأما الوصايا فقد لَقْنَا وَلَدَنَا وولىَّ عَهْدَنَا ما أَنْطَبَعَ فِي صفاءِ ذَهْنِهِ ، وَسَرَتْ تغذيته
فِي نَماءِ غَصْنِهِ ؛ ولا بُدَّ من لوازمِ التبرُّكِ بها فِي هذا التقليدِ الشريفِ تُبْرِ ، وجوامعِ
بعدِ لَحْمِهَا ^(١) ؟) حيثِ يصيرُ ، وودائعُ يُنَبِّئُكَ عَنْهَا وَلَدُنَا - أعزنا الله ببقائه -
ولا يَنْبَئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ : فاتَّقِ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ، وَأَنْصِرِ الشَّرْعَ
فَإِنَّكَ إِذَا نَصَرْتَهُ يَنْصُرَكَ اللهُ عَلَى أَعْدَاءِ الدِّينِ وَعِدَاكَ ؛ وَأَقِضْ بِالْعَدْلِ مَخَاطِبًا وَمَكَاتِبًا
حَتَّى يَسْتَبِقَ إِلَى الْإِعْازِ بِهِ لِسَانُكَ وَيُمْنَاكَ ، وَأُمِرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ عَالِمًا أَنَّهُ
لَيْسَ يُخَاطَبُ غَدًا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ عَنْ ذَلِكَ سِوَانَا وَسِوَاكَ ، وَأَنَّهُ نَفْسَكَ عَنِ الْهَوَى
حَتَّى لَا يَرَاكَ اللهُ حَيْثُ نَهَاكَ ؛ وَحُطِّ الرِّعْيَةُ ، وَمُرِيَ الثَّوَابُ بِمَجْلِهِمْ عَلَى الْقَضَايَا
الشَّرْعِيَّةِ ؛ وَأَقِمِ الْحُدُودَ ، وَجَنِّدِ الْجُنُودَ ، وَأَبْعَثْ بَرًّا وَبَحْرًا مِنَ الْغَزْوِ إِلَى كُلِّ مَقَامٍ
مُجْمُودٍ ؛ وَأَحْفَظِ الثَّنُورَ ، وَلَا حِظَّ الْأُمُورِ ، وَازْدَدْ بِالْإِسْتِرْشَادِ بَارِئًا نُورًا عَلَى نُورٍ ؛
وَأَمْرَاءَ الْإِسْلَامِ الْأَكْبَارِ وَزُعَمَاءَهُ ، فَهَمَّ بِالْجِهَادِ وَالذَّبِّ عَنِ الْعِبَادِ أَصْفِيَاءُ اللهِ
وَأَحِبَّاءُهُ ؛ فَضَاعَفَ لَهُمُ الْحُرْمَةَ وَالْإِحْسَانَ . وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ أَصْطَفَانَا عَلَى الْعَالَمِينَ
وَالْأَقْلَامِ ؛ فَالْقَوْمُ إِخْوَانٌ ؛ لَا سِيَّامًا أَوْلُو السَّعْيِ النَّاجِحِ ، وَالرَّأْيِ الرَّائِحِ ، وَمَنْ إِذَا نَفَرُوا
بِنِسْبَةِ صَالِحِيَّةٍ قِيلَ لَهُمْ : نِعَمَ السَّلَفُ الصَّالِحُ ؛ فَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ ، وَحَاوَرَهُمْ فِي مَهْمَاتِ
الْأُمُورِ فِي كُلِّ سِرٍّ وَجَهْرٍ ؛ وَكَذَلِكَ غَيْرُهُمْ مِنْ أَكْبَرِ الْأَمْرَاءِ الَّذِينَ هُمْ مِنْ تَحَايَا

(١) كذا في الأصول ولعله تعتر بجيوشها حيث تسير . تأمل .

الدول، وذخائر الملوك الأول؛ أجرهم في هذا المجزئ، وأشرح لهم بالإحسان صدرا؛ وجيوش الإسلام هم البنان والبنيان، قوال إليهم الأمتان؛ وأجعل محبتك في قلوبهم بإحسانك إليهم حسنة المربى، وطاعتك في عقائدهم قد شغفها حباً؛ ليُضحوا بحسن نظرك إليهم طوعاً، وليحصل كل جيش منهم من التقرب إليك بالمناسحة نوعاً؛ والبلاد وأهلها فهم عندك الوديعه، فأجعل أوامرك [لهم] بصيرة وسميعه.

وأما غير ذلك من الوصايا، فسُخِّوْكَ منها بما يَشْتَأُ معك تَوْءَمًا، ونَلَقْنَكَ من آياتها مُحْكَمًا مُحْكَمًا؛ والله تعالى يُتِمِّي هَلَاكَ حَتَّى يُوصِلَهُ إِلَى دَرَجَةِ الْإِبْدَارِ، وَيَغْدِي غُصْنَكَ حَتَّى نَزَاهُ قَدْ أُنِيعَ بِأَحْسَنِ الْأَزْهَارِ وَأُنِيعَ الثَّمَارِ؛ وَيرزُقُكَ سَعَادَةَ سُلْطَانِنَا الَّذِي نُعِيتَ بِنَعْتِهِ تَبَرُّكًا، وَيُلْهِمُكَ الْاِعْتِضَادَ بِشِيعَتِهِ، وَالْاِسْتِثْنَاءَ بِسُنَّتِهِ، حَتَّى تُصْبِحَ كَتَمَسُّكًا بِذَلِكَ مَتَمِّسًا، وَيَجْعَلُ الرِّعْيَةَ بِكَ فِي أَمْنٍ وَأَمَانٍ حَتَّى لَا تَمُتْ سُوءًا وَلَا تَخَافَ دَرَكًا؛ وَالْاِعْتِمَادَ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ - أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى - أَعْلَاهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

الوجه السادس

(فيما يُكْتَبُ فِي مُسْتَنَدِ عَهْدٍ وَلَى الْعَهْدِ بِالسُّلْطَنَةِ، وَمَا يَكْتُبُهُ السُّلْطَانُ

فِي بَيْتِ الْعَلَامَةِ، وَمَا يَكْتُبُ فِي ذَيْلِ الْعَهْدِ)

أما ما يَكْتُبُ فِي مُسْتَنَدِ الْعَهْدِ وَمَا يَكْتُبُهُ السُّلْطَانُ فِي بَيْتِ الْعَلَامَةِ، فَكَفِيرُهُ مِنْ سَائِرِ الْوَلَايَاتِ مِنَ التَّقَالِيدِ وَغَيْرِهَا : وَهُوَ أَنَّهُ يَكْتُبُ فِي الْمُسْتَنَدِ «حَسَبَ الْمَرْسُومِ الشَّرِيفِ» كَمَا يَكْتُبُ فِي الْمَكَاتِبَاتِ الَّتِي هِيَ بِتَلْقَى كَاتِبُ السَّرْعَى مَا تَقْدَمُ ذِكْرُهُ فِي بَابِهِ . وَيَكْتُبُ السُّلْطَانُ فِي بَيْتِ الْعَلَامَةِ اسْمَهُ وَأَسْمَ آبِيهِ .

وأما مايكتب في ذيل العهد وشهادة الشهود على السلطان بالعهد ، فيتل أن يكتب : « شهدت على مولانا السلطان الملك الفلاني العاهد المشار إليه فيه خلد الله ملكه ، أو خلد الله سلطانه » وما أشبه ذلك من الدعاء « بما تُسب إليه فيه من العهد بالسلطنة الشريفة إلى ولده المقام الشريف العالی السلطاني ، الملكي ، الفلاني ، وعلى المعهود إليه - أعز الله أنصاره - بقبول العهد المذكور ، وكتب فلان بن فلان » .

الوجه السابع

(في قطع ورق هذا العهد وقلمه الذي يكتب به ، وكيفية كتابته ،

وصورة وضعه في الورق)

أما قطع ورقه فمقتضى إطلاق المقَرَّ الشهابي بن فضل الله في « التعريف » أن للمهود قطع البغدادى الكامل أنه يكتب في البغدادى أيضا .

قلت : وهو المناسب لعظمة السلطنة ، وبما خة قدرها . إذ الملك إلى ولي العهد آتئ ، وللدخول تحت أمره صائر ، خصوصا إذا كان المعهود إليه ولدا أو أخا .
وحيثئ فيكتب مختصر قلم الطومار لمناسبته له ، على ما تقدم في غير موضع .

وأما كيفية كتابته وصورة وضعها في الورق ، فهو أن يخلى من أعلى الدرج قدر إصبع بياضا . ثم يكتب في وسطه بقلم دقيق ماصورته « الأسم الشريف » كما يكتب في التقاليد وغيرها على ماسياتى . ثم يتدئ بكتابة الطرة بالقلم الذى يكتب به العهد من أول عرض الورق من غير هامش سطورا متلاصقة إلى آخر الطرة . ثم يترك ستة أوصال بياضا من غير كتابة غير الوصل الذى فيه الطرة . ثم يكتب البسملة في أول الوصل الثامن بحيث تلحق أعلى ألفاته بالوصل الذى فوقه ، بهامش عن

(١) لعل الصواب وشيوخ قدرها فإنما لم تقف على هذا المصدر فما بين يدينا من كتب اللغة فليحذر .

يمين الورق قدر أربعة أصابع أو خمسة مطبوعة . ثم يكتب تحت البسملة سطرا من أول العهد ملاصقا لها . ثم يخلى بيت العلامة قدر شبر كما في عهد الملوك عن الخلفاء . ثم يكتب السطر الثاني تحت بيت العلامة على سمت السطر الذى تحت البسملة ، ويسترسل فى كتابة بقية العهد إلى آخره ؛ ويجعل بين كل سطرين قدر رُبع ذراع بذراع القماش . فإذا انتهى إلى آخر العهد كتب « إن شاء الله تعالى » ثم المستند ، ثم الحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والحسبة ، على ماتقدم فى الفواتح والخواتم . ثم يكتب شهود العهد بعد ذلك .

وهذه صورة وضعه فى الورق ، ممثلا له بالطرة التى أنشأتها لذلك ، وبالعهد الذى أنشأه القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر عن المنصور « قلاوون » بالعهد بالسلطنة لولده الملك الصالح « علاء الدين على » وهى :

هذا عهد شريف جليل قدره ، رفيع ذكره ، على نحره ، متبلج صبحه ضوى بفره ؛ من السلطان الأعظم الملك الظاهر ، ركن الدنيا والدين « بيبرس » خلد الله تعالى سلطانه ، ونصر جيوشه وأعوانه ، بالسلطنة الشريفة لولده المقام العالى السلطانى ، الملكى ، السعيدى ، بلغه الله تعالى فيه غاية الآمال ، وحقق فيه للرعية ما يرجونه من مزيد الإفضال .
على ما شرح فيه

بسم الله الرحمن الرحيم

هاش الحمد لله الذى شرف سرير الملك منه بعليه ، وحاطه

منه بوصيه ، وعضد منصوره بولاية عهد صالحه ، وأسمى حاتم جوده

هَامِشْ يَمَكَارِمَ حَازَهَا بَسَبَقَ عَدِيَّةً ، وَأَبْهَجَ خَيْرَ آبَاءٍ مِنْ خَيْرِ الْأَبْنَاءِ بِمَنْ سَمُّوا أَبِيهِ

مِنْهُ بِشَرِيفِ الْخُلُقِ وَأَبِيَّةً ، وَغَذَّى رَوْضَهُ بِمَتَابَعَةِ وَشَمِيَّةٍ ، وَبِمَسَارَعَةِ وَلِيَّةٍ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي جَمَعَتْ إِلَى الزَّهْرِ الثَّمَرَ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ إِلَى قَوْلِهِ : وَلَا يَخَافُ

دَرْكَاءَ وَالْأَعْمَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ - أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى - أَعْلَاهُ

إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

كُتِبَ فِي

سَنَةِ

حَسَبِ الْمَرْسُومِ الشَّرِيفِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ ، وَصَلَوَاتُهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَامِهِ

حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

النوع الرابع

(من العهود عهود الملوك بالسلطنة للملوك المنفردين بصغار البلدان)
ويتعلق النظر به من أربعة أوجه :

الوجه الأول

(في بيان أصل ذلك وأول حدوثه في هذه المملكة إلى حين زواله عنها)

قد تقدم في المكاتبات ، في الكلام على مكتبة صاحب حماة أن ذلك مما كان في الدولة الأيوبية ، ثم في الدولة التركية في الأيام المنصورية « قلاوون » والأيام الناصرية « محمد بن قلاوون » ثم بطل ذلك . وذلك أن السلطان صلاح الدين « يوسف بن أيوب » حين استولى على البلاد الشامية مع الديار المصرية بعد موت السلطان نور الدين « محمود بن زنكي » صاحب الشام ، فرق أقاربه في ولاية الممالك الشامية : كدمشق وحلب وحماة وحمص وغيرها واستمرت .

وكان السلطان صلاح الدين قد ولي حماة لابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه ابن أيوب ، فبقيت بيده حتى توفي سنة سبع وثمانين وخمسمائة . فوليها بعده ابنه المنصور ناصر الدين محمد وبقي بها حتى توفي سنة سبع عشرة وستمائة . فوليها ابنه الناصر قليج أرسلان بقي بها إلى أن أترعها منه أخوه المظفر في سنة ست وعشرين وستمائة ، وأقام بها إلى أن مات سنة ثلاث وأربعين وستمائة . فوليها ابنه المنصور محمد ، فبقي بها إلى أن غلب هولاكو ملك التتار على الشام وقتل من به من بقايا الملوك الأيوبية ، فهرب المنصور إلى مصر وأقام بها إلى أن سار المظفر قطز صاحب مصر إلى الشام ، وأترعه من يد التتار ، وصار الشام مضافاً إلى مملكة الديار المصرية ،

فَرَدَّ الْمَنْصُورَ إِلَى حِمَاةَ ، فَبَقِيَ بِهَا حَتَّى تُوُفِيَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَسِتِّمِائَةٍ . فَوُلِيَ
 الْمَنْصُورُ قَلَاوُونَ ابْنَهُ الْمَظْفَرُ شَادِي مَكَانَهُ ، وَكُتِبَ لَهُ بِهَا عَهْدًا عَنْهُ ، فَبَقِيَ بِهَا حَتَّى
 تُوُفِيَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، فِي الْأَيَّامِ النَّاصِرِيَّةِ « مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ » فِي سُلْطَنَتِهِ
 الثَّانِيَةِ بَعْدَ « لَاحِينَ » . فَوُلِيَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ قَرَأْسَنْقَرُ أَحَدَ أَمْرَائِهِ نَائِبًا ، فَلَمَّا أَسْتَوْلَى
 غَازَانُ مَلِكُ التَّتَارِ عَلَى الشَّامِ ، كَانَ الْعَادِلُ كُتُبًا بَعْدَ خَلْعِهِ مِنْ سُلْطَنَةِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ
 نَائِبًا بِصَرْخَدَ ، فَظَهَرَ فِي قِتَالِ التَّتَارِ قُوَّةٌ وَجَلَادَةٌ ، فَوَلَّاهُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ حِمَاةَ ، وَحَضَرَ
 هَزِيمَةَ التَّتَارِ مَعَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ سَنَتَيْنِ وَسَبْعِمِائَةٍ وَرَجَعَ إِلَى حِمَاةَ فَمَاتَ بِهَا .
 فَوُلِيَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مَكَانَهُ سَيْفُ الدِّينِ قَبْجَقُ نَائِبًا ، ثُمَّ نَقَلَهُ إِلَى حَلَبَ ، وَوُلِيَ
 أَسْتَدْمَرْكَجِي نِيَابَةَ حِمَاةَ مَكَانَهُ . وَلَمَّا رَجَعَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مِنَ الْكَرْكِ نَقَلَ
 أَسْتَدْمَرْكَجِي مِنْ حِمَاةَ إِلَى حَلَبَ ، وَوُلِيَ الْمُؤَيَّدُ عِمَادُ الدِّينِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْأَفْضَلِ
 عَلِيُّ بْنُ الْمَظْفَرِ عَمَرَ ، مَكَانَهُ بِحِمَاةَ سَنَةَ سِتٍّ عَشْرَةَ وَسَبْعِمِائَةٍ عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقْدِمِهِ مِنْ
 الْمُلُوكِ الْأَيُّوبِيَّةِ ، فَبَقِيَ بِهَا إِلَى أَنْ تُوُفِيَ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ . فَوُلِيَ الْمَلِكُ
 النَّاصِرُ ابْنَهُ الْأَفْضَلَ مُحَمَّدًا مَكَانَهُ ، فَبَقِيَ بِهَا حَتَّى مَاتَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ
 إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَاسْتَقَرَّ فِي السُّلْطَنَةِ بَعْدَهُ ابْنُهُ الْمَنْصُورُ أَبُو بَكْرٍ ، وَقَامَ
 بِتَدْيِيرِ دَوْلَتِهِ الْأَمِيرُ قُيُوصُونَ . فَكَانَ أَوَّلُ مَا أَحْدَثَ عَزَلَ الْأَفْضَلَ بْنَ الْمُؤَيَّدِ عَنْ
 حِمَاةَ ، وَوُلِيَ مَكَانَهُ بِهَا الْأَمِيرُ قُطُزُ نَائِبًا . وَسَارَ الْأَفْضَلُ إِلَى دِمَشْقَ فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى
 تُوُفِيَ بِهَا سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَهُوَ آخِرُ مَنْ وَلِيَهَا مِنْ بَنِي أَيُّوبَ .

وَقَدْ ذَكَرَ الْمُقَرَّرُ الشَّهَابِيُّ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ فِي " مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ " أَنَّ سُلْطَانَهَا كَانَ
 يَسْتَقِلُّ بِاعْطَاءِ الْإِمْرَةِ وَالْإِقْطَاعَاتِ ، وَتَوَلِيَةِ الْقُضَاةِ وَالْوُزَرَاءِ وَكُتَابِ السَّرِّ وَكُلِّ
 الْوُظَائِفِ ، وَتَكْتُبُ الْمُنَاشِيرَ وَالتَّوَاقِيْعُ مِنْ جِهَتِهِ . وَلَكِنَّهُ لَا يُعْضِي أَمْرًا كَبِيرًا فِي مِثْلِ

إعطاء إمرة أو إعطاء وظيفة كبيرة حتى يُشاور صاحب مصر، وهو لا يُجيبه إلا أن
الرأى ما يراه . ومن هذا ومثله . قال : وإن كان سلطاناً حاكماً وملياً متصرفاً
فصاحب مصر هو المتصرف في تولية وعزل، من أراد ولّاه ومن أراد عزله .

قلت : وكان للملكة بذلك زيادة أبهة وجمال : لكون صاحبها تحت يد [هـ] من هو
متصرف بأسم السلطنة، يتصرف فيه بالولاية والعزل . على أن هذا القسم لم يتعرض
له المقتر التقي بن ناظر الجيش في "التثقيف" لخلق الملكة الآن عن مثله ؛ وإنما
أشار إليه المقتر الشهابي بن فضل الله رحمه الله في "التعريف" حيث قال :
وأما ما يكتب للوك عن الملوك، مثل ولاية العهود والمنفردين بصغار البلدان فإنه
لا تُستفتح عهودهم إلا بالخطب . وذلك أن حماة كانت في زمنه بأيدي بني أيوب
على ما تقدم ذكره، ولذلك قال في "مسالك الأبصار" : وما في حدود هذه المملكة
من له أسم سلطان حاكم وملي متصرف صاحب حماة .

الوجه الثاني

(في بيان ما يكتب في العهد؛ وهو على ضربين)

الضرب الأول

(ما يكتب في الطرة، وهو تلخيص ما يشتمل عليه العهد)

وهذه نسخة عهد كتب بها المقتر الشهابي بن فضل الله عن الملك الناصر
«محمد بن قلاوون» لللك الأفضل «محمد ابن المؤيد عماد الدين إسماعيل» بسلطنة
حماة أيضاً، في رابع صفر سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة . وهو آخر من ملكها من بني
أيوب، وهي :

الحمد لله الذي أقربنا المُلْك في أهلة أهلِه ، وتدارك مُصَابِ مَلِكٍ لولا ولده
الأفضل لم يكن له شَيْءٌ في فضله ، ووهبَ بنا بيتَ السلطنة من أبقى البقايَا ما يلحق
به كلُّ فرع بأصلِه ، ويظهرُ به رَوْتُ السيفِ في نَصْلِه .

نحمدُه على ما أفاض بمَواهِبنا من النعم الغزار ، وأدخلَ في طاعتنا الشريفة من
ملوك الأقطار ، وزاد عطايانا فأضحتْ وهي ممالكُ وأقاليمُ وأمصارُ ، ونشهدُ أن
لا إلهَ إلا الله وحده لا شريكَ له شهادةً أفلحَ مَنْ مات من ملوك الإسلام عليها ،
وحَرَضَ بها في الجهاد على الشهادة حتى وصلَ إليها ، ومدَّ يده لمبايعتنا على إعلانها
فسابقتُ الثُّريا بسطَ يديها ، ونشهدُ أن محمداً عبده ورسوله الذي شَرَّفَ من تسمي
بأسمِه أومتَّ بالقرْبى إلى نَسَبِه ، وصَرَّفَ في الأرض مَنْ تَمَسَّكَ من رعاية الأُمَّة
بسببِه ، وأكْرَمَ به كريمَ كلِّ قومٍ وجعلَ كلمةَ الفَخارِ كلمةً باقيةً في عقبِه ، صلى الله
عليه وعلى آله وأصحابِه مانحُ الحمامِ لحُزنِه ثم غنى من طَرَبِه ، وسلمَ تسليماً كثيراً .

أما بعدُ ، فإننا - والله الحمد - مَن نَحْفَظُ بإحساننا كلَّ وديعه ، ونَتَقَبَّلُ لمن أقبل
من الملوك على سؤالِ صَدَاقَتنا الشريفة كلَّ ذَرِيعه ؛ ونَتَكَفَّلُ لمن ماتَ وهو على
وَلَاتنا بما لوراه في ولده لَسَرَه ما جرى ، وعلم أن هذا الذي كان يتمي أن يعيش
حتى يُبَصِّرَ هذا اليومَ ويرى ؛ وكان السلطانُ المَلِكُ المؤيَّدُ عماد الدين - قدس الله
رُوحه - هوبقيةً ببيتِه الشريف ، وأحرَمَ مَنْ حلَّ من ملوكهم في ذِرْوَةِ عِزِّهِ المُنِيفِ ؛
ولم يَزَلْ في طاعتنا الشريفة على ما كان من الحُسْنى عليه ، ومن المحاسن التي لقيَ الله
بها ونورُ إيمانِه يَسْمَى بين يديه ؛ فوهبنا له من المملَكة الحمويَّة المحروسية ما كان قد
طال عليه سالفُ الأمد ، ورسمنا له بها عطيةً باقيةً للوالد والولد ؛ فلما قاربَ انقضاء
أجلِه ، وأشرفَ على ما قدمه إلى الله وإلينا من صالحِ عمله ؛ لم يشغله ما به عن مطالعة

أَبَوَانِ الشَّرِيفَةِ وَالتَّدْكَارِ بَوْلَدِهِ ، وَتَقَاضَى صِدَقَاتِنَا الْعَمِيمَةِ بِمَا كَانَ يَنْتَظِرُهُ قَمْرُهُ الْمَذِيرُ
لِفَرَقِهِ ؛ وَوَرَدَ مِنْ جِهَةِ وَلَدِهِ الْمَقَامِ الشَّرِيفِ ، الْعَالِي ، الْوَلَدَى ، السُّلْطَانِي ،
الْمَلِكِي ، الْأَفْضَلِي ، النَّاصِرِي - أَعَزَّ اللَّهُ أَنْصَارَهُ - مَا أَرْجَحَ الْقُلُوبَ بِمُصَابِهِ فِي أَبِيهِ ،
وَأَجْرَى الْعُيُونِ عَلَى مَنْ لَا تَقَعُ لَهُ عَلَى شَيْبِهِ ؛ فَوَجَدْنَا مِنَ الْحُزْنِ عَلَيْهِ مَا بَكَى كُلَّ سَيْفٍ
دَمًا ، وَأَنَّ كُلَّ رُحٍّ يَفْرَعُ سِنَّهُ نَدَمًا ؛ وَتَأَسَّفْنَا عَلَى مَلِكٍ كَادَ يَكُونُ مِنَ الْمَلَائِكِ ، وَأَخٍ
كَرِيمٍ أَوْ أَعَزَّ مِنْ ذَلِكَ ، وَسُلْطَانٍ عَظِيمٍ طَالَمَا ظَهَرَ شَنْبُ بَوَارِقِهِ فِي تَغَوُّرِ الْمَمَالِكِ ؛
وَقُنْنَا مِنَ الْحُزْنِ فِي مِشَارَكَةِ أَهْلِهِ بِالْمُنْدُوبِ ، ثُمَّ قُلْنَا : لَكُمْ فِي وَلَدِهِ الْعِوَضُ وَلَا يُنْكَرُ
لَكُمْ الصَّبْرُ يَا آلَ أَيُّوبَ .

فَاقْتَضَتْ مَرَامُنَا الْمَطَاعَةَ أَنْ نُزَيِّهَ إِلَى مَقَامِنَا الْعَالِي ، وَنَعْقِدَ لَهُ مِنَ أُلُويَةِ الْمُلْكِ
مَاتَهَتْ بِهِ أَطْرَافُ الْعَوَالِي ؛ وَنُزَكِّبَهُ مِنْ شِعَارِ السُّلْطَنَةِ بِمَا نَجْمَلُ بِهِ مَوَاقِبَهُ ، وَتَمْتَدُّ بِهِ
عَصَابَتُهُ ، وَتَمِيسُ مِنَ الْعُجْبِ وَتَمْتَدُّ رِقَابُهَا بِالرَّقَبَةِ السُّلْطَانِيَةِ جَنَائِبُهُ ؛ تَنْزِيهَاً لَخَوَاطِرِكُمُ
الْكَرِيمَةِ عَلَيْنَا عَنْ قَوْلِ لَيْتَ ، وَتَنْوِيهَاً بِقَدْرِ بَيْتِكُمُ الَّذِي رَفَعَ لَكُمْ إِسْمَاعِيلُ بِهِ قَوَاعِدَ
الْبَيْتِ : لِمَا نَعْلَمُهُ مِنَ الْمَقَامِ الْعَالِي الْمَلِكِي الْأَفْضَلِي النَّاصِرِي - أَمْتَعَ اللَّهُ بَيْقَاتِهِ -
مِنَ الْمَنَاقِبِ الَّتِي أَسْتَحَقُّ بِهَا أَنْ يَكُونَ لَهُ عَلَيْكُمْ الْمُلْكُ ، وَالْعَزَائِمُ الَّتِي قُلَّدَ بِهَا مِنَ الْمَمَالِكِ
مَاتَجَوْلُ بِهِ الْحَيَادُ وَتَجْرَى بِهِ الْفُلُكُ ؛ مَعَ مَالِهِ مِنَ الْكَرَمِ الَّذِي هُوَ أَوْفَى مِنَ الْعِهَادِ
بِعَهْدِهِ ، وَالْفَضْلِ الَّذِي أَتَّصَلَ بِهِ مِيرَاثُ الْأَفْضَلِيَّةِ عَنْ جَدِّهِ ؛ وَالْجُودِ الَّذِي جَرَى
الْبَحْرُ مَعَهُ فَاحْمَرَّتْ مِنْ أَنْجَلِ صَفْحَةِ خَدِّهِ ، وَالْوَصْفِ الَّذِي لَمْ يَرْضَ بِالْجُوزَاءِ
وَاسْطَةً لِعَقْدِهِ ؛ وَالْعَدْلِ الَّذِي أَشْبَهَ فِيهِ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ ، وَالْعِلْمَ الَّذِي مَآخِلًا بِهِ بَابُهُ مِنْ
طَلَبٍ : إِمَّا هُدًى وَإِمَّا لَكُمْ ؛ وَلَمْ يُخْرِجْ مِنْ كَفَالَةِ وَالِدِهِ إِلَّا إِلَى كِفَالَتِنَا الَّتِي أَظْلَمَتْهُ
بُسُحْبَاهَا ، وَحَلَّتْ سَمَاءَ مَمْلَكَتِهِ بِشُهْبَاهَا ؛ وَخَاطَبْنَاهُ كُلُّنَا مُخَاطَبَ وَالِدِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -
بِالْمَقَامِ الشَّرِيفِ ، وَأَجْرَيْنَاهُ فِي أَلْقَابِهِ مُجْرَى الْوَلَدِ زِيَادَةً لَهُ فِي التَّشْرِيفِ ، وَصَرَّفْنَا

أمره في كل ما كان للملوك أهله فيه تصريف، وسنرشده إلى أوضح طريقه، ويقوم مقام أبيه أو ليس «الناصر» هو أبو الفضل حقيقه؛ ورسمنا بطلبه إلى [ما] بين أيدينا الشريفة لنجدد له من نظرننا الشريف ما يتضاعف به سعوده، ويزداد صعوده، ويتمثل في هذا البيت الشاهنشاهی أبناءه وآبائه وجدوده : لتعمل معه صدقاتنا الشريفة ما هو به جدير، وترفعه إلى أعز مكان من صهوة المنبر والسرير، وتكاثره كل سلطان وما هو إلا بحفل يسير؛ لتشيّد به أركان هذا البيت الكريم، وتحيا عظامه وهي في اللود عظم ريم، وتعرف الناس أن عنايتنا الشريفة بهم تزيد على ما عهدوه لجدّهم القديم من سميننا الملك الناصر القديم .

نخرجت المراسيم الشريفة، العالية، المولوية، السلطانية، الملكية، الناصرية : لا زالت الملوك تتقلد منها في أعناقها، ولا برحت الممالك من بعض مواهبها وإطلاقها؛ أن يقلد هذا السلطان الملك الأفضل - أدام الله نصره - من الملكة المحموية وبلادها، وأمرائها وأجنادها، وعربها وتركمانها وأكرادها؛ وقضاياها وقضاتها، ورعاياها ورعاتها؛ وأهل حواضرها وبواديها، وعمرانها وبراريها - جميع ما كان والده - رحمه الله - يتقلده، وبسيفه وقلبه يحجّره ويحرّده : من كل قليل وكثير، وجليل وحقير، وفي كل مأمور به وأمير؛ يتصرف في ذلك جميعه، ويقطع إقطاعاتها بمنشيره ويؤلّى وظائفها بتواقيعه؛ وينظر فيها وفي أهلها بما يعلم أن له ولهم فيه صلاحا، ويقيم من هيئة سلطانه ما يغنيه أن يعمل أسنة ويجرد صفاحا .

وليحكم فيها وفيمن هو فيها بعد له، ويجمع قلوب أهلها على ولائه كما كانوا عليه لأبيه من قبله؛ وليكن هو وجنوده وعساكره أقرب في النهوض إلى مصالح الإسلام من رجع نفسه، وأمضى في العزائم مما يشتهه (?) بها من سيفه وقبسه .

وأما بقية ما يملئ من الوصايا، أو يدل عليه من كرم السجاياء فهو - بحمد الله تعالى - غريزة في طباعه، ممتزج به من زمان رضاعه؛ وإنما نذكره ببعض ما به يتبرك، ونحضره على اتباع أبيه فإنها الغاية التي لا تُدرك؛ والشرع الشريف أهم ما يشغل به جميع أوقاته، وتقوى الله فما ينتصر الملك إلا بتقائه؛ والفكرة في مصالح البلاد والرايا فإنها مادة تفقائه، واستكثار الجنود فإنهم حصنه المنيع في ملاقاته، ومبادرة كل مهم في أول ميقاته، وولايات الأعمال لا يعتمد فيها إلا على ثقائه، وإقامة الحدود حتى لا ينصت في تركها إلى رقي رقاته؛ ورعاية من له على سلفه خدمة سابقة، واستجلاب الأدعية الصالحة لنا وله فإنها للسهم مسابقة؛ ويُمض في الأمور عزمه فإنه مدّرب، ويسيطر العدل والإحسان فإنه بهما إلينا يتقرب؛ وليأخذ بقلوب الرايا فإنها تنتقل، وليكرم وفادة الوفود ليقيف بهم - لنجاح مقاصدهم - على باب صحيح مجرب؛ وليجتهد في الجهاد، ويتقبط والسيف مكتحل الحفن بالرقاد؛ ويهتم فإن المهم العالية تقوم بها عوالي الصعداء، ويقوم البريد فإن في تقويمه بقاء الملك وعمارة البلاد؛ وليقيف عند مراسمنا الشريفة لتهدية إلى سبيل الرشاد، ويحسن سلوكه ليطرب بذكره كل أحد ويتزعم كل حاد؛ وغير هذا من كل ما عهدنا والدّه - سقى الله عهده - له سالكاً، ولأزمة أموره الجميلة مالِكاً؛ مما لا يحتاج - مما نعرفه من سيرته المثلى - إلى شرحه، ولا يدلّ نهاره الساطع على صباحة صبحه؛ وليُنشر بما جعل له من فضلنا العميم، ويمسك بوعدنا الشريف أن هذه المملكة له ولأبنائه وأبناء أبنائه ما وجد كفء من نسبهم الصميم؛ والله تعالى يمدك - أيها الملك الأفضل - بأفضل مزيده، ويحفظ بك ما أبقاء لك أبوك «المؤيد» من تأييده؛ والاعتماد على الخط الشريف أعلاه، إن شاء الله تعالى.

الوجه الثالث

(فيما يُكْتَبُ في المِسْتَدَّ عن السلطان في هذا العهد، وما يكتبه

السلطانُ في بيت العَلَامَةِ)

والْحُكْمُ في ذلك على ما مرَّ في عهود أولياء العهد بالسلطنة : وهو أن يكتب في مِسْتَدَّ العهد « حَسَبَ المرسوم الشريف » كما في غيره من الولايات ، ويكتب السلطان في بيت العلامة أَسْمَهُ من غير زيادة .

قلت : ولا يُكْتَبُ فيه شهادةٌ على السلطان كما يُكْتَبُ في عُهُودِ أولياء العهد بالسلطنة : لأن العهد بالسلطنة العظمى شَيْءٌ بِالْبَيْعَةِ ، والشهادة فيها مطلوبةٌ للخروج من الخلاف ، على ما تقدّم في موضعه . والعهد بولاية سلطنة بعض الأقاليم شَيْءٌ بالتقليد ، والشهادة في التقاليد غير مطلوبة ، وذلك أن السلطنة لا تنتهي إلى وليّ العهد إلا بعد موتِ العاهد ، ورُبَّمَا يَحْدُ بعضُ الناس العهد إليه ، وولاية بعض البلدان إنما تكون والسلطانُ المولى مُتَنَصِّبٌ فلا يُوَثِّرُ الجُحُودُ فيها .

الوجه الرابع

(في قَطْع ورق هذا العهد وقلبه الذي يُكْتَبُ به ، وكيفيّة

الكتابة ، وصورة وضعها في الورق)

أما قطع الورق فمقتضى عموم قول المقرّ الشهابيّ بن فضل الله في "التعريف" :

إن للعهود قطع البغداديّ الكامل أنه يُكْتَبُ في قطع البغداديّ أيضا .

قلت : والذي يقتضيه القياس أن تكون كتابته في الورق البغدادي لمعنى السلطنة ، ولكن في قطع دون القطع الكامل : لئصال رتبة هذه السلطنة عن السلطنة العظمى ؛ ألا ترى مكتبة صاحب مملكة إيران كانت في زمن القان «أبي سعيد» تكتب في قطع البغدادي الكامل كما ذكره في "التعريف" وغيره ؛ ومكتبة صاحب مملكة بيت بركة المعروفة بمملكة أذربك من مملكة توران تكتب له في قطع البغدادي بنقص أربعة أصابع مطبوعة كما ذكره في "التتيف" لأخطاط رتبته عن رتبة القان أبي سعيد ، على ما تقدم ذكره في المكتبات .

وأما قلبه الذي يكتب به ، فينبغي إن كتب في قطع البغدادي الكامل أن يكون بمختصر قلم الطومار كما في غيره من العهود التي تكتب في القطع الكامل . وإن كتب في دون الكامل ، فينبغي أن يكون القلم دون ذلك بقليل .

وأما صورة وضعه في الورق ، فعلى ما مر في عهود أولياء العهد بالسلطنة من غير فرق : وهو أن يكتب في رأس الدرج بقلم دقيق الاسم الشريف ، ثم يتدنى بكتابة الطرة في عرض الورق من غير هامش سطورا متلاصقة إلى آخر الطرة ، ثم يخل سته أوصال بياضا ، ثم يكتب البسملة في أول الوصل الثامن بهامش قدر أربعة أصابع أو خمسة مطبوعة ، ثم يكتب سطرا من أول العهد ملاصقا للبسملة ، ثم يخل بيت العلامة قدر شبر على ما تقدم ، ويكتب السطر الثاني على سمت السطر الذي تحت البسملة ، ثم يسترسل في كتابة بقية العهد إلى آخره ، ويكون بين كل سطرين قدر رُبع ذراع على قاعدة العهود . فإذا انتهى إلى آخر العهد كتب «إن شاء الله تعالى» ثم التاريخ ، ثم المستند ، ثم الحمد لله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم الحسبة . وتكون كتابته من غير نقط ولا شكل كسائر العهود .

قلت : ولو وسّع ما بين سطوره ونُقِطت حروفه وشُكِلت : لما فيه من معنى التقاليد ، لكان به أليق .

وهذه صورةٌ وضعه في الورق ، ممثلاً لها بالطرّة التي أنشأها في معنى ذلك ، والعهد الذي أنشأه المقرّ الشهابي بن فضل الله للملك الأفضل «محمد» بن الملك المؤيد «عماد الدين إسماعيل» آخر ملوك بني أيّوب بها ، وهي :^(١)

هذا عهدٌ شريفٌ عُدّت موارده ، وحسّنت بحسن النية فيه مقاصده ، وعاد على البرية باليمن عائده . من السلطان الأعظم ناصر الدنيا والدين الملك الناصر أبي الفتح محمد ابن السلطان الشهيد «قلاوون» خلد الله تعالى ملكه ، وجعل الأرض بأسرها ملكه - للقام الشريف العالى السلطاني ، الملكى ، الأفضل ، محمد ابن المقام العالى المؤيدى إسماعيل أعز الله تعالى أنصاره ، وأحمد آثاره ، بالسلطنة الشريفة بحماة المحروسة وأعمالها ، على أكل العوائد وأتممها ، وأجل القواعد وأعممها ، على ما شرح فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أقرّبنا الملك فى أهلة أهله ، وتدارك مصاب ملك لولا هامش

ولده الأفضل لم يكن له شيه فى فضله ، وهب بنا بيت السلطنة

(١) أى بحماة ولم يتقدّم لها ذكر فتنه .

هامش من أتى البقايًا ما يلحق به كل فرع بأصله ، ويظهر به رونق السيف

في نصله . إلى أن يأتي إلى قوله في آخره : والله تعالى يمدك أيها الملك

الأفضل بأفضل مزيده ، ويحفظ بك ما أبقاه لك أبوك المؤيد من

تأييده ، والاعتماد على الخط الشريف - أعلاه الله تعالى - أعلاه

إن شاء الله تعالى

كتب في

سنة

حسب المرسوم الشريف

الحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه

حسبنا الله ونعم الوكيل

الباب الرابع

من المقالة الخامسة

(في الولايات الصادرة عن الخلفاء لأرباب المناصب من أصحاب

^(١)
السيف والأقلام، وفيه [ثلاثة] فصول)

الفصل الأول

(فيما كان يُكتب من ذلك عن الخلفاء، وفيه خمسة أطراف)

الطرف الأول

(فيما كان يُكتب عن الخلفاء الراشدين من الصحابة رضوان الله عليهم)

وكان الرسم في ذلك أن يفتتح العهد بلفظ : « هذا ما عهد » أو « هذا عهد من فلان لفلان » ويؤتى على المقصد إلى آخره . ويقال فيه : « أمره بكذا وأمره بكذا » .

والأصل في ذلك ما كتب به أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، لأمرائه الذين وجههم لقتال أهل الردّة، وعليه بنى من بعده . وهذه نسخته :

هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لفلان حين بعثه [فيمن بعثه] لقتال من رجع عن الإسلام . عهد إليه أن يتقي الله ما أستطاع في أمره : كله سرّه وجهره . وأمره بالجد في أمر الله، ومجاهدة من تولّى عنه ورجع عن الإسلام إلى أماني الشيطان، بعد أن يُعذر إليهم : فيدعوهم بدعاية الإسلام :

(١) يياض في الأصل والتصحيح من ج ١ ص ٢٥ من هذا المطبوع .

فإن أجابوه أمسك عنهم، وإن لم يجيبوه شن غارته عليهم حتى يقرؤا له؛ ثم ينبئهم بالذى عليهم والذى لهم، فيأخذ ما عليهم ويعطيهم الذى لهم؛ لا ينظرهم ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم؛ فمن أجاب إلى أمر الله عز وجل وأقر له، قيل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف، وإنما يُقاتل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله؛ فإذا أجاب الدعوة لم يكن له عليه سبيل، وكان الله حسيبه بعد فيما استسره به. ومن لم يجب إلى داعية الله قتل وقول حيث كان وحيث بلغ مراغمه، لا يقبل من أحد شيئاً أعطاه إلا الإسلام؛ فمن أجابه وأقر به قيل منه وعلمه؛ ومن أبى قاتله؛ فإن أظهره الله عز وجل عليه، قتل فيهم كل قتل بالسلح والنيران، ثم قسم ما فاء الله عليه إلا الخمس فإنه مبلغناه. وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد، وأن لا يدخل فيهم حشوا حتى يعرفهم ويعلم ما هم؛ لئلا يكونوا عيوناً، وكلا يؤتى المسلمون من قبلهم؛ وأن يقصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنزل؛ ويتفقدهم ولا يعجل بعضهم عن بعض، ويستوصى بالمسلمين فى حسن الصلابة ولين القول.



وهذه نسخة عهد كتب به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ،
لأبى موسى الأشعرى رضى الله عنه ، حين ولّاه القضاء :

أما بعد، فإن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة؛ فانهم إذا أدلى إليك، وأنفذ إذا تبين لك؛ فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نقاذ له. أس بين الناس فى وجهك وكذلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف فى حيفك، ولا يئأس ضعيف من عونك^(١). البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما

(١) فى العقد الفريد (ج ١، ص ٣٣) "ولا يخاف ضعيف من جورك".

أَوْ حَرَّمَ حَلَالًا . لَا يَمْنَعُكَ قَضَاءُ قَضِيَّتِهِ بِالْأَمْسِ فَرَاغَتْ فِيهِ عَقْلُكَ وَهَدَيْتَ فِيهِ
لِرَشْدِكَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الْحَقِّ : فَإِنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ ، وَمُرَاجَعَةُ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي
فِي الْبَاطِلِ .

الْفَهْمُ الْفَهْمَ فِيمَا تَلَجَّجَ فِي صَدْرِكَ مِمَّا لَيْسَ فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ ، ثُمَّ أَعْرِفْ
الْأَشْبَاهَ وَالْأَمْثَالَ ، وَقَسِ الْأُمُورَ عِنْدَ ذَلِكَ بِنَظَائِرِهَا ، وَأَعْمِدْ إِلَى أَقْرَبِهَا إِلَى اللَّهِ ^(١)
وَأَشْبِهَا بِالْحَقِّ ، وَأَجْعَلْ لِمَنْ أَدَّعَى حَقًّا غَائِبًا أَوْ بَيِّنَةً أَمَدًا يَنْتَهِي إِلَيْهِ : فَإِنْ أَحْضَرَ
بَيِّنَةً ، أَخَذْتَ لَهُ بِحَقِّهِ وَإِلَّا اسْتَحْلَلْتَ الْقَضِيَّةَ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّهُ أَتَقَى لِلشَّكِّ ، وَأَجْلَى لِلْعَمَى .
الْمُسْلِمُونَ عُذُولٌ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا مَجْلُودًا فِي حَدٍّ ، أَوْ مَجْرُبًا عَلَيْهِ شَهَادَةُ زُورٍ ،
أَوْ ظَنِينًا فِي وِلَاءٍ أَوْ نَسَبٍ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَوَلَّى مِنْكُمْ السَّرَائِرَ وَدَرَأَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالْإِيمَانِ .
وَمَا يَأْكُ وَالْقَلَقَ وَالضَّجَرَ ، وَالتَّأَذَّى بِالْخُصُومِ ، وَالتَّنَكُّرَ عِنْدَ الْخُصُومَاتِ : فَإِنَّ الْحَقَّ
فِي مَوَاطِنِ الْحَقِّ يُعَظِّمُ اللَّهُ بِهِ الْأَجْرَ ، وَيُحَسِّنُ عَلَيْهِ الذُّخْرَ وَالْجَزَاءَ . فَمَنْ صَحَّتْ نِيَّتُهُ
وَأَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ ، كَفَاهُ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ تَحَلَّقَ لِلنَّاسِ بِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهُ
لَيْسَ مِنْ نَفْسِهِ شَأْنُهُ اللَّهُ ؛ فَمَا ظَنُّكَ بِثَوَابِ اللَّهِ فِي عَاجِلِ رِزْقِهِ وَخَزَائِنِ رَحْمَتِهِ ،
وَالسَّلَامِ .

قُلْتُ : هَذَا مَا ذَكَرَهُ أَبُو عَبْدِ رَبِّهِ فِي « الْعِقْدِ » . وَيَقَعُ فِي بَعْضِ الْمَصْنُفَاتِ
أَبْتَدَأُوهُ : مِنْ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ - سَلَامٌ عَلَيْكَ أَمَا بَعْدُ .

وَوَقَعَ فِي مُسْنَدِ الْبَزَّازِ أَنْ أَوَّلَهُ : أَعْلَمُ أَنَّ الْقَضَاءَ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ ، مَعَ تَغْيِيرِ بَعْضِ
الْأَلْفَاظِ وَتَقْدِيمِ بَعْضٍ وَتَأْخِيرِ بَعْضٍ .

الطرف الثانى

(فما كان يكتب عن خلفاء بنى أمية)

كتب عبد الحميد بن يحيى الكاتب، عن مروان بن محمد لبعض من ولّاه^(١).

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين - عند ما أعتزم عليه من توجيهِك إلى عدو الله الحلف الجافى الأعرايى، المتسكِّع في حيرة الجهالة، وظلم الفتنة، ومهاوى الهلكة . ورعاعه الذين عاثوا في أرض الله فساداً، وآتَهكوا حرمة الإسلام استخفافاً، وبدلوا نعمة الله كفراً، وأستحلُّوا [دماء أهل^(٢)] سلَّمه جهلاً - أحب أن يعهد إليك في لطائف أمورك، وعوامِّ شئونك، ودخائل أحوالك، ومضطرف تنقُّلك عهداً يُحمِّلك فيه أدبه، ويشرع لك به عِظته، وإن كنت بحمد الله من دين الله وخلافته بحيث أصطنعك الله لولاية العهد مختصاً لك بذلك دون لُحنتك وبني أهلك . ولولا ما أمر الله تعالى به، دالاً عليه، وتقدّمت فيه الحكماءُ أميرين به : من تقديم العِظة، والتذكير لأهل المعرفة وإن كانوا أولى سابقة في الفضل وخصيصة في العلم، لاعتمد أمير المؤمنين على أصطناع الله إياك ، وتفضيله لك بما رآك أهله في محلك من أمير المؤمنين ، وسبقك إلى رغائب أخلاقه، وآتزعاك محمود شيمه، وأستيلائك على مشابه تدييره . ولو كان المودِّبون أخذوا العلم من عند أنفسهم ، أولقنوه إلهاماً من تلقائهم ولم نصِّبهم تعلُّموا شيئاً من غيرهم ، لنحلناهم علم الغيب ، ووضعناهم بمنزلة قصر بها عنهم خالقهم المستأثر بعلم الغيب عنهم بوحدانيته في فردانيته وسابق لا هويتيه، احتجاجاً منهم لتعقب في حكمه، وتثبت في سلطانه وتنفيذ إرادته،

(١) المولى هو عبد الله بن مروان أرسله لقتال الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي .

(٢) الزيادة عن "مفتاح الأفكار" (ص ٢٣٠) وغيره وهي لازمة .

على سابق مشيئته . ولكن العالم الموفق للخير ، المخصوص بالفضل ، المحبوب بمزية العلم وصفوته ، أدركه معاناً عليه بلطف بجنه ، وإذلال كنفه ، وصحة فهمه ، وهجر سأمته .

وقد تقدم أمير المؤمنين إليك ، آخذاً بالجمعة عليك ، مؤدياً حق الله الواجب عليه في إرشادك وقضاء حَقِّك ، وما ينظر به الوالد المعني الشفيق لولده . وأمير المؤمنين يرجو أن يزهك الله عن كل قبيح يهش له طمع ، وأن يعصمك من كل مكروه حاق بأحد ، وأن يخصصك من كل آفة استولت على أمرئ في دين أو خلق ، وأن يبلغه فيك أحسن ما لم يزل يعودّه ويُرِيه من آثار نعمة الله عليك ، ساميةً بك إلى ذروة الشرف ، متبجّحةً بك بسطة الكرم ، لائحةً بك في أزهر معالي الأدب ، مؤرثةً لك أنفس ذخائر العزّ ، والله يستخلف عليك أمير المؤمنين ويسأل جياطتك ، وأن يعصمك من زيغ الهوى ، ويحضرك داعي التوفيق ، معاناً على الإرشاد فيه ، فإنه لا يعين على الخير ولا يوفق له إلا هو .

إعلم أن للحكمة مسالك تُفضي مضائق أوائلها بمن أمها سالكا ، وركب أخطارها قاصداً ، إلى سعة عاقبتها ، وأمن سرّحها ، وشرف عزّها ، وأنها لا تُعار بسُخف الخفة ، ولا تُنشأ بتفريط الغفلة ، ولا يُتعدى فيها بأمرئ حده ؛ وربما أظهرت بسطة التي مستور العيب . وقد تلقّتك أخلاق الحكمة من كلّ جهة بفضلها ، من غير تعب البحث في طلبها ، ولا مُتطاوِلٍ لمناولة ذروتها ؛ بل تألّت منها أكرم نبعاتها ، واستخلصت منها ^(١) أعتق جواهرها ؛ ثم سموت إلى لباب مُصاصها ، وأحرزت منفس ذخائرها ، فأقتعد ما أحرزت ، ونافس فيما أصبت .

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَحْتَوَاكَ عَلَى ذَلِكَ وَسَبَقْتُ إِلَيْهِ بِإِخْلَاصٍ تَقْوَى اللَّهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ
مُؤَثِّرًا لَهَا، وَإِخْصَارٍ طَاعَتِهِ مُنْطَوِيًّا عَلَيْهَا، وَإِعْظَامٍ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ شَاكِرًا لَهُ،
مُرْتَبِطًا فِيهِ لِلزَّيْدِ بِحُسْنِ الْحَيَاظَةِ لَهُ وَالذَّبِّ عَنْهُ مِنْ أَنْ تَدْخُلَكَ مِنْهُ سَامَةٌ مَلَالٍ،
أَوْ غَفْلَةٌ ضَيَاعٍ، أَوْ سِنَةٌ تَهَاوُنٍ، أَوْ جَهَالَةٌ مَعْرِفَةٍ: فَإِنَّ ذَلِكَ أَحَقُّ مَا يُدْئِي بِهِ وَنُظَرُ
فِيهِ، مَعْتَمِدًا عَلَيْهِ بِالْقُوَّةِ وَالْآلَةِ وَالْعُدَّةِ وَالْإِنْفِرَادِ بِهِ مِنَ الْأَصْحَابِ وَالْحَامَةِ .
فَتَمَسَّكَ بِهِ لِاجْتِنَاءِ إِلَيْهِ، وَاعْتَمَدَ عَلَيْهِ مُؤَثِّرًا لَهُ، وَالتَّجَيَّأُ إِلَى كَنَفِهِ مَتَحِيرًا إِلَيْهِ: فَإِنَّهُ
أَبْلَغُ مَا طَلِبَ بِهِ رِضَا اللَّهِ، وَأَنْجَحُهُ مَسْأَلَةٌ، وَأَجْزَلُهُ ثَوَابًا، وَأَعُوذُهُ نَفْعًا، وَأَعَمُّهُ
صِلَاحًا؛ أَرَشَدَكَ اللَّهُ لِحِظِّكَ، وَفَهَّمَكَ سَدَادَهُ، وَأَخَذَ بِقَلْبِكَ إِلَى مُجُودِهِ . ثُمَّ أَجْعَلْ
لِلَّهِ فِي كُلِّ صَبَاحٍ يُنْعِمُ عَلَيْكَ بِبُلُوغِهِ، وَيُظْهِرُ مِنْكَ السَّلَامَةَ فِي إِشْرَاقِهِ [مِنْ نَفْسِكَ ^(١)]
نَصِيبًا تَجَمُّلُهُ لَهُ شُكْرًا عَلَى إِبْلَاغِهِ إِيَّاكَ يَوْمَكَ ذَلِكَ بِصِحَّةِ جَوَارِحٍ وَعَافِيَةِ بَدَنٍ، وَسُبُوحٍ
نِعَمٍ، وَظُهُورٍ كَرَامَةٍ . وَأَنْ تَقْرَأَ فِيهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - جُزْءًا تُرَدِّدُ رَأْيَكَ
فِي آيَةٍ، وَتُرْتِّلُ لِفُظِّكَ بِقِرَاءَتِهِ، وَتُخَضِّرُهُ عَقْلَكَ نَاطِرًا فِي مُحْكَمِهِ، وَتُنْفِقُهُ مَفْكُرًا
فِي مُتَشَابِهِهِ: فَإِنَّ فِي الْقِرَاءَنِ شِفَاءَ الصُّدُورِ مِنْ أَمْرَاضِهَا، وَجِلَاءَ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ
وَصَعَاعِصِهِ، وَضِيَاءَ مَعَالِمِ النُّورِ، تَبَيَّنًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ .
ثُمَّ تَعَهَّدْ نَفْسَكَ بِجَاهِدَةِ هَوَاكَ: فَإِنَّهُ مِغْلَاقُ الْحَسَنَاتِ، وَمِفْتَاحُ السَّيِّئَاتِ،
وَحَصْمُ الْعَقْلِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ أَهْوَاكَ لَكَ عَدُوٌّ يُحَاوِلُ هَلَكَتَكَ، وَبِعَتْرَضِ غَفْلَتِكَ: لَأَنَّهَا خُدَعُ
إِبْلِيسَ، وَخَوَاتِلُ مَكْرِهِ، وَمَصَائِدُ مَكِيدَتِهِ؛ فَاحْذَرُهَا جُنَانِيًّا لَهَا، وَتَوَقَّهَا مَحْتَرِسًا مِنْهَا؛

(١) الزيادة عن "مفتاح الأفكار" وغيره:

(٢) في مفتاح الأفكار (ص ٢٣٢) وغيره «وترين» وهي أنسب .

(٣) الصامع جمع صمصع وهو طائر أشهب يصيد الجنادب شبه وسوسة الشيطان به وفي بعض المؤلفات

وسواسفه .

(١) وَأَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ شَرِّهَا، وَجَاهِدْهَا إِذَا تَنَاصَرَتْ عَلَيْكَ بِعَزْمٍ صَادِقٍ لَاوْنِيَّةٍ فِيهِ، وَحَزْمٍ نَافِذٍ لَا مَثْنَوِيَّةَ لِرَأْيِكَ بَعْدَ إِصْدَارِهِ، وَصِدْقٍ غَالِبٍ لَا مَطْمَعَ فِي تَكْذِيبِهِ، وَمَضَاءٍ صَارِمَةٍ لَا أُنَاةَ مَعَهَا، وَنِيَّةٍ صَحِيحَةٍ لَا خَاجَةَ شَكٍّ فِيهَا: فَإِنَّ ذَلِكَ ظَهْرِي صِدْقٍ لَكَ عَلَى رَدِّعِهَا عَنْكَ، وَقَمْعِهَا دُونَ مَا تَنْتَطَلُعُ إِلَيْهِ مِنْكَ؛ فَهِيَ وَاقِيَةٌ لَكَ سُخْطَةَ رَبِّكَ، دَاعِيَةٌ إِلَيْكَ رِضَا الْعَامَةِ عَنْكَ، سَاتِرَةٌ عَلَيْكَ عَيْبَ مَنْ دُونَكَ؛ فَازْدَنْ بِهَا مَتَحَلِّيًّا، وَأَصِْبْ بِأَخْلَاقِكَ مَوَاضِعَهَا الْحَمِيدَةَ مِنْهَا، وَتَوَقَّ عَلَيْهَا الْآفَةَ الَّتِي تَقْتَطِعُكَ عَنْ بُلُوغِهَا، وَتُقْصِّرُكَ دُونَ شَاوِهَا: فَإِنَّ الْمُثُونَةَ إِنَّمَا أَشْتَدَّتْ مُسْتَضْعِبَةً، وَفَدَحَتْ بِأَهْظَةٍ أَهْلَ الطَّلَبِ لِأَخْلَاقِ أَهْلِ الْكَرَمِ الْمُتَحِلِّينَ سُمْوَ الْقَدَرِ، بِجَهَالَةِ مَوَاضِعِ ذَمِّمِ الْأَخْلَاقِ وَمُجْمُودِهَا، حَتَّى قَرِطَ أَهْلُ التَّقْصِيرِ فِي بَعْضِ أُمُورِهِمْ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِمُ الْآفَاتُ مِنْ جِهَاتٍ أَمْنُوها، فَنَسَبُوا إِلَى التَّفْرِيطِ، وَرَضُوا بِذُلِّ الْمَنْزِلِ، فَأَقَامُوا بِهِ جَاهِلِينَ بِمَوْضِعِ الْفَضْلِ، عَمِيهِينَ عَنْ دَرَجِ الشَّرَفِ، سَاقِطِينَ دُونَ مَنْزِلَةِ أَهْلِ الْجِجَاءِ. لِخَاوِلٍ بُلُوغَ غَايَاتِهَا مُخْرِجًا لَهَا بِسَبْقِ الطَّلَبِ إِلَى إِمَاصَابَةِ الْمَوْضِعِ، مُحَصِّنًا أَعْمَالَكَ مِنَ الْعُجْبِ: فَإِنَّهُ رَأْسُ الْمَهْوَى، وَأَوَّلُ الْغَوَايَةِ، وَمَقَادُّ الْهَلَكَةِ؛ حَارِسًا أَخْلَاقَكَ مِنَ الْآفَاتِ الْمُتَّصِلَةِ بِمَسَاوِي الْأَلْقَابِ وَذَمِّمِ تَنَازُلِهَا، مِنْ حَيْثُ أَتَتْ الْغَفْلَةُ، وَانْتَشَرَ الضِّيَاعُ، وَدَخَلَ الْوَهْنُ. فَتَوَقَّ غُلُوبَ الْآفَاتِ عَلَى عَقْلِكَ، فَإِنَّ شَوَاهِدَ الْحَقِّ سَتُظْهِرُ بِأَمَارَاتِهَا تَصْدِيقَ آرَائِكَ عِنْدَ ذَوِي الْجِجَاءِ، وَحَالَ الرَّأْيِ وَخِصَّ النَّظَرِ. فَاجْتَلِبْ لِنَفْسِكَ مَحْمُودَ الذِّكْرِ وَبَاقِيَ لِسَانِ الصَّدْقِ بِالْحَذَرِ لِمَا تَقْدَمُ إِلَيْكَ فِيهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،

(١) من قولهم افضل ذلك بلا ونية أى بلا توان .

(٢) هو من قولهم تأنى بالأمر ترقى وتنظر . أى لا رفق معها .

(٣) فى بعض المؤلفات بمساوى العادات وذمى إثارها .

(٤) أى غلبة الآفات ولم تقف على هذا المصدر فى بأيدينا من كتب اللغة .

متحرّزا من دُخُول الآفَاتِ عَلَيْكَ مِنْ حَيْثُ أَمْنُكَ وَقِلَّةُ نِقَتِكَ بِحُكْمِهَا : مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَمْلِكَ أُمُورَكَ بِالْقَصْدِ ، وَتُدَارِيَ جُنْدَكَ بِالْإِحْسَانِ ، وَتَصُونَ سِرَّكَ بِالْكَيْفَانِ ، وَتُدَاوِيَ حَقْدَكَ بِالْإِنْصَافِ ، وَتَذَلِّلَ نَفْسَكَ بِالْعَدْلِ ، وَتُحَصِّنَ عُيُوبَكَ بِتَقْوِيمِ أَوَدِكَ ، وَتَمْنَعَ عَقْلَكَ مِنْ دُخُولِ الْآفَاتِ عَلَيْهِ بِالْعُجْبِ الْمُرْدِي . وَأَنَاتِكَ فَوْقَهَا الْمَلَالُ وَفُوتَ الْعَمَلُ ، وَمَضَايَاكَ فَدَرَّعَهَا رَوِيَّةَ النَّظَرِ وَآكُفْنَهَا بَأَنَاءَ الْحِلْمِ . وَخَلَوْتَكَ فَأَحْرَسَهَا مِنَ الْغَفْلَةِ وَاعْتَمَادِ الرَّاحَةِ ، وَصَمَّتِكَ فَانْفِ عَنْهُ عَنِ اللَّفْظِ ، وَخَفَ سُوءَ الْقَالَةِ ، وَاسْتَمَاعَكَ فَأَرِعِهِ حُسْنَ التَّفَهُّمِ ، وَقَوِّهِ بِإِشْهَادِ الْفِكْرِ ، وَعِطَّاكَ فَأَمْهَدْ لَهُ بَيُوتَاتِ الشَّرَفِ وَذَوِي الْحَسَبِ ، وَتَحَرَّزْ فِيهِ مِنَ السَّرَفِ وَاسْتَطَالَةِ الْبَدَخِ وَامْتِنَانِ الصَّنِيعَةِ ، وَحَيَاكَ فَأَمْنَعِهِ مِنَ التَّجَلُّلِ ، وَبِلَادَةِ الْحَصْرِ ، وَحِلْمِكَ فِرْزُهُ عَنِ التَّهَاوُنِ وَأَحْضِرْهُ قُوَّةَ الشَّكِيمَةِ ، وَعُقُوبَتَكَ فَقَصِّرْ بِهَا عَنِ الْإِفْرَاطِ ، وَتَعَمَّدْ بِهَا أَهْلَ الْإِسْتِحْقَاقِ ، وَعَفُوكَ فَلَا تُدْخِلْهُ تَعْطِيلَ الْحَقُوقِ ، وَخُذْ بِهِ وَاجِبَ الْمُفْتَرَضِ ، وَأَقِمْ بِهِ أَوَدَ الدِّينِ ، وَاسْتِنْسَاسَكَ فَأَمْنَعْ مِنْهُ الْبَدَاءَ وَسُوءَ الْمُنَاقَاةِ ^(١) . وَتَعَمَّدْكَ أُمُورَكَ فَخَدَّهُ أَوْقَاتًا ، وَقَدَّرْهُ سَاعَاتٍ ، لَا تَسْتَفْرِغُ قُوَّتَكَ ، وَلَا تَسْتَدْعِي سَأَمَتَكَ ، وَعَزَمَاتِكَ فَانْفِ عَنْهَا عَجَلَةَ الرَّأْيِ ، وَبِلَاحَاجَةِ الْإِقْدَامِ ، وَقَرَحَاتِكَ فَاشْكُهَا عَنِ الْبَطَرِ ، وَقَيِّدْهَا عَنِ الزُّهْمِ ، وَرَوَعَاتِكَ فَخُطْهَا مِنْ دَهْشِ الرَّأْيِ ، وَاسْتِسْلَامِ الْخُضُوعِ ، وَحَدَرَاتِكَ فَأَمْنَعْهَا مِنَ الْجُبْنِ ، وَاعْمِدْ بِهَا الْحَزْمَ ، وَرَجَاكَ فَقَيِّدْهُ بِخَوْفِ الْفَائِتِ ، وَأَمْنَعْهُ مِنْ أَمْنِ الطَّلَبِ .

هَذِهِ جَوَامِعُ خِلَالِ دَخَالِ النَقِصِ مِنْهَا وَاصِلُ إِلَى الْعَقْلِ بِلَطَائِفِ أَيْنِهِ وَتَصَارِيفِ حَوِيلِهِ ، فَأَحْكُمَهَا عَارِفًا بِهَا ، وَتَقَدَّمْ فِي الْحِفْظِ لَهَا ، مَعْتَرِمًا عَلَى الْأَخْذِ بِمَرَاشِدِهَا وَالْإِتِّهَاءِ مِنْهَا إِلَى حَيْثُ بَلَغَتْ بِكَ عِظَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأُدْبُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(١) يُقَالُ نَاقَتْ فَلَانٌ فَلَانًا بِالْكَلامِ آذَاهُ انْظُرِ الْقَامُوسَ مَادَّةُ ن ق ث .

ثُمَّ لَتَكُنْ بِطَانَتِكَ وَجُلَسَاؤِكَ فِي خَلَوَاتِكَ ، وَدُخْلَاؤِكَ فِي سِرِّكَ ، أَهْلَ الْفِقْهِ وَالْوَرَعِ
 مِنْ خَاصَّةِ أَهْلِ بَيْتِكَ ، وَعَامَّةِ قُودِكَ مِنْ قَدْ خَنَكْتَهُ السَّنُّ بِتَصَارِيفِ الْأُمُورِ ،
 وَخَبَطْتَهُ فِصَالُهَا بَيْنَ فَرَاسِنِ الْبُزْلِ مِنْهَا ، وَقَلْبَتَهُ الْأُمُورِ فِي فُنُونِهَا ، وَرَكَّبَ أَطْوَارَهَا :
 عَارِفًا بِحَاسِنِ الْأُمُورِ وَمَوَاضِعِ الرَّأْيِ وَعَيْنِ الْمَشُورَةِ ؛ مَأْمُونًا النَّصِيحَةِ ، مُنْطَوًى
 الضَّمِيرُ عَلَى الطَّاعَةِ . ثُمَّ أَحْضَرَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ وَقَارًا لِيَسْتَدْعِيَ لَكَ مِنْهُمْ الْهَيْبَةَ ،
 وَأَسْتِنَاسًا يَعْطِفُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ الْمَوَدَّةَ ، وَإِنْصَاتًا يَفُتِّلُ إِفَاضَتَهُمْ لَهُ عِنْدَكَ بِمَا تَكْرَهُ أَنْ
 يُنْشَرَّعَكَ مِنْ سَخَافَةِ الرَّأْيِ وَضَيَاعِ الْحَزْمِ . وَلَا يَغْلِبَنَّ عَلَيْكَ هَوَاكَ فَيَصْرِفَكَ عَنْ
 الرَّأْيِ ، وَيَقْطِطِعَكَ دُونَ الْفِكْرِ . وَتَعْلَمُ أَنَّكَ - وَإِنْ خَلَوْتَ بِسِرِّ قَلْبَيْتِ دُونَهُ سَتُورَكَ ،
 وَأَغْلَقْتَ عَلَيْهِ أَبْوَابَكَ - فَذَلِكَ لِمَحَالَّةِ مَكْشُوفٍ لِلْعَامَّةِ ، ظَاهِرٌ عِنْدَكَ وَإِنْ أَسْتَرْتَ [ت]
 بَرُّبًا وَلَعَلَّ وَمَا أَرَى إِذَاعَةَ ذَلِكَ وَأَعْلَمُ ، بِمَا يَرُونَ مِنْ حَالَاتٍ مِنْ ^(١) يَنْقَطِعُ بِهِ
 فِي تِلْكَ الْمَوَاطِنِ . فَتَقَدَّمُ فِي إِحْكَامِ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ ، وَأَسَدُّدِ خَلَلِهِ عِنْدَكَ : فَإِنَّهُ
 لَيْسَ أَحَدٌ أَسْرَعُ إِلَيْهِ سُوءُ الْقَالَةِ وَلَغَطُ الْعَامَّةِ بِنَحْيٍ أَوْ شَرٍّ مِنْ كَانَ فِي مِثْلِ خَالِكَ
 وَمَكَانِكَ الَّذِي أَصْبَحْتَ بِهِ مِنْ دِينِ اللَّهِ وَالْأَمَلِ الْمَرْجُوِّ الْمُنْتَظَرِ فَيْكَ . وَلِمَا يَكُ أَنْ
 يُغْمَزَ فَيْكَ أَحَدٌ مِنْ حَامَتِكَ وَبِطَانَةِ خَدَمَتِكَ بِضَعْفَةٍ يَجِدُهَا مَسَاغًا إِلَى النُّطْقِ عِنْدَكَ
 بِمَا لَا يَعْتَرِلُكَ عَيْنُهُ ، وَلَا تَحُلُوْنَ مِنْ لَائِمَتِهِ ، وَلَا تَأْمَنُ سُوءَ الْأَحْدُوثَةِ فِيهِ ، وَلَا يَرْخُصُ
 سُوءُ الْقَالَةِ بِهِ إِنْ نَجَّمَ ظَاهِرًا أَوْ عَلِنَ بَادِيًا ، وَلَنْ يَخْتَرِئُوا عَلَى تِلْكَ عِنْدَكَ إِلَّا أَنْ يَرَوْا
 مِنْكَ إِصْغَاءً إِلَيْهَا ، وَقَبُولًا لَهَا ، وَتَرْخِيصًا لَهُمْ فِي الْإِفَاضَةِ بِهَا . ثُمَّ إِيَّاكَ وَأَنْ يُقَاضَ
 عِنْدَكَ بِشَيْءٍ مِنَ الْفُكَاهَاتِ وَالْحِكَايَا ، وَالْمِزَاحِ وَالْمُضَاحِكِ الَّتِي يَسْتَحِفُّ بِهَا أَهْلُ
 الْبَطَالَةِ ، وَيَتَسَرَّعُ نَحْوُهَا دَوُوُ الْجَهَالَةِ ؛ وَيَجِدُ فِيهَا أَهْلُ الْحَسَدِ مَقَالًا لَعِيبٍ يُذَيِّعُونَهُ ،

(١) كذا في الأصل ومفتاح الأفكار مع توقف والمراد أنه يحذر من نشره بهذه الألفاظ .

وَطَعْنَا فِي حَقِّ يَحْجِدُونَهُ ؛ مع مافى ذلك من نَقْصِ الرَّأْيِ ، وَدَرَنِ الْعِرْضِ ، وَهَازِمِ الشَّرَفِ ، وَتَأْثِيلِ الْغَفْلَةِ ، وَقُوَّةِ طِبَاعِ السُّوءِ الْكَامِنَةِ فِي بَنَى آدَمَ كَكُتُونِ النَّارِ فِي الْحَجَرِ الصَّلْدِ ، إِذَا قُدِحَ لَاحَ شَرُّهُ ، وَتَلْهَبَ وَمِضْهُ ، وَوَقَدَ تَضَرُّهُ . وَلَيْسَتْ فِي أَحَدٍ أَقْوَى سَطْوَةً ، وَأَظْهَرُ تَوْقُذًا ، وَأَعْلَى كُتُونًا ، وَأَسْرَعَ إِلَيْهِ بِالْعَيْبِ وَتَطَّرِقُ الشَّيْنِ مِنْهَا لِمَنْ كَانَ فِي مِثْلِ سِنِّكَ : مِنْ أَغْفَالِ الرِّجَالِ وَذَوَى الْعَنْفُونِ فِي الْحَدَاثَةِ ، الَّذِينَ لَمْ يَقْعِ عَلَيْهِمْ سِمَاتُ الْأُمُورِ ، نَاطِقًا عَلَيْهِمْ لِأَحْجَاهَا ، ظَاهِرًا فِيهِمْ وَشَمُّهَا ، وَلَمْ تَمَحْضِهِمْ شَهَامَتَهَا ، مَظْهَرَةً لِلْعَامَّةِ فَضْلَهُمْ ، مُذِيعَةً حَسَنَ الذِّكْرِ عَنْهُمْ ؛ وَلَمْ يَبْلُغْ بِهِمُ الصَّيْتُ فِي الْخُنْكَ مَسْتَمَعًا يَذْفَعُونَ بِهِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ نَوَاطِقَ أَلْسُنِ أَهْلِ الْبَغْيِ ، وَمَوَادَّ أَبْصَارِ أَهْلِ الْحَسَدِ .

ثُمَّ تَعَهَّدَ مِنْ نَفْسِكَ لَطِيفَ عَيْبٍ لَا زِمَ لكَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ السُّلْطَانِ وَالْقُدْرَةِ : مِنْ أَبْطَالِ الذَّرْعِ وَنَحْوَةِ الشَّرَفِ وَالتَّيِّهِ وَعَيْبِ الصَّلَفِ ؛ فَإِنَّمَا تُسْرِعُ بِهِمْ إِلَى فَسَادٍ وَتَهْجِينِ عَقُولِهِمْ فِي مَوَاطِنَ جَمَّةٍ ، وَأَنْحَاءِ مُضْطَرِّفَةٍ ، مِنْهَا قَلَّةٌ أَقْتَدَارُهُمْ عَلَى ضَبْطِ أَنْفُسِهِمْ فِي مَوَاقِبِهِمْ وَمَسَايِرِهِمْ الْعَامَّةِ : فَمِنْ مَقْلِقِلِ شَخْصِهِ بِكَثْرَةِ الْإِلْتِفَاتِ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ ، تَرْدِيهِهِ الْخَلْفَةَ ، وَيُطِرُّهُ إِجْلَابُ الرِّجَالِ حَوْلَهُ . وَمِنْ مُقْبِلِ فِي مَوَاقِبِهِ عَلَى مُدَاعَبَةِ مُسَايِرِهِ بِالْمُقَافَاكِهِ لَهُ وَالتَّضَاحُكِ إِلَيْهِ ، وَالْإِيْجَافِ فِي السَّيْرِ مَرَحًا ، وَتَحْرِيكِ الْحَوَارِحِ مَتَسَرِّعًا ، يَحَالُ أَنَّ ذَلِكَ أَسْرَعُ لَهُ وَأَحْتُ لَطِيفَتِهِ ، فَلْتَحَسَّنْ فِي ذَلِكَ هَيْئَتَكَ ، وَلْتَجَمِّلْ فِيهِ دَعَتَكَ ؛ وَلْيَقِلَّ عَلَى مُسَايِرِكَ إِقْبَالُكَ إِلَّا وَأَنْتَ مُطَرِّقُ النَّظَرِ ، غَيْرُ مُلْتَفِتٍ إِلَى مُحَدَّثٍ ، وَلَا مُقْبِلٍ عَلَيْهِ بِوَجْهِكَ فِي مَوَاقِبِكَ لِمُحَادَثَتِهِ ، وَلَا مُوْجِفٍ فِي السَّيْرِ مَقْلِقِلِ لِحَوَارِحِكَ بِالتَّحْرِيكِ وَالْإِسْتِنْهَاضِ ؛ فَإِنَّ حُسْنَ مَسَايِرَةِ الْوَالِي وَاتِّدَاعَهُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ دَلِيلٌ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ غُيُوبِ أَمْرِهِ وَمُسْتَتَرِّ أَحْوَالِهِ .

(١) فِي مِفْتَاحِ الْأَفْكَارِ «مِنْ أَبْطَالِ الْبَدْعِ» وَفِي غَيْرِهِ «مِنْ أَقْطَارِ الذَّرْعِ» وَفِي كِلَيْهِمَا عِلَامَةُ التَّوْقُفِ تَامِلٌ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَقْوَامًا يَتَسَرَّعُونَ إِلَيْكَ بِالسَّعَايَةِ ، وَيَأْتُونَكَ عَلَى وَجْهِ النَّصِيحَةِ ،
وَيَسْتَمِيلُونَكَ بِإِظْهَارِ الشَّقَّةِ ، وَيَسْتَدْعُونَكَ بِالْإِغْرَاءِ وَالشُّبْهَةِ ، وَيُوطِئُونَكَ عُشْوَةَ
الْحَيَرَةِ : لِيَجْعَلُوكَ لَهُمْ ذَرِيعَةً إِلَى أَسْتِثْكَالِ الْعَامَّةِ بِمَوْضِعِهِمْ مِنْكَ فِي الْقَبُولِ ^(١) [مِنْهُمْ]
وَالْتَصْدِيقِ لَهُمْ عَلَى مَنْ قَرَفُوهُ بِثَمَّةٍ ، أَوْ أَسْرَعُوا بِكَ فِي أَمْرِهِ إِلَى الظَّنَّةِ ؛ فَلَا يَصْلُبَنَّ
إِلَى مُشَافَهَتِكَ سَاعٍ بِشُبْهَةٍ ، وَلَا مَعْرُوفٍ بِثَمَّةٍ ، وَلَا مَنْسُوبٍ إِلَى دِذْعَةٍ [فَيَعْرِضُكَ] ^(٢)
لِإِتْسَافِ دِينِكَ ، وَيَحْمِلَكَ عَلَى رِعْيَتِكَ بِمَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ عِنْدَكَ ، وَيُلْحِمَكَ أَعْرَاضَ
قَوْمٍ لَا عِلْمَ لَكَ بِدَخْلِهِمْ ، إِلَّا بِمَا أَقْدَمَ [بِهِ] عَلَيْهِمْ سَاعِيًا وَأَظْهَرَ لَكَ مِنْهُمْ مُتَصِحًّا .
وَلْيَكُنْ صَاحِبُ شَرْطَتِكَ الْمُتَوَلَّى لِإِنْهَاءِ ذَلِكَ هُوَ الْمَنْصُوبُ لِأَوَّلِكَ ، وَالْمُسْتَمَعَ
لِأَقَاوِيلِهِمْ ، وَالْفَاحِصَ عَنْ نَصَائِحِهِمْ ؛ ثُمَّ لِيُنْهِ ذَلِكَ إِلَيْكَ عَلَى مَا يُرْفَعُ إِلَيْهِ مِنْهُ
لِتَأْمُرَهُ بِأَمْرِكَ فِيهِ ، وَتَقِفَهُ عَلَى رَأْيِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ لِلْعَامَّةِ : فَإِنْ كَانَ صَوَابًا
نَالَتْكَ خَيْرُهُ ، وَإِنْ كَانَ خَطَأً أَقْدَمَ بِهِ عَلَيْكَ جَاهِلٌ أَوْ فَرَطَةٌ سَعَى بِهَا كَاذِبٌ
فَنَالَتْ السَّاعِيَ مِنْهُمَا أَوْ الْمَظْلُومَ عِقُوبَةً ، أَوْ بَدَرَ مِنْ وَإِلَيْكَ إِلَيْهِ عُقُوبَةٌ وَنَكَالٌ ،
لَمْ يَعْصِبْ ذَلِكَ الْخَطَأُ بِكَ وَلَمْ تُنْسَبْ إِلَى تَفْرِيطٍ ، وَخَلَوْتَ مِنْ مَوْضِعِ الدَّمِّ فِيهِ :
مُحْضِرًا إِلَيْهِ ذِهْنَكَ وَصَوَابَ رَأْيِكَ . وَتَقَدَّمَ إِلَى مَنْ تَوَلَّى ذَلِكَ الْأَمْرَ وَتَعَمَّدُ عَلَيْهِ
فِيهِ أَنْ لَا يُقَدِّمَ عَلَى شَيْءٍ نَاطِرًا فِيهِ ، وَلَا يَحَاوِلَ أَخْذَ طَارِقًا لَهُ ، وَلَا يُعَاقِبَ

(١) الزيادة عن "مفتاح الأفكار" وغيره .

(٢) الزيادة عن "مفتاح الأفكار" وغيره وهي لازمة . وفي القاموس في مادة (وت غ) وأوتغ دينة
بالاثم أفسده .

(٣) دخل الرجل بالفتح والكسريته ومذهبه .

(٤) الذي في "مفتاح الأفكار" وغيره «ولیکن صاحب شرطتك ومن أحييت أن يتولى ذلك من قوادك
إليه آتتهاء ذلك وهو المنصوب الخ» .

أحدا مُنْكَلا به، ولا يُحَلِّ سَبِيلَ أَحَدٍ صَاحِغًا عَنْهُ : لِإِصْحَارِ بَرَاءَتِهِ ، وَصِحَّةِ طَرِيقَتِهِ ؛
 حَتَّى يَرْفَعَ إِلَيْكَ أَمْرَهُ ، وَيُنْهِيَ إِلَيْكَ قَضِيَّتَهُ عَلَى جِهَةِ الصَّدَقِ ، وَمَنْحَى الْحَقِّ ،
 وَيَقِينِ الْخَبَرِ ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ عَلَيْهِ سَبِيلًا لِمَحْبَسٍ أَوْ مَجَازًا لِعُقُوبَةٍ ، أَمْرَتَهُ بِتَوَلَّى ذَلِكَ مِنْ
 غَيْرِ إِدْخَالِهِ عَلَيْكَ ، وَلَا مُشَافَهَةِ لِكَ مِنْهُ ؛ فَكَانَ الْمَتَوَلَّى لِذَلِكَ وَلَمْ يَجِرْ عَلَى يَدَيْكَ مَكْرُوهٌ
 رَأَى وَلَا غِلْظَةٌ عُقُوبَةٍ . وَإِنْ وَجَدْتَ إِلَى الْعَفْوِ [عَنْهُ] سَبِيلًا ، أَوْ كَانَ مِمَّا قُرِفَ بِهِ خَلِيًّا ؛
 كُنْتَ أَنْتَ الْمَتَوَلَّى لِلْإِنْعَامِ عَلَيْهِ بِتَخْلِيَةِ سَبِيلِهِ ، وَالصَّفْحِ عَنْهُ بِإِطْلَاقِ أَسْرِهِ ؛ فَتَوَلَّيْتَ
 أَجْرَ ذَلِكَ وَاسْتَحَقَّقْتَ ذَنْعَهُ ، وَأَنْطَقْتَ لِسَانَهُ بِشُكْرِكَ ، وَطَوَّقْتَ قَوْمَهُ حَمْدَكَ ،
 وَأَوْجِبْتَ عَلَيْهِمْ حَقَّكَ ؛ فَفَرَّقْتَ بَيْنَ خَصْلَتَيْنِ ، وَأَحْرَزْتَ حُظُوتَيْنِ : ثَوَابَ اللَّهِ
 فِي الْآخِرَةِ ، وَمُحَمَّدَ الذِّكْرَ فِي الدُّنْيَا .

ثُمَّ وَإِيَّاكَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ جُنْدِكَ وَجُلَسَائِكَ وَخَاصَّتِكَ وَبِطَائِكَ بِمَسْأَلَةٍ
 يَكْشِفُهَا لَكَ ، أَوْ حَاجَةً يَبْدُهَا بِطَلِبِهَا ، حَتَّى يَرْفَعَهَا قَبْلَ ذَلِكَ إِلَى كَاتِبِكَ الَّذِي
 أَهْدَفْتَهُ لِذَلِكَ وَنَصَبْتَهُ لَهُ ، فَيَعْرِضُهَا عَلَيْكَ مُنْهِيًّا لَهَا عَلَى جِهَةِ الصَّدَقِ عَنْهَا ، وَتَكُونُ
 عَلَى مَعْرِفَةٍ مِنْ قَدَرِهَا : فَإِنْ أَرَدْتَ إِسْعَافَهُ بِهَا وَنَجَاحَ مَسْأَلِهَا مِنْهَا ، أَذِنْتَ لَهُ
 فِي طَلِبِهَا ، بِأَسْطَأْ لَهُ كَتَفَكَ ، مُقْبِلًا عَلَيْهِ بِوَجْهِكَ ؛ مَعَ ظُهُورِ سُرُورِكَ بِمَا سَأَلَكَ ، وَفَسَحَةٍ
 رَأَى وَبَسْطَةِ ذَرْعٍ ، وَطِيبِ نَفْسٍ . وَإِنْ كَرِهْتَ قَضَاءَ حَاجَتِهِ ، وَأَحْبَبْتَ رَدَّهُ عَنْ
 طَلِبَتِهِ ؛ وَتَقَلَّ عَلَيْكَ إِجَابَتُهُ إِلَيْهَا ، وَإِسْعَافُهُ بِهَا ، أَمَرْتَ كَاتِبَكَ فَصَفَحَهُ عَنْهَا ،
 وَمَنْعَهُ مِنْ مُوَاجَهَتِكَ بِهَا ؛ نَخَفْتُ عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ الْمُثُونَةَ ، وَحَسُنَ لَكَ الذِّكْرُ ،
 وَلَمْ يُنْشَرْ عَنْكَ تَجَهُّمُ الرَّدِّ ، وَبَيْنَكَ سُوءُ الْقَالَةِ فِي الْمَنْعِ ، وَحِمْلُ عَلَى كَاتِبِكَ فِي ذَلِكَ
 لِأَمَّةٍ أَنْتَ مِنْهَا بِرِيءٌ السَّاحَةِ .

(١) أى لوضوح براءته ففى حديث على فأحصر لعدوك أى كن من أمره على أمر واضح انظر اللسان

وَكذلكَ فَلْيَكُنْ رَأْيُكَ وَأَمْرُكَ فَيَمُنْ طَرَأَ عَلَيْكَ مِنَ الْوُفُودِ وَأَتَاكَ مِنَ الرُّسُلِ ،
فَلَا يَصِلَنَّ إِلَيْكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا بَعْدَ وُصُولِ عِلْمِهِ إِلَيْكَ ، وَعِلْمُ مَا قَدِمَ لَهُ عَلَيْكَ ؛ وَجِهَةٌ
مَا هُوَ مَكْلَمُكَ بِهِ ، وَقَدَرِ مَا هُوَ سَأَلُكَ إِيَّاهُ إِذَا هُوَ وَصَلَ إِلَيْكَ ، فَأَصْدَرْتَ رَأْيَكَ
فِي حَوَائِجِهِ ، وَأَجَلْتَ فِكْرَكَ فِي أَمْرِهِ ، وَأَخْتَرْتَ مَعْتَرِ مَا عَلَى إِرَادَتِكَ فِي جَوَابِهِ ،
وَأَنْفَذْتَ مَصْدُورَ رَوِيَّتِكَ فِي مَرْجُوعِ مَسْأَلَتِهِ قَبْلَ دُخُولِهِ عَلَيْكَ ، وَعِلْمِهِ بِوُصُولِ
حَالِهِ إِلَيْكَ ؛ فَرَفَعْتَ عَنْكَ مَثُونَةَ الْبَدِيهَةِ ، وَأَرْخَيْتَ عَنْ نَفْسِكَ خِثَاقَ الرُّوْيَةِ ،
وَأَقْدَمْتَ عَلَى رَدِّ جَوَابِهِ بَعْدَ النَّظَرِ وَإِجَالَةِ الْفِكْرِ فِيهِ . فَإِنْ دَخَلَ إِلَيْكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ
فَكَلِّمْكَ بِخِلَافِ مَا أَنْهَى^(١) إِلَى كَاتِبِكَ وَطَوَى عَنْهُ حَاجَتَهُ قَبْلَكَ ، دَفَعْتَهُ عَنْكَ دَفْعًا
جَمِيلًا ، وَمَنْعْتَهُ جَوَابَكَ مَنَعًا وَدِيْعًا ؛ ثُمَّ أَمَرْتَ حَاجِبَكَ بِإِظْهَارِ الْحَقْوَةِ لَهُ ، وَالْغِلْظَةِ
عَلَيْهِ ، وَمَنْعِهِ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْكَ ؛ فَإِنَّ ضَبْطَكَ لَذَلِكَ مِمَّا يُحْكِمُ لَكَ تِلْكَ الْأَسْبَابَ ،
صَارِقًا عَنْكَ مَثُونَتَهَا ، وَمُسَهِّلًا عَلَيْكَ مَسْتَضِعِبَهَا .

إِحْذَرِ تَضْيِيعَ رَأْيِكَ وَإِهْمَالَكَ أَدَبَكَ فِي مَسَالِكِ الرِّضَا وَالْغَضَبِ وَأَعْتَوَارِهَا
إِيَّاكَ ، فَلَا يَزِدْهِنَّكَ إِفْرَاطُ عَجَبٍ تَسْخِيفُكَ رَوَائِعُهُ ، وَيَسْتَهْوِيكَ مَنَظَرُهُ ،
وَلَا يَبْدُرُ^(٢) مِنْكَ ذَلِكَ خَطَأً وَنَزَقَ خِفَّةً لِمَكْرُوهٍ إِنْ حَلَّ بِكَ ، أَوْ حَادِثٍ إِنْ طَرَأَ
عَلَيْكَ . وَلْيَكُنْ لَكَ مِنْ نَفْسِكَ ظَهْرِيٌّ مَلْجَأٌ تَحْتَرِزُ بِهِ مِنْ آفَاتِ اللَّدِي^(١) ، وَتَسْتَعِضِدُ
فِي مُوْهِمِ النَّازِلِ ، وَتَتَعَقَّبُ بِهِ أُمُورَكَ فِي التَّدْيِيرِ . فَإِنْ أَحْتَجَجْتَ إِلَى مَادَّةٍ مِنْ عَقْلِكَ ،
وَرَوِيَّةٍ مِنْ فِكْرِكَ ، أَوْ أَنْيَاسٍ مِنْ مَنَظِقِكَ ؛ كَانَ أَنْحِيَاؤُكَ إِلَى ظَهْرِيٍّ مُزْدَادًا مِمَّا
أَحْبَبْتَ الْإِمْتِيَا حَ مِنْهُ وَالْإِمْتِيَا رَ ؛ وَإِنْ أَسْتَدْبَرْتَ^(٢) مِنْ أُمُورِكَ بَوَادِرُ جَهْلٍ أَوْ مَضْيِ
زَلَلٍ أَوْ مَعَانِدَةٍ حَقٍّ أَوْ خَطْلٍ تَدْيِيرٍ ، كَانَ مَا أَحْتَجَجْتَ إِلَيْهِ مِنْ رَأْيِكَ عُذْرًا لَكَ عِنْدَ

(١) فِي رِسَالَتِ الْبُلْغَاءِ وَتُسَمَّيْهِ فِي مَهْمٍ نَازِلٍ .

(٢) كَذَا فِي الْمِفْتَاحِ وَرِسَالَتِ الْبُلْغَاءِ أَيْضًا وَلَعَلَّهُ وَإِنْ أَتَيْتَ الْخ . تَأَمَّلْ .

نَفْسِكَ ، وظَهْرِيًّا قَوِيًّا عَلَى رَدِّ مَا كَرِهْتَ ، وَتَخْفِيفًا لِمَثُونَةِ الْبَاغِينَ عَلَيْكَ فِي الْقَالَةِ
وَأَنْتِشَارِ الذِّكْرِ ، وَحِصْنًا مِنْ غُلُوبِ الْآفَاتِ عَلَيْكَ ، وَأَسْتِعْلَاهَا عَلَى أَخْلَاقِكَ .

وَأَمْنَعُ أَهْلَ بَطَانَتِكَ وَخَاصَّةَ خَدَمِكَ مِنْ أَسْتِلْهَامِ أَعْرَاضِ النَّاسِ عِنْدَكَ بِالْغِيَةِ ،
وَالْتَقَرُّبِ إِلَيْكَ بِالسَّعَايَةِ ، وَالْإِغْرَاءِ مِنْ بَعْضِ بَعْضٍ ، أَوِ الْيَمِينَةِ إِلَيْكَ بِشَيْءٍ مِنْ
أَحْوَالِهِمُ الْمُسْتَتِرَةِ عَنْكَ ، أَوِ التَّحْمِيلِ لَكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ بِوَجْهِ النَّصِيحَةِ وَمَذْهَبِ
الشَّفَقَةِ : فَإِنَّ ذَلِكَ أْبْلَغُ بِكَ سُبُورًا إِلَى مَنَالَةِ الشَّرَفِ ، وَأَعُونُ لَكَ عَلَى مَجُودِ الذِّكْرِ ،
وَأُطْلِقُ لِعِنَانِ الْفَضْلِ فِي جَرَالَةِ الرَّأْيِ وَشَرَفِ الْهِمَّةِ وَقُوَّةِ التَّنْدِيرِ .

وَأَمَّا نَفْسُكَ عَنِ الْإِنْبِسَاطِ فِي الضَّحْكِ وَالْإِنْفِهَاقِ ، وَعَنِ الْقُطُوبِ بِإِظْهَارِ
النَّغْصِ وَتَعَلُّهِ : فَإِنَّ ذَلِكَ ضَعْفٌ عَنِ مَلِكِ سَوْرَةِ الْجَهْلِ ، وَخُرُوجٌ مِنْ آتِخَانِ آسِمِ
الْفَضْلِ . وَلَيْكُنْ ضَحِكُكَ تَبَسُّمًا أَوْ كَشْرًا فِي أَحَاطِينَ ذَلِكَ وَأَوَاقَاتِهِ ، وَعِنْدَ كُلِّ رَائِعِ
مُسْتَحْفٍ مُطْرِبٍ ، وَقُطُوبِكَ إِطْرَاقًا فِي مَوَاضِعِ ذَلِكَ وَأَحْوَالِهِ ، بَلَا عَجَلَةٍ إِلَى
السَّطْوَةِ ، وَلَا إِسْرَاجٍ إِلَى الطَّيْرِ ، دُونَ أَنْ يَكُنْفَهَا رَوِيَّةُ الْحِلْمِ ، وَتَمْلِكَ عَلَيْهَا بَادِرَةَ
الْجَهْلِ .

إِذَا كُنْتَ فِي مَجْلِسِ مَلِكِكَ ، وَحَيْثُ حُضُورُ الْعَامَّةِ مَجْلِسَكَ ، فَإِيَّاكَ وَالرَّمْيَ بِنَظَرِكَ
إِلَى خَاصٍّ مِنْ قُوَادِكَ ، أَوْ ذِي أَثَرَةٍ عِنْدَكَ مِنْ حَشَمِكَ . وَلَيْكُنْ نَظَرُكَ مَقْسُومًا
فِي الْجَمِيعِ ، وَإِرَاعَتُكَ سَمْعَكَ ذَا الْحَدِيثِ بِدَعَةٍ هَادِيَةٍ ، وَوَقَارٍ حَسَنٍ ، وَحُضُورِ
فَهْمٍ مُجْتَمِعٍ ، وَقِلَّةِ تَضَجُّرٍ بِالْحَدَّثِ . ثُمَّ لَا يَبْرَحُ وَجْهُكَ إِلَى بَعْضِ حَرَسِكَ وَقُوَادِكَ
مُتَوَجِّهًا بِنَظَرٍ رَكِينٍ ، وَتَفَقُّدٍ مُحْضٍ . وَإِنْ وَجَّهَ إِلَيْكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ نَظْرَهُ مُحَدِّقًا ،
أَوْ رَمَاكَ بِبَصَرِهِ مُلِحًّا ، فَاخْفُضْ عَنْهُ إِطْرَاقًا جَمِيلًا بِأَنْدَاعِ وَسُكُونِ . وَإِيَّاكَ

والتَّسَرُّعَ فِي الإِطْرَاقِ ، وَالحِفَّةَ فِي تَصْرِيفِ النِّظَرِ ، وَالإِلْحَاحَ عَلَى مَنْ قَصَدَ إِلَيْكَ فِي مَخَاطَبَتِهِ إِيَّاكَ رَاقِبًا بِنَظَرِهِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ تَصَفُّحَكَ وَجْهَ جَلَسَائِكَ وَتَفَقُّدَكَ مَجَالِسَ قُودَاكَ ، مِنْ قُوَّةِ التَّدْبِيرِ ، وَشَهَامَةِ الْقَلْبِ ، وَذِكَاةِ الْفِطْنَةِ ، وَآتِبَاءِ السَّنَةِ . فَتَفَقَّدَ ذَلِكَ عَارِقًا بَيْنَ حَضْرِكَ وَغَابَ عَنْكَ ، عَالِمًا بِمَوَاضِعِهِمْ مِنْ مَجْلِسِكَ ، ثُمَّ أَعْدَبَهُمْ عَنْ ذَلِكَ سَائِلًا لَهُمْ عَنْ أَشْغَالِهِمُ الَّتِي مَنَعَتْهُمْ مِنْ حَضُورِ مَجْلِسِكَ ، وَعَاقَبْتَهُمْ بِالتَّخَلُّفِ عَنْكَ .

إِنْ كَانَ أَحَدٌ مِنْ حَشَمِكَ وَأَعْوَانِكَ يَتَّقُ مِنْهُ بَغِيبٌ ضَمِيرٌ ، وَتَعْرِفُ مِنْهُ لَيْنَ طَاعَةٍ ، وَتُسْرِيفُ مِنْهُ عَلَى صِحَّةِ رَأْيٍ ، وَتَأَمُّنُهُ عَلَى مَشُورَتِكَ ، فَإِيَّاكَ وَالْإِقْبَالَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ حَادِثٍ يَرِدُ عَلَيْكَ ، وَالتَّوَجُّهَ نَحْوَهُ بِنَظَرِكَ عِنْدَ طَوَارِقِ ذَلِكَ ، وَأَنْ تُرِيَهُ أَوْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ مَجْلِسِكَ أَنَّ بَكَ حَاجَةً إِلَيْهِ مُوحِشَةً ، أَوْ أَنَّ لَيْسَ بِكَ عَنْهُ غَيٌّ فِي التَّدْبِيرِ ، أَوْ أَنَّكَ لَا تَقْضِي دُونَهُ رَأْيًا ، إِشْرَاكًَا مِنْكَ لَهُ فِي رَوَيْتِكَ ، وَإِدْخَالًا مِنْكَ لَهُ فِي مَشُورَتِكَ ، وَأَضْطِرَارًا مِنْكَ إِلَى رَأْيِهِ فِي الْأَمْرِ يَعْرُوكُ : فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ دَخَائِلِ الْعُيُوبِ الَّتِي يَنْتَشِرُ بِهَا سُوءُ الْقَالَةِ عَنْ نُظَرَانِكَ فَأَنْفِهَا عَنْ نَفْسِكَ خَائِفًا لِإِعْلَاقِهَا ذِكْرَكَ ، وَاجْتِنِبْهَا عَنْ رَوَيْتِكَ قَاطِعًا لِأَطْعَامِ أَوْلِيَائِكَ عَنْ مِثْلِهَا عِنْدَكَ ، أَوْ غُلُوبِهِمْ عَلَيْهَا مِنْكَ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ لِلشُّورَةِ مَوْضِعَ الْخُلُوءِ وَآفَرَادِ النِّظَرِ ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ غَايَةٌ تُحِيطُ بِمُحْدُودِهِ ، وَتَجْمَعُ مَعَالِيَهُ . فَأَنْبِئْهَا تَحْزِينًا لَهَا ، وَرُمْهَا طَالِبًا لِنَيْلِهَا ، وَإِيَّاكَ وَالْقُصُورَ عَنْ غَايَتِهَا أَوْ الْعَجْزَ عَنْ دَرَكِهَا ، أَوْ التَّفْرِيطَ فِي طَلَبِهَا . إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

إِيَّاكَ وَالْإِغْرَامَ عَنْ حَدِيثٍ مَا أَعْجَبَكَ ، أَوْ أَمْرٍ مَا أَزْدَهَاكَ بِكَثْرَةِ السُّؤَالِ ، أَوْ الْقَطْعَ لِحَدِيثٍ مَنْ أَرَادَكَ بِحَدِيثِهِ حَتَّى تَقْضِيَهُ عَلَيْهِ بِالْخَوْضِ فِي غَيْرِهِ أَوْ الْمَسْأَلَةِ

عَمَّا لَيْسَ مِنْهُ : فَإِنَّ ذَلِكَ عِنْدَ الْعَامَّةِ مَنْسُوبٌ إِلَى سُوءِ الْفَهْمِ وَقِصَرِ الْأَدَبِ عَنْ تَأْوِيلِ
نَحَاسِنِ الْأُمُورِ وَالْمَعْرِفَةِ بِمَسَاوِيهَا ، وَلَكِنْ أَنْصَبْتُ لِمَحَدِّثِكَ وَأَرْعَاهُ سَمْعَكَ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ
قَدْ فَهِمْتَ حَدِيثَهُ ، وَأَحْطَطَ مَعْرِفَةً بِقَوْلِهِ : فَإِنْ أُرِدْتَ إِجَابَتَهُ فَعِنَ مَعْرِفَةٍ بِحَاجَتِهِ
وَبَعْدَ عِلْمِ بَطْلَانِهِ ؛ وَإِلَّا كُنْتَ عِنْدَ أَنْقِضَاءِ كَلَامِهِ كَالْمَتَعَجِّبِ ^(١) مِنْ حَدِيثِهِ بِالتَّبَسُّمِ
وَالِإِغْضَاءِ ، فَأَجْزَى عَنْكَ الْجَوَابُ ، وَقَطَعَ عَنْكَ أَلْسُنُ الْعُتْبِ .

إِيَّاكَ وَأَنْ يَظْهَرَ مِنْكَ تَبَرُّمٌ بِطُولِ مَجَالِسِكَ ، أَوْ تَضَجُّرٌ مِنْ حَضْرِكَ ؛ وَعَلَيْكَ
بِالتَّثَبُّتِ عِنْدَ سُورَةِ الْغَضَبِ ، وَحِمْيَةِ الْأَنْفِ ، وَمَلَالِ الصَّبْرِ فِي الْأَمْرِ تَسْتَعْجِلُ بِهِ
وَالْعَمَلُ تَأْمُرُ بِإِنْفَازِهِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ سُخْفٌ شَائِنٌ ، وَخِيفَةٌ مُرْدِيَةٌ ، وَجَهَالَةٌ بَادِيَةٌ .
وَعَلَيْكَ بِذُبُوتِ الْمَنْطِقِ ، وَوَقَارِ الْمَجْلِسِ ، وَسُكُونِ الرِّيحِ ، وَالرَّفْضِ لِحَشْوِ الْكَلَامِ ،
وَالْتَّرَكِ لِفَضُولِهِ . ^(٢) وَالْإِغْرَامُ بِالزِّيَادَاتِ فِي مَنْطِقِكَ وَالتَّرِيدُ لِلْفُظْكَ : مِنْ نَحْوِ أَسْمِعْ ،
وَأَفْهَمْ عَنِّي ، وَيَاهَنَاهُ ، وَالْأَتْرَى ؛ أَوْ مَا يُنْهَجُ بِهِ مِنْ هَذِهِ الْفَضُولِ الْمُقْصَرَةِ بِأَهْلِ
الْعَقْلِ ، الشَّائِنَةُ لَذَوَى الْحِجَا فِي الْمَنْطِقِ ، الْمُنْسُوبَةُ إِلَيْهِمْ بِالْعِيِّ ، الْمُرِيَّةُ لَهُمْ بِالذِّكْرِ .
وَخِصَالٌ مِنْ مَعَايِبِ الْمُلُوكِ وَالسُّوْقَةِ عَنْهَا غِيَّةُ النَّظَرِ إِلَّا مَنْ عَرَفَهَا مِنْ أَهْلِ
الْأَدَبِ ، وَقَلَّمَا حَامِلٌ لَهَا ، مَضْطَلَعٌ بِهَا ، صَابِرٌ عَلَى ثِقَلِهَا ، آخِذٌ لِنَفْسِهِ بِجَوَامِعِهَا .
فَانْفِهَا عَنْ نَفْسِكَ بِالتَّحْفِظِ مِنْهَا ، وَأَمْلِكْ عَلَيْهَا أَعْتِيَادَكَ إِيَّاهَا مَعْنِيَا بِهَا : مِنْهَا كَثْرَةُ
التَّنَحُّمِ ، وَالتَّبَصُّقِ ، وَالتَّنَخُّعِ ، وَالتَّوْبَاءِ ، وَالتَّمَطُّيِ ، وَالجُشَاءِ ، وَتَحْرِيكُ الْقَدَمِ ،
وَتَقْقِصُ الْأَصَابِعِ ، وَالْعَبْتُ بِالْوَجْهِ وَاللَّحْيَةِ أَوْ الشَّارِبِ أَوْ الْمُنْخَصَرَةِ أَوْ ذُوَابَةِ السَّيْفِ ،
أَوْ الْإِيْمَاضُ بِالنَّظَرِ ، أَوْ الْإِشَارَةُ بِالْطَّرْفِ إِلَى بَعْضِ خَدَمِكَ بِأَمْرٍ إِنْ أُرِدْتَهُ ، أَوِ السَّرَارِ
فِي مَجْلِسِكَ ، أَوِ الْإِسْتِعْجَالُ فِي طَعْمِكَ أَوْ شُرْبِكَ . وَلِيَكُنْ طَعْمُكَ مَتَدَعَا ، وَشُرْبُكَ

(١) فِي الْمِفْتَاحِ وَغَيْرِهِ كَالْمَتَعَلِّلِ وَهِيَ وَاضِحَةٌ .

(٢) مُرَادُهُ وَالتَّرَكُّ لِلْإِغْرَامِ أَيْ الْوُلُوعُ بِالزِّيَادَاتِ الْخَالِجَةِ مِنْ الْمُنْهَى عَنْهُ بِدَلِيلِ بَقِيَّةِ الْكَلَامِ فَتَبَهُ .

أَنفَاسًا ، وَجَرُّكَ مَصًّا . وَإِيَّاكَ وَالتَّسَرُّعَ إِلَى الْإِيمَانِ فِيمَا صَغُرَ أَوْ كَبُرَ مِنَ الْأُمُورِ ،
وَالشَّيْئَةَ بِقَوْلِ يَا أَبْنَ الْهَنَاءَةِ ؛ أَوِ الْغَمِيزَةَ لِأَحَدٍ مِنْ خَاصَّتِكَ بِتَسْوِيفِهِمْ مَقَارَفَةَ
الْقُسُوقِ بِحَيْثُ مُحَضَّرُكَ أَوْ دَارُكَ وَفَنَائُكَ : فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مِمَّا يَقْبَحُ ذِكْرَهُ ، وَيُسُوءُ
مَوْقِعَ الْقَوْلِ فِيهِ ، وَتَحْمُلُ عَلَيْكَ مَعَايِيهِ ، وَيُنَالُكَ شَيْنُهُ ، وَيَنْتَشِرُ عَلَيْكَ سُوءُ النَّبَاِ بِهِ .
فَاعْرِفْ ذَلِكَ مَتَوَقِّيًا لَهُ ، وَاحْذَرْهُ مَجَانِبًا لِسُوءِ عَاقِبَتِهِ .

أَسْتَكْثِرُ مِنْ فَوَائِدِ الْخَيْرِ : فَإِنَّهَا تَنْشُرُ الْمَحَمْدَةَ ، وَتُقِيلُ الْعَثْرَةَ ؛ وَأَصْبِرُ عَلَى كَظْمِ
الْغَيْظِ : فَإِنَّهُ يُورِثُ الرَّاحَةَ ، وَيُؤَمِّنُ السَّاحَةَ ؛ وَتَعَهَّدُ الْعَامَّةَ بِمَعْرِفَةِ دَخْلِهِمْ ، وَتُبْطِنُ
أَحْوَالَهُمْ ، وَاسْتِنَارَةُ دَفَائِنِهِمْ ؛ حَتَّى تَكُونَ مِنْهَا عَلَى رَأْيِ عَيْنٍ ، وَيَقِينِ خُبْرَةٍ ؛ فَتُنْعِشَ
عَدِيمَهُمْ ، وَتَجْبِرُ كَسِيرَهُمْ ؛ وَتُقِيمَ أَوْدَهُمْ ، وَتُعَلِّمَ جَاهِلَهُمْ ، وَتَسْتَصْلِحَ فَاسِدَهُمْ : فَإِنَّ
ذَلِكَ مِنْ فِعْلِكَ بِهِمْ يُورِثُكَ الْعِزَّةَ ، وَيَقْدِمُكَ فِي الْفَضْلِ ؛ وَيُنَبِّئُكَ لِسَانَ الصِّدْقِ
فِي الْعَاقِبَةِ ، وَيُجَرِّزُكَ لِكِ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ، وَيُرِدُّ عَلَيْكَ عَوَاطِفَهُمُ الْمُسْتَفْرِغَةَ مِنْكَ ، وَقُلُوبَهُمْ
الْمُنْتَحِجَّةَ عَنْكَ .

قِسْ بَيْنَ مَنَازِلِ أَهْلِ الْفَضْلِ فِي الدِّينِ وَالْجَمَاعَةِ وَالرَّأْيِ ، وَالْعَقْلِ وَالتَّنْذِيرِ ،
وَالصَّبْرِ فِي الْعَامَّةِ ، وَبَيْنَ مَنَازِلِ أَهْلِ النِّقْصِ فِي طَبَقَاتِ الْفَضْلِ وَأَحْوَالِهِ ،
وَالنُّجُولِ عِنْدَ مَبَاهِطِ النَّسَبِ ؛ وَأَنْظُرْ بِصُحْبَةِ آيِهِمْ تَنَالُ مِنْ مَوَدَّتِهِ الْجَمِيلِ ، وَتَسْتَجْمِعُ
لَكَ أَقَاوِيلَ الْعَامَةِ عَلَى التَّفْضِيلِ ؛ وَتَبْلُغُ دَرَجَةَ الشَّرَفِ فِي أَحْوَالِكَ الْمُنْصَرِّفَةِ بِكَ .
فَاعْتَمِدْ عَلَيْهِمْ مُدْخِلًا لَهُمْ فِي أَمْرِكَ ، وَآثِرْهُمْ بِمَجَالَسَتِكَ لَهُمْ مُسْتَمِعًا مِنْهُمْ ؛ وَإِيَّاكَ
وَتَضْيِيعَهُمْ مَفْطَرًا ، وَإِهْمَالَهُمْ مُضِيْعًا .

هَذِهِ جَوَامِعُ خِصَالٍ قَدْ تَلَخَّصَهَا لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُفَسِّرًا ، وَجَمَعَ لَكَ شَوَاهِدًا
مَوْثِقًا ، وَأَهْدَاها إِلَيْكَ مُرَشِدًا ؛ فَقَفْ عِنْدَ أَوَامِرِهَا ، وَتَنَاهَ عَنْ زَوَاجِرِهَا ، وَتَثَبَّتْ

في مجامعها؛ وخُذْ بوثائق عِراها تَسْلَم من معَاطب الرَّدَى ، وتَسَلْ أَنْفَسَ الحُطُوطِ
وَرِغِبَ الشَّرَفِ ؛ وأَعْلَى دَرَجَ الذِّكْرِ ، وتَأْتِلْ سَطْرَ العِزِّ (١) ، والله يَسْأَلُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
حُسْنَ الإِرشَادِ ، ونَتَائِجَ المَزِيدِ وبلوغَ الأَمَلِ ، وأن يجعل عاقبة ذلك بك إلى غِبْطَةِ
يُسُوعَكَ إِيَّاهَا ، وعَافِيَةٍ يُحِلُّكَ أَكْثَافَهَا ، ونِعْمَةً يُلْهِمُكَ شُكْرَهَا : فإنه المَوْفَّقُ للخَيْرِ ،
والمَعِينُ عَلَى الإِرشَادِ ؛ منه تَمَامُ الصَّالِحَاتِ ، وهو مُوَفِّقُ الحَسَنَاتِ ، عِنْدَهُ مَفَاتِيحُ
الخَيْرِ ، وبيده المُلْكُ وهو عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

فإذا أَفْضَيْتَ نَحْوَ عُدُوكَ ، وَأَعَزَّمْتَ عَلَى لِقَائِهِمْ ، وَأَخَذْتَ أَهْبَةَ قِتَالِهِمْ ، فَاجْعَلْ
دِعَامَتَكَ الَّتِي تَلْجَأُ إِلَيْهَا ، وَثِقَتَكَ الَّتِي تَأْمَلُ النِّجَاةَ بِهَا ، وَرُكْنَكَ الَّذِي تَرْتَجِي مَنَالَةَ
الظَّفَرِ بِهِ ، وَتُكْتَفِ بِهِ لِمَعَاقِلِ الحَذَرِ تَقْوَى اللَّهِ مُسْتَشْعِرًا لَهَا بِمِرَاقِبَتِهِ ، وَالْإِعْتَصَامَ
بِطَاعَتِهِ مُتَبَعًا لِأَمْرِهِ ، مُجْتَنِبًا لِسُخْطِهِ ، مُحْتَذِيًا سُنَّتَهُ ، وَالتَّوَقُّقَ لِمَعَاصِيهِ فِي تَعْطِيلِ
حُدُودِهِ ، أَوْ تَعَدِّي شَرَائِعِهِ ؛ مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ فِيمَا صَمَدَتَ لَهُ ، وَائْتِقًا بِنَصْرِهِ فِيمَا تَوَجَّهَتْ
نَحْوُهُ ، مُتَبَرِّثًا مِنَ الحَوْلِ والقُوَّةِ فِيمَا نَالَكَ مِنْ ظَفَرٍ ، وَتَلَقَّأكَ مِنْ عِزٍّ ؛ رَاغِبًا فِيمَا أَهَابَ^(١)
بِكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ الجِهَادِ وَرَمَى بِكَ إِلَيْهِ ، مَحْمُودَ الصَّبْرِ فِيهِ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ
قِتَالِ عَدُوِّ الْمُسْلِمِينَ ، أَكْلَبَهُمْ عَلَيْهِ وَأَظْهَرَهُ عِدَاوَةً لَهُمْ ، وَأَفْدَحَهُ نِقْلًا لِعَامَّتِهِمْ ، وَأَخَذَهُ
بِرَبْقِهِمْ ، وَأَعْلَاهُ عَلَيْهِمْ بَغْيًا ، وَأَظْهَرَهُ عَلَيْهِمْ فِسْقًا وَجُحُورًا ، وَأَشَدَّهُ عَلَى فَيْئِهِمُ الَّذِي
أَصَارَهُ اللَّهُ لَهُمْ وَقَعَهُ عَلَيْهِمْ مَثُونَةً وَكَلًّا . والله المُسْتَعَانُ عَلَيْهِمْ ، وَالْمُسْتَنْصَرُّ عَلَى
جَمَاعَتِهِمْ ، عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِيَّاهُ يَسْتَضِيحُ عَلَيْهِمْ ، وَإِلَيْهِ يَفُوضُ أَمْرُهُ
وَكُفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَنَاصِرًا وَمُعِينًا ، وَهُوَ القَوِيُّ العَزِيزُ .

(١) هو من قولهم أهاب بالابل إذا دعاها فتنه .

ثم خُذْ مَنْ مَعَكَ مِنْ ثِبَّاءِكَ وَجُنْدِكَ بِكَفِّ مَعَرَّتِهِمْ ، وَرَدِّ مَشْتَعِلِ جَهْلِهِمْ ،
وإحكام ضياع عملهم ، وَضَمِّ مَنْتَشِرِ قَوَائِمِهِمْ ، وَلَمْ شَعَتْ أَطْرَافُهُمْ ، وَتَقْيِيدِهِمْ عَمَّنْ
مَرَّوَاهُ بِهِ مِنْ أَهْلِ ذِمَّتِكَ وَمِلَّتِكَ بِحُسْنِ السَّيْرِ ، وَعَفَافِ الطُّعْمَةِ ، وَدَعَةِ الْوَقَارِ ، وَهَدْيِ
الدَّعَةِ ، وَحِمَامِ الْمُسْتَحْجَمِ ، مُحْكَمًا ذَلِكَ مِنْهُمْ ، مُتَقَفِّدًا لَهُمْ تَفَقُّدَكَ إِيَّاهُ مِنْ نَفْسِكَ .
ثم أَصْحِدْ لِعُدُوكَ الْمُنْتَسِيَّ بِالْإِسْلَامِ ، الْخَارِجَ مِنْ جَمَاعَةِ أَهْلِهِ ، الْمُتَحِلَّ لِوَلَايَةِ الدِّينِ
مُسْتَحِلًّا لِدِمَائِهِ أَوْلِيَائِهِ ، طَاعَةً عَلَيْهِمْ ، رَاغِبًا عَنْ سُنَّتِهِمْ ، مُفَارِقًا لِشَرَائِعِهِمْ ؛ يَنْبَغِيهِمْ
الْعَوَائِلُ ، وَيَنْصِبُ لَهُمُ الْمَكَائِدُ ؛ أَضْرَمُ حَقْدًا عَلَيْهِمْ ، وَأَرْصَدُ عِدَاوَةً لَهُمْ ، وَأَطْلُبُ
لِغَيْرَاتِ فُرْصِهِمْ مِنَ التُّرْكِ ، وَأُتَمِّمُ الشَّرْكَ ، وَطَوَاغِي الْمَلْلِ ؛ يَدْعُو إِلَى الْمَعْصِيَةِ وَالْفُرْقَةِ ،
وَالْمُرُوقِ مِنْ دِينِ اللَّهِ إِلَى الْفِتَنِ ، مُخْتَرِعًا بَهْوَاهُ لِلْأَدْيَانِ الْمُتَحَلَّةِ وَالْبِدْعِ الْمُتَفَرِّقَةِ
خَسَارًا وَتَخْسِيرًا ، وَضَلَالًا وَتَضْلِيلًا ، بَغِيرَ هُدًى مِنْ اللَّهِ وَلَا بَيَانَ . سَاءَ مَا كَسَبَتْ
لَهُ يَدَاہُ [وَمَا اللَّهُ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ^(١)] وَسَاءَ مَا سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ الْأَمَارَةَ بِالسُّوءِ ، وَاللَّهُ مِنْ
وَرَائِهِ بِالْمِرْصَادِ : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ .

حَصَّنْ جُنْدَكَ ، وَأَشْكَمْ نَفْسَكَ بِطَاعَةِ اللَّهِ فِي مَجَاهِدَةِ أَعْدَائِهِ ، وَأَرْجُ نَصْرَهُ ، وَتَنْجِزْ
مَوْعُودَهُ ، مُتَقَدِّمًا فِي طَلَبِ ثَوَابِهِ عَلَى جِهَادِهِمْ ، مُعْتَرِّمًا فِي آبِتِغَاءِ الْوَسِيلَةِ إِلَيْهِ عَلَى
لِقَائِهِمْ : فَإِنَّ طَاعَتَكَ إِيَّاهُ فِيهِمْ ، وَمِرَاقِبَتَكَ لَهُ وَرَجَاءَكَ نَصْرَهُ مُسَهِّلٌ لَكَ وَعُورَةٌ ،
وِعَاصِيُكَ مِنْ كُلِّ سُبَّةٍ ، وَمُنْجِيُكَ مِنْ كُلِّ هُوَةٍ ، وَنَاعِشُكَ مِنْ كُلِّ صَرَعَةٍ ، وَمُقِيلُكَ
مِنْ كُلِّ كَبُوءَةٍ ، وَدَارِيٌّ عَنْكَ كُلَّ شُبْهَةٍ ، وَمُنْهَبٌ عَنْكَ لَطْفَةً كُلِّ شَكٍّ ، وَمُقَوِّدُكَ
بِكُلِّ أَيْدٍ وَمَكِيدَةٍ ، وَمُعِزُّكَ فِي كُلِّ مَعَرَكَةٍ قِتَالٍ ، وَمُؤَيِّدُكَ فِي كُلِّ تَجَمُّعٍ لِقَاءٍ ، وَكَالِئِكَ

(١) الزيادة عن "مفتاح الأنكار" ص ٢٤٣ .

عند كل فتنة مُغْشِيه ^(١) ، وحائطك من كل شبهة مُرْدِيه ، والله وليّ أمير المؤمنين
فيك ، والمستخلف على جُندك ومن معك .

اعلم أَنَّ الظفر ظَفَرَان : أحدهما وهو أعم منفعة ، وأبلغ في حُسن الذكر قَالَةً ،
وأحوطه سَلَامَةً ، وأتمّه عَافِيَةً ، وأحسّنه في الأُمُور وأعلاه في الفضل شَرْقًا ،
وأصحّحه في الرُّوِيَّة حَزْمًا ، وأسألمه عند العَامَّة مَصْدَرًا - مَانِيْل بِسَلَامَةِ الجُنُود ،
وحُسْنِ الجِيلَةِ ، ولُطْفِ المَكِيدَةِ [وَيُمْنِ النِّقِيَّةِ ^(٢)] وَاسْتِزَالِ طَاعَةِ ذَوِي الصُّدُوفِ
بغير إخطار الجيُوش في وقْدَةِ جَمْرَةِ الحَرْبِ ، ومُبَارَزَةِ الفُرْسَانِ في معرَكَ الموت ؛
وإن ساعدتك طُلُوقُ الظَّفَرِ ، ونَالَك مَزِيدُ السَّعَادَةِ في الشَّرَفِ ؛ ففي مُخَاطَرَةِ التَّلَفِ
مَكْرُوهُ المَصَائِبِ ، وَعِصَاضُ السِّيُوفِ وَالْمُ الْجِرَاحِ ، وَقِصَاصُ الحُرُوبِ وَسِجَالُهَا
بُغَاوَرَةُ أَبْطَالِهَا . على أَنَّكَ لَا تَدْرِي لَأَيِّ يَكُونُ الظَّفَرُ فِي الْبَدِيهَةِ ، وَمِنْ المَغْلُوبِ
بِالدَّوْلَةِ ، وَلَعَلَّكَ أَنْ تَكُونَ المَطْلُوبَ بِالتَّحْيِصِ . فَاوْزِلْ إِصَابَةً أَبْلَغُهُمَا فِي سَلَامَةِ
جُنْدِكَ وَرَعِيَّتِكَ ، وَأَشْهَرِهَا صِيئًا فِي بُدُو تَدْيِيرِكَ وَرَأْيِكَ ، وَأَجْمِعِهَا لَأَلْفَةِ وَلِيِّكَ
وَعَدُوِّكَ ، وَأَعُوْنِهَا عَلَى صَلَاحِ رَعِيَّتِكَ وَأَهْلِ مِلَّتِكَ ، وَأَقْوَاهَا شَكِيمَةً فِي حَزْمِكَ ،
وَأَبْعَدِهَا مِنْ وَضْمِ عَزْمِكَ ، وَأَعْلِقِهَا بِزِمَامِ النِّجَاطِ فِي آخِرَتِكَ ، وَأَجْزِلِهَا ثَوَابًا
عند رَبِّكَ .

وَأَبْدَأُ بِالإِعْذَارِ إِلَى عَدُوِّكَ ، والدُّعَاءِ لَهُمْ إِلَى مَرَاجَعَةِ الطَّاعَةِ ، وَأَمْرِ الْجَمَاعَةِ ، وَعِزِّ
الْأَلْفَةِ ؛ أَخَذًا بِالْجَمَّةِ عَلَيْهِمْ ، مُتَقَدِّمًا بِالإِنْذَارِ لَهُمْ ، بِاسْطِطَا أَمَانِكَ لِمَنْ لَجَأَ إِلَيْكَ مِنْهُمْ ،
دَاعِيًا [لَهُمُ إِلَيْهِ ^(٢)] بِأَلَيْنِ لَفْظِكَ وَالطَّفِ حَيْلِكَ ، مُتَعَطِّفًا بِرَأْفَتِكَ عَلَيْهِمْ ، مُتَرَفِّقًا بِهِمْ

(١) أى مدلهمة سوداء من قولهم أغشى الليل إذا أظلم . تأمل .

(٢) الزيادة عن "مفتاح الأفكار" ص ٢٤٤ وغيره .

في دُعائك ، مُشفِّعا عليهم من غَلَبَةِ الْغَوَايَةِ لَهُمْ ، وإِحاطَةً الْهَلَكَةِ بِهِمْ ، مُنْقِذًا رُسُلَكَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ الْإِنْذَارِ ، تَعُدُّهُمْ إِعْطَاءَ كُلِّ رَغْبَةٍ يَهْشُ إِلَيْهَا طَمَعُهُمْ فِي مَوَاقِفَةِ الْحَقِّ ، وَبَسْطَ كُلِّ أَمَانٍ سَأَلُوهُ لِأَنْفُسِهِمْ وَمَنْ مَعَهُمْ وَمَنْ تَبِعَهُمْ ؛ مُوْطِنًا نَفْسَكَ فِيمَا تَبْسُطُ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ عَلَى الْوَفَاءِ بَعْدَكَ ، وَالصَّبْرِ عَلَى مَا أُعْطِيَتْهُمْ مِنْ وَثَائِقِ عَقْدِكَ ؛ قَائِلًا تَوْبَةَ نَازِعِهِمْ عَنِ الضَّلَالَةِ ، وَمُرَاجِعَةً مُسِيئَتِهِمْ إِلَى الطَّاعَةِ ؛ مُرْصِدًا لِلتُّخَازِ إِلَى فِتْنَةِ الْمُسْلِمِينَ وَجَمَاعَتِهِمْ إِبْجَابَةً إِلَى مَا دَعَوْتَهُ إِلَيْهِ وَبَصَرَتَهُ لِيَأْهُ مِنْ حَقِّكَ وَطَاعَتِكَ ، بِفَضْلِ الْمِثْلَةِ ؛ وَإِكْرَامِ الْمَثْوَى ، وَتَشْرِيفِ الْحَاضِرِ . وَلِيُظْهِرَ مِنْ أَتْرَكَ عَلَيْهِ ، وَإِحْسَانِكَ [إِلَيْهِ] مَا يَرْغَبُ فِي مِثْلِهِ الصَّادِقُ عَنْكَ ، الْمُصْرُّ عَلَى خِلَافِكَ وَمَعْصِيَتِكَ ؛ وَيَدْعُو إِلَى آَعْتِلَاقِ حَبْلِ النِّجَاحِ وَمَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ فِي الْإِعْتِصَامِ عَاجِلًا ، وَأُنْجِي لَهُ مِنَ الْعِقَابِ آَجَلًا ، وَأُحِيطُ لَهُ عَلَى دِينِهِ وَمُهِجَّتِهِ بِدَءٍ وَعَاقِبَةٍ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَسْتَدْعِي بِهِ مِنْ اللَّهِ نَصْرَهُ عَلَيْهِمْ ، وَيَعْتَصِدُّ بِهِ فِي تَقْدِيمِهِ الْحُجَّةَ إِلَيْهِمْ ، مُعْذِرًا أَوْ مُنْذِرًا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

ثُمَّ أَذْكُ عِيُونَكَ عَلَى عَدُوِّكَ مُتَطَّلِعًا لَعَلَّ أَحْوَالَهُم الَّتِي يَتَقَبَّلُونَ فِيهَا ، وَمَنَازِلَهُم الَّتِي هُمْ بِهَا ، وَمَطَامِعِهِم الَّتِي قَدِمَتْهُوا أَعْنَاقَهُمْ نَحْوَهَا ، وَأَيُّ الْأُمُورِ أَدْعَى لَهُمْ إِلَى الصُّلْحِ ، وَأَفْوَدُهَا لِرِضَاهُمْ إِلَى الْعَافِيَةِ ، وَأَسْهَلُهَا لِاسْتِزَالِ طَاعَتِهِمْ ، وَمِنْ أَيِّ الْوُجُوهِ مَأْتَاهُمْ : أَمِنْ قَبْلِ الشَّدَةِ وَالْمُنَافَرَةِ وَالْمَكِيدَةِ وَالْمُبَاعَدَةِ وَالْإِرْهَابِ وَالْإِيْعَادِ ، أَوِ التَّرْغِيبِ وَالْإِطَاعِ ، مُتَبَيِّنًا فِي أَمْرِكَ ، مُتَخَيِّرًا فِي رُؤْيَيْكَ ، مُسْتَمَكًّا مِنْ رَأْيِكَ ، مُسْتَشِيرًا لِنُورِ النَّصِيحَةِ الَّذِينَ قَدْ حَنَّكَتْهُمْ السَّنُّ ، وَخَبَطَتْهُمْ التَّجْرِبَةُ ، وَنَجَّدَتْهُمْ الْحُرُوبُ ؛ مُتَشَرِّفًا ^(١) فِي حَرْبِكَ ، آَخِذًا بِالْحَزْمِ فِي سُوءِ الظَّنِّ ، مُعِدًّا لِلْحَدَرِ ، مُحْتَرِسًا مِنَ الْغِرَّةِ ؛ كَأَنَّكَ فِي مَسِيرِكَ كُلَّهُ وَزُورِكَ أَجْمَعَ مُوَاقِفٌ لِعَدُوِّكَ رَأَى عَيْنٍ تَنْتَظِرُ حَمَلَاتِهِمْ ، وَتَخُوفٌ

(١) هُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ تَشَرَّفَ لِلْمَرْتَابِ .

كَرَّاتِهِمْ ، مُعِدَّا أَقْوَى مَكَائِدِكَ ، وَأَرْهَبَ عَتَادِكَ ، وَأَنْكَأَ جُنْدَكَ ، وَأَجَدَّ تَشْمِيرِكَ ؛ مَعْظَمًا
أَمْرَ عَدُوِّكَ لِأَعْظَمَ مِمَّا بَلَغَكَ ، حَدَرًا يَكَادُ يُقْرِطُ ^(١) : لَتُعِدَّ لَهُ مِنَ الْإِحْزَارِ عَظِيمًا ، وَمِنْ
الْمَكِيدَةِ قَوِيًّا ؛ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَفْشَاكَ ذَلِكَ عَنْ إِحْكَامِ أُمُورِكَ ، وَتَدِيرِ رَأْيِكَ ، وَإِصْدَارِ
رَوِيَّتِكَ ، وَالتَّأْهِبِ لِمَا يَحْزُبُكَ ؛ مَصْغَرًا لَهُ بَعْدَ اسْتِشْعَارِ الْحِذَرِ ، وَأَضْطِرَّارِ الْحَزْمِ ،
وِإِعْمَالِ الرُّوِيَّةِ ، وَإِعْدَادِ الْأُهْبَةِ : فَإِنْ أَلْفَيْتَ عَدُوَّكَ كَلِيلَ الْحَدِّ ، وَقَمَّ الْحَزْمُ ،
نَضِيبُ الْوَفْرِ ^(٢) ، لَمْ يَضُرَّكَ مَا أَعْتَدَدْتَ لَهُ مِنْ قُوَّةٍ ، وَأَخَذْتَ لَهُ مِنْ حَزْمٍ ؛ وَلَمْ يَزِدْكَ
ذَلِكَ إِلَّا جُرْأَةً عَلَيْهِ ، وَتَسْرَعًا إِلَى لِقَائِهِ . وَإِنْ أَلْفَيْتَهُ مَتَوَقِّدَ الْحَرْبِ ، مُسْتَكْثِفَ
الْجَمْعِ ، قَوِيَّ التَّبَعِ ، مُسْتَعْلَى سُورَةِ الْجَهْلِ ؛ مَعَهُ مِنْ أَعْوَانِ الْفِتْنَةِ وَتَبَعَ الْإِبْلِيسَ مِنْ
يُوقِدُ لَهَبَ الْفِتْنَةِ مَسْعَرًا ، وَيَتَقَدَّمُ إِلَى لِقَاءِ أَبْطَالِهَا مَتَسْرِعًا ، كُنْتَ لِأَخْذِكَ بِالْحَزْمِ ،
وَأَسْتِعْدَادِكَ بِالْقُوَّةِ ؛ غَيْرَ مُهْمِينَ الْجَنْدِ ، وَلَا مُقَرِّطٍ فِي الرَّأْيِ ، وَلَا مُتْلَهِّفٍ عَلَى إِضَاعَةِ
تَدْيِيرٍ ، وَلَا مُحْتَاجٍ إِلَى الْإِعْدَادِ وَعَجَلَةِ التَّأْهِبِ مَبَادِرَةً تَدْهَشُكَ ، وَخَوْفًا يُقْلِقُكَ .
وَمَتَى تَغْتَرَّبَ تَرْقِيقَ الْمَرْقُوقِينَ ، وَتَأْخُذَ بِالْهُوْنِيِّ فِي أَمْرِ عَدُوِّكَ لِتَصْغِيرِ الْمَصْغَرِينَ ، يَنْتَشِرُ
عَلَيْكَ رَأْيُكَ ، وَيَكُونُ فِيهِ انْتِقَاضُ أَمْرِكَ وَوَهْنُ تَدْيِيرِكَ ، وَإِهْمَالُ الْحَزْمِ فِي جُنْدِكَ ،
وَتَضْيِيعٌ لَهُ وَهُوَ مُمَكِّنُ الْإِصْحَارِ ، رَحْبُ الْمَطْلَبِ ، قَوِيَّ الْعِصْمَةِ ، فَسِيحُ الْمَضْطَرَبِ ؛
مَعَ مَا يَدْخُلُ رَعِيَّتِكَ مِنَ الْإِغْتِرَارِ وَالْغَفْلَةِ عَنْ إِحْكَامِ أَحْرَاسِهِمْ ، وَضَبْطِ مَرَاكِزِهِمْ ؛
لِمَا يَرُونَ فِيهِ مِنْ اسْتِنَامَتِكَ إِلَى الْغِرَّةِ ، وَرُكُونِكَ إِلَى الْأَمْنِ ، وَتَهَؤُنِكَ بِالتَّدْيِيرِ ؛ فَيَعُودُ
ذَلِكَ عَلَيْكَ فِي انْتِشَارِ الْأَطْرَافِ ، وَضِيَاغِ الْأَحْكَامِ ، وَدُخُولِ الْوَهْنِ بِمَا لَا يُسْتَقَالُ
مَحْذُورُهُ ، وَلَا يُدْفَعُ مَخُوفُهُ .

(١) بِالْقَاءِ وَالْثَاءِ الْمُثَلَّثَةِ أَيْ يَكْسِرُكَ وَيُزْجِرُكَ عَنْ الْحِمْيَةِ .

(٢) أَيْ قَلِيلُ الْوَفْرِ وَالْمَالِ مِنْ قَوْلِهِمْ رَجُلٌ نَضِيبُ الْوَفْرِ قَلِيلُهُ .

احفظ من عيونك وجواسيسك ما يأتونك به من أخبار عدوك . وإياك ومعاقبة
أحد منهم على خبر إن أتاك به اتهمته فيه أو سؤت به ظناً وأتاك غيره بخلافه ،
أو أن تكذبه فيه فترده عليه ولعله أن يكون قد محضك النصيحة وصدقك الخبر ،
وكذبك الأول ، أو خرج جاسوسك الأول متقدماً قبل وصول هذا من عند عدوك ،
وقد أبرموا لك أمراً ، وحاولوا لك مكيده ، وأرادوا منك غيرة ، فازدلفوا إليك
في الأبهة ثم انتقض بهم رأيهم ، واختلف عنه جماعتهم ؛ فأرادوا رأياً ، وأحدثوا
مكيده ، وأظهروا قوة ، وضربوا موعداً ، وأموا مسلكاً لمدد أتاها ، أو قوة حدثت
لهم ، أو بصيرة في ضلالة شغلتهم ؛ فالأحوال بهم متنقلة في الساعات ، وطوارق
الحادثات . ولكن ألبسهم جميعاً على الانتصاح ، وأرضخ لهم بالمطامع ، فإنك لن
تستعبدهم بمثلها . وعندهم جزالة المشاوب ، في غير ما استنامة منك إلى تريقهم أمر
عدوك ، والأغترار إلى ما يأتونك به دون أن تعمل رويتك في الأخذ بالحزم ،
والإستكثار من العدة . وأجعلهم أوثق من تقدر عليه ، وآمن من تسكن إلى ناحيته :
ليكون ما يُبرم عدوك في كل يوم وليلة عندك إن أستطعت ذلك ، فتقض عليهم
برأيك وتديرك ما أبرموا ، وتأتيهم من حيث آمنوا ، وتأخذ لهم أهبة ماعليه أقدموا ،
وتستعد لهم بمثل ما حذروا .

وَأَعْلَمُ أَنَّ جَوَاسِيسَكَ وَعُيُونَكَ رُبَّمَا صَدَّقُوكَ ، وَرُبَّمَا غَشَّوْكَ ، وَرُبَّمَا كَانُوا لَكَ
وَعَلَيْكَ فَنَصَحُوا لَكَ وَغَشَّوْا عَدُوَّكَ وَغَشَّوْكَ وَنَصَحُوا عَدُوَّكَ ، وَكَثِيرًا مَا يَصْدُقُونَكَ
وَيَصْدُقُونَهُ . فَلَا تَبْدُرَنَّ مِنْكَ فَرْطَةُ عَقُوبَةٍ إِلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ ، وَلَا تَعْجَلْ بِسُوءِ الظَّنِّ
إِلَى مَنْ أَتَّهَمْتَهُ عَلَى ذَلِكَ ؛ وَاسْتَنْزِلْ نَصَائِحَهُمْ بِالْمِأَاةِ وَالْمِئَاةِ ، وَأَبْسُطْ مِنْ أَمَالِهِمْ
فِيكَ مَنْ غَيْرِ أَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنَّكَ أَخَذْتَ مِنْ قَوْلِهِ أَخْذَ الْعَامِلِ بِهِ وَالْمُتَّبِعِ لَهُ ،
أَوْ عَمِلْتَ عَلَى رَأْيِهِ عَمَلَ الصَّادِرِ عَنْهُ ، أَوْ رَدَدْتَهُ عَلَيْهِ رَدَّ الْمَكْذُوبِ بِهِ ، الْمُتَّهَمِ لَهُ ،

المستخف بما أتاك منه ، فتفسد بذلك نصيحته ، وتستدعي غشه ، وتجتر عداوته .
 وأحذر أن يعرفوا في عسكرك أو يشار إليهم بالأصابع ، وليكن منزلهم على كاتب رسائك .
 وأمين سرك ، ويكون هو الوجه لهم ، والمدخل عليك من أردت مشافهته منهم .

وَأَعْلَمْ أَنَّ لَعْدُوكَ فِي عَسْكَرِكَ عُيُونًا رَاصِدَةً ، وَجَوَاسِيسَ مُتَجَسِّسَةً ، وَأَنَّهُ لَنْ يَقَعَ
 رَأْيُهُ عَنْ مَكِيدَتِكَ بِمَثَلِ مَا تُكَايِدُهُ بِهِ ، وَسَيَحْتَالُ لَكَ كَاحْتِيَالِكَ لَهُ ، وَيُعِدُّ لَكَ
 كِعَادِيدِكَ فِيمَا تُزَاوِلُهُ مِنْهُ ، وَيُحَاوِلُكَ كِمَحَاوِلَتِكَ إِيَّاهُ فِيمَا تُقَارِعُهُ عَنْهُ ؛ فَاحْذَرُ أَنْ يُشْهَرَ
 رَجُلٌ مِنْ جَوَاسِيسِكَ فِي عَسْكَرِكَ فَيُبْلَغَ ذَلِكَ عَدُوَّكَ وَيَعْرِفَ مَوْضِعَهُ ، فَيُعِدَّ لَهُ
 الْمَرَاصِدَ ، وَيَحْتَالُ لَهُ بِالْمَكَايِدِ . فَإِنْ ظَفِرَ بِهِ فَأَظْهَرَ عَقُوبَتَهُ ، كَسَرِ ذَلِكَ نِقَاتِ عُيُونِكَ ،
 وَخَذَلْهُمْ عَنْ تَطَلُّبِ الْأَخْبَارِ مِنْ مَعَادِنِهَا ، وَأَسْتَقْصَائِهَا مِنْ عُيُونِهَا ، وَأَسْتِعْذَابِ
 أَجْتِنَائِهَا مِنْ بِنَايِعِهَا ، حَتَّى يَصِيرُوا إِلَى أَخْذِهَا مِمَّا عَرَضَ مِنْ غَيْرِ الثَّقَةِ وَلَا الْمُعَانَةِ ،
 لَقَطًا لَهَا بِالْأَخْبَارِ الْكَاذِبَةِ ، وَالْأَحَادِيثِ الْمُرْجَفَةِ . وَاحْذَرُ أَنْ يَعْرِفَ بَعْضُ عُيُونِكَ
 بَعْضًا : فَإِنَّكَ لَا تَأْمَنُ تَوَاطُؤَهُمْ عَلَيْكَ ، وَمُمَالَائَتَهُمْ عَدُوَّكَ ، وَاجْتِمَاعَهُمْ عَلَى غِشِّكَ ،
 وَتَطَابُقِهِمْ عَلَى كَذْبِكَ ، وَإِصْفَاقِهِمْ عَلَى خِيَانَتِكَ ^(٣) ، وَأَنْ يُورِطَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عِنْدَ
 عَدُوِّكَ . فَاحْكِمْ أَمْرَهُمْ فَإِنَّهُمْ رَأْسُ مَكِيدَتِكَ ، وَقِوَامُ تَدْيِيرِكَ ؛ وَعَلَيْهِمْ مَدَارُ حَرْبِكَ ،
 وَهُوَ أَوَّلُ ظَفَرِكَ . فَاعْمَلْ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ وَحَيْثُ رَجَاؤُكَ بِهِ ، تَلَّ أَمْلَكَ مِنْ
 عَدُوِّكَ ، وَقُوَّتَكَ عَلَى قِتَالِهِ ، وَاحْتِيَالَكَ لِإِصَابَةِ غَرَّائِهِ وَاتِّهَازِ قُرْصِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فإذا أحكمت ذلك وتقدمت في إتقانه ، وأستظهرت بالله وعونه ، فول شرتك
 وأمر عسكرك أوثق قوادك عندك ، وأظهرهم نصيحة لك ، وأنقذهم بصيرة

(١) في "مفتاح الأفكار" وغيره « كامة » .

(٢) كذا في الأصول . وفي "رسائل البلغاء" « وأن رأيي في مكيدتك مثل ما تكايد به » . تأمل .

(٣) أي اجتمعهم من قولهم اصفقوا على الأمر اجتمعوا عليه .

في طاعتك ، وأقواهم شكيمةً في أمرك ، وأمضاهم صريمةً ^(١) ، وأصدقهم عفاً ، وأجزأهم غناءً ، وأكفاهم أمانةً ، وأصحهم ضميراً ، وأرضاهم في العامة ديناً ، وأحمدهم عند الجماعة خلقاً ، وأعطفهم على كآبتهم رأفةً ، وأحسنهم لهم نظراً ، وأشدهم في دين الله وحقه صلابةً . ثم فوض إليه مقورياً له ، وأبسط من أماله مظهرًا عنه الرضا ، حامداً منه الابتلاء . وليكن علماً بمرأى الجُنود ، بصيراً بتقدم المنازل ، مجرباً ، ذا رأى وتجربةٍ وحزم في المكيمة ، له نباهةٌ في الذكر ، وصيتٌ في الولاية ، معروف البيت ، مشهور الحسب . وتقدم إليه في ضبط معسكره ، وإذكاء أحراسه في آناء ليله ونهاره ، ثم حذره أن يكون منه إذنٌ لجنوده في الإلتشار والأضطراب ، والتقدم لطلائعك ، فتصاب لهم غرةٌ يجترئ بها عدوك عليك ، ويسرع إقداماً إليك ، ويكسر من إباد جُندك ويوهن من قوتهم : فإن الصوت في إصابة عدوك الرجل الواحد من جُندك أو عبيدهم مطمعٌ لهم فيك ، مُقو لهم على شُحذ أتباعهم عليك وتصغيرهم أمرك ، وتوهينهم تدبيرك . فحذره ذلك وتقدم إليه فيه . ولا يكون منه إفراطٌ في التضييق عليهم ، والخصر لهم ، فيعمهم آزاله ، ويشملهم ضنكه ، وتسوء عليهم حاله ، وتشتد به المشونة عليهم ، وتخبث له ظنونهم . وليكن موضعُ إنزاله إياهم ضاماً لجماعتهم ، مستديراً بهم جامعاً لهم ، ولا يكون منبسطاً منتشراً متبداً ، فيشق ذلك على أصحاب الأحراس ، وتكون فيه النبهة للعدو ، والبعد من المادّة إن طرّق طارق في فجّات الليل وبقناته . وأوعز إليه في أحراسه ، وتقدم إليه فيهم كأشدّ التقدّم وأبلغ الإعياز . ومُرّه فليولّ عليهم رجلاً ركيناً مجرباً جرىء الإقدام ، ذا كَي الصرامة ،

(١) الصريمة العريضة .

(٢) في مفتاح الأفكار وغيره « أفنذة » وفي بعض الأصول من إبادة بالباء الموحدة وهاء التأنيث وفي اللسان في مادة أي دلياذ « العسكر الميمنة والميسرة وكل ماتحزبه فهو إباد » . تأمل .

جَلَدَ الْجَوَارِحَ ، بصيراً بمَوَاضِعِ أَحْرَاسِهِ ، غَيْرَ مُضَاعٍ وَلَا مَشْفَعٍ لِلنَّاسِ فِي التَّنَجُّحِ إِلَى الرَّفَاقَةِ وَالسَّعَةِ ، وَتَقْدِيمِ الْعُسْكَرِ وَالتَّأْخُّرِ عَنْهُ ، فَإِنْ ذَلِكَ مِمَّا يُضْعِفُ الْوَالِيَّ وَيُوهِنُهُ لَاسْتِنَامَتُهُ إِلَى مَنْ وَلَاَهُ ذَلِكَ وَأَمَنَهُ بِهِ عَلَى جَيْشِهِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ مَوَاضِعَ الْأَحْرَاسِ مِنْ مُعَسَّكَكَ ، وَمَكَانَهَا مِنْ جُنْدِكَ ، بِحَيْثُ الْغَنَاءُ عَنْهُمْ وَالرَّدُّ عَلَيْهِمْ ، وَالْحِفْظُ لَهُمْ ، وَالْكَلاَةُ لِمَنْ بَغْتَهُمْ طَارِقًا ، أَوْ أَرَادَهُمْ خَائِلًا ، وَمَرَاصِدُهَا الْمُنْسَلِّ مِنْهَا وَالْآبِقَ مِنْ أَرْقَانِهِمْ وَأَعْبُدِهِمْ ، وَحِفْظُهَا مِنَ الْعِيُونَ وَالْجَوَاسِيسِ مِنْ عَدُوِّهِمْ . وَاحْذَرِ أَنْ تَضْرِبَ عَلَى يَدَيْهِ أَوْ تَشْكُكَهُ عَنِ الصَّرَامَةِ بِمَوَاصِرِكَ فِي كُلِّ أَمْرٍ حَادِثٍ وَطَارِئٍ إِلَّا فِي الْمُهَيِّمِ النَّازِلِ وَالْحَدَثِ الْعَامِ : فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ بِهِ ، دَعَوْتَهُ إِلَى نُصْحِكَ ، وَاسْتَوْلَيْتَ عَلَى مَحْصُولِ ضَمِيرِهِ فِي طَاعَتِكَ ، وَأَجْهَدَ نَفْسَهُ فِي تَرْتِيكِ ، وَأَعْمَلَ رَأْيَهُ فِي بُلُوغِ مَوَافَقَتِكَ وَإِعَانَتِكَ ، وَكَانَ ثِقَّتَكَ وَرِدَاكَ وَقُوتَكَ وَدِعَامَتَكَ ، وَتَفَرَّغْتَ أَنْتَ لِمُكَايَدَةِ عَدُوِّكَ ، مُرِيحًا لِنَفْسِكَ مِنْ هَمِّ ذَلِكَ وَالْعَنَايَةِ بِهِ ، مُلْقِيًا عَنْكَ مَشُونَةً بَاهِظَةً وَكُلْفَةً فَادِحَةً .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْقَضَاءَ مِنْ اللَّهِ بِمَكَانٍ لَيْسَ بِهِ شَيْءٌ مِنَ الْأَحْكَامِ ، وَلَا بِمَثَلٍ مَحَلَّهُ أَحَدٌ مِنَ الْوَلَاةِ : لَمَّا يَجْرَى عَلَى يَدَيْهِ مِنْ مَغَالِيزِ الْأَحْكَامِ وَبَحَارِي الْحُدُودِ ، فَلْيَكُنْ مِنْ تَوَلِيهِ الْقَضَاءَ فِي عُسْكَرِكَ [مِنْ ذَوِي] الْخَيْرِ فِي الْقَنَاعَةِ وَالْعَفَافِ وَالزَّاهَةِ وَالْفَهْمِ وَالْوَقَارِ وَالْعِصْمَةِ وَالْوَرَعَ ، وَالْبَصَرَ بِوُجُوهِ الْقَضَايَا وَمَوَاقِعِهَا ، قَدْ حَنَّكَهُ السَّنُّ وَأَيَّدَتْهُ التَّجَرُّبَةُ وَأَحْكَمَتْهُ الْأُمُورُ ، مِمَّنْ لَا يَتَصَنَّعُ لِلْوَلَايَةِ وَيَسْتَعِدُّ لِلنَّهْزَةِ ، وَيَجْتَرِي عَلَى الْحُبَابَةِ فِي الْحُكْمِ ، وَالْمُدَاهَنَةِ فِي الْقَضَاءِ ، عَدْلُ الْأَمَانَةِ ، عَفِيفُ الطَّعْمَةِ ، حَسَنُ الْإِنْصَافِ ، فَهِمُ الْقَلْبِ ، وَرِعُ الضَّمِيرِ ، مَتَحَشِّعُ السَّنَةِ ، بَادِي الْوَقَارِ ، مُحْتَسِبٌ لِلْخَيْرِ . ثُمَّ أَجْرُ

عليه ما يكفيه ويسعه ويصلحه ؛ وفرغه لما حملته ، وأعنه على ما وليته : فإنك قد عرضته لملكة الدنيا وبوار الآخرة ، أو شرف الدنيا وحظوة الآجلة ، إن حسنت نيته ، وصدقت رويته ، وصححت سريره وسلط حكم الله على رعيته ؛ مطلقا عنه ، منفذا قضاء الله في خلقه ، عاملا بسنته في شرائعه ، آخذا بمجوده وفرائضه .

(١) وأعلم أنه من جُندك بحيث ولايتك ، الجارية أحكامه عليهم ، النافذة أفضيته فيهم ؛ فاعرف من تولى ذلك وتُسند إليه . ثم تقدم في طلائعك فإنها أول مكيدتك ، ورأس حربك ، ودعامة أمرك ، فانتخب لها من كل قادة وصحابة رجالا ذوى نجدة وبأس ، وصرامة وخبرة ، حمة كفاة ، قد صلوا بالحرب وذاقوا سجالها ، وشربوا مرار كئوسها ، وتجزعوا غصص درتها ؛ وزبنتهم بتكرار عواطفها ، وحملتهم على أصعب مراكبها ، وذلللتهم بثقال أودها . ثم أنتههم على عينك ، وأعرض كراعهم بنفسك ؛ وتوخ في انتقائك ظهور الجلد ، وشهامة الخلق ، وكمال الآلة . وإياك أن تقبل من دوابهم إلا الإناث من الخيل المهلوبة ، فإنهن أسرع طلبا ، وأنجى مهربا ، وألين معظما ، وأبعد في اللقوق غاية ، وأصبر في معترك الأبطال إقداما . وخذهم من السلاح بأبدان الدروع ، ماذية الحديد ، شاكّة النسيج ، متقاربة الخلق ، متلاحمة المسامير وأسواق الحديد ، مموهة الركب ، مُحكمة الطبع ، خفيفة الصوغ ؛ وسواعد طبعها هندي ، وصوغها فارسي ؛ رقائق المعاطف بأكف واقية وعمل محكم . ويلتق البيض مذهبة ومجردة ، فارسية الصوغ ، خالصة الجوهر ، سايغة الملبس ، واقية الجن ، مستديرة الطبع ، مبهمة السرد ، وافية الوزن كثير كالبعم في الصنعة وأستدارة التقيب ، وأستواء الصوغ ، معلمة بأصناف

(١) في "مفتاح الأفكار" وغيره بحيث ولايتك وفي الموضع الجارية الخ تأمل .

الحرير والوان الصنغ، فإنها أهيب لعدوهم، وأفت لأعضاء من لقيهم، والمعلم مخشى محذور، له بديهة رادعه، وهيبة هائلة، معهم السيف الهندي، وذكور البيض اليمانية، رفاق الشقرات، مسنونة الشخذ، مشطبة الضرائب، معتدلة الجواهر، صافية الصفائح، لم يدخلها وهن الطبع، ولا عابها أمت الصوغ، ولا شائها خفة الوزن، ولا فدح حاملها بهور الثقل، قد أشرعوا لدن القنا، طوال الهوادي، مقومات الأود، زرق الأسنة، مستوية الثعالب، وميضها متوقد، وسنخها متلهب، معاقص عقدها منحوتة، ووصوم أودها مقومة، وأجناسها مختلفة، وكعوبها جعدة، وعقدها حبكة، شطبة الأسنان، مؤهة الأطراف، مستحثة الجنبات، دقاق الأطراف، ليس فيها التواء أود، ولا أمت وسم، ولا بها مسقط عيب، ولا عنها وقوع أمانة، مستحقني كائن النبل وقسي الشوخط والنبيغ، أعراية التعقيب، رومية النصول، مسمومة الصوغ، ولتكن سهامها على خمس قبضات سوى النصول، فإنها أبلغ في الغاية، وأنفذ في الدروع، وأشك في الحديد، سامطين حقايبهم على متون خيوطهم، مستخفين من الآلة والأمتعة والزاد [إلا مالا غناء بهم عنه] .

وأحذر أن تكل مباشرة عرضهم وانتخابهم إلى أحد من أعوانك وكنايك : فإنك إن وكلته إليهم أضعت مواضع الحزم، وفزطت حيث الرأي، ووقفت دون عزم الروية، ودخل عملك ضياع الوهن، وخلص إليك عيب المحابة، وناله فساد

(١) الثعلب طرف الرمح الداخل في جبة السنان، وفي "مفتاح الأفكار" وغيره «وشحدها متلهب» .

(٢) في الأصول والمفتاح بالغين والفاء ولم تقف له على معنى مناسب .

(٣) الزيادة عن "مفتاح الأفكار" ص ٢٥١ .

المداينة، وغلب عليه مَنْ لا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ طليعةً للمسلمين ولا عُدَّةً ولا حِصْنًا يَدْرِيُونُ بِهِ، وَيَكْتُمُونُ بِمَوْضِعِهِ. وَالطَّلَائِعُ حِصُونُ الْمُسْلِمِينَ وَعُيُونُهُمْ، وَهُمْ أَوَّلُ مَكِيدَتِكَ، وَعُرْوَةُ أَمْرِكَ، وَزِمَامُ حَرْبِكَ. فليكنَ أَعْتِنَاؤُكَ بِهِمْ، وَأَتَقَاؤُكَ إِيَّاهُمْ بِحَيْثُ هُمْ مِنْ مُهِمِّ عَمَلِكَ، وَمَكِيدَةِ حَرْبِكَ؛ ثُمَّ آتَخِبْ لِلْوِلَايَةِ عَلَيْهِمْ رَجُلًا بَعِيدَ الصَّوْتِ، مَشْهُورَ الْأِسْمِ، ظَاهِرَ الْفَضْلِ، نَبِيَّهَ الذِّكْرِ؛ لَهُ فِي الْعُدُوقَاتِ مَعْرُوفَاتٌ، وَأَيَّامٌ طَوَالٌ وَصَوَلَاتٌ مُتَقَدِّمَاتٌ؛ قَدْ عُرِفَتْ نِكَايَتُهُ، وَحُدِرَتْ شَوْكَتُهُ، وَهَيْبَ صَوْتُهُ، وَتُتَكَّبُ لِقَاؤُهُ؛ أَمِينَ السَّرِيرَةِ، نَاصِحَ الْحَيْبِ؛ قَدْ بَلَّوْتَ مِنْهُ مَا يُسَيِّدُكَ إِلَى نَاحِيَتِهِ: مِنْ لَيْنِ الطَّاعَةِ، وَخَالِصِ الْمَوَدَّةِ، وَرَكَائِنِ الصَّرَامَةِ، وَغُلُوبِ الشَّهَامَةِ، وَأَسْتِجَاعِ الْقُوَّةِ، وَحَصَافَةِ التَّدْيِيرِ. ثُمَّ تَقَدَّمْ إِلَيْهِ فِي حُسْنِ سِيَاسَتِهِمْ، وَأَسْتِزَالِ طَاعَتِهِمْ، وَأَجْتِلَابِ مَوَدَّاتِهِمْ، وَأَسْتِعْذَابِ ضَمَائِرِهِمْ؛ وَأَجْرِ عَلَيْهِمْ وَعَلَيْهِ أَرْزَاقًا تَسَعُّهُمْ، وَتُمَدُّ مِنْ أَطْعَامِهِمْ سِوَى أَرْزَاقِهِمْ فِي الْعَامَّةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْقُوَّةِ لَكَ عَلَيْهِمْ، وَالْأَسْتِنَامَةِ إِلَى مَا قَبْلَهُمْ.

وَأَعْلَمْ أَنَّهُمْ فِي أَهَمِّ الْأَمَاكِنِ لَكَ، وَأَعْظَمِهَا غَنَاءً عَنْكَ وَعَمَّنْ مَعَكَ؛ وَأَقْعِبْهَا كَيْتَنَا مُحَادِّدَكَ، وَأَشْجَاهَا غَيْظًا لِعُدُوكَ؛ وَمَنْ يَكُنْ فِي الثِّقَةِ، وَالْجَلَدِ، وَالْبَأْسِ، وَالطَّاعَةِ، وَالْقُوَّةِ، وَالنَّصِيحَةِ، وَالْعُدَّةِ، وَالنَّجْدَةِ حَيْثُ وَصَفَ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَمْرَكَ بِهِ، يَضَعُ عَنْكَ مَثُونَةَ الْأَهْمِ، وَيُرْخِ مِنْ خِنَاقِكَ رَوْعَ الْخَوْفِ، وَتَلْتَجِئُ إِلَى أَمْرِ مَنِيعٍ، وَظَهَرِ قُوَّتِي، وَرَأْيِي حَازِمٍ، تَأْمَنُ بِهِ بِجَفَاتِ عُدُوكَ، وَغِرَّاتِ بَغَاتِهِمْ، وَطَوَارِقِ أَحْدَاثِهِمْ؛ وَيَصِيرُ إِلَيْكَ عِلْمُ أَحْوَالِهِمْ، وَمُتَقَدِّمَاتِ خِيُولِهِمْ؛ فَانْتَجِبْهُمْ رَأْيَ عَيْنٍ، وَقُوَّهُمْ بِمَا يُصْلِحُهُمْ مِنَ الْمَنَالَاتِ وَالْأَطْعَامِ وَالْأَرْزَاقِ، وَاجْعَلْهُمْ مِنْكَ بِالْمَنْزِلِ الَّذِي هُمْ بِهِ مِنْ مَحَارِزِ عِلَاقَتِكَ، وَحَصَانَةِ كُهُوفِكَ، وَقُوَّةِ سَيَّارَةِ عَسْكَرِكَ. وَإِيَّاكَ أَنْ تُدْخِلَ فِيهِمْ أَحَدًا بِشَفَاعَةٍ، أَوْ تَحْتَمِلَهُ عَلَى هَوَادَةٍ، أَوْ تَقَدِّمَهُ لِأَثَرَةٍ؛ أَوْ أَنْ يَكُونَ

مع احدٍ منهم بغل نفل ، أو فضل من الظهر ، أو ثقل فادح ، فتشتد عليهم مشونة أنفسهم ، ويدخلهم كلال السامة فيما يعالجون من أنقالمهم ، ويستغلون به عن عدوهم إن دهمهم منه رافع ، أو فخاهم منه طليعة . فتفقذ ذلك محملاً له ، وتقدم فيه أخذا بالخرم في إمضائه ، أرشدك الله لإصابة الحظ ، ووقفك ثمن التدبير ، وقصد بك لأسهل الرأي وأعوذه نفعاً في العاجل والآجل ، وأكتبته لعدوك وأشجاء لهم ، وأردعه لعاديتهم .

ول دراجة عسكري وإخراج أهله إلى مصافهم ومرايرهم رجلاً من أهل بيوتات الشرف ، محمود الخبرة ، معروفاً بالتجدة ، ذا سن وتجربة ، لين الطاعة ، قديم النصيحة ، مأمون السرية ، له بصيرة بالحق نافذة تقدمه ، ونية صادقة عن الإدهان تحجزه . وأضتم إليه عدة نفر من ثقات جندك وذوى أسنانهم يكونون شرطة معه ، ثم تقدم إليه في إخراج المصاف ، وإقامة الأحراس ، وإذكاء العيون ، وحفظ الأطراف ، وشدة الحذر ، ومروءة فليضع القواد بأنفسهم مع أصحابهم في مصافهم ، كل قائد بإزاء مكانه ، وحيث منزله ، قد سد ما بينه وبين صاحبه بالرمح شارعة ، والترسة موضونة ، والرجال راصدة ، ذاكية الأحراس ، وجلة الروع ، خائفة طوارق العدو وبياته . ثم مره فليخرج كل ليلة قائداً في أصحابه أو عدة منهم إن كانوا كثيراً ، على غلوة أو اثنتين من عسكري ، متنبذاً عنك محيطاً بمنزلك ، ذاكية أحراسه ، قلقة التردد ، مفرطة الحذر ، معدة للزوع ، متأهبة للقتال ، آخذة على أطراف المعسكر ونواحيه ، متفرقين في اختلافهم كدوسا كدوسا ، يستقبل بعضهم بعضاً ^(١) [في الاختلاف] ويكسع تال متقدماً في التردد ، وأجعل ذلك بين قوادك وأهل

عسرك نوباً معروفة ، وحِصصاً مفروضة ، لا تُعْرِمُهَا مِنْ دَلِيقَا مِنْكَ بِمَوَدَّةٍ ،
ولا تُحَامِلُ فِيهِ عَلَى أَحَدٍ بِمَوْجِدَةٍ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

فَوْضُ إِلَى أُمَرَاءِ أَجْنَادِكَ وَقُودَ حَيْلِكَ أُمُورَ أَصْحَابِهِمْ ، وَالْأَخْذَ عَلَى قَافِيَةِ أَيْدِيهِمْ ،
رِيَاضَةً مِنْكَ لَهُمْ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِأُمَرَائِهِمْ ، وَالْإِتْبَاعِ لِأَمْرِهِمْ ، وَالْوُقُوفَ عِنْدَ
نَهْيِهِمْ ؛ وَتَقَدَّمَ إِلَى أُمَرَاءِ الْأَجْنَادِ فِي النُّوَابِ الَّتِي أَلْزَمْتَهُمْ إِيَّاهَا ، وَالْأَعْمَالَ الَّتِي
أَسْتَجَدَّتْهُمْ لَهَا ، وَالْأَسْلِحَةَ وَالْكَرَاعَ الَّتِي كَتَبَتْهَا عَلَيْهِمْ ؛ وَاحْذَرِ اعْتِلَالَ أَحَدٍ مِنْ
قُودِكَ عَلَيْكَ بِمَا يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ تَأْدِيبِ جُنْدِكَ ، وَتَقْوِيمِهِمْ لَطَاعَتِكَ ، وَقَعْمِهِمْ عَنْ
الِإِخْلَالَ بِمَرَاكِرِهِمْ لَشَيْءٍ مِمَّا وَكَلُوا بِهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مَفْسَدَةٌ لِلْجُنْدِ ، مَفْثَاةٌ
لِلْقُودِ عَنْ الْحَدِّ وَالِإِيثَارِ لِلنَّاصِحَةِ ، وَالتَّقَدُّمُ فِي الْأَحْكَامِ .

وَأَعْلَمْ أَنَّ فِي اسْتِخْفَافِهِمْ بِقُودِهِمْ وَتَضْيِيعِهِمْ أَمْرَ رُؤَسَائِهِمْ دُخُولًا لِلضَّيَاعِ عَلَى
أَعْمَالِكَ ، وَاسْتِخْفَافًا بِأَمْرِكَ الَّذِي يَأْتُمُّونَ بِهِ وَرَأْيِكَ الَّذِي تَرْتَبِي . وَأَوْعِزْ إِلَى الْقُودِ
أَنْ لَا يُقَدِّمَ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى عِقُوبَةِ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، إِلَّا عُقُوبَةً تَأْدِيبٍ فِي تَقْوِيمِ مَيْلٍ ،
وَتَثْقِيفِ أَوْدٍ ؛ فَأَمَّا عِقُوبَةُ تُلَغُّ تَلَفَ الْمُهْجَةِ وَإِقَامَةُ حَدٍّ فِي قَطْعِ ، أَوْ إِفْرَاطٍ فِي ضَرْبِ
أَوْ أَخْذِ مَالٍ ، أَوْ عِقُوبَةُ فِي شَعَرٍ فَلَا يَلِينُ ذَلِكَ مِنْ جُنْدِكَ أَحَدٌ غَيْرُكَ ، أَوْ صَاحِبُ
شُرْطَتِكَ بِأَمْرِكَ وَعَنْ رَأْيِكَ وَإِذْنِكَ ؛ وَمَتَى لَمْ تُذَلِّلِ الْجُنْدَ لِقُودِهِمْ ، وَتُضَرِّعَهُمْ
لِأُمَرَائِهِمْ ؛ تُوجِبْ لَهُمْ عَلَيْكَ الْمُجْعَةَ بِتَضْيِيعِ - إِنْ كَانَ مِنْهُمْ - لِأَمْرِكَ ، أَوْ خَلَلِ
- إِنْ تَهَاوَنُوا بِهِ - مِنْ عَمَلِكَ ، أَوْ عَجْزِ - إِنْ فَرَطَ مِنْهُمْ - فِي شَيْءٍ مِمَّا وَكَلْتَهُمْ بِهِ
أَوْ أَسْنَدْتَهُ إِلَيْهِمْ ؛ وَلَا تَجِدْ إِلَى الْإِقْدَامِ عَلَيْهِمْ بِاللُّومِ وَعِصِّ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهِمْ مَجَازًا
تَصُلُّ بِهِ إِلَى تَعْنِيفِهِمْ ، بِتَفْرِيطِكَ فِي تَذْلِيلِ أَصْحَابِهِمْ لَهُمْ ، وَإِفْسَادِكَ إِيَّاهُمْ عَلَيْكَ
وَعَلَيْهِمْ . فَانْظُرْ فِي ذَلِكَ نَظْرًا مُحْكَمًا ، وَتَقَدَّمْ فِيهِ بِرَفْقٍ تَقْدُمًا بَلِيجًا ؛ وَإِيَّاكَ أَنْ

يَدْخُلُ حَزْمِكَ وَهَنْ، أَوْ يُشَوِّبَ عَزْمَكَ إِيثَارًا، أَوْ يَخْلِطَ رَأْيَكَ ضَيَاعًا، وَاللَّهُ يَسْتَوْدِعُ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَفْسَكَ وَدِينَكَ .

إِذَا كُنْتَ مِنْ عَدُوِّكَ عَلَى مَسَافَةٍ دَانِيَةٍ وَسَنَنْ لِقَاءٍ مُخْتَصِرٍ، وَكَانَ مِنْ عَسْكَرِكَ
مُقْتَرِبًا قَدْ شَامَتْ طُلُوعُكَ مُقَدِّمَاتِ ضَلَالَتِهِ، وَحُمَاةَ فِتْنَتِهِ؛ فَتَاهَبْ أَهْبَةَ الْمُنَاجِزِ،
وَحُذِّ اعْتِدَادِ الْحَذَرِ، وَكُتِّبْ خُبُولُكَ، وَعَبَّ جُنْدُكَ؛ وَإِيَّاكَ وَالْمَسِيرَ إِلَّا فِي مُقَدِّمَةِ
وَمَيْمَنَةٍ وَمَيْسَرَةٍ وَسَاقَةٍ؛ قَدْ شَهَرُوا الْأَسْلِحَةَ، وَنَشَرُوا الْبَنُودَ وَالْأَعْلَامَ؛ وَعَرَّفَ
جُنْدُكَ مَرَكَزَهُمْ سَائِرِينَ تَحْتَ أَلْوِيَتِهِمْ، قَدْ أَخَذُوا أَهْبَةَ الْقِتَالِ، وَاسْتَعَدُّوا لِلْقَاءِ؛
مُلْتَجِئِينَ إِلَى مَوَاقِفِهِمْ، عَارِفِينَ بِمَوَاضِعِهِمْ فِي مَسِيرِهِمْ وَمُعَسَّكَرِهِمْ . وَلِيَكُنْ تَرْحُلُهُمْ
وَتَنْزُلُهُمْ عَلَى رَايَاتِهِمْ وَأَعْلَامِهِمْ وَفِي مَرَكَزِهِمْ، قَدْ عَرَّفَ كُلُّ قَائِدٍ مِنْهُمْ أَصْحَابَهُ
مَوَاقِفَهُمْ : مِنَ الْيَمِينَةِ وَالْمَيْسَرَةِ وَالْقَلْبِ وَالسَّاقَةِ وَالطَّلِيعَةِ، لِأَزْمِنَ لَهَا، غَيْرَ مُخْلِئِينَ
بِمَا اسْتَنْجَدُوا لَهُ، وَلَا مُتَهَاوِنِينَ بِمَا أَهْيَبَ بِهِمْ إِلَيْهِ؛ حَتَّى تَكُونَ عَسَاكِرُكَ فِي مَنَهِلٍ
تَصِلُ إِلَيْهِ وَمَسَافَةٍ تَخْتَارُهَا كَأَنَّهَا عَسْكَرٌ وَاحِدٌ فِي أَجْتِمَاعِهَا عَلَى الْعَدُوِّ، وَأَخَذَهَا بِالْحَزْمِ،
وَمَسِيرِهَا عَلَى رَايَاتِهَا، وَزُؤُولِهَا فِي مَرَكَزِهَا، وَمَعْرِقَتِهَا بِمَوَاضِعِهَا : إِنْ ضَلَّتْ دَابَّةٌ مِنْ
مَوَاضِعِهَا، عَرَفَ أَهْلُ الْعَسْكَرِ مِنْ أَىِّ الْمَرَكَزِ هِيَ، وَمَنْ صَاحِبُهَا، وَفِي أَىِّ
الْمَحَلِّ حُلُولُهَا مِنْهَا فُودَتْ إِلَيْهِ، هَدَايَةً مَعْرُوفَةً بِسَمْتِ صَاحِبِ قِيَادَتِهَا؛ فَإِنَّ تَقَدُّمَكَ
فِي ذَلِكَ وَإِحْكَامَكَ لَهُ طَارِحٌ عَنْ جُنْدِكَ مَثُونَةِ الطَّلَبِ، وَعَنَايَةِ الْمَعْرِفَةِ،
وَأَبْتِغَاءِ الضَّالَّةِ .

ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى سَاقَتِكَ أَوْتَقَ أَهْلِ عَسْكَرِكَ فِي نَفْسِكَ صَرَامَةً وَنَفَازًا وَرِضًا فِي الْعَامَّةِ،
وَإِنصَافًا مِنْ نَفْسِهِ لِلرَّعِيَّةِ، وَأَخْذًا بِالْحَقِّ فِي الْمَعْدِلَةِ، مُسْتَشْعِرًا تَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتَهُ،
أَخْذًا بِهَدْيِكَ وَأَدَبِكَ، وَاقْفًا عِنْدَ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ، مُعْتَرِمًا عَلَى مَبَاحِيثِكَ وَتَرْيِينِكَ، نَظِيرًا

(١)

لك في الحال ، وشيئها بك في الشرف ، وعديلاً في الموضع ، ومُقارِبا في النسب ؛
ثم أَكثِفَ معه الجَمْعَ ، وأَيَّدَ بالقُوَّةَ ، وقَوَّه بِالظُّهْرِ ، وأَعِنَهُ بِالْأَمْوَالِ ، وَأَعْمَدَهُ بِالسِّلَاحِ ،
وَمُرَّه بِالْعِطْفِ عَلَى ذَوِي الضَّعْفِ مِنْ جُنْدِكَ وَمَنْ أَرْحَفَتْ بِهِ دَابَّتُهُ وَأَصَابَتْهُ
نَكْبَةٌ : مِنْ مَرَضٍ أَوْ رُجُلَةٍ أَوْ آفَةٍ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْذَنَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي التَّنَحِّي عَنْ
عَسْكَرِهِ ، أَوْ التَّخَلُّفِ بَعْدَ تَرْحَلِهِ ، إِلَّا لِمُجْهُودٍ سُقِمَا ، أَوْ لِمَطْرُوقٍ بِآفَةٍ جَائِئَةٍ . ثم تَقَدَّمَ
إِلَيْهِ مُحَدِّراً ، وَمُرَّه زَاجِراً ، وَأَنَّهُ مُعْلِظٌ فِي الشَّدَةِ عَلَى مَنْ مَرَّ بِهِ مِنْصَرِفاً عَنْ مَعْسِكَ
مِنْ جُنْدِكَ بِغَيْرِ جَوَازِكَ ، شَادَا لَهُمْ أَسْرًا ، وَمُوقِرَهُمْ حَدِيدًا ، وَمُعَاقِبَهُمْ مُوجِعًا ،
وَمُوجِّهِهُمْ إِلَيْكَ فَتَهَكِّمَهُمْ عُقُوبَةً ، وَتَجْعَلُهُمْ لَغِيرِهِمْ مِنْ جُنْدِكَ عِظَةً .

وَأَعْلَمَ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِذَلِكَ الْمَوْضِعِ مَنْ تَسْكُنُ إِلَيْهِ وَاثِقًا بِنَصِيحَتِهِ قَدْ بَلَوَتْ مَتْنَهُ
أَمَانَةُ تُسَكِّتُكَ إِلَيْهِ ، وَصَرَامَةٌ تُؤَمِّنُكَ مَهَاتَّتَهُ ، وَنَقَادًا فِي أَمْرِكَ يُرِنُّ عِنكَ خِنَاقُ
الْخَوْفِ فِي إِضَاعَتِهِ - لَمْ يَأْمَنْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ تَسَلَّلَ الْجُنْدُ عَنكَ لَوَادًا ، وَرَفَضَهُمْ
مَرَازِكُهُمْ ، وَإِخْلَالَهُمْ بِمَوَاضِعِهِمْ ، وَتَخَلُّفَهُمْ عَنْ أَعْمَالِهِمْ ، آمِنِينَ تَغْيِيرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ؛
وَالشَّدَةُ عَلَى مَنْ آخَرْتَهُ مِنْهُمْ ، فَأَوْشَكَ ذَلِكَ فِي وَهْنِكَ ، وَخَذَلَ مِنْ قُوَّتِكَ ، وَقَلَّلَ
مِنْ كَثْرَتِكَ .

اجْعَلْ خَلْفَ سَاقَتِكَ رُجُلًا مِنْ وَجْهِ قُوَادِكَ ، جَلِيدًا ، مَاضِيًا ، عَفِيفًا ، صَارِمًا ،
شَهْمَ الرَّأْيِ ، شَدِيدَ الْحَذَرِ ، شَكِيمَ الْقُوَّةِ ، غَيْرَ مُدَاهِنٍ فِي عُقُوبَةٍ ، وَلَا مَهِينٍ فِي قُوَّةٍ ،
فِي خَمْسِينَ فَارِسًا يَحْشُرُ إِلَيْكَ جُنْدَكَ ، وَيُلْحِقُ بِكَ مَنْ تَخَلَّفَ عَنكَ بَعْدَ الْإِبْلَاجِ
فِي عُقُوبَتِهِمْ ، وَالتَّهَكُّمِ لَهُمْ وَالتَّنْكِيلِ بِهِمْ . وَلْيَكُنْ بِعُقُوتِكَ فِي الْمَتَرِلِ الَّذِي تَرْحَلُ عَنْهُ ،
وَالْمَنْهَلِ الَّذِي تَتَقَوَّضُ مِنْهُ ، مُنْطَرًا فِي النَفْضِ لَهُ ، وَالتَّبَعِ لِمَنْ تَخَلَّفَ عَنكَ بِهِ ؛

مشتدًا في أهل المنزل وساكنه بالتقدم، موعِزًا إليهم في إزعاج الجُند عن منازلهم، وإخراجهم عن مكائهم؛ وإبعاد العقوبة الموجهة والنكال المبسّل في الأشعار والأبشار، وأسْتِصْفَاءُ الأموال وهذم العقار لمن آوى منهم أحدًا أو ستر موضعه، أو أخفى محله. وحذّره عقوبتك إياه في الترخيص لأحد، والمحابة لذي قرابة، والاختصاص بذلك لذي أثره وهوادة. ولتكنّ فُرسائه منتخين في القوة، معروفين بالنجدة؛ عليهم سوايغ الدروع دونها شعار الحشو وجب الاستجنان؛ متقدين سيوفهم، سامطين كائنهم، مستعدين لهيج إن بدّهم [أو كين إن يظهر لهم] ^(١). وإياك أن تقبل منهم في دوابهم إلا فرسًا قويًا أو رذونا ويجا: فإن ذلك من أقوى القوة لهم، وأعون الظهري على عدوهم، إن شاء الله.

ليكن رحيلك إيانا واحدًا، ووقتنا معلومًا: لتخفّ المئونة بذلك على جُندك، ويعلموا وأن رحيلهم، فيقدّموا فيما يريدون من معالجة أطعمتهم، وأعلام دوابهم، وتسكن قلوبهم إلى الوقت الذي وقفوا عليه، ويطمئن ذوو الرأي إلى إبان الرحيل، ومتى يكن رحيلك مختلفًا، تعظم المئونة عليك وعلى جُندك ولا يزال ذوو السّفه ^(١) [والترق] يترحلون بالإرجاف ويتزلون بالتوهم، حتى لا ينتفع ذوو رأي بنوم ولا طمأنينة.

إياك أن تظهر استقلالا، أو تُتادى برحيل من منزل تكون فيه، حتى تأمر صاحب تعبئك بالوقوف بأصحابه على معسكرك آخذًا بجنبتي فوهته، بأسلحتهم عدّة لأمر إن حضر، أو مفاجأة من طليعة للعدو إن رأيت منكم نهزة، أو لمحت عندهم غيرة. ثم مرّ الناس بالرحيل وخيلك واقفة، وأهبتك معدّة، وجئتك

(١) الزيادة عن «مفتاح الأفكار» وغيره.

واقية، حتى إذا استقلتم من معسكركم، وتوجهتم من منزلكم، سرتهم على تعبئتهم بسكون ريح، وهذو حمة، وحسن دعة. فإذا انتهيت إلى منهل أردت نزوله أو هممت بالمعسكر به، فأياك ونزوله إلا بعد العلم بأهله، والمعرفة بمرافقه، ومُر صاحب طليعتك أن يعرف لك أحواله، ويستثيرك علم دفينه، ويستبطن علم أموره ثم يئبها إليك على ماصارت إليه: لتعلم كيف آتياه لمعسكرك، وكيف ماؤه وأغلافه وموضع معسكرك منه، وهل لك - إن أردت مقاماً به، أو مطاولة عدوك أو مكائده فيه - قوة تملك ومدد يأتيه: فإنك إن لم تفعل ذلك، لم تأمن أن تهجم على منزل يعجزك ويزعجك عنه ضيق مكانه، وقلة مياهه، وأقطاع موائده، إن أردت بعدوك مكيدة، أو أحتجت من أمورهم إلى مطاولة. فإن آرتحت منه كنت غرضاً لعدوك، ولم تجد إلى الحاربة والاختار سبيلاً، وإن أفتت به أفتت على مشقة وحضر وفي أزل وضيق، فاعرف ذلك وتقدم فيه. فإن أردت نزولاً أمرت صاحب الخيل التي وكلت بالناس فوقفت خيله متحية من معسكرك، عدة لأمر إن غالك، ومفرعاً لبديهة إن راعتك، فقد أمنت بحمد الله وقوته بقاء عدوك، وعرفت موقعها من حركك، حتى يأخذ الناس منازلهم، وتوضع الأتقال مواضعها، ويأتيك خبر طلائعك، وتخرج دبابتك من معسكرك دراجة ودباباً محيطين بمعسكرك، وعدة إن أحتجت إليها. ولكن دبابات جندك أهل جلد وقوة، قائداً أو اثنين أو ثلاثة بأصحابهم، في كل ليلة ويوم نوباً بينهم؛ فإذا غربت الشمس ووجب نورها، أخرج إليهم صاحب تعبئك أبدأهم، عسساً بالليل في أقرب من مواضع دبابي النهار، يتعاور ذلك قوادك جميعاً بلا محابة لأحد فيه ولا إذهان.

إياك وأن يكون منزلك إلا في خندق وحضن تأمن به بيات عدوك وتستنيم فيه إلى الحزم من مكيدتك إذا وضعت الأتقال وحطت أبنية أهل العسكر، لم يمدد

طُئِبَ ، ولم يُرْفَعْ خِباءُ ، ولم يُنْصَبْ بناءٌ حتى تَقَطَّعَ لكلِّ قَائِدٍ ذَرْعًا مَعْلُومًا من الأرض بقَدْرِ أَصْحَابِهِ ، فيَحْضِرُوهُ عَلَيْهِمْ خَنْدَقًا يُطِيفُونَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِخَنْدَاقِ الْحَسَكِ ، طَارِحِينَ لَهَا دُونَ أَشْجَارِ الرِّمَاحِ ، وَنَصَبَ التَّرْسَةَ ، لَهَا بَابَانِ قَدْ وَكَّلتَ بِحِفْظِ كُلِّ بَابٍ مِنْهُمَا رَجُلًا مِنْ قُوَّادِكَ فِي مِائَةِ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ؛ إِذَا فُرِغَ مِنَ الْخَنْدَقِ كَانَ ذَانِكَ الرَّجُلَانِ الْقَائِدَانِ بَيْنَ مَعَهُمَا مِنْ أَصْحَابِهِمَا أَهْلَ ذَلِكَ الْمَرْكَزِ ، وَمَوْضِعَ تِلْكَ الْخَلِيلِ ، وَكَانُوا هُمُ الْبَوَايِنَ وَالْأَحْرَاسَ لَذَيْنِكَ الْمَوْضِعَيْنِ ، قَدْ كَفَّوْهُمَا وَضَبَطَوْهُمَا وَأَعْفَوْا مِنْ أَعْمَالِ الْعَسْكَرِ وَمَكْرُوهُهُ غَيْرُهُمَا .

وَأَعْلَمَ أَنَّكَ إِذَا كُنْتَ فِي خَنْدَقٍ ، أَمِنْتَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ طَوَارِقَ عَدُوِّكَ وَبَعَثَاتِهِمْ ، فَإِنْ رَامُوا تِلْكَ مِنْكَ ، كُنْتَ قَدْ أَحْكَمْتَ ذَلِكَ وَأَخَذْتَ بِالْحَزْمِ فِيهِ ، وَتَقَدَّمْتَ فِي الْإِعْدَادِ لَهُ ، وَرَتَقْتَ جُحُوفَ الْفَتْحِ مِنْهُ ؛ وَإِنْ تُكِنِّ الْعَافِيَةُ أَسْتَحْقِيتَ حَمْدَ اللَّهِ عَلَيْهَا ، وَارْتَبَطَتْ شُكْرُهَا ، وَلَمْ يَضُرَّكَ أَخْذُكَ بِالْحَزْمِ : لِأَنَّ كُلَّ كُلْفَةٍ وَنَصَبٍ وَمَسْئُومَةٍ إِنْفَاقٍ وَمَشَقَّةٍ عَمَلٍ مَعَ السَّلَامَةِ غُثِّمْ وَغَيْرُ خَطَرٍ بِالْعَاقِبَةِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فَإِنْ أَتَيْتَ بَيِّنَاتِ عَدُوِّكَ أَوْ طَرَفَكَ رَائِعًا فِي لَيْلِكَ ، فَلْيُلْفِكَ حَذَرًا مُشْمِرًا عَنْ سَاقِكَ ، حَاسِرًا عَنْ ذِرَاعِكَ ، مُتَشَرِّنًا لِحَرْبِكَ ؛ قَدْ تَقَدَّمْتَ دَرَجَاتِكَ إِلَى مَوَاضِعِهَا عَلَى مَا وَصَفَهُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَدَبَّابُتِكَ فِي أَوْقَاتِهَا الَّتِي قَدَّرَكَ ، وَطَلَائِعُكَ حَيْثُ أَمَرَكَ ، وَجُنْدُكَ عَلَى مَا عَبَأَ لَكَ قَدْ خَطَرْتَ عَلَيْهِمْ بِنَفْسِكَ ؛ وَتَقَدَّمْتَ إِلَى جُنْدِكَ إِنْ طَرَفَهُمْ طَارِقٌ ، أَوْ فَاجَأَهُمْ عَدُوٌّ ، أَنْ لَا يَتَكَلَّمُ مِنْهُمْ أَحَدٌ رَافِعًا صَوْتَهُ بِالتَّكْبِيرِ مُغْرَقًا فِي الْإِجْلَابِ ، مُعَلِّينًا بِالْإِرْهَابِ لِأَهْلِ النَّاحِيَةِ الَّتِي يَقَعُ بِهَا الْعَدُوُّ طَارِقًا ، وَلِيُشْرِعُوا رِمَاحَهُمْ نَاشِئِينَ بِهَا فِي وُجُوهِهِمْ ، وَيَرْشُقُونَهُمْ بِالنَّبْلِ مُكْتَنِينَ بِأَثَرِ سَيْتِهِمْ ، لِأَزْمِنَ لَمَرًّا كَرَهُمْ ،

(١) فِي الْمِفْتَاحِ وَغَيْرِهِ « مَلْبَدِينَ تَرْسَتِهِمْ » وَفِي الْأَصْلِ أَرْسَتَهُمْ وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ لَا يَقَالُ أَرْسَةٌ وَزَانَ أَرْغَفَةٌ وَإِنَّمَا جُمِعَ التَّرْسُ تَرْسَةً وَتَرُوسٌ وَتَرَّاسٌ وَرَبْمَا قِيلَ أَرَّاسٌ فَتَنَبَّهُ .

غير مُزِيلٍ قَدَمٍ عَنْ مَوْضِعِهَا ، وَلَا مُتَجَاوِزِينَ إِلَى غَيْرِ مَرَكَزِهِمْ . وَلْيَكْبُرُوا ثَلَاثَ
تَكْبِيرَاتٍ مُتَوَالِيَاتٍ وَسَائِرُ الْجُنْدِ هَادُونَ ، لَتَعْرِفَ مَوْضِعَ عَدُوِّكَ مِنْ مَعْسِكَ ، فُتَمِدَّ
أَهْلُ تِلْكَ النَّاحِيَةِ بِالرِّجَالِ مِنْ أَعْوَانِكَ وَشُرَطَتِكَ ، وَمَنْ أُنْتَخِبَتْ قَبْلَ ذَلِكَ عُدَّةٌ
لِلشَّدَائِدِ بِحَضْرَتِكَ ، وَتَدُسَّ إِلَيْهِمُ النَّشَابُ وَالرَّمَاحُ .

وَأَيَّاكَ وَأَنْ يَشْهَرُوا سَيْفًا يَتَجَالَدُونَ بِهِ . وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ أَنْ لَا يَكُونَ قَنَاهُمْ فِي تِلْكَ
الْمَوَاضِعِ لَمْ يَطْرُقْهُمْ إِلَّا بِالرَّمَاحِ مُسْنِدِينَ لَهَا إِلَى صُدُورِهِمْ ، وَالنَّشَابِ رَاشِقِينَ بِهِ
وَجُوهَهُمْ ، قَدْ أَلْبَدُوا بِالْأَثَرِيسَةِ ، وَأَسْتَجَنُوا بِالْيَيْضِ ، وَأَلْقَوْا عَلَيْهِمْ سَوَابِغَ الدَّرُوعِ
وَجِبَابَ الْحَشْوِ ، فَإِنْ صَدَّ الْعَدُوُّ عَنْهُمْ حَامِلِينَ عَلَى جِهَةٍ [أُخْرَى ، كَبَرٌ] أَهْلُ تِلْكَ
النَّاحِيَةِ الَّتِي يَقَعُ فِيهَا كِفْعَلُ النَّاحِيَةِ الْأُولَى ، وَبَقِيَّةُ الْعَسْكَرِ سَكُوتٌ وَالنَّاحِيَةُ الَّتِي
صَدَّ عَنْهَا الْعَدُوُّ لَازِمَةٌ مَرَاكِزَهُمْ مُتَطَقَّةٌ لِهَدُوسَا كُنَّةِ الرِّيحِ ، ثُمَّ عَمِلَتْ فِي تَقْوِيَتِهِمْ
وَأَمْدَادِهِمْ بِمَثَلِ صَنِيعِكَ فِي إِخْوَانِهِمْ .

وَأَيَّاكَ أَنْ تُنْجِدَ نَارَ رُؤُوفِكَ [وَإِذَا وَقَعَ الْعَدُوُّ فِي مَعْسِكَ أَنْبَجَهَا سَاعِرًا لَهَا
وَأَوْقَدَهَا حَطَبًا جَزَلًا يَعْرِفُ بِهِ أَهْلُ الْعَسْكَرِ مَكَانَكَ وَمَوْضِعَ رُؤُوفِكَ] ^(١) فَيَسْكُنُ نَافِرُ
قُلُوبِهِمْ ، وَيَقْوَى وَاهِي قُوَّتِهِمْ ، وَيَشْتَدُّ مُنْخِلُ ظُهُورِهِمْ ، وَلَا يَرْجُمُونَ بِكَ
الظُّنُونِ ، وَيَجْعَلُونَ لَكَ آرَاءَ الشُّوءِ ، وَيُرْجِفُونَ بِكَ آثَاءَ الْخَوْفِ ، وَذَلِكَ مِنْ فِعْلِكَ
رَادُّ عَدُوِّكَ بِغِيظِهِ لَمْ يَسْتَغْلِلْ مِنْكَ ظُفْرًا ، وَلَمْ يَبْلُغْ مِنْ نِكَائِكَ سُورًا . وَإِنْ أَنْصَرَفَ
عَنْكَ عَدُوُّكَ وَنَكَلَ عَنِ الْإِصَابَةِ مِنْ جُنْدِكَ وَكَانَتْ بِجَيْشِكَ قُوَّةٌ عَلَى طَلَبِهِ أَوْ كَانَتْ
لَكَ مِنْ فُرْسَانِكَ خَيْلٌ مُعَدَّةٌ وَكُتَيْبَةٌ مُنْتَخَبَةٌ ، [وَأَقْدَرْتَ عَلَى أَنْ تَرَكَّبَ بِهِمْ أَكْسَاءَهُمْ ،
وَتَحْمِلَهُمْ عَلَى سَنَنِهِمْ ، فَاتَّبَعَهُمْ بِرِيدَةِ خَيْلٍ عَلَيْهَا الثَّقَاتُ مِنْ فُرْسَانِكَ ، وَأُولُو النِّجْدَةِ
مِنْ حُمَاتِكَ ، فَإِنَّكَ تَرَهَّقُ عَدُوَّكَ وَقَدْ أَمِنَ مِنْ بَيَّاتِكَ ، وَشَغِلَ بِكَالَالِهِ عَنِ التَّحَرُّزِ

(١) الزيادة من مفتاح الافكار وغيره وهي من سقطات النسخ كما لا يخفى .

منك والأخذِ بأبوابِ معسكره ، والضَّبطِ لمحارِسِه عليك ، موهنةٌ مُحاثهم لغبةٍ
أبطالهم : لما ألقوكم عليه من التشمير والحدِّ ، قد عقر الله فيهم ، وأصاب منهم ،
وجرح من مقاتلتهم ، وكسر من أمانى ضلَّالهم ، وردَّ من مستغلي جماحهم .

وتقدَّم إلى من توجَّهه في طلبهم ، وتنبَّهه أكسأهم : في سُكُونِ الرِّيحِ ، وقِلَّةِ الرِّفثِ ،
وكثرةِ التسييحِ والتهلِيلِ ، وأسْتِنصارِ الله عزَّ وجل بالسِّنَنِمْ وقلوبهم سرًّا وجهرًا ،
بلا لَحَبِ صِحَّةٍ ، ولا آرتفاعِ ضَوْضاءٍ ؛ دُونَ أن يردوا على مطلبهم ، ويتنَّزُّوا فُرْصَتهم .
ثم ليَشْمَروا السِّلَاحَ ، وينتَضُوا السُّيُوفَ ، فإنَّ لها هَيْبَةً رائعةً ، وبَدِيهةً مُحَوِّفةً ،
لا يقومُ لها في بُهْمَةِ اللَّيْلِ وحِنْدِسِه إلا البَطْلُ المُحَارِبُ ، ودُوَّ البَصِيرَةِ المُحَامِي ،
والمُسْتَمِيتُ المُقَاتِلُ ، وقليلٌ ما هم عند تلك الحِمِيَّةِ وفي ذلك المَوْضِعِ .

ليكنَّ أَوَّلَ ما انتقدتم به في التهيؤِ لعدوِّك ، والاستعدادِ للاقائه ، انتخابُك من فُرْسانِ
عسكرِكَ وحمَّةِ جُنْدِكَ ذَوِي البأسِ والحُنْكةِ والحدِّ والصَّرامةِ ، ممَّن قد اعتاد
طَرَادَ الكُفَّةِ ، وكَثُرَ عن ناجزِهِ في الحَرْبِ ، وقام على ساقٍ في مُنازَلَةِ الأَقْرانِ ،
تَقِفُ الفُرُوسِيَّةِ ، مجتَمِعِ القُوَّةِ ، مستَحْصِدِ المِرْيَةِ ، صَبُورًا على هَوْلِ اللَّيْلِ ، عارِفًا
بمُناهِزَةِ الفُرْصِ ؛ لم تَمُتْهُ الحُنْكةُ ضَعْفًا ، ولا بَلَّغَتْ به السَّنُّ كَلالًا ، ولا أَسْكَرَتْهُ
غِرَّةُ الحَدائِثِ جَهْلًا ، ولا أَبْطَرَتْهُ نَجْدَةُ الأَغْمارِ صَلَفًا ، جَرِيئًا على مَخاطَرَةِ التَّلَفِ ،
مُقَدِّمًا على أَدْرَاعِ المَوْتِ ، مُكابرًا لمُهَيِّبِ الهَوْلِ ، متَقَحِّمًا مَخْشَى الخُتُوفِ ، خائضًا
عَمَرَاتِ المَهالِكِ ؛ برأى يَوَيْدِهِ الحَزْمَ ، وَنِيَّةَ لا يَخْلُجُها الشُّكُّ ، وأَهْواءِ جَمْعَةِ
وَقُلُوبِ مُؤْتَلِفَةٍ ؛ عارِفِينَ بِفَضْلِ الطَّاعَةِ وعِزِّها وشَرَفِها ، وَحَيْثُ مَحَلُّ أَهْلِها من
التأييدِ والطَّفَرِ والتحكينِ ، ثم أَعْرِضْهُمْ رَأْيَ عَيْنٍ على كُرَاعِهِمْ وأَسْلِحَتِهِمْ . ولتكنَّ
دَوَابُّهم إِماتَ عِتاقِ الخَيْلِ ، وأَسْلِحَتُهُمْ سَوابِغَ الدُّرُوعِ وكِمالِ آلَةِ المُحَارِبِ ، متقلِّدِينَ

سُوفَهُمِ الْمُسْتَخْلَصَةُ مِنْ جَيِّدِ الْجَوْهَرِ وَصَافِي الْحَدِيدِ، الْمُتَخَيَّرَةُ مِنْ مَعَادِنِ الْأَجْنَاسِ،
 هِنْدِيَّةِ الْحَدِيدِ يَمَانِيَةِ الطَّعْنِ، رِقَاقِ الْمَضَارِبِ، مَسْمُومَةِ الشَّحْذِ، مُشْطَبَةِ الصَّرِيحَةِ،
 مُلْبِدِينَ بِالتَّرْسَةِ الْفَارَسِيَّةِ، صَيِّدَةِ التَّعْقِيبِ، مُعَلِّمَةِ الْمَقَايِصِ بِحَلَقِ الْحَدِيدِ، أَنْحَاؤُهَا
 مَرْبَعَةٌ، وَخَارِزُهَا بِالتَّجْلِيدِ مُضَاعَفَةٌ، تَحْمِلُهَا مَسْتَخَفٌ، وَكَثَائِنُ النَّبْلِ وَجِعَابُ الْقِسِيِّ
 قَدْ أَسْتَحْقَبُوهَا، وَقِيسَى الشَّرِيَانِ وَالتَّبَعِ أَعْرَاضِيَّةِ الصَّنْعَةِ، مُخْتَلِفَةُ الْأَجْنَاسِ، مُحْكَمَةُ
 الْعَمَلِ، مُقَوِّمَةُ التَّنْقِيفِ، وَنُصُولُ النَّبْلِ مَسْمُومَةٌ، وَعَمَلُهَا مُصَيِّصٌ، وَتَرْكِيبُهَا
 عِرَاقِيٌّ، وَتَرْيِشُهَا بَدَوِيٌّ، مُخْتَلِفَةُ الصَّوْغِ فِي الطَّعْنِ، شَتَّى الْأَعْمَالِ فِي التَّشْطِيبِ
 وَالتَّجْنِيعِ وَالْإِسْتِدَارَةِ. وَلِتَكُنِ الْفَارَسِيَّةُ مَقْلُوبَةُ الْمَقَايِصِ، مِنْبَسِطَةُ السَّيِّئَةِ،
 سَهْلَةُ الْإِنْعِطَافِ، مُقَرَّبَةُ الْإِنْجِنَاءِ، مُمَكِّنَةُ الْمَرْمَى، وَاسِعَةُ الْأَسْهُمِ، فُرْضُهَا سَهْلَةٌ
 الْوُرُودِ، وَمَعَاظِفُهَا غَيْرُ مُقَرَّبَةٍ الْمَوَاتَةِ. ثُمَّ وَلَّ عَلَى كُلِّ مِائَةِ رَجُلٍ مِنْهُمْ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ
 خَاصَّتِكَ وَثِقَاتِكَ وَنُصَحَاتِكَ، لَهُ صِيَّتٌ فِي الرِّيَاسَةِ، وَقَدَمٌ فِي السَّابِقَةِ، وَأَوَّلِيَّةٌ
 فِي الْمَشَايِعَةِ. وَتَقَدَّمُ إِلَيْهِ فِي ضَبْطِهِمْ، وَكَفَّ مَعَرَّتِهِمْ، وَأَسْتَنْزَالَ نَصَائِحَهُمْ،
 وَأَسْتَعْدَادَ طَاعَتِهِمْ، وَأَسْتِخْلَاصَ ضَمَائِرِهِمْ، وَتَعَاهُدَ كِرَاعِهِمْ وَأَسْلِحَتِهِمْ: مُعْغِيًا لَهُمْ
 مِنَ النَّوَائِبِ الَّتِي تَلَزِمُ أَهْلَ عَسْكَرِكَ وَعَامَّةَ جُنْدِكَ، وَاجْعَلْهُمْ عُدَّةً لِأَمْرِ إِنْ حَرَبَكَ
 أَوْ طَارِقَ إِنْ أَتَاكَ، وَمُرَّهُمْ أَنْ يَكُونُوا عَلَى أَهْبَةِ مُعَدَّةٍ، وَحَذَرَ نَافِ لِسَنَةِ الْغَفْلَةِ
 عَنْهُمْ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَيُّ السَّاعَاتِ مِنْ لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ تَكُونُ إِلَيْهِمْ حَاجَتُكَ. فَلْيَكُونُوا
 كَرَجُلٍ وَاحِدٍ فِي التَّشْمِيرِ وَالتَّرَادُفِ وَسُرْعَةِ الْإِجَابَةِ، فَإِنَّكَ عَسَيْتَ أَنْ لَا تَجِدَ عِنْدَ
 جَمَاعَةِ جُنْدِكَ فِي مِثْلِ تِلْكَ الرُّوعَةِ وَالْمُبَاجَنَةِ - إِنْ أَحْتَجْتَ إِلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ - مُعَوْنَةً
 كَافِيَةً، وَلَا أَهْبَةَ مُعَدَّةٍ، بَلْ ذَلِكَ كَذَلِكَ. فَلْيَكُنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ تَتَخَبُّ عُدَّتَكَ
 وَقُوَّتَكَ، بَعُوثًا قَدْ وَظَّفَتْهَا عَلَى الْقَوَادِ الَّذِينَ وَلَّيْتَهُمْ أُمُورَهُمْ، فَسَمِيتَ أَوَّلًا وَثَانِيًا وَثَالِثًا
 وَرَابِعًا وَخَامِسًا وَسَادِسًا، فَإِنْ أَكْتَفَيْتَ فِيمَا يَطْرُقُكَ وَيَبْدُوهَكَ بَيْعَتْ وَاحِدًا، كَانَ

مُعَدًّا لَمْ تَحْتَجْ إِلَى اتِّخَابِهِمْ فِي سَاعَتِكَ تِلْكَ فَقَطَّعَ الْبُعْثَ عَلَيْهِمْ عِنْدَ مَا يَرَهُكَ . وَإِنْ
احتججتَ إِلَى أَثْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ ، وَجَّهْتَ مِنْهُمْ إِرَادَتَكَ أَوْ مَاتَرَى قُوَّتَكَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .
وَكُلُّ بَخْرَائِكَ وَدَوَاوِينِكَ رَجُلًا نَاصِحًا أَمِينًا ، ذَا وَرَعٍ حَاجِزٍ ، وَدِينٍ فَاصِلٍ ،
وِطَاعَةٍ خَالِصَةٍ ، وَأَمَانَةٍ صَادِقَةٍ ؛ وَاجْعَلْ مَعَهُ خِيَلًا يَكُونُ مَسِيرُهَا وَمَنْزِلُهَا وَمَرْحَلُهَا
مَعَ خِزَانَتِكَ وَحَوْلَهَا . وَتَقَدَّمْ إِلَيْهِ فِي حِفْظِهَا ، وَالتَّوَقَّى عَلَيْهَا ، وَأَتَاهُمُ كُلَّ مَنْ تُسْنِدُ
إِلَيْهِ شَيْئًا مِنْهَا عَلَى إِضَاعَتِهِ وَالتَّهَانِ بِهِ ، وَالشَّدَّةِ عَلَى مَنْ دَنَا مِنْهَا فِي مَسِيرٍ ، أَوْ ضَاعَتْهَا
فِي مَنْزِلٍ ، أَوْ خَالَطَهَا فِي مَنَهِلٍ . وَلْيَكُنْ عَامَّةُ الْجُنْدِ وَالْجِيشِ - إِلَّا مَنْ آسَتْخَلَصْتَ
لِلْمَسِيرِ مَعَهَا - مُتَحَنِّينَ عَنْهَا ، مُجَانِبِينَ لَهَا فِي الْمَسِيرِ وَالْمَنْزِلِ ؛ فَإِنَّهُ رُبَّمَا كَانَتْ الْجَوْلَةُ
وَحَدِثَ الْفَزَعَةُ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلخِزَانِ مَنْ يُوَكِّلُ بِهَا أَهْلَ حِفْظِهَا وَذَبَّ عَنْهَا ،
وَحِيطَاطَةً دُونَهَا ، وَقُوَّةً عَلَى مَنْ أَرَادَ اتِّهَابَهَا ، أَسْرَعَ الْجُنْدُ إِلَيْهَا وَتَدَاعَوْا نَحْوَهَا حَتَّى يَكَادَ
يَتَرَامَى ذَلِكَ بِهِمْ إِلَى أَتْهَابِ الْعُسْكَرِ ، وَأَضْطَرَابِ الْفِتْنَةِ ؛ فَإِنَّ أَهْلَ الْفِتَنِ وَسُوءِ
السَّيْرِ كَثِيرٌ ، وَإِنَّمَا هِمَّتُهُمُ الشَّرُّ ؛ فَإِيَّاكَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدٍ فِي خِزَانَتِكَ وَدَوَاوِينِكَ
[وَبُيُوتِ أَمْوَالِكَ ^(١)] مَطْمَعٌ ، أَوْ يَجِدَ سَبِيلًا إِلَى اغْتِيَابِهَا وَمَرْزَأَتِهَا .

اعْلَمْ أَنَّ أَحْسَنَ مَكِيدَتِكَ أَثَرًا فِي الْعَامَّةِ ، وَأَبْعَدَهَا صِيتًا فِي حُسْنِ الْقَالَةِ ، مَا نَلْتَ
الظَّفَرَ فِيهِ بِحَزْمِ الرُّوِيَّةِ ، وَحُسْنِ السَّيْرِ ، وَلُطْفِ الْحِيلَةِ . فَلْتَكُنْ رَوِيَّتُكَ فِي ذَلِكَ
وَحِرْصُكَ عَلَى إِصَابَتِهِ بِالْحَيْلِ ، لَا بِالْقِتَالِ وَأَخْطَارِ التَّلَفِ ؛ وَادُسُّسْ إِلَى عَدُوِّكَ ،
وَكَاتِبْ رُؤْسَاءَهُمْ وَقَادَتَهُمْ وَعِندَهُمُ الْمَنَالَاتِ ، وَمَنْهُمْ الْوَلَايَاتِ ، وَسَوْغُهُمُ الثَّرَاثِ ،
وَضَعْ عَنْهُمْ الْإِحْنَ ، وَأَقْطَعْ أَعْنَاقَهُمْ بِالْمَطَامِعِ ، وَاسْتَدْعِهِمْ بِالْمَنَاطِبِ ؛ وَأَمْلَأْ قُلُوبَهُمْ
بِالْتَرَهيبِ إِنْ أَمَكَّنْتَهُ مِنْهُمْ الدَّوَائِرَ ، وَأَصَابَتَهُمْ إِلَيْكَ الرُّوَاجِعَ ؛ وَادْعُهُمْ إِلَى الْوُثُوبِ
بِصَاحِبِهِمْ أَوْ أَعْتَزَّالِهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بِالْوُثُوبِ عَلَيْهِ طَاقَةٌ ؛ وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَطْرَحَ إِلَى

بعضهم كُتِبَ كأنها جوابُ كُتِبَ لهم إليك ، وتكتب على ألسنتهم كتباً إليك تدفعها إليهم ، وتحمل بها صاحبهم عليهم وتزكهم عنده بمنزلة التهمة وتحمل الظنة ؛ فلعل مكيدهك في ذلك أن يكون فيها افتراق كلمتهم ، وتشتت جماعتهم ، وإحن قلوبهم ، وسوء الظن من واليهم بهم ، فيوحشهم منه خوفهم إياه على أنفسهم إذا أيقنوا بآتهامه إياهم ؛ فإن بسط يده فقتلهم ، وأولع سيفه في دمائهم ، وأسرع الوثوب بهم ، أشعرهم جميعاً الخوف ، وشلهم الرعب ، ودعاهم إليك الحرب فهاقوا نحوك بالنصيحة وأموك بالطلب . وإن كان متأثراً بمحتمل رجوت أن تستميل إليك بعضهم ، ويستدعي الطمع ذوي الشره منهم ، وتنال بذلك ما تحب من أخبارهم ، إن شاء الله .

إذا تدانى الصفان ، وتواقف الجمعان ، واحتضرت الحرب ، وعبأت أصحابك لقتال عدوهم ؛ فأكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، والتوكل على الله عز وجل والتفويض إليه ، ومسأله توفيقك وإرشادك ، وأن يعزم لك على الرشد المنجى ، والعصمة الكائنة ، والحياطة الشاملة . ومُرْ جُندَكَ بالصمت وقلة التلقت عند المصاولة ، وكثرة التكبير في أنفسهم ، والتسبيح بضائيرهم ؛ ولا يُظهروا تكبيراً إلا في الكترات والتحلات ، وعند كل زُلْفَةٍ يزدلفونها ؛ فأما وهم وقوف فإن ذلك من الفشل والجبن ، وليذكروا الله في أنفسهم ويسألوه نصرهم وإعزازهم ، وليكثرُوا من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، اللهم أنصرنا على عدوك وعدونا الباغي ، وآكفنا شوكته المستحقة ، وأيدنا بملائكتك الغاليين ، وأعصمنا بعونك من الفشل والعجز إنك أرحم الراحمين .

وليكن في معسكرك المكبرون في الليل والنهار قبل المواقعة ، وقوم موقفون يحضونهم على القتال ويحرضونهم على عدوهم ، ويصفنون لهم منازل الشهداء وثوابهم ،

وَيَذْكُرُونَهُمُ الْجَنَّةَ وَدَرَجَاتِهَا وَيُنْعِمُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَهْلُهَا وَسُكَّانُهَا، وَيَقُولُونَ : أَذْكُرُوا اللَّهَ يَذْكُرْكُمْ ،
وَأَسْتَنْصِرُوهُ يَنْصُرْكُمْ ، وَآلَتَجِئُوا إِلَيْهِ يَمُنْعَكُمْ . وَإِنْ أَسْطَعْتَ أَنْ تَكُونَ أَنْتَ الْمُبَاشِرَ
لَتَعِبْتَهُ جُنْدُكَ ، وَوَضَعَهُمْ مَوَاضِعَهُمْ مِنْ رَأْيِكَ ، وَمَعَكَ رَجُلٌ مِنْ ثِقَاتِ قُرْسَانِكَ ،
ذُووِ سِنٍّ وَتَجْرِبَةٍ وَنَجْدَةٍ عَلَى التَّعَبَةِ الَّتِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَاصِفُهَا لَكَ فِي آخِرِ كِتَابِكَ ،
فَأَفْعَلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

أَيُّدِكَ اللَّهُ بِالنَّصْرِ ، وَغَلَبَ لَكَ عَلَى الْقُوَّةِ ، وَأَعَانَكَ عَلَى الرَّشْدِ ، وَعَصَمَكَ مِنَ
الزَّيْغِ ، وَأَوْجَبَ لِمَنْ أَسْتَشْهَدَ مَعَكَ ثَوَابَ الشُّهَدَاءِ وَمَنَازِلَ الْأَصْفِيَاءِ ، وَالسَّلَامُ
عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

وكتب سنة تسع وعشرين ومائة .

الطرف الثالث

(فيما كان يُكْتَبُ عَنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ بَبْغَدَادَ إِلَى حِينَ أَنْقَرَضَ

الخلافة العباسية من بغداد)

وهو على أربعة أنواع :

النوع الأول

(ما كان يُكْتَبُ لَوُزَرَاءِ الْخِلاَفَةِ)

وكان رسمهم فيه أن يَفْتَحَ بلفظ « أما بعدُ فالحمد لله » وَيُوقَى فِيهِ بِثَلَاثِ
تَحْمِيدَاتٍ ، وَرَبْمَا اقْتَصِرَ عَلَى تَحْمِيدَةٍ وَاحِدَةٍ . وَعَلَى ذَلِكَ كَانَتْ تَهَالِيدُ وَزَرَائِهِمْ مِنْ
أَرْبَابِ السُّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ .

وهذه نسخة تقليدٍ من ذلك كتب بها العلاء بن موصلايا ، عن القائم بأمر الله ،
للوزير خرد الدولة بن جَهِير ، في شهور سنة آئنتين وسبعين وأربعمائة ، وهو :

أما بعدُ ، فالحمد لله ذي الآلاءِ الصافيةِ المواردِ ، والنعماءِ الصادقةِ الشواهدِ ،
والطُّولِ الجامعِ شَمَلِ أسبابِ المنحِ الشَّواردِ ؛ ذي القُدرةِ المصرفةِ على حُكْمِها مجارى
القَدَرِ ، والمشيئةِ الحاليةِ بالنِّفاذِ فى حَالَتِى الوردِ والصِّدَرِ ؛ المِذَلِّ بِجِمْيلِ صُنْعِهِ أَعْنَاقَ
المَصْاعِبِ ، المَدِيمِ بِكَرِيمِ لُطْفِهِ من أمتدادِ ذَوَائِبِ النَّوَائِبِ ؛ الذى جَلَّ عن إدراكِ
صِفَاتِهِ بعدُ أَوْحَدٌ ، ودَلَّ بِيَاهِرِ آيَاتِهِ على كونه القَرَدِ الوَلَّى بِكُلِّ شُكْرٍ وحمدٍ ؛ سبحانه
وتعالى عما يَصِفُونَ .

والحمد لله الذى أَخَصَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرَّسَالَةِ واجْتَبَاهُ ، وَحَبَّاهُ
بِالْكَرَامَةِ بِمَا أَشْرَقَ لَهُ مَطْلَعُ الْجَلَالِ ، وَأَخْتَارَهُ وَبَعَثَهُ لِإِظْهَارِ كَلِمَةِ الْحَقِّ بعد أن
مَدَّ الضَّالُّ رُوقَهُ ؛ فلم يَزَلْ يَأْعِزُّ الشَّرْعَ قائمًا ، ولساعاتِ زَمَانِهِ فى طَلَبِ رِضَا
اللهِ قَاسِمًا ؛ لا يَنْحَرِفُ عن مَقَاصِدِ الصَّوَابِ ولا يَمِيلُ ، ولا يُغْلِي مَطَايَا جِدِّهِ فى تَقْوِيَةِ
الَّذِينَ مِمَّا يُتَابِعُ فِيهِ الرِّسِيمَ وَالذَّمِيلَ ، إلى أنْ أزالَ عن القُلُوبِ صَدَأَ الشُّكُوكِ وَجَلَا ،
وَأَجْلَى مَسْعَاهُ عن كُلِّ ما أودَعَ نُفُوسَ أَحْلَافِ البَاطِلِ وَجَلَا ؛ وَمَضَى وقد أَضَاءَ
لِلْإِيمَانِ هَلَالُ أَمْنٍ سِرَّارُهُ ، وَأَنْتَضَى لِإِبَادَةِ الشَّرِّ حُسَامًا لا يَنْبُوقُ غِرَارُهُ ؛
فَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ ، وَأَصْحَابِهِ الْمُنْتَخَبِينَ ؛ صَلَاةً يَتَّصِلُ الْأَصِيلُ فِيهَا
بِالْعُدُوِّ ، وَتَرَى قِيَمَتَهَا فى الْأَجْرَوافَةِ الْعُلُوِّ وَالْعُلُوِّ .

والحمد لله الذى أَصَارَ إلى أمير المؤمنين من إرثِ النُّبُوَّةِ ما هو أَحَقُّ بِهِ وَأَوْلَى ،
وَأَنَارَ لَهُ من مَطَالِعِ الْعِزِّ ما أَسْدَى بِهِ كُلَّ نِعْمَةٍ وَأَوْلَى ؛ وَأَحَلَّهُ من شَرَفِ الْإِمَامَةِ

بِحَيْثُ عَنَتْ لَطَاعَتَهُ أَعْنَاقُ الرَّقَابِ الصَّعَابِ ، وَأَذَعَتْ لَهُ الْقُلُوبُ بِالْأَنْطَوَاءِ عَلَى
الْوَلَاءِ الْفَسِيحِ الرَّحَابِ وَالشَّعَابِ ؛ وَجَعَلَ أَيَّامَهُ بِالنَّضَارَةِ أَهْلَةَ الْمَغَانِي ، مُتَقَابِلَةً
أَسْمَاؤُهَا فِي الْحُسْنِ بِالْمَغَانِي ؛ فَمَا يَجْرِي فِيهَا إِلَّا مَا الصَّوَابُ فِي فِعْلِهِ كَامِنٌ ، وَالْحَظُّ
يَأْتِيهِاجُ سُبُلِهِ كَاتِنٌ ؛ إِبَانَةً عَنْ اقْتِرَانِ الرَّشْدِ بَعِزَائِهِ فِي حَالَتِي الْعَقْدِ وَالْحَلِّ ، وَاقْتِرَابِ
مَرَامِ كُلِّ مَا يَحُلُّ مِنَ الصَّلَاحِ فِي الدَّهْرِ أَفْضَلَ الْحَلِّ .

ثم إنه يرى من إقرار الحقوق في نصابها ، وإمرار جبال التوفيق في جانبها من
الأطباع الممتدة إلى اغتصابها ؛ ما يُعْرِبُ عن الإِهْتِدَاءِ إِلَى طُرُقِ الرَّشْدِ ، وَالِإِقْتِدَاءِ
بِمَنْ وَجَدَ ضَالَّةَ الْمَرَادِ حِينَ تَشَدُّ ؛ وَيَقْصِدُ مِنْ تَجْدِيدِ الْعَوَارِفِ ، عِنْدَ كُلِّ عَالَمٍ بِقَدْرِهَا
فِي الزَّمَانِ عَارِفٌ ؛ مَا يَحُلُوجُنِي ثَمَرُهُ فِي كُلِّ أَوَانٍ ، وَيَحْدُو أَنْشَارُ خَبَرِهِ عَلَى إِعَانَةِ كُلِّ
فَكْرٍ فِي وَصْفِهِ عُتُونٌ ؛ فَيَتَنَاوَلُ الرُّوَاةُ ذَكَرَ ذَلِكَ غَوْرًا وَتَجَدُّ ، وَتَلْقَى إِلَهُمُ الْعَلِيَّةُ
أَدْخَارَ الْجَمَالِ بِهِ أَنْفَعَ مِنْ كُلِّ قِنِيَّةٍ وَأَجْدَى ؛ اسْتِمْرَارًا عَلَى شَاكِلَةِ تَحَلَّتْ بِالكَرَمِ ، وَحَلَّتْ
مِنَ الْجَلَالِ فِي الْقَلَلِ وَالْقِمَمِ ، وَحَلَّتْ آثَارَهَا فِي إِيْلَاءِ نَفِيسِ الْمَنْحِ وَجَزِيلِ الْقِسَمِ .

ولما غَدَا مَنْصِبُ الْوِزَارَةِ مَوْقُوفًا عَلَى الَّذِينَ طَالَمَا جَزَّوْا بِهِمَّهِمْ نَوَاصِي الْخُطُوبِ ،
وَحَازُوا بِذِمَّتِهِمُ الْمَنَالَ فِي مَقَاصِدِ اسْتَشْهَدُوا بِهَا عَلَى إِحْرَازِ كُلِّ فَضِيلَةٍ وَأَسْتَدْلَوْا ؛
وَكَفُّوا بِكَفَايَتِهِمْ أَكْغَفَ الْفَسَادِ وَرَدُّوْا ، وَحَازُوا الْفَعَالَ فِي كُلِّ مَاسَعَوْا لَهُ وَجَدُّوْا ؛
وَحَلَا الزَّمَانُ مِمَّنْ يَنْهَضُ بَعْبُ هَذَا الْأَمْرِ الْجَسِيمِ ، وَتُصَيِّغُ أَنْبَاؤُهُ فِيهِ ذَكِيَّةَ الْأَرَجِ
وَالنَّسِيمِ - لَمْ يَبْقَ غَيْرُكَ مَنْ يَسْتَحِقُّ التَّخْيِيمَ فِي عِرَاصِهِ ، وَالتَّحْكِيمَ فِي آجِتِنَاءِ الْفَعْرِ
مِنْهُ وَأَسْتِخْلَاصِهِ ؛ وَكَانَ الْقَدَرُ سَبَقَ بِإِفْصَالِكَ عَنْ خِدْمَةِ لَالْضَعْفِ سِرِّيهِ ،
وَلَا لِقُوَّةَ جَرِيهِ ، وَلَا لِكُدْرٍ سِيرِهِ ؛ وَكَيْفَ وَأَنْتَ الْمُتَفَرِّدُ بِالْكَمَالِ ، وَالْمُتَجَرِّدُ فِي كُلِّ

(١) لعله في صيانتها .

(٢) أى يبعث ويسوق أنشأرا الخ .

مقام سلم حَدِّ تَقَرُّبِكَ فِيهِ مِنْ حَادِثِ الْكَلَالِ ؛ وَلَكَ فِي الدَّوْلَةِ الْحَقُوقُ الَّتِي أُعْتَدَتْ
لَكَ مِنْ وَقَعِ الْإِسْتِرَادَةِ بِحَسَبِهَا ، وَالْمَوَاقِفُ الَّتِي أُعْتَدَتْ مِنْ دِرَّةِ الْإِحْمَادِ بِمَا أَيْنَ الظُّرُّ^(١)
لَهَا وَأَنَا ، وَالْمَقَاصِدُ الَّتِي أُعْدِمْتُ مِنْكَ الْبَدَلُ ، وَلَا أَنْحَرَفُ لَكَ مِنْهَا مَسْعَى عَنْ مَنَاجِ
الْإِصَابَةِ وَلَا عَدَلَ ؛ وَتَمَكَّنْتُ فِيهَا مِنْ عِنَانِ التَّوْفِيقِ بِمَا لَا يُجَارَى سَيْفُكَ فِيهِ قَطْ ،
وَلَا يُحَسِّنُ لَهُ حَالِ الْمَسْرَى إِلَيْهِ الْمَحَظُّ ؛ وَالْآثَارُ الَّتِي أَنْارْتُ مِنْ كَوَّامِنِ الرِّضَا أَفْضَلَ
مَا يُذْنَرُ وَيُقْتَنَى ، وَأَنْارْتُ مِنْ دَلَائِلِ الزُّلْفَى مَا يُتَجَزَّ بِهِ وَعَدُّ الْمُنَى وَيُقْتَضَى ؛ لَكِنْ
كَانَ ذَلِكَ مَسْطُورًا فِي الْكِتَابِ ، وَلِيَتَبَيَّنَ أَنَّهُ لَا عِوَضَ عَنْكَ فِي الْإِسْتِحْقَاقِ لِلْأَمْرِ
وَالِاسْتِجَابِ ؛ لَمْ يُوجَدْ لِهَذِهِ الرِّثْبَةِ كُفُوًا سِوَاكَ ، وَلَا يُزَيِّهَهَا عَنْ الْعَطْلِ غَيْرُ رَائِقِ
حِلَاكَ ؛ فَرَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَسْلِيمَ مَقَالِيدِهَا إِلَيْكَ إِذْ كُنْتَ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ، وَمَنْ
يَجْمَعُ بَعْدَ الشَّتَاتِ شَمْلَهَا ؛ فَطَوَّقَكَ مِنْ قَلَائِدِهَا مَا هُوَ بِأَعْطَافِكَ الْأَصَقِ ، وَبِتَّمَامِ أَوْصَافِكَ
أَلْبَقِ : لَتَدَّرِعَ مِنْ عِزِّ الْوِزَارَةِ جَلْبَابًا لَا تُخْلِقُ الْأَيَّامُ لَهُ جِدَّةً ؛ وَلَا تَزَالُ السُّعُودُ
بِمَا يَسْتُولُ إِلَى دَوَامِ مُدَّتِهِ مَمْتَدَّةً ؛ وَتَرْتَضِعَ مِنْ لَبَانِ خِلَالِهَا مَا يَقْضِي لَكَ بِأَنْ تَقِفَ
نَفْسَهَا عَلَيْكَ ، وَتَقِفَ آمَالُ الْأَمْثَالِ دُونَ مَا أَتَتْهُ الْغَايَةُ فِيهِ إِلَيْكَ ؛ وَتَعْتَمِدَ فِيمَا عَدَقَهُ
بِكَ مِنْهَا وَنَاطَهُ ، وَوَقَّالَكَ فِيهِ حَقُوقَ النَّظَرِ وَأَشْتِرَاطَهُ ؛ بِحِكْمِ تَوَحُّدَتِ فِي إِحْرَازِ أَدَوَاتِهَا
الَّتِي لَا يَبْلُغُ أَحَدٌ لَكَ مِنْهَا مَدًى ، وَلَمْ يَمُدَّ طَامِعٌ إِلَى مَسَاجِلَتِكَ فِيهَا يَدًا - مَا يُرِضِي اللَّهَ
تَعَالَى وَيُرِضِيهِ ، وَيُحْصَى ذِكْرُكَ بِالطَّيِّبِ وَيَحِيطُهُ فَتُفُوزُ فَوْزًا كَبِيرًا ، وَتُعِيدُ السَّاعِيَّ
فِي إِدْرَاكِ شَاوُكَ ظَالِمًا حَسِيرًا .

ثُمَّ إِنَّهُ شَفَعَ هَذِهِ الْمِنْحَةَ الَّتِي قَصَصَكَ بِمَجَاسِدِ نَخْرَهَا بِالْوُجُوبِ ، وَعَوَّضَكَ فِيهَا الدَّهْرُ
بِحَادِثِ الْبُشْرِ عَنْ سَابِقِ الْقُطُوبِ - بِإِيصَالِكَ إِلَى حَضْرَتِهِ ، وَإِدْنَائِكَ مِنْ سُدَّتِهِ ؛
وَمُنَاجَاتِكَ بِمَا يُتَّبَعُ لَكَ أَمْتِطَاءُ غَارِبِ الْمَجْدِ وَصَهْوَتُهُ ، وَالْإِحْتَوَاءُ عَلَى خَالِصِ السَّعْدِ

(١) لعل الصواب أن يقال شرب الرجل حتى أنون أى امتلا .

وصَفْوَتِهِ ؛ وَجَبَّائِكَ مِنْ صُنُوفِ التَّشْرِيفَاتِ الَّتِي تَرُوقُ حِلْيَ خِلَالِهَا ، وَتُتَوَقُّ الْآمَالُ
إِلَى إِدْرَاكِهَا وَمَنَاحِلِهَا ؛ وَصَفَتْ الْكَرَامَاتُ الَّتِي وَقَّتْ الْمُنَى بِهَا بَعْدَ مَطَالِهَا ، وَنَفَتْ
الْقَدَى عَنْ مُقَلِّ مَغْضُوضَةٍ بِسُوءِ فِعَالِ الْإِيَّامِ وَمَقَالِهَا ؛ بِمَا يُوْطِئُ عَقَبَكِ الرِّجَالُ ،
وَيُضَيِّقُ عَلَى مَنْ يُحَاوِلُ مُجَارَاتِكَ الْمَسْرَحَ وَالْمَجَالَ ؛ وَلَمْ يَقْتَنِعْ بِذَلِكَ فِي حَقِّ النَّعْمَى الَّتِي
أَعْدَاكَ فِيهَا عَلَى الْغَيْرِ ، وَأَعْدَاكَ مِنْهَا فِي ظِلٍّ مِنَ الْأَمْنِ الْبَادِي الْأَوْضَاحِ وَالْغُرُبِ ؛
حَتَّى أَلْحَقَ بِسِمَاتِكَ «تَاجَ الْوُزَرَاءِ» تَتْوِيهَا بِذِكْرِكَ فِي الزَّمَانِ ، وَتَتِيهَا عَلَى اخْتِصَاصِكَ
لَدَيْهِ بِوَجَاهَةِ الرَّتَبَةِ وَالْمَكَانِ ؛ فَصَارَ مَكْرُوهَ الْأُمُورِ فِي مَحَبُّوبِهَا سَبَبًا ، وَخَبَتْ نَارُ كُلِّ
مَنْ سَعَى فِي تَفْصِيلِ النِّظَامِ وَجِيفًا وَخَبِيَا ، حَتَّى الْآمِلُونَ أَنْ يَجْعَلُوا تَحْتَ الْخِلَافَةِ^(١)
زِمْنًا ، وَتُصْبِحَ رِبَاعُهُ بَعْدَ النَّصَارَةِ دِمْنًا ؛ لِيُعْقِبَهُمْ ذَاكَ نَيْلَ مَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ الْإِمْضَاءُ (؟)
لِهَذَا الْعَزْمِ . وَبِالْجُمْلَةِ فَالْسَّامَةُ وَاقِعَةٌ مِنْ تَتَابُعِ هَذِهِ الشَّكَاوَى ، وَقَدْ كَانَ الْأَحَبُّ أَنْ
لَا يُضْمَنَ الْكُتُبَ النَّافِذَةَ سِوَى تَعَهُّدِ الْأَنْبَاءِ ، لَا زَالَ عَرَفُهَا أَرْجًا مِنْ سَائِرِ الْأَرْجَاءِ
وَالنَّوَاحِي . لَكِنْ تَأْتِي مُجَارَى الْأَقْدَارِ ، وَدَوَاعِي الْإِضْطِرَارِ ، إِلَى مَا يَرْتَقِي مَاءَ الْإِرَادَةِ^(٢)
وَالْإِثَارِ ؛ وَالْآنَ فَقَدْ بَلَغَ الْمَاءُ ، وَجَلَبَ مِنْ عَدَمِ الصَّبْرِ الْحِنَاءَ ؛ وَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ هِزَّةٍ
دِينِيَّةٍ مِنْكَ تَكْشِفُ بِهَا هَذِهِ الْمَعْرَةَ ، وَتُخَفِّفُ مِنْهَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا يُتِمُّ لَدَيْهِ أَكْمَلَ
الْمَسْرَةِ ؛ فَقَمِّ فِي ذَلِكَ مَقَامَ مِثْلِكَ - وَإِنْ كَانَ لَا نَظِيرَ لَكَ يُوجَدُ - نَحْظُ بِمَا يُمَضَى
لَكَ فِيهِ آسْتَحْقَاقَ كُلِّ الْحَمْدِ وَيُوجِبُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة تقليد من ذلك ، كتب بها عن المسترشد - فيما أظن - لبعض
وُزَرَائِهِ ، وَهِيَ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُنْفَرِدِ بِكِبَرِيَّاتِهِ ، الْمُتَنَفِّضِ عَلَى أَوَّلِيَّاتِهِ ؛ مُجْزِلِ النِّعَمَاءِ ،
وَكَاشِفِ النِّعَمَاءِ ؛ وَمُسْبِغِ الْعَطَاءِ ، وَمُسْبِلِ الْغِطَاءِ ؛ وَمُسْنِي الْحَبَاءِ ، وَمُسْدِي الْآلَاءِ ؛

(١) فِي الْأَصْلِ الْخِطَاةُ وَلَا مَعْنَى لَهُ . (٢) لَعَلَّهُ بِمَا يَرْتَقِي .

الذى لا يثوده الأعباء ، ولا يكيده الأعداء ، ولا تبلغه الأهوام ، ولا تُحيط به الأفهام ، ولا تُدرّكه الأبصار ، ولا تُخَيِّله الأفكار ، ولا تُهزِّمه الأعوامُ بتواليها ، ولا تُعجزه الخطوبُ إذا أذهمت ليا ليها ، عالم هو أجس الفكر ، وخالق كل شيء بقدر ، مصرف الأقدار على مشيئته وتجزئها ، ومانح مواهبه من أخصى بيد الشكر يمتريها ، حمداً يصوب حياته ، ويعذب جناته ، وتهلل أسرة الإخلاص من مطاويه ، ويستدعى المزيد من آلائه ويقتضيه .

والحمد لله الذى استخلص محمداً صلى الله عليه وسلم من زكي الأَصْلَاب ، وانتخبه من أشرف الأنساب ، وبعثه إلى الخليقة رسولا ، وجعله إلى منهج النجاة دليلا ، وفدو الشرك بورد لدل وقضاه (١) وشهر غضب العزِّ وانتفضاه ، والأُمم عن طاعة الرحمن عازفه ، وعلى عبادة الأوثان عاكفه ، فلم يزل بأمر ربّه صادعا ، وعن التمسك بعرا الضلال الواهية وازعا ، وإلى ركوب محجة الهدى داعيا ، وعلى قدم الاجتهاد فى إبادة الغواية ساعيا ، حتى أصبح وجه الحق منيرا مشرقا ، وعُوده بعد الذبول أخضر مورقا ، ومضى الباطل مولى أذاره ، ومستصحباً تنبيهه وبواره ، وقضى صلى الله عليه وسلم بعد أن مهد من الإيمان قواعده ، وأحكم أساسه ووطائده ، وأوضح سبل الفوز لمن اقتفاهها ، ولحب طريقها بعد مادّثت صواها ، فصلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، وصحبه الأكرمين ، صلاة متصلا سح غمامها ، مسفرا صبح دوامها .
والحمد لله على أن حاز لأئير المؤمنين من إرث النبوة ما هو أجدر بجزارة مجده ، وأولى بقبض عده ، ووطأ له من الخلافة المعظمة مهادا أحفرته نحوه حوافز أرتياحه ، وجذبته إليه أزيمة راعه والتياحه ، إلى أن أدرك من ذلك مناه ، وألقى الاستقرار الذى لا يريم عصاه ، وعصّد دولته بالتأييد من سائر أنحائه ومراميه ،

(١) كذا فى الأصول على هذه الصورة ولم نهند إلى تحقيقه .

وأعراضه ومغازيه ؛ حتى فاقَتِ الدُّولَ المتقادمةَ إشرافاً ، وأعطتها الحوادثُ من التغيرِ عهداً وفيّاً وميثاقاً ؛ وأضحتْ أيامه - أدامها الله - حاليةً بالعدلِ أجيادها ، جاليةً في مبادئِ النُّصرةِ جِيادها ؛ وراح الظُّلمُ دارسةً أطلاله ، مقلّصاً سرباله ، قد أنجمَ سحابه ، وزُمتْ للرحلةِ ركابُه ؛ فما يستمرُّ منها أمرٌ إلا كان صُنْعُ الله سبحانه مؤيِّده ، والتوفيقُ مصاحبَه أثى يَمِّ ومُسَدِّده ؛ وهو يستوزعه - جلَّتْ عظمته - شُكْرُ هذه النعمة ، ويستريذه بالتحدثِ بها من آلائه الجمَّة ؛ ويستمدُّ منه المعونةَ في كلِّ أربِ قصده وأمه ، وشحذَ لا تحائِه عزمه ؛ وما توفيقه إلا بالله عليه يتوكَّل وإليه يُنِيب .

ولما كانتِ الوزارةُ قُطْبَ الأمور الذي عليه مدارُها ، وإليه إيرادُها وعنه إصدارُها ؛ وخلا منصبُها من كافٍ يكونُ له أهلاً ، وينظِمُ من شماله شَملاً ، أجالَ أميرُ المؤمنينَ فيمن يَخْتَارُ [لذ] لك فكره ، وأنعمَ [النظر] لأهل الإصطفاءِ لهذه المنزلةِ حتى صرَّحَ مخضُّ رأيه عن زُبدةِ اختيارِك ، وهداه صائبُ تديره إلى اقتراحِك وإيثارك ؛ وألقى إليك بالمقاليدِ ، وعوَّلَ في دولتهِ القاهرةِ على تديريك السَّديدِ ؛ وناطَ بك من أمرِ الوزارةِ ما لم يُلَفِّ له سِوَاكَ مستحقاً ، ولا لنسيمِ استيجابهِ مسترقاً ؛ علماً بما تُبديهِ كفايتك المشهورة ، وإيالتك المخبورة ؛ من تقويمِ ما أعجزَ مِيادُه ، وإصلاحِ ما استشرى فساده ؛ وأستقامةِ كلِّ حالٍ وهى عِمادُها ، وأصلتِ على كثرةِ الاقتداحِ زنادُها ؛ وتبَّتْ لما تبسَّم عنه الأيامُ من آثارِ نظركِ المُعربةِ عن آحتوائك على دلائلِ الجزالةِ ، وأستيلائك على تخاليلِ الأصالةِ ؛ اللذين تُنالُ بهما غاياتُ المعالي ، وتُفرَّعُ الدُّرى والأعلى .

ثم إنَّ أميرَ المؤمنينَ بمقتضى هذه الدَّعاوى اللازمه ، وحرُماتِ جدِّك وأبيك السالفةِ المتقاهِ ؛ التي استحصَدتْ في الدارِ العزيزةِ قُوى أمراسِها ، وأدنتْ منك

الآن ثَمَرَةٌ غَرِيبَةٌ ، رَأَى أَنْ يُشِيدَ هَذِهِ الْعَارِفَةُ الَّتِي تَأْتِجُ لَدَيْكَ نَسِيمُهَا ، وَبَدَتْ عَلَى أَعْنَاقِ نَحْرِكَ رُسُومُهَا ، وَجَادَتْ رَبَاعَكَ شَائِبُهَا ، وَضَفَّتْ عَلَيْكَ جَلَابِيبُهَا ، بِمَا يَزِيدُ أَزْرَكَ اشْتِدَادًا ، وَبَاعَ أَمْلِكَ طُولًا وَآمِدَادًا ، فَأَذْنَاكَ مِنْ شَرِيفِ حَضْرَتِهِ مُنَاجِيًا ، وَمَنَحَكَ مِنْ مَرَايَا الْأَيَّامِ مَا يُكْسِبُكَ ذِكْرًا فِي الْأَعْقَابِ سَارِيًا ، وَعَلَى الْأَحْقَابِ بَاقِيًا ، وَأَفَاضَ عَلَيْكَ مِنَ الْمَلَابِيسِ الْفَاحِرَةِ مَا حَزَّتْ بِهِ أَوْصَافُ الْجَمَالِ ، وَجَمَعَ لَكَ أَبَادِيَةَ الْأَمَالِ ، وَقَلَّدَكَ وَحْصَلُ (١) بَدَاوَهُ ، وَأَمْطَاكَ صَهْوَةَ سَاحِجِ يُسَاوِي الرِّيَّاحِ سَبَقًا ، وَوَسَمَكَ بِكَذَا وَكَذَا فِي ضَمَنِ التَّاهِيلِ لِلتَّكْنِيَةِ ، إِبَانَةً عَنْ جَمِيلِ مَعْتَقَدِهِ فَيْكَ ، وَرَعَايَةِ لُوسَائِلِكَ الْمُحْكَمَةِ الْمَرَاتِرِ وَأَوَاخِيكَ .

وَأَمْرَكَ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ أَحْصَنُ الْمَعَاقِلِ ، وَأَعْدَبُ الْمَنَاهِلِ ، وَأَنْفَعُ الذِّخَائِرِ ، يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ، وَأَنْ تَسْتَشِيرَهَا فِيمَا تُبْدِيهِ وَتُخْفِيهِ ، وَتَذَرُهُ وَتَأْتِيهِ : فَإِنَّهَا أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ وَأَوْجِبُهَا ، وَأَوْضَحُ الْمَسَالِكِ إِلَى الْفَوْزِ بِرِضَا اللَّهِ وَالْحَبْأِ ، وَأَجْلِبُ الْأَشْيَاءَ لِلْسَّعَادَةِ الْبَاقِيَةِ ، وَأَجْنَاهَا لِقُطُوفِ الْجَنَانِ الدَّانِيَةِ ، عَالِمًا بِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ نَفْعٍ تَتَكَمَّلُ أَقْسَامُهُ ، وَتَنْتَفِعُ عَنْ نَوْرِ الصَّلَاحِ الْجَامِعِ أَكْمَامُهُ ، قَالَ اللَّهُ جَلَّتْ أَلَاؤُهُ ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ . وَقَالَ تَعَالَى حَاضًّا عَلَى تَقْوَاهُ ، وَغَيْرًا عَمَّا خَصَّ بِهِ مَتَّقِيهِ وَحَبَّاهُ ، وَكَفَى بِذَلِكَ دَاعِيًا إِلَيْهَا ، وَبَاعِثًا عَلَيْهَا : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

وَأَمْرَكَ أَنْ تَتَوَحَّى الْمَقَاصِدَ السَّلِيمَةَ وَتَأْتِيَهَا ، وَتَتَوَخَّ الْمَوَارِدَ الْوَحِيمَةَ وَتَجْتَنِبَهَا ، وَأَنْ تُتَّبِعَ بِالْحَزْمِ أَفْعَالَكَ ، وَتَجْعَلَ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى إِمَامَكَ الَّذِي تَهْتَدِي بِهِ وَمِثَالَكَ ، وَأَنْ تُكَفِّ مِنْ نَفْسِكَ عِنْدَ جَمَاحِهَا وَإِبَائِهَا ، وَتَصُدَّهَا عَنْ مَتَابَعَةِ أَهْوَائِهَا ، وَتُبْنِي عِنْدَ اخْتِدَامِ سَوْرَةِ الْغَضَبِ عِنَانَهَا ، وَتُسْعِرَهَا مِنْ حَيْدِ الْخِلَاقِ مَا يُوَافِقُ إِسْرَارَهَا فِيهِ

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ وَالْمُرَادُ أَنَّهُ أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِخُلعةٍ وَسَيْفٍ وَجَوَادٍ . تَأَمَّلْ .

إعلانها : فإنها لم تزل إلى مثزلة السوء المُرْدِيَةِ دَاعِيَةً ، وعن سُلوِك مَنَاجِجِ الْخَيْرِ الْمُنْجِيَةِ نَاهِيَةً ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَرَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

وأمرَك أن تُتَخَيَّرَ لخدمته بين يَدَيْكَ من بَلَوَاتِ أَخْبَارِهِ ، وَاسْتَشْفَقْتَ أَسْرَارَهُ ، فَعَلِمْتَهُ جَامِعًا أَدْوَاتِ الْكِفَايَةِ ، مَوْسُومًا بِالْأَمَانَةِ وَالْدَّرَايَةِ ، قَدْ عَمَرَ كُنْهَ رَحَا التَّجَارِبِ عَمَرَكَ الثَّقَالِ ، وَحَلَبَ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ عَلَى تَصَارِيفِ الْأَحْوَالِ : لِيَكُونَ أَمْرُ مَا يُؤَلَّاهُ عَلَى مَنَهِجِ الْأَسْقَامَةِ جَارِيًا ، وَعَنْ مَلَايِسِ الْخَلَلِ وَالْأَرْتِيَابِ عَارِيًا ، فَلَا يَضَعُ فِي مَرْزَلَةٍ قَدَمًا ، وَلَا يَأْتِي مَا يَقْرَعُ سِنِّهُ لِأَجَلِهِ نَدَمًا ، وَأَنْ تَمْنَحَ رَعَايَا أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَشَرِكَ مَا يَعْقِلُ شَوَارِدَ الْأَهْوَاءِ ، وَيَلْوِي إِلَيْكَ بِأَعْنَاقٍ نَوَافِرِهَا اللَّائِي أَعْتَصَمْنَ بِالْجَمَاحِ وَالْإِبَاءِ ، مَازَجًا ذَلِكَ بِشِدَّةٍ تَسْتَوِي حُمِيًّا رَهْبَتَهَا عَلَى الْقُلُوبِ ، وَتَقُلُّ مَرْهَقَاتُ بَاسِهَا صَرْفَ الْخُطُوبِ ، مِنْ غَيْرِ إِفْرَاطٍ فِي آسْتَدَامَةِ ذَلِكَ يَضِيقُ نِظَامُهَا بِهِ ، وَيُغْرِِيهَا اتِّصَالُهُ بِاسْتِشْعَارِ وَغَرِ الْخَطَا وَاسْتِيطَاءِ مَرَكِبِهِ .

وأمرَك أن تُعَذِّبَ مَوْرِدَ الْإِحْسَانِ لِمَنْ أَحْدَثَ بَلَاءَهُ ، وَتَحَقَّقْتَ غَنَاءَهُ ، وَاسْتَحْسَنْتَ أَثَرَهُ ، وَارْتَضَيْتَ عِيَانَهُ وَخَبَرَهُ ، وَتُسَدِّلَ أَشْمَالَ الْهَوَانِ عَلَى مَنْ بَلَوْتَ فَعْلَهُ ذِمِّيًّا ، وَأَلْفَيْتَهُ بِعِرَاصِ الْإِسَاءَةِ مُقِيمًا ، وَإِلَى رِبَاعِهَا الْمَوْحِشَةِ مُسْتَأْنِسًا مُسْتَدِيمًا ، كَيْلًا لِكُلِّ أَمْرِيٍّ بِصَاحِهِ ، وَاتِّبَاعًا لِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِاتِّبَاعِهِ ، وَتَجَنُّبًا لِلْإِهْمَالِ الْجَاعِلِ الْمُحْسِنَ وَالْمُسِيءَ سَوَاءً ، وَالْمُعِيدَ هِمَا فِي مَوْقِفِ الْجَزَاءِ أَكْفَاءً ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَرْهِيدًا لَدَوَى الْحُسْنَى فِي الْإِحْسَانِ ، وَتَتَابُعًا لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ فِي الْعُدْوَانِ ، وَلَوْلَا مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَى أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ إِجْبَابِ الْحُجَّةِ ، وَالْفَكَالِكَ مِنْ رِبْقَةِ الْأَجْتِهَادِ بِلَاغِ الْمَعْنَاهِ ، لَنُتِيَ عَنَانَ الْإِطَالَةِ مُقْتَصِرًا ، وَأَكْتَفَى بِبَعْضِ الْقَوْلِ مَخْصِرًا ، ثَقَّةً بِامْتِنَاعِ سَدَادِكَ وَنُهَاكَ ،

أَنْ يَرَاكَ صَوَابُ الْفِعْلِ حَيْثُ نَهَاكَ ؛ وَاسْتِنَامَةٌ إِلَى مَا خَوَّلَكَ اللَّهُ مِنَ الرَّأْيِ الثَّاقِبِ ،
 الْمُطَّلِعِ مِنْ خِصَائِصِ الْبَدِيهَةِ عَلَى مُحْتَاجِ الْعَوَاقِبِ . فَأَرْتَبْتُ يَافْلَانَ هَذِهِ النُّعْمَى
 الَّتِي جَادَتْ دِيْمَهَا مَغَانِيكَ ، وَحَقَّقَتْ الْأَيَّامُ بِمَكَاتِبِهَا أَمَانِيكَ ؛ بِشُكْرِي نَطِقُ بِهِ لِسَانُ
 الْإِعْتِرَافِ ، فَيُؤْمِنُ وَحِشِي النَّعْمَ مِنَ النَّفَارِ وَالْإِنْحِرَافِ ؛ وَأَسْلُكَ فِي جَمَالِ السَّيْرِ ،
 وَالْإِقْتِدَاءِ بِهَذِهِ الْأَوَامِرِ الْمُبَيَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ ، جَدِّدًا يُغْرِى بِجَمْدِكَ الْأَلْسِنَةَ ، وَيُعْرِبُ عَنْ
 كَوْنِكَ مِنَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ؛ وَاللَّهُ يَصَدِّقُ تَحِيْلَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 فِيكَ ، وَيُوزِعُكَ شُكْرًا مَا أَوْلَاكَ وَيُؤَلِّسُكَ ؛ وَيَجْعَلُ الصَّوَابَ غَرَضًا لِنَيْلِ عِزِّهِ ،
 وَيَذُودُ عَنْ دَوْلَتِهِ الْقَاهِرَةِ كَاتِبَ الْخُطُوبِ بِصَوَارِمِ السَّعْدِ وَلَهَازِمِهِ ؛ وَيَصِلُ أَيَّامَهُ
 الزَّاهِرَةَ بِالْخُلُودِ ، وَيَسُطُّ عَلَى أَفَاصِي الْأَرْضِ ظِلَّهُ الْمُدُودِ ؛ مَا أَسْتَهْلَ جَفْنَ الْغَيْثِ
 الْمُدْرَارِ ، وَابْتَسَمْتَ تُغُورُ الثُّوَارِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

النوع الثاني

(مما كان يكتب لأرباب الوظائف من ديوان الخلافة ببغداد ما كان يُكْتَبُ
 لأرباب الوظائف من أصحاب السيوف ، وهو على ضربين)

الضرب الأول

(العهود ، وهي أعلاها رتبة)

وطريقتهم فيها أَنْ تُفْتَحَ بلفظ : « هَذَا مَا عَاهِدَ عَبْدُ اللَّهِ وَوَلِيُّهُ فُلَانٌ أَبُو فُلَانٍ
 الْإِمَامُ الْفُلَانِيُّ إِلَى فُلَانِ الْفُلَانِيِّ حِينَ عَرَفَ مِنْهُ » وَيَذْكُرُ بَعْضُ مَنَاقِبِهِ ، وَرُبَّمَا
 تَعْرِضُ لِنِشَاءِ سُلْطَانِ دَوْلَتِهِ عَلَيْهِ . ثُمَّ يَقَالُ : « فَقَلَّدَهُ كَذَا وَكَذَا » ثُمَّ يَقَالُ : « وَأَمْرَهُ
 بِكَذَا » وَيَأْتِي بِمَا يُنَاسِبُ مِنَ الْوَصَايَا . ثُمَّ يَقَالُ : « فَقَلَّدَهُ كَذَا وَكَذَا » ثُمَّ يَقَالُ :

«هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك، وَحُجَّتُهُ عَلَيْكَ» أو نحو ذلك ؛ ولا يُؤْتَى فيه بتحميد في أول العهد ولا في أشائه كما تقدم في عهود الخلفاء للولك .

عهد أرباب السيوف

(وهي عدة ولايات)

منها — النظر في المظالم .

وهذه نسخة عهد كتب به أبو إسحاق الصابى ، عن المطيع لله ، إلى الحسين بن موسى العلوى ، بتقليد المظالم بمدينة السلام ، وهى :

هذا ما عهد عبد الله الفضل الإمام المطيع لله أمير المؤمنين ، إلى الحسين بن موسى العلوى ، حين اجتمع فيه شرف الأعراق ، والأخلاق ؛ وتكامل فيه يمن النقائب ، والضرائب ؛ وعرف أمير المؤمنين فيه فضل الكفاية والغناء ، ورشاد المقاصد والأنحاء ؛ فى سالف ما ولّاه إياه من أعماله الثقيلة التى لم يزل فيها محمود المقام ، مستمرا على النظام ؛ مُصِيبَ النَّقْضِ والإبرام ، سديد الإساءة والإلحام ؛ زائداً على المرّادين ، راجحاً على الموازين ؛ فائتاً للحاذين ، مُبراً على المباينين ؛ فقلده النظر فى المظالم بمدينة السلام وسواها وأعمالها ، وما يتجرى معها ؛ ثقة بعلمه ودينه ، وأعتاداً على بصيرته ويقينه ؛ وسكوناً إلى أن الأيام قد زادت تحليماً وتهذيباً ، والسّن قد تاهت به تحنيكا وتجريباً ؛ وأن صنيعة أمير المؤمنين^(١) مستقرة منه عند أكرم أكفائها ، وأشرف أوليائها ؛ برحمه المتأ الدانية ، وحرمة الشايحة العالیه ، ومنعرفته الثاقبة الداعية إلى التفويض إليه ، الباعثة على التعويل عليه ؛ وأمير المؤمنين يستمد

الله في ذلك أحسن ماعوده من هداية وتسدید، ومعونة وتأیید، وما توفيقه إلا بالله عليه يتوكل وإليه يُنب .

أمره بتقوى الله التي هي الجنة الحَصِينة ، والعِصمة المَئِينة ؛ والسبب المتصل يوم انقطاع الأسباب ، والزيادة المبلغ إلى دار الثواب ؛ وأن يستشعرها فيما يُسرّ ويُعلن ، ويعتمدها فيما يُظهر ويُبطن ؛ ويعملها إمامه الذي يَحْجُوهُ ، ورائده الذي يَقْفُوهُ ؛ إذ هي شِمة الأبرار والأخيار . وكان أولى من تعلق بعلائقها ، وتمسك بوثائقها ؛ لمفخره الكريم ، ومنصبه الصميم ؛ واستظلاله مع أمير المؤمنين بدوحة رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله - التي يَكْتُمَانِ في فَنَائِهَا ، ويَأْوِيَانِ إلى أَفْيَائِهَا ؛ وحقيق على من كان منها مَزْعُهُ ، وإليها مَرَجِعُهُ ؛ أن يكون طيباً زكياً ، طاهراً نقيّاً ، غفياً في قوله وفعله ، نظيفاً في سرّه وجهره ؛ قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ .

وأمره بتلاوة القرآن ، وتأمل ما فيه من البرهان ، وأن يجعله نصباً لناظره ، ومألفاً لناظره ؛ فأخذ به ويعطى ، ويأتمر له ويتبهي ؛ فإنه الحجة الواضحة ، والمحجة اللائحة ؛ والمعجزة الباهرة ، والبينة العادلة ؛ والدليل الذي من أتبعه سلم ونجا ، ومن صدّف عنه هلك وهوى ؛ قال الله عز من قائل : ﴿ وَإِنَّهُ لِكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

وأمره أن يجلس للخصوم جلوساً عامّاً ، ويُقبل عليهم إقبالاً تامّاً ؛ ويتصفح ما يُرفع إليه من ظلماتهم ، ويُنعم النظر في أسباب مُحَادَاتِهِمْ ؛ فما كان طريقه طريق المنازعة المتعلقة بنظر القضاة وشهادات العدول رده إلى المتولى للحكم ، وما كان طريقه الغُصوب المحتاج فيها إلى الكشف والفحص ، والاستشفاف والبحث ؛

نظر فيه نظرَ صاحبِ المظالم ، وانتزع الحقَّ من غصبِ عليه ، واستخلصه ممن أمتدت له يدُ التعدي والتغرر إليه ؛ وأعادته إلى مستحقِّه ، وأقره عند مستوجبِه ؛ غيرَ مراقبٍ كبيراً لكبره ، ولا خاصاً لخصوصه ، ولا شريفاً لشرفه ، ولا متسلطناً لسلطانه ؛ بل يقدمُ أمرَ الله جلَّ ذكره في كلِّ ما يأتِي ويَذَرُ ، ويتوخى رضاه فيما يُورِدُ ويُصدِرُ ؛ ويكونُ على الضعيفِ المحقِّ حَدياً رؤوفاً حتى يَتَصَرَّ ويتَصِفَ ، وعلى القويِّ المَبْطِلِ شديداً غليظاً حتى يَتَقَادَ وَيُدْعِرَ ؛ قال الله جل وعز : ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ .

وأمره أن يَفْتَحَ بابه ، وَيَسْهَلَ حجابَه ، وَيَسُطَّ وجهَه ، وَيُلِينَ كَنَفَه ؛ وَيَصِيرَ على الخُصُومِ الناقِصِينَ في بَيَانِهِمْ حتى تَظْهَرُ حُجَّتُهُمْ ؛ وَيُنِيمَ النظرَ في أقوالِ أَهْلِ اللِّسَنِ والِبَيَانِ منهم حتى يَعْلَمَ مُصِيبَهُمْ ؛ فربَّما اسْتَظْهَرَ العَرِضُ المَبْطِلُ بفضْلِ بَيَانِهِ ، على العاجزِ المحقِّ لِمَعَى لسانه ؛ وهناك يجبُ أن يَقَعَ التَصَفُّحُ على التَّوَلِّينِ ، والاستظهارُ للأمرين : لِيُؤْمَنَ أن يُزُولَ الحقُّ عن سَنَنِهِ ، وَيُزَوَّرَ الحكمُ عن طَرِيقِهِ ؛ قال الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِثَالِهِ فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ .

وأمره بأن لا يَرُدَّ للقضاةِ حُكْمَ مِمْنُونِهِ ، ولا سِحْلاً يُفْنِدُونَهُ ؛ ولا يُعَقِّبَ ذلك بفسخٍ ، ولا يُطَرِّقَ عليه التقضُ ؛ بل يكونُ لهم موافقاً مُؤَاوِراً ، ولأحكامهم عاضداً ناصراً ؛ إذ كان الحقُّ واحداً وإن اختلفتِ المذاهبُ إليه . فإذا وَجَدَ القِصَّةَ قد سَيِّقَتْ ، والحكومةَ قد وَقَعَتْ ؛ فليس هناك شَكٌّ يوقِفُ عنده ، ولا رَيْبٌ يُتَحَاج

إلى الكشف عنه ؛ وإذا وجد الأمر مشتبهًا ، والحق ملتبسًا ؛ والتغرر مستعملًا ،
 والتغلب مستجازًا ، نظر فيه نظر الناصر لحق المحقين ، الداحض لباطل المبطلين ؛
 المقوى لا يندى المستضعفين ، الآخذ على أيدي المعتدين ؛ قال الله عز وجل :
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ
 وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا
 أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝

وأمره أن يستظهر على معرفته بمشاورة القضاة والفُقهاء ، ومباحثة الرُبَّانين
 والعلماء ؛ فإن أشتبَه عليه أمر استرشدَهم ، وإن عُرِب عنه صواب استدلَّ عليه
 بهم ؛ فإنهم أزيمة الأحكام ، وإليه مرجع الحُكَّام ؛ وإذا اقتدى بهم في المشكلات ،
 وعمل بأقوالهم في المُعضلات ؛ أمن من زلَّة العائز ، وغلطة المستائر ؛ وكان خَلِيقًا
 بالأصالة في رأيه ، والإصَابَةِ في أبحاثه ؛ وقد أمر الله - تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ - بالمشاورة
 فعَرَفَ النَّاسَ فَضْلَهَا ، وَأَسْلَكَهُمْ سُبُلَهَا ؛ بقوله لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله :
 ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ۝

وأمره أن يكتب لمن تَوَجَّبَ له حَقٌّ من الحقوق إلى صاحب الكُوفَةِ بالشَّد
 على يده والتكُنَّ له منه ، وقَبْضَ الأيْدِي عن مُنَازَعَتِهِ ، وَحَسَمَ الأَطْطَاعَ في مُعَارَضَتِهِ ؛
 إذ هو مُنْدُوبٌ لِنَفْيِذِ أَحْكَامِهِ ، وَمَأْمُورٌ بِإِمْضَاءِ قَضَايَاهُ ؛ ومَنَى أخذ أحد من
 الخِصُوم إلى مَكَاذِبِهِ في حَقِّ قَدْ حُكِّمَ عَلَيْهِ بِهِ ، أَخَذَ عَلَى يَدِهِ وَكَفَّهُ عَنْ عُذْوَانِهِ ، وَرَدَّهُ
 إِلَى حُكْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يُعَدَّلُ عَنْهُ ؛ قال الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ
 فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝

هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك ، وَحَجَّته عليك ؛ قد أُرشدَكَ وَذَكَرَكَ ، وَهَدَاكَ
وَبَصَّرَكَ ؛ فَكُنْ إِلَيْهِ مُتَّبِعًا ، وَبِهِ مُقْتَدِيًا ؛ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ يُعِزَّكَ ، وَاسْتَكْفِهِ يَكْفِكَ .
وكتب الناصح أبو الطاهر في تاريخ كذا .



ومنها — نِقَابَةُ الطَّالِبِينَ : وهى المعبر عنها الآن بِنِقَابَةِ الْأَشْرَافِ .

وهذه نسخة عهد نِقَابَةِ الطَّالِبِينَ ، كتب به أبو إسحاق الصابى ، عن الطائع لله
إلى الشريف أبى الحسن محمد بن الحسين العلوى الموصى ، مضافاً إليها النظرُ
فى المساجد وعمارِتها ، واستخلافه لوالده الشريف أبى أحمد الحسين بن موسى على
النظر فى المظالم والحج بالناس ، فى سنة ثمانين وثلثمائة ، وهى :

هذا ما عهد عبدُ الله عبدُ الكريم ، الإمامُ الطائعُ لله أميرُ المؤمنين ، إلى محمد بن
الحسين بن موسى العلوى ، حين وصلته به الأنساب ، وقرئت لديه الأسباب ^(١) ؛
وظهرت دلائلُ عقله ولبابته ، ووضحت مخايلُ فضله ونجابته ؛ ومهد له بهاءُ الدولة
وضياءُ الملة أبو نصر بن عضد الدولة مامهد عند أمير المؤمنين من المحلِّ المكين ،
ووصفه به من الحلم الرزين ؛ وأشار به من رفع المترلة ، وتقديم الرتبة ؛ والتأهيل
لولاية الأعمال ، وتحمل الأعباء والأثقال ؛ وحيث رغبه فيه ، سابقة الحسين أبيه ،
فى الخدمة والنصيحة ، والمشايعة الصَّحيحة ؛ والمواقف المحموده ، والمقامات
المشهوده ؛ التى طابت بها أخباره ، وحسنت فيها آثاره ؛ وكان محمد متخلِّقاً بخلائقه ،
وذاهباً على طرائقه : علماً وديانة ، وورعاً وصيانة ؛ وعفةً وأمانة ، وشهامةً وصرامة ؛

(١) فى " المثل السائر " ص ١٢٢ « وتأكدت له الأسباب » .

وتَفَرَّدًا بِالْحِظِّ الْحَزِيلِ : من الفضل الجميل والأدب الجزل ، والتوجه في الأهل ؛ والإيفاء في المناقب على لداته وأترابه ، والإبرار على قُرَّانته وأضرابه - فقلده ما كان داخلًا في أعمال أبيه من نقابة ثقباء الطالبين بمدينة السلام وسائر الأعمال والأمصار ؛ شرقًا وغربًا ، وبعدا وقربًا ؛ واختصه بذلك جذبًا بضبعه ، وإنافة بقدره ، وقضاء لحقِّ رحمه ؛ وترفيها لأبيه ، وإسعافه لبيثاره فيه ؛ إلى ما أمر أمير المؤمنين باستخلافه عليه من النظر في المظالم ، وتسيير الحجيج في أوان المواسم ؛ والله يُعرف أمير المؤمنين الحيرة فيما أمر ودبر ، وحسن العاقبة فيما قضى وأمضى ؛ وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه يُنب .

أمره بتقوى الله التي هي شعار المؤمنين ، وسيمًا للصالحين ، وعِصْمَةُ عِبَادِ اللَّهِ أجمعين ؛ وأن يعتقدها سرًا وجهرًا ، ويعتمدها قولًا وفعلًا ؛ فيأخذ بها ويعطي ، ويريش ويرى ؛ ويأتي ويذر ، ويورد ويصدر ؛ فإنها السبب المتين ، والمعقل الحصين ؛ والزاد النافع يوم الحساب ، والمسلك المفضي إلى دار الثواب ؛ وقد حصَّ الله أوليائه عليها ، وهداهم في مُحْكَمِ كِتَابِهِ إِلَيْهَا ؛ فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

وأمره بتلاوة كتاب الله سبحانه مواظبًا ، وتصفُّحه مداومًا مُلَازِمًا ؛ والرجوع إلى أحكامه فيما أحلَّ وحَرَّمَ ، ونَقَضَ وأَبْرَمَ ، وأَنَابَ وعَاقَبَ [وباعد وقارب] ؛ فقد صحَّح الله بُرْهَانَهُ [وُحُجَّتَهُ] ، وأَوْضَحَ مِنْجَاةَ وَمَحِجَّتَهُ ؛ وجعله جُفْرًا في الظلمات طَالِعًا ، ونُورًا في المُشْكَلَاتِ سَاطِعًا ؛ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ نَجَا وَسَلِمَ ، وَمَنْ عَدَلَ عَنْهُ هَلَكَ وَهَوَى

(١) في "المثل السائر" بدله «ويسروينوى» .

(٢) الزيادة من "المثل السائر" .

[وَنَدِمَ] . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

وأمره بتزيره نفسه عما تدعو إليه الشهوات ، وتطلع إليه التزوات ؛ وأن يضبطها ضبط الحكيم ، ويكفها كف الحليم ؛ ويجعل عقله سلطاناً عليها ، وتميزه أمراً ناهياً لها ؛ فلا يجعل لها عدراً إلى صبوة ولا هفوة ، ولا يطلق منها عناناً عند ثورة ولا فورة ؛ فإنها أماراة بالسوء ، منصبة إلى النقي ؛ فالحازم يهتمها عند تحرك وطره وأربه ، وأهتياج غيظه وغضبه ؛ ولا يدع أن يغضها بالشكيم ، ويعركها عرك الأديم ؛ ويقودها إلى مصالحها بالخزائم ، ويعتقلها عن مقارفة المحارم والمآثم ؛ كما يعز بتذليلها وتأديبها ، ويجل برياضتها وتقويمها ؛ والمفترط في أمره تطمع به إذا طمحت ، ويحج معها أئى جمحت ؛ ولا يلبث أن توردته حيث لا صدر ، وتلجته إلى أن يعتذر ؛ وتقيمه مقام النادم الواجم ، وتتكب به سيدل الراشد السالم ؛ وأحق من تحلى بالمحاسن ، وتصدى لاكتساب المحامد ؛ من ضرب بمثل سهمه في نسب أمير المؤمنين الشريف ، ومنصبه المنيف ؛ واجتمع معه في دؤابة العثرة الطاهره ، واستظل بأوراق الدوحة الفانحه ؛ فذاك الذى نتضاعف له المآثر إن أثرها ، والمثالب إن أسف إليها ؛ ولا سيما من كان مندوباً لسياسة غيره ، وممرئها للتقليد على أهله ؛ إذ ليس ينفي بإصلاح من ولى عليه ، من لا ينى بإصلاح ما بين جنبه ؛ وكان من أعظم الهجنة أن يأمر ولا يأتمر ، ويزجر ولا يزدجر ؛ قال الله عز وجل : ﴿ أَمَّا مَرُؤُ النَّاسِ بِالرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

وأمره بتصفّح أحوال من وُلّي عليهم واستقرأ مذهبهم ، والبحث عن بواطنهم ودخائلهم ؛ وأن يعرف لمن تقدّمت قدمه منهم وتظاهر فضله فيهم منزله ، ويوقّيه حقّه ورُتبته ، وينتهي في إكرام جماعتهم إلى الحدود التي تُوجبها أنسابهم وأقدارهم ، وتقتضيها مواقفهم وأخطارهم : فإن ذلك يلزمه لشئيين : أحدهما يخصّه وهو النسب الذي بينه وبينهم ، والآخريعمه والمسلمين جميعاً ، وهو قول الله جلّ ثناؤه : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ فالموَدّة لهم والإعظام لأكارهم ، والإشبال على أصاغرهم ؛ [واجب] متضاعف الوجوب عليه ، ومتأكّد اللزوم له ؛ ومن كان منهم في دُون تلك الطّبقَة من أحداثٍ لم يَحْتَنِكُوا ، أو جُدعانٍ لم يقرحوا ؛ مُجَرَّينَ إلى ما يُزَيَّرُ بأنسابهم ويَقْضَى من أحسابهم ، عدّ لهم ونَبَهُم ، ونَهَاهم ووعظهم ؛ فإن زَعَوْا وأَقْلَعُوا فذاك المراد بهم ، والمقصود إليه فيهم ؛ وإن أَصْرُوا وثَابَعُوا ، أَنَاهُمْ من العقوبة بقدر ما يَكْفُفُ وَيَدْعُ ؛ فإن نَفَعَ وإلا تجاوزوه إلى ما يُوجَعُ ويلدَعُ ؛ من غير تطرُق لأعراضهم ، ولا آتِهائِك لأحسابهم ؛ فإن الغرض منه الصّيانة ، لا الإهانة ؛ والإدالة ، لا الإدالة . وإذا وجبت عليهم الحقوق ، أو تعلّقت بهم دواعي الخُصُوم ، قَادَهُم إلى الإغفاء بما يصح منها ويحب ، والخروج إلى سَنَنِ الحق فيما يَسْتَبِيهِ وَيَلْتَبِسُ . ومتى لَزِمَتْهُمُ الحدودُ أقامها عليهم بحسب ما أمر الله به فيها ، بعد أن ثَبُتَ الجرائمُ وَتَصَحَّحَ ، وَتَبَيَّنَ وَتَضَحَّى ؛ وَتَجَرَّدَ عَنِ الشَّكِّ وَالشُّبْهِ ، وَتَحَلَّى مِنَ الظَّنِّ وَالتَّمَنُّهِ ؛ فَإِنَّ الَّذِي يُسْتَحَبُّ فِي حُدُودِ اللَّهِ أَنْ تُدْرَأَ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ مَعَ نُقْصَانِ الْيَقِينِ وَالصَّحَّةِ ، وَأَنْ تُخْفَى عَلَيْهِمْ مَعَ قِيَامِ الدَّلِيلِ وَالْبَيِّنَةِ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

(١) الإشبال العطف وفي "المثل السائر" « والاشتغال » وهو بمعناه .

(٢) الزيادة عن "المثل السائر" .

وأمره بحياطة هذا النسب الأظهر، والشرف الأخر، عن أن يدعيه الأدياء،
أو يدخل فيه الدخلاء، ومن آتى إليه كاذبا، وأنتحل به باطلا، ولم يوجد له بيت
في الشجرة، ولا مصداق عند النسابين المهره، أوقع به من العقوبة ما يستحقه،
ووسمه بما يعلم به كذبه وفسقه، وشهره شهرة ينكشف بها غشه ولبسه، ويتزعم
بها غيره ممن تسؤل له مثل ذلك نفسه. وأن يخصن الفروج عن مناقحة من ليس لها
كفؤا، ولا مشاركتها في شرفها ونفرتها، حتى لا يطمع في المرأة الحسبية النسبية
إلا من كان مثلا لها مساويا، ونظيرا موازيا، فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

وأمره بمراعاة متبلى أهله ومتجديهم، وصلحاتهم ومجاورهم، وأراملهم
وأصاغرهم، حتى يسد الخلة من أحوالهم، ويدبر الموادع عليهم، وتتعدل أقساطهم
فيما يصل إليه من وجوه أموالهم، وأن يزوج الأيما، ويربي اليتامى، ويلزمهم
المكاتب ليتقنوا القرآن، ويعرفوا فرائض الإسلام والإيمان، ويتأدبوا بالآداب،
اللائقة بذوى الأخساب: فإن شرف الأعراق، محتاج إلى شرف الأخلاق، ولا حمد
لمن شرف نسبه، وتخف أدبه، إذ كان لم يكسب الفخر الحاصل له بفضل سعى
ولا طلب، ولا اجتهد ولا دأب، بل بضع من الله عز وجل له، ومزید في المنة
عليه، وبحسب ذاك لزوم ما يلزمه من شكره سبحانه على هذه العطية، والاعتداد
بما فيها من المزية، وإعمال النفس في حيازة الفضائل والمناقب، والترفع عن
الذائل والمثالب.

وأمره بإحمال الثبابة عن شيخه الحسين بن موسى فيما أمره أمير المؤمنين
باستخلافه عليه من النظر في المظالم، والأخذ للظلم من الظالم، وأن يجلس للترافعين

إليه جُلُوساً عاماً ، ويتأَمَّل ظُلُمَاتِهِمْ تأَمُّلاً تاماً ؛ فما كان منها متعلّقاً بالحَاكِمِ رَدّه إليه ، ليَحْمِلَ الخُصُومَ عليه ؛ وما كان طَرِيقُهُ طَرِيقَ الغُشْمِ والظُّلْمِ ، والتَّغْلِبِ والغُصْبِ ، قَبِضَ عنه اليَدَ المُبْطِلَةَ ، وَثَبَّتَ فيه اليَدَ المُسْتَحِقَّةَ ؛ وَتَحَرَّى في قَضَايَاهُ أَنْ تَكُونَ مُوَافِقَةً لِلْعَدْلِ ، وَجَانِبِيَّةً لِلْعَدْلِ ؛ فَإِنَّ غَايَتِي الحَاكِمِ وَصَاحِبِ المَظَالِمِ وَاحِدَةٌ : وَهِيَ إِقَامَةُ الحَقِّ وَنُصْرَتُهُ ، وَإِبَانَتُهُ وَإِنَارَتُهُ ؛ وَإِنَّمَا يَخْتَلِفُ سَبِيلَاهُمَا فِي النَظَرِ : إِذَا الحَاكِمُ يَعْمَلُ عَلَى مَا ثَبَتَ وَظَهَرَ ، وَصَاحِبُ المَظَالِمِ يَفْحَصُ عَمَّا غَمَضَ وَأَسْتَرَّ ؛ وَلَيْسَ لَهُ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يَرُدَّ لِحَاكِمِ حُكُومِهِ ، وَلَا يُعَلِّ لَهُ قَضِيَّةً ؛ وَلَا يَتَعَقَّبَ مَا يُفِذُهُ وَيُخْصِيهِ ، وَلَا يَتَّبِعَ مَا يَحْكُمُ بِهِ وَيَقْضِيهِ ؛ وَاللَّهُ يَهْدِيهِ وَيُسَدِّدُهُ ، وَيُوقِّعُهُ وَيُرْشِدُهُ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَسِيرَ حَاجِجَ بَيْتِ اللَّهِ إِلَى مَقْصِدِهِمْ ، وَيُجِيبَهُمْ فِي بَدَائِهِمْ وَعَوْدَتِهِمْ ؛ وَيَرْتَبَهُمْ فِي مَسِيرِهِمْ وَمَسْلِكِهِمْ ، وَيُرَاعَهُمْ فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ ؛ حَتَّى لَا تَنَالَهُمْ شِدَّةٌ ، وَلَا تَصُلَّ إِلَيْهِمْ مَضَرَّةٌ ؛ وَأَنْ يُرِيحَهُمْ فِي الْمَنَازِلِ ، وَيُورِدَهُمُ الْمَنَآهِلَ ؛ وَيُنَاوِبَ بَيْنَهُمْ فِي النَّهْلِ وَالْعَلَلِ ، وَيُمَكِّنَهُمْ مِنَ الْإِرْتَوَاءِ وَالْإِكْتِفَاءِ ؛ مُجْتَهِدًا فِي الصِّيَانَةِ لَهُمْ ، وَمُعْذِرًا فِي الذَّبِّ عَنْهُمْ ؛ وَمُتَلَوِّمًا عَلَى مُتَأَخِّرِهِمْ وَمُتَخَلِّفِهِمْ ، وَمُنْهِيضًا لَضَعِيفِهِمْ وَمُهَيِّضِهِمْ ؛ فَإِنَّهُمْ حُجَّاجُ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، وَزُورَةُ قَبْرِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ قَدْ هَجَرُوا الْوَطَانَ ، وَفَارَقُوا الْأَهْلَ وَالْإِخْوَانَ ؛ وَتَجَشَّعُوا الْمَغَارِمَ الثَّقَالَ ، وَتَعَسَّفُوا السُّهُولَ وَالْحَبَالَ ؛ يَلْبُونَ دَعَاءَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَيُطِيعُونَ أَمْرَهُ وَيُؤَدُّونَ فَرْضَهُ وَيَرْجُونَ نَوَابَهُ ؛ وَحَقِيقٌ عَلَى الْمُسْلِمِ الْمُؤْمِنِ أَنْ يُحْرَسَهُمْ مَتَبَّرًا ، وَيُحَوِّطَهُمْ مَتَطَوُّعًا ؛ فَكَيْفَ مَنْ تَوَلَّى ذَلِكَ وَصَمِنَهُ ، وَتَقَلَّدَهُ وَأَعْتَقَهُ ، قَالَ اللَّهُ : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ .

وأمره أن يُراعى أمور المساجد بمدينة السلام وأطرافها ، وأقطارها وأكافها ؛
وأن ينحى أموال وقوفها ، ويستقصى جميع حقوقها ؛ وأن يلم شعنها ، ويسد خللها ؛
بما يتحصل من هذه الوجوه قبله ، حتى لا يتعطل رسم جرى فيها ، ولا تنقض عادة
كانت لها ؛ وأن يثبت اسم أمير المؤمنين على ما يعمره منها ، ويذكر اسمه بعده
بأن عمرانها جرى على يديه ، وصلاحتها أداها قول أمير المؤمنين إلى فعله ؛ فقد فسح له
أمير المؤمنين بذلك تنويهاً باسمه ، وإشادةً بذكره ؛ وأن يولى ذلك من قبله من حسنت
أمانته ، وظهرت عفته وصيانتته ؛ فقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ
مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ
أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ .

وأمره أن يستخلف على ما يرى الاستخلاف عليه من هذه الأعمال : في الأمصار
الدانية ، والبلاد القريبة والبعيدة ، من يثق به من صلحاء الرجال ، وذوى الوفاء
والاستقلال ؛ وأن يعهد إليهم مثل الذى عهد إليه ، ويعتمد عليهم فى مثل ما اعتمد
عليه ؛ ويستقرى مع ذلك آثارهم ، ويتعرف أخبارهم ؛ فمن وجده محموداً أقره
ولم يزله ، ومن وجده مذموماً صرفه ولم يمهله ؛ وأعتاض منه من ترجى الأمانة
عنده ، وتكون الثقة معهودةً منه ؛ وأن يختار لكتابته وحجته والتصرف فيما قرب
منه وبعد عنه ؛ من يزيته ولا يشينه ، وينصح له ولا يغشيه ، ويحمله ولا يهجنه ، من
الطبقة المعروفة بالظلف ، المتصونة عن اللطف ؛ ويجعل لهم من الأرزاق الكافية ،
والأجرة الوافية ، ما يصدّهم عن المكاسب الذميمة ، والمأكلي الوخيمة ؛ فليس تجب
عليهم الحجة إلا مع إعطاء الحاجة ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ
وَأَنْ سَعْيَهُ سَوْفَ يَرَىٰ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَىٰ ﴾ .

وأمره بأن يكتب لمن يقوم بيئته عنده وتكشف حجة له ، إلى أصحاب
المعان بالشدة على يديه ، وإيصال حقه إليه ؛ وحسم الطمع الكاذب فيه ،
وقبض اليد الظالمة عنه ؛ إذ هم مندوبون للتصرف بين أمره ونهيه ، والوقوف عند
رسمه وحده .

وهذا عهد أمير المؤمنين إليك ، وحجته لك وعليك ؛ قد أنار فيه سيالك ، وأوضح
دليلك ؛ وهداك وأرشدك ، وجعلك على بينة من أمرك ؛ فاعمل به ولا تخالفه ،
وأتته إليه ولا تتجاوز به ، وإن عرض لك أمر يعجزك الوفاء به ، ويشتبه عليك وجه
الخروج منه ، أنهيته إلى أمير المؤمنين مبادرا ، وكنت إلى ما يأمرك به صائرا ؛
إن شاء الله تعالى . وكتب في مستهل شعبان سنة ثمانين وثلثمائة .



ومنها - ولاية الصلاة .

وهذه نسخة عهد كتب بها أبو إسحاق الصابي عن الطائع لله ، لأبي الحرث
محمد بن موسى العلوي الموصى ، بتقليده الصلاة في جميع النواحي والأمصار
والأطراف ، وتوقف عن إظهاره لرأى رآه في ذلك ، وهي :

هذا ما عهد عبد الله إلى محمد بن موسى العلوي ، لما استكفاه النظر في نقابة
الطالبيين فكفاه ، وتحمل ذلك العبء فأغناه ، وفات النظراء في الاستقلال والوفاء ؛
وبدأ الأمثال في الإضطلاع والغناء ؛ جامعا إلى شرف الأحساب والأعراق ، شرف
الآداب والأخلاق ؛ وإلى كرائم المفاخر والمناقب ، مكارم الطبائع والضرائب ؛
على الحداثة من سننه ، والغضاضة من عوده ؛ مستوليا من البراعة والنجابه ؛ والفراهة
واللبابه ؛ على التي لا يبلغها الشيب المفارق ، فضلا عن البالغ المراهق ؛ وغايات

تَقَطِّعْ دُونَهَا أَنْفَاسُ الْمَنَافِسِينَ ، وَتَتَضَرَّمْ عَلَيْهَا أَحْشَاءُ الْحَاسِدِينَ ؛ لِأَسْمَاءٍ وَقَدْ أَطَلَّتْ^(١) بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ شَوَاجِنُ الْأَرْحَامِ ، وَعَظَفَتْهُ عَلَى أَصْطِنَاعِهِ عَوَاطِفُ الْآبَاءِ وَالْأَعْمَامِ ؛ وَأَقْتَضَتْ آثَارُهُ الْمَحْمُودَةَ ، وَطَرِائِقُهُ الرَّشِيدَةَ ؛ أَنْ يُنَاوِيَهُ عَلَى رُبَّةٍ لَمْ يَبْلُغْهَا أَحَدٌ مِنْ وَلَدِ أَبِيهِ ، وَلَمْ يَقْتَرَعْ ذَوَاتِهَا رَجُلٌ دُونَهُ ؛ فَقَلَّدَهُ الصَّلَاةَ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ فِي خَمْسَةِ جَوَامِعِهَا : فَأَوَّلُهَا الْجَامِعُ الدَّاخِلُ فِي حَرِيمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَجَامِعُ الرِّصَافَةِ ، وَجَامِعُ الْمَنْصُورِ ، وَجَامِعُ بُرَائِي ، وَجَامِعُ الْكَفِّ الَّذِي تَوَلَّى أَبُوهُ إِشَادَتَهُ وَعِمَارَتَهُ ، وَحُسْنُ آثَارِهِ فِي أَنْشَاءِهِ وَإِعْلَانِهِ ؛ وَحَيْثُ سَمَتْ هِمَّتُهُ إِلَيْهِ ، وَبَذَلَ الْمَجْهُودَ فِي إِنْتَاقِ الْأَمْوَالِ الدَّثَرَةِ عَلَيْهِ ؛ وَاسْتَزَلَّ بِذَلِكَ مِنْ اللَّهِ أَجَزَلَ لِمَا تَابَهُ الْمُتَشَائِينَ ، وَأَوْفَرَ أَجْرِ الْمَاجُورِينَ ؛ وَجَمِيعِ الْمَنَابِرِ فِي شَرْقِ الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا ، وَبَعِيدِ الْأَقْطَارِ وَقَرِيبِهَا ؛ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَسْأَلُ اللَّهَ حُسْنَ التَّسْهِيدِ فِي ذَلِكَ وَسَائِرِ مَرَامِيهِ ، وَجَمِيعِ مَطَالِبِهِ وَمَغَازِيهِ ؛ وَجَوَارِي هِمَمِهِ الَّتِي يُمِضُّهَا ، وَسَرَائِ عَزَمَاتِهِ الَّتِي يَنْوِيهَا ؛ وَأَنْ يَجْعَلَ النِّجَاحَ قَائِدَهَا وَسَائِقَهَا ، وَالصَّلَاحَ أَوَّلَهَا وَآخِرَهَا ؛ وَمَا تَوْفِيقُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ وَإِلَيْهِ يُنِيبُ .

أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ أَحَرُّ الْمَعَاقِلِ ، وَأَحْصَنُ الْجُنُنِ عِنْدَ النَّوَازِلِ ؛ وَأَعْظَمُ مَلْجَأٍ يُلْجَأُ إِلَيْهِ ، وَأَمْنٌ مَوْثَلٌ يُعَوَّلُ عَلَيْهِ ؛ وَأَنْ يَعْتَقِدَهَا فِي خَلْوَتِهِ وَحَقْلَتِهِ ، وَيَعْتَمِدَهَا فِي سِرِّهِ وَعِلَاقَتِهِ ؛ وَيَجْعَلَهَا سَبَبًا يَنْتَبِعُ ، وَلِبَاسًا يَدْرِعُهُ ؛ فَيُنَازِعُ بِهَا مَنْ نَازَعَهُ ، وَيُؤَادِعُ بِهَا مَنْ وَادَعَهُ : فَإِنَّهَا أَوْكَدُ الْأَسْبَابِ ، وَأَوْصَلُ الْقُرْبِ وَالْأَنْسَابِ . وَأَوَّلَى النَّاسِ بِالْتَّمَسْكِ بِحَبْلِهَا ، وَالْإِسْتِمَالِ بِظُلْمِهَا ؛ مَنْ كَانَ بِأَجَلٍ الْمُنَاسِبَ تَعَلَّقَهُ ، وَبِأَشْرَفِ الْخَلَائِقِ

(١) فِي الْقَامُوسِ « أَطَلَّتْ لَهُ رَحَى رَفَّتْ وَتَحَرَّكَتْ » فَانْظُرْهُ .

(٢) فِي اللِّسَانِ ج ٥ ص ٣٦٢ « الدَّثَرُ بِالْفَتْحِ الْمَالُ الْكَثِيرُ لَا يَنْتَبِي وَلَا يَجْمَعُ يُقَالُ مَالٌ دَثَرٌ وَمَالَانِ دَثَرٌ وَأَمْوَالٌ دَثَرٌ » فَلَمَّا هَاءُ التَّأْنِيثِ زَائِدَةٌ مِنْ قَلَمِ النَّاسِخِ . تَأَمَّلْ .

تَحْلُقُهُ ؛ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .

وأمره بتلاوة القرآن ، والمواظبة عليه والإدمان ، والأثمار بما فيه من الأوامر ، والأزديجار عما تَضُمَّن من الزواجر ؛ وأن يجعله الإمام المتَّبِع فيَقْفُوهُ ، والطريق المَهْمَج فيَقْصِدْهُ وَيُخَوِّهُ : فإنه العَلَمُ الْمُنْجِي من الغَوَايِهِ ، والدَلِيلُ الْقَائِدُ إِلَى الْهَدَايِهِ ؛ والنور الساطع للظلام إذا أَشْكَلَ مُشْكَل ، والحاكم القاضى بالحق إذا أُعْضِلَ مُعْضِل ؛ قَالَ اللَّهُ : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

وأمره بتَهْذِيبِ لُبِّهِ ، من جَوَامِجِ الْوَسَاوِسِ ، وتطهير قَلْبِهِ ، من مَطَاحِجِ الْهَوَاجِسِ ؛ وَأَنْ يَتَوَقَّى الْمَخْطَةَ الْعَارِمَةَ ، وَيَتَجَنَّبَ اللَّفْظَةَ الْمُؤْلِيَةَ ^(١) ؛ عَاصِيًا جَوَازِبَ الْخَلَاعَةِ ، وَمُطِيعًا أَوَامِرَ التَّزَاهَةِ ؛ حَتَّى يَسْتَوِيَ خَافِيهِ وَعَالِيُهُ ، وَيَتَّفَقَ ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ ؛ فِعَالٌ مِنْ جَعَلَهُ إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ إِمَامًا ، وَقَدَمَتَهُ الرِّعْيَةُ أَمَامًا ؛ وَكَانَ إِلَى اللَّهِ دَاعِيَا ، وَلَهُ عَنْ عِبَادِهِ مُنَاجِيَا ؛ وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ خَالِقِهِمْ وَسَيْطَا ، وَعَلَى مَا قَلَّدَهُ مِنَ الصَّلَاةِ بِهِمْ أَمِينَا ؛ لِتَصِحَّ شُرُوطُ صَلَاتِهِ ، وَيُقْبَلَ مَرْفُوعُ دَعَوَاتِهِ ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ .

وأمره بِالْمَحَافَظَةِ عَلَى الصَّلَوَاتِ ، وَاتِّهَازِ فُرْصَتِهَا مِنَ الْأَوْقَاتِ ؛ وَالدُّخُولِ فِيهَا بِالرَّقَّةِ وَالْخُشُوعِ ، وَالتَّوَفُّرِ بِالْإِخْبَاتِ وَالْخُضُوعِ ؛ وَحَقِيقُ عَلَى كُلِّ مُسْتَشْعِرٍ شِعَارَ الْإِسْلَامِ ، وَمُتَجَلِّبٍ جِلْبَابَ الْإِيمَانِ ، أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ مُسْتَوْفِيًا شُرُوطَهُ ، وَمُسْتَقْصِيًا حُدُودَهُ وَرُسُومَهُ ، فَكَيْفَ بِنِ أَقَامَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ [مقامه] فِي أَمْتِطَاءِ غَوَارِبِ الْمَنَابِرِ

(١) لعله من قولهم رجل عارم أى خبيث شرير .

وذرأها ، ونصبه منصبه في أمّ الرعية أذناها وأقصاها . قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ . وقال : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ .

وأمره بالسعي في الجمع إلى المساجد الجامعة ، وفي الأعياد إلى المصلّيات الضاحية ؛ وأن يخصّ أحدها بصلاته فيه وقصده له ؛ ويأمر خلفاءه على الصلاة بالافتراق في سائر الجوامع وباقي المنابر ؛ بعد الأمر بجمع المؤذنين والمكبرين ، وإحضار القوام والمرتين ، في أتم أهبة وأجمل هيئة ، بقلوب مستشعرة للخشوع ، متصدية للدموع ؛ وألسن بالتسبيح والتقديس منطلقة ، وآمال في حسن الجزاء وجريل الثواب منفسحة ، حتى تعبر ألسنتهم إذا أقرعوا الخطب وافتتحوا الكلام عن مكثون ضمائرهم ، ومضمون سرّائهم ؛ فتجىء المواعظ بالغة ، والزواجر ناجعة ؛ قال الله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .

وأمره بمراعاة المساجد ، وتعهد الجوامع ؛ وسدّ خللها ، ولمّ شعثها ؛ فإنها مقام عزّه ونفخره ، ومحاضر صيته وذكره ؛ ومراكز أعلام الدين الخافقه ، ومطالع شمس الإسلام الشارقه ؛ ومواقف الحق المشهوده ، وقواعد الإيمان الموطوده ؛ مما لا يتضعض أحدها إلا تضعض من أركان الإسلام له ركن ، ولا آلتات بعضها إلا آلتات من أعضاء الدين عضو ؛ قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ .

(١) جمع مقوم وفي اللسان « المقوم الخشبة التي يسكنها الحراث » ولعله يريد أنها آلات عزه ونفخره .

تأمل .

وأمره في خُطْبَتِهِ بِكَثْرَةِ التَّحْفُظِ ، وعندَ آفَتْاحِهِ وأخْتتامِهِ بِطُولِ التَّيَقُّظِ ؛
فإنَّ العُيُونَ به مُنَوِّطَةٌ ، والأَعْنَاقُ إِلَيْهِ مَمْدُودَةٌ ؛ والمَسَامِعُ فَارِغَةٌ تَتَلَقَّفُ ما يَقُولُهُ ،
والقُلُوبُ فَارِغَةٌ لِحَفْظِ ما يُبْدِي وما يُعِيدُ ؛ فقليلُ الزَّلَلِ ، في ذلكَ المَوْقِفِ كَثِيرُ ،
وصَغِيرُ الخَطَلِ ، في ذلكَ المَقامِ كَبِيرُ ؛ واللهُ تَعَالَى يُسَدِّدُهُ إلى المَحَجَّةِ الوُسطَى ،
ويَقِفُ به على الطَّرِيقَةِ المَثَلَى ، بِمَنِهِ .

وأمره بالسَّكِينَةِ في آتِنَصابِهِ لِلصَّلَاةِ الجَامِعَةِ ، وتَقَدُّمِهِ لِقضاءِ الفُرُوضِ اللَّازِمَةِ ؛
وأنَّ يَسْكُنَ [في كُلِّ] حَدٍّ من حُدُودِها في الرُّكُوعِ والسُّجُودِ ، والقِيامِ والقُعُودِ ؛
فإنَّهُ عليها مُحاسَبٌ ، وبِما يَلْحَقُ من يَأْتُمُّ بِهِ في جَميعِها مُطالَبٌ ؛ وأنَّ يُفَرِّغَ قَلْبَهُ
لِما يَتْلُوهُ مِنَ البَيانِ ، ويرفَعُ صَوْتَهُ بِما يَتَرَبَّه من قَوَارِعِ القُرْآنِ ؛ مَرَّتَلاً لِقِراءَتِهِ ،
وَمُسْتَرَسِلاً في تَلاوَتِهِ : لِيشْتَرِكَ في سَماعِها الأَقْرَبُ والأَقْصَى ، وَيَنْتَفِعَ بِمَواعِظِها
الأَبْعَدُ والأَدْنَى ، بَعْدَ إِخْلاصِ سِرِّهِ وأَتْراعِهِ ، وتَسْوِيَتِهِ في الطَّهَورِ بَيْنَ بَاديهِ
وِخافِهِ ، وغائِبِهِ وحاضِرِهِ ؛ فليسَ بالطَّاهِرِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى من يُصِيبُ بِالماءِ أَطرافَهُ ،
وأُدرْنَ بِالْجَبائِثِ شِغافَهُ ؛ قالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ
مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إلى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا البَيْعَ ﴾ . وقالَ : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ
عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ .

وأمره أن يُقيمَ الدَّعوةَ على منابرِ أَعمالِهِ القاصِيَةِ والدانِيَةِ والغائِبَةِ والحاضِرَةِ
لأُمَمِ المُؤْمِنِينَ ؛ ثمَّ لِلناهِضِ عَنهُ بالأَعْباءِ ، والقائمِ دُونَهُ في البِائِساءِ والضَّرَّاءِ ؛ الَّذِي
عُدِّي يَلِبانُ الطَّاعَةِ ، وأُتقَدَ بِزِمَامِ المَتابَعَةِ : بِهَاءِ الدَّولَةِ ؛ وَلِوَلَاةِ الأَعْمالِ من بَعْدِهِ
الَّذِينَ يُدْعَى لَهُمُ على المَنابِرِ ، ما يُكونُ مِنْها على العادَةِ الجاريةِ فيها ، فإنَّها دَعوةٌ تُلْزِمُ
إقامَتَها ، وكَلِمَةٌ تَجِبُ إِشادَتُها ؛ إِذْ كَانَتْ مُتَعَلِّقَةً بِطاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَقَدْ أَوْجَبَها اللَّهُ

تبارك وتعالى على كافة المسلمين وجميع المعاهدين، إذ يقول [وهو] اصدق القائلين :
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ؛ وعائدتُها
 نعمهم، وفائدتها تشملهم؛ إذ كان صلاح الرعية مقرونا بصلاح راعيها، وفسادُ
 الأئمة منوطا بفسادِ إليها .

وأمره باستخلاف من يرى استخلافه على الصلاة في الأفطار والأطراف والنواحي
 والبلدان ، وأن يختار من الرجال كل حسن البيان ؛ مضجع اللسان ؛ يليل الريق إذا
 خطب، بليغ القول إذا وعظ .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك، وحجته لك وعليك ؛ قد أعذر فيه وأنذر، وهدى
 من الضلالة وبصر ؛ وأعلقك زمام رشدك وغيك ، وقلدك عنان هلكك وفوزك ؛
 وخيرك في كلا الأمرين، ووفقك إزاء الطريقين ؛ فإن سلكت أهداهما لم تلبث أن
 تعود غائما، وإن ولجت أضللها فغير بعيد أن تشوب نادما ؛ وأستعين بالله يُعَنِّكَ ،
 وأسترده من الكفاية يزدك ؛ وأستليسه الهداية يلينك ، وأستدله على نجاح
 المطالب يذللك، إن شاء الله، والحمد لله وحده .

ومنها — نظر الأوقاف .

وهذه نسخة عهد من ذلك ، كتب بها أبو إسحاق الصابي عن الطائع لله -
 للحسين بن موسى العلوى ، وهى :

هذا ما عهد عبد الله عبد الكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين ، إلى الحسين بن
 موسى العلوى ، حين طابت منه العنصر، ووصلته بأمر المؤمنين الأواصر ؛ جمع
 إلى شرف الأعراق الذى ورثه، شرف الخلق الذى آكتسبه ؛ ووضعت آثار دينه

وأمانته ، وبانت أدلة فضله وكفايته ، في جميع ما أسنده أمير المؤمنين إليه من الأعمال ، وحمله إياه من الأثقال ؛ فأضاف إلى ما كان ولّاه من [ذلك] النظر في الوقوف التي كانت يد فلان فيها بالحضرة وسواها ، ثقة بسداده ، وسكونا إلى رشاده ؛ وعلمنا بأنه يعرف حق الصنيعه ، ويرعى ما يستحفظه من الوديعه ؛ ويجري في المنهل الذي أحده أمير المؤمنين منه ووكل إليه . والله يمد أمير المؤمنين بصواب الرأي فيما تحاه وتوحاه ، ويؤمنه في عاقبته الندم فيما قضاه وأمضاه ؛ وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه يُنب .

أمره بتقوى الله التي هي عماد الدين ، وشعار المؤمنين ، وأن يعتقدها في سره ونجواه ، ويعملها الذخيرة للأولاد وأخراه ؛ ويتجنب الموانع المونية ، ويتوقى الموارد المريبة ؛ وينص طرفه عن المطامع المغوية ، ويذهب بنفسه عن المطارح المخزية ؛ فإنه أحق من فعل ذلك وآثره ، وأولى من اعتمده واستشعره ؛ بنسبه الشريف ، ومفخره المنيف ؛ وعادته المشهورة ، وشاكلته الماثورة ؛ وتلاوة كتاب الله الذي هو وعرة رسول الله الثقلان المخلفان في الأمة ، وقد جمعته ، وأخرهما الأنساب وجمعه والثاني عصمة أولى الألباب ، وتوجهت حجة الله بما يرجع من هذه الفضائل إليه ، وأنه غضن من دوحة أمير المؤمنين ، التي تحدّاها الله بالإنذار قبل الخلائق أجمعين ؛ إذ يقول لرسوله محمد صلى الله عليه وعلى آله : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ . وقد حصّ تبارك وتعالى على التقوى ، ووعد عباده عليها الزلفى ؛ فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

وأمره بالإشتغال على ما أسنده إليه أمير المؤمنين من هذه الوقوف مستنفدا طوقه في عمارتها ، مستفرغا وسعته في مصلحتها ، دأباً في استغلالها وتشميرها ، مجتهداً

في تدبيرها وتوفيرها ؛ وأن يصرف فاضل كل وقف منها بعد الذي يُخرج منه للنفقة على حفظ أصله ، واستندار حبله ؛ والثبوت الراتب للقوام عليه ، والحفظ له ؛ إلى أربابه الذي يعود ذلك عليهم في وجوهها التي سبل لها ، ووقف عليها ؛ واضعاً جميع ذلك مواضعه ، موقعاً له مواقعها ؛ خارجاً إلى الله من الحق فيه ، مؤدياً الأمانة إليه ؛ وأن يشهد على القابضين بما يقضونه من وقوفهم ، ويكتب البرات عليهم بما يستوفونه من أموالهم ؛ ويستظهر لنفسه بإعداد الشواهد والأدلة على ما ينفعه من أموال هذه الوقوف على مصالحه ، ويصرفه منها إلى أهلها ؛ ويخرجه منها في حقوقها وأبواب ربها ، وسائر سبلها ووجوهها ؛ سالكاً في ذلك مذهب المعروف في أداء الأمانة ، واستعمال الطلّف والتزاه ؛ معقّباً على من كان ناظراً فيها من الخونة الذين لم يرعوا عهداً ، ولم يتصوّنوا عن سحت المطاعم ، وظلم المآثم .

وأمره باستكتاب كاتب معروف بالسداد ، مشهور بالرشاد ؛ معلوم منه نصيحة الأنصاف ، والضبط للحساب ؛ وتفويض ديوان الوقوف وتديره إليه ، وتوصيته بصيانة ما يستعمل عليه من أصول الأعمال وفروعها ، وقليل الحجج وكثيرها ؛ وأن يحتاط لأربابها في حفظ رؤسومها ومعاملاتها ، وحراسة طسوقها ومقاسماتها ؛ حتى لا يستمر عليها حيف يبق أثره ، ولا يتغير فيها رسم يُخاف ضرره ؛ وأن ينصف الأكرّة فيها والمزارعين ، وسائر المخالطين والمعاملين ؛ ولا يحشمهم حيفاً ، ولا يسومهم خسفاً ، ولا يقضي لهم عن حق ، ولا يسمح لهم بواجب ، خلا ما عادت السماحة به بزيادة عماراتهم ، وتأليف نياتهم ، واجتلاب الفائدة منهم والعائدة بهم ؛ فإنه مؤتمن في ذلك كله أمانة ، وعليه أن يؤديها ويخرج عن الحق فيها .

وأمره باختيار خازن حصيف ، قسوم أمين ؛ يخزن حجج هذه الوقوف وسجلاتّها ، وسائر دفاترها وحسباناتها ؛ فإنها ودائع أربابها عنده ، وواجب أن يحتاط عليها

جُهِدَهُ ، فَمَتَى شَكَّ فِي شَرْطٍ مِنَ الشُّرُوطِ ، أَوْ حَدَّ مِنَ الْحُدُودِ ، أَوْ عَارَضَ مُعَارِضَ ،
أَوْ شَاغَبَ مُشَاغِبَ ، فِي أَيَّامٍ نَظَرِهِ وَأَيَّامٍ مَنْ عَسَى أَنْ تُثَقِّلَ وَلَايَةُ هَذِهِ الْوُقُوفِ إِلَيْهِ ،
وَيُنَاطَ تَدْيِيرُهَا بِهِ ، دَفَعَ مَا يَمُحِّثُ مِنْ ذَلِكَ بِهِذِهِ الْحُجَجِ الَّتِي هِيَ مَعَارِفُ الْبُرْهَانِ ،
وَقَوَاعِدُ الْبُنْيَانِ ، وَإِلَيْهَا الْمَرْجِعُ فِي كُلِّ بِنَّةٍ تُنْصَرُ وَتُقَامُ ، وَشُبْهَةٌ تُدْحَضُ وَتُضَامُ .

هَذَا عَهْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ ، وَوَثِيقَتُهُ الْحَاصِلَةُ فِي يَدَيْكَ ، فَاتَّبِعْ آثَارَ أَوَامِرِهِ ،
وَأَزْدِجْ عَنْ نَوَاهِيهِ وَزَوَاجِرِهِ ، وَاسْتَمْسِكْ بِهِ تَتَجَّ وَتَسْلَمْ ، وَاعْمَلْ عَلَيْهِ تَقْزُ وَتَغْنَمْ ،
وَاسْتَرِشِدِ اللَّهَ يُرْشِدَكَ ، وَاسْتَهْدِ يَهْدِكَ ، وَاسْتَعِنْ بِهِ يَنْصُرَكَ ، وَفَوِّضْ إِلَيْهِ يَعْصِمَكَ ،
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الضرب الثاني

(مِمَّا يُكْتَبُ مِنْ دِيْوَانِ الْخِلَافَةِ لِأَرْبَابِ السُّيُوفِ النُّقَالِيدُ . وَهِيَ لِمَنْ دُونَ
أَرْبَابِ الْعُهُودِ فِي الرُّتَبَةِ ، وَلَيْسَ لَافْتِتَاحِهَا عَنْدهُمْ ضَابِطٌ)

وَهَذِهِ نَسْخَةُ تَقْلِيدٍ بِحِمَايَةِ الْكُوفَةِ ، لِأَبِي طَرِيفِ بْنِ عَلِيَّانِ الْعُقَيْلِيِّ ، مِنْ إِنْشَاءِ
أَبِي إِسْحَاقِ الصَّابِيِّ ، وَهِيَ :

قَدْ رَأَيْنَا تَقْلِيدَكَ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ - الْحِمَايَةَ بِالْكَوفَةِ وَأَعْمَالَهَا وَمَا يَجْرِي مَعَهَا
ثِقَةً بِشَهَامَتِكَ وَغَنَائِكَ ، وَسُكُونًا إِلَى أَسْتِقْلَالِكَ وَوَفَائِكَ ، وَاعْتِقَادًا لِأَصْطِنَاعِكَ
وَأَصْطِفَائِكَ ، وَحُسْنِ ظَنِّكَ فِي شُكْرٍ مَا يُسَدِّدُ إِلَيْكَ ، وَمُقَابَلَتِهِ بِمَا يَحِقُّ عَلَيْكَ ،
مِنْ الْأَثَرِ الْجَمِيلِ فِيمَا تُؤَلَّاهُ ، وَالْمَقَامِ الْحَمِيدِ فِيمَا تُسْتَكْفَاهُ ، فَتَوَلَّ - أَيْدِكَ اللَّهُ - ذَلِكَ
مَقْدَمًا تَقْوَى اللَّهَ وَمَرَاقِبَتَهُ ، وَمُسْتَمْدًا تَوْفِيقَهُ وَمُعَوْنَتَهُ . وَأَحْرُسِ الرِّعْيَةَ فِي مَسَافَتِهَا ،
وَالسَّابِلَةَ فِي مَسَالِكِهَا . وَأَدْفَعْ عَنْ عَمَلِكَ وَنَوَاحِيهِ أَهْلَ الْعَيْثِ جَمِيعًا ، وَأَطْلُبْهُمْ طَلَبًا

شديداً ، وأطرقهم في مكانهم ، وتَوَجَّحَ عليهم في مظانهم ؛ ونكَّلَ بمن تظفَّرَ به منهم
نكالا يُقيم به حُكْمَ الله عليهم ، وحُدودَه في أمثالهم ؛ وبالِغْ في ذلك مبالغةً تُخيف
الظَّالِمِينَ وتُوجِّسُهُ ، وتُؤمِّنُ السَّليم وتُؤنِّسُهُ . وراعى الأَكْرَعَ والمُزارعين حتى يَنْبَسِطُوا
في معاشِهِمْ ، ويتَصَرَّفُوا في مصالحِهِمْ ؛ وتيسَّرَ عوامِلُهُمْ في عِمَارَاتِهَا ، ومَواشِيهِمْ
في مَسَارِحِهَا ؛ ومتى طُرِدَتْ لأحدٍ منهم طريدةٌ أو امتدَّتْ إليهم يدٌ عاتيةٌ ، أرتجعتْ
ما أَخَذَ له ، وردَّدته بعينه أوقيةً مثله . وخَفَّفَ عن وُلَّتْ عليه الوطأة ، وأرْفَعَ
عنهم المِثْونَةَ والكُفَّة ؛ وحَذَمَ بالتناصُف ، وأقْبَضَهم عن التَّظالم ، وأَمْنَعَ قَويَّهم من
تَحْيِيفِ المَضعُوف ، وشرِّفَهُم من استِزَامَةِ المَشْرُوف ؛ وأَوَّلَهُم من عدلِكَ وحُسنِ
سِيرَتِكَ ، وأسْتَقَامَةِ طَرِيقَتِكَ ، ما يَتَّصِلُ عليه شُكْرُكَ ، وَيَطِيبُ به ذِكْرُكَ ؛ ويَقْتَضِي
لَكَ دَوَامَ الْوِلايَةِ ، وتَضَاعُفَ الْعِنايَةِ .

وَأَعْلَمُ بِأَنَّكَ فِيمَا وُلِّيْتَهُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مُتَضَمِّنٌ لِلْمَالِ وَالْدَّمِ ، وَمَأْخُوذٌ بِكُلِّ
مَا يَهْمُكَ مِنْ ذِمَّةٍ وَمَغْرَمٍ ؛ فليكن أَجْتِهَادُكَ فِي الضَّبْطِ وَالْحِمَايَةِ ، وَاحْتِرَاسُكَ مِنَ
الْإِهْمَالِ وَالْإِضَاعَةِ ، بِحَسَبِ ذَلِكَ . وَأَكْتُبُ بِأَخْبَارِكَ عَلَى سِيَّاقَتِهَا ، وَأَتَارِكَ لِأَوْقَاتِهَا :
لِيَتَّصِلَ لَكَ الْأَحْمَادُ عَلَيْهَا ، وَالْمَجَازَةُ عَنْهَا ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .^(١)

النوع الثالث

(مما كان يُكْتَبُ لِأَرْبَابِ الْوِظَائِفِ مِنْ دِيْوَانِ الْخِلافةِ بِنِغْدَادَ مَا كَانَ يُكْتَبُ
لِأَرْبَابِ الْوِظَائِفِ بِنِغْدَادَ مِنْ أَصْحَابِ الْأَقْلَامِ)

وهي على ضربين :

(١) من أحده استبان له أنه مستحق للحمد .

الضرب الأول

(العهود)

ورسّمها على نحو ما تقدّم في عهود أرباب السيوف ، تفتّح بـ «هذا ما عهد»
إلى آخر الترتيب المتقدم ذكره .

وهذه نسخة عهد بولاية قضاء حاضرة بغداد وسائر الأعمال ؛ كتب به المسترشد بالله لقاضي القضاة أبي القاسم عليّ بن الحسين الزينبي ، وهي :

هذا ما عهد عبد الله أبو منصور الفضل ، الإمام المسترشد بالله أمير المؤمنين ،
إلى قاضي القضاة عليّ بن الحسين الزينبي : لما تأمل طريقته ، وشجّد عقيدته ؛
وأحمد مذهبّه ، وأرّضى ضرائبه ؛ وتكاثرت دواعيه ، وحسنت مساعيه ؛ ووجدّه
عند الاختيار ، وفي مضمار الاعتبار ، راجعاً إلى عقل رصين ، ودين متين ؛ وأمانته
مشكورة ، ونزاهة مجبّورة ؛ وورع ثمر المشرع ، عارٍ من دس المطمع ؛ وعلم توفّر منه
قسمه ، وأصاب فيه سهمه . وحين راعى فيه موروث شرف النسب ، إلى شرف
العلم المكتسب ، مع ماسلف لبيته من الحرّات المرعية المتأكّده ، والقربات المرضية
المتمهّده ؛ والسوابق المحكّمة المرائر ، الحميدة المبادئ والمصابر ؛ فقلّده قضاء القضاة
بمدينة السلام وسائر الأمصار ، في الآفاق والأقطار ؛ شرقاً وغرباً ، وبعداً وقرباً ؛
إنافّة به إلى ما أصبح له مستحقّاً ، واستمرّ استيجابه مسترقّاً ؛ وجذباً بضبعه إلى
ما يتحقّق نهوضه بأعبائه ، وحسن استغلاله به وغنائيه ؛ وأقفاء لأنار الأئمة الراشدين
في إيّادع الودائع عند مستحقّتها ، وتفويض الأمور إلى أكتافها وأهلها ؛ لاسيّما
أولياء دولتهم ، وأغذياء نعمتهم ؛ الذين كشفت عن سجن خبرتهم التجارب ، ووردوا
من الخلال الرشيدة أعذب المشارب ؛ وآتهمجوا الجدد الواضح ، وتقبّلوا الخلق

الصالح ؛ والله سبحانه يَقْرُنُ عِزَّائِمَ أمير المؤمنين بِالْخَيْرَةِ فِي كُلِّ رَأْيٍ يَرْتَبِيهِ ، وَأَمْرٍ يُؤْمُهُ وَيُنْصَحِيهِ ؛ وَيَصَدِّقُ مَخِيلَتَهُ فِي كُلِّ حَالٍ يَأْتِيهَا ، وَيُمِضِي عِزَّهُ فِيهَا ؛ وَمَا تَوَفَّقُهُ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ وَإِلَيْهِ يُنِيبُ .

أمره بتقوى الله التي لَا يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلَّا بِالتَّمَسُّكِ بِسَبَبِهَا ، وَلَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ إِضَاعَتِهَا ؛ فَإِنَّهَا الْجَنَابُ الْمَرِيعُ ، وَالْمَقِيلُ الْمَنِيعُ ؛ وَالنَّجَاةُ يَوْمَ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ ، وَالْعُدَّةُ النَّافِعَةُ فِي الْمَعَادِ وَالْمَحْشَرِ ، وَالْعِصْمَةُ الْحَامِيَةُ مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَخَالِيلِهِ ، الْمُنْقِذَةُ مِنْ أَشْرَاكِهِ وَحَبَائِلِهِ ؛ وَبِهَا تُمَحِّصُ الْأَوْزَارُ ، وَتُنَالُ الْأَوْتَارُ ؛ وَتُدْرَكُ الْمَارِبُ ، وَتُجَبِّحُ الْمَطَالِبُ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

وأمره باستشعار خشية الله سبحانه في قوله وفعله ، واختلاف أطواره وأحواله ؛ وَتَذَكُّرُ مَا هُوَ قَادِمٌ عَلَيْهِ ، وَوَاظِدُّ إِلَيْهِ : يَوْمَ ﴿ لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا ﴾ . فَلَا يَقُوْدُهُ الْهَوَىٰ إِلَىٰ أَتِّبَاعِ شَهْوَاهِ ، أَوْ إِجَابَةِ دَاعِي هَفْوَةٍ أَوْ صَبْوَةٍ ، إِلَّا كَانَ الْخَوْفُ قَادِمَةً ، وَالْحَذَارُ مَانِعَةً ؛ وَأَنْ يَجْعَلَ التَّوَاضُّعَ وَالْوَقَارَ شِمَتَهُ ، وَالْحِلْمَ دَابَّةَ وَخَلِيقَتَهُ ؛ فَيَكْظِمُ غَيْظَهُ عِنْدَ أَحْتِدَامِ أَوَارِهِ ، وَأَضْطِرَامِ نَارِهِ ؛ مُحْتَبِئًا عِزَّةَ الْغَضَبِ الصَّائِرَةِ إِلَىٰ ذُلِّ الْإِعْتِذَارِ ، وَمَتَوَخِّيًا فِي كُلِّ حَالٍ لِلْقَاصِدِ السَّالِمَةِ الْإِيرَادِ وَالْإِصْدَارِ . وَأَنْ يَتَأَمَّلَ أَحْوَالَ غَيْرِهِ تَأَمُّلَ مَنْ جَعَلَهَا لِنَفْسِهِ مِثَالًا ، وَأَخَذَهَا لِنَسْجِهِ مِثْوَالًا ؛ فَمَا اسْتَحْسَنَهُ مِنْهَا فَيَأْتِيهِ ، وَمَا كَرِهَهُ فَيَجْتَوِيهِ ؛ غَيْرَنَاهُ عَمَّا هُوَ مِنْ أَهْلِهِ ، وَلَا آمِرٍ بِمَا هُوَ مُجَانِبٌ لِفِعْلِهِ ؛ قَالَ اللَّهُ حَلَّتْ عَظَمَتُهُ : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَذَكَّرُونَ ﴾ .

وأمره بتلاوة كتاب الله مواظبا، والإكثار من قراءته دائما، وأن يجعله إماما يقتفيه، ودليلا يتبعه فيهديه، ونورا يستضيء به في الظلمات، وهاديا يسترشده عند اعتراض الشبهات، وموثلا يستند إليه في سائر أحكامه، وحصنا يلجأ به في نقضه وإبرامه، عاملا بأوامره، ومزدهرا بزواجره، ومُنعمًا بنظره في محكم آياته، وصادع ببناته، ومُعَمِّلا فكره في خوض غماره، وأستخراج غوامض أسرارهِ، فإنه الحق الذي لا يَحوُّر متبعه، والمتجر الذي لا يَيوُّر مُبتضعه، والمنار الذي به يُقتدى، والمنهج الذي بأعلامه يُهتدى، والمصدر الذي تفرى به الأمور في مُلِيس الإشكال، وتشرع معه الأحوال المستبهمة في ورود الوُضوح السَّلسال، وينبوع الحكمة الذي ضرب الله فيه الأمثال، وفرق فيه بين الحرام والحلال، والهداية والضلال، قال الله سبحانه: ﴿ وَزَلَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ .

وأمره بدراسة السنن النبوية صلوات الله على أصحابها، والاقتداء بما جاءت به من مكارم الأخلاق التي ندب إليها، وحض عليها، وتتبع ما يتداخلها من الأخبار الجريئة، والروايات غير الصحيحة، والفحص عن طرقها وإسنادها، وتمييز قويمها وميادها، والبحث عن رواياتها، منحوزها وثقاتها، فما ألفاه بريئا من الطعن، آمنا من القذح والوهن، عاريا من ملابس الشك والارتباب، عاطلا عن حلي الشبهة والإعتياب، أتبعه وأقتفاه، وتمثله وأحتذاه، وكان به حاكما، ولادواء الباطل باتباعه حاسما، وما كان مترجحا بين كفتي الشك واليقين، ولم تبد فيه تحايل الحق المبين، جعل الوقف حكمة، وردع عن العمل به عزمه، إلى أن يوضح الحق فيه، فيعتمد ما يوجبُه ويقتضيه: فإنه - عليه السلام - الداعي إلى الهدى، والرحمة

التي عصم الله بها من عَوَادِي الرَّدَى؛ والهادى الذى لم يفصل بين العمل بفرائض كتابه وسُنَّته فى قوله تقدَّست أسماؤه، وجلَّتْ آلاؤه : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .

وأمره بإقامة الصَّلوات الخمس المفروضة فى أوقاتها ، والمبادرة إليها قبل فواتها ، والإتيان بشرائطها المحدودة وأركانها .

وأمره بمجالسة العلماء، ومباحثة الفقهاء؛ ومناقشة ذوى البصيرة والفهم، والفطنة والحزم؛ ومشاورتهم فى عَوَارِض الأمور المشكِلة ، وسوانح الأحكام المستنبهة المعضلة؛ حتى يصرَّح محض رأيه وآرائهم عن زُبْدَةِ الصَّواب، وتنتج أفكارهم باستجماعها نظراً شافياً بالجواب ، رافعاً عنه مُنْسِدِلِ الحجاب؛ وإنَّ فى ذلك تلجاً للصدور، واستظهاراً فى الأمور؛ واحترازاً من دواعى الزَّلَل، واستمرار الخلل؛ وأمثاً من غوائل الانفراد، وحطاً للتعويل على الاستبداد؛ فلربُّ ثقة أدت إلى تجل، وأمن أفضى إلى وجل؛ وما زالت الشورى مقرونة بالإصا به، مُحْكَمَةٌ عُرَى الحق وأسبابه؛ حارسة من عواقب الندم، داعية إلى السلامة من زَلَّةِ القَدَم؛ وقد أمر الله نبيه صلى الله وسلم عليه، وأزلف محله لديه، بالاستظهار بالمشاورة مع عَظَمِ خطره، وشرف قدره؛ فقال : ﴿ وشاورهم فى الأمرِ فإذا عزمت فتوكلْ على الله إِنَّ اللهَ يَحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ .

وأمره أن يختار للحكم الأما كنَ الفسيحة الأرجاء، الواسعة الفضاء؛ وينظر فى أمور المسلمين نظراً تفتُرُ ثغور العدل فيه، وتلوحُ خشية الله من مطاويه؛ فيوصل إليه كافة الخصوص، ويبرز لهم على العموم؛ غير مشددِّ حجاب، ولا مُرتجِ دُونِ المترافعين إليه بابه؛ وأن يُولَى كُلًّا من الإقبال عليه، وحُسن الإصغاء إليه، ما يَكُونُ بينهم فيه

مُسَاوِيَا، وَلَهُمْ فِي تَجَمُّعِ الْمَوَازَاةِ حَاوِيَا؛ وَلَا يُعْطَى مِنْ أَلْفَاتِهِ [إِلَى] الشَّرِيفِ لَشَرَفِهِ،
 وَذِي الشَّارَةِ الْحَسَنَةِ مِنْ أَجْلِ تَوْبِهِ وَمِطْرَفِهِ، مَا يَنْتَعُهُ مِنْ تَقَحُّمِهِ الْعُيُونِ، وَتَرْجَمِ
 فِي نَحْوِهِ الظُّنُونِ : فَإِنَّ ذَلِكَ مُطْمَعٌ لَدَى الرُّوَاءِ فِي دَفْعِ الْحَقِّ إِذَا وَجِبَ عَلَيْهِ،
 وَاتِّمَاسِ الْبَاطِلِ وَإِنْ ضَعُفَتِ الدَّوَاعِي إِلَيْهِ؛ مُؤَيِّسٌ لَدَى النُّجُولِ مِنَ الْإِتِّصَارِ
 لِحَقِّهِ، وَإِنْ أَسْفَرَ صَبْحُ يَقِينِهِ وَنَطَقَتْ أَلْسِنَةُ أَدْلَتِهِ؛ فَالِنَّاسُ وَإِنْ تَبَايَنُوا فِي الْأَقْدَارِ
 وَالْقِيَمَةِ، وَتَفَاوَتُوا فِي الْأَرْزَاقِ الْمَقْسُومَةِ، فَلَا إِسْلَامَ لَهُمْ مَجْتَمِعَ، وَالْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ
 يُتَّبَعَ؛ وَهُمْ عِنْدَ خَالِقِهِمْ سَوَاءٌ إِلَّا مَنْ مِيزَتْهُ التَّقْوَى، وَتَمَسَّكَ بِسَبِيلِهَا الْأَقْوَى؛
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا
 أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ
 كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَتَأَمَّلَ أَحْوَالَ الْمُتَرَاغِبِينَ إِلَيْهِ، وَالْخُصُومَ لَدَيْهِ؛ وَيَتَطَلَّبَ مَا وَقَعَ نَزَاعُهُمْ
 لِأَجْلِهِ فِي نَصِّ الْكِتَابِ، وَيَعْدِلَ إِلَى السُّنَّةِ عِنْدَ عَدَمِهِ مِنْ هَذَا الْبَابِ؛ فَإِنَّ قُنْدَ
 مِنْ هَذَيْنِ الْوُجْهَيْنِ، فَلْيَرْجِعْ إِلَى مَا اخْتَارَهُ السَّلَفُ الْمُهْتَدُونَ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ الْفُقَهَاءُ
 الْمُجْتَهِدُونَ؛ فَإِنْ لَمْ يُلَفَّ فِيهِ قَوْلًا وَلَا إِجْمَاعًا، وَلَا وَجَدَ إِلَيْهِ طَرِيقًا مُسْتَظَاعًا، أَعْمَلَ
 رَأْيَهُ وَاجْتِهَادَهُ، وَأَمْتَى رِكَابَ وَسْعِهِ وَجِيَادِهِ؛ مُسْتَظْهِرًا بِمَشُورَةِ الْفُقَهَاءِ فِي هَذِهِ
 الْحَالِ، وَمُسْتَخْلِصًا مِنْ آرَائِهِمْ مَا يَقَعُ عَلَيْهِ الْإِتِّفَاقُ الْآمِنُ الْإِعْتِلَالُ : ﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ
 الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ .

وَأَمْرُهُ بِاسْتِعْمَالِ الْأَنَاءَةِ عِنْدَ الْحُكُومَاتِ، وَاسْتِمَاعِ الدَّعَاوِي وَالْبَيِّنَاتِ؛ مِنْ غَيْرِ
 سُرْعَةٍ تُنْجِثُ خَطَلًا، وَلَا إِفْرَاطٍ فِي التَّأَنِّي يُورِثُ مَلَالًا؛ فَإِنَّ الْحَقَّ بَيْنَ ذَيْنِكَ عَلَى شَفَا
 خَطَرٍ، وَظَهَرَ غَرَرٌ؛ وَلَا سِيَّأًا إِذَا كَانَ أَحَدُ الْخَصْمَيْنِ مُنْطَبِقًا، يَتَّقِي كَلَامَهُ تَمْتِيقًا؛

فإنه يَحْتَلِبُ بِلَاغَةٍ نُطْقُهُ مَسْتَمِعُهُ ، وَيُعْطَى وَجَهَ الْبَاطِلِ بِالْفَاظِلِ الْمَوْشَعِ ؛ فَإِذَا اتَّفَقَ
لَدَيْهِ مَاهَذَا سَبِيلُهُ ، شَحَدَ لَهُ غَرْبَ فِطْنَتِهِ ، وَأَرْهَفَ غِرَارَ فِكْرِهِ وَبَصِيرَتِهِ ؛ وَمِنْحَ
كُلٍّ مِنَ الْإِنْصَاتِ مَا يَحْتَلِبِي وَجَهَ النَّصْفِ مُنِيرًا ، وَيَعْدُو لِأَشْيَاعِ الْخَوَرِ مُبِيرًا .
وَأَنَّ ذُو اللَّسَنِ رَوَّعَهُ ، وَأَوْهَمَهُ أَنَّ الْحَقَّ مَعَهُ ، بِمَا يَلْفَقُهُ مِنْ كَلَامٍ يَقْصُرُ خَصْمُهُ
عَنْ جَوَابِهِ ، وَيَحْصِرُ عَنْ جِدَالِهِ وَأَسْتِيفَاءِ خِطَابِهِ ؛ مَعَ عَدَمِ الْبَيِّنَةِ الْمَشْهُودَةِ ، وَتَعَدُّرِ
الْحُجَّةِ الْمَوْجُودَةِ ، أَسْتِعَادَ كَلَامَهُ وَأَسْتَنْطَقَهُ ، وَأَسْتَوْصَحَّ مَغْزَاهُ وَتَحَقَّقَهُ ؛ مِنْ غَيْرِ إِظْهَارِ
إِعْجَابٍ بِمَا يَذْكُرُهُ ، وَلَا أَغْتَرَارٍ بِمَا يَطْوِيهِ وَيَنْشُرُهُ ؛ وَلَا إِصْغَاءٍ يَسُدُّ أَمْرَ الرَّاغِبِ
مِنْ خَوَاهِ ، وَلَا اخْتِصَاصٍ لَهُ بِمَا يَمْنَعُ صَاحِبَهُ شُرُوهَ^(١) ؛ لئَلَّا يُولَدَ ذَلِكَ لَهُ أَشْطِطَاطًا ،
وَيُحْدِثَ لَهُ أَنْطِلَاقًا فِي الْخُصُومَةِ وَأَنْبِسَاطًا ؛ حَتَّى إِذَا أَبْتَسَمَ الْحَقُّ ، وَأَنْتَصَرَ الصِّدْقُ ؛
وَفَلَجَ أَحَدُهُمَا بِحُجَّتِهِ ، وَلَحَنَ بَيِّنَتَهُ ، أَقْرَبَ الْوَاجِبَ فِي نِصَابِهِ ، وَأَدَالَهُ مِنْ جُنُودِ الظُّلْمِ
وَأَحْزَاهِ ؛ وَأَمْضَى الْحُكْمَ فِيهِ بِاعْتِرَافٍ صَادِقٍ ، وَرَأْيٍ مُحْصَدٍ الْوَنَائِقِ ؛ غَيْرَ مُلْتَفِتٍ
إِلَى مُرَاجَعَةِ الْخُصُومِ وَتَسْأُجِرِهِمْ ، وَشُكُوهِمَ وَتَنَاقُزِهِمْ ؛ أَعْتِمَادًا لِلْوَاجِبِ ، وَأَتِهَابًا
لِحَدَدِ الْعَدْلِ الْإِلَاحِبِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ
فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ .

وَأَمْرُهُ إِذَا أُنْتَدِبَ لِلْقَضَاءِ أَنْ يُفَرِّغَ بَالَهُ ، وَيَقْضِيَ أَمَامَهُ أَوْطَارَهُ وَأَشْغَالَهُ ؛ وَيُحْلِيَ
مِنْ أَحْوَالِ الدُّنْيَا سِرَّهُ ، وَيُشْرَحَ لِمَا هُوَ بِصَدَدِهِ صَدْرُهُ ؛ فَلَا تَتَرَعُّ نَفْسُهُ إِلَى تَحْصِيلِ
مَأْرَبٍ ، وَلَا تَتَطَلَّعُ إِلَى دَرْكِ مَطْلَبٍ ؛ فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا أَكْتَفَتْهُ شُجُونُهُ ، وَأَحَاطَتْ بِهِ
شُؤْنُهُ ، كَانَ عُرْضَةً لِتَشَعُّبِ أَفْكَارِهِ ، وَحِمْلَةٍ عَلَى مَرَكَبِ اضْطِرَارِهِ الْجَارِي بِضَدِّ
إِيثارِهِ وَاخْتِيَارِهِ ؛ حَرِيًّا بِالتَّقْصِيرِ عَنِ الْقَهْمِ وَالْإِفْهَامِ ، وَالضَّجَرِ عِنْدَ مُشْتَجَرِ الْخِصَامِ .

وأمره بالتثبت في الحدود، والاستظهار عند إقامتها بمن يسكن إلى قوله من
الشهود؛ والأحياط من عجل يُحيل الحكم عن بيانه، أو ريث يرجيه عند وضوحه
وتبينه؛ وأن يتجافى عما لم يصرح له بذكره وشرحه، ولا يسرع إلى تصديق ساع
وإن تشبه بالناصحين في نصحه؛ حتى يستبين له الحق فيمضيه، عاملاً بما يوجب
حكم الله فيه. وأن يذراً من الحدود ما عترضت الشبهة لدليله، وكانت شواهد
مدخوله؛ ويقيم منها ما قامت شهوده، ولم يمكن إنكاره وجحوده؛ قال الله تعالى:
مُكْرِهاً لِلْجَافِها، وَمُعْظِماً لِلتَّجَوُّزِ فيها: ((وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)).

وأمره بتصفّح أحوال الشهود المعدلين، المسموعة أقوالهم في أمور المسلمين
وأحوال الدين؛ ومواصلة البحث عن طرائقهم، واستشفاف خلايقهم؛ مستخدماً
في ذلك سره وجهه، وواصلًا بعوان دأبه فيه بكرة؛ فمن علمه سليماً في فعله،
غير ظنين في أصله؛ متحرراً في كسبه، مرضياً في مذهبه؛ حافظاً لكتاب الله سبحانه،
متمسكاً من علم الشريعة بما يلوي عن مهاوى الخطأ عنانها؛ حاليًا بالديانة المنيرة
المطالع، حامياً نفسه عن الإسفاف إلى دنايا المطامع، حاوياً من الظلف والأمانه،
والقدر والصيانة، والاحتباس والتحفظ، والتحرز واليقظ، ماثراً به على أشكاله
وأثرابه، وطال منا كب أمثاله وأضرابه، فقد كملت صفاته، وأقنضت تقديمه
أدواته؛ ووجب أن يُمضى كونه عدلاً، ويجعله لقبول الشهادة أهلاً. ومن رآه عن
هذه الخلال مقصراً، وبيعضها مستظهِراً؛ وكان موسوماً بديانة مشكورة، ونزاهة
مأثورة، رضى بذلك منه قانعا، وحكم بقوله سامعا. ومن كان عن هذين الفريقين
نائباً، ولأحوالهم المبين ذكرها نائبا، ألغى قوله مطرّحا، وردّ شهادته مصرّحا؛
فإن هؤلاء الشهود أعوان الحق على انتصاره، وحرب الباطل على تبثيره وبواره؛

وَمَحَجَّةَ الْحَاكِمِ إِلَى قَضَائِهِ ، وَوَزَّرَهُ الَّذِي يَسْتَعِدُّ إِلَيْهِ فِي سَائِرِ أُنْحَائِهِ ؛ فَإِذَا أُعْدِرَ فِي آرْتِيَادِهِمْ ، وَاسْتَفْرَغَ وَسْعَهُ فِي آتَقَادِهِمْ ، فَقَدْ خَرَجَ مِنْ عَهْدَةِ الْأَجْتِهَادِ ، وَاسْتَحَقَّ مِنَ اللَّهِ جَزَاءَ الْمُجْتَهِدِ يَوْمَ النَّادِ ؛ وَمَتَى غَرَّرَ فِي ذَلِكَ تَوَجُّهَاتِ اللَّائِمَةِ عَلَيْهِ ، وَكَانَ قَمْنًا بِنِسْبَةِ التَّقْصِيرِ فِي الْإِحْتِيَاظِ إِلَيْهِ ؛ وَاللَّهُ يُتَوَلَّى السَّرَائِرَ ، وَيَبْلُوُ خَفِيَّاتِ الضَّائِرِ ، قَالَ سَبْحَانَهُ : ﴿ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾ . وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَكِلَ أُمُورَ الْيَتَامَى فِي أَمْلَاكِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، وَمِرَاعَاةَ شُؤْنِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ ، إِلَى الثَّقَاتِ الْأَعْقَاءِ ، وَالْكَفَاءَةِ الْأَتْقِيَاءِ ؛ الَّذِينَ لَا تَسْتَهْوِيهِمْ دَوَاعِي الطَّمَعِ ، وَلَا يُورِدُهُمُ الْإِسْفَافُ مَوَارِدَ الطَّبَعِ ؛ وَأَنْ يَتَّبِعَ أُمُورَهُمْ وَيَتَصَفَّحَهَا ، وَيُشَارِفَهَا بِنَفْسِهِ وَيَسْتَوْضَحَهَا ؛ عَلِمَا أَنَّهُ عَمَّا فِي أَيْدِيهِمْ مُسْتُولٌ ، فَإِنَّ عُدْرَهُ فِي إِهْمَالٍ يَتَخَلَّلُهُ غَيْرُ مَقْبُولٍ ؛ وَهُوَ سَبْحَانَهُ يَقُولُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ .

وَأَنْ يُوعِزَ إِلَيْهِمْ بِالْإِنْفَاقِ عَلَى أَرْبَابِهَا بِالْمَعْرُوفِ : لِيَتَهَيَّجُوا فِيهَا جَدَدَ الْقَصْدِ الْمَأْلُوفِ ؛ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا الْحُلُمَ ، وَأَوْنِسَ مِنْهُمْ الرُّشْدَ وَعُلِمَ ؛ وَسَاغَ لَهُمُ التَّصَرُّفُ فِي نُفُوسِهِمْ ، وَوُثِقَ مِنْهُمْ بِاسْتِدْرَارِ مَعَائِشِهِمْ ، دَفَعَ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ مَعْرُوسَةً ، وَوَقَّاهُمْ إِيَّاهَا كَامِلَةً غَيْرَ مَقْصُوصَةٍ ؛ مُسْتَظْهِرًا بِالشَّهَادَةِ عَلَيْهِمْ ، وَالْبِرَاءَةِ مِنْهَا بِتَسْلِيمِهَا إِلَيْهِمْ ؛ اتِّبَاعًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَبْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ .

وأمره بترويح الأيامى اللواتي قصدن الأولياء ، واعتدى عليهن صرف الدهر
وأساء ، وأضرتهن طول الإزمال ، وبدت عليهن آثار الخلة في الحال ، فينكحهن
أكفاهن من الرجال ، ويتم عقد نكاحهن على مهور الأمثال .

وأمره بتفويض أمر الوقوف الجارية في نظره إلى من يأمنه ويختاره ، وتقرن
بإعلانه في ارتضائه أسراره : من أهل التجربة والحياة ، ذوي الاضطلاع والغناء ؛
فإنهم أقل إلى المطامع تشوفا ، وأبعد في عواقب الأمور نظرا وتلطفا ؛ وأن يوسع
عليهم في الأرزاق ، فيوصلها إليهم مهنة عند الوجوب والاستحقاق ؛ فبذلك يملك
المرء نفسه ويستصلحها ، ويتجنب مواقف التهم ويطرأها ؛ وتجنب عليه الحجة
إن نلأ أمانه ، أو قارف خيانه ؛ مستظها بترتيب المشرفين الذين خبر أحوالهم ،
وسبر أفعالهم .

وأنت يتقدم إلى المستنابين قبله بالإنفاق عليها حسب الحاجة من محضوها ؛
حافظا بما تعتمد من ذلك لأصولها ؛ وجباية ارتفاعها من مظانها ؛ والتماس حقوقها
في أوانها ؛ وصرفها في وجوهها التي شرطها واقفوها ، وعين عليها أربابها وأهلؤها ؛
غير محمل مع ذلك بالإشراف والتطلع ، ولا مهمل للفحص والتبليغ ؛ فمن ألفاه حميد
الأثر ، ورضى العيان والخبر ، عول عليه ، وفوض مستنابا إليه ؛ ومن وجده قد مد
إلى خيانة يده استبدل به وعزله ، جزاء بما فعله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ
خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ .

وأمره أن يستخلف على مانأى عنه من البلاد من جمع [إلى الوقار] الحلم ،
وإلى الدراية الفهم ؛ وإلى التيقظ الاستبصار ، وإلى الورع الاستظهار : من
لا يضيق بالأمور ذرعا ، ولا يتحدث له مراجعة الخصوم صبرا ولا تبرما ؛ ولا يتأدى

في أسباب الزلّة ، ولا يُقَصِّر عن الرجوع إلى الحقّ إذا اتّضح له ، ولا يكتفى بأدنى معدّلة عن بلوغ أقصاها ، ولا تنهات نفسه على طاعة هواها ، ولا يريى الأخذ بالحنة عند أنكشافها ، ولا يعجل بحكم مع اعتراض الشبهة وأكتنافها ، ولا يستميله اغراء ، ولا يزديه مدح وإطراء ، وأن يعهد بمنل ماعهد أمير المؤمنين إليه ، ويعذر في الإجهاد بإيجاب الحجة عليه : ليرأ من تبعه بادرة عساه يأتيها ، أو مزلفة تناديه فيهب ملبياً لداعياها ، قال الله تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان وآتقوا الله إنّ الله شديد العقاب ﴾ .

وأمره أن يُمضي ما مضاه الحكم قبله ولا يتعقب أحكامهم بتأويل ، مجتنباً تتبع عثراتهم ، والبحث عن هفواتهم ؛ ومهما رُفع إليه من ذلك مما الإجماع عليه موافق ، ولسان الكتاب والسنة به ناطق ، أمضاه وحكم به ، وإن كان مبانياً لمذهبه : فإنّ الحكومات كلّها ماضية على اختلاف جهاتها ، مستمرة على تنافى صفاتها ؛ حمية عن التأويل والتعليل ، محروسة من التغيير والتبديل ؛ ما كان لها مخرج في بعض الأقوال ، أو وجد لها عند الفقهاء احتمال ؛ إلا أن يكون الإجماع منعقداً على ضدها ، أخذاً بالنائها وردّها ؛ فيستفرغ في إيضاحها جهده ، ويُنفق في تلافيها من الاستطاعة وجده ، حتى يعيدها إلى مقرّها من الواجب ، ويُمضيها على الحقّ اللازب ؛ قال الله عز وجل : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ .

وأمره أن يتخذ كتاباً بالظلف مؤسوماً ، وبأدق ما ينط به قشوماً ، خبيراً بما يسطره ، عالماً بما يذكّره ، عارفاً بالشروط والسجلات ، وما يتوجه نحوها من التأويلات ، ويتداخلاً من الشبهة والتليسات ، مطلعاً على أسرارها وعللها ، وتصاريف حيلها ؛ متحرراً في كل حال ، متزّها عن مذموم الفعال ؛ متخذاً خشية

الله شعارا ، مُسْبِلًا دُونَ عِصْيَانِهِ مِنَ التَّقِيّ أَسْتَارَا : فإنها نظماته التي يَرْجِعُ إليها ، وَيَدُّهُ التي يَبْطِشُ بها وَيَعُولُ عليها ؛ ومتى لم يكن له من نَفْسِهِ وازع ، ولا من عَقْلِهِ وَدِينِهِ رَادِع ؛ لم يُؤْمِنْ أَنْ تَدْبَ عَقَارُبه لَيْلًا ، وَيَسْحَبَ عَلَى الْغَوَائِلِ وَالْمُؤَبِّقَاتِ ذَيْلًا ؛ فَيَعِمُّ الضَّرَرُ بِمَكَانِهِ ، وَيُشْرِعُ أَذَاهُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ حَدَّ سِنَانِهِ . وَأَنْ يَخْتِجِرَ حَاجِبًا طَاوِيًا كَشَحَهُ دُونَ الْأَشْرَارِ ، جَامِعًا لِأَدَبِ الْأَخْيَارِ ؛ مُدْرِعًا جِلْبَابَ الْحَيَاءِ ، طَلَّقَ الْوَجْهَ عِنْدَ اللَّقَاءِ ؛ سَهَّلَ الْجَانِبَ لَيْنَهُ ، مُسْتَشْعِرَ الْخَيْرِ مُتَبَقِّنَهُ ؛ غَيْرَ مُتَجَهِّمٍ لِلنَّاسِ ، وَلَا مُعَامِلِهِمْ بِغَيْرِ الْبَشَاشَةِ وَالْإِيْنِاسِ ؛ فَإِنَّهُ الْبَابُ إِلَيْهِ ، وَالْمَعْتَمِدُ فِي لِقَائِهِ عَلَيْهِ ؛ فَلْيَنْتَخِبْهُ آتِخَابَ مَنْ عِلْمُ أَنَّ حُسْنَ الثَّنَاءِ خَيْرُ زَادٍ ، وَأَنْفُسُ ذُخْرُ عَتَادٍ ؛ وَرَأَى طَيْبَ الْمُحَمَّدَةِ أَجَلَ كَسْبٍ مُرَادٍ ، وَحَظَّ مَجْسَدَ مُسْتَفَادٍ . ومتى كَانَ عَنْ هَذِهِ الْإِحْلَالَ مُتَخَلِّيًا ، وَبِخِلَافِهَا مُتَحَلِّيًا ، أَعْتَاضَ عَنْهُ بِمَنْ هُوَ أَسْلَمُ غِيَا ، وَأَمْنٌ رِيَا ، وَأَنْفَى جِيَا ، وَأَقْلَ عِيَا ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَتَسَلَّمَ دِيوَانَ الْقَضَاءِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْحُجَجِ وَالسَّجَلَاتِ ، وَالْوَثَائِقِ وَالْكَفَالَاتِ ، وَالْمَحَاضِرِ وَالْوَكَالَاتِ ؛ بِمُحَضَّرٍ مِنَ الْعُدُولِ لِيَكُونُوا لَهُ مُشَاهِدِينَ ، وَعَلَيْهِ شَاهِدِينَ ؛ وَأَنْ يَجْعَلَ خَزَانَهَا مِنْ يَرْضِيهِ ، بِاجْتِمَاعِ أَدْوَاتِ الْخَيْرِ فِيهِ ؛ عَامِلًا فِي حِفْظِهَا بِمَا تَقْتَضِيهِ الْأَمَانَةُ الَّتِي أَشْفَقَتْ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ مِنْهَا ، وَأَقَرَّرْنَ بِالْعِزِّ عَنْهَا ؛ مُتَحَرِّيًا مِنْ أَمْرِ يَبُوءُ مَعَهُ بِالْأَنَامِ ، فِي دَارِ الْمَقَامِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَيُّنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ .

وَأَمْرُهُ بِمِرَاعَاةِ أَمْرِ الْحِسْبَةِ فَإِنَّهَا أَكْبَرُ الْمَصَالِحِ وَأَهْمُّهَا ، وَأَجْمَعُهَا لِنَفْعِ النَّاسِ وَأَعْمُهَا ؛ وَأَدْعَاهَا إِلَى تَحْصِينِ أَمْوَالِهِمْ ، وَاتِّظَافِ أَحْوَالِهِمْ ؛ وَحَسْمِ مَوَادِّ الْفَسَادِ ،

وَكَفَّ يَدَهُ عَنِ الْإِمْتِدَادِ ، وَأَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَى الْمُسْتَنَابِ فِيهَا بِدَاوِمَةِ الْأَطْلَاعِ عَلَى كَيْفَةِ
الْأَسْعَارِ ، وَالْفَحْصِ عَنْ مَادَّةِ الْخُلُوقَاتِ فِي الْأَتْقَاعِ وَالِاسْتِمْرَارِ ، وَمَوَاصِلَةِ الْجُلُوسِ
فِي أَمَاكِنِ الْأَقْوَاتِ وَمَطَانِهَا : لِيَكُونَ تَسْعِيرُهَا بِمَقْتَضَى زِيَادَتِهَا وَقُصَايَاهَا ، غَيْرَ خَارِجٍ
فِي ذَلِكَ عَنْ حُدِّ الْإِعْتِدَالِ ، وَلَا مَائِلٍ إِلَى مَا يُنْجِخِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنْ إِكْثَارٍ وَإِقْلَالٍ ،
وَأَنْ يُرَاعِيَ عِيَارَ الْمَكَايِلِ وَالْمَوَازِينِ ، لِيُمَيِّزَ ذَوِي الصَّحَّةِ مِنَ الْمَطْفَفِينَ ، يَقُولُ
لِمَنْ حَسُنَ آخِرُهُ [مَرَّ] حَيٌّ وَيُقَابِلَ مَنْ سَاءَ آخِرُهُ بِمَا يَجْعَلُهُ لِأَمثَالِهِ رَادَعًا ، حَتَّى
يَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَيَتَجَنَّبُوا التَّطْفِيفَ بِقَلْبٍ مِنْ إِضْمَارِ الْمَعَاوِدَةِ سَلِيمٍ ،
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَبَلِّغْ لِلْطَّافِقِينَ الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالَهُمْ
أَوْ زَوَّوهُمْ يُخْسِرُونَ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ
لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

هَذَا عَهْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ ، وَحُجَّتُهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ ، وَفَقَّكَ [فِيهِ] عَلَى
مَنْهَجِ الصَّلَاحِ ، وَأَعْلَقَكَ مِنْهُ إِنْ اتَّبَعْتَهُ بِأَسْبَابِ النَّجَاحِ ، وَأَدَّرَبَهُ عَلَيْكَ خَلْفَ السَّعَادَةِ
إِنْ أَمَرْتَهُ بِبَيْدِ الْقَبُولِ ، وَجَمَعَ لَكَ مَعَ أَحْتَذَانِهِ بِدَائِدِ الْمَأْمُولِ ، وَعَطَفَ لَدَيْكَ مَتَى
تَمَثَّلَتْهُ شَوَارِدُ السُّوْلِ ، وَأَوْجَدَكَ ضَالَّةً مُتَاعِكَ إِنْ أَصْغَيْتَ إِلَيْهِ سَامِعًا مُطِيعًا ،
وَأَعَادَ إِنْ أَثْمَرَتْ بِأَوَامِرِهِ شَمْلَ أَقْوَالِكَ جَمِيعًا ، وَأَرَادَكَ مَرَعَى النِّجَاةِ إِنْ نَهَضْتَ
بِأَعْبَائِهِ مَرِيعًا ، لَمْ يَذْخَرْكَ فِيهِ شَفِيفًا ، وَلَا حَقَرَكَ إِرْشَادًا وَتَعْرِيفًا ، خَلَعَ بِهِ رِبْقَةَ
الْأَمَانَةِ عَنْ عُقِّ اجْتِهَادِهِ ، وَأَوْصَحَ لَكَ مَا يُسْأَلُ غَدًا عَنْ فَعْلِهِ وَأَعْتَادِهِ .

فَبَادِرْ إِلَى الْعَمَلِ بِهِ مُسْرِعًا ، وَثُمَّ بِالْمَحْدُودِ فِيهِ مُضْطَلِعًا ، وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَالِمٍ هَفْوَهُ ،
وَلِكُلِّ جَوَادٍ كَبْوَهُ ، فَاغْضُضْ عَنْ مَطَايِحِ الْهَوَى طَرَفَكَ ، وَآثِنْ عَنْ أَضَالِيلِ الدُّنْيَا

(١) مَرَحَى كَلِمَةُ تَقَالُ لِلرَّأْيِ إِذَا أَصَابَ تَعْجِبًا مِنْ رَمِيهِ .

(٢) مَرَى الدَّمِ وَأَمْرَاهُ اسْتَخْرَجَهُ . (٣) لَعَلَّهُ مَعَ اخْتِرَالِهِ . تَأَمَّلْ

الْقَزَارَةِ عِطْفَكَ ، وَآخَشَ مَوْقِفًا تَشَخَّصَ فِيهِ الْأَبْصَارُ ، وَتَعَدَّمَ الْأَعْوَانُ وَالْأَنْصَارُ ؛
يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ، وَتَنْقُطُ الْوَسَائِلُ إِلَّا مَنَّ أَطَاعَ اللَّهَ وَأَتَّقَاهُ ؛ يَنْعَمُ
عَوْفُكَ^(١) ، وَيَأْمَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَوْفُكَ ؛ وَمَهْمَا عَرَضَ لَكَ مِنْ شُبْهَةٍ لَمْ تُلَفِّ مَخْرَجًا مِنْهَا ،
وَلَا صَدْرًا عَنْهَا ، وَلَا وَجَدْتَ لَسْفَهَا هِنَاءً ، وَلِدَائِهَا شِفَاءً ، فَطَالَعَ حَضْرَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
بِحَالِهَا مُسْتَعْلِمًا ، وَأَنْهِيَإِلَيْهِ مُسْتَفْتِحًا بِاسْتِدْعَاءِ الْجَوَابِ عَمَّا أَصْبَحَ لَدَيْكَ مُسْتَغْلِقًا
مُبْهَمًا ، يُنَدِّدُكَ مِنْهُ بِمَا يُرِيكَ صُبْحُ الْحَقِّ مَنِيْلَجًا ، وَضِيقُ الشَّكِّ مُنْفَرَجًا ؛ عَنْ عِلْمٍ
عِنْدَهُ الْبَحْرُ كَالْقِيَاسِ ، إِلَى أَوْشَالِ النَّاسِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَعِضُّدُ آرَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
بِالصَّوَابِ ، وَيُمِدُّهُ بِالتَّوْفِيقِ فِي سَائِرِ الْآرَابِ ؛ وَيُقَوِّدُ لِمَرَادِهِ أَزِمَةَ جَوَائِحِهَا الصَّعَابِ ،
مَا أَنْجَمَ سَحَابٌ ، وَأَنْجَمَ رَبَّابٌ ، بِمَنَّةٍ وَسَعَةٍ فَضْلِهِ .



وهذه نسخة عهد بولاية القضاء بسر من رأى ، كتب بها أبو إسحاق الصابى ،
عن الطائع لله ، للقاضى أبى الحسين محمد بن قاضى القضاة أبى محمد عبيد الله ،
ابن أحمد بن معروف ، حين ولّاه القضاء بسر من رأى وغيرها ، وما أضيف إلى
ذلك من أعمال الجزيرة ، وهى :

هذا ماعهد عبد الله عبد الكريم ، الإمام الطائع لله أمير المؤمنين ، إلى محمد بن
قاضى القضاة عبيد الله بن أحمد ، حين عرفت الفضيلة فيه ، وتقبل مذهب أبيه^(٢) ،
ونشأ من حضنه فى المنشأ الأمين ، وتبوأ من سببه ونسبه المتبوأ المصون ؛ ووجده
أمير المؤمنين مستحقاً لأن يؤسم بالصنيعه ، والمنزلة الرفيعة ؛ على الحدائث من سنه ،

(١) العوف من معانيه البال والحال ومنه يقال فى الدعاء نعم عوفك .

(٢) يقال تقبل فلان أباه [أى بالياء المثناة] تقبلاً اذا نزع اليه فى الشبه .

وَالْفَضَاةَ مِنْ عُوْدِهِ ، سَامِيًا بِهِ فِي ذَلِكَ إِلَى مَرَاتِبِ أَعْيَانِ الرِّجَالِ ، الَّتِي لَا تُدْرَكُ
إِلَّا مَعَ الْكَمَالِ وَالْأَكْثِهَالِ : لِمَا آتَسَّ مِنْ رُشْدِهِ وَنَجَابَتِهِ ، وَأَسْتَوْضَحَّ مِنْ عَقْلِهِ وَلَبَابَتِهِ ،
وَأَسْتَرْجَحَّ مِنْ وَقَارِهِ وَحِلْمِهِ ، وَأَسْتَغْزَرَ مِنْ دِرَايَتِهِ وَعِلْمِهِ ، وَلِلَّذِي عَلَيْهِ شَيْخُهُ قَاضِي
الْقُضَاةِ عَبِيدُ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ مِنْ حَصَافَةِ الدِّينِ ، وَخُلُوصِ الْيَقِينِ ، وَالتَّقَدُّمِ عَلَى الْمُتَحَلِّلِينَ
بِحِلَّتِهِ ، وَالْمُتَحَلِّلِينَ لِصِنَاعَتِهِ ، وَالْأَسْتِبْدَادِ عَلَيْهِم بِالْعِلْمِ الْحَقِّ ، وَالْمَعْنَى الْفَحْمِ ، وَالْإِقْتِنَانِ
فِي الْمَسَاعِي الصَّالِحَةِ الَّتِي يُسَوِّدُ أَحَدُهُمْ بِأَحَدِهَا ، وَيَسْتَحِقُّ التَّجَاوُزَ لَهُمْ مِنْ أَسْتَوْعِبَهَا
بَأَسْرَهَا ، وَبِالثَّقَّةِ وَالْأَمَانَةِ ، وَالْعِفَّةِ وَالتَّزَاهَةِ ، الَّتِي صَارَ بِهَا عَلَمًا فَرْدًا ، وَوَاحِدًا فَرْدًا ،
حَتَّى تَكْلِفَهَا مِنْ أَجَلِهِ مَنْ لَيْسَتْ مِنْ طَبْعِهِ وَلَا سِنْخِهِ ، فَهُوَ الْمُحْمُودُ بِأَفْعَالِهِ الَّتِي أَخْتَصَّ
بِهَا وَبِأَفْعَالٍ غَيْرِهِ مِنْ حَذَاهُ فِيهَا ، وَبِمَا نَفَقَ مِنْ بَضَائِعِ الْخَيْرِ بَعْدَ كِبَادِهَا ، وَبِالسَّابِقَةِ
الَّتِي لَهُ فِي خِدْمَةِ الْمُطِيعِ لِلَّهِ أَوَّلًا ثُمَّ خِدْمَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ثَانِيًا ، فَإِنِهَا [سَابِقَةٌ] شَائِعٌ خَبَرُهَا ،
وَحَمِيلٌ أَثَرُهَا ، قُوَّةٌ دَوَاعِيهَا ، مَتَكِّنَةٌ أَوَاخِيهَا . وَلِلْمَكَانَةِ الَّتِي خُصَّ بِهَا مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
[وَمِنْ عِزِّ الدَّوْلَةِ أَبِي مَنْصُورٍ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْدَهُ اللَّهُ] (١) وَمِنْ نَصِيرِ الدَّوْلَةِ النَّاصِحِ
أَبِي طَاهِرٍ رَعَاهُ اللَّهُ ، وَمِنْ عِظَمَاءِ أَهْلِ حَوَزَتِهِمْ ، وَأَفَارِيقِ عَوَامِّهِمْ وَرِعِيَّتِهِمْ ، فَلَمَّا
صَدَّقَ مُحَمَّدٌ فِرَاسَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَنَحَائِلَهُ ، وَآخَذَ سَبَايَا أَبِيهِ وَشِمَائِلَهُ ، وَحَصَلَ لَهُ
مَا حَصَلَ مِنَ الْحُرُمَاتِ الْمُنَائِلَةِ ، وَالْمَوَاتِ الْمُنَاصِّلَةِ ، أَحْرَزَ مِنَ الْأَثَرَةِ عَلَى قُرْبِ
الْمَدَى ، مَا لَا يُخَوِّزُهُ غَيْرُهُ عَلَى بَعْدِ الْمَرْمَى ، وَأَسْتَغْنَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِيهِ عَنْ طَوْلِ التَّجَرُّبَةِ
وَالْإِخْتِبَارِ ، وَتَكَرَّرِ الْأَمْتِحَانِ وَالْإِعْتِبَارِ . فَقَلَّدَهُ الْحُكَمَاءُ بَيْنَ أَهْلِ سُرٍّ مَنْ رَأَى ،
وَتَكَرَّيَتْ ، وَالطَّبْرَهَانِ ، وَالسَّنَّ ، وَالْبَوَازِيحَ ، وَدَقُوقًا ، وَخَانِيجَارَ ، وَالبَنْدِيعِينَ ،
وَبُوحَسَابُورَ ، وَالرَّاذَانِيْنَ ، [وَمَسْكِنَ] (٢) وَقُطْرَبُلَ ، وَنَهْرَبُوقَ ، وَالِدِينَ ، وَجَمِيعَ الْأَعْمَالِ

(١) الزيادة من "رسائل الصافي" .

(٢) أفاريق جمع أفراق وأفراق جمع فرقة .

المُضَافَةُ إِلَى ذَلِكَ وَالْمُنْسُوبَةُ إِلَيْهِ ، وَشَرَّفَهُ بِالْخَلْعِ وَالْجُلَّانِ ، وَضُرُوبِ الْإِنْعَامِ
وَالْإِحْسَانِ ؛ وَكَانَ فِيهِمَا أُعْطَاهُ مِنْ هَذَا الصَّبِيَّتِ وَالْمُجَدِّ ، وَنَحْلَهُ إِيَّاهُ مِنَ الْمَفْخَرِ الْعَدْبِ ؛
مَبْتَغِيًّا مَا كَسَبَهُ مِنْ اللَّهِ الرَّضَا وَالزُّلْفَى ، وَالسَّلَامَةَ فِي الْفَاتِحَةِ وَالْعُقْبَى ؛ وَرَاعِيًّا
لِمَا يُوجِبُهُ لِقَاضِي قُضَايَاهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ مِنَ الْحَقُوقِ الَّتِي أَخْفَى مِنْهَا أَكْثَرَ
مِمَّا أَبْدَى ، وَأَمْسَكَ عَنْ أَضْعَافِ مَا أَحْصَى ؛ وَذَاهِبًا عَلَى آثَارِ الْأُتَمَّةِ الْمَهْدِيِّينَ ،
وَالْوَلَاةِ الْمُجْتَهِدِينَ ، فِي إِقْرَارِ وَدَائِعِهِمْ عِنْدَ الْمُرْتَبِعِينَ لِحِفْظِهَا ، الْمُضْطَلَعِينَ بِجَمَلِهَا ، مِنْ
أَوْلَادِ أَوْلِيَائِهِمْ ، وَدُرِّيَّةِ نُصَحَائِهِمْ : إِذْ كَانَ لَا بُدَّ لِلْأَسْلَافِ أَنْ تَمْضَى ، وَلِلْأَخْلَافِ
أَنْ تَتِمَّ ؛ كَالشَّجَرِ الَّذِي يُغْرَسُ لَدُنَّا فَيَصِيرُ عَظِيمًا ، وَالنَّبَاتِ الَّذِي يَنْجُمُ رَطْبًا فَيَصِيرُ
هَشِيمًا ؛ فَالْمُصِيبُ مِنْ تَخْيَرِ الْغُرْسِ مِنْ حَيْثُ آسَتْجَبَ الشَّجَرُ ، وَآسَتْحَلَى الثَّمَرُ ،
وَتَعَمَّدَ بِالْعُرْفِ مَنْ طَابَ مِنْهُ الْخَبَرُ ، وَحَسُنَ مِنْهُ الْأَثَرُ ؛ وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى
تَسْدِيدًا لِمُحَمَّدٍ عَائِدَتُهُ ، وَتَدِيرًا عَلَيْهِ مَادَتُهُ ؛ وَبِتَوَلَّاهُ فِي الْعِزَائِمِ الَّتِي يَعْرِضُهَا ، وَالْأُمُورِ الَّتِي
يُعْرِضُهَا ، وَالْعُقُودِ الَّتِي يَعْقِدُهَا ، وَالْأَغْرَاضِ الَّتِي يَعْتَمِدُهَا ؛ وَمَا تَوْفِيقُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ وَإِلَيْهِ يَنْيَبُ .

أَمْرُهُ بِاعْتِمَادِ التَّقْوَى ، فَإِنَّهَا شِعَارُ أَهْلِ الْهُدَى ؛ وَأَنْ يُرَاقِبَ اللَّهُ مِرَاقِبَةَ الْمُتَحَرِّزِ
مِنْ وَعِيدِهِ ، وَالْمُتَنَجِّزِ لِمَوَاعِيدِهِ ؛ وَيَطَهِّرَ قَلْبَهُ مِنْ مُوَيِّقَاتِ الْوَسَاوِسِ ، وَيُهْدِئَهُ مِنْ
مُرْدِيَّاتِ الْهَوَاجِسِ ؛ وَيَأْخُذَ نَفْسَهُ بِمَا خَذَ أَهْلُ الدِّينِ ، وَيَكْلِفُهَا كُلْفَ الْأَبْرَارِ
الْمُؤْمِنِينَ ، وَيَمْنَعَهَا مِنْ أَبَاطِيلِ الْهَوَى ، وَأَضَالِيلِ الْمُنَى ؛ فَإِنَّهَا أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ ، صَبَّةٌ إِلَى
الْفِتْنَى ؛ صَادَةٌ عَنِ الْخَيْرِ ، صَادِقَةٌ عَنِ الرَّشْدِ ؛ لَا تَرْجِعُ عَنْ مَضَاهَا إِلَّا بِالشَّكَاثِمِ ،
وَلَا تَتَقَادُّ إِلَى مَنَافِعِهَا إِلَّا بِالْخِرَازِمِ ؛ فَمَنْ كَبَحَهَا وَشَتَّاهَا نَجَّاهَا ، وَمَنْ أَطْلَقَهَا وَأَمْرَجَهَا

(١) أَى مَائِلَةً إِلَى الْخَطِّ . (٢) فِي الْأَصُولِ وَالرِّسَالَةِ وَأَمْرَجَهَا بِالْهَاءِ وَلَعَلَّهُ تَصْغِيفُ فَعَى اللِّسَانِ

”وَأَمْرَجَهَا [أَى الدَّابَّةَ] تَرَكَهَا تَذْهَبُ حَيْثُ شَاءَتْ“ فَتَنْبَهُ .

أرداها . وأولى مَنْ جعل تقوى الله دأبه ودينه ، والحيفة منه منهاجه وسننه ؛ مَنْ
أرتدى رداء الحكم ، وأمر ونهى فى الأحكام ، وتصدى لكف الظالم ، ورد المظالم ؛
وإيجاب الحدود ودرئها ، وتحليل الفروج وحظرها ؛ وأخذ الحقوق وإعطائها ،
وتففيذ القضايا وإمضاءها : إذ ليس له أن يأمر ولا يأمر ، ويؤجر ولا يزدجر ؛ ويأتى
مثل ما ينهى عنه ، وينهى عما يأتى مثله ؛ بل هو محقّق بأن يصلح ما بين جنبيه ،
قبل أن يصلح ما رده أمره إليه ؛ وأن يهدب من نيته ، ما يحاول أن يهدب من
رعيته ؛ قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ
مُسْلِمُونَ ﴾ : ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ .

وأمره بالإكثار من تلاوة القرآن الواضح سبيله ، الراشد دليله ؛ الذى من استضاء
بمصايحه أبصر ونجا ، ومن أعرض عنها زلّ وغوى ؛ وأن يتخذ إماماً يهتدى بأياته ،
ويقنّدى ببيّانه ؛ ومثلاً يحذو عليه ، ويردّ الأصول والفروع إليه ؛ فقد جعله الله
مُجْتَبًّاهُ الثابتة الواجبة ، ومُحَجَّتْهُ المستبينة اللاّحبة ؛ ونوره الغالب الساطع ، وبرهانه
الباهر الناصع ؛ وإذا ورد عليه معضل ، أو غم عليه مُشْكِل ، اعتصم به عائداً ،
وعطف عليه لاّئذا ؛ فبه يكشف الخطب ، ويذلّ الصعّب ؛ وينال الأرب ،
ويذكر المطلب ؛ وهو أحد الثقلين اللذين خلّقهما رسول الله صلى الله عليه وعلى آله
وسلم فينا ، ونصّبهما معلّماً بعده لنا ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْغَائِبِينَ خَصِيماً ﴾ . وقال تعالى :
﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ
حَمِيدٍ ﴾ .

وأمره بالجلوس للخصوم ، وفتح بابهم على العموم ؛ وأن يوازى بين الفريقين إذا تقدما إليه ، ويحاذى بينهما فى الجلوس بين يديه ؛ ويقسم لهما أقساما متماثلة من نظره ، وأقساطا متعادلة من كلمه : فإنه مقام توازن الأقدام ، وتكافؤ الخواص والعوام ؛ ولا يقبل على ذى هيئة لهيئته ، ولا يعرض عن دميم لدمايته ؛ ولا يزيد شرفا على مشروف ، ولا قويا على مضعوف ؛ ولا قريبا على أجنبي ، ولا مسلما على ذمى ، ما جمعهما التخاصم ، وضمهما التحاكم . ومن أحسن منه بنقصان بيان ، أو عجز عن برهان ؛ أو قصور فى علم ، أو تأخر فى فهم ، صبر عليه حتى يستنيط ماعنده ، ويستشف ضميره ؛ ويتقنع بالإقناع غلته ، ويخرج بالإيضاح غلته . ومن أحسن منه بلسن وعبارة وفضل من بلاغه ، أعمل فيما يسمعه منه فكره ، وأحضره ذهنه ؛ وقابله بسد خلّة خصمه ، والإبانة لكل منهما عن صاحبه ؛ ثم سأل على أقوالها ودعائيهما تأمله ، وأوقع على بيناتهما ومججها تدبره ؛ وأنفذ حينئذ الحكومة إنفاذا يعلمان به أن الحق مستقر مقرة ، وأن الحكم موضوع موضعه ؛ فلا يوق للحكوم عليه استرابة ولا للحكوم له استراة ؛ وأن يأخذ نفسه مع ذلك بأظهر

الخلاق وأحمدها ، وأهدى السجايا وأرشدھا ؛ وأن يقصد في مشيه ، ويُغص من صوته ، ويحذف الفضول من [لفظه و] ^(١) لحظه ؛ ويحفف من حركاته ولفظاته ، ويتوقر من سائر جنابه [وجهاً] ^(١) ، ويتجنب الخرق والحدة ، ويتوقظ الفظاظه والشدة ؛ ويلين كنفه من غير مهانة ، ويرب هيبته في غير غلظة ؛ ويتوكل في ذلك وقوفاً بين غايته ، وتوسطاً بين طرفيه ؛ فإنه يخاطب أخلاقاً من الناس مختلفين ، وضروباً غير متفقين ؛ ولا يخلو فيهم من الجاهل الأهوج ، والمظلوم المخرج ، والشيخ الهرم ، والناسي العز ، والمرأة الركيكة ، والرجل الضعيف النحيزة ؛ وواجب عليه أن يغمرهم بعقله ، ويشملهم بعذله ؛ ويقيمهم على الاستقامة بسياسته ، ويعطف عليهم بحلمه ويرياسته . وأن يجلس وقد نال من المطعم والمشرّب طرفاً يقف به عند أول الكفايه ، ولا يبلغ منه إلى آخر النّهايه ؛ وأن يعرض نفسه على أسباب الحاجة كلّها ؛ وعوارض البشريّة بأسرها : لئلا يلمّ به من ذلك ملّم أو يطيف به طائف فيحيلانه عن جلده ، ويحولان بينه وبين سده . وليكن همه إلى مايقول ويقال له مصروفاً ، وخاطره على مايرد عليه ويصدر عنه موقوفاً ؛ قال الله تعالى : ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ .

وأمره إذا ثبت عنده حق من الحقوق لأحد من الخصوم . أن يكتب له متى أتمس ذلك إلى صاحب المعونة في عمله بأن يمكّنه منه ، ويحسم المعارضات فيه عنه ، ويقبض كلّ يد تمتد إلى منازعته ، أو تتعدى إلى مجاذبته ؛ فقد ندب الله

النَّاسَ إِلَى مُعَاوَنَةِ الْمُحِقِّ عَلَى الْمُبْطِلِ ، وَالْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ ؛ إِذْ يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ :
﴿ تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ .

وأمره أن يستصحب كاتباً درباً بالحاضر والسجلات ، ماهرًا في القضايا
والحكومات ، عالمًا بالشروط والحدود ، عارفًا بما يجوز وما لا يجوز ، غير مقصر عن
القضاة المستورين ، والشهود المقبولين ، في طهارة ذنبه ، ونقاء جبينه ، وتصونه عن
حُبِّ المأكَل والمطاعم ، ومقارفة الرِّيب والثَّهم ؛ فإن الكاتب زمام الحاكم الذى إليه
مرجعُه ، وعليه معولُه ؛ وبه يحتس من دواهي الحيل ، وكوامن الغيل . وحاجبًا
سديدًا رشيدًا ، أدبًا لبيبًا ؛ لا يسف إلى دنية ولا يلم بمنكرة ؛ ولا يقبل رشوه ،
ولا يلتمس جعالة ؛ ولا يحجب عنه أحدًا يحاول لقاءه في وقته ، والوصول إليه
في حينه . وخلفاء يردُّ إليهم مابعد من العمل عن مقره ، وأعجزه أن يتولى النظر فيه
بنفسه ؛ ينتخبهم من الأماثل ، ويتغيرهم من الأفاضل ؛ ويعهد إليهم في كلِّ ما عهد
فيه إليه ، ويأخذهم بمثل ما أخذ به ؛ ويعمل لكلِّ من هذه الطوائف رزقًا يكفُّه
ويكفيه ، وقوتا يحجزه ويغنيه ؛ فليس تلزمهم المحجة إلا مع إعطائهم الحاجة ،
ولا تؤخذ عليهم الوثيقة إلا مع إزاحة العلة ؛ فقد قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ
لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَاسَعٍ ﴾ وَأَنْ سَعِيَّ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى .

وأمره بإقرار الشهود الموسومين بالعدالة على تعديلهم ، وإمضاء القضاء بأقوالهم ؛
وحملهم على ظاهر السلامه ، وشعار الاستقامه ؛ وأن يعتمد مع هذا البحث عن
أديانهم ، والفحص عن أماناتهم ، والإصغاء إلى الأحاديث عنهم : من ثناء يتكرر ،
أو قدح يتردد ؛ فإذا تواتر عنده أحد الأمرين ، ركن إلى المزيكي الأمين ، ونبا عن
المتهم الظنين : فإنه إذا فعل ذلك أغبط أهل الأمانة بأماناتهم ، ونزع أهل الخيانة

عن خياناتهم ؛ وتقرَّبوا إليه بما تتفق سؤفه ، ويُستحق به التوجه عنده ، وأستمر
شهوده وأمنائه ، وأتباعه وخلفاؤه ، على المنهج الأوضح ، والمسلك الأنجح ؛ وتحصنت
الأموال والحقوق ، وصينت الحرمات والفروج ؛ ومتى وقف لأحد منهم على هفوة
لا تغفر ، وعثرة لا تُقال ، أسقطه من عددهم ، وأخرجه عن مجتمعتهم ؛ وأعتاض منه من
يحمد دينه ، ويرضى أمانته ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْدِرْ إِلَيْهِمْ
عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ . وقال في الشهادة : ﴿ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾ .

وأمره بالضبط لما يجري في عمله من الوقوف الثابتة في ديوان حُكمه ؛
والتعويل فيها على الأمانة الثقات ، والخصفاء الكفاة ، المعروفين بالظلف والورع ،
المتزهين عن النطف والجشع ؛ والتقدم إليهم في حفظ أصولها ، وتوفير فروعها ؛
وتخير غلاها وارتفاعها ؛ وصرفها إلى أهلها ومستحقها وفي وجوها وسبلها ؛ ومطالبتهم
بحساب ما يجري على أيديهم ، والاستبراء لآثارهم فيه وأفعالهم ؛ وأن يحمد منهم من
كفى وكف ، ويذم من أضاع وأسف ؛ ويُنزل كلا منهم منزلة التي استحقها
بعمله ، وأستوجبها بأثره ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا
الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ .

وأمره بالاحتياط على أموال الأيتام ، وإسنادها إلى أعف وأوثق القوام ؛
والتقدم إلى كل طائفة بأن يحريهم بحري ولد ، ويقمهم مقام سلالته ، في الشفقة
عليهم ، والإصلاح لشئونهم ، والإشراف على تأديبهم ؛ وتلقينهم مالا يسع المسلم
جهله من الفرائض المفترضة ، والسُنن المؤكدة ؛ وتحريرهم في أبواب معاشهم ،

وأَسْبَابُ مَصَالِحِهِمْ ؛ وَالْإِنْفَاقِ عَلَيْهِمْ مِنْ عَرَضِ أَمْوَالِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ الَّذِي لَا شَطَطَ فِيهِ وَلَا تَبْذِيرَ ، وَلَا تَضْيِيقَ وَلَا تَقْتِيرَ ؛ فَإِذَا بَلَغُوا مَبَالِغَ كَمَالِهِمْ ، وَأَوْنِسَ مِنْهُمْ الرُّشْدُ فِي مَتَصَرِّفَاتِهِمْ ، أَطْلَقَ لَهُمْ أَمْوَالَهُمْ ، وَأَشْهَدَ بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ ؛ فَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ بِمَا تَقَلَّدَهُ مِنْ الْحُكْمِ ، خَلْقًا مِنَ الْآبَاءِ لِلذَّوِي الْيُتَمِّ ؛ وَصَارَ بِهَذِهِ الْوَلَايَةِ عَلَيْهِمْ مُسْئُولًا عَنْهُمْ ، وَجُزْئِيًّا عَمَّا سَارَ بِهِ فِيهِمْ ، وَأَوْصَلَهُ مِنْ خَيْرِ أَوْشُرِ إِلَيْهِمْ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ .

وَأَمْرُهُ بِحِفْظِ مَا فِي دِيَوَانِهِ مِنَ الْوَنَائِقِ وَالسَّجَلَاتِ ، وَالْمُحَاجَّ وَالْبَيِّنَاتِ ، وَالْوَصَايَا وَالْإِقْرَارَاتِ ؛ فَإِنَّهَا وَدَائِعُ الرِّعْيَةِ عِنْدَهُ ، وَوَاجِبٌ أَنْ يَحْرُسَهَا جُهْدَهُ ؛ وَأَنْ يَكِلَهَا إِلَى الْخَزَائِنِ الْمَأْمُونِينَ ، وَالْحَفِظَةِ الْمُتَّقِظِينَ ؛ وَيُوعِزُّ إِلَيْهِمْ بِأَنْ لَا يُخْرِجُوا شَيْئًا مِنْهَا عَنْ مَوْضِعِهِ وَلَا يُضَيِّفُوا إِلَيْهَا مَا لَمْ يَكُنْ بَعْلَمِهِ ؛ وَأَنْ يَتَّخِذَ لَهَا بَيْتًا يَحْصُرُهَا بِهِ ؛ وَيَجْعَلُهُ بِحَيْثُ يَأْمَنُ عَلَيْهِ ؛ لِيَرْجِعَ مَتَى أَحْتَاجَ الرِّجُوعَ إِلَيْهِ ؛ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ .

وَأَمْرُهُ إِنْ وَرَدَ عَلَيْهِ أَمْرٌ يُعِينُهُ فَصْلُهُ ، وَيُسْتَبَيِّهُ عَلَيْهِ وَجْهُ الْحُكْمِ فِيهِ ، أَنْ يَرْدَهُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ ، وَيَطْلُبَ بِهِ سَبِيلَ الْخَلَصِ مِنْهُ ، فَإِنْ وَجَدَهُ وَإِلَّا فَفِي الْأَثَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنْ أَدْرَكَهُ وَإِلَّا أَسْتَفْتَى فِيهِ مَنْ يَلِيهِ مِنْ ذَوِي الْفِقْهِ وَالْفَهْمِ ، وَالْهَدَايَةِ وَالْعِلْمِ ؛ فَمَا زَالَتِ الْأُئِمَّةُ وَالْحُكَّامُ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ ، وَطُرُقُ السَّنَنِ الْوَاضِحِ ؛ يَسْتَفْتِي وَاحِدًا مِنْهُمْ وَاحِدًا ، وَيَسْتَرْشِدُ بَعْضُ بَعْضًا ؛ لَزُومًا لِلْاجْتِهَادِ ، وَطَلِبًا لِلصَّوَابِ ؛

وتحرزا من الغلط ، وتوقيا من العثار ؛ قال الله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ .

وأمره أن لا يتقضى حكما حكم به من كان قبله ولا يفسخه ، وأن يعمل عليه ولا يعدل عنه ، ما كان داخلا في إجماع المسلمين ، وسائغا في أوضاع الدين ؛ فإن خرج عن الإجماع ، أوضح الحال فيه لمن بحضرته من الفقهاء والعلماء حتى يصيروا مثله في إنكاره ، ويجتمعوا معه على إيجاب رده ، ثم يتقضيه حينئذ نقضا شيعا ويذيع ، ويعود به الأمر إلى واجبه ، ويستقر معه الحق في نصابه ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك ، ومجته عليك ؛ قد شرح به صدرك ، وأوضح به سبلك وأقام أعلام الهداية لك ، ولم يالك تبصيرا وتذكيرا ، ولم يدرك تعريفا وتوقيفا ؛ ولم يجعلك في شيء من أمرك على شبهة تعريضك ، ولا حيرة تعناقك ؛ والله شاهد له بخروجه من الحق فيما وصى وعهد ، وعليك بقبولك ما قبلت مما وثى وقلد ؛ فإن عدلت واعتدلت - وذلك خليك بك - فقد فاز وفزت معه ، وإن تجانفت وزللت - وذلك بعيد منك - فقد ربح وخسرت دونه ؛ فلتكن التقوى زادك ، والاحتراش شعارك ؛ وأستعين بالله يُعينك ، وأستهده يهذك ؛ وأعتضد به يُعضدك ، وأستمد من توفيقه يُمددك ؛ إن شاء الله تعالى .

[وكتب نصير الدولة الناصح أبو طاهر يوم كذا من رجب سنة ست وستين
(١) وثلاثمائة] .



وهذه نسخة عهد بقضاء القضاة شرقاً وغرباً ، كُتِبَ به عن الإمام الناصر لدين الله أحمد ، للقاضي محي الدين أبي عبد الله محمد بن فضلان ، من إنشاء أستاذ الدار عضد الدين بن الضحاك ، وهي :

هذا ماعهد عبد الله وخليفته في العالمين ، المقترض الطاعة على الخلق أجمعين ، أبو العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين ، إلى محمد بن يحيى بن فضلان : حين سبرِ خلاله واستقرأها ، واعتبر طرائقه واستبرأها ، فالفاه رشيداً في مذهبها ، سيدداً في أفعاله وضرائبه ، موسوماً بالرصانه ، حالياً بالورع والديانة ، مبرزاً من العلوم في فنونها ، عالماً بمفروض الشريعة المطهرة ومسئونها ، مديراً ملائس العقاف ، قد أناف على أمثاله في بوارع الأوصاف ، فقلده قضاء القضاة في مدينة السلام وجميع البلاد والأعمال ، والنواحي والأمصار : شرقاً وغرباً ، وبُعْداً وقرباً ، سُكُونًا إلى ما علم من حاله ، وأضطلاله بالنهضة المنوطة به وأستقلاله ، ورُكُونًا إلى قيامه بالواجب فيما أُسند إليه ، ونهوضه بعبء ماعول في حفظ قوانينه عليه ، وأستنامة إلى حلول الأخطان عنده ، ومصادفته منه مكاناً تَبَوَّاه بالاستحقاق وحده ، والله تعالى يعضد آراء أمير المؤمنين بمزيد التوفيق في جميع الأمور ، ويحسن له الخيرة فيما يؤمّه من منازم الدين وصلاح الجمهور ، وما توفيق أمير المؤمنين إلّا بالله عليه يتوكّل وإليه يُنِيب .

أمره بتقوى الله تعالى في إعلانه وإسراره ، وتقمّص شعارها في إظهار أمره وإضمّاره ، فإنها العروة الوثقى ، والذخر الأبقى ، والسعادة التي مادونها فوز ولا فوقها مرقى ، وهي حلية الأبرار ، وسيا الأخيار ، والمنهج الواضح ، والمنجى الرابح ، والسبيل

المؤدى إلى النجاة والخلاص ، يوم لا وزر ولا ت حِينَ مَنَاصٍ ؛ وأنفعُ العُدِّ والذخائر ، وخيرُ العتاد يوم تُنشرُ الصُّحف وتُبلَى السُّرائر ؛ يومَ تَشَخَّصُ الأبصار ، وتُعدَمُ الأنصار : ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ سُرَّابِلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَتَقَشَّى وُجُوهُهُمُ النَّارَ ﴾ . ولا ينجو من عذاب الله يومئذٍ إلا مَنْ كان زاده التقوى ، وتمسك منها بالسبب الأقوى ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴾ .

وأمره أن يجعل كتاب الله إماماً يَهْتَدَى بِمَنَارِهِ ، ويستصبح بِبَوَاهِرِ أَنْوَارِهِ ؛ ويستضيءُ في ظُلُمِ المشكلات بِمَيِّزِ مُضْبَاحِهِ ، ويقفُ عند حُدُودِ مُحْظُورِهِ وَمُبَاحِهِ ؛ ويَتَّخِذُهُ مثلاً يَحْتَدِيهِ ، ودليلاً يَتَّبِعُ أثرَهُ فِيهِدِيهِ ؛ ويعملُ به في قضاياه وأحكامه ، ويقتدى بأوامره في تقضيه وإبرامه : فإنه دليلُ الهدى ورائده ، وسائقُ النجح وقائده ؛ ومعدنُ العلم ومنبعه ، ومنجمُ الرِّشَادِ وَمَطْلَعُهُ ؛ وأحدُ الثقلين اللذين خلَقَهُمَا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأمّة ، والدُّكْرُ الَّذِي جعله الله تعالى تَبَيَّاناً لكل شيءٍ وهُدًى ورحمة ، فقال عز من قائل : ﴿ وَزَلَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ .

وأمره بأنتراع ^(١) الآثار النبوية صلوات الله على صاحبها وسلامه ، والاهتداء بِسُمُوسِهَا التي تنجلي بها دُجْنَةُ كُلِّ مَشِئِلٍ وظلامه ؛ والافتداء بِسُنَّةِ الشريعة المتبوعة ، وتصفُّح الأخبار المسموعة ؛ والعملِ منها بما قامت أدلة صحّته من جميع جهاته ، واستحكمة الثقة ببقائه عنه - عليه السلام - وزواته ؛ وسابغ أسانيده من قدح ، ورجاله من ظنة وجرح ، فإنها التالية للقرءان المجيد في وجوب العمل بأوامره ،

(١) في اللسان ج ١٠ ص ٢٢٩ « آتزع بالآية والشعر تمثل ويقال للرجل إذا استنبط معنى آية من كتاب الله قد آتزع معنى جيداً » .

والإتِّهَاءَ بِرَوادعه وزواجِرِهِ ، وهو عليه الصلاة والسلامُ الصَّادِقُ الأَمِينُ الَّذِي ماضٍ
وما غَوَى ، وما يَنْطِقُ عن الهَوَى ، وقد قرَنَ الله سبحانه طاعته بطاعته ، والعملَ
بكتابه والأخذَ بسنَّته ، فقال عز من قائل : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ
عَنْهُ فَاتَّقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .

وأمره بمجالسة العلماء ، ومُباحثة الفقهاء ، ومُشاركتهم في الأمور المشيكله ،
وعوارِض الحكومات المُعْضِله : لتستبين سبيلَ الصواب ، ويعرَى الحُكْمُ من مَلَابِسِ
الشُّبُهَةِ والارتِبابِ ، ويُخْلَصَ من خطِ الأَنفِرَادِ ، وغوائلِ الاستبدادِ ؛ فالمشورة باليمنِ
مقرونة ، والسلامة في مطاويها مضمونة ، وقد أمر الله تعالى بها نبيه صلى الله عليه
وسلم مع شرف منزله وكِمالِ عِصْمتِهِ ، وتأبيده بوحيه وملائكته ؛ فقال سبحانه :
﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ .

وأمره بفتح بابه ، ورفع حجابهِ ، وأنَّ يجلسَ لِمُخْصُومٍ جُلُوساً عادماً ، وينظرَ
في أمورهم نظراً حسناً تاماً ؛ مساوياً بينهم في نظره ولحظه ، وإصغائه ولَفْظِهِ ؛ محترِزاً
من ذى اللِّسَنِ وَجُرْأَةِ جَنَانِهِ ، متأنياً بذى الحَصْرِ عند إقامة بُرْهَانِهِ ، فربَّما كان
أحدُ الخصمين أَلْحَنَ بُحْجَتِهِ ، والآخَرُ ضَعِيفاً عن مُقاوَمَتِهِ ؛ هذا مَقَامُ الفحصِ
والاستفهامِ ، والتثبتِ وإمضاءِ الأحكامِ : ليسلمَ من خديعةِ مُحْتالٍ ، ويكْدَ مُقْتالٍ ؛
مائلاً في جميع ذلك مع الواجبِ ، سالِكاً طريقَ العَدْلِ الأَلْحَبِ ؛ غيرَ فارقٍ في إمضاءِ
الحكمِ بين القَوِيِّ والضعيفِ ، والمَشْرُوفِ والشَّرِيفِ ؛ والمالِكِ والمَلُوكِ ، والغنيِّ
والصَّعْلُوكِ ، قال الله تعالى : ﴿ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا
الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ﴾ . وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ .

وأمره أن يتصفّح أحوالَ الشهود، المسموعة أقوالهم في الحقوق والحدود؛
المرجوع إلى أمانتهم، المعمول بشهادتهم؛ الذين بهم تُقام الحجج وتُدحض، وتبرم
الأحكام وتُنقض؛ وتثبت الدعاوى وتبطل، وتُمنى القضايا وتُسجل؛ مجتهداً
في البحث عن طرائقهم وأحوالهم، وانتقاد تصاريقهم وأفعالهم، واستشفاف
سجائهم، وعرفان مزاياهم؛ مخصّصاً بالتمييز من كان حميداً لئلا يخلط، مرضي الفاعل؛
راجعاً إلى ورع ودين، متمسكاً من الأمانة والنزاهة بالسبب المتيّن، قال الله تعالى:
﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾.

وأمره بالنظر في أمور اليتامى وأموالهم، ومراعاة شئونهم وأحوالهم؛ وأن يرتب
بسبب اتساق مصالحهم الثقات الأعفَاء، والأمناء الأتقياء؛ ممن ظهرت ديانته،
وحسنت سيرته؛ وأشهر بالظلف والعفاف، والتزّه عن الطمع والإسفاف؛
ويأمرهم بحفظها من خلل يتخللها، ويد خائفة تدخلها؛ وليكن عليهم حديداً، وفي قرط
الخنو أبا؛ وخلفاً من آبائهم في الإشفاق عليهم، وحسن الالتفات إليهم؛ فإنه عنهم
مستول، والعدر عند الله تعالى في إهمالهم غير مقبول؛ وأن يأذن لهم في الإنفاق
عليهم بالمعروف من غير إسراف ولا تقتير، ولا تضيق ولا تبذير؛ فإذا بلغ أحدُهم
النكاح، وآس منه أمارات الرشد والصلاح، دفع ماله إليه، وأشهد بقبضه عليه؛
على الوجه المنصوص، غير منقوص ولا منغوص؛ ممثلاً أمر الله تعالى في قوله
سبحانه: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾.

وأمره بترويح الأيامي اللواتي لأولياء لهم من أكفائيين، بمهور أمثالهم؛ وأن
يشمل ذوات الغنى والفقير منهم بعله، ويتحرى لهم المصلحة في عقده وحله.

وأمره أن يستنبط فيما بعد عنه من البلاد ودنًا، وقرب منه ونأى، كل ذي علم واستبصار، وتيقظ في الحكم واستظهار؛ ونزاهة شائمه، وأوصاف لأدوات الاستحقاق جامعته، ممن يتحقق هوضه بذلك وأضطلاله، ويأمن استزلاله وأخذاعه، وأن يعهد إليهم في ذلك بمثل ما عهد إليه ولا يألوهم تنبيها وتذكيرا، وإرشادا وتبصيرا؛ قال الله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ .

وأمره بامضاء ما أمضاه قبله الحكم، من القضايا والأحكام؛ غير متعقب أحكامهم بنقض ولا تبديل، ولا تغيير ولا تأويل؛ إذا كانت جائزة في بعض الأقوال، مُمضاة على وجه من وجوه الاحتمال؛ غير خارقة للإجماع، عارية من ملابس الابتداع؛ وإن كان ذلك منافيا لمذهبه، فقد سبق حكم الحاكم به؛ قال الله تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ .

وأمره أن يتخذ كاتبًا قيمياً بشروط القضايا والسجلات، عارفاً بما يتطرق نحوها من الشبه والتأويلات، ويتداخلها من النقص والتليسات؛ متحرراً في كل حال، متزهاً عن دميم الأفعال. وأن يتخير حاجباً نقي الجيب، مأمون المشهد والغيب؛ مستشعراً للتقوى، في السر والنجوى، سالكاً للطريقة المثلى؛ غير متجهم للناس، ولا معتمد مأينافي بسط الوجه لهم والإيناس؛ فإنه وُصِّلهم إليه، ووجهه المشهود قبل الدخول عليه؛ فلينخبه من بين أصحابه، ومن يرتضيه من أمثاله وأضرابه .

وأمره بتسليم ديوان القضاء والحكم، والاستظهار على ما في خزائنه بالإثبات والختم، والاحتياط على ما به من المال والسجلات، والمُحجج والمحاضر والوكالات؛

والقبوض والوائق والأثبات والكفالات ، محضّر من العدول الأمانة الثقات ؛
وأن يرتب لذلك خازناً يؤدى الأمانة فيه ، ويتوخى ما توجبه الديانة وتقتضيه .

وأمره بمراعاة أمر الحسبة : فإنها من أكبر المصالح وأهمها ، وأجمعها لمنافع
الخلق وأعظمها ، وأدعاها إلى تحصيل أموالهم ، وانتظام أحوالهم ، وأن يأمر المستناب
فيها باعتبار سائر المبيعات فيها : من الأقوات وغيرها في عامة الأوقات ؛ وتحقيق
أسباب الزيادة والتقصان في الأسعار ، والتصدي لذلك على الدوام والاستمرار ؛ وأن
يُجرى الأمر فيها بحسب ما تقتضيه الحال الحاضرة ، والموجبات الشائعة الظاهرة ؛
واعتبار الموازين والمكاييل ، وإعادة الزائد والناقص منها إلى التسوية والتعديل ؛
فإن أطلع لأحد من المتعاملين على خيانة في ذلك وفعل دميم ، أو تطفيف عدل فيه
عن الوزن بالقسطاس المستقيم ، أناله من التأديب ، وأسباب التهذيب ، ما يكون
له رادعاً ، ولغيره زاجراً وإزاعاً ، قال الله تعالى : ﴿ وَيَلْ لِلطَّافِقِينَ الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا
عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ
لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

وهذا عهد أمير المؤمنين إليك ، وحجته عند الله تعالى عليك ؛ قد أولاك من
صنوف النعم والآلاء ، وجزيل الكرم والحباء ؛ ما يوجب عليك الاعتراف بقدره ،
وأستيزاع شكره ، ووقف بك على محجة الرّشاد ، وهذاك إلى منهج الحق وسنن
السّداد ؛ ولم يالك تنقيفاً وتبصيراً ، وتنبيهاً وتذكيراً . فتأمل ذلك متدبراً ، وقف
عند حدود أوامره ونواهيهِ مستبصراً ؛ وأعمل به في كلّ ما تاتيه وتدّره ، وتورده
وتصدّره ؛ وكن للخيلة في آرتيادك محققاً ، وللمعتدّ فيك مُصدّقاً ؛ تفز من خير
الدارين بمعلّى القيداح ، وإحماد السرى عند الصّباح ؛ وحسب أمير المؤمنين الله
ونعم الوكيل .

الضرب الثاني

(مما كان يكتب يديوان الخلافة ببغداد لأرباب الوظائف
من أصحاب الأقسام التوابع)

وطريقهم فيها أن يفتح التوقيع بلفظ «أحق» أو «أولى» أو «أقن من أبيضت
عليه النعم» أو «من فوض إليه كذا» أو «من ثوّه بذكره» ونحو ذلك «من كان
بصفة كذا وكذا» ثم يقال : «ولما كان فلان بصفة كذا وكذا، فوض إليه كذا
وكذا» أو «أسند إليه كذا وكذا» ونحو ذلك .

وهذه نسخة توقيع بتدريس، كتب به عن الإمام الناصر لدين الله، للقاضي
محيي الدين «محمد بن فضلان» بتدريس المدرسة النظامية ببغداد، في سنة
أربع عشرة وستمائة، وهي :

أحق من أبيضت عليه بحاسد النعم^(١)، وجذب بضبعه إلى مقام التنويه وتقدم
القدم، من أسفر في أفضية الفضائل صباحه، وانتشر في العالم علمه وأزهر
مضباحه .

ولما كان الأجل الأوحّد، العالم، محيي الدين، حجة الإسلام، رئيس
الأصحاب، مفتي الفريقين، مفيد العلوم، أبو عبد الله «محمد بن يحيى بن فضلان»
أدام الله رفعته، من نظم فرائد الحامد عقه النّضيد، وأوى من العلم والعمل إلى
ركن شديد، وثبت قدمه من الديانة على مستتب راسخ وقرار مهيد - رؤى التعويل
في تفويض التدريس بالمدرسة النظامية إليه : ثقة بأضطراره وأستقلاله، وتبريزه

(١) المجاهد جمع مجاهد بالضم والكسر الثياب التي تلى الجسد وقد تكون مصبوبة بالجسد وهو الزعفران .

فِي حَلَبَاتِ الْإِسْتَبَاقِ عَلَى نُظَرَائِهِ وَأَمَثَالِهِ ، وَتَرَاوَجِ الْمُسَاجِلِينَ لَهُ عَنْ قُوْتِ غَايَتِهِ وَبُعْدِ مَنَالِهِ ؛ وَأُسْنِدِ إِلَيْهِ - أَدَامَ اللَّهُ رَفَعَتَهُ - النَّظْرُ فِي أَوَاقِفِ الْمَدْرَسَةِ الْمَذْكُورَةِ بِاجْمَعِهَا ، وَاعْتِمَادِ مَا شَرَطَهُ الْوَاقِفُ فِي مَصَارِفِهَا وَسُبُلِهَا ؛ سَكُونًا إِلَى كِفَايَتِهِ ، وَرُكُونًا إِلَى سَدَادِهِ وَأَمَانَتِهِ .

وَرِسْمٍ لَهُ تَقْدِيمُ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي مَا زَالَ مُنْتَهَجًا لَطَرَاتِقِهَا ، مَتَمَسِّكًا بِعَصَمِهَا وَوَنَائِقِهَا ؛ وَأَنْ يَشْرَحَ صَدْرَهُ لِلتَّعَلُّمِينَ ، وَلَا تَأْخُذَهُ شُجْرَةٌ ^(١) مِنَ الْمُسْتَفِيدِينَ ، وَلَا تَعْدُو عَيْنَاهُ عَنْ جُهْلَاءِ الطَّالِبِينَ ؛ وَلَا يَتَبَرَّمُ بِالْمُبَالَغَةِ فِي تَفْهِيمِ الْمَبْتَدِئِ ، وَلَا يَغْفُلُ عَنْ تَذْكِيرِ الْمُنْتَهَى : فَإِنَّهُ إِذَا أَحْتَمَلَ هَذِهِ الْمَشَقَّةَ ، وَأَعْطَى كُلَّ تَلْمِذٍ حَقَّهُ ، كَانَ اللَّهُ تَعَالَى كَفِيلًا بِمَعُونَتِهِ ، بِحَسَبِ مَا يَعْلَمُ مِنْ حِرْصِهِ عَلَيْهِمْ وَإِخْلَاصِ نِيَّتِهِ . وَلِيَكُنْ بِسَائِرِ الْمُتَفَقِّهَةِ مَعْتَنِيًا رَافِقًا ، وَعَلَيْهِمْ حَذًّا شَفِيقًا ؛ يُفَرِّغُ لَهُمْ مِنَ الْفِقْهِ مَا وَضَّحَ وَتَسَهَّلَ ، وَيُبَيِّنُ لَهُمْ مَا أَلْتَبَسَ مِنْ غَوَامِضِهِ وَأَشْكَلَ ؛ حَتَّى تَسْتَنِيرَ قُلُوبُهُمْ بِأَضْوَاءِ عُلُومِ الدِّينِ ، وَتَنْطِقَ أَلْسِنَتُهُمْ فِيهَا بِاللَّفْظِ الْفَصِيحِ الْمُبِينِ ، وَتُظْهِرَ أَنَارُ بَرَكَاتِهِ فِي مَرَاشِدِهِ وَتَبَيَّنَ ؛ وَلِتَتَوَفَّرَ هِمَّتُهُ فِي عِمَارَةِ الْوُقُوفِ وَاسْتِنَائِهَا ، وَالتَّوَفُّرِ عَلَى كُلِّ مَا عَادَ بِتَرَايُدِهَا وَزَكَائِهَا ؛ بِحَيْثُ يَتَضَحَّ مَكَانَ نَظَرِهِ فِيهَا ، وَيَبْلُغَ الْغَايَةَ الْمَوْفِيَّةَ عَلَى مَنْ تَقَدَّمَهُ وَيُوفِيهَا ؛ وَلَا يَسْتَعِينُ إِلَّا بِمَنْ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ وَيُوفِيهَا ، وَيَقُومُ بِشُرَاطِ الْأَسْتِحْقَاقِ وَيُكْفِيهَا ؛ وَهُوَ - أَدَامَ اللَّهُ رَفَعَتَهُ - يَخْرُجُ مِنْ عَوَائِدِ الْمُدَرِّسِينَ وَالْمُتَوَلِّينَ قَبْلَهُ عَلَى أَوْفَى مَعْهُودٍ ، وَيُسَامِي بِهِ إِلَى أَعْدِ مُرْتَقَى وَمَقَامٍ مَحْمُودٍ ؛ وَأَذِنَ لَهُ فِي تَسَاوُلِ إِيحَابِ التَّدْرِيسِ وَنَظَرِ الْوُقُوفِ الْمَذْكُورَةِ ، أَسْوَةً مَنْ تَقَدَّمَ فِي التَّدْرِيسِ وَالنَّظَرِ فِي الْوُقُوفِ ، عَلَى مَا شَرَطَ الْوَاقِفُ فِي كُلِّ وَرْدٍ وَصَدَرٍ ، وَاعْتِمَادِ كُلِّ مَا حَدَّثَهُ فِي ذَلِكَ وَمَثَلَهُ مِنْ غَيْرِ تَجَاوُزِ .

النوع الرابع

(مما كان يُكْتَب من ديوان الخلافة ببغداد ما كان يُكْتَب لِزُعماء أهل الذِّمة)

وطريقهم فيه أن يُفْتَح بلفظ : « هذا كتابُ أمرٍ بكتبه فلانُ أبو فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين لفلان » ثم يقال : « أما بعدُ فالحمدُ لله » ويؤتى فيه بتحميدة أو ثلاث تحميدات إن قُصِد المبالغة في قهر أهل الذِّمة بدُخولهم تحت ذِمة الإسلام وأتقيادهم إليه . ثم يذكر نظر الخليفة في مصالح الرعية حتى أهل الذِّمة ، وأنه أُنهى إليه حالُ فلان وسُئِل في توليته على طائفته قَوْلَهُ عليهم للمِيزة على غيره من أبناء طائفته ونحو ذلك ؛ ثم يُوصيه بما يناسبه من الوصايا .

وهذه نسخة من ذلك ، كُتِب بها عن القائم بأمر الله ، لعبد يسوع الخاتليق ، من إنشاء العلاء بن موصلايا ، وهي :

هذا كتابُ أمرٍ بكتبه عبدُ الله أبو جعفر عبد الله الإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين ، لعبد يسوع الخاتليق الفطرك .

أما بعدُ ، فالحمدُ لله الواحدِ بغير ثان ، القديم لآعن وجودِ زمان ؛ الذي قَصُرَت صنيعه الأوهام ، عن إدراكه وحارَتْ ؛ وَضَلَّتْ صنيعه الأفهام ، عن بلوغ مدى صفاته وحالت ؛ المتنزّه عن الولد والصاحبه ، العاجزة عن إحاطة العلم به دلائل العقول الصافية الصائبه ؛ ذى المشيئة الحالِية بالمضاء ، والقُدرة الحارِية عليها تصاريِف القَدَر والقضاء ؛ والعظمة الغنيّة عن العَوْن والظهير ، المتعالى بها عن الكُفء والنظير ؛ والعِزة المكتفية عن العُضد والنصير ، (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) .

والحمد لله الذى اختار الإسلام ديناً وأرنا نضاه، وشام به عَضْبَ الحقِّ على الباطل
 وانتضاه ؛ وأرسل محمداً - صلى الله عليه - مُنْقِذاً من أَشْرَاقِ الضَّلَّةِ ، وكاشفاً عن
 الإيمان ما عَمَّره من الإِشْرَاقِ وأَظْلَمَ ؛ وبعثه ماحياً أَثَرَ الكُفْرِ من القُلُوبِ والأَسْماعِ ،
 وناحياً فى أَتْبَاعِ أوامِرِهِ مَاجِداً فى البِدَارِ إِيَّاهِ والإِسْرَاقِ ؛ وأَدَّى ما حَمَلَهُ أَحْسَنَ الأَدَاءِ ،^(٢)
 وداوَى بِمُعْجَزِ النُّبُوَّةِ من النُّفُوسِ مُعْضِلَ الدَّاءِ ؛ ولم يَزَلْ لأَعْلَامِ الهدى مُبِيناً ، ولِحَبَائِلِ
 النِّجَى حَاسِماً مُبِيناً ؛ إلى أن خَلَصَ الحقُّ وَصَفاً ، وغدا الدِّينُ من أَضْدَادِهِ مُتَصِفاً ؛
 وَأَتَضَّحَّ لِلْحَائِرِ سَنَنِ الرَّشْدِ ، وَأَنقَادِ الأَيْبِ بِاللَّيْنِ والأَشَدِّ ؛ فَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
 الطَّاهِرِينَ ، وَأَصْحَابِهِ الْمُتَحَيِّينَ ، وَخُلَفَائِهِ الأَئِمَّةِ الرَّاشِدِينَ ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيماً .

والحمد لله الذى أَسْتَخْلَصَ أميرَ المؤمنين من أَزْكَى الدَّوْحَةِ والأَرْوَمَةِ ، وأَحَلَّهُ من
 عِزِّ الإِمَامَةِ ذِرْوَةَ الجِدِّ غَيْرَ مَرُومَةٍ ؛ وَأَصَارَ إِيَّاهِ من ثَرَاثِ النُّبُوَّةِ مَاحِوَاهُ بالاستِحْقَاقِ
 والوُجُوبِ ، وَأَصَابَ بِهِ من مَرَامِي الصَّلَاحِ ما حَمَيْتْ شُمُوسُهُ من الأَقْوَالِ والوُجُوبِ ؛
 وَأَوْلَاهُ من شَرَفِ الخِلافةِ ما أَسْتَقْدَمَ بِهِ الفَخْرَ قَلْبِي ، وَأَسْتَخْدَمَ مَعَهُ الدَّهْرَ فَمَا تَأْتِي ؛
 وَمَنَحَ أَيَّامَهُ من ظُهُورِ العَدْلِ فيها وَأَنْتَشَارِهِ ، وَلَقَّاحِ حَوَامِلِ الإِنْصَافِ فيها وَوَضَعَ
 عِشَارَهُ ، مَا فَضَّلَ بِهِ العُصُورَ الخَالِيَةَ ، وَظَلَّتْ السَّيْرُ مُتَضَمِّنَةً من ذَكَرِهَا ما كَانَتْ
 مِنْ مِثْلِهِ عَارِيَةً خَالِيَةً ؛ وَهُوَ يَسْتَدِيمُهُ - سَبْحَانَهُ - المَعُونَةَ عَلَى ما يُقَرِّبُ لَدَيْهِ
 وَيُزِيلُ عَنْهُ ، وَيَسْتَمِدُّهُ التَّوْفِيقَ الذى يَغْدُو لِعِزَائِمِهِ المِيمُونَةَ أَوْفَى العَضْدِ والعُدَّةِ ؛
 وما تَوْفِيقُ أميرِ المؤمنين إِلَّا باللهِ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ وَإِلَيْهِ يُنِيبُ .

(١) شام السيف شميا سله .

(٢) فى الأصول وأدلى الادلاء . وهو تصحيف كما لا يخفى .

وأمر المؤمنين مع ما أوجب الله تعالى عليه من اختصاص رعاياه [بالمواهب]
 التي يمد عليهم رواقها ، ويرد بها إلى أغصان صلاحهم أوراقها ؛ ويُلقي على أجيادهم
 عقودها ، ويقي رايح أشلائهم رُكودها ، يرى أن يولي أولى الاستقامة من أهل
 ذمته ضروب الرأفة وصنوفها ، وأقسام العاطفة الدافعة عنهم حوادث الغير وضروفها ؛
 بمقتضى عهودهم القويّة القويّة ، وأذمتهم^(١) التي يلزم أن يحافظ عليها أهل العدل
 والتقوى ؛ ويعتمد من الضرر الفاسد ، والإجرام المضاهي الآنف منه الغابر ؛
 بما يقبض يد الضيم وكفه ، وأن يحبهم من الحياطة بما يحرس رؤسهم المستمرة
 من أسباب الاختلال ، ويحريهم فيها على ماسنه السلف معهم من مألوف السجايا
 والخلال .

ولما أنهى إلى حضرة أمير المؤمنين تمييزك عن نظرائك ، وتحليك من السداد
 بما يستوجب معه أمثالك المبالغة في وصفك وإطرائك ؛ وتخصّصك بالإنحاء التي
 فتّ فيها شأو أقرانك ، وأذنت بها ماقصر معه مساجلك من أبناء جنسك أن يعدلك
 في ميزانك ؛ وما عليه أهل نحلته من حاجتهم إلى جائلق كافل بأمرهم ، كاف
 في سياسة جمهورهم ؛ مستقيل بما يلزمه القيام به ، غير مُقلّ بما يتعين مثله في أدوات
 منصبه ؛ وأنّ كلّاً من يرجع إليه منهم لمّا تصفح أحوال متقدّمي دينهم واستشفّ ،
 وأعمل الفكر في اختيار الأرجح منهم والأشرف ؛ وآتفقوا من بعد على إجمالة الرأي
 الذي أفاضوا بينهم قداحه ، وراضوا به زند الاجتهاد إلى أن أوري حين راموا
 اقتداحه ؛ فلم يُصادقوا من هو بالرياسة عليهم أحقّ وأحرى ، وللشروط الموجبة
 التقديم فيهم أجمع وأحوى ؛ وعن أموال وقوفهم أعفّ وأورع ، ومن نفسه لداعي
 التحزّي فيها أطوع وأتبع ، منك . اختاروك لهم راعياً ، ولمّا شدّ نظامهم ملاحظا

(١) جمع ذمام بالذال المعجمة وفي اللسان النعام والمذمة الحق والحرمة .

مُرَاعِيًا ؛ وَسَلُّوا إِمضَاءَ نَصِّهِمْ عَلَيْكَ وَالْإِذْنَ فِيهِ ، وَإِجْرَاءَ الْأَمْرِ فِيمَا يُخَصُّكَ أَسَدٌ
بِحَاجَرِيهِ ؛ وَتَرْتِيكَ فِيمَا أَهَّلْتَ لَهُ وَحَمَلْتَ ثِقْلَهُ ، وَآخْتِصَّاصَكَ عَلَى مَنْ تَقْدَمُكَ مِنَ
الْأَضْرَابِ ، بِمَزِيدٍ مِنَ الْإِرْعَاءِ وَالْإِيحَابِ ؛ وَحَمَلِكَ وَأَهْلَ نِحْلَتِكَ عَلَى الشُّرُوطِ الْمُعْتَادَةِ ،
وَالرُّسُومِ الَّتِي إِمضَاءُ الشَّرِيعَةِ لَهَا أَوْفَى الشَّهَادَةِ - رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْإِجَابَةَ إِلَى
مَا وَجَّهَتْ إِلَيْهِ فِيهِ الرَّغْبَةُ ، وَاسْتِخَارَةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ عَزْمٍ يُطْلَقُ شَبَابُهُ وَيُمِضَى
غَرْبُهُ ؛ مَقْتَدِيًا فِيمَا أَسَدَاهُ إِلَيْكَ ، وَأُسْنَاهُ مِنْ أَنْعَمِهِ لَدَيْكَ ؛ بِأَفْعَالِ الْأُئِمَّةِ الْمَاضِينَ ،
وَالْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، مَعَ أَمْثَالِكَ مِنَ الْجَنَائِقَةِ الَّذِينَ سَبَقُوا ،
وَفِي مَقَامِكَ أَسْقُوا ؛ وَأَوْعَزَ بِتَرْتِيكِكَ جَانِلِيًّا لِنُسْطُورِ النَّصَارَى بِمَدِينَةِ السَّلَامِ وَسَائِرِ
الْبِلَادِ وَالْأَصْقَاعِ ، وَزَعِيًّا لَهُمْ وَلِلرُّومِ وَالْيَعَاقِبَةِ طَرًّا ، وَلِكُلِّ مَنْ تَحْوِيهِ دِيَارُ الْإِسْلَامِ
مِنْ هَاتَيْنِ الطَّائِفَتَيْنِ مَنِّ بِهَا يَسْتَقِرُّ وَإِلَيْهَا يَطْرَأُ ؛ وَجَعَلَ أَمْرَكَ فِيهِمْ مِمْتَلًّا ، وَمَوْضِعَكَ
مِنَ الرَّيَاسَةِ عَلَيْهِمْ مَتَانًا ؛ وَأَنْ تَتَفَرَّدَ بِالتَّقَدُّمِ عَلَى هَذِهِ الطَّوَائِفِ أَجْمَعٍ : لِيَكُونَ قَوْلُكَ
فِيمَا يُجَيِّزُهُ الشَّرْعُ فِيهِمْ يُقْبَلُ وَإِلَيْكَ فِي أَحْوَالِهِمْ يُرْجَعُ ؛ وَأَنْ تُتَمِيزَ بِأَهْبَةِ الرَّعَامَةِ ،
فِي مَجَامِعِ النَّصَارَى وَمُصَلِّاتِهِمْ عَامَّةً ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشْرَكَكَ فِيهَا أَوْ يَشَاكِكَ فِي النِّسْبَةِ
الدَّالَّةُ عَلَيْهَا مَطْرَانٌ أَوْ أَسْقُفٌ لِلرُّومِ أَوْ الْيَعَاقِبَةِ : لَتَنْدُو شَوَاهِدُ وَلَايَتِكَ بِالْأَوَامِرِ
الْإِمَامِيَّةِ بَادِيَةً لِلْسَّمَاعِ وَالنَّازِرِ ، وَأَثَارُ قُصُورِهِمْ عَنْ هَذِهِ الرُّتْبَةِ الَّتِي لَمْ يَلْفُوهَا كَافَّةً
لِلْمُجَادِلِ مِنْهُمْ وَالْمُنَظِّرِ ؛ وَمُنِعُوا بِأَسْرِهِمْ عَنْ مَسَاوَاتِكَ فِي كُلِّ أَمْرٍ هُوَ مِنْ شُرُوطِ
الرَّعَامَةِ وَرُسُومِهَا ، وَالتَّزْيِيِّ بِمَا هُوَ مِنْ عِلَامَاتِهَا وَوُسُومِهَا ؛ إِذْ لَا سَبِيلَ لِأَحَدِهِمْ أَنْ
يَمُدَّ فِي مُبَارَاتِكَ بَاعَهُ ، وَلَا أَنْ يُخْرِجَ عَنْ الْمَوْجِبِ عَلَيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ لَكَ وَالتَّبَاعَةِ ؛
وَحَمَلِكَ فِي ذَاكَ عَلَى مَا يُدِلُّ عَلَيْهِ الْمَشْهُورُ الْمُنْشَأُ لِمَنْ تَقْدَمُكَ ، الْمُخْضَى لَكَ وَلِكُلِّ مَنْ
يَأْتِي بَعْدَكَ ؛ الْمُجَدِّدُ بِمَا حَوَاهُ ذِكْرُ مَا نَطَقَتْ بِهِ الْمُنَاشِيرُ الْمُقْتَرَةُ فِي أَيَّامِ الْخُلَفَاءِ
الرَّاشِدِينَ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، لِمَنْ تَقْدَمُكَ فِي مَقَامِكَ ، وَأَحْرَزَ سَبْقَ مَعْرَاكَ

ومرامِك : من كَوْنِ المنصوبِ في الحَنَلَّةِ إليه الرَّعَامَةُ على ما تَضُمُّهُ ديارُ الإسلامِ من هذه الفِرَقِ جَمْعاً ، والمنصوصُ عليه في التقدُّم الذي ليس لغيره من رياضه مَرْعَى ؛ وتقدُّمُ أمير المؤمنين بِحِياطَتِكَ وأهل نِحلتِكَ في نفوسِك وأموالِك وبِيعِك ، وديارِك ومَقارِ صلواتِك وحِراسَةِ أموالِك ، وأَعْتادِك بأقسامِ الكَلالةِ على أَجملِ الرِّسمِ معَك ؛ وأن تُنَحِّمُوا من نقضِ سُنَّةِ رِضِيَّةِ قُورْتِ لِكَم ، ودَحْضِ وتيرةِ حَمِيدَةِ اسْتُعْمِلَتِ في قَرَضِك ؛ وأن تُقْبِضَ الحِزِيَّةُ من رجالِك ذَوِي القُدرةِ على أدائها بِحَسَبِ ما جرت به عاداتُك دون النساءِ ومن لم يَبْلُغِ الحُلُمَ دَفْعَةَ واحدةٍ في السنه ، وَتُجَوُّوا في ذلك على السَّجِيَّةِ التي تَتَاقَلَّها الرُّواةُ وتداولتها الألسنه ؛ من غير تَثْنِيَّةٍ ولا تَكْثِيرٍ ، ولا تَرْزِيقٍ لِمَنْهَلِ المَعْدِلَةِ عندَك ولا تَكْذِيرٍ ؛ وأن تُحِبِّيَ بالشدِّ دائماً وتقوية يدِك على من نَصَبْتَهُ في أمورِهِم ناظراً ولشَمْلِهِم ناظراً ؛ وَيُفَسِّحَ لَكَ في فَضْلِ ما يَشْجُرُ بَيْنَهُم على سَبِيلِ الوَساطَةِ : لِقَصِدِ في ذاك ما يَحْسِمُ دَواعِيَ الخُلْفِ وَيَطْوِي سِباطَهُ ؛ وأن تُمَضِّيَ تَثْقِيفَك لَهُم وأَمْرَك فِيهِم ، أسوةً ما جَرى عليه الأمرُ مع مَنْ كانَ قَبْلَكَ يَلِيهِم ؛ لِحُسْنِ مَعِهِ السَّيْرَةِ العادِلَةِ عَلَيْهِم بِحِفْظِ السَّوَامِ ، المطابقةَ للشروطِ السائِغةِ في دينِ الإسلامِ .

وأمرُ بإنشاءِ هذا الكتابِ مُشْتَمِلاً على ما خَصَّصَكَ بِهِ ، وأمضى أن تُعَامَلَ بِموجِبِهِ ؛ فقايلُ نعمةِ أمير المؤمنين عندَكَ بما تَسْتَوِجِبُهُ من شُكْرِ تَبْلُغِ فِيهِ المَدَى الأَفْضَى ، وَبِشْرِ لا يُوجِدُ التَّصَفُّحُ لَهُ عندَكَ قُصُوراً ولا قُصُفاً ؛ ووَاطِبُ على الاعترافِ بِما أُولِيَّتَهُ من كُلِّ ما جَمَلَك ، وَصَدَّقَ ظَنُّكَ وأَمَلَك ؛ وأَسْتَرِدَّ الإِنعامَ بِطاعةِ تَطَوَّى عَلَيْها الجُواحِخ ، وأَدْعِيَةَ لَأَيامِهِ تُتَبَّعُ الغادِي منها بالرائِح ؛ وَتُجَنَّبُ التَّقصِيرُ فيما بَكَ عُدُق ، وإِلَيْكَ وَكُلِّ وَعَلَيْكَ عُلُق ؛ وأَحْفَظْ بِهذا الكتابِ جُنَّةً تَمْنَعُ عَنكَ رَيْبَ الدَّهْرِ وَغَيْرَهُ ،

وحجة تحمل فيها على ما ينحى ما منحه من كل ما شئته (٩) وغيره ؛ وليعمل بهذا المثال كافة المطارنة والأساقفة والقسيسين ، والنصارى أجمعين ؛ وليعتمدوا من التباعة لك ما يستحقه تقديمك على الجماعة ، وليثقوا بما يغمرهم من العاطفة الحامية سربهم من التفريق والإضاعة ؛ إن شاء الله تعالى .

وكتب في شهر ربيع الأول سنة سبع وستين وأربعمائة .

الطرف الرابع

(فيما كان يكتب عن مدعى الخلافة ببلاد المغرب والأندلس)

وكانوا يعبرون عما يكتب من ذلك بالظواهر والصُّكوك : فالظواهر جمع ظهير ، وهو المعلن ، سمي مرسوم الخليفة أو السلطان ظهيراً لما يقع به من المعاونة لمن كتب له . والصُّكوك جمع صك وهو الكتاب ، قال الجوهري : وهو فارسي معرب والجمع أصك وصكاك وصُّكوك ؛ ثم تحامى المتأخرون منهم لفظ الصك ، لما جرى به عرف العامة من غلبة استعماله في أحد معني الاشتراك فيه وهو الصفع ، واقتصرُوا على استعمال لفظ الظهير .

ولذلك حالتان :

الحالة الأولى

(ما كان الأمر عليه في الزمن القديم)

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مُصْطَلَحٌ يَقْفُونَ عِنْدَ حَدِّهِ فِي الْإِبْتِدَاءَاتِ ، بَلْ بِحَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ قَرِيحَةُ الْكُتَّابِ ؛ فَتَارَةً يَبْتَدَأُ بِلَفْظِ : « مِنْ فُلَانٍ إِلَى فُلَانٍ » أَوْ « مِنْ فُلَانٍ إِلَى أَهْلِ فُلَانَةٍ » أَوْ « إِلَى الْأَشْيَاخِ بِفُلَانَةٍ » أَوْ « يَصْلُحُكُمْ فُلَانٌ بِهَذَا الْكِتَابِ » .

وتارة يُبتدأ بـ «أما بعد حمد الله» . وتارة يُبتدأ بلفظ «تقدّم فلان بكذا» . وتارة يُبتدأ بلفظ «مكتوبنا هذا» وغير ذلك مما لا ينحصر .

فن الظواهر المكتّبة لأرباب السيوف عندهم ، ما كُتِبَ به بولاية ناحية ، وهى :
من فلان إلى أهل فلانة أدام الله لهم من الكرامة أتمّها ومن الرّعاية أوفّاها ،
وأسبغ عليهم برود نعمة الجزيلة وأضفاها .

أما بعد حمد الله ميسر أسباب النّجاح ، ومُسْنَى مَرَامِ الرّشاد والصّلاح ، والصلاة
على سيدنا محمد رسوله نبي الرحمة والرّفق والإشّباح ، وعلى آله وصحبه المتّصّفين بالقوّة^(١)
في ذات الله تارة وتارة بخصّ الجناح ، والرّضا عن الخليفة أمير المؤمنين ذى الشّرف
الذى لم يزل بالهدى النبوى متوقّد المصباح ، والدعاء للقام الإمارى بالنصر الذى يُؤْتى
مقاليد الافتتاح ، والتأييد الماضى حدّ رُعيه حيث لا يَمُضِي غِرَارُ المهنّد وشبّا الرّماح
- فإنّا كتبناه إليكم - كتب الله لكم سُكون الأرجاء وهُدُوها ، وأجرى لكم بالصّلاح
رواح الأيام وغُدُوها «من فلانة» وللدّولة العليّة بركات تكمّل السّحب فى أنسكابها
وأنسجامها ، وتقود الخيرات والمسرات فى كل أوب بزمامها ، والحمد لله حمدا يقضى
بوقور جزيلات النعم وجسامها .

وإنّ الأهتمام بكم لمستدقّ على كل غرض جميل ، ومقدّم فيما يُحيطكم بكلّ بغيّة
وتأميل ، وبحسب هذا لا يزال يختار لكم من الولاّة كلّ مختار مُتخَب ، ولا يُقدّم
عليكم إلّا مَنْ يتهى إلى أثيل حسبٍ وكريم مُنَسَّب ، ولا يزال يُداول موضعكم بين
كلّ طريقة تتصل من حُسن السّير وسداد النظر بأمتن سبب ، وعلى هذا الأصل
أسْتَخَرْنَا الله وهو المستخار ، والذى يقضى ما يشاء ويختار ، فى أن قدّمنا عليكم ،

وَوَلَّيْنَا لِلنَّظَرِ فِيمَا لَدَيْكُمْ، مَنْ لَهُ التَّقَدُّمُ فِي الْإِقْدَامِ، وَالْأَضْطِلَاعُ الثَّابِتُ الْأَقْدَامِ؛
وَذَلِكَ فَلَانٌ . وَآثَرْنَا كُمْ بِهِ أَعْتِنَاءَ بِجَانِبِكُمْ وَأَهْتِبَالًا، وَخَصَصْنَا كُمْ مِنْهُ بِمَنْ يُفْسِحُ
فِي كُلِّ أَثَرٍ حَمِيدٍ بَجَالًا؛ وَالْمَعْتَقْدُ فِيهِ أَنْ يَعْمَلَ عَلَى شَاكِلَتِهِ بِنَاهَةِ مَكَانِهِ، وَأَنْ يَبْدُلَ
فِي الْإِهْتِاضِ وَالْأَكْتِفَاءِ غَايَةً وَسَعَةً وَإِمْكَانَةً؛ وَعَلَيْهِ أَنْ يُلَازِمَ تَقْوَى اللَّهِ الْعَظِيمِ
فِي سِرِّهِ وَعَلَنِهِ، وَيُحَرِّىَ عَلَى سَبِيلِ الْعَدْلِ وَسَنَنِهِ؛ وَيُسَمِّرَ عَنْ سَاعِدِهِ فِي الدَّفَاعِ عَنْ
أَحْوَاذِكُمْ كُلِّ التَّشْمِيرِ، وَيَأْخُذَ عَلَى أَيْدِي أَهْلِ التَّعَدَّى أَخْذًا يَقْضِي عَلَى الْفَسَادِ وَأَهْلِهِ
بِالتَّنْذِيرِ؛ وَيَقْصِدَ بِكُمْ سَدِيدَ السَّعْيِ وَرَشِيدَ الرَّأْيِ فِي الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ؛
وَيُسَوِّىَ فِي الْحَقِّ بَيْنَ الْحَافِلِ وَالتَّافِهِ وَالْفَنِيِّ وَالْفَقِيرِ؛ وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَسْمَعُوا وَتُطِيعُوا،
وَلَا تُهْمَلُوا حَقَّ الْأَمْتَالِ وَالْإِثْمَارِ وَلَا تُضَيَّعُوا؛ وَأَنْ تَكُونُوا يَدَهُ الَّتِي تَبْطِشُ،
وَأَعْوَانَهُ فِيمَا يُحَاوِلُ مِنْ مَسْتَوَى الْمَسَاعِي الْمَرْضِيَّةِ وَمُسْتَوْعِيهَا، وَأَنْ تَتَعَاوَنُوا عَلَى التَّقْوَى
وَالْبِرِّ، وَتَقِفُوا لَهُ عِنْدَ النَّهْيِ وَالْأَمْرِ؛ وَتَجْتَهِدُوا مَعَهُ فِي مَصَالِحِكُمْ كُلِّ الْاجْتِهَادِ،
وَتَعْتَمِدُوا عَلَى مَا رَسَمْنَاهُ لَكُمْ أَتَمَّ الْأَعْتَادِ؛ وَسَتَجِدُونُ مِنْ مُوَالِيكُمْ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ -
مَا يُوَافِقُ الظَّنَّ بِهِ، وَيَلَامُ الْعَمَلَ بِحَسَبِ حَسَبِهِ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَالسَّلَامُ .



ومنها ما كُتِبَ به في ولاية ناحية أيضا، وهى :

من فلان إلى أهل فلانة أدام الله تعالى كرامتهم بتقواه، وعرفهم أحقَّ النظر
بمصالحهم وأحراه .

وبعدُ، فإنا كتبناه لكم - كتب الله لكم أحوالًا مُتَّصِلَةً الصَّلَاحِ، حَمِيدَةً الْاِخْتِيَامِ
وَالْاِفْتِيَاكِ - من فلانة ونِعْمَ اللهُ سُبْحَانَهُ مَوْفُورَةُ الْأَقْسَامِ، صَيِّبَةُ الْغَنَامِ؛ وَقَدْ أَقْتَضَى

ما تَوَخَّاهُ مِنَ الْاِحْتِطاطِ عَلَى جَوَانِبِكُمْ ، وَنَعْتِمِدُهُ مِنَ الْاِيشَارِ لَكُمْ وَالْاِعْتِنَاءِ بِكُمْ ،
أَنْ نَتَّخِيزَ لِلتَّقْدِيمِ عَلَيْكُمْ مَنْ نَعْلَمُ مِنْهُ الْأَحْوَالَ الْمَرْضِيَّةَ حَقِيقَةً ، وَنَتَّخِذُ سِيرَهُ فِيمَا يُحَاوِلُهُ
وَطَرِيقَهُ .

وَلَمَّا كَانَ فُلَانٌ مِنْ حُدُثِ مَقَاصِدِهِ ، وَشُكِرَتْ فِي الْمَحَاوِلَاتِ الْأَجْتِهَادِيَّةِ عَوَائِدُهُ ؛
وَحُسِّنَتْ فِيمَا نُصَرِّفُهُ فِيهِ مَصَادِرُهُ وَمَوَارِدُهُ ، رَأَيْنَا وَاللَّهُ الْقَاضِي فِيمَا نَذَرَهُ وَنَأْتِيهِ ،
بِالتَّوْفِيقِ الَّذِي يُكُونُ بِهِ اتِّقْيَادُ التَّجَحُّجِ وَتَأْتِيهِ ، أَنْ نَقْدِّمَهُ لِحِفْظِ جِهَاتِكُمْ ، وَتَأْمِينِ
أَرْجَائِكُمْ وَجَنَابَاتِكُمْ ؛ وَوَصَّيْنَاهُ أَنْ يَجْتَهِدَ فِيمَا قَلَّدْنَاهُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّ الْأَجْتِهَادِ ، وَيَتَنَبَّضَ
فِي إِذْهَابِ الشَّرِّ وَإِرْهَابِ أَهْلِ الْفَسَادِ ؛ وَبِأَنْ يَسْلُكَ فِيمَا يَتَوَلَّاهُ مِنَ الْأَحْكَامِ سَبِيلَ
الْحَقِّ ، وَيَجْرِيَ عَلَى سَبِيلِ الْعَدْلِ وَالرَّفْقِ ؛ وَيُدْفَعُ أَسْبَابَ الْمَظَالِمِ ، وَيُصَيِّفُ الْمَظْلُومَ
مِنَ الظَّالِمِ ؛ فَإِذَا وَافَاكُمْ فَتَلَقَّوْهُ بِنُفُوسٍ مُنَبِّسَةٍ ، وَعَقَائِدَ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ مُرْتَبِطَةً ؛
وَكُونُوا مَعَهُ عَلَى تَمْثِيلَةِ الْحَقِّ يَدًا وَاحِدَةً ، وَفِئَةً فِي ذَاتِ اللَّهِ مُتَعَاوِنَةً مُتَعَاذَةً بِحَوْلِ
اللَّهِ سُبْحَانَهُ .



ومنها ما كُتِبَ بِهِ بِإِعَادَةِ وَالٍ إِلَى نَاحِيَةٍ ، وَهِيَ :

وَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ - كَتَبَكُمْ اللَّهُ مِنَ الْمُتَعَاوِنِينَ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَأَعْلَقَكُمْ مِنْ طَاعَتِهِ
بِالْحَبْلِ الْأَمْتَنِ الْأَقْوَى - مِنْ فُلَانَةٍ : وَالَّذِي نُوَصِّيكُمْ بِهِ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْعَمَلُ
بِطَاعَتِهِ ، وَالْاِسْتِعَانَةُ بِهِ وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ ؛ وَقَدْ صَرَّفْنَا إِلَيْكُمْ فُلَانًا بَعْدَ أَنْ أَقَامَ هُنَا شَاهِدًا
مَشَاهِدًا لِلتَّلْعَمِ نَافِعَهُ ، مُبَاشِرًا مِنَ الْمَذَاكِرَةِ فِي الْكُتَابِ وَالسُّنَنِ بِمَجَالِسِ ضَامِنَةٍ خَيْرِ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ جَامِعَةٍ ، مُطَالِعًا لِأَحْوَالِ الْمُوَحِّدِينَ أَعَزَّهُمُ اللَّهُ فِي مَا خَذَهُمُ الدِّينِيَّةُ ،
وَمَقَاصِدِهِمُ الْمُحْيِيَّةَ لِمَا دَرَسَ مِنَ الْمِلَّةِ الْحَنِيفِيَّةِ ؛ فَنَالِ بِذَلِكَ كُلَّهُ خَيْرًا كَثِيرًا ، وَأَحْرَزَ بِهِ

حفظًا من السعادة كيرا، وظفر منه بما يكون له في كل ما ينظر فيه سراجًا منيرا؛
وقد أعدناه إلى الشغل الذى كان يتولاه لجهتكم حرسها الله، وصيناه بتقوى الله
تعالى الذى لا يطالع على السرائر سواه؛ وأن يكون بما شاهدته مما تقدم ذكره
مقتديا، وبأنواره الساطعة التى لا يضل من أهتدى بها مهتديا؛ ولا يستند فى شيء
من أحكامه إلى من لا يقوم على عصمته دليل، ولا يجعل إليه تحريم ولا تحليل؛
فاعينوه - وفقكم الله - على تمشية هذه المقاصد الكريمة أكرم إمانه، وأسلكوا
من مظاهرتة على الحق وموازرتة على المسالك التى تستبين هنالك أتم أسبانه؛
إن شاء الله تعالى .



ومن الظواهر المكتبة بالوظائف الدينية ما كتب به فى ولاية قاض، وهو :

أما بعد حمد الله رافع علم الحق لمن أهتدى، وواضع يزان القسط بالشرعية
المحمدية الآخذة بالجزع عن مهاوى الردى؛ ومؤيد الدين الحنيفى بن آرتضى لتحديد
حدوده وتجديد عهوده وهدى . والصلاة على سيدنا محمد نبيه الكريم الذى أرسله
إلى الناس كافة غير مستثنى عليه من الخلق أحدا؛ وعلى آله وصحبه الذين سلكوا
فى نصره وإظهار أمره جددا . والرضا عن الخليفة أمير المؤمنين العباسى الأطيب
عنصرا ومختدا، فإننا كتبناه إليكم - كتبكم الله ممن أعتز بطاعته وتقواه، وأعصم من
حبله المتين بأوقفه وأقواه - من فلانة وفضل الله سبحانه مديد الظلال، وتوكلنا
عليه - عز وجهه - ظهيرنا المعتمد به فى كل حال، وعمادنا الذى تقدمه فيما ندبره
من الأعمال؛ وإنكم من عنايتنا، وموصول رعايتنا، ليالحل الأدنى؛ ومن خاص

نظرنا وأهتما منا لمن نكف بشأنه كله ونعني ، ونعتمد من ذلك بالأحسن فالأحسن
بجزء الذين أحسنوا الحسن .

وقد علمتم - وصل الله كرامتكم - أن الأحكام الشرعية هي ملاك الأمور
ونظامها ، وعليها مدار الأعمال الدينية وبها تمامها ؛ وأنه لا يصلح لها إلا من تجرد
عن هواه ، وآثر الحق على ما سواه ؛ وأتبع حكم نبيه - عليه السلام - في كل ما عمل
ونواه ، وتجل بالدراية وحمل الرواية فكانتا أظهر حلاه ؛ وأتسم بالعدل والاعتدال
فيما وليه من ذلك أو تولاه ، وكان ممن أطلق الحق لسانه وقيد الورع يمينه ؛ وقد أمعنا
النظر فيمن له من هذه الأوصاف أو في نصيب ، ومن إن رمى عن قوس نظره
الموفق كان سهمه المسدد مصيب : لنخصمكم به قاضيا في هذه الأحكام ، ونقدمه
للفصل بينكم في القضايا الشرعية حكما من صالح الحكم ؛ فرأينا أهلا لذلك ومحللا
من اختيرت على [النهج] القويم أحواله ، وأرضيت فيما نيظ به من ذلك أعماله
وأقواله ؛ وشهد له الاختبار بالانكشاف عن كل سابق وغائب ، وعن ارتكاب
التيات إلى السنن اللاحب ؛ وذلكم « فلان » أدام الله كرامته وتوفيقه ، ويسر إلى
مسالك النجاة مسلكه وطريقه ؛ فأنفذناه إليكم حكما مرضى السير ، وإفر الحظ
من المعارف المصورة للحق في أجمل الصور ؛ مكتفيا بما لديه من استقامة الأحوال
عن الوصايا ما خلا التذكير والتنبية ، والوصية بتقوى الله فهي التي تعصم العامل بها
وتنجيه ؛ فقد وصى بها الله من اختاره من خلقه لإقامة حقه وأرضاه ، فقال تعالى :
(وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ) . فتلقوه
- أدام الله كرامتكم - بنفوس منبسطه ، وقلوب مبهجة مغتبطه ، وأهواء على التظافر

والتناصر في الحق مجتمعة مرتبطة ؛ وتعاونوا في ذات الله على الطاعة ، وكُونُوا في سبيل الله يدًا واحدة فيد الله مع الجماعة ؛ واستعينوه سبحانه على الخير يُعْنِكُمْ ، وأشكروا الله يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مما أخذَ منكم ؛ وهو سبحانه يتولّاكم بالحفظ الشامل ، ويستعملكم من طاعته وسُلوِك سبيل مَرْضَاتِهِ بِأَنْجَى ما أَسْتَعْمِل به عامل ؛ والسلام .



ومنها ما كتب به أبو الحسن الرعني في ولاية قاض ، وهي :

من فلان إلى الأشياخ بفلانة أدام الله كرامتهم بتقواه ، وأَسْتَعْمِلهم فيما يُحِبُّه ويرضاه .

أما بعد ، فإننا كتبناه إليكم - كتب الله لكم حُسْنَه ، وأَوْزَعكم شُكْرَ ما حَوْلَكُمْ من نِعْمَاه ورُحْمَاه ؛ ومن مقاصد هذا الأمر العزيز - أدامه الله - ما يُعْلِي يد الحق وَيُسْمِيها ، ويسدّد سهام العدل إلى أغراضها ومَرامِها ، ويتكفّل بالجزاء لمن لا ذَء بأكاف الطاعة وتواحيها ، والحمد لله على نِعَمِهِ التي لا تُحْصَرها ولا تُحْصِيها .

وإلى ذلكم فإن فلانا لما تمكنت الثقة بجَمِيل صِفَتِهِ ، وأسْتَنَامَتِ البصيرةُ إلى أَسْتِحْكامِ سُنَنِهِ ومَعْرِفَتِهِ ؛ وقد كان تقدّم له من خِدْمَةِ الأمر وأولِيائِهِ ما نَجَّدَهُ مع الأَيَّامِ وخَرَّجَهُ ؛ وخصّصه من كَرِيم الاستعمال بما أَسْتَدْنَاهُ إلى مَراقِي الدِّكاهِ ، وأسْتَدْرَجَهُ ؛ رأينا - والله المستعان - أن نقدّمه للنظر في قضاياكم الدِّينِيَّةِ ، وأحكامكم الشرعيَّةِ ؛ بعد أن وصَّينا بتقوى الله فقَدَّمْها ، وعَرَضْنا عليه ما يعلّمهُ ويلزُمُهُ من شروط الحكومة فالتزمها . فليَنُضْضْ إلى ما قدَّمناه على بركة الله تعالى

(١) في الأصل أنجده بالهمز وهو غير مناسب .

مشمراً عن ساعد الحزم، آخذاً في كافة أموره بما يأخذه أولو العزم؛ جارياً على السنن
الواضح المعروف؛ مسوياً في الحق بين النبيه والخامل والشريف والمشروف؛ محتسباً
على إقامة فروض الدين أكرم احتساب، مكتسباً من الأجر في ردع الظلم والباطل
أفضل اكتساب، راجياً في تمشية العدل على رغم من أباه ما يرجو المؤمن المحقق
من زلفى وحسن مآب؛ ولدينا من عقده على ذلك ما يحسن مقصده، ويمكن
في بسطة الحق مقعده؛ فإذا وافاكم فاستبشروا بموافاته، وقفوا عند ما يفضيه
من لوازم الشرع وموجباته، وتعاونوا على الخير تعاوناً يجرل حظكم من فضل الله
وبركاته؛ فهو المؤمل في ذلك لأرب سواه .



ومن الظواهر المكتتة بالوظائف الديوانية ما كتب به أبو المطرف بن عميرة
بولاية وزارة، وهو :

مكتوبنا هذا بيد فلان أدام الله علاءه، وحفظ عنايته وغناه؛ يجد به مكان
العزة مكننا، ومورد الكرامة عذاباً معيناً، وسبيل الحرمة المتأكدة واحداً مستتبناً؛
ويتقلد وزارتنا تقلد تفويض وإطلاق، ويلبس ما خلع عليه منها لبسة تمكن
وآستحقاق، وينزل من رتبته العليا منزلة شرفها ثابت وحماها باق؛ ويسوغ الدار
الخزنية التي يسكنها بفلانة تسويها يملكه إياها أصح تملك، ويفرد فيها من غير
تشريك؛ إن شاء الله تعالى والسلام .



ومنها ما كتب به أبو عبد الله بن الأبار في مشاركة ناحية، وهو :

عن إذن فلان، يتقدم فلان للنظر في الأشغال الخزنية بفلانة، مؤفياً بما يجب عليه من الاجتهاد والتشمير، والجد الذي أرسّم في الإنماء والتثمير، مصداً ما قدر فيه من الانتهاض والاستقلال، وقرّر عنه من الأمانة التي رثّته وأهلته لاتبه الأعمال، جارياً في ضبط الأمور الخزنية والرفق بجانب الرعية على المقاصد الجليّة والمذاهب المرضية في عامة الشؤون والأحوال، عاملاً بما تقدمت به الوصية إليه، وتأكدت الإشارة [به] عليه؛ من تقوى الله في السر والعلن، علماً أن المرء بما قدمته يداه مرتين.



ومنها ما كتب به المذكور بإعادة مشارف إلى ناحية، وهو :

يُعاد بهذا المكتوب فلان إلى حُطّة الإشراف بفلانة : رافلاً من ملابس التكرمة والحُطوة في شُقوقها، مُحلّ بينه وبين النظر في ضروب الأشغال الخزنية وصنوفها، فهو المعروف بالكفاية والاجتهاد، الموصوف بحُسن الإصدار والإيراد؛ وأولى الناس بالتزام النصيحة، والأزدياد من بضائع الأعمال الرّبيّحة، من كثرت النعم السلطانية لديه، ودُفع إلى الخطط ودُفعت إليه . فليتقد هذه الخطّة بحَقّها من الانتهاض والتشمير، وتأدية الأمانة بالإنماء والتثمير، وليترود تقوى الله تعالى ليوم يُسأل عن التقير والقطمير؛ جارياً في أموره كلّها على الطريقة السّوية، جامعاً بين الاحتياط ^(١) للخزن والرفق بالرعيّة، غير عادلٍ في حالٍ من الأحوال وفقّ من فنون الأعمال عن مقتضى هذه الوصية؛ إن شاء الله تعالى .

(١) الخزن بفتح الزاى ما يخزن فيه الشيء .

الطرف الخامس

(فيما كان عليه الأمر في الدولة الفاطمية بالديار المصرية)

وقد تقدّم في الكلام على ترتيب المملكة أنه كان بها من وظائف أرباب السيوف
الوزارة إذا كان الوزير صاحب سيف ، والنظر في المظالم ، وزم الأقارب ، وتقابة
العلاوين ، وزم الرجال والطوائف : كالأموية ، والحافظية ، والأفضلية ، وغيرهم
ممن تقدّم ذكره في ترتيب دولتهم ، وولاية الشرطة ، وولاية المعاون والأحداث ،
وولاية الحماية ، وولاية حفظ الثغور ، والإمارة على الحج ، والإمارة على الجهاد ،
وولاية الأعمال ، وغير ذلك . ومن الوظائف قضاء القضاة ، والدعوة إلى مذهبهم ،
والنظر في الأوقاف والأحباس ، والنظر في المساجد وأمر الصلاة ، وغير ذلك .

وكانت كتابة ما يكتب لديهم لأرباب الولايات على نوعين :

النوع الأول

(ما كان يكتب به عن الخليفة نفسه)

وكان من شأنهم أنهم يتعرّضون في أثناء الولاية لإشارة الوزير بتولية المولى وشأنه
عليه ، وربما أهملوا ذلك . وكانوا يسمّون جميع ما يكتب من ديوان الإنشاء
سجلات ، وربما سمّوه عهودا ؛ وعليه يدل ما كتبه العاضد آخر خلفائهم في طرة
سجل السلطان صلاح الدين بالوزارة : « هذا عهد لأعهد لوزير بمثله » على ما تقدّم
ذكره في الكلام على عهود الملوك .

ولهم فيها أربعة مذاهب :

(١) لعله « ومن وظائف أرباب الأقلام قضاء » الخ فتنبه .

المذهب الأول

(أن يفتَح ما يَكْتَب في الولاية بالتصدير)

وهو « من عبد الله وولَّيه فلان أبي فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين ، إلى فلان ابن فلان » بالألقاب المنعوت بها من ديوان الخلافة ، ويُدعى له بدعوتين أو ثلاث ؛ ثم يقال : « سلامٌ عليك فإنَّ أمير المؤمنين يحدُّ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصليَّ على جدِّه محمدٍ صلى الله عليه وسلم وعلى أخيه وأبن عمِّه أمير المؤمنين على بن أبي طالب » ويؤتى من وصف الخليفة ومدحه بما يُناسب المقام .
ثم هو بعد ذلك على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى

(أن يقال بعد التصدير المقدم «أما بعدُ فالحمد لله»)

ويؤتى من التحميد بما يُناسب تلك الولاية ، ثم يؤتى بتحميدة ثانية وثالثة ، وتكون الثالثة متعلِّقة بالنعم الشاملة لأمر المؤمنين ؛ ثم يقال : « وإنَّ أمير المؤمنين لما آخضه الله به من كذا وكذا » ويذكر ما ستَح من أوصاف الخليفة ، ويذكر أنه تصفَّح النَّاس وسبَّهم فلم يجد من يصلح لتلك الولاية إلا هو ؛ ويذكر من صفته ما اتَّفَق ذكره ، ثم يذكر تفويض الولاية إليه ، ويوصيه بما يُناسب ، ويختتم بالدعاء ثم بالسلام مع التفنُّن في العبارة ، واختلاف المعاني والألفاظ ، والتقديم والتأخير بحسب ما تقتضيه حالُ المُنتهى ، وتودى إليه قريحته .

وهي على ضربين :

الضرب الأول

(١) سِجَّلاتُ أربابِ السيوفِ

وعلى ذلك كَتَبُ سِجَّلاتِ وُزرائِهِم أَصحابِ السيوفِ القائمين مقامِ السلاطين الآنَ، من لَدُنْ وزارةِ أميرِ الجيوشِ بَدْرِ الْجَمَالِيِّ وزيرِ المستنصرِ : خامسِ خلفائِهِم وإلى أنقراضِ دولتِهِم . وقد تقدم منها ذكر عَهْدِي المنصورِ : أسدِ الدين شيركوه ابنِ شادى ، ثم ابنِ أخيه الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بالوزارة عن العاضدِ فى جملة عُهُودِ الخلفاء والملوك ، حيث أشار فى "التعريف" إلى عَدَمِهِما من جملة عهودِ الملوك .

ومن أحسنِها وصفًا، وأبعَجَها لفظًا، وأدقَّها معنى، ما كتب به الموقِّقُ بنُ الخَلَّالِ صاحبُ ديوانِ الإنشاءِ عن العاضدِ المتقدم ذكره، بالوزارة لشَاوَرِ السَّعْدِيِّ ، بعد أن غلبه ضَرْغامُ عليها ثم كانت له الكَرَّةُ عليه . وهذه نسخته :

من عبد الله وولَّيه عبد الله أبى محمد العاضدِ لدين الله أمير المؤمنين ، إلى السيِّدِ الأجلِّ ، سلطانِ الجيوشِ ، ناصرِ الإسلامِ ، سيفِ الإمامِ ، شَرَفِ الأَنامِ ، عُمْدَةِ الدِّينِ ، أبى فلان فلان .

سلامُ عليك : فَإِنَّ أميرَ المؤمنين يَحْمَدُ إِلَيْكَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هو ، ويسألهُ أنْ يَصَلِّىَ على جَدِّهِ مُحَمَّدٍ خاتَمِ النَّبِيِّينَ ، وإمامِ المرسلين ، صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله الطاهرين الأئمةِ المهديِّينَ ؛ وَسَلِّمْ تسليما .

أما بعدُ ، فالْحَمْدُ لِلَّهِ مانِحِ الرغائبِ ، ومُنِيلِها ، وكاشِفِ المصائبِ ، ومُزِيلِها ؛ ومُذِلُّ كلِّ عُصْبَةٍ كَلَّفَتْ بِالْغَدْرِ والشَّقَاقِ ومُذِيلِها . ناصِرٍ من بَغْيٍ عليه ، وعاكسٍ

(١) لم يترجم فيما يأتى للضرب الثانى وهو سِجَّلاتُ أربابِ الأقلامِ وإن كان قد ذكرها ضمن المراتب الثلاث الآتية فتنبه .

كَيْدِ الْكَائِدِ إِذَا فَوْقَ سَهْمِهِ إِلَيْهِ ؛ وَرَادَّ الْحَقُّوقَ إِلَى أَرْبَابِهَا ، وَمَرْتَجِعَ الْمَرَاتِبَ إِلَى مَنْ هُوَ أَجْدَرُ بِرُقِيَّتِهَا وَأَوْلَى بِهَا ؛ وَمُسْنَى الْخَيْرِ بِتَيْسِيرِ أَسْبَابِهِ ، وَمَسْهَلِ الرَّتَبِ بِتَهْيِيدِ طُرُقِهِ وَفَتْحِ أَبْوَابِهِ ، وَمُدْنَى نَائِيِ الْحِطِّ بَعْدَ نُفُورِهِ وَاعْتِرَابِهِ ؛ وَمُطْلِعِ الشَّمْسِ بَعْدَ الْمَغِيبِ ، وَمُتْدَارِكِ الْخَطْبِ إِذَا أَعْضَلَ بِالْفَرَجِ الْقَرِيبِ ؛ مُبْدِعَ مَا كَانَ وَيَكُونُ ، وَمُسَبِّبِ الْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ ؛ مُحْسِنِ التَّسْدِيرِ ، وَمَسْهَلِ التَّعْسِيرِ : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ ﴾ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخَصَّ أَوْلِيَاءَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْأَبْرَارَ بِالْأَسْتِعْلَاءِ وَالظُّهُورِ ، وَذَلَّلَ لَهُمْ جَوَارِحَ الْخُطُوبِ وَمَصَابِعَ الْأُمُورِ ؛ وَأَتَاهُمْ مِنَ التَّائِيدِ كُلِّ بَدِيعٍ مُسْتَعَرَّبٍ ، وَأَنَالَهُمْ مِنْ كُلِّ غَرِيبٍ إِذَا أُورِدَ قَصَصُهُ أَطْرَبَ ؛ وَمَكَّنَهُمْ مِنْ تَوَاصِي الْأَعْدَاءِ ، وَشَمَلَهُمْ بِعَنَائِيهِ فِي الْإِعَادَةِ وَالْإِبْدَاءِ ؛ وَضَمَّنَ لَهُمْ أَحْمَدَ الْعَوَاقِبِ ، وَأَرْشَدَهُمْ إِلَى الْأَفْعَالِ الَّتِي ثَبَّتَتْ لَهُمْ فِي صَحَائِفِ الْأَيَّامِ أَفْضَلَ الْمَنَاقِبِ ؛ وَهَدَاهُمْ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَارَاقِ زُلَّالِهِ ، وَتَمَّ غَايَةَ الثَّمَامِ كَمَا أَنَّهُ كَانَ لِرِضَا اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَحُسْنِ ثَوَابِهِ مَالَهُ ؛ وَيُمِدَّهُمْ فِي الْمَجَاهِدَةِ عَنْ دَوْلَتِهِ بِالتَّائِيدِ وَالتَّحْكِينِ ، وَيُحْظِيهِمْ مِنْ أَنْوَارِ الْيَقِينِ ، بِمَا يَجْلُو عَنْ أَفْئِدَتِهِمْ دُجَى الشُّكِّ الْبَهِيمِ ؛ وَيُظْهِرُ لِأَفْهَامِهِمْ خِصَائِصَ الْإِمَامَةِ فِي حُلِّ التَّفْخِيمِ وَالتَّعْظِيمِ ، وَيُرِيهِمْ أَنَّ خُلُوصَ الطَّاعَةِ مَنَجَّةٌ فِي الْمَعَادِ بِتَقْدِيرِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَسْتَثْمَرَ مِنْ دَوْحَةِ النُّبُوَّةِ الْأُئِمَّةَ الْهَادِينَ ، وَأَقَامَهُمْ أَعْلَامًا مُرْشِدَةً فِي مَحَبَّةِ الدِّينِ ؛ وَبَيَّنَّ بِتَبْصِيرِهِمُ الْحَقَائِقَ وَوَرَّثَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ شَرَفَ مَقَامَاتِهِمْ ،

(١) مراده الصعب . والرتب بالتحريك من معانيه الشدة والغلظة يقال ما في هذا الأمر رتب ولا عتب أى عناء وشدة .

(٢) لم يتقدم ما يعطف عليه وهو من متعلقات أمير المؤمنين كما لا يخفى .

وجعله مُحَرِّزَ غَايَتِهِمْ ، وَجَامِعَ مُعْجَزَاتِهِمْ وَأَيَاتِهِمْ ؛ وَقَضَىٰ لِمَنْ أَلْتَحَفَ بِظِلِّ فَنَائِهِ ،
وَأَشْتَمَلَ بِسَايِغِ نِعَمِهِ وَأَلَائِهِ ، وَتَمَسَّكَ بِطَاعَتِهِ وَاعْتَصَمَ بِوَلَائِهِ ؛ بِالْخُلُودِ فِي النِّعَمِ
الْمُقِيمِ ، وَالْحُلُولِ فِي مَقَامِ رِضْوَانِ كَرِيمٍ : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

يَمْحَدُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ نِعَمِهِ الَّتِي جَعَلَتْهُ لِلبَشَرِ إِمَامًا ، وَأَمَضَّتْ لَهُ فِي الْمَشَارِقِ
وَالْمَغَارِبِ أَوَامِرَ وَأَحْكَامًا ؛ وَجَرَّدَ مِنْ عَزَمِهِ فِي حَيَاةِ دِينِ اللَّهِ عَضْبًا مُرْهَفًا
حُسَامًا ، وَأَسْتَخْلَصَ لِإِنْجَادِ دَوْلَتِهِ مِنْ أَوْلِيَائِهَا أَكْلَهُمْ شَجَاعَةً وَإِقْدَامًا ؛ وَأَحْسَنَهُمْ
فِي تَدْيِيرِ أُمُورِهَا قَانُونًا وَنِظَامًا ؛ وَأَتَمَّهُمْ لِمَصَالِحِ أَجْنَادِهَا وَرِعَايَاهَا تَفَقُّدًا وَأَهْتِمَامًا ،
وَأَوَّلَاهُمْ بِأَنْ لَا يُوجَّهَ عَلَيْهِ أَحَدٌ فِي حَقٍّ مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ مَلَامًا ، وَأَجْدَرَهُمْ بِأَنْ يُحْلَلَ
مِنْ جَبِيلِ رَأْيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ دَارَ سَلَامٍ يَلْقَىٰ فِيهَا نَجِيَّةً وَسَلَامًا ؛ وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَصِلَّى
عَلَىٰ جَدِّهِ مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ الَّذِي أَعْلَنَ بِالتَّوْحِيدِ وَجْهَهُ ، وَغَلَبَ بِالتَّائِيدِ وَقَهْرَهُ ؛ وَأَظْهَرَ
الْمُعْجَزَ الْبَدِيعَ وَأَسْتَطَالَ إِعْجَازَهُ وَبَهْرَهُ ، وَأَطْلَعَ نُورَ الْإِسْلَامِ وَأَشْتَهَرَ فِي الْمَشَارِقِ
وَالْمَغَارِبِ إِشْرَاقَهُ وَظَهَرَ ؛ وَعَلَىٰ أَخِيهِ وَأَبْنِ عَمِّهِ أَهْلَنَا عَلَىٰ بَنِي أَبِي طَالِبٍ سَيْفُ اللَّهِ
الَّذِي شَهَرَهُ عَلَىٰ الْكُفْرِ وَسَلَّهُ ، وَكَفَّلَهُ إِعْزَازَ الدِّينِ فَأَعْظَمَهُ بِجِهَادِهِ وَأَجَلَّهُ ؛ وَقَرَعَ
بِعِزِّهِ صَفَاةَ الْإِلْحَادِ فَأَعَانَهُ (؟) بِعِزِّهِ وَأَذَلَّهُ ، وَقَصَّدَ الْأَصْنَامَ وَأَرْغَمَ مِنْ أَسْتَعْوَاهِ
الشَّيْطَانُ بِاتِّبَاعِهَا وَأَضَلَّهُ ؛ وَعَلَىٰ الْأُتَمَّةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا أَعْلَامِ الدِّينِ ، وَهُدَاةِ الْمُتَّقِينَ ؛
وَمَوْصَحَىٰ سَبِيلِ الْحَقِّ لِأَهْلِ الْيَقِينِ ؛ وَمَوْصَلَى الْأَنْوَارِ الدِّينِيَّةِ إِلَىٰ بَصَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛
صَلَاةً تَتَكَرَّرُ وَتَتَرَدَّدُ ، وَتُدَوِّمُ مَدَى الْأَيَّامِ وَتُتَجَدَّدُ .

وَإِنْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِمَا أَخْتَصَّه اللَّهُ بِهِ مِنَ الْمَنْصِبِ الشَّرِيفِ ، وَسَمَّا بِهِ إِلَهَهُ مِنَ
الْمَحَلِّ الشَّامِخِ الْمُنِيفِ ؛ وَفَوَّضَهُ إِلَيْهِ مِنْ تَدْيِيرِ خَلْقِهِ ، وَأَفْرَدَهُ بِهِ مِنْ آتِبَاعِ أَمْرِهِ وَالْقِيَامِ

بحقّه ؛ وناطه به من المحاماة عن المِلَّة الحنيفة ، والاجتهاد في أن يشمل أهلها بالحالة
السنية والعيشة الهنيئة ؛ وإعانتة في إظهار شعارها ، وتأيدته في إظهار علوها على
الملوك وأقنندارها - يبذل جهده في الاستعانة بمن تقوم به حجته عند الله بالاعتماد عليه ،
ويتوثق لنفسه في اختيار من يقوم برضا الله في إسناد الأمور إليه ؛ ويحرص على
التفويض لمن يكفي في التدبير ، وتُحيط غاية نظره بالصغير من رجال الدولة والكبير ،
تقربا إلى الله بالعمل فيما ولّاه بما يُرضيه ، وأزديلا فباتباع أمره في كل ما ينفذه
ويُضيه . وقد كان أمير المؤمنين تصبّح أولياء دولته ، وعظما مملكته وأكابر شيعته
وأنصار دعوته ؛ فوجدك أيها السيد الأجل أكلهم فضلا ، وأقلهم مثالا ؛ وأنهم
في التدبير والسياسة إنصافا وعدلا ، وأحقهم بأن تكون لكلّ رياسة وسيادة أهلا ؛
فقوض إليك في أمور وزارته ، وعوّل عليك في تدبير مملكته وجمع لك النظر فيما
وراء سرير خلافته ؛ فغرت الأمور بمقاصدك السعيدة على إيثار أمير المؤمنين
وإرادته ، واستمر أمر المملكة بمباشرتك على أحسن قانونه وعادته ، وشملت الميامن
والسعود أتمّ استمال على تفصيله وجملته ؛ وأنحسبت الأدواء ، وذلت بسطوتك
الأعداء ، وزالت في أيامك المظالم والأعتداء ؛ وحسنت بأفعالك الأمور ، وظهرت
الصّلاح وكان قبل وزارتك قليل الظهور ؛ فانبسطت الآمال ، وأنسقت الأعمال ؛
وأقع الضلال ، وأمنت الأهوال ؛ وخلصت من الرأي السقيم ، وحظيت بالملك
العقيم ، وغدا جُنْدُها ورعاياها بركة رأيك في النعم المقيم .

فلما رمتك عين الكمال ، وأهَبَ قلوب حَسَدِكَ مأوتيته من تمام الخلال ،
تكاثر من يحوك المكاييد ، وتظافر عليك المنافس والمعاند ؛ ورتت إليك إساءة من
عاملته بالإحسان ، وعدت عليك خيانه من أتمته أتمّ آثمان ؛ وتم له المراد بوفائك^(١)

وَعَدْرَهُ ، وَسَلَامَةِ صَدْرِكَ وَمَكْرَهُ ، وَأَتَّفَاقِ ظَاهِرِكَ وَبَاطِنِكَ وَمَبَايِنَةِ سِرِّهِ لَجْهَرِهِ ؛
فَكَانَ مَا هَوَّنَهُ فِي نَفْسِهِ سَلَامَةُ النَّفْسِ وَأَكْبَرُ الْوَلَدِ ، وَمُنَحٌ فِي اسْدَادِهِ نِعْمًا لَا تَحْصِرُ
بَعْدَهُ ، وَأَفْطَحَ مَا كَانَ فِيهِ مَا أُصِيبَ بِهِ وَلَدُكَ الْأَكْبَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي أُصِيبَ
وَهُوَ مَظْلُومٌ ، وَلَوْ لَمْ يُصَبِّ لَمْ يَمْتَنِعْ مِنَ الْأَجَلِ الْمُحْتَمُومِ ؛ فَرِحْتَ بِمَا نَالَكَ ثَوَابًا ،
وَأَسْتَفْتَحَ لَكَ الْحِطُّ مِنَ النَّصْرِ عَلَى الْبَاغِي بَابًا ؛ وَأَغْتَصَبَ الْغَادِرُ مَا لَا يَسْتَحِقُّ ،
وَرَأَاهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِصُورَةِ الْمُبْطِلِ وَرَأَاكَ بِصُورَةِ الْمُحَقِّ ؛ وَهَدَّتْكَ السَّعَادَةُ إِلَى الْعَمَلِ
بَسِيرَةِ الْأَنْبِيَاءِ ، فِي الْأَنْحِيَازِ عَنِ الْأَعْدَاءِ ، وَالتَّبَاعِدِ عَنْ أَهْلِ الْغَيِّ وَالْإِعْتِدَاءِ ؛ فَاسْتَلَمْتَ
مِنَ الْغَوَاةِ أَنْسَالَ الصَّارِمِ مِنْ غَمِّهِ ، وَتَوَارَيْتَ مِنَ الْعُتَاةِ تَوَارَى النَّارُ فِي زَنْدِهِ ؛
وَقَطَعْتَ الْمَفَاوِزَ مَصَاحِبًا لِلْعُقْرِ وَالْعَيْنِ ، حَتَّى حَلَلْتَ بَرَبَوِيَّةَ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ؛
وَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُمِدُّكَ فِي ذَلِكَ بِدُعَائِهِ ، وَيُعِدُّكَ لِتُدِيرَ دَوْلَتَهُ وَقَعَ أَعْدَائِهِ ؛ وَرَأَاكَ
وَأَنَّ أَبْعَدَتْكَ الضَّرُورَاتُ عَنْ بَابِهِ ، وَأَنَّكَ الْحَادِثَاتُ عَنْ جَنَابِهِ ، أَنَّكَ وَزِيرُهُ
الْمَكِينُ ، وَخَالِصَتُهُ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ؛ الَّذِي لَا يَنْزِعُ عَنْهُ شَمْسَ وَزَارَتِهِ ، وَلَا يُؤْمِرُهُ
غَيْرَ سُلْطَانِهِ وَمَمْلَكَتِهِ .

وَمَا وَجَّهْتَ إِلَى أَعْمَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِنِ اسْتَصْحَبْتَهُ رَاجِيًا مِنْ عُدُوكَ الْأَنْتِصَارَ ،
قَاصِدًا لِإِدْرَاكِ الثَّارِ ؛ وَحَلَلْتَ بِعَقْوَتِهِ ^(١) ، وَخَيَّمْتَ فِي جِهَتِهِ ؛ فَاتَّصَلَتْ بَيْنَكُمْ الْحُرُوبُ ،
وَعَزَّ عَلَى كُلِّ مِمَّا نِيلَ الْمَطْلُوبَ - أُنْجِدْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ عِلْمِهِ بِبُلُوغِ الْكِتَابِ
أَجَلَهُ ، وَاسْتِيفَاءِ الْوَقْتِ الْمَحْدُودِ مَهْلَهُ ، بِإِظْهَارِ مَيْلِهِ إِلَيْكَ وَمَيْلِهِ عَنْ ضِدِّكَ ، وَأَنَّ
قَضْدَهُ مُبَايِنٌ لِقَضْدِ الْمَذْكُورِ مُوَافِقٌ لِقَضْدِكَ ؛ فَسَبَّبَ ذَا نَصْرِكَ وَخِذْلَانَهُ ،
وَتَقْوِيَتَكَ وَإِيهَانَهُ ؛ وَلَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي حَالِهِ عَنَاءٌ تُسْعِدُكَ ، وَرِعَايَةٌ تُؤَيِّدُكَ .

(١) أى بساحته يقال ما بعقوة هذه الدار مثل فلان .

فحين عُدت إلى بابه عودَ الشُّموس إلى مشارِقها قَبْلَكَ أَحْسَنَ قَبُول، وتلقَّاك
بتبليغ السُّول؛ وكشفَ الغطاءَ عما كان يُسرُّه إليك ويضمِّره، ويريده بك ويؤثره؛
وجدت لك ما كنت تنظر فيه من الوزاره، ومباشرة ما كان مردودا إليك من السَّفارة
والظَّهارة: لأنك أوحَدُ ملوكِ العصر كالأ، وأوسعهم في حسن التدبير مجالا، وأشرفهم
شيئا بديعة وخلا، وأصلحهم آثارا وأعمالا، وأتمهم سعادة وإقبالا، وأكثرهم
تقيَّة لله تعالى؛ وما زلت لأفانح جامعا، ولراية المجد رافعا، ولذرى العلاء والسَّناء
فارعا، تردأُ العصور بعصرك، وتجملُ الدنيا ببقاء نبيك وأمرك؛ وتتعجب
الأفلاك العلية من سعة صدرك، وتتضاءلُ الأقدارُ السامية لعظيم قدرك؛ وكم لك
من منقبة تجلُّ أن يَكِفَّها بديعُ الأقوال، وتعظمُ أن يَمَنَّاها بديعُ الأقوال؛ فالدولة
العلوية بتدبيرك مختالة زاهية، وأركانُ أعدائها وأضدادها بحزمك وعزمك وإهيه،
وسعادات من تضمه وتشتمل عليه متضاعفة غير منقطعة ولا متناهية، ولم تزل
للإسلام سيفا قاطعا ماضيا، وعلى الإلحاد سيفا مرهفا قاضيا، تدودُ الشرك عن
التوحيد، وتصد الكفر عن الإيمان فيجيدُ مرعما ويبيد. وكم لك في خدمة أئمة
الهدى من ماثرة تؤثر فتبهج، ويورد ذكرها فيغري بالثناء عليك ويلهج؛ وتبذل
في طاعتهم النفس والولد، وتنتهى في مناصحتهم إلى الأمد الذي ليس بعده أمد؛
فلذلك فزت بدعواتهم التي أعقبك حسن العواقب، وأحلتك المحل الذي لا تسمو
إلى رقيه النجوم الثواب؛ فإذا رفعت أمير المؤمنين إلى منزلة سامية، وجد محلك
لديه عنها يجلُّ ويسمو، وإذا خصك بفضيلة ما، صادف استحقاقك عنها يرتفع
ويعلو؛ وإذا استشف خصائصك، وجدها بديعة الكمال، يمتنع أن يدرك مثلها

(١) الأقوال جمع قيل (وأصله من ذوات الواو) وهم ملوك حمير ويجمع أيضا على أقبال على

يُحْرِصُ سَائِعَ أَوْيُنَالٍ ؛ وقد تَوَافَقَتِ الْخَوَاطِرُ عَلَى أَنَّكَ أَوْحَدُ وُزَرَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَلَوِيَّةِ
ظَفَرًا وَنَظَرًا ، وَأَحْسَنُهُمْ فِي طَاعَتِهَا وَغَالِصَتِهَا أَتَمًّا ، وَأَفْضَلُهُمْ خُبْرًا وَأَطْيَبُهُمْ خَبْرًا ؛
وقد جَدَّدَ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَصْطَفَاءَكَ لَوِزَارَتِهِ ، وَاجْتِبَاءَكَ لِتُدِيرَ مَمْلَكَتَهُ ، وَجَعَلَكَ
الْفَرْدَ الْمَشَارَكَ فِي دَوْلَتِهِ .

فَتَقَلَّدَ مَا قَلَّدَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذِهِ الْمِهْمَاتِ الْحَسَامِ ، وَتَسَمَّيَ مَا وَطَّدَهُ لَكَ مِنْ
هَذِهِ الرُّتَبِ الْعِظَامِ ؛ وَتَلَقَّ آيَاهُ بِمَا يُثَبِّتُكَ فِي جَرَائِدِ الْأَبْرَارِ ، وَيَمْنَحُكَ مَصَاحِبَةَ التَّوْفِيقِ
فِي الْإِيرَادِ وَالْإِصْدَارِ ؛ وَبَاشَرَ مَا نَاطَ إِلَيْكَ مِنْ كَبِيرِ الْأُمُورِ وَصَغِيرِهَا ، وَجَلِيلِ الْأَحْوَالِ
وَحَقِيرِهَا ؛ وَأَبْسَطَ يَدَكَ فِي تَدِيرِ دَوْلَتِهِ ، وَأَنْفَذَ أَوَامِرَكَ فِي أَرْجَاءِ مَمْلَكَتِهِ ؛ وَأَعْنَبَ بِمَا
جَعَلَهُ لَكَ مِنْ تَدِيرِ جُيُوشِ الْمَيَّامِينَ وَأَوْلِيَاءِهِ الْمُتَّقِينَ ، وَكَفَالَةِ قُضَاةِ الْمُسْلِمِينَ وَهَدَايَةِ
دُعَاةِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَرَبَّ أَحْوَالِ جُنُودِهِ وَرَعَايَاهُ أَجْمَعِينَ ؛ وَأَعْمَلَ فِي ذَلِكَ بِتَقْوَى اللَّهِ
الَّذِي مَابَرِحْتَ لَكَ دَابًّا وَطَرِيقَهُ ، وَشِمَّةً وَخَلِيقَهُ ؛ وَبِهَا النِّجَاةُ مِنَ النَّارِ ، وَالسَّلَامَةُ
فِي دَارِ الْقَرَارِ ؛ وَالْفَوْزُ بِمَعْنَى الْخَلَاصِ ، فِي يَوْمِ الْمُنَاقَشَةِ وَالْقِصَاصِ . فَالْعَارِفُ مِنْ
مَهْدِهَا مَقَامَهُ فِي الْآخِرَةِ تَمْهِيدًا ، وَأَحْرَزَ بِهَا مِنَ الثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ مَزِيدًا ؛ بِقَوْلِ اللَّهِ
فِي الْكَتَابِ الَّذِي جَعَلَهُ فِي الْإِعْجَازِ فَرِيدًا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا
قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ .

وَرَأَيْتُ اللَّهَ فِيمَا أَلْفَاهُ إِلَيْكَ فَقَدْ فَوَّضَ إِلَيْكَ مَقَالِيدَ الْبَسْطِ وَالْقَبْضِ ، وَالرَّفْعِ
وَالْخَفْضِ ؛ وَالْوِلَايَةِ وَالْعَزْلَ ، وَالْقَطْعَ وَالْوَصْلَ ؛ وَالتَّوْلِيَةَ وَالتَّصْرِيفَ وَالصَّرْفَ ،
وَالْإِمْضَاءَ وَالْوَقْفَ ؛ وَالغَضَّ وَالتَّيْنِيهِ ، وَالْإِنْخَالَ وَالتَّنْوِيهِ ؛ وَالْإِعْزَازَ وَالْإِذْلَالَ ،
وَالْإِسَاءَةَ وَالْإِنْجَالَ ؛ وَالْإِبْدَاءَ وَالْإِعَادَةَ ، وَالتَّقْصِصَ وَالتَّزْيِيدَ ؛ وَالْإِنْعَامَ وَالْإِرْغَامَ ،

وكل ما تُحدثه تصاريُف الأيام، وتقتضيه مطالبُ الأنام ؛ فهو إليك مُردود، وفيما عُدقَ بنظرك معدود .

وأما العدلُ ومدُّ رواقه، وإقامةُ مَوَاسمه وأسواقه؛ والإنصافُ وأتباعُ حُجَّته، والاعتمادُ على أحكامه وأفضيته ؛ وكُفُّ عوادي الجور والمظالم، وحملُ الأمر على قصدِ التصاحب والتَّسالم ؛ وإظهارُ شعار الدين ، في إنصاف المتداعين إلى الشرع المتحامين ؛ والدعوةُ الهاديةُ وفتحُ أبوابها للمستجيبين، وإعزازُ من يَتَمَسَّكُ بها من كافة المؤمنين ؛ والأموالُ والنظرُ فيها، والأعمالُ أفاصِيها وأدانيها - فكلُّ ذلك محرَّرٌ في تقليدِ وزارَتِكَ الأول، وأنتَ أوَّلُ مَنْ حافَظَ على العملِ به وأكمل .

وأما أمراء الدولة الأكابر، وصُدُورها الأماثل ؛ وأمرأؤها الأعيان، وأولياؤها الذين بسُيُوفهم تُقامُ دعائمُ الإيمان - فانتَ شَفِيعُهُمْ في كلِّ مكان، ومُعِينُهُم الذي يَبْدُلُ جُهْدَهُ بغاية الإمكان ؛ والجَاهِدُهُمْ في النَّفْعِ وَالصَّلَاحِ ، والحريصُ على دَفْعِ ما يُلْمُ بكلِّ منهم من الضَّرَرِ والأَجْتِيَاكِ ؛ وما زِلْتَ لهم في الأغراضِ بِحَضْرَةِ أمير المؤمنين مساعداً، وعلى ما يُلْقِنُهُم الآرابَ حريصاً جَاهِداً ؛ وتَحْصُهُمْ دائماً بِعِنايتِكَ، وتُمِدُّهُمْ بِرِعايتِكَ ، وتُعْمِلُ لهم في الحاجاتِ صائِبَ رَأْيِكَ ؛ فَاجْرِهم على ما أَلْفَوْهُ من الاعتناء والإجمال، وبلِّغْهم من محافظَتِكَ نِهاياتِ الآمال ؛ فهم أبناءُ المَلَّاحِمِ ، ومُصْطَلُو هَبِّ الجمر الجاحِمِ ، ومُصَافِحُو الصَّفاحِ ، المُرَهِّفَةُ الضُّروبِ ، ومُلاعِبُو الرِّماحِ ، العاسِلَةُ ذاتِ الكُعُوبِ ؛ ومُعْمِلُو العِناقِ الأعوجِيَّةِ ، ومُرْسِلُو السَّهامِ المِريشَةِ المَبْرِيَّةِ .

وأمير المؤمنين يعلمُ أَنَّكَ بِفَضْلِ فَطْرَتِكَ، وثاقِبِ فِطْنَتِكَ، وما مَيَّرَكَ اللهُ به من قديمِ حُكْمَتِكَ وتَجَرَّبَتِكَ ؛ تَغْنِيُ عن الوصايا ، وتُنَزِّهُ عن توسيعِ الشَّرْحِ في القَضايَا ؛ وإنما أوردَ لك هذا التَّزَرُّعَ منها على جهة التَّيَمُّنِ بأوامرِ الأئمَّةِ ، والتَّبَرُّكِ بِمَراسِمِ هُدَاةِ

الأمة ؛ والله يحقق لأمر المؤمنين فيك الأمل ، ويوفّقك في خدمته للقول والعمل ؛
ويعينك على إصلاح دولته ، وأغتنام فرص طاعته ؛ وبذل الجُهد والطاقة
في مناصحته ، والاجتهاد في رفع منار دعوته ؛ ويؤيدك على أعداء مملكته ، ويرشدك
إلى العمل بما يُسبغ عليك لباس نعمته ؛ فاعلم هذا من أمير المؤمنين ورسمه ،
وانته إلى موجبهِ وحكمه ؛ إن شاء الله تعالى . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ،
والتحميد .



وعلى ذلك كتب الموفق بن الخلال أيضا عن العاضد بولاية ابن شاوّر السعدي
نيابة الوزارة عن أبيه ، وتفويض الأمور إليه ، وهذه نسخته :

من عبد الله ووليه (باللقاب الخلافة) إلى فلان (بالنعوت اللائقة به) .

سلام عليك (إلى آخر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على نحو ما تقدم
في سجل الوزارة لأبيه) .

أما بعد ، فالحمد لله مؤيد الحقائق بأفضل الأنصار ، ومُعزّ الممالك بأكمل ذوى
النفاذ والإستبصار ؛ وجاعل الولد البار لوالده رُحماً وسنداً ، والنجل المختار لناجيه
تجدة ومدا ؛ مرتّب الممالك على أفضل نظامها ، ومرقّ الدول إلى المؤثر من إجلالها
وإعظامها : ليتّضح للتأملين فضل تأكيد الأواصر ، ويستبين للناظرين فصل تباين
العناصر ؛ إبراماً منه - جل وعزّ - لأسباب الحكمة ، وتوسيعاً لسبيل الحنان
والرحمة ؛ وشمولاً لما يتّباع به إحسانه من المنّ الجسيم (فضلاً من الله ونعمة
والله عليم حكيم) .

والحمد لله معلى الدرجات ورافعها، ومفيد الأئمة ونافعها، ومزيل البأساء ودافعها،
وجيب الدعوات وسامعها، ومضاعف المصالح وجامعها، الذى وقف على الدولة
العلوية أحسن السير، وخصها فيمن توثر أصحابه بمساعدة القدر، ويسر لها رائق
التدبير بعد ملابسة الرنق والكدر؛ وأدخر لها من الأصفياء من تُشرق الدنيا بأنواره،
وتزين الدهور بحاسن آثاره؛ وتسمو المفائر بمفائجره، ويتوالى الثناء على ما أبدته
من المكارم فى أول نسبه وآخره؛ ويتتابع الإحسان لمن يختاره ويحببه، وتتضاءل
أقدار الملوك إذا ذكر فضله وفضل أبيه؛ وتسكن النفوس إلى تمام ورعه ودينه،
ويتطرق لسان الإجماع بصحة معتقده ويقينه .

والحمد لله الذى سئل البرايا فضله، وعم الخلائق عدله، وأقرت العقول بأن إليه
يرجع الأمر كله .

يحمده أمير المؤمنين على نعمه الظاهرة التى أحظت دولته الظاهرة، بمؤازرة البيت
الجليل الشورى، وأيدت مملكته القاهرة، بحاماته عن حوزتها بالعصب المرهف
والسمهرى؛ ويشكره على مننه التى استخلصت له منه أنصارا يرهفون فى طاعته
العزائم، ويحرقون فى إرادته العظام، فيدبون عن حوزته ولا يخافون فى ذات الله
لومة لائم؛ ويسأله أن يصلى على جدّه محمد الداعى إلى الهدى، والمبعوث إلى الخلائق
وهم إذ ذاك سدى، والمناضل فى نصرة الإسلام بالأسرة والآل، والمطرح
عاجل الدنيا الفانية لأجل المال؛ وعلى أبيه أمير المؤمنين على بن أبى طالب الذى
اقام من دين الله منكر الأود، وقام لنبي الله مقام النجل المرتضى والوكد؛ وقط من
طواغيت الكفر شايخ الهام، وأوضح غامض التنزيل بما أفرد الله به من مزايا

الإلهام؛ وعلى الأئمة من ذُرِّيَّتِهِمَا أبناءِ الرِّسَالَةِ والإمامه، والمختصِّين بِإِثْبَاتِ بَيْتِهِ الْحُبُوبِ بِتَظْلِيلِ الْعَمَامَةِ، والقائمين بِنُصْرَةِ الدِّينِ، والمتفرِّدين بِإِمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ .

وإنَّ أمير المؤمنين لِمَا أَقَامَهُ اللَّهُ لَهُ مِنْ تَمْكِينِ قَوَاعِدِ الدِّينِ، واختاره لإيضاحه من إرشادِ فِرْقِ الْمُسْلِمِينَ، وأفضى بِهِ إِلَيْهِ مِنْ سِرِّ الْإِمَامَةِ الْمُكْنُونِ، وألقاه إِلَيْهِ مِنْ خَفَايَا الْإِلْهَامِ الَّتِي تُسْتَبْطَنُ مِنْ أَنْوَارِهَا عِلَّةٌ مَا كَانَ وَيَكُونُ؛ وَأَمَدَهُ [بِهِ] مِنَ التَّايِيدِ الَّذِي يَسْتَأْصِلُ طَوَاغِيتَ التَّفَاقُقِ بِقَوَارِعِ الْمَهَالِكِ، وَيُسَلِّكُ بِمَرَدَةِ أَهْلِ الْعِنَادِ أَوْعَرَ السُّبُلِ وَالْمَسَالِكِ؛ وَأُنْجِدَهُ فِي كُلِّ الْحَالَاتِ بِالْأَلْطَافِ الْخَفِيَّةِ الَّتِي تُتَكَمَّلُ بِإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ، وَتَتَضَمَّنُ نَصْرَ أَعْلَامِهِ وَتَذَرُ دَعْوَتَهُ؛ وَأَتَاهُ جَوَامِعَ الْمَعَارِفِ وَالْحِكَمِ، وَفَرْضَ طَاعَتِهِ عَلَى مَنْ دَانَ بِالتَّوْحِيدِ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ؛ وَأَلْزَمَ مَقَاصِدَهُ وَأَنْهَأَهُ التَّوْفِيقِ، وَأَوْجَبَ لَهَا السَّعَادَةَ فِي كُلِّ جَلِيلٍ وَدَقِيقٍ - يَفُوضُ أَمْرَهُ إِلَى الْخَالِقِ، وَيُفِيضُ جُودَهُ وَبِرَّهُ فِي الْخَلَائِقِ؛ فَلَا يَزَالُ لِأَحْوَالِ دَوْلَتِهِ مُرَاقِبًا، وَلَا يَنْفَكُ يُفِيدُ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا نَظَرًا ثَاقِبًا؛ فَإِذَا لَاحَظَ لَهُ لَاحِظَةً صَلاَحَ، أَوْ بَدَتْ لِنَظَرِهِ حَاجَةُ نَجَاحَ، أَجْتَهَدَ فِي تَوْسِيعِ نَجَاحِهَا، وَحَرَّضَ عَلَى حَتْمِهَا وَقَصْدِ إِعْجَالِهَا؛ وَاتَّمَسَ لِلدَّوْلَةِ أَجْتِلَاحَهَا، وَفَتَحَ إِلَى اسْتِدْعَاءِ النِّفْعِ بَابَهَا: لِيَنْبَغِيَ الْخَيْرُ الْعَمِيمُ، فِي دَوْلَتِهِ، وَيَتَضَاعَفَ النِّفْعُ الْجَسِيمُ، لِرَعِيَّتِهِ؛ وَتَكُونَ كَافَّةُ الْخَلْقِ فِيهَا بِالْأَمْنَةِ وَالسَّكُونِ مَغْمُورِينَ، وَبِحُسْنِ صَنِيعِ اللَّهِ بِهِمْ فَرِحِينَ مُشْرُورِينَ .

وَلَمَّا تَصَفَّحَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَحْوَالَ دَوْلَتِهِ، وَتَأَمَّلَهَا تَأَمُّلًا مِنْ يُؤْثِرُ أَنْ يَقِفَهُ الْفَحْصُ فِي كُلِّ مَهْمٍ عَلَى حَقِيقَتِهِ، رَأَى أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا قَدْ مَنَحَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ خَالِصَتِهِ وَصِفِيَّتِهِ، وَوَزِيرَهُ وَكَافِيَهُ وَوَلِيَّهُ؛ السَّيِّدَ الْأَجَلَّ (بِالْغُيُوتِ وَالْغُيُوتِ) الَّذِي قَامَ بِنُصْرَتِهِ، وَكَفَلَ أَهْوَالَ الْحُرُوبِ بِنَفْسِهِ وَأَوْلَادِهِ وَأُسْرَتِهِ؛ وَحَالَفَ التَّغَرُّبَ وَالْأَسْفَارَ،

واستبدل من لين العيش بملاقاة السهام واللهاذم والشفار؛ واتخذ ظهور الحياذ عوضاً من الحشايا، ومنازلة الأبطال دأباً في الحنادس والبكر والعشايا؛ وآثر على لبس الغصص الموق الجديد، لباس اليلب ولألمات الحديد؛ ولازم في ذات الله قرع أبواب الختوف، والتهجم على كل مخشى مخوف؛ حتى ذلل الأعداء، وقمع الاعتداء، وحسم الأدواء، وأزم الدهر بعد خطئه الاستهواء؛ وأفاد دولة أمير المؤمنين باجتهاده عزاً، وأذخر لها عند الله من الأجر والثوبة كنزاً؛ وسير عنها في الآفاق أحسن الأحاديث، وبين فضلها على غيرها في القديم من الدهر والحديث؛ وأخلص لأمر المؤمنين في الطاعة حتى استخدم الموالى الموافق، والمباين المنافق؛ وكل فضائله التي لا تحصى، ومحاسنه التي لا تحصى ولا تعد؛ بفضيلة تفتت الفضائل، ومقبة تفوق بفخرها المناقب الجلائل : وهى ماوجهه الله [له] من بقوة الأجل فلان الذى لم يزل للدولة عزاً حاضراً، وولياً ناصراً، وعوناً قاهراً، ومجداً ظاهراً، وجملاً باهراً . وما برح لله - جلّ وعلا - مراقباً، وليرضاه وغفرانه طالباً؛ قد جمع إلى كمال الدين وصحة اليقين، والمخالصة فى طاعة أمير المؤمنين؛ لا يفتر منذ مدة الطويلة [عن] درس القرآن، ولا يبارى بغير الأمور الدينية تجماء القرآن؛ إن تصفحت محاسنه الدنيوية عد ملكاً مهذباً، وإن تأملت مناقبه الدينية حسب ملكاً مقرباً؛ وكم له من مقبة تستنقص الغيوت، وشجاعة تستجيب اللبوت؛ ومهابة ترد أحاديثها الجيوش على الأعقاب، وتغريها بموالاة الحذر والارتقاب؛ إذا أسهبت الخطوب أوجرت تديره، وإذا استطالت الحوادث قصرت طولها فأعجب تقريره؛ فالدولة العلوية من ذبّه فى الحرم الآمن، والخلافة العاضدية من ملاحظاته فى تدبير يجمع أشنات الميامن؛ فأجتماع المآثر قد وحده، بشهادة الإجماع، وتوالى المحامد قد أفردته، بما شاع منه فى الممالك وذاع؛ تتحاسد عليه غر الأخلاق، وتنافس فيه المكارم منافسة

ذوات الإِشراق؛ فلا تُوجَد خَلَّةٌ فضليّ بارِع إلا وقد جَمَعها، ولا مِكنةٌ جَبَر قارع إلا وهو الذي مَهَّد مَحَجَّتْها ووسَّعها؛ ومَقاماتُه في الجِهاد والجِلالِ مقاماتٌ أوضَحَتِ الحقائق للأفهام، وثَبَّتِ الدقائق تَثْبِيثًا يَبْقَى على غَايَر الأيام؛ وأَعَزَّتِ دعوةَ الدولة العَلَوِيَّة وأَيَّدَتْها، ونَصَرَتْ أعلامَها ونَشَرَتْها؛ وأَكشَفَتْ بالتَفْضِيل والإِحسان رِجالَها، وأزالتْ بِالْحَدِّ والتَّشْمِيرِ أَوْجَها؛ ومَحَتْ آثارَ عُدَاتِها بالسُّيُوف، وألْفَتهم عن النِّكَايات المُجَحِّفة بوزَعِ المَنَايا والخُتُوف .

والحُرُوبُ قَرِيباه في مُهُودِها، ومُنْشَاهُ بَيْنَ أُسُودِها، ورُعَاتُها وَقَفَتْ على إِضْرامِها وإِخمادِ وَقُودِها؛ فإذا تَوَرَّدَها تَوَرَّدَها بِاسْمِها مَتَهَّلًا، وإذا أَقْتَحَمَ مَضَائِقَها تَصَرَّفَ فيها مَتَوَقِّفًا مَتَهَّلًا؛ لَا يَحْفِلُ بِأَهْوَها، وَلَا يُرَى لِقَارِعَةٍ من عِظائِمِ قَوَارِعِها وإِلْها؛ وَحَسْبُكَ فَتَكَاتُها في طُغَاةِ الكُفَّار، وَقُصْدُ أَوْلِياءِ الدولة بِالإِظْهَار: فَإِنَّ الكُفَّار حِينَ نَهَدُوا لِلنِّفاق، وَاجْتَلَبُوا أَشْباَهُهم من بَعِيدِ الآفاق؛ وَتَهَجَّمُوا على الأَعْمالِ بِغَاثِهم بَعَزْمَةٍ من عَزَماتِهِ أَقامَتْ رايةَ الدين، وجعلَتْهم حَصِيدًا خَامِدِينَ؛ وَأَفْنَتْ مِنْهُم الصَّنَادِيدَ، وَأَصْطَلَمَتْهم بِبَلَايا تَرِيدُ على التَّعْديد؛ وَاجْتَحَقَتْهم بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ والتَّفْرِيقِ، وَرَمَتْهم بِدِوَاهٍ لَا يَقْدِرُ بَشَرٌ على دِفَاعِها وَلَا يُطِيقُ؛ وَلَمَّا أَلْتَجَأَ طَاغِيَةُ الكُفْرِ إلى الحَيَرَةِ وَرَكَدَ، وَرَامَ الِاعْتِصَامَ بِعُرُوتِها وَاجْتَهَدَ، وَأَغْتَرَبَ بِما مَعَهُ من الجَمْعِ وَكَثْرَةِ العَدَدِ؛ نَهَدَ إِلَيْهِ في الأَبْطالِ الأَنْجَادَ، وَنَهَضَ نَحْوَها ثابِتًا لِلِقَراعِ والجِلالِ؛ فَأزاله عن مَجْمَعِهِ، وَدَعَرَهُ دُعْرًا شَرَّدَهُ عن مَعْلَمِهِ؛ وَرماه بِالْحَرَكَ بعد السُّكُونِ، والتَّعَبِ الذي قَدَّرَ بِاِغْتِرائِهِ أَنَّ مِثْلَهُ لَا يَكُونُ؛ وَكَمْ لَهُ فَتْكَةٌ في أَهْلِ العُمُودِ ذَلَّتْ جِماحُهم، وَاسْتَلْبَتْ أرواحُهم، وَأَعادَتْ لَيْلاً بِالنَّقْعِ صَباحُهم .

وعند تَمَادِي عَتَاةِ الْكُفَّارِ فِي الْإِصْرَارِ، وَجَوَسِهِمْ خِلَالَ الدِّيَارِ؛ وَنَفْثِهِمْ فِي وُجُوهِ الْأَذَى وَالْإِضْرَارِ، وَطَمَعِهِمْ فِي أَجْتِيَاكِ أَهْلِ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْطَارِ - عَوَّلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَسْتِنْصَالِهِمْ عَلَى عَزَمِهِ، وَاعْتَصَدَ بِذَبِّهِ وَحَسَمِهِ؛ وَجَعَلَ إِلَيْهِ التَّدِيرَ بِالْقَاهِرَةِ الْحُرُوسَةِ الَّتِي هِيَ عُمْدَةُ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، وَدَارُ هِجْرَةِ الْإِمَامِ، وَمَعْقِلُ الْخِلَافَةِ مُنْذُ غَابِرِ الْأَيَّامِ؛ وَأَطْلَقَ يَدَهُ فِي رَبِّ جَمِيعِ الْأَعْمَالِ، وَتَأَمَّنَ بِهَا مِنْ بَوَائِقِ الْأَوْجَالِ؛ فَبَثَّ بِالْحَضْرَةِ وَالْأَعْمَالِ مِنْ مَهَابَتِهِ مَاشَرَتِ الْأَوْغَارِ، وَسَهَّلَ الْأُمُصَارَ، وَحَقَّقَ الضَّلَالَ، وَأَذَقَهُمُ النَّكَالَ؛ فَعَمَّ السُّكُونُ وَالْأَمْنَةُ، وَاسْتَوْلَتْ عَلَى الْأَعْمَالِ السِّيَاسَةُ الْمُسْتَحْسَنَةُ؛ بِخِدَاتِ بَنْصَرَةِ الْأَيَّامِ وَصَلَاحِ الْوُجُودِ، وَأَغْنَيْطُوا مِنْ تَدْيِيرِهِ بَصُوعُودَ الْجُنُودِ، وَرَتَّبُوا مِنْ عِنَابَتِهِ فِي عَيْشِ يُضَاهِي عَيْشَ جَنَّاتِ الْخُلُودِ؛ فَالْبَلَاغَاتُ بِأَسْرَافِهَا لَا تَقُومُ بِمَدْحِ مَا أُوتِيَ مِنَ الْفَضَائِلِ، وَلَا يُوَازِي مَجْمُوعُهَا مَنَقِبَةً مِنْ مَنَاقِبِهِ الَّتِي أَرَبَى بِهَا عَلَى الْمُلُوكِ الْأَوَائِرِ وَالْأَوَائِلِ؛ وَالْخَصَائِصُ الْمُلُوكِيَّةُ يُجْمَلُهَا فِيهِ جِلَّةٌ وَفِطْرُهُ، وَإِذَا قِيسَتْ نَادِرَةً مِنْ نَوَادِرِ فَضْلِهِ بِمَا تَفَرَّقَ فِي جَمِيعِ الْمُلُوكِ كَانَتْ فَضَائِلُهُ بِمِثْلَةِ الْبَحْرِ وَمَجْمُوعُ فَضَائِلِ الْمُلُوكِ بِمِثْلَةِ الْقَطْرِ؛ وَقَدْ طَرَزَ فَضَائِلُهُ الْبَدِيعَةَ، وَخِلَالَ السَّامِيَةِ الرَّفِيعَةَ، مِنْ مُوَالَاةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنَاصِحِهِ دَوْلَتِهِ بِمَا تَكْفُلُ بِسَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَنِهَايَاتِ مَغَانِمِ الثَّوَابِ الشَّرِيفَةِ الْفَاحِرَةِ؛ فَلَيْلَهُ وَنَهَارُهُ مَضْرُوفَانِ إِلَى الْمَجَاهِدَةِ عَنْ دَوْلَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّتِي هِيَ دَوْلَةُ التَّوْحِيدِ، وَالْمُخْلِصِ فِيهَا مُعْرَضٌ لِكُلِّ مَقَامٍ سَعِيدٍ؛ فَحَاسِنُهُ تَرْفَعُ عَنْ قَدْرِ التَّقْرِيزِ وَالْمَدِيحِ، وَلَا تُقَابِلُ إِلَّا بِمُوَالَاةِ التَّسْبِيحِ .

وَمَا أَحَدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَثَرَهُمَا فِي خِدْمَتِهِ، وَشَكَرَ قَصْدَهُمَا فِي دَوْلَتِهِ؛ وَكَانَ السَّيِّدُ الْأَجَلُّ قَدْ بَلَغَ إِرْبَهُ فِي الْخِلَالِ، وَحَلَّ الْمَحَلَّ الَّذِي لَا تَتَعَاطَاهُ جَوَائِحُ الْأَمَالِ؛ وَقَدَّرَهُ يَشْرَفُ عَنْ كُلِّ تَكْرِيمٍ، وَمَوْضِعُهُ يَمَيِّزُ عَنْ كُلِّ مَنْ جَسِيمٍ، وَمِثْرَتُهُ تَسْمُو عَنْ كُلِّ تَعْظِيمٍ - فَأَوْصَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ السَّيِّدَ الْأَجَلُّ أَنْ يُقَرِّرَ لَهُ جَمِيعَ خِدْمَتِهِ، وَيُسَيِّغَ عَلَيْهِ

فِي الْمُسْتَأْنَفِ أَضْفَى نَعْمَهُ : فَإِنْ مَحَلَّهُ يَرْتَفِعُ عَنْ مَحَلِّ الْخِدْمِ الْجَلِيلَةِ ، وَيَسْمُو عَنْ كُلِّ تَصَرُّفٍ يَسِمُهُ فِي الدَّوْلَةِ بِسِمَةِ جَمِيلَةٍ ؛ وَرَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالسَّيِّدَ الْأَجَلَ أَنْ يُعْلَنَ بِإِسْنَادِ النِّيَابَةِ عَنِ الْوَلَدِ فِي أُمُورِ الْمَمْلَكَةِ إِلَيْهِ ، وَيُشْهَرَنَّ ذَلِكَ مَعُولٌ فِيهِ عَلَيْهِ : لِيُخَفَّفَ عَنِ السَّيِّدِ الْأَجَلَ أَمِيرَ الْجِيُوشِ أَمْرَ أَنْقَالِهَا ، وَيَتَحَمَّلَ عَنْهُ تَكْلِفَهُ بَعْضَ أَحْوَالِهَا ؛ تَرْفِيهَاً لِلْسَّيِّدِ الْأَجَلَ عَنِ التَّعَبِ ، وَتَخْفِيفًا مِنْ كَثْرَةِ النَّصَبِ ؛ عَلَى أَنْ عُلُوُّ قَدْرِهِ الْأَجَلَ لَمْ يُخْلِهِ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ مِنْ مِشَارَكَةٍ فِي التَّدِيرِ ، وَلَا صَدَّهُ عَنْ مِمَّا جَرَتْ فِي مُهِمِّهِ كَبِيرٌ ؛ بَلْ مَا بَرِحَتْ يَدُهُ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِ الدَّوْلَةِ جَائِلًا ، وَجَلَالَةُ مَنْصِبِهِ تَقْضِي بِأَنْ تَكُونَ تَصْرِيفَاتُهُ لَجَمِيعِ الْأُمُورِ شَامِلَةً ؛ وَتَوْقِيعَاتُهُ مَاضِيَةً فِي الْأُمُورِ وَالرِّجَالِ ، وَالْجِهَاتِ وَالْأَعْمَالِ ؛ وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالسَّيِّدَ الْأَجَلَ يَسْتَسْعِدَانِ بِأَدَاتِهِ ، وَيَتَّبِعَانِ فِي كُلِّ السِّيَاسَاتِ مَا هُوَ مُوَافِقٌ لِإِرَادَاتِهِ : لِمَا خَصَّهُ اللَّهُ [بِهِ] مِنَ الْمَرَامِي الصَّائِبَةِ ، وَلِلْمَقَاصِدِ الَّتِي السَّعَادَةُ عَلَى مَا يَرِدُ مِنْهَا مُوَاضِيَةٌ ، وَجَبَلَهُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَافِظَةِ عَلَى حُسْنِ الْمَرْجِعِ وَحَمِيدِ الْعَاقِبَةِ - نَخْرَجُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى السَّيِّدِ الْأَجَلَ بِالْإِعَازِ إِلَى دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ بِكُتُبِ هَذَا السَّجَلِ لَكَ : فَتَقَلَّدَ مَا قُلَّدَتْهُ مِنَ النِّيَابَةِ عَنِ الْوَلَدِ فِيمَا إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِ مَمْلَكَتِهِ ، وَأَحْوَالِ دَوْلَتِهِ ؛ مُعْتَمِدًا عَلَى تَقْوَى اللَّهِ الَّتِي بِهَا نَجَاةُ أَهْلِ الْيَقِينِ ، وَفَوْزُ سُعْدَاءِ الْمُتَّقِينَ ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ . وَاحْمِلْ عَنِ السَّيِّدِ الْأَجَلَ وَالِدِكَ مَا يُؤِيرُ أَنْ تَحْمِلَهُ عَنْهُ مِنَ الْأَنْقَالِ ، وَتَكْفُلْ مَا يَكْفُلُكَ إِيَّاهُ مِنَ الْأَشْغَالِ ؛ وَتَفْعَدْ مَا يَخْتَارُ أَنْ تُفْعَدَهُ ، وَأَنْجِزْ مَا يُؤِيرُ أَنْ تُنْجِزَهُ ؛ وَأَمِضْ مَا يُسِيرُ إِلَيْكَ بِإِمْضَائِهِ مِنْ أَسَالِبِ التَّوْقِيعَاتِ ، وَفُتُونِ الْمُهِمَّاتِ ؛ وَقُمْ فِي كُلِّ مِنْ أُمُورِ نِيَابَتِكَ الْمَقَامَ الَّذِي يُرِضِيهِ ، وَيُوجِبُهُ بَرُّكَ وَيَقْتَضِيهِ ؛

(١) فِي الْأَصْلِ «إِلَيْكَ إِلَى إِمْضَائِهِ» وَلَا يَخْفَى ضَعْفُهُ أَوْ بَطْلَانُهُ .

وقد جعلك الله ميمون النقيبه ، مسعود الضريبه ؛ مكلل الآدوات ، موهلا لترقى
الغايات ؛ لا تكبر عن مباشرتك كبيره ، ولا تشف^(١) عن رتبتك رتبة خطيره ؛ وأجر
على عادة والدك فى حسن السياسة والتدير ، والإجمال للأولياء لكما فى كل صغير
من الأمور وكبير .

والوصايا متسعة الفنون ، كثيرة الشجون ؛ ولك من مزية الكمال ، وفضيلة
الجلال ، ومساعدة الإقبال ، والخبرة بالجهات والأعمال ، وطوائف الأولياء والرجال ؛
مأعينك على استنباط دقائقها ، والعمل بحقائقها ، وسلوك أحسن طرائقها .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك ، وحجته عليك ؛ فاعمل بأحكامه ، وأجر أمورك على
نظامه ؛ وبالغ أيها السيد الأجل أمير الجيوش فى شكر نعمة الله التى ألهمت الملوك
إشاعة فضلك ، ورتبت السعود على أكتاف عقدك وحلك ، ومنحتك آية كلم الله
بفعلت لك وزيراً من أهلك ؛ فاعلم هذا وأعمل به إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك
ورحمة الله وبركاته .



وعلى ذلك كتب بعض كتابهم عن العاضد ، لرؤيك بن الصالح طلائع بن رؤيك ،
بولاية المظالم وتقديم العسكر فى وزارة أبيه ، وهذه نسخته :

من عبد الله ووليه فلان أبى فلان الإمام الفلانى (بلقب الخلافة) أمير المؤمنين ،
إلى فلان (بلقبه وكنيته) .

سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، ويسأله أن
يصل على جدّه محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ؛ صلى الله عليه
وعلى آله الطاهرين ، الأئمة المهديين ؛ وسلم تسليمًا كثيرًا .

(١) فى القاموس "شف يشف شفا زاد وقص" .

أما بعد، فالحمد لله الغامر بالطول والفضل، الأمر بالإحسان والعدل، موسّع سُبُل الصّلاح لبريّه، ومسبّب أسباب النّجاح لدينه الخفيف وملته، وجاعل أبرار أوليائه ذخائر معدّة لنفع الخلق، ومُصطفى سعادٍ أحبّائه لإعلاء منار الشرع وإقامة قسطاس الحق؛ وميسّرهم للنهوض بالأعباء التي تتكفّل بعصّد الدولة العلوية وتقوم، ومحتبهم للفصل بمرّضاته فيما يقضى بإغاثة الملهوف وإنصاف المظلوم؛ الذي تنقاد بمشيئته الأمور، وتتصرف بإرادته الدّهور، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويغدو فضله على عباده جسيماً، ﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ .

والحمد لله الذي أوضح بآنيائه سُبُل الهدى للأنام، وأتقدّ بإرشادهم من عبادة الأوثان والأصنام؛ وأقام بجتهادهم أحكام مآشره من الملل والأديان، وأذهب بأنوارهم مآعر الأمم من غياهب الظلم والعدوان؛ وقبّ على آثارهم بمن لانبوة بعد نبوته، ولا حجة أقطع من حجته، ولا وصلة أفضل من وصلة ذنرها لأمته، ولا ذرّة أقوم بحق الله في حفظ نظام الإيمان من عثرته وذريته .

يمجّده أمير المؤمنين على أن مكّن له في الأرض، وذخر شفاعته لذوي الولاء في يوم النّشور والعرض؛ وأورثه خصائص من مضى من أئمة الهدى آبائه، وأفرده بمعجز التأييد الذي أضاعت الآفاق بمشرق أنبائه؛ ويشكره على أن أنجد دولته بكفيل جدّد جلبابها، وظهير أحكم أسبابها، ونصير بلغ بها في الولي والعدو مطالبها وآرابها؛ واستنّج له من تجلّه خليلاً يتلوّه في الفضائل البارعة، وناصرّاً يحاول في الذّب عن حوزته عزماً أمضى من السيوف القاطعة؛ وعَصْدا يقوم له بإرضاء الخالق والمخلوق، ومُسعداً لا يألُو جهداً في إيصال المستحقين إلى ما جعله الله لهم

من الحقوق . ويسأله أن يصلي على جدّه محمدٍ سيّد من بلّغ عن الله رسالةً وأمراً ، وأفضّل من دَعَا إلى توحيد بارئهِ سرّاً وجهراً ؛ وأكمل من جاهد عن دينه حتّى ظهرت بعد الدُّروسِ جدّته ، وفهرت إثر الخُضوعِ عزّته ، وانتشرت في المشارِقِ والمغاربِ كلمته ودعوته ؛ صلى الله عليه وعلى أخيه وآبِنِ عمّه أبينا على بن أبي طالب قسيمه في الشرف والأبوة ، وصديقه الأكبر فيما جاء به من النبوة ؛ والمكمل بالنصّ على إمامته الدّين ، وخامسِ الخمسة الذين سادسُهم الرّوح الأمين ؛ وأبى الأئمة الأبرار ، والهازم بمُفرده كلّ جيش جرّار ؛ وعلى الأئمة من ذريتهما أعلام حُجّة الهدى ، وأنوار سُبُل الإيمان التي بأنوارها يُستبصر ويُقتدى ؛ وأدلةٍ منهاج النجاة ، وكاشفي غمِّ الشكّ إذا الظلم دجّاه ؛ وسلّم ومجّد ، وتابع وردّد .

وإنَّ أمير المؤمنين لما أصطفاه الله له من إرث سرِّ الإمامة المصنُون المكنُون ، وحقّ بيّانه العظيم الذي بالخُشوع لجَلالهِ أفلح المؤمنون ؛ واختاره [له] من نشر لواء الحقّ ونصره ، وتأكّد أحكام الإنصاف ليحظى بعائدتها كافّة أهل زمنه وعصره ؛ وألبسه إياه من تاج خلافته الذي أشرق لبصائر العارفين نورهُ الساطع ، وتجلّى لأفهام الموقنين برهانه الصادع ودليله القاطع ؛ وأودعه من خفايا الحكم التي عُدب سلسيلها ، وبلغ إلى النعيم الخالد دليلها وسيلها ؛ وكلّه لأيّامه من الإقبال الذي جعلها مواسيم زاهيةً بهجة النصر المبين ، وأعيادَ ظفَرِ تروقٍ بتوالي إبادةِ العادِلين عن الطاعة النّاكبين ؛ وأوقاتاً سعيدةً تُفيد الدين وأولياءه عزّاً واعتلاءً ، وتوجب للإيمان وأنصاره اقتداراً واستيلاءً ، وتُسبغ عليهم كيفما تصرّفت بهم الأحوال مِننا ضافيةً وآلاءً ؛ ويسرّه لعلمه من الإحاطة بكلّ مُغيّبٍ مستور ، وأوجبه لأغراضه في كل ما يرومه من مظاهر المقدور ، ومَهْدِه لحلّوله من أشتخ منازل التطهير والتقديس ، وشرف به شيمه من كل حُلق نبويّ بارِع نفيس ؛ وفَضّله به من الكرم الذي لا ترأل

يُحِبُّهُ تَجُودُ الْأُمِّ سَرَفًا ، وَلَا تَتَفَكَّرُ غِيَوُهُ تُجِدُ لِمَنْ مُطَرِبُهُ عَلَاءٌ وَشَرَفًا ، وَلَا بَرَحَ وَابِلُهُ
 يَمُّ بِالنَّعْمِ الْغَرِّ الْحَسَامِ ، وَلَا تَكْفُفُ سَيُوبُهُ عَنْ إِفَاضَةِ الْمَنِّ الَّتِي عَلَتْ وَغَلَتْ فَلَا
 تُسَامِي وَلَا تُسَامِ ؛ وَخُصَّ بِهِ إِحْسَانُهُ مِنَ الْمُنَابَرَةِ عَلَى إِعْظَامِ الْمَنَاحِ لِلْمُسْتَوْجِبِينَ ،
 وَالْحَافِظَةِ عَلَى إِجْزَالِ الْمَوَاهِبِ لِلزَّادِلِينَ إِلَيْهِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْمُتَقَرِّبِينَ - يُجْهَدُ آرَاءَهُ
 فِي آرْتِيَادٍ مِنْ نِتْضَاعُفٍ لِلْبَرِيَّةِ بِالْإِسْتِعَانَةِ بِكَالِهِ أَسْبَابُ الْمَصَالِحِ ، وَتَتَأَكَّدُ لِلْأُمَّةِ
 بِالْتَّعْوِيلِ عَلَى بَارِعِ فَضْلِهِ أَحْكَامُ النَّجْحِ وَالْمَنَاجِ ؛ وَتَقُومُ الْحُجَّةُ عِنْدَ اللَّهِ بِالْإِعْتِضَادِ
 بِهِ فِيمَا يَقْضَى بِنَفْعِ [الْعِبَادِ] ، وَيُسَهِّلُ الْإِعْتِدَادَ عَلَى دِيَانَتِهِ بِالنُّصْحِ لِلَّهِ فِي الْحَاضِرِ مِنْ بَرِيَّتِهِ
 وَالْبَادِ ؛ وَيَنْطِقُ شَرْفُ خَلِيقَتِهِ بِتَوْفَرِهِ عَلَى إِحْرَازِ مَغَانِمِ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَتُعْرَبُ طَرَائِقُهُ
 عَنِ السَّعْيِ الَّذِي لَا يَقِفُ فِي مَرْضَاةِ رَبِّهِ دُونَ بُلُوغِ الْغَايَةِ الْقُصُوبِ ؛ وَتَدُلُّ أَحْوَالُهُ
 عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي كُلِّ مَا يَفْعَلُ وَيَقُولُ ، وَتُوضِّحُ أَخْبَارُهُ حُسْنَ تَأْتِيهِ
 فِي مَصَالِحِ الْأُمِّ لِمَا يَعْجِزُ عَنْ اسْتِنْبَاطِهِ رَوَاجُ الْعُقُولِ ؛ وَيَقْتَدِحُ نَظَرُهُ أَنْوَارًا يُسْتَضَاءُ
 بِهَا فِي طُرُقِ السِّيَاسَاتِ الْفَاضِلَةِ ، وَيَفْتَتِحُ فِكْرُهُ أَبْوَابًا تَضْحِي بِهَا الْخَلِيقَةُ إِلَى الْخَيْرَاتِ
 الْكَامِلَةِ وَاصِلِهِ ؛ وَيَبْعِثُهُ حُسْنُ جَبِلَّتِهِ عَلَى أَنْ يَحْتَقِرَ فِي إِعَانَةِ الْبَرَايَا ، عِظَائِمَ الْمَشَاقِّ ،
 وَيَدْعُوهُ كَرَمُ سَجِيَّتِهِ إِلَى أَنْ يَحْنُوَ عَلَى الرِّعَايَا ، حُنُوًّا مَنْ يَتَوَحَّاهُمْ بِالرَّحْمَةِ وَالْإِشْفَاقِ ؛
 وَيَقْوَى بِإِعَانَتِهِ الْمُسْتَضْعَفُ قُوَّةُ تُحَصِّنُهُ مِنْ عَدَوِي الْإِهْتِضَامِ ، وَيَعِزُّ بِمِلَاحِظَتِهِ
 الْمُسْتَذِلُّ عِزَّةً تُخْرِجُهُ عَنْ صُورَةِ الْمُقْهُورِ الْمُسْتَضَامِ ؛ وَيَقْتَنِي الْآثَارَ الصَّالِحِيَّةَ فِي عَدْلِ
 الطَّبَاعِ وَحُسْنِ السَّيِّمِ ، وَيَتَّبِعُ السُّنَنَ الْغِيَاثِيَّةَ فِي الْإِحْسَانِ إِلَى جَمِيعِ الْأُمَمِ ، وَيَقْصِدُ
 فِي اللَّطْفِ بِالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ قَصْدَهَا ، وَيَنْتَحِي نَوَاجِمَ الْبَاطِلِ فَيَعْتَمِدُ أَجْتِنَاطَهَا
 وَحَصْدَهَا ؛ وَيَكُونُ تَفْوِيضُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ تَوْثِقًا عِنْدَ خَالِقِهِ وَبَارِيهِ ، وَاحْتِيَاظًا
 لِنَفْسِهِ فِي اسْتِنَادِ الْمَهْمَاتِ مِنْهُ إِلَى مَنْ لَا يُدَانِيهِ مُدَانٍ وَلَا يُبَارِيهِ ؛ وَنَتِيجَةً لِلدَّوْلَةِ
 الْعُلَوِيَّةِ بِمَبَاشَرَتِهِ لِلْأَحْوَالِ تَيْمَنًا يُؤْذَنُ لَهَا بِإِدْرَاكِ كُلِّ مَطْلَبٍ بَعِيدٍ ، وَتَسْتَعِدُّ بِحُسْنِ

سيرته أَسْتَسْعَادَا يُقْضَى لِلنَّاسِ بِتَمَكِينٍ تُبْدَى فِيهِ وَتُعِيدُ ، وَتَحْتَالُ الْأَيَّامُ بِمَا أَجْتَلَتْهُ
من جواهر مَفَاحِرِهِ ، وَتَرْدَانُ الْأَزْمَانُ بِمَا تَوَسَّخَتْهُ مِنْ مَنَاقِبِهِ الَّتِي حَقَرَتْ الْمُلُوكَ
فِي أَوَّلِ الدَّهْرِ وَآخِرِهِ .

وقد آكْتَفَيْتُكَ أَيُّهَا الْأَجَلُ عَنَايَاتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَأَشْتَمَلْتُ عَلَيْكَ ، وَتَبَاعَتْ
مَوَادُّ أَصْطِفَائِهِ وَاجْتِبَائِهِ إِلَيْكَ ، وَأُنَالَتْكَ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ بَارِعٍ ، غَايَتُهُ ، وَأُظْهِرْتُ
فِيكَ لِكُلِّ كَيْلٍ رَائِعٍ ، آيَتُهُ ، وَجَمَعْتُ لَكَ مِنْ مُعْجَزَاتِ الْحَاسِنِ مَا لَوْلَا مُشَاهَدَتُكَ
لَوْجِبَ اسْتِحَالَةُ جَمْعِهِ ، وَلَا تَنَكَّرُ كُلُّ مُتَدَبِّرٍ صَدَرَ حَدِيثُهُ عَنْ صَدَرِ صَدْرِهِ أَوْ وُورِدَ
سَمْعُهُ ، وَيَسَّرَ لَكَ تِمَامُ السَّعْدِ وَالْإِقْبَالِ ، التَّرَقُّى إِلَى ذِرْوَةِ الْعُلَى الَّتِي يَهَابُ النُّجُومُ أَنْ
تَمُرَّ مَلَا حَظَّتْهَا مِنْهُ بِيَالٌ ، وَتَأْتَقَّتْ الْحُظُوظُ فِي إِعْظَامِ مَا خَوَّلَتْكَ مِنَ الْفَضَائِلِ الْبَاهِرَةِ
فَبَالَغَتْ وَتَنَاهَتْ ، وَأَغْرَقَتْ فِيمَا أَتَمَحَفَّتْكَ بِهِ مِنَ الْحَاسِنِ النَّادِرَةِ فَشَرَفَتْ بِكَ
وَتَبَاهَتْ ، حَتَّى غَدَا جَسِيمٌ مَأْقَدَمٌ شَرَحَهُ مِنَ الشَّاءِ وَذِكْرُهُ ، وَعَظِيمٌ مَاجِبٌ مِنْهُ نَشْرُهُ
فَتَضَوَّعَ أَرْجُهُ وَنَشْرُهُ ، نُفْبَةٌ مِنْ بَحَارِهَا الزَّانِحَةِ ، وَشُدْرَةٌ مِنْ عُقُودِهَا الْفَاحِرَةِ ، وَقَلِيلًا
مِنْ كَثِيرِهَا الْجَسِيمِ ، وَضَيْلًا مِنْ جَزِيلِهَا الَّذِي آسَتْ كَلَّ خَصَائِصَ التَّعْظِيمِ .

وَاسْتَمْتَرَتْ فَانْتَ الْجَامِعُ لِمَفْتَرِقِ الْفَضَائِلِ الْمُلْكِيَةِ ، وَالْفَارِغُ ذُرَى الْجَلَالِ الَّذِي
أَفْرَدَتْكَ بِهِ الْمَوَاهِبُ الْمُلُوكِيَّةُ ، وَالْمُنْمُوخُ أَعْلَى رُتَبِ السِّيَادَةِ السَّارِيَةِ إِلَيْكَ مِنْ أَكْرَمِ
الْأَصُولِ ، وَالْمُلْمُوحُ بَارْتِقَاءِ هِضَابِ الْمَجْدِ الَّتِي تَعَجَّرُ مَلُوكُ الْآفَاقِ عَنْ [الْإِتِّهَاءِ] إِلَيْهَا
وَالْوُصُولُ ، وَالْأَوْحُدُ الَّذِي بَدَّ الْعِظْمَاءَ فَعَظُمَ خَطَرًا وَقُدْرًا ، وَالْأَرْوَعُ الَّذِي أَنْقَادَتْ لَهُ
الصَّعَابُ فَرَحْبُ بَاعًا وَصَدْرًا ، وَالْعَالَمُ بِالْأُمُورِ الَّذِي أَصْبَحَ أَعْلَمَ مَلُوكِ الْأَرْضِ بِأَحْسَنِ
التَّدْبِيرِ وَأَدْرَى ، وَالْمُدْكِي بِأَنْوَارِ ذِكَاثِهِ فِي عَاتِمِ النَّوْبِ سِرَاجًا وَهَاجًا ، وَالْمُشْمَرُ فِي ذَاتِ
اللَّهِ فَلَا يُوجَدُ لَهُ عَلَى غَيْرِ مَا أَرْضَاهُ مَعَاجَا ، وَالْمُبْتَكِرُ مِنْ غَرَائِبِ السِّيَاسَاتِ مَا لَا تَرَالُ
مَحَاسِنُهُ عَلَى مَفْرَقِ الزَّمَنِ تَاجَا ، وَالْمُجَدِّ اللَّهْجُ بِتَجْوِيدِهِ كُلِّ مَقُولٍ وَلِسَانٍ ، وَالْمُعْجَزُ

كُلِّ متعاطٍ وإن كان بليغاً بديع الإحسان ؛ والمنموحُ المُعْرِقُ في السيادة والملَكة ،
والمبتدِعُ المكارم أبكاراً تجلُّ عن أن يُشابهه أحدٌ فيها أو يُشركه ؛ فآياتُ مجدك
ظاهرةٌ باهره ، وغرُّ خلائِكَ في اختراع المآثِرِ وأفتراعها ماهِرَه ؛ وإليك إيماءُ
السعادة وإشاراتها ، والدُسُوتُ باعلائك مناكِبها تُسمى السماء أرجاؤها ، ويتحقق
في البحر الأعظم بتصدرك فيها رجاؤها ؛ فلا كمالَ إلّا ما أصبح إليك يُنسب ، ولا جلالَ
إلا ما يُعَدُّ من خصائصك ويُحسب ؛ ولم تزل لربِّك خاضعاً ، ولشرفك متواضعاً ؛
وأنوارُ الأملية تُوضِّح لك من طُرُق الأمانة ما يعجز عن إدراكه قوَى التجريب ،
وتُحكّم لك من أحكام السياسة ما تقصّر عن أقلّه فطنُ الحكماء الشيب ؛ وتُبدى لك
أسرارُ الأزمنة المتطاولة في إقبال سنِّك ، وتُلين بتلطفاتِ صلابة الخطوب مع نصّارة
غُصْنك ؛ وما برح ذكر أخبارِ صَوْلِكَ ، وحديثُ ما أعظمه الله من قُروسيتك
وشجاعتك ، يُوفّر حلوم الأبطال في الملاحم إذا أطارها الدُّعْرُ فطاشت ، ويُسكّن
نفوسَ الأتجاد في الملاحم إذا أطارها الدُّعْرُ بخاشت ؛ ويُنحِث للجناء جرأةً وإقداماً ،
ويجعل الكهّام في الحروب مُدَقِّقاً حُساماً ؛ نخيلاء الأعوجيّة زهو مما تُرَبِّيه من شرف
أمتطائك ، وصيلُ المشرفيّة ترثُمُ بمُطَرِّب قَصَصك وأنبائك ؛ وأهتزازُ السّمهرية جدل
بما كَفَّلْتَها من إشادةِ علائِكَ ، وضَمَّتْها من إبادةِ أعدائِكَ ؛ وليس بغريب أن تفضّل
الأملاك ، وتطأَ أخامُصك السّماك ؛ وتختالَ في وُشَى الوصفِ البديع ، وتُشْرِقَ أسرةُ
محاسنك فتُخجِلَ ضوءَ الصُّبحِ الصّديع ؛ وقد أكرمك الله مع فضلِ الخليفة والفطره ،
وكمالِ الخصائص التي غدا كلُّ منها في يدِيع المعجزات نذره ، ببُتوة مُغيثِ الأنام ،
ومُصلِحِ الأيام ؛ وكفيلِ أمير المؤمنين وكافيه ، ومُبرئِ مُلكه من أسقام الحوادث
وشافيه ؛ السيدِ الأجلِّ الملك (ونُمةُ النعوت والدعاء) الذي آنتضاه الله لكشف
الغَمِّ ، وأرتضاه لتدبير الأُمَم ، وفَضَّلَه على ملوك العرب والعجم ؛ وشَمَّخَ علاؤُه فطامَنَ

له كل على ودان، وسمت مواطئ أقدامه فتمنت منالها مواطئ التيجان؛ وحاز بالمساعي
الفضل الباهر أجمع، وأستولى على بواهر الحكم بالنظر الثاقب والقلب الأصم^(١)؛ وأفرِد
بكال عز أن تُدرِكه الآمال، أو يكون لاشنطاطها فيه مطمع أو مجال؛ وغدا النصر
المبين تابعا لعذب الويته، وحسن إقباله في كل موطن كفيلا بإدبار العدو وتوليته؛
وأجاب داعي الله إذ استنصر لآل بيت النبوة واستصرخ، ولبي دعاءه تلبية تُسطر
أخبارها على ممر الزمان وتورخ؛ وأجلى شياطين الضلال وقد تبع في زعيمها
الجاحد وثنا، وصدها بالعزم المرهف عما أصرت عليه من منكر الإلحاد وثنا؛
وبدلت سطاء جبابرة الطغاة من الأوطان بعدا وشحقا، وأمتعهم فتكاته من الأعداء
الوافرة إفناء وشحقا، وأذاقتهم حملات جيوشه وبأل أمر من عاصد باطلا وعاند
حقا؛ وجعلتهم شيفار سيوفه الباترة في التنايف حصيدا، ورمت بالإرغام والإضرع
معاطسهم وخدودهم بعد أن عمروا شتى وصيدا؛ وقصد بمواضيا أشلاءهم ودماءهم
فالجم غروبها وسقى، وكشف بلوامعها عن الدولة الفاطمية من معزتهم جنح عاتما
وغسقا؛ وكفل أمورهم فأحسن الإيالة والكفالة، وأعادها إلى أفضل ما تقدم لها
من القوة والفخامة والجلالة؛ ونظر أحوالها فقوم كل معوج وعدل كل مائل،
وحباها ملبس جماء تقبح عند بهجته ملابس الخائل.

ولما أباد عصب العناد، عطف على الاجتهاد في الجهاد؛ فجابت بحافله متقاف
الأقطار، ونالت من الفتك بالكفرة في أقصى بلادها نهاية الأوطار، وانتزعت منهم
الحصون، واستباححت المنع المصون؛ حتى أصارت جلدتهم المشهور فشلا، وقبض
إقدامهم المذكور وشلا؛ وشمل الأمة بسيرة عرفت بالعدل والإحسان، وأحظت

الخلائِقَ بالأمنِ المديدِ الظلالِ ؛ وأرضتهم بالعيشِ الرائقِ الزلالِ ؛ وأنالَهم من المطالبِ ما أَسَعَتْ لإدراكه خُطَا الآمالِ ؛ وجادَ ففَضَحَ الغَائمَ ، ومنَّ على ذَوِي الذُّنوبِ حتَّى كادَ يُتَقَرَّبَ إليه بالجرَّاءِ ؛ وأقالَ عَثَرَاتٍ كَبُرَتْ فلولاً كَرَمَ سَجِيَّتِهِ لم يَرَمِ الإقالةَ من خَطرِها راءِمْ ؛ وأمدّه اللهُ من مَعِجَزَاتِ البَلَاغَةِ والبيّانِ ، وغرائبِ الحِكمِ البديعةِ الإِفْتِنانِ ، ما يَسْتَحِفُّ الأحلامَ بِفِرطِ الطَّربِ والإِفْتِنانِ ؛ ولم يزل منذُ كان ينجي سَرَحَ الدينِ ، ويضُمُّ نَسْرَ المؤمنينِ ، ويندُلُ نَفْسَهُ الشريفةَ في نُصرةِ الدولةِ العلويةِ بَذَلِ أَكْلِ ناصِرٍ وأفضلِ مُعينٍ ؛ وتكَبَّرُ عِظائِمُ الخُطوبِ فيكونُ عِزُّهُ أعْظَمَ وأكْبَرَ ، وتُرْهَى الأيامُ بُغْزَ محاسِنه وهو لا يُزْهَى ولا يَتَكَبَّرُ ؛ فقد عَزَّ جانبُ كِماله ، عن أن يَناهُضَه جُهدُ المديحِ ، وارتفعَ محلُّ جلاله ، فلا يُنالُ تَكْيِيفُهُ بإشارةٍ ولا تَصْرِيحٍ ، وعَظُمَ قَدْرُ مفاخره فلم يَقابِلْ إلا بمِوالاةِ التَّجديدِ خالِقِهِ والتَّسْبِيحِ ؛ ووجبَ على متَصَفِّحِ خِصائِصِهِ المِوالاةُ في التَّعْظِيمِ ، ولزومُ مَنَهِجِ اسْتِبداعِ لا يَبرَحُ عنه ولا يَريمُ ؛ ومبالغةُ قولهِ تعالى :

((ما هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ)) .

فبلغَ اللهُ أميرَ المؤمنينِ في إطالةِ مَدَّتِهِ الآمالِ ، وأبقى مَدَّتِهِ باستمرارِ نظَرِهِ الحَظَّ والجَمالَ ؛ وفتحَ له المِشارِقَ والمِغَارِبَ بِهَمَمِهِ العاليةِ وعِزائِمِهِ ، وجعلَ نَوَاجِمَ الإِلهادِ حِصَانَدَ شِفارِ صِوارِمِهِ ؛ فانْخَرَأَتْها الرِجُلُ بأَصْلِكَ وفَرَعَكَ كَيْفَ شِيتَ ، وأَبْجَحَ بما مُنِحتَ منه وأُوتِيتَ ، ووالِ شَكَرَ خالِقِكَ على ما حَوَّلَتَ وأُولِيتَ ؛ فما نَحَرَ بِمِثْلِ نَحْرِكَ مَلِكٌ سَمِيعٌ ، ولا تَباهى' الدَّهْرُ لأحدٍ بِمِثْلِ ما تَباهى' في حَقِّكَ ولا أَبْدَعُ .

ولما تَكامَلَ لك أيُّها الأجلُ بُلُوغُ هذا الفضلِ الجَسِيمِ ، وتَمَّ ما مُنِحتَه من المجدِ الحادِثِ والقَدِيمِ ، جَدَّدَ أميرَ المؤمنينِ لك شِعارَ التَّعْظِيمِ ، وكَمَّلَ لَدَيْكَ المِفاخرَ تَكْمِيلَ العَقْدِ العظيمِ ؛ وجعلَ الخَيْرَ في إِمْرَتِهِ لك عِيانًا ، وأقامَكَ لِلدولةِ الفائِزَةِ والمِلكَةِ

الصالحية بُرْهانا، وجعلك لكافة المسلمين في أقطار الأرض سُلطاناً؛ وطابق بين ماخصك به من السمات السنية، وبين مامكنه لك من المراتب العلية؛ فأتحذك لدولته ناصراً وعضداً، وأتخبك للإسلام مجداً وسنداً، وأحيا بمرافدتك أنصار الدين، وشفئ بنظرك صدور المؤمنين؛ واستخلصك لنفسه النفيسة حياً وخليلاً، وبلغ بك إلى الغاية القصوى إعلاءً وتجيلاً؛ وشرّفك بخلع بدیعة من أخص ملايس الخلافه تروق محاسنها كل النواظر، وتفوق بدائعها ماديجه زهر الروض الناضر؛ وقلّدك سيفاً يؤذن بالتقليد، ويشير بالنصر الدائم المزيّد؛ تتنافس في مته وفريده الجواهر، ويستولي ناصعها على الباطن منه والظاهر؛ وعززها بالتشريفات التي اكتسبتها البهجة والبهاء، وبلغتها في العلى إلى الغاية التي ليس بعدها آتباء؛ وآثر أن تبسط يدك في التدبير، ويعدق بك ماهو عنده بالمحلّ الكبير؛ ويجمع لك من أشنات دولته ما لم يعرف لجمع مثله في سالف الزمن نظير، ويسند إلى كمالك ما يعود النفع بصلاحه على المأمور من الأنام والأمر.

فقاوَضَ أيها السيد الأجل الملك الصالح والدك أدام الله قدرته، وأعلى كلمته؛ في ذلك مُفاوضةً أفضت إلى وقوع الإجماع على أنك أكل ملوك دهرِكِينا، وأصحهم يقينا؛ وأشرفهم نفساً وأخلاقاً، وأكرمهم أصولاً وأعرافاً؛ وأمثلهم طريقةً وأحسنهم سيره، وأتقاهم صدراً وأطهرهم سريره؛ وأشفهم جوهرًا وأزكاهم ضريبةً وأثقاهم لله سرّاً وعلناً، وأولاهم بأن لا يصدر عنه من الأفعال إلاّ جميلاً حسناً؛ وأنت أفضل من عدق أمير المؤمنين بنظره أمر الدنيا والدين، وأسند إلى ملاحظته أحوال أمراء الدولة ورجالها أجمعين، وفوض مصالح المسلمين منه إلى التقي الأمين؛ وأنّ السيد الأجل الملك الصالح أدام الله قدرته لما أخلص محله عند أمير المؤمنين بتأيع الإشادة، وتفرد باستمرار المضاعفة بإذن الله تعالى والزّيادة؛

وَأَسْتَوِلَى عَلَى الْأَمْدِ الْأَقْصَى فِي السَّمَوَاتِ وَالتَّعَالَى، وَأَنْخَفَضَتْ عَنْ ثَرَاهِ ذُرَى أَشْمَخِ
الْمَعَالِي، كَانَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْأَوَّلِ فِي الْجَلَالِ وَأَنْتَ ثَانِيهِ، وَالسَّابِقِ فِي الْفَخَارِ
وَأَنْتَ تَالِيهِ؛ وَدَلَّ بِفَضْلِكَ عَلَى فَضْلِهِ دِلَالَةُ الصَّبْحِ عَلَى النَّهَارِ، وَالنَّمَاءِ عَلَى الْإِبْدَارِ،
وَالنَّيْرِ الطَّيِّبِ عَلَى فَضِيلَةِ الْأَصْلِ وَالنَّجَارِ؛ فَتَبَارَكَ مُوَلِيُّ الْمَنِّ لِأَوْلِيَائِهِ وَحِزْبِهِ، الْقَائِلِ
فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ .

وَقَرَّرَ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ اسْتِشْفَافَ أُمُورِ الْمَظَالِمِ، وَإِنْصَافَ الْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ؛
وَالنَّظَرَ فِي آسَفْهَسَلَارِيَةِ الْعَسَاكِرِ الْمُؤَيَّدَةِ الْمَنْصُورَةِ إِثَارًا مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِأَنْ يَجْعَلَ
لَكَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَيْسَرًا، وَيُثَبِّتَ لَكَ فِي كُلِّ مِنْ أُمُورِ الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ حَدِيثًا
حَسَنًا وَأَثَرًا؛ وَرَتَّبَ ذَلِكَ لَكَ تَرْتِيبًا يَضَعُجُهُ التَّوْفِيقُ وَيُلْزِمُهُ، وَيَكْمَلُهُ السَّعْدُ وَيَتِمُّهُ؛
وَيُحِيطُ بِهِ الْيَمْنُ وَالنَّجَاحُ، وَيَشْتَمِلُ عَلَيْهِ الْحُظُّ وَالْفَلَاحُ . فَقَلَّدَ مَا قَلَّدَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ، مَتَمِّسًا بِأَسْبَابِ وَلَائِهِ وَعِصْمِهِ؛ جَارِيًا عَلَى أَحْسَنِ عَادَاتِكَ فِي مِرَاقَبَةِ
اللَّهِ وَخِيفَتِهِ، مُسْتَمِرًّا عَلَى أَفْضَلِ حَالَاتِكَ فِي خَشْيَتِهِ؛ مُتَّبِعًا أَوَامِرَهُ فِي الْعَمَلِ بِتَقْوَاهُ،
وَزَاجِرًا لِلنَّفْسِ عَمَّا تُؤْثِرُهُ وَتَهْوَاهُ؛ بِقَوْلِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ الْمَبِينِ: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ
فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

وَأَعْلَمَ أَنَّ الْمَظَالِمَ كَثُرَ مِنْ كُنُوزِ الرَّحْمَةِ، وَبَابٌ يُتَوَصَّلُ مِنْهُ إِلَى مُصْلَحَةِ الْأُمَمِ،
وَوَسِيلَةٌ يُتَوَسَّلُ بِهَا السُّعْدَاءُ إِلَى خَالِقِهِمْ فِي اسْتِبْقَاءِ مَا أَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنَ النِّعَمِ؛
فَاجْلِسْ لَهَا جُلُوسًا عَامًّا تَرْفَعُ فِيهِ الْحِجَابَ، وَتُيسِّرُ لِلْوُصُولِ إِلَيْكَ عِنْدَهُ الْأَسْبَابَ؛
وَتَأْمُرُ بِتَقْرِيبِ الْمُتَظَلِّمِينَ، وَتُوعِزُ بِإِدْنَائِهِمْ لِتَسْمَعَ كَلَامَ الشَّاكِينَ؛ وَتَوْفِّرْ عَلَى الْأَخْذِ
بِيدِ الْمُسْتَضْعَفِ الْقَرِيعِ ^(٢)، وَالْحُرْمَةِ الَّتِي لَا تَجِدُ سَبِيلًا لِلْإِنْصَافِ وَلَا تَسْتَطِيعُ؛ وَتَتَقَدَّمُ

(١) يريد ولاية المظالم . (٢) من معان القريع المغلوب وهو المناسب هنا .

بأن تُحْضَر بين يديك النَّائِبَ في الحُكْمِ العَزِيزِ الذِي عَلَى فُتْيَاهِ مَدَارُ أَحْكَامِ الدِّينِ ،
وَمَنْ تَحْتَاجُهُ مِنَ المَوْقِعِينَ والدَّوَائِينَ ؛ وتَأْمُرُ بِإِحْضَارِ القِصَصِ وعَرَضِهَا ، وتَتَأَمَّلُ
دَعَاوِي المُنْتَظَمِينَ فِي إِبْرَامِهَا ونَقْضِهَا ؛ وتَتَوَقَّعُ عَلَى كُلِّ مِنْهَا بِمَا يَقْتَضِيهِ الشَّرْعُ
وَأَحْكَامُهُ ، وَيُوجِبُهُ العَدْلُ ونِظَامُهُ .

وَأَنْظُرْ فِي مُشْكِلِ القِصَصِ نَظْرًا يُزِيلُ إِشْكَالَهَا ، وَيَجْعَلُ إِلَى لَوَازِمِ الشَّرْعِ وَالْحَقِّ
مَأْتًا ؛ وَرَاعِ أَمْرَ المُنَازَعَاتِ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْوَاخِرِ ، وَلَا يَسْقُ فِيهَا تَأَمُّلٌ لِمَتَأَمَّلْ
وَلَا نَظْرٌ لِنَظُرْ ؛ وَتُخْرِجْ أَوَامِرَكَ بِإِيصَالِ كُلِّ ذِي حَقٍّ إِلَى حَقِّهِ ، وَكُفِّ كُلَّ مُتَعَدٍّ
عَنْ سُلُوكِ سَبِيلِ العُدْوَانِ وَطَرَفِهِ . وَلَيْكِنْ الضَّعِيفُ أَقْوَى الْأَقْوِيَاءِ عِنْدَكَ إِلَى أَنْ يَصِلَ
إِلَى حَقِّهِ مَوْقَرًا ، وَالْقَوِيُّ أَضْعَفُ الضُّعَفَاءِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا عَلَيْهِ طَائِعًا أَوْ مُجْبَرًا ؛ وَالشَّرْعُ
وَالْعَدْلُ فَهُمَا قِسْطَا سَا الله فِي أَرْضِهِ ، وَمُعِينَا [نَ عَلَى] الْحَقِّ مِنْ أَرَادَ الْعَمَلَ بِوَاجِبِ
الْحَقِّ وَفَرَضِهِ ؛ نَخْذُ بِهِمَا وَأَعْطِ بَيْنَ الْعِبَادِ ، وَأَنْتَبِثْ أَحْكَامَهُمَا فِيمَا قُرْبَ وَبُعدَ مِنْ
الْبِلَادِ ؛ وَسَاوِ بِهِمَا فِي الْحَقُوقِ بَيْنَ الْأَنْامِ ، وَصَرِّفِ النِّصْفَةَ بِحُكْمِهِمَا بَيْنَ الْخَوَاصِّ
وَالْعَوَامِ ، حَتَّى يَنْتَصِفَ الْمَشْرُوفُ مِنَ الشَّرِيفِ ، وَالضَّعِيفُ مِنْ ذِي الْقُوَّةِ الْعَنِيفِ ؛
وَالْمَغْمُورُ مِنَ الشَّهِيرِ ، وَالْمَأْمُورُ مِنَ الْأَمِيرِ ، وَالصَّغِيرُ مِنَ الْكَبِيرِ ؛ وَأَسْتَكْثِرْ بِإِغَاثَةِ عِبَادِ
اللهِ ذَخَائِرَ الرِّضْوَانِ ، وَأَسْتَفْتَحْ بِقِيَامِكَ بِحَقُوقِ الله فِيهِمْ أَبْوَابَ الْإِحْنَانِ ؛ وَأَعْمَمْ بِسَعِيدِ
نَظْرِكَ وَتَأَمَّنْ تَفَقُّدَكَ وَمَلَا حِظَاتِكَ جَمِيعَ صُدُورِ أَوْلِيَاءِ الدَّوْلَةِ وَكِبَرَائِهَا ، وَمُقَدِّمِيهَا
الْمَطْوَوقِينَ وَأَمْرَائِهَا ؛ وَمَيِّزْهَا الْأَعْيَانِ ، وَرَجَالَهَا الظَّاهِرَةَ نَجْدَتُهَا لِلْعِيَانِ ؛ وَتَوَخَّ الْوُجُوهَ
مِنْهُمْ بِالْإِجْلَالِ وَالْإِتْجَارِ ، وَتَبْلِغِ الْأَغْرَاضَ وَالْأَوْتَاطَارَ ؛ وَالتَّمْيِيزِ الذِي يَحْفَظُ نِظَامَ
رُتَبِهِمْ ، وَيُيْلِهِمْ مِنْ حِرَاسَةِ الْمَنَازِلِ غَايَةً أَرَبَهُمْ ؛ وَأَلْقَهُمْ مُسْتَبْشِرًا كَعَادَتِكَ الْحُسْنَى ،
وَأَجْرِ مَعَهُمْ فِي كَرَمِ الْأَخْلَاقِ عَلَى مَذْهَبِكَ الْأَسْنَى ؛ وَعَرَفْتَهُمْ بِإِقْبَالِكَ عَلَى مَصَالِحِ
أُمُورِهِمْ ، وَأَتَجَاهَكَ لِمَصَالِحِ شُؤْنِهِمْ ، بَرَكَةً أَشْتَمَلَهُمْ بِفَضْلِكَ ، وَأَلْتَحَانَهُمْ بِظُلْمِكَ ؛

وَأَقْصَدَ مَنْ يَلِيهِمْ بِمَا يَبْسُطُ آمَالَهُمْ ، وَيُوسِعُ فِي التَّكْرِمَةِ مَجَاهِلَهُمْ ؛ وَيُكْسِبُهُمْ عِزَّةَ
 الإِدْنَاءِ والتَّقَرُّيبِ ، وَيُحْصِصُهُمْ مِنْ إِحْفَائِكَ بِأَوْفَرِ سَهْمٍ وَنِصِيبٍ ؛ وَكَافَّةَ الرِّجَالِ فَاحْفَظْ
 نِظَامَهُمْ بِحُسْنِ التَّنْذِيرِ ، وَأَثَرِ فِهْمٍ بِجَمِيلِ النَّظَرِ أَحْسَنَ التَّأْثِيرِ ؛ وَتَوَخَّهِمْ بِمَا يُشَدُّ
 بِاهْتِمَاكَ أَزْرَهُمْ ، وَيُصْلِحْ بِتَقَقُّدِكَ أَمْرَهُمْ ، وَيقِفْ عَلَى الطَّاعَةِ سِرَّهُمْ وَجَهْرَهُمْ ؛
 وَيُسِّرْ لَهُمْ أَسْبَابَ الْمَصَالِحِ وَيُسَهِّلْهَا ، وَيَتِمِّمْ لِمَطْلَبِهِمْ أَحْكَامَ الْمَيَامِنِ وَيُكْمِّلْهَا ؛
 وَأَصِفْ لِمَجْمُوعِ ذِكْرِهِمْ مِنْ سَابِقِ فِي التَّقْدِيمَةِ وَتَالِ ، وَمُخْلِصِ فِي الْمَشَايِعَةِ وَمُؤَالِ ، مَنَاهِلَ
 إِحْسَانِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الطَّامِيَةِ الْجَامِ ، الْمُتَعَرِّضَةِ مَوَارِدُهَا الْعَذْبَةَ لِأَدْوَاءِ كَافَّةِ الْأَنَامِ ؛
 فَهَمَّ أَنْصَارُ الدَّوْلَةِ وَأَعْوَانُهَا ، وَأَبْنَاءُ الدَّعْوَةِ وَخُلَصَاؤُهَا وَشُجْعَانُ الْمُلْكَةِ وَقُرَسَانُهَا ؛
 وَتَجَدَّدَ خِلَاصُهَا عِنْدَ اعْتِرَاضِ الْكُرُوبِ ^(١) ، وَسَيُوفُهَا الْمَذْرَبَةُ الْقَاطِعَةُ الْغُرُوبِ ؛
 وَأَسْتَبَتْهَا الْمُتَوَغَّلَةُ مِنَ الْأَعْدَاءِ فِي سُودَاءِ الْقُلُوبِ ، وَخَزَبُهَا الَّذِي أُذِنَ اللَّهُ بِأَنَّهُ الْغَالِبُ
 غَيْرُ الْمَغْلُوبِ ؛ وَلِكُلِّ مِنْهُمْ مَتَرِلُهُ مِنَ التَّقْدِيمِ ، وَمَوْضِعُهُ مِنَ الْإِسْتِمَالِ بِظِلِّ الطَّوْلِ
 الْعَمِيمِ ، وَمَحَلُّهُ مِنَ الْغَنَاءِ وَمَكَانُهُ مِنَ الْكِفَايَةِ الَّذِي بَلَغَ إِلَيْهِ فَسَدَهُ . فَرَتَّبَ كَلًّا مِنْ
 الْمُقَدِّمِينَ فِي الْمَوْضِعِ الْجَدِيدِ بِهِ اللَّاتِقُ ، وَأَوْضَحَ لِلْمُؤَقِّينَ أَنْوَارَ مَرَاثِدِكَ لِيَلْحَقَ
 بِتَهْذِيكِ السُّكَيْتِ مِنْهُمْ بِالسَّابِقِ .

وَالْوَصَايَا مَتَسِعَةُ النَّطَاقِ ، مَتَشَعِّبَةُ الْإِسْتِفْقَاقِ ؛ وَلَمْ يَسْتَوْعِبْ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
 أَقْسَامَهَا ، وَلَا حَاوَلَ إِتِمَامَهَا : لِلْإِسْتِغْنَاءِ بِمَا لَكَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ الَّتِي غَدَتْ فِي أَسْتِنْبَاطِ
 حِكْمِ السِّيَاسَاتِ أَكْبَرُ مَعِينٍ ، وَالْفِطْرَةِ النَّفْسِيَةِ الَّتِي تُمَدِّدُكَ مِنْ كُلِّ فَضِيلَةٍ بِأَغْزَرِ مَعِينٍ ؛
 وَلَا يَزَالُ يُضِيءُ لِبَصِيرَتِكَ مِنْ أَنْوَارِ السَّيِّدِ الْأَجَلِّ الْمَلِكِ الصَّالِحِ - أَدَامَ اللَّهُ قُدْرَتَهُ -

(١) لعله وأصف لجميع من ذكرتهم من سابق الخ . تأمل .

(٢) فِي الْأَصْلِ "أَخْتَلَفْنَاهَا" . تأمل .

التي لا تبرح للبصائر لاميعة، ولحاسن الأفعال وغررها جامعها؛ ماتستعين بأضوائها^(١) على الغرض المطلوب من الإصابة وأكثر.

هذا عهد أمير المؤمنين إليك، وإنعامه عليك؛ فقلقه من الشكر بما يكون للزيد سبباً مؤكداً، ويغدو الإحسان معه مُردداً مُجدداً؛ وأبذل جهدك فيما أرضى الله وأرضى إمام العصر، وثابر على الأعمال التي تناسب فضائلك المتجاوزة حد الحصر؛ والله يعضدك بالتوفيق، ويُمهد لك إلى السعادة أسهل طريق؛ ويُرهب في الحرب عزائمك، ويُمضي في الأعداء صوارمك؛ ويضاعف لك مواد النصر والتأييد، ويخص ببناء مجديك بالإعلاء والتشديد؛ إن شاء الله . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

قلت : والذي يظهر أن مما كان يكتب في دولتهم على هذه الطريقة سجلات كبار نبياتهم، حال استفعال الدولة في مبادئ أمرها، قبل خروج البلاد الشاسعة عنها واستفلاعا من أيديهم : كدمشق ومضافاتها من البلاد الشامية قبل خروجها عنهم لبني أرتق في زمن المستنصر أحد خلفائهم؛ وكأفريقية وما معها من بلاد الغرب قبل تغلب المعز بن باديس نائب المستنصر المتقدم ذكره بها وقطع الخطبة له؛ وبجزيرة صقلية من جزائر البحر الرومي قبل تغلب رجار أحد ملوك الفرنج عليها وأنزاعها من أيديهم في زمن المستنصر المذكور أيضاً؛ فإن مشق وأفريقية وصقلية كانت من أعظم نبياتهم، وأجل ولاياتهم؛ فلا يبعد أن تكون في كتابة السجلات عندهم من هذه الطبقة .

(١) في الأصل "فاستمد" . تأمل .

المرتبة الثانية

(من المذهب الأول من سِجَّلات ولايات الفاطميين أن يُقْتَح السَّجِّل بالتصدير، فيقال : « من عبد الله وولَّيه » إلى آخر التصلية ، ثم يُؤْتَى بالتحميد مرة واحدة ويؤْتَى في الباقي بنسبة ما تقدم ، إلا أنه يكونُ أخَصَر مما يؤْتَى به مع التحميدات الثلاث)

ثم هي إما لأرباب السُّيُوف أو لأرباب الأقلام من أرباب الوظائف الدينية والوظائف الدِّيوانية .

فاما السَّجَّلات المكتَّبة لأرباب السُّيُوف ، فمن ذلك نسخة سِجِّل بولاية القاهرة من هذه الرتبة : لِرَفْعَة قدر متولَّيها حينئذٍ ، وهي :
من عبد الله وولَّيه (إلى آخره) .

أما بعدُ ، فالحمد لله رافع الدَّرَجَات ومُعَلِّمها ، ومُؤَلِّي الآلاء ومُؤَالِيها ؛ ومُحَسِّن الجزاء لمن أحسن عَمَلًا ، ومُضَاعِف الحِباء للذين لا يَبْغُونَ عن طاعته حَوْلًا ؛ ومنيل أفضل المَوَاهِب ومُحَوِّلها ، ومَتَمِّم النعمة على القائم بِشُكْرها ومُكَمِّلها ؛ مُتَّبِع المِنَّة السالفة بنظائرها وأشكالها ، والمُجَاوِز على الحَسَنَةِ بعَشْرِ أَمْثالِها ؛ وصلى الله على جدِّنا محمدٍ رسولِهِ الذي أقام عِمَادَ الدين الحَنِيف ورفَعَهُ ، وخَفَضَ بِجِهاده مَنَارَ الإلحاد ووضَعَهُ ؛ وأرَغَمَ عِبْدَةَ الصَّليب والأوثان ، ونَشَرَ في أَقْطَار المملَكَةِ كلمةَ الإسلام والإيمان ؛ وكَشَفَ غِياهِبَ الضَّلَالِ بأنوار الهدى الألامِية ، وهَتَكَ حِجَابَ الكُفْرِ يَراهِينِ التوحيد الصادِعةَ وسُيُوف النصر القاطِعةَ ؛ صلى الله عليه وعلى أخيه وأبنِ عمِّه أَيْبِنَا أمير المؤمنين على بن أبي طالب ، سيف الحقِّ الماضي المَضَارِب ، وبَحْرُ العلم الطامى

الْبَلَجِ وَالْعَوَارِبِ ؛ وَمَعِينِ الْحِكْمَةِ الْعَذْبِ الْمَشَارِعِ ؛ وَالْمَخْصُوصِ بِكُلِّ شَرَفٍ بَاسِقٍ وَفَضِيلٍ بَارِعٍ ؛ وَعَلَى أَهْلِهَا سَادَةِ الْأَنَامِ ، وَحِمَاةِ سِرْحِ الْإِسْلَامِ ؛ وَمَوْصَحَى حَقَائِقِ الدِّينِ ، وَقَاهِرَى أَحْزَابِ الْمُلْحِدِينَ ؛ وَسَلَمَ وَمَجَّدَ ، وَضَاعَفَ وَجَدَّدَ .

وإنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ شَرَفِ الْمُحْتَدِ وَالنَّجَارِ ، وَتَوَجَّهَ بِهِ مِنْ تَيْجَانِ الْإِمَامَةِ الْمُشْرِقَةِ الْأَنْوَارِ ، وَأَلْقَاهُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَالِيدِ الْإِبْرَامِ وَالنَّقْضِ ، وَأَنَالَهُ إِيَّاهُ مِنْ اخْتِلَافِ فِي الْأَرْضِ ، وَالشَّفَاعَةِ فِي يَوْمِ الْعَرْضِ ؛ وَعَدَّه بِهِ مِنْ إِيضَاحِ سُبُلِ الْهُدَى اللَّامِعِ ، وَهَتِكَ حِجَابِ الْكُفْرِ بِرَاهِينِ التَّوْحِيدِ الصَّادِعَةِ وَسُيُوفِ النُّصْرِ الْقَاطِعَةِ ؛ إِلَى الْأَنَامِ ، وَأُطْلِعَهُ عَلَيْهِ مِنْ أَسْرَارِ الْحِكْمَةِ بُمُنَاجَاةِ الْإِلَهَامِ ؛ وَأَقَامَهُ لَهُ مِنْ إِعْلَاءِ مَنَارِ الْمِلَّةِ وَتَقْوِيمِ عِمَادِ الْحَقِّ ، وَأَمَدَّ بِهِ آرَاءَهُ مِنَ الْعَنَايَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ فِيمَا جَلَّ وَدَقَّ ؛ وَأَمْضَاهُ لَهُ فِي الْأَفْطَارِ مِنَ الْأَوَاصِرِ وَالنَّوَاهِي ، وَأَفْرَدَهُ بِهِ مِنَ الْخَصَائِصِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي يَقْصُرُ عَنْ تَعْدِيدِهَا إِسْهَابُ الْوَاصِفِ الْمُتَنَاهِي ؛ وَيَسَّرَهُ لِإِرَادَتِهِ مِنْ أَقْتِيَادِ كُلِّ أَيْ جَامِعٍ ، وَحَبَّبَهُ إِلَيْهِ مِنْ أَسْتِعْمَالِ السَّيْرِ الْمُسْتَدْنِيَّةِ مِنَ الْمَصَالِحِ كُلِّ بَعِيدٍ نَازِحٍ - يُضَاعِفُ بِهَاءَ أَبَامِهِ بِاصْطِفَاءِ ذَوِي الصِّفَاءِ ، وَيَزِيدُ فِي بَهْجَةِ زَمَانِهِ بِاسْتِكْفَاءِ أَوْلَى الْوَقَاءِ ؛ وَرَفَعَ مَنَازِلَ الْمُعْرِفِينَ فِي الْوَلَاءِ إِلَى غَايَاتِ السَّنَاءِ ، وَيُنِيلُ الْمُخْلِصِينَ مِنَ الْحِبَاءِ ، مَا يُدَلُّ عَلَى مُوَاضِعِهِمُ الْخَطِيرَةِ مِنَ الْإِجْتِبَاءِ ؛ وَيُسْنِدُ مَعَالِيَ الْأُمُورِ ، إِلَى الْأَعْيَانِ الصُّدُورِ ؛ وَيَعْدِقُ الْوَلَايَاتِ الْخَطِيرَةَ ، بِمَنْ حُسُنَتْ مِنْهُ الْآثَارُ وَالسَّيْرَةُ ، وَأَظْهَرَ تَغَايُرُ الْأُمُورِ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ خُلُوصِ النَّيَّةِ وَتَقَاءِ السَّرِيرَةِ ؛ وَأَسْتَوَلَى عَلَى جَوَامِعِ الْفَضْلِ وَغَايَاتِهِ ، وَقَصُرَتْ هِمُّ الْأَكْفَاءِ عَنْ مِمَّا ثَلَّتْ فِي الْغَنَاءِ وَمُسَاوَاتِهِ ؛ وَأَلْقَتْ إِلَيْهِ الْمُنَاقِبُ قِيَادَ الْمُسْتَسْلِمِ الْمُسْلَمِ ،

(١) جمع عارب أو عاربة . يقال ماء عرب كثير ونهر عرب و بئر عربية كثيرة الماء والفعل من كل ذلك

عرب عربا فهو عارب وعاربة . انظر اللسان ج ٢ ص ٨١ .

(٢) متعلق بإيضاح سبل الهدى فتنبه .

وأعجز تعديد محاسنه البارعة كل ناطق ومتكلم ؛ وسمت همته إلى آكتساب الفخار ،
 وأستكمل فنون المحامد فحصلت لديه حصول الأقتناء والإدخار ؛ وفاز من كل مأثرة
 بالنصيب الوافر المثل ، وتشوقت إليه الرتب السنية تشوق [من] رأته لها دون
 الأكفاء أهلا ؛ وكفى المهمات يجتاز ثابت وصدر واسع ، وقربت عليه أفعاله
 المرضية من الميامن كل بعيد شاسع ؛ ووسم جلائل التصرفات بما خلّقه بها من
 مستحسن الآثار ، وخلصت مشايعته من الأكدار قلّ في أميز محل من الإيثار ؛
 وجارى المبرزين من أرباب الرياسات فسبق وأبر ، وأحرز جميل رأي ولي نعمته
 فيما ساء وسر .

ولما كنت أيها الأمير المعني بهذا الوصف الرفيع ، المخصوص من مفاخره بكل
 رائع بديع ؛ الحال من الإصطفاء في أقرب محل وأذناه ، المرتقى من الرياسة أشمخ
 مكاب وأسناء ؛ الأوحّد في كل فضيلة ومنقبه ، الكامل الذي أوجب له الكمال
 صعود الجدد وسمو المرتبة ؛ المصلح ما يرد إلى نظره بالتدبير الفائق ، الشامل ما يصدق به
 بحزمه الذي لا تخشى معه البوائق ؛ المجمع على شكر خصائصه وخلالله ، الفائق جهد
 الأعيان الأفاضل بعفو استقلاله ؛ المعصم من المشايعة بالسبب المتين ، المتميز على
 الأكفاء بماثره الماثورة وفضله المين ؛ وما زالت مساعيك في طاعة أمير المؤمنين
 توجب لك منه المزيد ، وتستدعي لمزرتك من جميل رأيه مضاعفة التشييد ؛
 وتحصك من الإجتباء بالنصيب الوافر الجزيل ، وتبلغك من تتابع النعم ما يوفى على
 الرجاء والتأمل .

وقد باشرت جلائل الولايات ، وعدي بك أنعم المهمات ، فاستعملت السيرة
 العادلة ، وسُنت السياسة الفاضله ؛ وجمعت على محبتك القلوب ، وبلغت الرعية

من إفاضة الإنصاف كل مؤثر ومطلوب؛ وإذا برقت بارقة نفاق، ونجم ناجم من مرادة المراق، كنت الولي الوفي، والمخلص الصفي، والمدافع عن الحوزة بجهاذه، والمحامى عنها بماضى عزمه وصادق جلاده، والباذل مهجته دون ولي نعمته، والجاهد فيما يحظيه بنائل مواته وتأكد أذمته، ومجلى ظلام الخطب الدامس بحسامه، ومزيل الخطب الكارث برأيه واعتزاه؛ ومواقفك في الحروب، تكشف الكروب، وتروى من دماء الأبطال ظامئات الغروب؛ وتورد سنان اللذن العاسل، ويريد الكمي الباسل، وتحمك طلبا المناصل، في الهامات والمفاصل؛ وتستبيح من مهج الأقران كل مصون، وترميم من قوارع الدمار بضروب متسعة الفنون؛ فاثارك في كل الحالات محموده، وشرائط الأصفاء فيك فاضلة موجوده. وحضر بحضرة أمير المؤمنين فتاه ووزيره، وكافل ملكه وظهيره؛ السيد الأجل الملك الذى

فأثنى عليك ثناء وسع فيه المجال، وخصك من شكره وإحماده بما أفاض عليك حلل الفخر والجمال؛ وقرر لك الخدمة في ولاية القاهرة المحروسة. فنقلد ماقلدك أمير المؤمنين من ذلك : عاملا بتقوى الله الذى تصير إليه الأمور، ويعلم خائنة الأئمين وما تخفى الصدور؛ قال الله فى كتابه المبين : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ .

وأعلم أن هذه المدينة هى التى أسس على التقوى بُنائها، ولها الفضيلة التى ظهر دليلها ووضح برهانها : لأنها خصت بفخر لا يدرك شأؤه ولا تدرك آماده، وذلك أن منارها لم يدكر عليها إلا أئمة الهدى أباء أمير المؤمنين وأجداده؛ ثم لأنها الحرم الذى أخفى تقيسها أمرا حتما، وظل ساكنه لا يخاف طلبا ولا هضا؛ وغدت

النعمةُ به ممتمةً مكّله ، والأدعيةُ في بيوتِ العباداتِ به مرفوعةٌ متقبّلة : للقرب
من أمير المؤمنين باب الرحمة ومعدن الجلالة ، وثمره النبوة وسُلالة الرسالة ؛ فاشتمل
كافة الرعايا بها بالصيانة والعناية ، وعُمّهم بتأم الحفظ والرعاية ؛ وأبسط عليهم ظلّ
العدل والأمنه ، وسرفهم بالسيرة العادلة الحسنه ؛ وساو في الحق بين الضعيف
والقويّ ، والرّشيد والغويّ ؛ والمليّ والذميّ ، والفقير والغنيّ ؛ وأعتمد من فيها
من الأمراء والمميزين ، والأعيان المقدمين والشهود المعدلين ؛ والأماثل من الأجناد ،
وأرباب الخدم من القوّاد بالإعزاز والإكرام ، وبلغهم نهاية المراد والمرام ؛ وأقم
حدود الله على من وجبت عليه بمقتضى الكتاب الكريم ، وسنة محمد عليه أفضل
الصلاة والتسليم ؛ وتفقد أمور المتعيشين ، وأمنع من البخس في المكايل والموازين ؛
وحذّر من فسادٍ مُدخل على المطاعم والمشارب ، وأنّهج في ذلك سبيل الحق وطريق
الواجب ؛ وأحظر أن يخلو رجلٌ بامرأة ليست له بحرم ، وأفعل في تنظيف الجوامع
والمساجد وتنزيهها عن الابتذال بما تُعزّبه وتُكرّم ؛ وأشدّد من أعوان الحكم في قوّد
أبّاه الخصوم ، وأعتمد من نصرة الحق ما تبقى به النعمة عليك وتدوم ؛ وأوعز
إلى المستخّدمين بحفظ الشارع والحارات ، وحراستها في جميع الأزمنة والأوقات ؛
وواصل التطّواف في كل ليلة بنفسك في أوفى عده ، وأظهر عده ؛ وأنته في ذلك
وفيما يُجاره إلى ما يشهدُ باجتهادك ، ويزيد في شكرك وإحماذك ؛ والله تعالى يوفّقك
ويُرشدك ، ويسدّدك في خدمة أمير المؤمنين ويسعدك ؛ فاعلم ذلك وأعمل به ،
وطالع مجلس النظر الأجلّ الملّكي بما تحتاج إلى علمه ؛ إن شاء الله تعالى .

قلت : وعلى هذا النمط كان يُكتب سبيل ولاية الشريعة من أعمال الديار المصرية
دون غيرها من سائر الولايات ، إذ كانت هي خاصّ الخليفة كالجيزة والمنفلوطية
الآن ، وكان واليها هو أكبر الولاة عندهم لذلك .

وأما الوظائف الدينية .

فإنها — ما كتب به القاضي الفاضل عن العاضد بولاية قاض :

من عبد الله ووليه عبد الله أبى محمد الإمام العاضد لدين الله أمير المؤمنين ، إلى
القاضي المؤمن الأمين ، علم الدين ، خالصة أمير المؤمنين ، وفقه الله لما يرضيه ،
وسدده فيما يدره ويأتيه ، وأعانه على ما عدى به ووليه .

سلام عليك فإن أمير المؤمنين يحمّد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلّى
على جدّه سيّد ولد آدم ، وعلى كل عالم ، ومبني كلمة المتقين على اليقين ، وعلى منار
الموحدين على الملّحين ؛ صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، وعلى أمراء المؤمنين ،
صلاة تنصلّ في كلّ بكرة وأصيل ، ويعدها أهل الفضل وأهل التحصيل ؛ وإلى
وجده ، وعظم ومجده ، وكرّر ورّده .

وإن أمير المؤمنين لما آتاه الله إياه من نفاذ حكمه ومضاء حكمه ، وفوضه إليه
من إمامة أمته ؛ وأفاضه عليه من أنوار كسفت غمامة كلّ عُمة ، وشردت بعده
من بسطة ظلم وسطوة ظلمه ؛ وأظهره له من حقّ نصب للنصر علمه وللهداية
علمه ؛ وأيده به من كلّ عزيمة فتكت بكلّ أزمه ، ووكل به همه من إتمام نعمة
وأبتداء نعمة ؛ وأطلق به يده من معروف روض الآمال صوب مدراره ، وبدت
على الأحوال آثار إثارة ؛ وأخذ به الخصب من المحل ثاره وأستقال به الرخاء
من وهّدت عتاره ؛ وعضد به أفعاله من أمور التوفيق أتباعاً وأقتضاباً ، وألمه
من موالاة الآلاء التي لا تذهب عهود عهادها أنقضاء ولا أنتضاباً ؛ ويسر له عزيمته
من الآراء التي لا تكسب إلا حمداً أو ثواباً — يختص بإحسانه من ينص الاختبار
على أنه أهل للاختيار ؛ وتفيض الأحوال من حوالى أوصافه ما يؤدّم المطار

فى الأوطار؛ ويُنعم على النعمة بإهدائها إلى ذوى الاستىجاب، ويصطنع الصنعة بإقرارها فى مغارس الاستطابة والاستىجاب؛ ويرشّح لخدمه من عُرف ذكره بأنه فائح، وعُرف عُرفه ناصع ناصح؛ ويؤى جنان إنعامه من أحسن عملا، واستحققت منزلته من الكفاية أن تكون له بدلا، ولم تنبغ تصرفاته فى كل الأحوال عنها حولا؛ ودرجته خصائصه العلية فاقعد صهوات الدرجات العلى، واستحق بفضل تفضيله أن يؤلى الجميل جملا؛ وعمرضت خلاله على تعيين الانتقاد فاقتضاها ولا يتضاها، وزويت مسالك الغناء بصدرة فضاها فضاها .

ولما كنت أيتها القاضى المشتمل على هذه الخلال أشتمال الرّوض على الأزاهر، والأفق على النجوم الزواهر؛ والعقود على فاجر الجواهر، والخواطر على خطراتها الخواطر، والنواظر على ماتصافح من الأنوار وتباشير؛ المثرى من كل وصف حسن، المتبوع الأثرى بما قرّض من المحاسن وسن؛ الكالى ما تستحفظ بعين كفاية لا يصالح أجفانها وسن؛ الأمين الذى تريه أمائته متاع الدنيا قليلا، وتضجبه ناظرا عن نصارتها كليلا؛ المؤثر دينه على دنياه؛ المطيع الذى لا يسئل العصبة عن هواه، المخلص النية فى الولاء و”لكلّ أمرئ ما نواه“ الناصح الذى يُترّه ما يلبسه عن لباس الرّيب، البعيد عن مظانّ الظنون فلا تتطلع الأوهام منه على عيب غيب؛ النقيّ الساحة أن يفرس بها وضمه، التقيّ الذى لا تُخدع يده عن التمسك ما استطاع بجبل عصمه؛ المحتوم الحقوق بأن يستودع دهر الوفاء، المتوسّل بموات توجب له الإيفاء على الألفاء؛ المستقيم على مثل الظهيرة كهلا ويافعا، الشافع بنفسه لنفسه وكفى بالاستحقاق شافعا؛ وحسبك أنك حملت الأمانة وهى حفظ الكتاب، وأطلق الله به لسانك فشقيت القلوب من الأوصاب، ووصل به سببك إلى رحمته يوم

تقطع الأسباب ؛ وأصبح محلك في الدارين أهلاً أنيرا ؛ وكنت من قال الله فيه :
(وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) .

وقد خالطت في مَوَاقِب أمير المؤمنين المعقبات التي من بين يديه ومن خلفه ،
وقربت من مجالسه المشتملة منه على عنوان عناية الله بالبرية ولطفه ، ونوره الذي
كَلَّتِ العيون عن كشفه والحيل عن كسفه ؛ وتقدمت بخدمة الخلفاء الراشدين ،
أمراء المؤمنين ، إلى سوابق سبقت بها في كل مضمار ، وجمعت في المخالصة فيها
بين الإعلان والإضمار ؛ وسبر التجريب حاثيك بصحائف خبره ، واستمرت بك
الحال في القرب منهم وفي تقلب الأحوال عبره ؛ وتدرجت في حجب القصور ،
وبدت لك الغايات فما كنت عنها ذا قصور ؛ فكانت التقدمة لك مظنونة وبك
مضمونه ، وسريرتك على الأسرار المصونة مأمونه ؛ وما أعوجت معالم^(١) إلا وكان
تقويمها بتقويمك ، ولا أستيقظت حيلة نخاف الحق سبيل غيها بهويك ؛ وإن كل
قائل لا يملك من إصغاء أمير المؤمنين ما تملك بتلاوة الذكر الحكيم ، ولا يسلك من قلبه
ما تسلك بمعجز جده العظيم ؛ فانت تخدم أمير المؤمنين بقلبك مواليا ، ولسانك
تاليا ؛ وبنظرك مؤتمنا ، وبيدك محترنا ؛ لاجرم أنك حصدت ما زرعت طيبا ، وسقاك
ما استمطرت صيبا ، وزقت لك الأيادي بكرا وثيبا ، وحللت يقاع المنازل مستأنسا
إذا حل غيرك وهدأتها متهيبا .

فأما حرمتك التي بوانك من الاختصاص حرما ، وجعلتك بين الخواص علما ؛
وتوالى يدك بلمس ماحظي من الملابس بصحبة جسده الطاهر ، وأشمَل على زهر
النضار وزهر الجواهر ، فذلك جار مجرى السكة والدعوة في أنهما أمانة تعم العباد
والبلاد ، وهذه أمانة تحض النفوس والأجساد ؛ ولك مما في خزائنه وكالة التخخير

(١) التويم النوم الخفيف . يريد أنه لا ينام عن ابطال كل حيلة .

والتعير ، وعن أغراضه الشريفة سفارة الإفراج والتغير ؛ وهذه موات تجعل سماء
السّماح لك دائمة الدّيم ، وتُسكن آمالك في حرم الكرم ؛ وتعقد بينك وبين السعادة
أوكد الذّم ، وتتقاضى لك جدود الجّد يقدم الخدم .

وحضر بحضرة أمير المؤمنين قتاه ، الذي رُهي الزمان به فتاه ؛ ووزيره ، الذي
عزّ به منبره وسيره ، السيد الأجل أفضل الملوك قدرا ، وأكثرهم قدرة ، وأعظمهم
صبرا ؛ وأدربهم نصرة ، وأفيضهم جودا غمرا ، وأكشفهم لغمرة ، وأمضاهم على الهول
صدرا ، وأردّهم لكّره ، وأثبتهم جاشا وصليل السيوف يخطب والمقاتل تسمع ، وأوضحهم
في استحقاق المجد حجة شرعتها الزّماح الشرع ؛ وأركبهم في طاعة أمير المؤمنين
لمشقه ، وأشدّهم وطاة على من بحمد نوزّه وعقّ حقّه ؛ فالدنيا مبتسمة به عن ثغور
السّرور ، والمُلك بكفّالته بين ولي منصور وعدو محصور ؛ فأسفرت سفارته عن أنك
من أمثل ودائع الصّنائع وأكفاء الاستكفاء ، وأعيان من يحقق اختيارهم وفضلهم
العيان ، وأفاضل من هو أهل لإسداء الفواضل ؛ وأن الصّبيعة ثوب عرك (؟) داره ،
وجار قد عقد بين شركك وبينه جواره ؛ وقرر لك تقدمة في الحضرة لأنك فارسهم
أسما وفعلا ، وأولهم حين تتلو وحين تتلى ؛ والنظر على المؤذنين بالقصور الزاهرة ،
والمساجد الجامعه ؛ وبالمشاهد الشريفة : لأن الأذان مقدمة بين يدي القراءان ،
وأمانة على معالم الإيمان ؛ والنظر في تقويم ما يرد إلى الخزانة العالية الخاصّة والعامة
من الملابس على اختلاف أصنافها ، والأمتعة على آتلاف أوصافها ؛ ومشاركة
خزانة الفُروش ليكمل لك النظر في الكسوات التي تصان لللبوس ، والكسوات التي
تبتذل للجلوس ؛ وتخزن بيت المال الخاص ليكمل لك النظر في الذهب مَصُوغا
ومرقوما ، وتخزنا وتقويم ؛ واستصوب أمير المؤمنين ماراه ، وأمضى ما أمضاه ؛
ونخرج أمره إلى ديوان الإنشاء أن يكتب هذا السجل لك بذلك .

فَاعْرِفْ قَدْرَ مَا عُدَّ بِكَ مِنْ أُمُورٍ دِينٍ وَدُنْيَا، وَخِدِّمْ لَاتَّقْوَىٰ عَلَيْهَا إِلَّا بِلِبَاسِ
التَّقْوَىٰ ؛ وَأَنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ لِحَنَاتِ أَنْعَمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رِضْوَانَا ، وَيُدْكَ لِلْفُظْ
إِحْسَانِهِ لِسَانَا ؛ وَبِإِشْرَافِ ذَلِكَ مُسْتَشْعِرًا خَشْيَةَ اللَّهِ فِي سِرِّكَ وَجَهْرِكَ ، مُحْتَقِقًا أَنَّهُ
غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِكَ ؛ مَذْنَرًا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مَا يَبْقَىٰ عِنْدَ فَنَاءِ ذَنْكَ ، مُسْتَدِيمًا
لِلنِّعْمَةِ بِمَا يَقْبِذُهَا مِنْ شُكْرِكَ ، وَمَا يَصُونُهَا أَنْ تُبْتَذَلَ مِنْ بَشْرِكَ ؛ عَلِمًا أَنَّ التَّقِيَّةَ حِلْيَةُ
الْإِيمَانِ ، وَضَمَانُ الْأَمَانِ ، وَزَادُ أَهْلِ الْخِنَانِ إِلَى الْخِنَانِ ، بِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ
الْعَزِيزِ : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾ .

وَأَخْلَصَ نَيْتَكَ فِي خِدْمَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَعِ الْإِخْلَاصَ الْخَلَاصَ ، وَأَدِّ لَهُ الْأَمَانَةَ
فَإِنَّ أَدَاءَهَا أَطْيَبُ الْقَصَصِ يَوْمَ الْقِصَاصِ ؛ وَفُتْ فِي خِدْمَتِهِ الْمَقَامَ الْمُحْمُودَ ، وَأَسْتَدِمُ
بِهَا صُعودَ رِكَابِ السُّعُودِ ؛ فَقَدْ عَزَّفَكَ اللَّهُ بَرَكَاتِ النَّصِيحَةِ وَعَوَائِدَهَا ، وَأَنْجَزَتْ لَكَ
الْأَمَالَ الْمُنْبَسِطَةَ مَوَاعِدَهَا ؛ وَأَسْتَشْرِفُ أَحْوَالَ الْقِرَاءِ فَهَمُّ أَحَقُّ قَوْمٍ بِالْتِهَذِيبِ ،
وَلَزُومِ أَسَالِيبِ التَّأْدِيبِ ؛ فَمَنْ كَانَ لِلآيَاتِ مَرَاتِلًا ، وَلِلدِّرَاسَةِ مُتَبَتِّلًا ؛ وَبِأَنْوَاعِ
الصَّلَاحِ مُتَقَمِّصًا ، وَبِخَصَائِصِ الدِّينِ مُتَخَصِّصًا ؛ وَلَمَّا فِي صَدْرِهِ بِقَلْبِهِ لَا يَلِيسَانَهُ
حَافِظًا ، وَعَلَىٰ آدَابِ مَا حَفِظَ مُحَافِظًا ؛ فَذَلِكَ الَّذِي تُشَافُهُ تَلَاوُثُهُ الْقُلُوبَ ، وَتَرُوضُ
بِأَنْوَاعِ الْمَدَامِعِ جُدُوبَ الذُّنُوبِ ؛ وَمَنْ كَانَ دَائِمَ الْإِطَالَةِ فِي سَفَرِ الْبَطَالَةِ ، سَاطِرًا لِأَنْوَارِ
الْمَعْرِفَةِ بِظُلَمِ الْجَهَالَةِ ؛ فَحَقٌّ عَلَيْكَ أَنْ تُصْرِفَهُ وَتُبْعِدَهُ ، وَتَجْعَلَ التَّوْبَةَ لِلْعُودِ مَوْعِدَهُ ؛
وَكَذَلِكَ الْمُؤَذِّنُونَ فَهَمُّ أَمْنَاءِ الْأَوْقَاتِ ، وَمُتَقَاضُونَ دُيُونِ الصَّلَوَاتِ ؛ وَلَا يَصْلُحُ
لِلتَّائِذِينَ إِلَّا مِنْ كَلِمَاتِ أَوْصَافِ عَدَالَتِهِ ، وَأُمنتُ أَوْصَامُ جِهَالَتِهِ .

وَأَمَّا الْأَمَانَةُ فِي الْأَمْوَالِ الَّتِي وَكَلْتَ إِلَىٰ خَزَنَتِكَ ، وَالْأَمْنَةُ الَّتِي وَكَلْتَ
إِلَىٰ تَقْوِيكَ وَحُكْمِكَ ؛ فَإِنَّ تَوَدُّي بِسُلُوكِ أَخْلَاقِكَ وَهِيَ الْأَمَانَةُ ، وَأَتَّبَاعُ طِبَاعِكَ

وهي الإباء للخيانة ؛ وأن تستمر على وتبرتك ، ومشكور سيرتك ؛ ومشهور سريرتك ،
ومُنبِر بصيرتك ؛ وأن لا تُؤتَى من هوى تَبَّعه ، ولا حيف تبتدعه ، ولا قوى تُخَدِّع له ،
ولا ضعيف تُخَدِّع به ، ولا من محابة وإن أحببت ، ولا من مُدَا جاة كيفما تقلبت ؛
وأذكر ما يُنتَلَى من آيات الله في مثلها : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾
والله يتولى توفيقك وتوفيقك ، ويُديم [على] ما يُحِبُّ تصريفك ؛ إن شاء الله تعالى .

ومنها - ما كتب به القاضى الفاضل أيضا ، وهى :

من عبد الله وولَّيه (إلى آخره) .

أما بعد ، فإن رُتَب الولايات متفاوتة الأقدار ، متباينة الأخطار ؛ وكل شىء منها
عند أمير المؤمنين بمقدار ؛ ولها رجال مشرفو الأقدار ، ومحامِلُ بحضرته مقدرة تقدير
منازل الأقدار ؛ ومحامِلُ الأولياء بمقامه محامِلُ الأهلّة تتنقل بين أول النماء إلى آتئاء
الإبدار ؛ ومن أُمِيزها قدرا ، وأحقها بأن يكون صدرا ، وأن يشرح لمن حله صدرا ،
وأن يسوق إليه الخاطب من استحقاقه مهرا ؛ ولاية مدينة مضر : لأنها المجاورة لمحل
الخلافه ، وكل مضر بالنسبة إليها معها بالإضافة ؛ وهى خِطَّة النبل ، وفُرْضة المنيل ؛
وبها إذا هجمت الخطوب المنيل ، ومنها من عثرت الأيام المقييل ؛ ومنها تُؤَسَّس
أنوار الإمامة على أنها تتوضح بغير التأميل وبدء التأميل ، ولا يؤهل لولايتها إلا كل
حامِل لِعَبْئها الثقيل ؛ ولا تسند الخدمة فيها إلا لكل مُثَرٍّ من ذخائر السياسة غير فقير
ولا مقل ، ولا يتوقّل رُتبتها إلا من تكون به الرتب مُنيرة ومحاسنه لا تَمَلُّ مما يُمَل ؛
ولا يمتطى صَوتها إلا من لا يَطْأُطى للأطاع عِزَّة زاهته ولا يذل ، ولا يرتقى درجتها
إلا من يهتدى بأعلام الديانة التى لا تُضِل ، ولا يُقرأ سِجِّلها إلا لمن يطوى مظالم
الرعية طى الكتاب للسَّجَل .

ولما كنت أيتها الأمير من توقدت هذه الأوصاف فيه توقد النار في ذرى علمها ،
وأوجد معاني معاليها وأنقذها من إسار عدمها ؛ وأرتقى إلى هضبات الرياسة المنيرة
بما جعل خلاله المسلم فضلها مثل سلمها ، وناولته الدراية عناني سيفها وقلمها ؛
وشهدت الأيام بتقدم قدمه في مراتبها وقدمها ، وأمنت الصواب أن يتبع أفعاله
إذا أمضاها بعيب (؟) بدمها ؛ وكتبت أعلام رماحه سطور الطعن في صدور العدا
مستمدة من دمها ؛ وتجمش مشقات المعالي فأثرته تعنى راحة بجسمها ؛ واجتمعت
فيه صفات المحاسن المتفرقة ففضى عليها بتجسيمها ؛ وتصدر الدرجات المحصنة
من مطالع الحاضر لحظه من رقتها ونسيمها ؛ وتعرضت ذخائر المحامد لما في طبعه
من اقتناصها وتعيمها ؛ وقزت عين المنازل فما زوت وجه إقبالها ولا بسطت راحة
تظلمها ، وأثنت إليه عقائلها المصونة فما ننت دون ديانته عنان تلومها ؛ وأترك
في كل ولاية مشكور ، وسعيك في كل غاية غير مقصور ؛ وغناؤك في المهمات
معد مذخور ، ومساجلك عن أيسر ما وصلت إليه مدفوع مذخور ؛ وليس شباك
بالكوكب الدرى من صولتك منحور ، وأفعالك أفعال من لا يحوز غير محرز كسب
الأجور ، وخلالك خلal من أنتظم في سلك الذين يرجون تجارة لن تبور .

وقد سلفت لك خدام تصرفت فيها وتدرجت ، وعرفت بطهر الذكر من رعيته
وتأرجت ؛ وتحوبت من الأوزار على ما يوقع ذنبك وتحرجت ؛ وجريت على أجمل
عاده ، واقتضيت عند آتقضاء شأو الإبداء استئناف شأو الإعادة . ومثل بحضرة
أمير المؤمنين لسان أمره ، وسيف زجره ، السيد الأجل الذى قام بما استكفاه
فأحسن وحسن ، وصان حمى الملك فأحصن وحصن ؛ وجاد بنفسه في سبيل الله
فما ضن ، وكان مكان ما أمل عند أصفائه وفوق ما ظن ؛ وسدد قصوده ، ففرقت
سهاها وما مرقت عن طاعته ، وأطلع سعوته ، فأنارت نجومها لأوليائه ورجومها لأهل

خلاف خلافته ، وأطلقت أحكام عدل الله في خلق الله أحكام مراماته وسيف إخافته ؛ فالدنيا بين أياته عن ماخذ السراء ، وطلقاء الجود بما عملته يده من قيود الإحسان في عداد الأسراء ؛ ورضا أمير المؤمنين عنه كافل له بأن يرضى الله في الأعداء ، وملوك الأرض إن فدت السماء (؟) طيبةً أنفسها له بالفداء ؛ والدنيا متأرجحة بطيب خبره ، والعلواء متبرجة بحسن نظره ؛ وبحار التدبير لا تفتارق زبد أمواجه إلا بفانرجوهره ، وقوانين السياسة لا توجد مسندة إلا عن أتباع أثره ؛ ولا حظ لمحاربه إلا سلمه بعثاره وتثلمه بعثيره ، فأنشأ عليك بحضرته وإصفا ، ونشأ إليك عنان عنايته عاطفا ، ورأى تقليدك ولايتها مغربا باستحقاقك عارفا - خرج أمر أمير المؤمنين إليه بأن يؤعز إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل لك بتقليدك ولاية المعونة والحسبة بمدينة مصر والحيزة والقرافة ، إنافة بك عن النظراء ، وإبانة عمالك من جميل الآراء ؛ وتطرية لحظك بما حصل به من الإطراء ، ورعاية لما لك من الانتهاء إلى أقصى غايات الإحسان والإجراء ، وإيجابا لما تتوسل به من العناء ، وذخائر الغناء والإثراء ، وإشادة لقدرك الذي أشاده ما أنت عليه من الإيواء إلى ظل الزاهة والاستيناء .

فتقلد ما قلده من هذه الخدمة ، وأرقل بما ضفا عليك من ملابس هذه النعمة وبما صفا لديك من موارد هذه الجمه ؛ وقدم تقوى الله أمامك ، وأتبغ وصيتها التي آستعمل الله بها إمامك ؛ فيها النجاة مضمونه ، والرحمة متيقنة لا مظنونه ؛ قال الله سبحانه في كتابه المكنون : ﴿ وَيَجِبُ اللَّهُ الَّذِينَ آتَقُوا بِمَقَازِيهِمْ لَا يَسْمَهُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

وآعتمد المساواة بين الناس فيما هو حكم ، والنظر بالعدل في كل ما هو ظلم ؛ ولا تجعل بين الغنى والفقير في الحق فرقا ، وأسلك فيهم طريقا واحدا فقد ضل

مَنْ سَلَكَ فِيهِمْ طُرُقًا، وَاشْتَمَلَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بَطْمَانِيَّةً تُنِيمُ الْأَخْيَارَ وَتُوقِظُ الْأَشْرَارَ،
وَأَمْنِيَّةً تَسَاوِي فِيهَا بَيْنَ ظِلَامِ اللَّيْلِ وَنُورِ النَّهَارِ: لَتَكُونَ وَلَا يَتُوكَ لَهِمْ مَوَسِمًا، وَمَوَرِدُهَا
لَتُغْفِرَ الْأَمْرَ مَبْسُومًا؛ وَأَنْصِفِ الْمَظْلُومَ وَأَقْضِ الظَّالِمَ، وَكُنْ لِنَفْسِكَ زَعِيًّا بِنَجَاتِهَا فَالزَّعِيمُ
لَهَا غَارِمٌ؛ وَأَنَّهُ عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَأَمْرٍ بِالْمَعْرُوفِ وَحَسْبُكَ
أَنْ تُعَرِّفَ بِهِ وَتُذَكِّرَ؛ وَخُذْ فِي الْحُدُودِ بِالْإِعْتِرَافِ أَوْ الشَّهَادَةِ، وَلَا تَتَعَدَّ حَدَّهَا بِنَقْصٍ
وَلَا زِيَادَةٍ؛ وَكَيْمَا تُقِيمَهَا بِالْبَيِّنَاتِ، فَكَذَلِكَ تَدْرُؤُهَا بِالشُّبُهَاتِ. وَفِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ
مِنْ أَعْيَانِ الدَّوْلَةِ وَوُجُوهِهَا، وَكُلِّ سَامِي الْأَقْدَارِ نَبِيٍّ بِهَا؛ وَأَرْبَابِ السُّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ،
وَالْمَعْدُودِينَ فِي الْعُلَمَاءِ وَالْأَعْلَامِ، وَالْمُعَدِّلِينَ الَّذِينَ هُمْ مَقَاطِعُ الْأَحْكَامِ، وَالتَّجَارِ
الَّذِينَ هُمْ عَيْنُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَالرَّعِيَّةِ الَّذِينَ بِهِمْ قِوَامُ الْعَيْشِ فِي الْأَيَّامِ؛ مَنْ يَلْزِمُكَ
أَنْ تَكُونَ لَهُمْ مُكْرِمًا، وَلَا يَأْتِيَهُمْ مُحْكِمًا، وَمَنْ ظَلَمَهُمْ مَتَحَرِّجًا مَتَأَمًّا، وَلَسَانُهُمْ
فِي الشُّكْرِ عَنْ لِسَانِكَ مَتَكَلِّمًا؛ وَإِلَى قُلُوبِهِمْ بِجَمِيلِ السَّيْرِ مَتَجَبِّيًا، وَلِمَسَاطِطِهِمْ - مَالِمٌ
تُسِخِطُ اللَّهُ - مَتَجَبِّيًا. وَأَشَدُّ مِنَ الْمُسْتَخْدَمِينَ بَابُ الْحُكْمِ فِي إِشْخَاصِ مَنْ يَتَقَاعَدُ
عَنِ الْحُضُورِ مَعَ خَصْمِهِ، وَيَتَّبِعُ حُكْمَ جَهْلِهِ فَيَخْرُجُ عَنْ قَضِيَّةِ الشَّرْعِ وَحُكْمِهِ؛
وَأَوْعِزْ إِلَى أَصْحَابِ الْأَرْبَاعِ بِإِطْلَاعِكَ عَلَى الْحَقَائِدِ، وَإِبَانَةِ كُلِّ مُسْتَوْرٍ مِنَ الْقَضَايَا؛
وَأَنْ يَتَّقِظُوا لَسَكَّاتِ اللَّيْلِ وَغَفَلَاتِ النَّهَارِ، وَخُذْهُمْ فِي اللَّيْلِ بِمَا أَلْتَمَوْهُ مِنَ الْحَرَسِ
مِنْ مَكَائِدِ اللَّصُوصِ وَالذُّوَارِ، وَأَيِّقِظْهُمْ لِأَنْ يَتَّقِظُوا فَرُبَّمَا آجَتْنِي ثَمَرُ الْأَمْنِ
مِنْ غَرَسِ الْحِذَارِ؛ وَإِذَا ظَفِرَتْ بِجَانِ قَدِ أَوْبَقَهُ عَمَلُهُ، وَطَمَحَ إِلَى الْفَسَادِ أَمَلُهُ،
فَاجْمَعْ لَهُ بَيْنَ التَّنْكِيلِ وَالتَّوَكُّلِ، أَوْذَى رِييَّةٍ إِنْ زَادَ رِييَّةً بِالْحَبْسِ الطَّوِيلِ،
وَالْإِفْطَالِ بِأَمْرِهِ إِنْ كَانَ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْقَبِيلِ. وَوَاصِلِ التَّطَوُّافِ فِي الْعَدَدِ الْوَافِرِ،
وَالسَّلَاحِ الظَّاهِرِ، فِي أَرْجَاءِ الْمَدِينَةِ وَأَطْرَافِهَا، وَعَمْرٍ بِسَرِّكَ سَائِرَ أَرْجَائِهَا وَأَكْثَافِهَا.
وَأَنْظِرْ فِي الْحُسْبَةِ نَظْرًا مَنْ يَحْتَسِبُ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا وَأَبْقَى وَمَنْ يَرْغَبُ فِي الْأَجْرِ

وَيُعْرِضُ عَنْ شِعَارِ لِبَاسِ التَّقْوَى وَاللَّبَسِ . وَأَمْنَعُ أَنْ يُخْلَوْ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ لَيْسَتْ بِذَاتِ
 مُحَرَّمٍ : لَتَكُونَ قَدْ سَلِمْتَ وَسَلِمْتَ مِنْ شُبُهَتِي الْمَطْمَعِ وَالْمَطْعَمِ . وَأَسْتَوْضِحُّ آيَاتِ
 الْمَعَامَلَاتِ ، وَغَيْرَهَا فِيهَا تَحْفُفُ الْمَوَازِينِ أَوْ تَرْجَحُ ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ
 وَالسَّمَوَاتِ ﴾ . وَاعْتَمِدْ فِي تَهْذِيبِهَا وَتَضْوِيئِهَا مَا تُحْسِنُ فِيهِ لِلْسَّيِّئِ وَالْمُحْسِنِ ، لِأَنَّكَ
 تُكْفِفُ أَحَدَهُمَا عَنْ عَمَلِ الْمَتَاهِفِ وَعَنْ الْمُهُوبِ الْمَعْنِ .

وَتَقْدِمُ بِنَفْضِ الْأَدْوَى عَنْ جَادَةِ الطَّرِيقِ ، وَأَنَّهُ أَنْ تَحْمَلَ دَابَّةً أَكْثَرَ مِمَّا تُطِيقُ ؛
 وَتَقْفِدُ الْجَوَامِعَ وَالْمَسَاجِدَ بِالتَّنْظِيفِ بِإِبَانَةٍ لِحَالِهَا ، وَصِيَانَةٍ مِنْ أَتْبَادِهَا ؛ وَلَا تَمَكِّنْ
 أَحَدًا أَنْ يُخْضِرَهَا إِلَّا مُؤَدِّيًّا لِلْفَرَضِ أَوْ مُنْتَظِرًا أَوْ مُهْلُوعًا ، أَوْ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا
 أَوْ مُسْتَمِعًا ؛ فَإِنَّهَا أَسْوَاقُ الْآخِرَةِ ، وَمَنَازِلُ التَّقْوَى الْعَامِرَةِ ؛ وَأَجْرُ الْأُمُورِ عَلَى عَادَاتِهَا ،
 وَاسْتَرِشِدْ فِي طَارِئَاتِهَا وَمُشْكَلاتِهَا ؛ فَاعْلَمْ هَذَا وَاعْمَلْ بِهِ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة سيجل بولاية قاضي بنغر الإسكندرية، من إنشاء القاضي الفاضل،
 من هذه الرتبة، وهي :

من عبد الله ووليه (إلى آخره) .

أما بعدُ، فالحمد لله الذي نَشَرَ رَايَةَ التَّوْحِيدِ وَأَعَزَّ مِلَّةَ الْإِسْلَامِ ، وَهَدَى بِكَرَمِهِ
 مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ؛ رَافِعَ مَنَارَ الشَّرْعِ وَحَافِظَ نِظَامِهِ ، وَجَوَّزَ الثَّوَابَ
 لِمَنْ عَمِلَ بِأَمْرِهِ فِي تَحْلِيلِ حَالِهِ وَتَحْرِيمِ حَرَامِهِ ؛ وَسَبَّحَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ، وَسَاوَى
 بَيْنَ الْخَلِيقَةِ فِيمَا كَانَ حُكْمًا ، وَقَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْرَ
 الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلُمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ . سَبَّحَانَهُ مَنْ خَالَقَ لَمْ يَزَلْ رُفُوعًا
 بِرَبِّيَّتِهِ ، عَادِلًا فِي أَقْصِيَّتِهِ ، مُضَاعِفًا أَجْرَ مَنْ خَشِيَهِ وَعَمِلَ بِخِفَتِهِ ، مُوفِّرًا ذَلِكَ لَهُ
 يَوْمَ يَوْمِ الْحُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِنَبِيٍّ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ .

يحمده أمير المؤمنين أن أفاض عليه أنواراً إلهية ، وتعبّد البرية بأن جعلها بطاعته مأمورة وعن مخالفته منيية ؛ وأستخلف منه على الخليفة القوى الأمين ، وآتاه مالم يؤت أحدًا من العالمين ؛ ويسأله أن يصلّي على جدّه الذي عمّ إرساله بالرحمة ، وكشف بمبعثه كلّ عُثمّه ، وجعل شرعه خيرَ شرع وأُمتّه خيرَ أُمّة ؛ فأحيا من الإيمان ما كان رَمِيما ، وهدى بالإسلام صراطاً مستقيماً ، وخاطبه الله فيما أنزل عليه بقوله : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْغَائِبِينَ خَصِيماً ﴾ وعلى أبينا أمير المؤمنين على بن أبى طالب الذى وقر الله نصيبه من العلم والحكمة ، وجعل خلافة فى أرضه لاتخرج عن ذريته الهداة الأئمة ؛ وعلى ألهما الأقطار ، وعترتهما السادة الأبرار ، الذين ولأؤهم يُحظى بالجنة ومحبّتهم تتجى من النار؛ وسلّم عليهم أجمعين [سلاماً] باقياً إلى يوم الدين .

وإن أمير المؤمنين لما أفرد الله به من المآثر، وتوحّده به من المناقب والمفانير، وخصّه بشرفه من الإحسان إلى أوليائه بالإنعام إليهم فى الدنيا والشفاعة لهم فى اليوم الآخر - يرتاد لجلال الخدم من يُشار إليه ويؤمى ، ويختار لتوليها من يكون بأفعالها ناهضاً وبأعبائها قووماً ؛ ويسند أمرها إلى من لا يُتَمَارى فى سُودده ولا يُخْتَلَف فى فضله ، ويعدّق شُونها بمن عِدقت الرئاسة به وبأسلافه من قبله ؛ فيكون إذا شُرف بها عرّف منزلتها ومحلّها ، ووقع الاتفاق على التمثل بقوله : ﴿ وَكَانُوا أَحَقُّ بِهَا وَأَهْلُهَا ﴾ .

ولما كنت أيها القاضي المكين من البيت الذى آشتهر قدره ، وأرتفع ذكره ، وحلّت رتبته ، بأوصاف كلّ من أهله فى قوله وفعله ؛ وتردّدت رياسته ، فى عدد كثير لاعهد للرياسة بالتردد فى مثله ؛ وكانت لك ولن مضى من أسلافك آثار فى الخدم خلّدت لكم مجداً يبقى ، وأقرت من الحديث به ما لا يسمو إليه النسيان ولا يرقى ؛

فكل ماثولونه متجمل بكم ولا يُريد معكم زياده، وكل ما يُعتمد فيه عليكم قد نال مطلوبه وبلغ الغية والإرادته ؛ والذي يخرج عن نظركم يتلطف عليكم حينئذ إليكم وأشتياقا، وإن رد إليكم لم يأل تشبثا بكم وتمسكا واعتلافا.

هذا إلى ما لم من الحُرُمات المرعيه، والمَوَات التي ليست بمنسيه . والسيد الأجل الأفضل الذي حسبته من المفانر قيامه بحق الله لما غفل الملوک عنه وقعدوا ، وأستيقاظه بمفرده حين ناموا دون أستخلاصه مما عراه ورقدوا ؛ وإن أنتصابه آية أظهرها الله للهِ ، وحسم بها في رفع منار الدين كلِّ علِّه ؛ فإذا أنفقت الأعمار في [بيان] أوصافه كانت جديره بذلك حريه ، وإذا ذُكرت آثاره في الإسلام كان العلم بكرمها لاحقا بالعلوم الضروريه ؛ فما يُنسب المتوسّع في التقرّيط له إلى تغال ، ولا تضييع وقت يُقضى في آهتاهم بالثناء على مناقبه وأشتغال - يواصلُ الثناء عليك والشكر لك ، ويتابع من ذلك ما إذا ذكر اليسير منه شرفك وبمهلك ؛ ويصف ما كان لأخيك القاضي المكين - رحمه الله - من الاجتهاد في المناصحات ، ومن الأفعال الحسنه والأعمال الصالحات ، ومن الوجاهة التي أحلته مكانا متجاوزا غاية الآمال الطامحات ، ما رفّعه عن طبقات كثير من سادات الناس ، وجعل حاسديه في راحة لما شملهم من دعة الياس . وإنك أيها القاضي المكين ، الأشرف الأمين ؛ قد بلغت مداه في الجلاله ، وورثت مجده لا عن كلاله ؛ وحويت فضله ونفقه ، وقفوت أثره وأحييت ذكره ؛ وحزرت خلاله الجميلة وأفعاله الرضيّه ، وحصلت الفضيلتين الذاتية والعرضيه ؛ ولذلك تقررت نُعوتك « القاضي المكين » لاستيجابك فيما تقضى به جزيل الثواب ، ولتكن أفعالك في محل الصواب ؛ و « الأشرف الأمين » لشرف نفسك ، وكون أمانتك في حاضر يومك على ما كانت في ماضى أمسك ؛ و « تاج الأحكام » لأن ما يصدر منها سامى المنهاج ، وقد ارتفع محله كما

أرتفع محلّ التاج ؛ و « جمال الحُكَّام » لأنك لما وَلَّيتَ ماؤلُوا ، جَمَلْتَهُمْ إذ فعلتَ من الواجب فوق ما فعلُوا ؛ و « عُمْدَةُ الدين » لأنَّ من كان مثلكَ ركنَ إليه الدينُ وآسَند ، وتوَكَّأ على جانبه وأَعتمدَ ؛ و « عُمْدَةُ أمير المؤمنين » لأنك ذخيرةٌ لدولته ، ونِعَمُ البقية الصالحةُ لملكته .

ومعلوم أن نثر الإسكندرية - حماه الله تعالى - النثر الرفيعُ المقدار ، الذي هو قُرة العين للإسلام وقَدَدَى في عيون الكُفَّار ؛ ومحلهُ مما تتطامن له معاقلُ التوحيد وحُصُونُهُ ، وهو مشتملٌ من الفقهاء والصلحاء والمرابطين وأهل الدين على مَنْ لم يزل يحفظه ويصونه ؛ وإليه تَتَنَاطَلُ ^(١) السُّفَّار ، وتَرَدَّدُ التُّجَّار ، وهو المقصود من الأقطار القصية النائية ، ومن البلاد القريبة الدانية ؛ وما زالت أحواله جاريةً بنظرك على أحسن الأوضاع وأفضلها ، وأوفى القضايا وأكملها ؛ وما كان استخدامُ غيرك فيه إلا ليظهر إشراقَ شمسك ، وليزول الشكُّ في تبريزك على جنسك ، ولتبين فضلُ مباشرتك وتوَلِّيك على أن ذلك لم يكنْ مكتماً ، ولتحقق أن عقدَ صلاحه لا يكون بتولى غيرك متسقاً ولا منتظماً .

وقد رأى أمير المؤمنين إمضاءَ ما رآه السيد الأجلُّ الأفضل من إقرارك على الحكم والقضاء : لأطلاعك من ذلك على سرِّه ، ونفاذك في جميع أمره ؛ ونجبرتك به ودربتك ، ولأستقلالك ومضائك ومعرفتك ؛ وإنك إذا استمررت على عادتك ، غَنَيْتَ عن تجديد وصيَّتِكَ ؛ فمَادَ على سُنتِكَ ، ولا تخرج عن سبيلك ومحجَّتِكَ ؛ وأنت تعلم أن الشهود بهم يُعطى الحُكَّام ويمنعون ، وبأقوالهم يَفْصَلون ويُقَطَّعون ؛ وبشهاداتهم تثبتُ الظلمات وتبطلُ ، وعليها يعتمدُ في انتزاع الحقوق ممن يُدافع ويمطل ؛ فواجبٌ أن يكونوا من أتقياء الوري ، ومن لا يتبع الهوى ؛ فاستشف

(١) أى تنصب وترد عليه كثيرا انظر اللسان والقاموس .

أحوالهم، وأستوضح أمورهم وأفعالهم؛ فمن كان بهذه الصفة فأجره على عادته في استماع مقالته، ومن كان بخلافه فقف الأمر على عدالته، وأحسم مادة الضرر في قبول شهادته؛ وقد جعل لك ذلك من غير استئذان عليه، ولا اعتراض لك فيه؛ ولا تقرب أحدا من رتبة العدالة، وأرفعها بإزالة الأطلاع فيها عن الإهانة والإذالة؛ وأغضض من أبصار المتطلعين إليها، والمتوثنين عليها، بالتطأرح على الجهات، والتماسها بالعنايات التي هي من أقوى الشبهات؛ وإن ورد إليك توقيع وتزكية من الباب فأصدره [في] مطالعتك ليحيط العلم به، ويخرج إليك من الأمر ما تفعل على حسبه؛ وأفعل في دار الضرب وأحوال المستخدمين والمتصرفين على ما أنت به العالم البصير، والعارف الخبير.

وقد جعل لك إضافة إلى ذلك النظر في أمر جميع هذا الثغر المحروس وأسند إليك ووكل إلى صائب تديرك، وإلى حسن تهذيبك؛ وإلى بركة سياستك، وإلى عملك فيه بمقتضى دياتك؛ وصار جميع المستخدمين به من قبلك متصرفين، ولأوامرك متوكفين، وعند ما تحده واقفين، ولمراسمك متابعين غير مخالفين؛ فمن أحمده منهم وعلمت نهضته فأجره على عادته ورسمه، ومن كان بخلاف ذلك فاستبدل به وأخرج من الخدمة ذكر اسمه؛ فلا يد مع يدك، ولا عدول عن مقصدك؛ والاستخدام في هذا الأمر قد أسند إليك ورد، وكونه من جهة غيرك أغلق بابه وسد؛ فلا تصرف فيه إلا لمن صرفته، ولا خدمة إلا لمن استخدمته.

وتأكيد القول عليك لا يزيدك حرصا، والمعرفة بهمتك وخبرتك تغنيك عن أن توصي؛ والذي تقدم ذكره في هذا السجل إرهاب لحذك، وإعلاء لحذك، وإطلاع لكوكب سعدك؛ والله يتولى تأييدك وتوفيقك، ويوضح إلى الخير سبيلك وطريقك؛

فاعلم هذا وأعمل به ، وطالع مجلس النظر بأمر خدمتك ، وما تحتاج إلى عمله في جهتك . إن شاء الله عز وجل .



وأما السجلات المكتبة بالوظائف الديوانية ، فكما كتب به بعض كتابهم بولاية ديوان المرجع :

لسني الدولة وجلالها ، ذى الرياستين ، أبى المنجى سليمان بن سهل بن عمران .
أما بعد ، فإنه من حسنت آثاره في مناصحات الأئمة الخلفاء ، وأرتفع محله في طاعتهم عن الأنظار والأمثال والأكفاء ، وظهرت بركات أفعاله فيما يتولاه ظهور الشمس ليس بها من خفاء ، وباهى بتديره كل ما يشره من أمر خطير قدره ، وأستدعت من الثناء والإطراء ما يتأرجح نشره ويتضوع ذكركه ، وتساوى عنده القول والعمل ونافس فيه الخبر والخبر ، وربته مرتبة مقدما على من مضى من طبقته وغبر ، ووسم الأعمال بسمات في العماير تضاف إليه وتنسب ، وغدت الخدم ترضى به وتعجب ، وهو لا يزهى ولا ينظر ولا يعجب . كان رد المهمات إليه حسن نظرها ، وإذا حطرت جلاله توليها على غيره أضحى نفاذه متبجها له محلها ، وكان التنويه به حقا من حقوقه وواجبا من واجباته ، والمبالغة في تكريمه وتفخيمه مما يتعين الانتهاء فيه إلى أقصى أماده وأبعد غاياته .

ولما كنت في متولى الدواوين ، مشهور الشأن والقدر ، وحالا من مراتب الكفاة المقدمين ، في حقيقة الصدر ، إن أنتظموا عقدا كنت فيه الواسطة ، وإن قسط غيرك على معامل لم تكن أفعالك قاسطه ، ولك السياسة التي ظلت ساحاتها رحابا ،

والرياسة التي من وَصَفَكَ بها فما تَمَلَّقَ ولا داجى ولا حابى؛ والصَّنَاعَةُ البَارِعَةُ التي تَشْهَدُ بها الطُّرُوسُ واليَرَّاعُ ، والأَمَانَةُ الوَافِيَةُ التي أَرْتَفَعَ فيها الخِلَافُ ووقَعَ عليها الإِجْمَاعُ ؛ والتَصَرُّفُ في أنواعِ الكُتَابَةِ على تَبَيُّنِ ضُرُوبِهَا ، والأَسْتِیْلَاءُ على ظَاهِرِهَا وَمُسْتُورِهَا ووَاضِحِهَا ومَكْتُومِهَا ، والأَخْذُ لها عن أَهْلِ بَيْتِكَ الَّذِينَ لم يَزَالُوا فيها عَمِيقِينَ ، ولم يَنْفَكُوا في مَدَاهَا سَابِقِينَ غَيْرَ مَلْحُوقِينَ ؛ وقد زِدْتَ عَلَيْهِمْ بِمَا حُرِّتَهُ بِهَيْمَتِكَ ، وَلِئِنَّهُ بَقَرِيحَتِكَ ؛ حَتَّى بَلَغْتَ مِنْهَا ذِرْوَةً شَامِخَةً عَلَيْهِ ، وَحَصَلَتْ فَضِيلَتَيْنِ فَضِيلَةٌ ذَاتِيَّةٌ وَفَضِيلَةٌ عَرَضِيَّةٌ ؛ وَأَمِنْتَ مِنْ يُبَارِيكَ وَيَسَاجِلُكَ ، وَكُفِّتَ مِنْ يَنَازِلِكَ وَيُطَاوِلِكَ ؛ وَكَانَ الدِّيَوَانُ الْمُتَرَجِّعُ عَنْ بَهْرَامٍ وَغَيْرِهِ مِنْ أَجْلِ الدَّوَاوِينِ وَأَوْفَاهَا ، وَأَحَقُّهَا بِالتَّقْدِيمِ وَأَوَّلَاهَا : لِأَنَّهُ يَشْتَمِلُ عَلَى نَوَاجِحِ مَخْتَارِهِ ، وَيَحْتَوِي عَلَى ضِيَاعٍ مَكْنُوفَةٍ بِالْعَارِهِ ؛ وَقَدْ زَادَهُ مِيزَةٌ عَلَى غَيْرِهِ كَوْنُكَ نَازِرًا فِيهِ ، وَأَنْكَ مَدَبَّرَ أَمْرِهِ وَمُسْتَوْفِيهِ .

وَحَضَرَ بِحَضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَتَاهُ وَوَزِيرَهُ السَّيِّدُ الْأَجَلُّ الْأَفْضَلُ الَّذِي عَزَّ بِحُسْنِ سِيرَتِهِ الْمُلْكُ وَتَضَاعَفَ بِهَاؤُهُ ، وَصَمِنَتْ مَصَالِحُ الْأُمُورِ تَدِيرَاتُهُ وَآرَائُهُ ؛ وَظَلَّتْ شُؤُنُ الدَّوْلَةِ بِمَا يَقَرُّرُهُ مَتَظَمَّةٌ مُسْتَقِيمَةٌ ، وَغَدَتِ الْمِيَامُنُ وَالسُّعُودُ مَحِيْمَةً فِي دَارِهِ مُقِيمَةٍ ؛ وَاتَّفَقَتْ عَلَى الثَّنَاءِ عَلَيْهِ مَخْتَلِفَاتُ الْأَقْوَالِ ، وَقَضَتْ مَهَابَتُهُ بِحِمَايَةِ النُّفُوسِ وَصِيَانَةِ الْأَمْوَالِ . وَفَاوَضَهُ فِي أَمْرِ هَذَا الدِّيَوَانِ فَأَقَاضَ فِي وَصْفِكَ وَشُكْرِكَ ، وَأَطْنَبَ فِي تَقْرِيطِكَ وَإِجْمَالِ ذِكْرِكَ ؛ وَنَبَّهَ عَلَى الْحِظِّ فِي تَوَلِّيكَ إِيَّاهُ ، وَوَاصَلَ مِنْ مَدْحِكَ بِمَا يَتَضَوَّعُ عَرْفُهُ وَيَطِيبُ رِيَّاهُ ؛ وَقَرَّرَكَ مِنْ تَوَلِّيهِ مَا يَصِلُ سَبَبُ الْخَيْرَاتِ بِسَبَبِهِ ، وَمِيزَكَ بِمَا لَمْ يَطْمَعُ أَحَدٌ مِنْ كَافَّةِ مَتَوَلِّي الدَّوَاوِينَ بِهِ ؛ فَلَمْ يَجْعَلْ فِيهِ يَدًا مَعَ يَدِكَ ، وَلَا نَظْرًا إِلَّا لَكَ بِمَقَرِّدِكَ ؛ فَلَا يَرْفَعُ [أَحَدٌ] شَيْئًا إِلَى غَيْرِ دِيَوَانِكَ مِنْ حِسَابِ مَا يَجْرِي فِي أَعْمَالِهِ ، وَلَا مُعَامَلَةٍ لِبَيْتِ الْمَالِ إِلَّا مَعَكَ فِيمَا يَحِلُّ مِنْ أَمْوَالِهِ . فَأَمَضَى

أمير المؤمنين ذلك وأمر به ، ونخرج أمره إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل بتقليدك الديوان المرتجع المذكور : ثقة بأنك تأتي فيه على الإرادة ، ونتأثى لبُلوغ الغرض وزياده .

فاستخِر الله تعالى وباشِر أمره بجِدك المعهود ، وشمر عن ساق عزمك المشهود وسعيك المحمود ؛ وأجر على رَسْمك في العمل بما يحفظ أوضاعه ، ويُزجي آرتفاعه ، ويُزيح عِلته ، ويُغزِر مادته ؛ فاعتقد مواصلة الليل والنهار في مصالحه فرضاً إذا اعتقدها غيرك قفلاً ، وأجعل اجتهدك لاستخراج أمواله وكُن عليها إلى أن تصل إلى بيت المال قفلاً ؛ واستنظف ما فيه من تقاوٍ وباق ؛ وأفعل في تديره ما يُجري أمره على الوفاق ؛ واستخدم من الكتاب من تحمده وترتضيه ، ونصهم إلى الأفعال التي تستدعي شكرك لهم وتقتضيه ؛ ولا تُسوّغ لضامن ولا عامل أن يقصر في العماره ، وأعتد من ذلك ما يكون على كفايتك أوضح دلالة وأصح أماره .

وقد أمر أمير المؤمنين أن تُجرى الحال على ما كانت عليه من دخول ذلك وبيعه بغير مكس في جميع الأعمال ؛ وأزاح مع ذلك عِلتك ببسط يدك وإنفاذ أمرك وإمضاء قولك ، وإفراذك بالنظر من غير أن يكون لأحد من متولّي الدواوين على اختلافهم نظرٌ معك ؛ فتماد في حُسن تديره على سُنَّتكَ ، ولا تخرج عن مذهبك وطريقتك ؛ والله يوفقك ويُسعدك ، ويُعينك ويعضدك ؛ فأعلم هذا وأعمل به إن شاء الله عز وجل .

المرتبة الثالثة

(من المذهب الأول من سجلات ولايات الفاطميين أن تفتتح

بالتصدير أيضا ، وهو « من عبد الله ووليه » إلى آخر التصلية على

النبي صلى الله عليه وسلم وأمير المؤمنين على رضى الله عنه ؛ ثم يُؤتى بالبعدية ،

لكن من غير تحميد ، بل يقال : « أما بعد فإن أولى » أو « إن أحق »

ونحو ذلك ؛ ويذكر مناقب المولى ثم يأتي بالوصايا)

وأعلم أن هذه المرتبة من السجلات يشترك فيها أرباب السيوف وأرباب الأقلام
من أصحاب الوظائف الدينية والوظائف الدنيوية .

فأما سجلات أرباب السيوف فكأصحاب زُوم طوائف الرجال ، يعنى التقدمة
عليهم والولايات ونحو ذلك ، على ماسياتى ذكره إن شاء الله تعالى .

وهذه نسخ ولايات لأرباب السيوف بالحضرة من هذه المرتبة .

نسخة سجل بزّ طائفة ، من إنشاء القاضى الفاضل ، وهى :

من عبد الله ووليه (إلى آخره) .

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين يَصْطَنع مَنْ يَرْضِيهِ لِتَأْلِيفِ عَيْدِهِ وَصَحَّهِمْ ، وَيَسْتَوْفِقُهُ
لِلنَّظَرِ فِي تَقْدِيمِ رِجَالِ مَمْلَكَتِهِ وَزَمَمِهِمْ ، وَيَخْتَارُ مَنْ يَحْتَبِيهِ لِإِحْرَازِ مَدَحِهِمْ بِالْبُعْدِ
مِنْ مُوجِبَاتِ ذَمِّهِمْ ؛ وَلَا يُؤْهِلُ لَذَلِكَ إِلَّا مَنْ تَوَسَّلَ بِالْعَنَاءِ وَتَقَرَّبَ ، وَاسْتَقَلَّ بِالْأَعْبَاءِ
وَتَدَرَّبَ ؛ وَأَطْلَقَ حَدَّهَ التَّوْفِيقُ فَضْلِي وَتَدَرَّبَ ، وَأَوْدِعَ الْإِحْسَانَ فَمَا زَايَلَ حَمَلَهُ
وَلَا تَقَرَّبَ ، وَلَا بَسَ الْأُمُورَ مَلَابَسَةً مِنْ فُطُنٍ وَجَرَّبَ ؛ وَقَدْ أَيْدَى اللَّهُ دَوْلَتَهُ بِفَتَاهِ
وَأَمِينِهِ ، وَعَقَدَهُ وَثَمِينِهِ ؛ السَّيِّدِ الْأَجَلِّ الَّذِي غَدَتْ أَرَاؤُهُ لِلصَّالِحِ كَوَافِلَ ، وَأَذْكَى
لِلتَّيْدِيرِ عُيُونَ حَزْمٍ غَيْرِ مُتَلَفِفَاتٍ عَنْهُ وَلَا غَوَافِلَ ؛ وَأَطْلَعَ مِنَ السَّعْدِ نَجُومًا غَيْرَ غَوَارِبَ

ولا أوأفل ، وقام بفرائض النصائح قيام من لم يُحَوِّز فيها رُخْصَ التَّوَّافِلِ ، وتحدَّثَتْ بأفعاله رِمَاحُهُ فِي الْحَافِلِ فما راعت الجَحَافِلُ .

ولما مثل بحضرة أمير المؤمنين أَجْمَلَ ذِكْرَكَ واطابَه ، وقصَدَ بِكَ غَرَضَ الإِصْطِنَاعِ فأصابه ، وأسَمَّطَرَ لَكَ الإِنْعَامَ الغَدَقَ السَّحَابِ فأجابَه ، ووصَفَ ما أنت عليه من شَهَامَةٍ شَهِدَتْ وشَهِرَتْ ، وصَرَامَةٍ تَظَاهَرَتْ وظَهَرَتْ ، وكَفَافَةٍ بَرَعَتْ وفَرَعَتْ ، ونِزَاهَةٍ أَسْتَوْدَعَتْ الأَمَانَةَ فَرَعَتْ ، ومُنَاصِحَةٍ أَفْرَدَتْ بوصفها ، وتَحَلَّتْ واسِطَةَ عِقْدٍ صَقَّهَا ، وجهادٍ لم يَزَلْ به القُرْآنُ مُغْرِبًا ، والصَّعْبُ المَقَادِ مُدْعِنَا والخطب عابيا (؟) في قيادها مدعيا ، وقزَرَ لَكَ الإِسْتِخْدَامَ فِي زَمِّ الطَّائِفَةِ فأمضى تقريرَه ، وأسْتَصَابَ تَدْيِيرَه ، وخرج أمره إليه بأن يُوعِزَ إِلَى دِيْوَانِ الإِنْشَاءِ بِكُتُبِ هَذَا السَّجَلِ وإيداعه ماتتدَّى به ، وتعمَلُ بِتَأْدِيهِ .

فتقلَّدَ ماقلَّدته من ذلك عاملا بالثَّقِيَّةِ فإنها الحِجَّةُ والمَحْجَّةُ ، والجَنَّةُ والجَنَّةُ ، والمَدَدُ السَّالِمُ ، والمَرْبُحُ القَوِيمُ ، والنِّعْمَةُ والنَّعِيمُ ، بقول الله سبحانه في كتابه الحكيم : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ .

فانهضُ بِشُرُوطِ هَذَا الزَّمِّ نُهوضًا يُؤدِّي عَنْكَ مِنَ النُّصْحِ مَفْرُوضًا ، وَيَجْعَلُ لَكَ كُلَّ يَوْمٍ كِتَابَ شُكْرِ مَفْضُوضًا ، وَسُنَّ هَذِهِ الطَّائِفَةِ بِمَا يُؤَلِّمُهَا دَوَاعِيَ الْوَفَاقِ ، وَيُنَجِّمُهَا مِنْ عَوَادِي الْإِقْتِرَاقِ ، وَأَجْهَدُ فِي مَنَافِعِهَا مُجْتَلِبًا ، وَلَاخِلَافَ دَرِّهَا مُحْتَلِبًا ، وَأَنْتَصِبْ لِاسْتِشْفَافِ أَحْوَالِهَا وتعهُّدِهَا ، ومَلاحِظَةِ أفعالِهَا وتَفَقُّدِهَا ، فَمِنْ أَلْفِيَّتِهِ إِلَى فَرَائِضِ الخِدْمَةِ مُسْرِعًا ، وَبِنَوَافِلِهَا مَتَطَوِّعًا ، وَبِكَرَمِهِ عَمَّا يَشِينُهُ مَتَرَفِّعًا ، شَحَذَتْ بِصَبْرِهِ بِالتَّكْرِمِ ، وَرَشَّحَتْ هِمَّتَهُ لِلتَّقْدِيمِ ، وَمِنْ وَجَدْتَهُ لَتِلْكَ الصِّفَاتِ الرَّائِيَةِ مُحَالِفًا ، وَلِلصِّفَاتِ الشَّائِيَةِ مُؤَالِفًا ، وَلِنَفْسِهِ عَمَّا يَرْفَعُهَا صَارِفًا ، قَوِّمْتَ أَوْدَهُ وَتَقَفَّتْهُ ، وَأَشْرَفَتْ بِهِ عَلَى مَنْهَجِ الصَّرَاطِ وَوَقَفَّتْهُ ، فَاعْلَمْ هَذَا وَاعْمَلْ بِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة سِجِلِّ بولاية الفُسطاط المعبَّر عنها بمصر على نحو ما تقدَّم في ولاية القاهرة، وهي :

أما بعدُ ، فإنَّ أمير المؤمنين لِمَا خَصَّ الله به آراءه من التأييد الذي يُستَدُّ سِهَامُهَا ، وَيُجْزَل من التوفيق سِهَامُهَا ؛ وأُطْلِق به يَدُه من أَيَادٍ تَسْبِقُ آمَادَ الآمالِ وَتُكَادُ أَوْهَامُهَا ، وَأَلْبَسَ الدِّينَ بَقَائَهُ من مهابةٍ تَصِيرُ قُلُوبَ أَعْدَائِهِ مَهَامُهَا ؛ وَمَيَّزَ به عَصْرَهُ من خصائصِ نَصْرِ لَا تُطِيلُ الأَيَّامَ أَسْتَفْهَامُهَا وَلَا تُخْشِي أَسْتِهَامُهَا ، وَيَسِّرَهُ من نَبِلِ دَعْوَتِهِ الَّتِي طَبَّقَتْ أَنْجَادَ الأَرْضِ وَتِهَامُهَا ، وَرَقَّاهُ من محلِّ أمانةِ الإمامةِ الَّتِي لَا يَظْهَرُ أَرْبَابُ الأَلْبَابِ عَلَى أَسْرَارِ الله وَلَا آتِهَامُهَا ؛ وَنَاطَهُ بِتَدْيِيرِهِ من إِيَالَةِ البرِّيَّةِ وَالْإِعْتِنَاءِ بِمَصَالِحِهَا ، وَأَصَابَهُ من مَرَاثِدِ اليقينِ الَّتِي تَسْتَضِيءُ الْعُقُولَ بِمَصَابِيحِهَا ؛ وَأَتَى به الأَنْفُسَ الصَّالِحَةَ من تَقَوَّاهَا ، وَصَرَفَ بِمَا صَرَفَهُ عَلَى لِسَانِهِ من الْحُكْمِ عَنْهَا مَضَارَّ الشُّبُهَةِ وَطَوَّاهَا ، وَأَلْبَسَهُ من هَدْيِ النُّبُوَّةِ الَّتِي قَرَّبَ اللهُ إِسْنَادَ مَنْ رَأَاهَا وَفَضَّلَ مَنْ رَوَاهَا - يَسْتَفْزِرُ مَوَادَّ التَّوْفِيقِ مِنْ خَالِقِهِ بِنُصْحِهِ فِي الْخَلَائِقِ ، وَيَقْدِّمُ الْاِسْتِخَارَةَ بَيْنَ يَدَيْ أَفْعَالِهِ فَهِيَ بِهِ أَمْلَكُ الْخِلَالِ وَأَخْصُ الْخَلَائِقِ ؛ وَيَعْتَمِدُ لِلْقِيَامِ بِتَكَالِيفِ الْاِسْتِنْهَاضِ ، وَيَخْتَارُ لِقَوِيمِ الْمَيَادِنِ أَشْهَرَ بِالتَّدْيِيرِ وَجَبْرَ الْمُنْهَاضِ ؛ وَيُقَدِّمُ لِكِبَارِ الْوِلَايَاتِ وَعَوَالِيهَا ، وَخِصَائِصِ الرُّتَبِ وَغَوَالِيهَا ، مَنْ تَكَافَأَتْ فِي اسْتِعَابِ الْحَاسِنِ خِلَالَهُ ، وَخَطَبَ الْخِدْمَ الْمُتَكَثِّرَةَ لِأَوَّلَى الْحُظُوظِ اسْتِقْلَالَهُ ، وَعَلِمَ اسْتِبْدَادَهُ بِطِيبِ الذِّكْرِ وَأَمِنْ أَنْفِصَالَهُ ، وَأَوَى إِلَى جَنَّةٍ مَرِيْعَةٍ وَجَنَّةٍ مَنِيْعَةٍ مِنَ الْوَلَاءِ وَالْحَقِّهِ ظِلَالَهُ ، وَاسْتَقَامَ عَلَى مَحَبَّةٍ وَاضِحَةٍ مِنَ الْخَالِصَةِ وَلَمْ يُخَفْ زَيْغَهُ وَلَا ضَلَالَهُ ، وَمَضَتْ ضَرَائِبُهُ فِي الْمِهْمَاتِ مَضَاءَ الْحُسَامِ الَّذِي لَا يَنْبُو حُدَّهُ وَلَا يَثْبُتُ آفِلَالُهُ ، وَصَحَّ بِصِيرَةِ

في المناصحة فما سرّ الأعداء شكّه ولا اعتلائه ، وأعطى الخدم حقوقها من إقامة القوانين ، ونهض بأعبائها المثقلة نهضة المشمرين غير الوائين ، واشتدت وطأة تبادره على المفسدين والجانين ، وتظاهرت شواهد ميزته بما يكثر له الحساد ويُرغم الشائين ، وأقنى من نفائس المحامد ما يعده أهل النظر فنية القانين ، وأستبقى من جميل الأحدثوة ما يبقى ذكره بعد فناء القانين ، ووفقت في الخدمة مصادره وموارده ، وانتظمت دُرر الذكر بحسن ذكره فأثقلت فوارده ، ونُسدت ضوأل الغناء فآثقت عنده غرائبه وشوارده ، واختصت مساعيه بالإبرار على الأنظار ، وصحت خلاله على عيب النقد كما صحح النار نور الأبصار ، ونظر لمن أسند إليه أمره نظراً يعفيه من تطرّق الأكدار والمضار ، ورعى له ما هو متوسّل به من آثار حقيقة بالإيثار ، وكفاية تأخذ للخدم من الفخر بالثار .

ولما كنت أيها الأمير المراد بهذا الإيراد ، المطرود إليه هذا الاستطراد ، الممدود في أمراء الدولة العلوية من الأعيان الأفراد ، المحلّ سيفه بين المساعي الجميلة ينتقى منها ما اختار ويضطفي ما أراد ، المهادي الصفات الحسنة فلا جاحد من عاداته ولا راد ، المضطلع بما يعني حمله الحازم المطيق ، المستنفذ في أفعاله المشكورة أقوال الواصف المنطيق ، الواصل بمحمود مساعيه إلى غايات السائقين في مهل ، الجامع في تدبير المهمات بين رأيي أحتكّ وحزم أكتهل ، المنظور بعين الحزم بآيات دواعيه ، المترقّي إلى أمانيته في درج مساعيه ، المحيّب دعوة العزم إذا قام فلم يسمع المقصرون داعيه ، المجتهد في تشييد أركان التدبير إذا ارتقب اضطرابه وخيف تداعيه ، الممثل وصايا الأدب الصالح فهو بقلبه راعيه وبسمعه واعيه ، الشهم الذي ينفذ في الأمور نفاذ السهم ، الألمي الذي علّا أن يماثل بما أوتي من بسطة الفهم ، المتبوي من النعمة منزلة شكر لا يروم ضيقها أن يريمه ، ومرجع حمد لا يسوم نازلها غير

أن يُسيمه ؛ المباشِر من ماثُور السياسة ما استفاض ذكره فلم تتطرق عليه أسباب
المحمد ، البالغ بسمو المساعي ما قصر الأكفاء عنه ولم يقصروا عن الجهد ؛ الحال
من التقدمة في هضابها إذا نزل الأكفاء منها في الوهد ، الحامل من أعباء المشايعة
ماغدا به من الموفين على الأنظار الموفين بالعهد ؛ المحقوق من الوسائل بأن يحودها
النجاح بأعز رديمة وأسقى عهد ؛ المؤدى فيما يُسند إليه فروض التفويض ، الملى
بأن لا تنوب فرصة حزم إلا كان ملياً بالحق والتعويض ؛ المكتفى من وصايا الحزم
بما يقوم له مقام التصريح من التعريض ، المستوجب أن تُجدى إلى استحقاقه
وتُهدى سحائب الطول الطويل العريض ؛ المستوعب شرائط الرياسة بالاستيلاء
على أدواتها ، المتبّع مظان الخطوب بمفاجأة الغرض في مداواتها ؛ المبرز على القرناء
بخلال لا تطمع الهمم في مساماتها ولا مساواتها ، الآخذ من كل شيء بأحسنه فأى
حسنة لم يؤتها ولم ياتها ، النافذ الآراء إذا المشكلات لم يتضح لأرباب الألباب
مُصمت بيانها ، المصيب شواكل الضرائب فسهام آرائه مذلولة على شواتها ، المتبرج
المقاصد لعيان الحمد إذا تحفرت الأفعال ووارت سواتها ، المعروف بثبوت الجنان ،
حين يلتبس الشجاع بالجهان ، المشكور في مواقف الحرب بأفواه الجراح ولسان
السنان ؛ المقدم حيث الأعضاء تتزيل والأقدام تتزلزل ، المفتح غمرات الهيئات
والأرواح عن ولايات الأجسام تُعزل . وقد وليت الولايات فاستقلت بها أحسن
استقلال ، ورفع لك منار العدل فاستدلت منه بأوضح استدلال ؛ وجعلتها على من
تؤويه حرماً ، وعلى من يطرقها حمى ؛ وكنت لجمهور زمانك في المصالح والنصائح
مقسماً ، ولحكم التقوى ولو ضقت مشقاتها دون حكم الهوى محكماً .

وحضر بحضرة أمير المؤمنين قتاه ووزيره السيد الأجل الذي حل المشكلات
من رأيه ورأياته بالشمس ومُحايها ، وتعرضت له آية الليل من العدا بخلاها بسيفه

ومحاربا ، وثبت نصاب الملك الفاطمي حين أدارت الحرب على فتكاته رحاها ،
وأقتاد الأعداء إلى مصارعها بخزائم من العزائم وأوحاها ، وقام بنصر أئمة
الهدى حين قعد الناس ، وزعى الله عزيمته الصابرة في البأساء والضراء وحين
الباس ، وخاطر في حفظ الدين بنفس تجرى محبتها مع الأنفاس ، وحل من ملوك
الأرض محل العين من الراس بل الراس من الحواس ، وأتعبت الأجسام هممه
الحسام ، وأعدى الزمان فبسم جدلا بعدله البسام ، وقسمت المطامع أمواله فحى
المجد الموقر عليه من الانقسام .

فطالع أمير المؤمنين بأخبارك بعد اختبارك ، وتوسل إلى التقدمة بمرضى آثارك ،
وما أظهره الامتحان من نقاء سريرتك وأسرارك ، وأستقامتك على مثلى الطريقة
وأستبصارك ، وأن ولاية مضر من أنفس الولايات محلا ، وأنبها على غيرها فضلا ،
مجاورتها لل مقام الكريم ، وحصولها من استقلال الركاب الشريف إليها على الشرف
العظيم ، واختصاصها من مجال الخلافة بما جمع لها بين الفخرين الحادث والقديم ،
وأوجب لها على غيرها من البلاد مزية ظاهرة التكریم والتقديم ، وما يمت به أهلها
من شرف الحوار الذى لا ملهم به التخيير في الإحسان والتحكيم .

وما رأى من إسناد ولايتها إليك علما أنك ممن تركو لديه الصنيعه ، وتروى
في جيد كفايته فرائد المن البضيعة ، وتتطامن لاستحقاقه ذروة كل مرتبة رفيعة -
نرج أمر أمير المؤمنين إليه ، بأن يؤعز إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل لك
بالولاية المذكورة . فتقّد ماقلدك منها مقدما تقوى الله على كل فعل وقول ، متبرئا
إليه من طول الحول ، مُعدّا ذخيرتها النافعة ليوم الهول ، قال الله في مُحكم الكتاب :
﴿ وَتَزُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُوا يَا أُولَى الْأَلْبَابِ ﴾ .

وَأَنْظُرْ فِي هَذِهِ الْوَلَايَةِ حَاكِماً بِالْقِسْطِ ، وَسَاوِ فِي الْحَقِّ بَيْنَ طَبَقَاتِ النَّاسِ ؛
وَلَا تُمَيِّزْ فِيهِ رَفِيعاً عَلَى حَقِيرٍ ، وَلَا غَنِيّاً عَلَى فَقِيرٍ ؛ وَأَقِمِ الْحُدُودَ عَلَى مَنْ وَجِبَتْ عَلَيْهِ
إِقَامَةُ يَرْتَدِعُ بِهَا الْمَغْرُورُ ، وَتُسْتَقِيمُ بِهَا الشُّؤُنُ وَتَنْتَظِمُ الْأُمُورُ ؛ وَارَاعَ مَنْ بِهِذِهِ الْمَدِينَةُ
الْمَحْرُوسَةُ مِنْ شُهُودِهَا ، وَمُمَيِّزَى أَهْلِهَا ، فِيهَا الْفُقَهَاءُ وَالْأَتَقِيَاءُ ، وَالْقُرَّاءُ وَالْعُلَمَاءُ ؛
وَالْمُمْتَنِزُونَ الْأَعْيَانُ الْوُجُوهُ ، وَأَهْلُ السَّلَامَةِ الَّذِينَ يَسْتَوْجِبُ كُلُّ مِنْهُمْ نَيْلَ مَا يَأْمُلُهُ
وَبُلُوغَ مَا يَرْجُوهُ ؛ فَاعْتَمِدْ عِزَّاهُمْ ، وَتَوَخَّ تَكْرِمَتَهُمْ ؛ وَوَقِّهْ مَا يَجِبُ لَهُمْ مِنَ الْحَقِّ ،
وَأَلْقِهِمْ بِالْوَجْهِ الْمُسْفِرِ الطَّلُقِ ؛ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَنُصِّ إِلَيْهِ ، وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَعَاقِبُ
عَلَيْهِ ؛ وَتَفَقَّدْ أَحْوَالَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ ، وَحَافِظْ عَلَى إِجْرَائِهَا عَلَى أَحْكَامِ الصَّوَابِ
وَقَضَايَا الْوَاجِبِ ؛ وَأَحْظَرْ فِي الْمَكَائِلِ وَالْمُؤَازِينَ الْبَخْسَ وَالتَّطْطِيفَ ، وَقَدِّمِ الْإِنْذَارَ
فِي ذَلِكَ وَالتَّحْذِيرَ وَالتَّخْوِيفَ ؛ وَأَوْعِزْ بِتَنْظِيفِ الْمَسَالِكِ وَالسَّاحَاتِ ، وَأَمْنَعْ مِنْ
تَوَعِيرِ السُّبُلِ وَالطَّرِيقَاتِ ؛ وَاعْتَمِدْ كُلَّ لَيْلَةٍ مُوَاصِلَةَ التَّطَوُّافِ عَلَى أَرْجَاءِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ
وَأَكْثَافِهَا ، وَمُتَابَعَةَ الْإِطْلَالِ عَلَى نَوَاحِيهَا وَأَطْرَافِهَا ؛ وَاعْمَلْ فِيمَنْ تَظْفَرُ بِهِ مِنْ عَائِثٍ
وَعَادٍ ، وَمُنْتَهَجِ طَرِيقِ الْفُسَادِ ، مَا يَرْتَدِعُ بِهِ سِوَاهُ ، وَيَجْعَلُهُ مَوْعِظَةً لِمَنْ يَعْدِلُ
عَنِ الصَّوَابِ وَيَتَّبِعُ هَوَاهُ ؛ وَاشْدُدْ مِنَ الْمُتَصَرِّفِينَ عَلَى بَابِ الْحُكْمِ الْعَزِيزِ فِي قُوْدِ آبَاةِ
الْخُصُومِ ، لِيُنْظَرَ بَيْنَهُمْ فِيمَا يَنْتَصِفُ بِهِ الْمَظْلُومُ مِنَ الظَّالِمِ ؛ وَتَقَدَّمْ بِتَوْقِيرِ الْجَوَامِعِ
وَصِيَّاتِهَا ، وَحَافِظْ عَلَى مَاعَادِ بِيَهْجَتِهَا وَنِظَاقَتِهَا ؛ وَخُذِ الْمُسْتَخْدِمِينَ فِي الْأَرْبَاعِ بِأَنْ
يَتَّقِظَ كُلُّ مِنْهُمْ لِمَا يَجْرِي فِي عَمَلِهِ ، وَأَنْ يَكُونَ كُلُّ مَا يَحْدُثُ وَيُنْهَى إِلَيْكَ مِنْ قَبْلِهِ ؛
وَأَنْظُرْ فِي الصَّنَاعَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَفِي عَمَائِرِ الْأَسَاطِيلِ الْمَظْفَرَةِ الْمَنْصُورَةِ ؛ وَتَوَقَّرْ عَلَى تَدْيِيرِ
أُمُورِهَا وَالْإِهْتِمَامِ بِشُؤْنِهَا ؛ وَحِفْظِ مَا فِيهَا مِنَ الْأَخْشَابِ ، وَالْحَدِيدِ وَالْعُدَدِ وَالْآلَاتِ
وَالْأَسْبَابِ ؛ وَأَبْعَثِ الْمُسْتَخْدِمِينَ عَلَى الْمُنَاصَحَةِ فِيهَا ، وَبَذِلِ الْجُهْدَ فِي قَصْدِ مَصَالِحِهَا
وَتَوْخَّيْهَا ؛ وَأَجْرَأْ مَرَّ هَذِهِ الْوَلَايَةِ عَلَى مَا يَشْهَدُ بِحُسْنِ أَثَرِكَ ، وَجَمِيلِ ذِكْرِكَ وَطِيبِ

خبرك؛ فاعلم هذا وأعمل به، وطالع مجلس النظر السيدى الأجلّى بأمور خدمتك، وما يحتاج إليه من جهتك؛ إن شاء الله تعالى.



وهذه نسخة سجل بولاية الأعمال القوصية، وهى بعد التصدير:

أما بعد، فإن أمير المؤمنين لموضع من خلافة الله التى أعمره إياها، وأنا بنظره محيّاها، والإمامة التى أقره ذراها، وناط به عراها؛ وما وكله إليه من القيام، بحفظ الإسلام، الذى رضىه ديناً، وألبسه بعدله تحسیناً وبذبه عنه تحصيناً؛ وما استودعه إياه من جوامع الحكم، وعدقه بكفالاته من رعاية الأمم، وعضده برأيه من التأييد والتوفيق، وأوجبه من فرض طاعته على كل مطبق - يصطفى لمعونه على النهوض بما حمّله الله من أعباء الأمانة، والشكر على ما أختصه به من الوجاهة عنده والمكانة؛ ويستكفى فيما أمر به من إحسان الإيالة فى بريته، وينتخب لتفويض أمورهم والسلوك بهم مسالك رافته فى سيرته - من يكون أصطفاؤه لرضا الله عنه مطابقاً، وأجتنابؤه لشرائط المراد والإقتراح موافقاً؛ وانتصابه للهمم أفضّل ما يبدئ به وقدم أعمّاده، وإسناد الأمر الجسم إليه أوفى ما عظم بتدبره شأنه ورفع بنظره عمّاده؛ وإن ولى ولاية، جعلها بمهابته حرماً آمناً على أهلها من المخاوف، وغداً حسن سيرته برهاناً على فضله يضطر إلى التصديق به المؤالف والمخالف؛ وأعاد حميد أثره محلّها ربيعاً ممرعاً، وقرب حسن شأنه من المطالب ما كان بعيداً ممتنعاً؛ وإن نذب للخلج، عاد مظفر المقاصد، محفوقاً باليأمن والمساعد؛ ساحباً ذيل الفخر، حائرّاً لکنوز الأجر؛ مستعيناً بتوحيده على العدد الجسم، والعسكر الدهم^(١).

وإنَّ هذه الأوصاف قد أصبحت لك أيُّها الأميرُ أسامي لم تزدك معرفه، وخواصَّ المهيمَّات إلى ملابسيتك إياها متطلعة متشوفة، وأفعالك الحميدة قد بنت لك بكلِّ ريع منارا، وجعلت لك في كلِّ مكرمة سماء وآثارا، وجميل رأى أمير المؤمنين فيك، قد زاد توفيق مساعيك، وضاعف ارتقاء معاليك، وجعل الخيرة مقترنة بمقاصدك ومراميك، وسما بك إلى رتبة من الوجاهة تتذبذب دُونها مطارح الهيم، وأحلَّك من الثقة بك منزلة لا تُفضي إليها خواطر الظنِّ والتَّهم، وتحقق من يقينك ومضاء عزميتك، وعدل سيرتك وصفاء سيررتك، ماجعل حظك عنده زائد الثمَّاء، وذَكَرك بحضرته مكنوفاً بالشكر والثناء، ووسائلك إليه متقبلة، وقد أدركت في ربيِّ الشَّباب حرَّامة الكهول، واستنجحت في مقاصدك بضمير من الولاء مأهول، ولك البيت الذي كثُر فيه الأجداد والأفاضل، وأحلَّك في دعة الناس من يخافهم المباري والمناضل، وتساوت في اعتقاد تفضيلهم حالنا السرَّ والجهر، وأصلح بعزائمهم مآظهم من الفساد في البرِّ والبحر، وفَتَّ المطامع بفضيلة هذا النَّسب وفضيلة النفس، ودلت ما تُرك على ما ظهر من خصائصك دلالة الفجر على الشَّمس .

ولما رآك أمير المؤمنين أهلاً للعون على استيجابه لطفاً لله عنده، والتماس عوائد صنعه الجميل فيمن فارق سعيه ونَبذ عَهده - آتتضئ منك حُساماً حاكماً للدَّواء، معينا في اللِّواء، طباً بتأليف الأهواء، لا ينبو غراره، ولا يُخشى اغتراره، ولا يُفلَّ حده، ولا يُؤويه غمده، فأنحقت الدِّماء، وسكنت الدِّهماء، وعمَّ الأمن، وعظم من الله تعالى الطُّولُ والمَن، وأصبح مكانُ القول فيك ذا سعة فسيحا، ولسانُ الإححاد لأفعالك مُنطلقاً فصيحاً، وحصلت من الوجاهة عند أمير المؤمنين بحيث [لاناباك] رتبة خطيره، ولا تتأى عنك بجانها [منزلة] رفيعة أثيره، بل غدت خواصها فيك

لأَسْتَجْزَالَ حَظَّهَا مِنَ الْجَمَالِ بِكَ رَاغِبَهُ ، وَمَتَنَعَتْهَا لِأَسْتَكْرَامِ الْإِكْفَاءِ طَالِبَةً لِلْإِفْضَالِ
بِلِ خَاطِبَةٍ ؛ إِذْ كَانَ مَا يَعْدَمُ التَّمَّةَ بِكَ لَا يَعْدَمُ شَعْنًا وَآخِثًا ، وَمَا حِطَى مِنْهَا
بِمَقَارِبَتِكَ يَتَبَهَ زُهْوًا بِكَ وَآخِثًا ؛ فَإِذَا أَرَادَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى عَمَلٍ
مِنْ أَعْمَالِ مَمْلَكَتِهِ وَيَرْفَعَ مِنْ مَحَلِّهِ ، وَيُفَيِّضَ عَلَيْهِ مِنْ سَحَائِبِ رَأْفَتِهِ مَا يَكُونُ مَاحِيًا
لِأَثَارِ جَذْبِهِ وَمَحَلِّهِ ؛ وَيُعِمُّ بِالْبَرَكَاتِ أَقْطَارَهُ ، وَيَبْلُغُ كَلًّا مِنْ أَهْلِهِ مَا رَبَّهُ مِنَ الْعَدْلِ
وَأَوْطَارِهِ - أَسْتَدَّ مِنْكَ إِلَى الْقَوَى الْأَمِينَ ، وَالْكَامِلِ الَّذِي لَا يُخَدَعُ الظَّنُّ فِيهِ وَلَا يَمِينُ ؛
إِذَا اسْتَكْفَى أَمْرًا حَمَى بِمَاضِيَيْنِ : حُسَامِهِ وَأَعْتِرَامِهِ ، وَتَمَسَّكَ فِي حِفْظِ
نِظَامِهِ بِالْحُسْنَيْنِ : طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ إِمَامِهِ .

وَمَا كَانَتْ مَدِينَةُ قُوصَ وَأَعْمَالُهَا أَمْدَى أَعْمَالِ الْمَلَكَةِ مَسَافَهُ ، وَأَبْعَدَهَا مِنْ دَارِ
الْخِلَافَةِ ؛ وَتَشْتَمِلُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ أَجْناسِ النَّاسِ ، وَأَخْلَاطٍ يُحْتَاجُ فِيهِمْ إِلَى إِحْسَانِ
السِّيَاسَةِ وَالْإِنْسَانِ ؛ وَعَلَيْهِ مَعَاجُ الْمَسَافِرِينَ مِنْ كُلِّ فِجٍّ عَمِيقٍ ، وَإِلَيْهِ يَقْصِدُ الْجُحَّاجُ
إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْعَتِيقِ - رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَبِاللَّهِ تَوْفِيقُهُ أَنْ يَرِدَّ وَلَايَةَ الْحَرْبِ بِهَا
إِلَيْكَ ، وَيُعَوَّلَ فِي تَقْوِيمِ مَائِدَتِهَا وَضَمِّ نَشْرِهَا عَلَيْكَ ؛ وَأَنْ يَحْسِمَ بِكَ دَاءَهَا ؛ وَيُحَسِّنَ
بِنَظَرِكَ رُوءَاَهَا ؛ وَيُعِمُّ أَهْلَهَا بِكَ رَأْفَةً وَمَنًّا ، نَفْرَجُ أَمْرَهُ إِلَى دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ بِكُتُبِ
هَذَا السَّجَلِ [لَكَ] بِالْوَلَايَةِ الْمَذْكُورَةِ .

فَتَقَلَّدَ مَا قَلَّدَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَعْتَمَدَ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ الَّتِي جَعَلَهَا شَرْطًا فِي الْإِيمَانِ ،
وَأَمَرَ بِاعْتِمَادِهَا فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ ؛ فَقَالَ فِي تَابِهِ الْمُبِينِ : ﴿ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنُتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴾ .

وَأَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَأَبْسَطَ عَدْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْبَايِنِ وَالْحَضَرِ ؛
وَأَقَمَ الْحُدُودَ عَلَى مَنْ وَجِبَتْ عَلَيْهِ بِمَقْتَضَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَقُمَ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ

من ذلك بأنْفَذَ عَزِيمَ وَأَقْوَى مُنْه ؛ وساوِ في الحَقِّ بين الضعيف والقوى ، وآسِ
 بَيْنَ الْعُدُوِّ وَالْوَلِيِّ [والذمي] وَالْمَلِيِّ ؛ وأجعل من تَضُمُّهُ هذه الولاية ساكنين
 في كَنْفِ الْوَقَايَةِ ، مَشْمُولِينَ بِالصَّوْنِ وَالْحِمَايَةِ ؛ وَلِيَكُنْ أَرْبَهُمْ فِي الصَّلَاحِ مِنْ أَرْبِكَ ،
 فَكُلُّ مِنْهُمْ شَاكِرٌ لِلَّهِ عَلَى النِّعْمَةِ بِكَ ؛ وَبُتَّ فِي أَقْطَارِهَا مَا يَحْجُزُ النُّفُوسَ الْعَادِيَّةَ
 عَنِ النَّظَامِ ، وَيُعِيدُ شِمَتَهُمْ بَعْدَ الْعُدْوَانِ مُخْلِدةً إِلَى التَّوَادُعِ وَالتَّسْلُمِ ؛ وَمَنْ أَقْدَمَ
 عَلَى كِبَائِرِ الْإِجْرَامِ ، وَلَمْ يَخْرُجْ عَنِ الدِّمِّ الْحَرَامِ ؛ فَامْتَثِلْ فِيهِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ :
 ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا
 أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ
 فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .

واعتمد المستخدَم في الحكم العزيز والدعوة الهادية - ثبتهما الله - بما يُقَوِّ
 عَزِمَهُ ، وَيَنْفِذُ حُكْمَهُ ؛ وَأَجْزِلُ حَظِّهِ مِنْ إِعْزَازِ الْجَانِبِ ، وَتَيْسِيرِ الْمَطَالِبِ ؛ وَأَحْسِنُ
 إِلَيْهِ الْعَوْنَ عَلَى صَوْنِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاجْتِلَابِ الْمُسْتَخِيثِينَ . وَالْمُسْتَخْدَمُونَ فِي الْأَمْوَالِ
 مِنْ مُشَارِفٍ وَعَامِلٍ وَغَيْرِهِمَا فَانْدُبْهُمْ فِي عِمَارَةِ الْأَعْمَالِ ، وَبَلِّغْهُمْ فِي الْمُرَافَدَةِ
 كُنْهَ الْأَمَالِ ؛ وَأَشْدُدْ مِنْهُمْ فِي صَوْنِ الارتفاع ، وَحِفْظِهِ مِنَ الإفراط والضياع ؛
 وَضَافِرْهُمْ عَلَى اسْتِخْرَاجِ الْخَرَاجِ ، وَخُذْهُمْ بِجُلِّ الْمُعَامَلِينَ عَلَى أَعْدَلِ مِنْهَاجٍ . وَالرِّجَالُ
 الْعَسْكَرِيَّةُ الْمُرَكِّبَةُ الْمُسْتَخْدَمُونَ مَعَكَ فَاسْتَخْدِمْهُمْ فِي الْحِدْمِ السَّانِحَةِ ، وَصَرِّفْهُمْ
 فِي الْمِهْمَاتِ الْقَرِيبَةِ وَالنَّازِحَةِ ؛ فَمِنْ اسْتِقَامَ عَلَى طَرِيقِ الصَّوَابِ ، أَجْرَيْتَ أُمُورَهُ
 عَلَى الْإِتِّتِظَامِ وَالِاسْتِبْتَابِ ؛ وَمَنْ كَانَ لِلإِخْلَالِ آلِفًا ، وَلِلوَجْبِ مُخَالِفًا ، قَوِّمَتْ
 بِالتَّأْدِيبِ أَوْدَهُ ، وَحَلَّاتُهُ عَنْ مُورِدِ الْفَسَادِ الَّذِي تَوَرَّدَهُ .

هذه دُرَرٌ مِنَ الْوَصَايَا فَابْعَثْ (؟) عَلَى إِحْضَارِهِ الثِّقَةَ بِهَدَايَتِكَ إِلَى كُلِّ صَوَابٍ ،

وَأَعْتَلَقَكَ مِنَ الدِّيانَةِ وَالْأَمَانَةِ بِأَوْثَقِ الْأَسْبَابِ ؛ وَإِحَاطَةِ عِلْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَسْتِغْنَائِكَ
بِذَاتِكَ ، وَكَمَالِ أَدَوَاتِكَ ، عَنِ الْإِيقَاطِ وَالتَّنْبِيهِ ، وَالْإِرْشَادِ فِيمَا تَنْظُرُ فِيهِ ؛ وَاللَّهِ يُوَفِّقُكَ
إِلَى مَا يُرِضِيهِ ، وَيَجْعَلُ الْخَيْرَ مَكْتَنِفَةً لِمَا تَرْوِيهِ وَتُمِيزُهُ ؛ فَأَعْمَلْ هَذَا وَاعْمَلْ بِهِ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وهذه نسخةٌ سُجِّلَتْ بولاية الأعمال الغريية ، وهى :

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين لما فضَّله الله به من إمامة البشر وشرَّفه ، وأَناله إِيَّاهُ
من الخلافة التى نَظَّمَ بها عَقْدَ الدِّينِ الحَنِيفِ وَأَلْفَهُ ؛ وَأَمْضَاهُ اللَّهُ لَهُ فى أَقْطَارِ البَسيطةِ
من الأوامر ، وَنَقَلَهُ إِلَيْهِ من الخصائص النبوية التى تَجَلَّتْ بِذِكْرِهَا فُرُوقُ الْمَنَابِرِ ،
وَمَكَّنَهُ لَهُ من السلطان الذى تَخَضَّعَ لَهُ الْجَبَابِرَةُ وَتَدِينُ ، وَعَضَّضَهُ بِهِ من التأييد الذى
أَرْغَمَ الْمُشْرِكِينَ وَخَفَّضَ مَنَارَ الْمُلْحِدِينَ ؛ وَآثَرَهُ بِهِ من مَزَايَا التَّقْدِيسِ وَالتَّمْجِيدِ ،
وَأَلْهَمَهُ إِيَّاهُ من أَسْتِكْمَالِ السَّيْرِ التى أَصْبَحَ الزَّمَنُ بِجَاهِلِهَا حَالِي الحَيْدِ ؛ وَأُنْجَدَ بِهِ مُلْكُهُ
من مَوَالاةِ النُّصْرَةِ وَمُتَابَعَةِ الْإِظْفَارِ ، وَحَازَهُ لَهُ من مَوَارِيثِ النُّبُوَّةِ الْمُتَقَلِّدَةِ إِلَيْهِ عَنِ آبَائِهِ
الْأَطْهَارِ ؛ وَأَصْطَفَاهُ لَهُ من إِيضَاحِ سُبُلِ الْهُدَى الْمُعْتَادِ ، وَأَلْهَمَهُ إِيَّاهُ من إِسْبَاحِ
مَلَابِسِ الرَّحْمَةِ عَلَى الْحَاضِرِ مِنَ الْأُمَمِ وَالْبَادِ ؛ وَوَقَّرَ عَلَيْهِ أَجْتِهَادَهُ من أَسْتِئْذَانِ الْمَصَالِحِ
وَأَجْتِلَابِهَا ، وَصَرَفَ إِلَيْهِ هِمَمَهُ من تَمْهِيدِ مَسَالِكِ الْأَمْنَةِ وَفَتْحِ أَبْوَابِهَا - يَتَصَفَّحُ أُمُورَ
دَوْلَتِهِ تَصَفُّحَ الْعَانِي بِتَهْذِيبِ أَحْوَالِهَا ، وَيَتَفَقَّدُ أَعْمَالَ مَمْلَكَتِهِ تَفَقُّدًا يُزِيلُ شَعْبَهَا
وَيُؤَمِّنُ من آخْتِلَالِهَا ؛ وَيَعِدُّقُ الْمَهْمَاتِ الْخَطِيرَةَ بِالصَّدُورِ الْأَفْضَلِ من أَصْفِيائِهِ ،
وَيَزِيدُ فى رَفْعِ مَنَازِلِ أَوْلِيَائِهِ إِلَى الْغَايَةِ التى تَشْهَدُ بِجَلَالَةِ مَوَاضِعِهِمْ مِنْ جَمِيلِ آرَائِهِ ؛
وَيُقَيِّضُ عَلَيْهِمْ من أَنْوَارِ سَعَادَتِهِ مَا يَظْهَرُ سَنَاهُ لِلْأَبْصَارِ ، وَيَمْتَحِنُهُمْ من أَصْطِفَائِهِ
مَا لَا يَزَالُ دَائِمَ الثَّبَاتِ وَالْإِسْتِقْرَارِ ؛ وَيُعَوِّلُ فى صِيَانَةِ الرِّعَايَا مِنَ الْمَضَارِّ ؛ وَحِرَاسَةِ
الْأَعْمَالِ الْمُتَمَيِّزَةِ مِنْ عَيْثِ الْمُفْسِدِينَ وَالِدُّعَارِ ، عَلَى مَنْ تَرَوُّعُ مَهَابَتِهِ ضَوَارَى

الآساد، وتكفل عزائمهم بقطع دابر الفساد؛ ويُدع في السياسة الفاضلة ويُغرب،
وتُعجب أنباؤه في حسن التدبير وتُطرب؛ ويعمُّ الرعايا بضروب الدعة والسكون،
ويشملهم من الأمانة والطمأنينة بأنواع وفنون؛ وتقوم كفايته بسد الخلل وتقويم
الأود، ويبلغ في تيمنه في اكتساب المحامد إلى أقصى غاية وأبعد أمد؛ ويعني
ب حفظ التواميس وإقامة القوانين، ويدأب في استعمال السيرة الشاهدة له باستكمال
الفضل المئين؛ ولا يألو جهداً في تقريب الصلاح واستدناؤه، ويقصد من الأفعال
الجميلة ما تلهج به الألسن بإطابة شأنه .

ولما كنت أيها الأمير نجماً من نجوم الدين المضيئة المشرقة، وثمره من ثمرات
دوحة العلاء الزكية المورقة؛ وقدأ في الفضائل البديعة، وفردا في المحاسن التي لم تفرز
بنظير ذكرها أذن سميعه؛ وسيفاً يحسم داء الفساد حداه، وكافياً لا يتجاوزُهُ الإقتراح
ولا يتعداه؛ وماجداً حاز المفارح عن أهل بيته كإبراهيم عن كابر، وعلماً في المآثر يهتدى
به الأعيان الأكابر؛ وهماماً تملأ مهابة القلوب، وماضياً تلوذ بمضائه الأعمال
الخطيرة وتثوب؛ وصدرًا يُقرله الرؤساء بارتفاع المنزلة، ومهذباً أغرته شيمه الرضية
ببث الإنصاف وبسط المعيلة؛ وحازماً لا يُخشى أخذاعه وأغتراره، وعازماً لا ينكهم
عزمه ولا يكل غمراه . وقد ألفت إليك المناقب قيادها مطيعه، وأحلتك الرئاسة
في أشمخ ذروة رَفيعه؛ وتألفت عندك الفضائل تألف الجواهر في العقود، وتكفلت
لك مساعيك المحموده بتضاعف الميامن وترادف السعود؛ وتكاملت فيك الخلال
المطابقة لكم أعراقك، وأستعملت الأفعال الشاهدة بمبالغتك في ولاء أتمتك
وإغراقك؛ وحصل لك من الانتماء إلى البيت الصالحى الكريم ما كسبك فخرا
لا يبرح ولا يريم؛ وخصك في كل زمن بمضاعفة التفخيم والتقديم؛ وأنالكَ من الإقبال
غاية الرجاء، وجعل وجهتك فسيحة الفناء؛ وسيرة الأرجاء . ولك المهابة التي تُعني

غناء الحيوش المتكاثرة العَدَد ، والشجاعة التي تُسَلِّط قَوَارِعَ الدِّمَارِ عَلَى مَنْ كَفَرَ
وعند؛ والعزم الذي آسَمَتِ السيوفُ الباترة من مَضَائِهِ ، وعَزَّ جَانِبُ التَّوْحِيدِ
بِاتِّصَانِهِ لِحِجَابِ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَآرَتِصَانِهِ ؛ وَالْإِقْدَامُ الَّذِي تَلَوَّذُ مِنْهُ أَسْوَدُ الْوَقَائِعِ بِالْفِرَارِ ،
وَالْبَأْسُ الَّذِي لَا يَعْصِمُ مِنْهُ الْهَرَبُ وَلَا يُنَجِّي مِنْ بَوَادِرِ الْحِدَارِ .

وحضر بحضرة أمير المؤمنين فتاه ووزيره ، وصائين مُلْكِهِ وَظَهْرِهِ ؛ السَّيِّدُ الْأَجَلُ
الَّذِي ^(١) فَأَخْنَى عَلَيْكَ ثَاءً طَالَ وَطَاب ، وَحَرَّرَ فِي ذِكْرِ مَنَاقِبِكَ وَمَحَاسِنِكَ
الْقَوْلَ وَالْخُطَابَ ؛ وَذَكَرَ مَالِكَ [مِنَ الْأَعْمَالِ] فِي الْأَعْمَالِ الْغَرِيبَةِ ، الَّتِي أَعَادَتْ
الْأَمْنَةَ عَلَى الرِّعْيَةِ ؛ وَمَا آسَمَعْتُمْ فِيهِمْ مِنَ السَّيْرِ الْعَادِلَةِ ، وَالسِّيَاسَاتِ الْفَاضِلَةِ ؛
وَقَرَّرَ لَكَ الْخِدْمَةَ فِي وِلَايَةِ أَعْمَالِ الْغَرِيبَةِ ؛ - نَفْرَجُ أَمْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ بِأَنْ يُوعِزَ
إِلَى دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ بِكُتُبِ هَذَا السَّجَلِّ لَكَ بِالْوِلَايَةِ الْمَذْكُورَةِ .

فَتَقَلَّدَ مَا قُلَّدْتَهُ عَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ الَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ، وَيَعْلَمُ خَائِنَةَ
الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ؛ وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ فِي كِتَابِهِ الْمَكْنُونِ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ
الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ فَاعْتَمِ بِالْعَدْلِ مَنْ تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْوِلَايَةُ ، وَأَنْتَ
فِي حَيَاتِهِمْ وَكَلَاءَتِهِمْ إِلَى الْغَايَةِ ؛ وَصُنْهُمْ مِنْ كُلِّ أَدَى يُلْمُ بِسَاحَتِهِمْ ، وَتَوَقَّرْ عَلَى مَا عَادَ
بِاسْتِثْبَابِ مَصْلَحَتِهِمْ ؛ وَأَخْصِصْ أَهْلَ السِّرِّ وَالسَّلَامَةِ بِمَا يُصْلِحُ أَحْوَالَهُمْ ، وَيُشْرَحِ
صُدُورَهُمْ وَيُسِّطِ أَمَالَهُمْ ؛ وَقَابِلِ الْأَشْرَارَ مِنْهُمْ بِمَا يُدَوِّخُ شَرَّهُمْ ، وَيَكُفِّ عَنْ ذُنُوبِ
الْخَيْرِ مَضَرَّتَهُمْ ؛ وَأَشْدِّدْ وَطَأَتَكَ عَلَى الدُّعَارِ وَأَهْلِ الْعِنَادِ ، وَتَطْلُبْهُمْ حَيْثُ كَانُوا
مِنَ الْبِلَادِ ؛ وَأَقْصِدْ حِمَايَةَ السُّبُلِ وَالطَّرِيقَاتِ ، وَصُنْهَا مِنْ غَوَائِلِ الْمُفْسِدِينَ عَلَى مِثْرِ
الْأَوْقَاتِ ؛ وَمَنْ ظَفِرَتْ بِهِ مِنَ الْمُجْرِمِينَ فَاجْعَلْهُ مُزْدَجَرًا لِأَمْثَالِهِ ، وَمَوْعِظَةً لِمَنْ
يَسْلُكُ مَسْلِكَ ضَلَالِهِ ؛ وَالْمُقْدِمُونَ عَلَى سَفْكِ الدِّمِ الْحَرَامِ ، وَالْمُرْتَكِبُونَ لِكِبَاثَةِ الذُّنُوبِ

والإجرام، فامتثل فيهم ما أمر الله تعالى به في كتابه الكريم، إذ يقول: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

وأجزل حظُّ الثَّواب في الحُكم العزیز من عِنايتك ، واجعل لهم نصيباً وافراً من اهتمامك ورعايتك ؛ وعاضدكم على إقامة منار الشرع ، وأجر أحوالهم على أجل قضية وأحسن وضع . والمستخدمون في الأموال ، تُسد منهم شداً يبلغهم الآمال ، ويقضى بتزجية الارتفاع وتثير الاستغلال ؛ وعاضدكم على عمارة البلاد ، ووازركم على ما تكون به أحوالها جارية على الأطراد . والرجال المركزية والمجردون فاستنهمهم في المهمات القريبة والبعيدة ، وخذهم بلزوم المناهج المستقيمة السديده ؛ وقابل الناهض منهم بما يستوجب له نصيبه ، وقوم المقصر بما يوزع من يسلك مسلكه ويقتنى طريقته ؛ فاعلم هذا وأعمل به وطالع ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة سجل بولاية نجر الإسكندرية ، كُتب به لأبن مصلال ، من إنشاء القاضي الفاضل ، وهي :

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين لما أكرمه الله به من شرف المنصب والنصاب ، وأجار العباد بآبائه الطاهرين من عبادة الأوثان والانصباب ؛ وأوردتهم من موارد حكمه التي كل صادر عن ربي قلبه منها صاد ، وسخره بأمره من رياح الصواب التي تجرى بأمره رخاء حيث أصاب ؛ وأضفى بسهام عزائمهم ، من مقاتل الباطل ، وحل بأنوار مكارمهم ، من أجياد الأمانى العواطل ، وأنجزه على يد أيديهم من وعود سعود تظل السحب المواطر بمثلها هواطل ؛ وتوحد به من الإمامية التي أعز بها

أحزاب التوحيد، وأجراه من بركاته التي لا تقول لها هل من مزيد، وأوراه من فتكاته التي لا تقول لها الآجال هل من محيد، وأجده من إرادته لأزمة الأيام فهي بين إنعامه وإسقامه تُفيد وتفيد، وأحدثه له من معجزات التأييد التي تملك أحاديثها رِقَّ التأيد، وشرف به قدره في ملكوت السموات والأرض والملائكة له أنصار والملوك له عبيد، وألهمه من إبداع جلي صنائعه حيث لا ينكر المقلد ولا يستغرب التقليد، وأنطق به لسان كرمه من بدائع إحسان تروق بين التريد والتوليد - ينظر بنور الله فيمن ينظر به للجمهور، ويحلو عقائل المكارم على من هو ماهر في مقدمة المهور، ويرى الذين يرجون بولائه تجارة لن تبور، ويقتدح الأنوار المودعة في سواد الشباب كما يودع في سواد العين بياض الثور، ويرفع رتب الأعيان حتى إذا تعاطاها سواهم ضرب بينه وبينها سور، وتعود أياديه إلى بيوت النعم فكل بيت تولاه كالبيت المعمور، ويهدي السرور بهم إلى صدور الثغور، والابتسام إلى ثغور الصدور، ويرى أنهم يستوجبون فواضله ميراثا، وإذا سلمت إليهم أئمة الولايات كانت لهم ترانا، وإذا تبوءوا الرتب العلية كانت الرئاسة لهم دارا والسياسة أئانا، لا سيما الصدر الذي عرفته السعادة لدولة أمير المؤمنين واحدا يجمع فضل سلفه، وتذبا ما عرضت عليه جواهر الدنيا فضلا عن أعراضها إلا ولأها عطف نراهته وظلفه، وألمعا تتناثر معاني المعالي من شمائله كما تنتثر من غصن القلم نمارأخره، وكفا للصدور من أنهضه بها بنص تكلفه أنهضه بها فضل كلفه، وقواما بالأمور يمتضى عليها مضاء النجم في بحر حنيسه لا السهم في بحر هدفة، وملا كاللثغور إذا حل منها في إسكندريتها فهو على الحقيقة نجم حل برج شرفه، وطودا للوقار يعتري الحلم منه إلى أقومه لا إلى أخنفة، وشرطا للاختيار، يكتفى مصطفىه منة معرفه ومثونة معنفة، ومعنى للفخار، لم ينتصف فيه من لسان

واصفه **مَسْمُوعٌ** مستوصفه ، وعلماً للأنظار ، يبدو لهم مناراً إشراقه ويخفى عليهم منال شرفه .

ولما كنت أيها الأمير واسطة عقد هذه الأوصاف الحسنى ، ومُنْجِدَ ألفاظها من الحقيقة بالمعنى الأسنى ؛ المتوحد من الرئاسة باسم لا يجمع بعده ولا يثنى ، الجارى إلى غاية من المجد لا يرد عنها عنائه ولا يثنى ؛ الجدير إذا ولى أن يسكن الرعية اليوم عدلاً لا تسكنه في غد عدنا ؛ ويُنْجِز فيهم وعد الله الصادق في قوله : **(وَلْيَبْدُلْهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا)** . المستبد بالحمد حتى استقر فيما يفعل واستقرى فيما يُكْنَى ؛ الثبت الذى لا تفرغ الأحوال صفاته ، الندب الذى لا تبلغ الأقوال صفاته ، الولى الذى لا تنكدر الأحوال مُصافاته ؛ الجامع بين فضل السوابق وفضل اللواحق ، المتجلى في سماء الرئاسة نيراً لا تهتضمه ضروف الليالى المواق ؛ المشكور الفعال لا باليسنة الحقائق بل باليسنة الحقائق ، المستبد بالهمم الجلائل المدلول على المحاسن الدقائق ؛ المستمد صوب الصواب من خاطر غير خاطل ، المستجد ثوب الثواب يسعي ينصر الحق على الباطل ؛ المستعد لعقب الأيام بأقران من الحزم تثنيها على الأعقاب ، المسترد بمساعيه قوارط محاسن كانت مطوية في ضمائر الأحقاب ؛ السامى بهيمته ، إلى حيث تتقاصر النواظر السوامى ، المقرطس بعزيمته ، حيث لا تبلغ الأيدي الروامى ؛ المستقل بقط نواجم الخطوب وحسمها ، المستقر في النفوس أنه يقوم في ظلمها مقام نجمها ؛ المطلق وجهها فلا غرو أن تُجلى به الجلى ، المطلق وصفا حسناً فلا يعرض له لولا ولا إلأ ؛ المؤيد العزمات ، في صون ما يفوض إليه ويليه ، المتقى الوثبات ، ممن يُجاوره من الأعداء ويليه ؛ المحيى بمسعاها ماشاده أولوه ، والمتوصحة فيه نصوص المجد الذى كانوا تأولوه ؛ والآوى إلى بيت تناسقت في عقوده الرؤساء الجله ، والطالع منه في سماء إذا غربت منها البدور أشرقت فيها الأهلة .

ولقد زدت عليهم وما قصرُوا زيادةً أبيضَ الفجرِ على أزرَقِهِ ، وكنتَ شاهدَ من يروى مناقبهم البديعة ، ودليل من ادعى أن المكارم لكم ملكةٌ وعندِ سِوَاكم وديعه ؛ وقيلَ وصاياهم في المعالي فكانما كانت لديكم شريعته ، ونصرتهم الدولة العلوية فكنتم لها أمثال أولياء وأخصَّ شيعه ؛ وتجلَّتْ أنسابكم باصطناعها وكفاكم إن عُدتم لصنائع الله صنيعه ، وأباحكم من اصطفائها كلَّ درجةٍ على تعاظم الأَطَاعِ عليه منيعه ؛ وقدمتمكم جيشَ برّها وبحرّها ، وكان منكم سيفُ جهادها ونجمُ ليها وفارسُ كرّها ؛ وصالتْ بكم على أعدائها كلَّ مَصَالٍ ، وأغربتْ من يلبسها إلا إذا استقرتْ في داركم إلى مَصَالٍ ؛ وحينَ خرجتْ منها خائفاً تترقب ، وأبقيتْ فيها حائفاً يتعقب ؛ كنتَ الذهبَ المشهور ، الذي ما بهرجه الرغام ، والحَرْفَ المجهور ، الذي ما أدرجه الإدغام ؛ وكنتَ وإن كنتَ بينَ الكُفَّارِ ، عنهم شديدَ النَّفَارِ ، وحلّتْ فيهم محلُّ مؤمنِ آلِ فرعونَ يدعُوهم إلى النجاة وإن دعوه إلى النار ؛ وعُدتْ إلى باب أمير المؤمنين عودَ الغائبِ إلى رحله ، والآيبِ إلى أهله ؛ وآسقررتْ به آسقرارَ الجواهر في فضله ، والفرعَ في أصله ؛ وأبانَ الاستشفافُ عن جوهرِكَ الشَّفَافِ ، وخرجتْ من تلكَ الهفوات خروجَ الرياحِ لأخروجِ الكُفَّافِ ؛ وأعربتِ السعادةُ إذ حيّتكِ بمشيبِ أسود ، وتبعَ الأماجدُ غبارَكَ الذي يُرْفَعُ من طريقِ السُّودِ ؛ وأعتلقتْ بعروةِ الجدِّ ، فلسنتَ من ددٍ ولا منك ددٌ ، وضربتْ قلبَ العيشِ الأصفى بعدَ العيشِ الأنكد ؛ لاجرم أن أميرَ المؤمنين أنساك سيئةً أمْسِكَ بحسنةِ يومك ، وسَمَّا بك إلى أعلى رُتبِ الأولياءِ وأغناكَ عن تعرُّضِ سِوَمِكَ ، وأنعمَ بك على قومٍ ماعزُ قُوا إلا رياسةَ قومك .

وحضر بحضرة أمير المؤمنين أمين مملكته ، ويمينُ فتكته ؛ السيدُ الأجل الذي أتى الله به سَهْمَا إلى مَضَر وهي كَنَانَتُهُ ؛ وأفرده بمزية السبق فلا حظَّ لمُساجله إلا أن

تَدْمِي بَنَاتِهِ ، ورعى الرعيّة منه ناظرٌ لا تُلمُّ بناظره مَرَاوِدُ الْمُجُود ، وقام بالملك منه قائمٌ لا يَزَالُ يُورِدُهُ مَوَارِدَ الْجُود ؛ وأَغْنَتْهُ يَدُ الْغَلَابِ عن لسانِ الْجَلَابِ ، ونال نَادِرَةَ الأَمَلِ في نَادِرَةِ الطَّلَابِ ؛ وَجَمَّتْ فَتَكَاتُهُ من الهَرَمَيْنِ إلى الحَرَمَيْنِ ، وَصَرَفَ الرِّيحَ تَصْرِيفَ الْقَلَمِ وكأنه يَصُولُ وَيَصِلُ بقلمين ؛ وردَّ اللهُ به العدوَّ مَنْخَذِلًا ، وطَلَمًا لَقِيَه فاقام مُنْجَدِلًا ؛ وأَضْحَى به ذيلُ النعمة منسحبًا وسِثْرُ الأَمْنَةِ مَنْسَدِلًا ، ودَبَّرَ الأُمُورَ فامسكها حازِمًا وَعَقَلَهَا مَتَوَكِّلًا - فَأَنْهَى مَالِ سَلَفِكَ عند الأئمة الخلفاء من مَزِيَّةِ الاصْطِفَاءِ ، وما لَكَ في نَفْسِكَ من الحَسَنَاتِ التي مَابَرِحَتْ بَارِحَةً الْخَفَاءِ ؛ وما أَطْلَعَ عليه من خِلَالِكَ التي مَا أَخْلَتْ بِمَنْقَبِهِ ، وأَفْعَالِكَ التي مَا تَغَايَرَتْ في يومِ ذِي نِعْمَةٍ ولا يومِ ذِي مَسْغَبَةٍ ؛ وما لَكَ من وثائقِ الْعُقُودِ ، وما فيكَ من الأوصافِ الْمُؤَكِّدَةِ لِعَلَّاقِ السُّعُودِ ؛ وَقَرَّرَ لَكَ الخِدْمَةَ في كَذَا وكَذَا - خرج أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إليه بَانَ يُوعِزُ إلى ديوانِ الإنشاءِ بكتبِ هذا السَّجَلِ لَكَ بِالْحِدْمِ المذكورةِ وهي التي فُرِّقَتْ لِسَلَفِكَ وَجُمِعَتْ لَدَيْكَ ، كما أَنَّ مَحَاسِنَهُمُ الْمُفَرَّقَةَ مُنْتَظِمَةٌ الْعُقُودِ عَلَيْكَ : لِيُجَلَّ لَكَ وَلا يَتَى النُّغْرُ وَالسِّيَادَةُ في حال ، وَلَيْسَ بِكَ تَغَرُّ الْجِهَادِ وَتَغَرُّ الْإِحْمَالِ ، وَلَتَقُومَ [في هذا] مَقَامُ الْجَفَلِ الْجَرَّارِ وفي ذلك مَقَامُ الْحَيَاةِ الْهَطَّالِ . وَلَتَكُونَ فَرَائِدُ الْإِنْعَامِ عِنْدَكَ ثَوَامًا ، وَلِيَجْعَلَ آبَتِدَاءُ تَصَرُّفِكَ لغيرِكَ تَمَامًا ، وَلِيَخْتَصَرَ لَكَ طَرِيقَ الْكَمَالِ ، وَلِيَجْرِيَ بِكَ في مَيْدَانِ الشُّكْرِ طَلِيقُ الْآمَالِ .

فَتَقَلَّدَ مَا قُلَّدَتْهُ مِنْهَا عَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ التي هي مَصَالِحُ الْأَعْمَالِ ، وَمَيْدَانُ الْإِتْحَافِ وَالْإِحْمَالِ ، وَسَبَبُ النِّجَاةِ في الْإِبْتِدَاءِ وَعِنْدَ الْمآلِ ؛ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ في كِتَابِهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ .

(١) جمع ثَوَام . قال الأزهري ومنسله غم رباب وإبل ظوار وهو من الجمع العزيز . انظر اللسان

وَأَبْسَطَ الْعَدْلَ عَلَى مَنْ يَجُودِيهِ هَذَا الثَّغْرُ الَّذِي هُوَ ثَغْرُ الثُّغُورِ الْبَاسِمِ ، وَأَوَّلَاهَا بِأَنْ
تَكُونَ أَيَّامُهُ بِأَوَامِرِ اللَّهِ وَأَمْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَوَاسِمَ ، فَفِيهِ مِنْ صُدُورِ الْمُحَافِلِ ، وَقُلُوبِ
الْمُحَافِلِ ؛ وَعُيُونِ الْمَدَارِسِ ، وَأَعْيَانِ الْفَوَارِسِ ؛ وَتُجَّارِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأَخْيَارِ الْأُمَّةِ
الْمُقِيمَةِ وَالْمَسَافِرَةِ ؛ وَوُفُورِ مَكَارِمِ عَدْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّتِي هِيَ بِالرَّجَاءِ وَارِدَةٌ وَبِالرِّضَا
صَادِرَةٌ ، مَنْ يُوَثِّرُ أَنْ يَكُونَ فَضْلُ السُّكُونِ لَهُمْ شَامِلًا ، وَرَدَاءُ الْأَمْنِ عَلَيْهِمْ سَائِلًا ؛
وَسَحَابُ الْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ هَاطِلًا ، وَحَالُهُمْ فِي الْإِتِّسَاقِ لَا مَتَغَيِّرًا وَلَا حَائِلًا . وَسَاوَى فِي الْحَقِّ
بَيْنَ أَعْبَدِهِمْ وَأَقْرَبِهِمْ ، وَمَقِيمِهِمْ وَمَتَغَرِّبِهِمْ ؛ وَأَعْتَمَدَ مِنْهُمْ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ بِمَا يُرْفَعُ
فِي الطَّاعَةِ خَاطِرُهُ وَيُسْحِذُهُ ، وَيَصُونُهُ مِنْ تَحِيْفِ الْأَيْدِي الْجَاهِلَةِ وَيُنْقِذُهُ ؛ وَأَخْصَصَ
الْعُلَمَاءَ بِكَرَامَةِ تَعْيِينِهِمْ عَلَى التَّعْلِيمِ ، وَالْأَعْيَانَ بِمَزِيَّةِ تَوْصِيحِهِمْ لَهُمْ مَا لَهُمْ مِنْ مَزِيَّةِ التَّقْدِيمِ ؛
وَأَكْفَفَ عَوَادِي أَهْلِ الشَّرِّ وَالشَّرِّ ، وَأَقَمَعَ غُلُوءَ مَنْ أَعْتَرَبَ بَغِيرَ اللَّهِ وَاعْتَرَبَ ؛ وَتَوَخَّاهُمْ
بِإِقَامَةِ الْمَهَابَةِ وَبَسْطِهَا ، وَكَفَّ الشُّوكَةَ وَقَطَّهَا ؛ وَأَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ ،
وَأَقَمَ الْحُدُودَ لِإِقَامَةِ مَنْ يُثَابُ عَلَيْهَا وَيُؤَجَّرُ ، وَتَفَقَّدَهَا عَلَى حَدِّهَا غَيْرَ دَاخِلٍ فِي الْأَقْلِّ
وَلَا خَارِجٍ إِلَى الْأَكْثَرِ ؛ وَأَذَكَّ الْعُيُونَ عَلَى مَنْ يُلِمُّ بِسَوَاحِلِ الثَّغْرِ مِنْ أَسْطُولِ الْعَدُوِّ
اللَّعِينِ وَمَرَائِكِهِ ، وَأَحْجَزَ بِالْقِظَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ تَلْصِيصِ مَطَالِبِهِ ، وَأَمَرَ أَهْلَهُ بِاتِّخَاذِ
الْأَسْلِحَةِ الَّتِي يُعِزُّ اللَّهُ بِهَا جَانِبَهُ ، وَيُذِلُّ مَجَانِبَهُ ؛ وَتُبَلِّغِ الْعَدُوَّ اللَّعِينَ مِنْ ذِكْرِهَا مَا يُعْمِلُهَا
وَهِيَ فِي أَيْدِيهِمْ مَوْفَرَةٌ ، وَيَبْذُلُهَا فِي مَقَاتِلِهِمْ وَيُوتِنِمْ بِهَا مَعْرَهُ ؛ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ
فِي آيَاتِهِ الْمَتْلُوهِ : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ۖ ﴾ .

وَأَعْتَمَدَ لِلْأَعْمَالِ الْبَحْرِيَّةِ مِثْلَ مَا تَقَدَّمَ شَرْحُهُ مِنْ تَأْمِينِ الْأَخْيَارِ وَتَرْوِيعِ الْأَشْرَارِ ،
وَتَتَبُّعِ كُلِّ مُرِيبٍ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٍ بِالنَّهَارِ ؛ وَمَنْ ظَفِرَتْ بِهِ قَدْ حَارَبَ اللَّهَ
فِي أَرْضِهِ ، وَصَارَ قَتْلُهُ مِنْ قَرَضِهِ ، فَفَقِّدَ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِ فِي آيَةِ السَّيْفِ وَأَمِضَهُ ؛ وَأَدْعُ
إِلَى عِمَارَةِ بِلَادِهَا وَتَحْفَرُهَا ، وَتَفَقَّدِ الْمَصَالِحَ بِهَا وَتَكْثُرْهَا ؛ وَإِطَابَةِ أَنْفُسِ الْمَزَارِعِينَ

بما تحفّفه عنهم من وطأة كانت ثقيله ، وتقلّله عنهم من مغارم لم تكن قليلة ، فما عمّرت البلاد بمثل النزاهة التي هي شيمتك المعتادة ، والمعدلة التي هي من خلائك مستفاده ، وأعتدّ كلّاً من النائب في الحكم العزيز والناظر في الدعوة الهاديّة والمُشارف بالفر والعُمل برعاية تحفظ مَراتبهم ، وتلحظ مطالبهم ، وتنفذ الأحكام ، وتبلغ بما ينظرون فيه من المصالح غايات التمام ، وتُعزّ طائفة الإيمان ، وتظهر عليهم أثر الإحسان ، وتستدرّ حَلَب الأموال ، وتستديمُ عمارة الأعمال ، وتفضي بمواصله الجول وتحصيل الغلال ، وتعودُ بها عليك عوائد الأجر والجمال ، ومثلك أشتاراً أيها الأمير من ولى فلم تُطل له الوصايا التي يحتاج إلى إطاقتها سواه ، ويوثق بما يذكّيه من عُيون حزم غير غوافل ولا سواه ، ويحقّق أن تقواه رقيب سرّه ونجواه ، وأن أمير ورعه يحكم على أسير هواه ، والله سبحانه يجعل نعمة أمير المؤمنين لديك مأمولة الدوام موصولة الحبلى ، ويُتمّها عليك كما أتمّها على أبويك من قبل ، إن شاء الله تعالى .

قلت : وعلى هذا النمط كانت سبجلات سائر ولايات أعمال الديار المصرية ، فكانت تُكتب على نظير ذلك في الوجه القبلى ولاية الحيزية ، وولاية الإطفيحية ، وولاية البهنساوية ، وولاية البوصيرية ، وولاية الأشمونين والطحاوية ، وولاية الشبوطية ، وولاية الإنجيميّة ، وولاية الفيوم ، وولاية واج البهنسا ، وولاية الواج الداخلة ، وولاية الواج الخارجة . ومن الوجه البحرى ولاية القليوبية ، وولاية منية تردى وهى منية عمر ، وولاية المرتاحية ، وولاية الدقهلية ، وولاية مدينة تيس - وبها كانت دار الطراز - وولاية المنوفية ، وولاية جزيرة بنى نصر وربما أضيفت إلى المنوفية وعبر عنهما بالمتوفيتين ، وولاية جزيرة قوسينياً ، وولاية البحيرة ، وولاية نغر رشيد المحروس ، وولاية نغر ستراره ، وولاية نغر دميّاط ، وولاية القرمّا ، بساحل الشامى فيما دون العريش .

وأما البلاد الشامية فقد تقدم أنها كانت خرجت عنهم وتملكت الفرنج غالب سواحل الشام ، ولم يبق معهم إلا ساحل عسقلان ومقاربته وكان مقر الولاية بها في عسقلان .

وهذه نسخة سجل بولايتها ، وهي :

أما بعد ، فإن أولى ما وفر أمير المؤمنين حظّه من العناية والاشتغال ، واعتقد العكوف على مصالحه من أشرف القربات وأفضل الأعمال ، وأسند أمره إلى من يستظهر على الأسباب المعينة بحسن صبره ، وعدق النظر فيه بمن لا يشكّل عليه أمر لمضائه ونفاذه ومعرفته وخبره ، ما كان حرجاً للرباطين ومعقلاً ، وملتجداً للجاهدين وموثلاً ، وموجباً لكل مجتهد أن يكون لدرجات الثواب مرتقياً متوقلاً ، عملاً بالحوطة للإسلام الذى جعله الله فى كفائته وصمّانه ، وتمادياً على سياسته التى أقر بفضلها إقرار الضرورة كافة ملوك زمانه ، وحرصاً على الأفعال التى لم يزل مقصوداً فيها بالطاف الله تعالى وتوفيقه ، وتبتلاً للأموال التى أرشده الله سبحانه فى تدبيرها إلى منهج الصواب وطريقه ، ومضاعفة من الحسنات عند أوليائه أهل الحق وحرّبه وفريقه .

ولما كانت مدينة عسقلان - حماها الله تعالى - غرّة فى بهيم الضلال والكفر ، وحرماً يتنازّل عن البلاد التى كلّها الشرك بالناب والطفر ، وهو من أشرف الثغور والحصون ، وأهله أنصار الدين القيم المحفوظ المصون ، وكنت أيها الأمير من أعيان أمراء الدولة وكبرائهم ، ووجوه أفاضلهم ورؤسائهم ، ولك فى الطاعة استرسال الأمان فى مواطن المخاوف ، وفى الذب عنها وحمايتها مواقف كريمة لا توازى بالمواقف ، وقد وصلت فى ولائها القديم بالحديث والتالد بالطريف ، وحين وليت مهمات

أَسْتَجِدُّ فِيهَا بِعَزَمِكَ ، وَأَسْتَعِينُ عَلَيْهَا بِحَزَمِكَ ؛ تَهَيَّبِ الْأَعْدَاءَ فِيهَا ذِكْرَ اسْمِكَ ، وَكَانَ
 مِنْ آثَارِكَ فِيهَا مَا شَهِرَ غُفْلَهَا ^(١) بِوَسْمِكَ ؛ فَلَا يُبَارِكُ مُبَارٍ إِلَّا أُرِيَتْ عَلَيْهِ وَزِدَتْ ،
 وَلَا يُنَاوِيكَ مُنَاوٍ إِلَّا أَنْسَيْتَ ذِكْرَهُ أَوْ كِدْتَ ؛ فَكَمْ لَكَ مِنْ مَقَامٍ مَحْمُودٍ لَيْسَ شَأْؤُهُ
 وَوَصْفُهُ ، وَكَمْ لَكَ مِنْ ذِكْرِ جَمِيلٍ يُفَوِّحُ أَرْجُهُ وَيَتَضَوِّعُ عَرْفُهُ ، وَكَمْ لَكَ مِنْ جَمَالٍ
 فِي الْمَشَايِعِ لَا يَقْصُرُ أَمْدُهُ وَلَا يَكْبُوتُ طَرْفُهُ ؛ وَالسَّيِّدُ الْأَجَلُ الْأَفْضَلُ الَّذِي عَظَّمَ اللَّهُ
 قُدْرَهُ وَرَفَعَ مَجْدَهُ ، وَجَعَلَهُ فِي الْقَضَبِ لِتَوْحِيدِهِ دُونَ جَمِيعِ الْبَرِيَّةِ أُمَّةً وَحِدَةً ؛ وَأَلْهَمَهُ
 التَّجَرُّدَ لِنُصْرَةِ الْإِيمَانِ فَقَامَ بِحَقِّ اللَّهِ لَمَّا غَفَلَ الْمُلُوكُ وَقَعَدُوا ، وَأَمَدَّهُ بِمَوَادِّ السَّعْدِ
 فَاسْتَيْقِظَ بِمُفْرَدِهِ حِينَ نَامُوا عَنْ أَسْتَخْلَاصِهِ مِمَّا عَرَاهُ وَرَقَدُوا ؛ وَأَخْضَى أَنْتِصَابُهُ آيَةً
 أَظْهَرَهَا اللَّهُ لِلَّهِ ، وَغَدَا أَنْتِصَارُهُ مُعْجِزَةً حَسَمَ بِهَا فِي رَفْعِ مَنَارِ الدِّينِ كُلِّ عَلَيْهِ ؛ فَهِمَّتْهُ
 مَصْرُوفَةٌ عَلَى مَا يُعِزُّ الشَّرِيعَةَ الْحَنِيفِيَّةَ ، وَعَزَمَتْهُ مَوْقُوفَةٌ عَلَى الدَّفْعِ عَنْهَا بِأَطْرَافِ
 الدُّوَابِلِ وَحَدِّ الْمَشْرِفِيَّةِ ؛ فَلَبَّغَهُ اللَّهُ فِي كُلِّ مَا يَحَاوِلُهُ مَا يُضَاعَفُ نَفْرَهُ ، وَأَعَانَهُ عَلَى
 مَا يَقْدَمُهُ لِمَعَادِهِ وَيَجْعَلُهُ فِي الْآخِرَةِ دُنْهَرَهُ بِحَوْلِهِ وَمَنْتَهُ ، وَطَوَّلَهُ وَفَضَّلَهُ .

فَلَا يَزَالُ هَذَا السَّيِّدُ الْأَجَلُ يُثْنِي عَلَيْكَ ثَنَاءً يَخْلُدُ لَكَ وَلَعَقِبِكَ مَجْدًا بَاقِيًا ، وَيَحْبُوكُ
 مِنَ الْوَصْفِ وَالْإِطْرَاءِ بِمَا يَجْعَلُكَ فِي مَرَاتِبِ الْوَجَاهَةِ وَالنَّبَاهَةِ سَامِيًا رَاقِيًا ؛ وَيُرَشِّحُكَ
 مِنَ الْخِدْمِ لِأَجَلِهَا قَدْرًا ، وَيُطْلِعُ مِنْكَ فِي آفَاقِ سَمَائِهَا بَدْرًا ، وَيَجْعَلُ لَكَ بِمَا يُؤْهِلُكَ
 لَهُ صِيْتًا وَيُسَيِّرُكَ ذِكْرًا ؛ وَحِينَ جَدَّدَ شُكْرَكَ ، وَأَوْصَلَ عَلَى عَادَتِهِ مَا يُشِيدُ أَمْرَكَ ؛
 قَرَّرَ لَكَ وَلَايَةً «نَغْرَ عَسْقَلَانَ» - حِمَاةَ اللَّهِ تَعَالَى - الَّذِي هُوَ ثَغَرُ الدِّينِ ، وَكَانَهُ
 الْمَوْحِدِينَ ؛ وَوَزَّرَ الْأَتْقِيَاءَ الْمَجَاهِدِينَ ، وَشَجَّى فِي صُدُورِ الْكُفْرَةِ الْمَعَانِدِينَ ؛ فَامْضِ
 أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا رَأَاهُ مِنْ هَذَا التَّقْرِيرِ ، وَعِلِمَ أَنَّ الْبَرَكَתَ مَضْمُونَةً فِيمَا يَتَكَلَّفُهُ مِنَ التَّدْيِيرِ ؛

(١) الغُفْلُ بالضم مالا علامة فيه من القداح والطرق وغيرها وما لاسمه عليه من الدواب . انظر القاموس .

ونخرج أمره إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل بتقليدك ولاية هذا الثغر المحروس وعمّله ، وما هو منتظم معه من سهله وجبله .

فأعريف قدر هذه النعمة التي رفعتك على جميع الأمراء ، وأغناك فيها حسن رأى أمير المؤمنين ووزيره السيد الأجل الأفضّل عن الوسائط والسفراء ؛ وأحلتك أعلى مراتب الرفعة والسّموّ ، وأحطتْك مع بُعد الدّار بمزية القرب من قليهما والدُّتو .

فتقلّد ما قلّدك أمير المؤمنين من هذه الولاية الشاخصة المحلّ ، التي عدا محطورها على غيرك من المباح لك المحلّ ؛ وتلقّاها من الشكر بما يجعلها إليك آويه ، ولديك مقيمة ناويه ؛ وأعمل فيها بتقوى الله التي إذا أظلمت الخطوب طلعت في ليها جفرا ، قال الله عز من قائل : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ .

وأشمل أهل هذه الولاية بالمئالة بينهم فيما كان حقّا ، ولا تجعل بين الشريف والمشروف في الواجب قرقا ؛ وأمر بالمعروف وأبعث عليه ، وأنه عن المنكر وأمنع من الإجراء إليه ؛ وأقم الحدود مستمرا في إقامتها على العادة ، ومتوقيا من نقص ما يؤمر به منها أوزياده ؛ وأصرف النصب الأجل ، الأوفر الأكل ، إلى الاستيقاظ للعدو المخدول المجاور لك والبحث عن أخباره وعمل المكيد له ، ومواصلته بما يديم محافته وجبله ؛ وأغزه في عُقداره ، وأقصده بما يقضى بحفض مناره ؛ ولا تهمل تسيير السرايا إليه ، وإطلاع الطلائع بالمكاره عليه ؛ واعتمده بما يشترد عنه لذيذ منامه ، وأزرع في قلبه خوفا يهابك به في يقظته وفي أحلامه . وأفعل في أمر من يجرد إليك من عسكر البدل المنصور في تقرير نوب المناسر ، ولتخير لها كلّ متوّب على الإقدام مُنجاسر ، ما تقتضيه الحال مما أنت [أ] قوم لمعرفة ، وأهدئ الناس في سبيله ومحجته . ووفر حظّ القاضى المكين متولّى الحكم والمشاركة من

إِعْزَازِكَ وَإِكْرَامِكَ ، وَأَشْتَمَالِكَ وَأَهْتِمَامِكَ ، وَرِعَايَتِكَ وَمَعَاوَدَتِكَ ، وَالْعَمَلِ فِي ذَلِكَ بِمَا هُوَ مَعْرُوفٌ مِنْ سِيَاسَتِكَ ، وَمَشْهُورٌ مِنْ رِيَاسَتِكَ ؛ وَكَذَلِكَ الْمُسْتَخْدَمُ فِي الدَّعْوَةِ الْهَادِيَةِ ثَبَتَهَا اللَّهُ تَعَالَى ، فَاعْتَمَدَهُ بِمَا يُعْزِزُ أَمْرَهُ ، وَيُسْطُ أَمَلَهُ وَيُشْرَحُ صَدْرَهُ . وَضَافِرٌ عَلَى أَمْرِ الْمَالِ ، وَوُقُورٌ الْإِسْتِغْلَالِ ؛ وَالْعَمَلِ مِنْ ذَلِكَ بِمَا فِيهِ أَكْبَرُ حِظٌّ لِلدِّيَّانِ . وَأَجْرٌ عَلَى مَا هُوَ مَشْهُورٌ عَنْكَ فِي وِلَايَتِكَ مِنْ حُسْنِ السِّيَاسَةِ ، وَالْعَمَلِ بِقَضَايَا الْمَصْلَحَةِ ، وَالتَّبَثُّلِ لِمَا تَسْتَقِيمُ بِهِ أُمُورُ الْخِدْمَةِ ، وَحِفْظِ أَهْلِ السَّلَامَةِ وَأَرْبَابِ الدِّينِ ، وَإِعْمَالِ السَّيْفِ فِي مَسْتَوْجِبِهِ مِنَ الْمَفْسِدِينَ وَالْمُتَمَرِّدِينَ ، مِمَّا أَنْتَ أَنْفَذَ الْوَلَاةَ فِيهِ ، وَأَعْلَمَهُمْ بِمَا يُوْجِبُهُ الصَّوَابُ وَيَقْتَضِيهِ ؛ فَاعْلَمْ هَذَا وَاعْمَلْ بِهِ ، وَطَالِعْ مَجْلِسَ النَّظَرِ بِمَا تَجِبُ الْمَطَالَعَةُ بِمَثَلِهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .^(١)

المذهب الثاني^(٢)

(أَنْ يَفْتَحَ مَا يُكْتَبُ فِي الْوَلَايَةِ بِلَفْظِ « هَذَا مَاعَهْدُ عَبْدِ اللَّهِ وَوَلِيِّهِ فَلَانْ أَبُو فَلَانْ ، الْإِمَامُ الْفُلَانِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، لِفُلَانِ الْفُلَانِيِّ حِينَ وَلَّاهُ كَيْتَ وَكَيْتَ » مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِتَحْمِيدِ فِي أَوَّلِ مَا يُكْتَبُ وَلَا فِي أَثْنَائِهِ ؛ ثُمَّ يَقَالُ : « أَمْرُهُ بِكَذَا وَأَمْرُهُ بِكَذَا » عَلَى قَاعِدَةٍ مَا كَانَ يَكْتَبُ فِي الْعُهُودِ بِدِيَّانِ الْخِلَافَةِ بِبَغْدَادَ ، وَهُوَ قَلِيلُ الْإِسْتِعْمَالِ عِنْدَهُمْ لِلْغَايَةِ الْقُصُوبِ ، وَلَمْ أَطْفُرْ مِنْهُ بِغَيْرِ هَذَا الْعَهْدِ)

وهذه نسخة عهد على هذه الطريقة ، كُتِبَ بِهِ عَنْ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ الْفَاطِمِيِّ ، لِلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ التُّعْمَانِ ، بِقَضَاءِ الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ وَأَجْنَادِ الشَّامِ وَبِلَادِ الْمَغْرِبِ ، مُضَافًا إِلَى ذَلِكَ النَّظَرُ فِي دُورِ الضَرْبِ وَالْعِيَارِ وَأَمْرُ الْجَوَامِعِ وَالْمَسَاجِدِ ، وَهُوَ :

(١) فِي بَعْضِ النُّسخِ هَذَا زِيَادَةٌ نَحْوُ « وَأَمَّا الْوُظَائِفُ الدِّينِيَّةُ فَهِيَ » ثُمَّ تَرَكَ بَيَاضًا بِقَدْرِ نِصْفِ صَفْحَةٍ .

(٢) وَقَعَ فِي الْأَصُولِ الضَّرْبُ الثَّانِي وَهُوَ سَهْوٌ مِنَ النَّاسِخِ .

هذا ما عهد عبد الله ووليه المنصور أبو علي الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين، للقاضي حسين بن علي بن النعمان حين ولّاه الحكم بالمعزية القاهرة ومصر، والإسكندرية وأعمالها، والحرمين حرسهما الله تعالى، وأجناد الشام، وأعمال المغرب، وإعلاء المنابر، وأئمة المساجد الجامعة، والقومة عليها والمؤذنين بها، وسائر المتصرفين فيها وفي غيرها من المساجد، والنظر في مصالحها جميعا، ومشاركة دار الضرب وعيار الذهب والفضة، مع ما اعتمده أمير المؤمنين وانتجاه، وقصده وتوخاه: من اقتفائه لأثاره، واتباعه إلى إيناره، في كل علية للدولة ينشرها ويحييها، وذنية من أهل القبلة يذثرها ويعفيها، وما التوفيق إلا بالله ولي أمير المؤمنين عليه توكله في الخيرة له ولسائر المسلمين فيما قلده إياه، من أمورهم وولاه.

أمره أن يتقى الله عز وجل حق التقوى، في السر والظهر والنجوى، ويعتصم بالثبات واليقين والنهي، ويفصم من الشبهات والشكوك والهوى: فإن تقوى الله تبارك وتعالى مؤثّل لمن وآل إليها حصين، ومعتّل لمن اقتفاها أمين، ومعوّل لمن عوّل عليها مكين، ووصية الله التي أشاد بفضلها، وزاد في سناها بما عهد أنه من أهلها، فقال تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

وأمره أن لا يئزل ما ولّاه أمير المؤمنين [إياه] من الأحكام في الدماء والأشعار والأبشار، والفروج والأموال، [عن] منزله العظمى من حقوق الله المحترمة، وحرّماته المعظمة، وبيّناته المبيّنة في آياته المحكّمة، وأن يجعل كتاب الله عز وجل وسنة جدنا محمد خاتم الأنبياء، والمأثور عن أئمتنا على سيد الأوصياء، وآبائنا الأئمة الثّجباء - صلى الله على رسوله وعليهم - قبلة لوجهه إليها يتوجه، وعليها يكون المتجه. فيحكم

(١) في الأصل «إينا يتوجه وعليها لا يكون متجه» وهو غير مستقيم. تأمل.

بالحق ويقضى بالقسط، ولا يُحْكَمُ الهوى على العقل، ولا القسط على العدل، إيثارة لأمر الله عز وجل حيث يقول: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَنْ لَا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

وأمره أن يُقَابِلَ مَارِسَمَهُ أمير المؤمنين وحده لِقَتَاهُ بَرَجَوَان، من إغرازه والشدة على يده، وتنفيذ أحكامه وأقضيته، والقصر من عنان كل متطاول على الحكم، والقبض من شكائمه، بالحق المفترض لله جل وعز ولأمر المؤمنين عليه: من ترك الجاملة فيه، والمحابة لذى رحم وقربى، وولى للدولة أو مولى، فالحكم لله وخليفته فى أرضه، والمستكين له لحكم الله وحكم وليه يستكين، والمتطاول عليه، والمباين للإجابة إليه، حقيق بالإذالة والنهوض، فليتنق الله أن يستخفى من أحد فى حق له: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَخْفَىٰ مِنْ الْحَقِّ﴾.

وأمره أن يجعل جلوسه للحكم فى المواضع الضاحية للتحاكين ويرفع عنهم حجاب، ويفتح لهم أبوابه، ويحسن لهم انتصابه، ويقسم بينهم لحظه ولفظه قسمة لا يُحَابَى فيها قوياً لقوته، ولا يُرْدَى فيها ضعيفاً لضعفه، بل يميل مع الحق ويحنح إلى جهته، ولا يكون إلا مع الحق وفى كفته؛ ويذكر بموقف الخصوم ومحاباتهم بين يديه موقفه ومحاباته بين يدي الحكم العدل الديان: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾.

وأمره أن يُنْعِمَ النظر فى الشهود الذين إليهم يرجع وبهم يقطع فى منافع القضايا ومقاطع الأحكام، ويستشف أحوالهم استشفافاً شافياً، ويتعرف دخالهم

تعرفاً كافياً ؛ ويسأل عن مذاهبهم وتقليدٍهم في سرهم وجهريهم ، والخلّى والخنفى من أمورهم ؛ فمن وجده منهم في العدالة والأمانة ، والزّاهة والصّيانة ؛ وتحريّ الصّدق ، والشهادة بالحق ، على الشّيمة الحسنى ، والطريقة المثلى ، [أبقاه] وإلا كان بالإسقاط للشهادة أولى . وأن يطالع حضرة أمير المؤمنين بما يبدو له فيمن يعدّله أو يردّ شهادته ولا يقبله : ليكون في الأمرين على ما يحدّ له ويمثله ، ويأمن فيما هذه سبيله كلّ خلل يدخله ؛ إذ كانت الشهادة أسّ الأحكام ، وإليها يرجع الحكم ، والنظر فيمن يؤهل لها أحقّ شيء بالإحكام ؛ قال الله تقدّست أسماؤه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ .

وأمره أن يعمل بأمثلة أمير المؤمنين له فيمن يلي أموال الأيتام والوصايا وأولى الخلل في عقولهم ، والعجز عن القيام بأموالهم ؛ حتى يجوز أمرها على ما يرضى الله ووليّه : من حياتها وصياتها من الأمانة عليها ، وحفظهم لها ، ولفظهم لما يحرم ولا يخلّ أكله منها ؛ فيتبوا عند الله بعدا ومقتا ، كلّ الحرام والموكل له سُخْتاً ؛ قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ .

وأمره أن يُشارف أئمة المساجد والقومة عليها ، والخطباء بها والمؤذنين فيها ، وسائر المتصرّفين في مصالحها ؛ مشاركة لا يدخل معها خلل في شيء يلزم مثله : من تطهير ساحتها وأفنيتها ، والاستبدال بما تبدّل من حصّرها في أحيائها ، وعمارتها بالمصايح

في أوقاتها، والإنذار بالصلوات في ساعاتها، وإقامتها لأوقاتها، وتوفيتها حق رُكوعها وسُجودها، مع المحافظة على رُسومها وحدودها، من غير اختراع ولا اختلاع لشيء منها : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ .

وأمره أن يرعى دار الضرب وعيار الذهب والفضة بثقات يحتاطون عليهما من كل لبس، ولا يمتكنون المتصرفين فيهما من سبب يدخل على المعاملين بهما شيئاً من الوكس؛ إذ كان بالعين والورق تُتناول الرباع، والضباع والمتاع؛ ويبتاع الرقيق، وتتعد المناكح وتتناقض الحقوق؛ فدخول الغش والدخل فيما هذه سبيله جرحه للدين، وضرر على المسلمين؛ يتبرأ إلى الله منهما أمير المؤمنين .

وأمره أن يستعين على أعمال الأمصار التي لا يمكنه أن يشاهدها بأفضل وأعلم وأرشد وأعمد من يمكنه الاستعانة به على ما طوّقه أمير المؤمنين في استعماله . قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَيُّنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ .

هذا ماعهد أمير المؤمنين فأوف بعهده، تهتد بهديه، وترشد برشده؛ وهذا أول إمرة أمرها لك فاعمل بها، وحاسب نفسك قبل حسابها؛ ولا تدع من عاجل النظر لها أن تنظر لما بها : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَاعَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .

وكتب في يوم الأحد لسبع ليال بقين من صفر سنة ٣٨٩ .

المذهب الثالث

من مذاهب كتاب الدولة الفاطمية

(أن يُفتَح ما يُكتب في الولايات بخطبة مبدأة بالحمد لله كما يكتب في أعلى الولايات في زماننا، ويقال: «يحمده أمير المؤمنين على كذا وكذا، ويسأله أن يصلّي على محمد وآله، وعلى جدّه عليّ بن أبي طالب» ثم يقال: «وإن أمير المؤمنين لم يزل ينظرُ فيمن يصلح لهذه الولاية، وإنه لم يجد من هو كفؤ لها غير المولى، وإنه ولّاه تلك الوظيفة» ثم يؤصّي بما يليق به من الوصية؛ ثم يقال: «هذا عهد أمير المؤمنين إليك، وحجته عليك، فاعمل به» أو نحو ذلك مما يعطى هذا المعنى)

وقد أورد عليّ بن خلف من إنشائه في كتابه "موادّ البيان" المؤلف في ترتيب الكتابة للدولة الفاطمية عدّة تقاليد لأرباب السيوف .

منها — تقليد في رسم ما يكتب للوزير، [وهو] :

الحمد لله المنفرد بالملكوت والسلطان، المستغني عن الوزراء والأعوان؛ خالق الخلق بلا ظهير، ومصورهم في أحسن تصوير؛ الذي دبر فأتقن التدبير، وعلا عن المكلف والمشير؛ المانّ على عبادته بأن جعلهم بالتوازر إخوانا، وبالتظافر أعوانا؛ وأقر بعضهم إلى بعض في انتظام أمورهم، وصالح جمهورهم .

يحمده أمير المؤمنين أن استخلفه في الأرض، وناط به أسباب البرم والنقض؛ وأسترعاه على بريته، وأستخلصه لخلافته؛ وقبضه لإعزاز الإسلام، وحياطة الأنام، وإقامة الحدود وتنفيذ الأحكام؛ ويسأله الصلاة على سيدنا محمد خاتم الأنبياء، وخيرة الأصفياء؛ المؤيد بأفضل الظهراء، وأكل الوزراء؛ عليّ بن أبي طالب المتكفل في حياته، بنصره وإظهار شريعته، والقائم بعد وفاته، مقامه في أمته؛

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا، وَعَلَى الْأُئِمَّةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا، مَفَاتِيحَ الْحَقَائِقِ، وَمَصَابِيحَ الْخَلَائِقِ؛
وَسَلَّمَ، وَشَرَّفَ وَكَرَّمَ.

وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَظَرَ لَخَلْقِهِ بَعِينَ رَحْمَتِهِ، وَخَصَّ كُلًّا مِنْهُمْ بِضَرْبٍ مِنْ ضُرُوبِ
نِعْمَتِهِ، وَأَقْدَرَهُمْ بِالْتَعَاظِدِ، عَلَى أَنْتِظَامِ أُمُورِهِمُ الْوُجُودِيَّةِ، وَأَوْجَدَهُمُ السَّبِيلَ بِالْتَرَاغُدِ،
إِلَى اسْتِقَامَةِ شُؤْنِهِمُ الدُّنْيَوِيَّةِ : لَتُنَبِّحَنَّ عِيُونَ الْمَعَاوِنِ بِتَوَازُرِهِمْ، وَتَدْرُ أَخْلَافُ
الْمَرَافِقِ بِتَظَاوُرِهِمْ .

وَأَوَّلَى النَّاسِ بِاتِّخَاذِ الْوُزَرَاءِ، وَاسْتِخْلَاصِ الظُّهَرَاءِ، مَنْ جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى
إِلَى حَقِّهِ دَاعِيَا، وَلِخَلْقِهِ رَاعِيَا، وَلِدَارِ الْإِسْلَامِ حَامِيَا، وَعَنْ حِمَاةِ مُرَامِيَا، وَاسْتَخْلَفَهُ
عَلَى الدُّنْيَا وَكَلَّفَهُ سِيَاسَةَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُعَاهِدِينَ، وَلِذَلِكَ سَأَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ
الْقَوِيُّ الْأَمِينُ، فِي اسْتِخْلَاصِ أَخِيهِ هَارُونَ لِوِزَارَتِهِ، وَشَدَّ أَزْرَهُ بِمُوَازَرَتِهِ، فَقَالَ :
﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِ هَارُونَ أَنِّي أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ﴾ . وَاسْتَوْزَرَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الْمُؤَيَّدُ الْمَعْصُومُ الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ أَبْنُ عَمِّهِ عَلِيًّا سَيِّدَ الْأَوْصِيَاءِ،
بِدَلِيلِ قَوْلِهِ لَهُ : « أَنْتَ مَنِّي كَهَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي » لِأَنَّ الْإِمَامَ
لَوْ تَوَلَّى كُلَّ مَا قُرْبَ وَبَعْدَ بِنَفْسِهِ، وَعَقُولَ فِي حَيْطَتِهِ عَلَى حَوَاسِهِ؛ لَنَصَّ ذَلِكَ بِتَطَرُّقِ
الْخَلَلِ، وَدُخُولِ الْوَهْنِ وَالشَّلَلِ؛ وَإِنَّمَا تَسْتَعِينُ الْأُئِمَّةُ عَلَى مَا كَفَّلَهَا اللَّهُ بِكُفَاةِ
الْأَعْوَانِ، وَأَهْلِ النُّصْرَةِ فِي الْأَدْيَانِ؛ وَذَوِي الْإِسْتِقْلَالِ وَالتَّشْمِيرِ، وَالْمَعْرِفَةِ بِوُجُوهِ
السِّيَاسَةِ وَالتَّنْذِيرِ، وَالْخِبْرَةِ بِتَجَارِي الْأَعْمَالِ، وَأَبْوَابِ الْأَمْوَالِ، وَمَصَالِحِ الرِّجَالِ .

وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَزَلْ يَتَأَدُّ لِوِزَارَتِهِ حَقِيقًا بِهَا مُسْتَحَقًّا نَعْتَهَا؛ جَامِعًا بَيْنَ
الْكِفَايَةِ وَالْغِنَاءِ، وَالْمَنَاصِحَةِ وَالْوَلَاءِ، وَالْأَبُوَّةِ وَالْإِخْتِصَاصِ، وَالطَّاعَةِ وَالْإِخْلَاصِ؛
وَالنُّصْرَةِ وَالْعَزْمِ، وَأَصَالَةِ الرَّأْيِ وَالْحَزْمِ، وَنَفَاسَةِ السِّيَاسَةِ وَالتَّنْذِيرِ، وَالنَّظَرِ بِالْمَصْلَحَةِ
فِي الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ؛ وَالْإِحْتِيَالِ وَالتَّأْدِيبِ، وَمَلَابَسَةِ الْأَيَّامِ وَالتَّجْرِيبِ؛ وَالْإِتِمَاءِ

إلى كريم المناجب ، بضمير المناصب ؛ ويكرّر في الاختيار تقليده^(١) ، ويحيل في الانتقاء تأمله وتدبره . وكلّما عرّضت له مخيلة قمن توافق إيثاره ، أخلف نوعها ، وكلما لاحث له بارقة تطابق اختياره ، خبا ضوعها ؛ حتى آتته رويته إليك ، وأوقفه آرتياده عليك ؛ فراك لها من بينهم أهلا ، وبتقمص سرّ بالها أولى ؛ وبالأستبداد بإمرتها أحق وأحرى : لا شمالك على أعيان الخصائص التي كان زياد[ها] جامعا ، وحلوك في أعيان المناقب التي لم تزل ترومها متحليا بفرائدها ، وما شيرت به من إفاضة العدل والإنساق ، وإغاضة الجور والإشطاط ؛ وإنالة الحق والإنصاف ، وإزالة الظلم والإجحاف ؛ ومراعاة النصح بانسانك شاهدا ، ومناجاته بحذارك جاهدا ؛ ولنهوضك بالخطب إذا ألمّ وأشكل ، والحادث إذا أهمّ وأعضل ؛ وتقرّدك بالمساعي الصالحة ، والآثار الواضحة والطرائق الحميدة ، والمذاهب السديده ؛ والتحلّي بالنزاهة والظلف ، والعطل من الطبع والتطف ؛ وفضل السيرة ، وصدق السريه ؛ ومحبة الخاصة والعامة ، والمعرفة بقدر الأمانة ؛ والأضطلاع بالصنيعه ، والحفظ للوديعه .

فراى أمير المؤمنين برأيه فيما يريه ، ويقضى له بالصلاح فيما يعزم عليه ويمضيه ويسدّد مراميه ومساعيه ؛ ويتعهده في جميع مقاصده بلطف تحلوّ بمساره ، وتحسّن عليه وعلى الكافة آثاره ؛ أن قد ولّك النظر في مملكته ، وأعمال دولته : برّها وبحريها ، وسهّلها ووعرها ، وبدوها وحضرها ؛ وردّ إليك سياسة رجالها وأجنادها ، وكتابها وعرفائها ، ورعيّتها ودواوينها ، وارتفاعها ووجوه جباياتها وأموالها ؛ وعدّق بك البسط والقبض ، والبرم والنقض ؛ والخط والرفع ، والعطاء والمنع ، والإنعام والودع ، والتصريف والصرف ؛ ثقة بأن الصواب منوط بما تُسدى وتلجّم ، وتفيض وتنظم ، وتتقّض وتبرّم ؛ وتصدر وتورد ، وتقرّر وتأتى وتدرّ .

فَلْتَهِنَا هَذِهِ النِّعْمَةُ مِمَّا بَلَّسَهَا ، سَارِيًّا فِي قَبْسِهَا ، وَتَلَقَّهَا مِنَ الشُّكْرِ بِمَا يَسْتَرِيهَا
وَيُخَلِّدُهَا ، وَيُقَرِّزُهَا عَلَيْكَ وَيُؤَبِّدُهَا ، وَاعْرِفْ مَا أَهْلَكَ لَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذَا الْمَقَامِ
الْأَثِيرِ ، وَالْحَلِّ الْخَطِيرِ ؛ فَإِنَّمَا ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .
وَأَنْتَ وَإِنْ كُنْتَ مَكْتَفِيًّا بِفَضْلِ حَصَافَتِكَ ، وَتَقَابَةِ فِطْنَتِكَ ، وَحُسْنِ دِيَانَتِكَ ،
وَوَثَاقَةِ تَجَرُّبَتِكَ - عَنِ التَّبَصُّيرِ ، مُسْتَغْنِيًّا عَنِ التَّنْبِيهِ وَالتَّذْكِيرِ ؛ فَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَزِيدَكَ مِنْ مَرَّاشِدِهِ ، مَا يَقْفُكَ عَلَى سَنَنِ الصَّوَابِ وَمَقَاصِدِهِ ؛ وَهُوَ
يَأْمُرُكَ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي سِرِّكَ وَجَهْرِكَ ، وَاسْتِشْعَارِ خَشْيَتِهِ وَمِرَاقَبَتِهِ ؛ وَاللَّهُ قَدْ
جَعَلَ لِمَنْ آتَقَاهُ مَخْرَجًا مِنْ ضِيقِ أَمْرِهِ وَحَرَجِهِ ، وَنَصَبَ لَهُ أَعْلَامًا عَلَى مَنَاجِحِ قَرَجِهِ .
وَأَنْ تَسْتَعْمَلَ الْإِنْصَافَ وَالْعَدْلَ ، وَتُسَيِّغَ الْإِحْسَانَ وَالْفَضْلَ ؛ وَتُلِينَ كَنَفَكَ ، وَتُظْهِرَ
لَطْفَكَ ؛ وَتُحْسِنَ سَيْرَكَ ، وَتُقَبِّضَ بِرَّكَ ؛ وَتَصْفَحَ وَتَحْلُمَ ، وَتَعْفُوَ وَتُكْرِمَ ؛ وَتُبَصِّرَ
مَنْ تَرْجُو صَلَاحَهُ وَتَقَهِّمَهُ ، وَتُنْصِفَ مَنْ أَفْرَطَ جِمَاحَهُ وَتُقَوِّمَهُ ؛ وَتَأْخُذَ بِوَثَاقِ
الْحَزْمِ ، وَجَوَامِعِ الْعَزْمِ ؛ وَالْغَلْظَةِ وَالشَّدَةِ عَلَى مَنْ طَغَى وَلَجٌّ فِي غِيٍّ وَعَتَا ؛ وَبَارَزَ اللَّهَ
وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْخِلَافِ وَالشَّقَاقِ ، وَالْإِنْخِرَافِ وَالتَّفَاقِ ؛ مُسْتَعْمَلًا فَاضِلَ التَّدْيِيرِ عِنْدَ
الْمُؤَادَعَةِ ، وَفَاصِلَ الْمُكَافَةِ عِنْدَ الْمُقَارَعَةِ ؛ مُصْلِحًا لِلْفَاسِدِ ، مُشْتَتًا لِلشَّارِدِ ؛ مَكْثَرًا
لِأَوْلِيَاءِ الدَّوْلَةِ وَخُلَصَائِهَا ، وَحَاصِدًا لِبَغَاتِهَا وَأَعْدَائِهَا ؛ وَاعْظَمًا مَدَّكَرًا لِلْغَافِلِ ، مُؤَمِّنًا
لِلظُلُومِ الْخَائِفِ ، مُخَفِّيًا لِلظَّالِمِ الْخَائِفِ ؛ مُسْتَصْلِحًا لِلسَّيِّئِينَ ، مَدَّكَرًا بِإِحْسَانِ الْحَسَنِينَ ؛
مُتَنَجِّزًا لَهُمُ الْجَزَاءَ عَلَى بِلَاقَتِهِمْ فِي الطَّاعَةِ وَآثَارِهِمْ فِي الْخِدْمَةِ . وَأَنْ تَنْظُرَ فِي رِجَالِ الدَّوْلَةِ عَلَى
اِخْتِلَافِهِمْ نَظْرًا يَسْلُكُ بِهِمْ سَبِيلَ السَّدَادِ ، وَيُجْرِي أُمُورَهُمْ عَلَى أَفْضَلِ الْعُرْفِ الْمَعْتَادِ .
فَأَمَّا الْأُمَانُ وَالْأَمْرَاءُ ، وَالْأَعْيَانُ وَالرُّؤَسَاءُ ، فَتَحْفَظْ عَلَى مَنْ أَحْمَدْتَ طَرِيقَتَهُ ،
وَعَرِفَ إِخْلَاصَهُ وَطَاعَتَهُ ، شِعَارَ رِيَاسَتِهِ ، وَتَزِيدْ فِي تَكْرِمَتِهِ ، وَتَنْتَهِي بِهِ إِلَى مَا تَتَرَاءَى
إِلَيْهِ مَوَاضِي هِمَّتِهِ .

وأما طوائف الأجناد فُتِقِرُّهم على مرَّاتهم في ديوان الجيش المنصور، وتُخصَّمهم من عِنايتك بالنصيب الموفور، وتستخدمهم في سدِّ الثُّغور وتسييد الأمور؛ وتُراعى وُصولُ أطعِمهم إليهم، أوقات الاستحقاق إليهم؛ وانفاقهم نصاب الوجوب منهم .

وأما الثَّكَّاب المستخدمون منهم في استخراج الأموال، وعمارة الأعمال، فتُخصَّن كُفَّاتهم بما تقتضيه كفايتهم، وأمناءهم بما تُوجِبُه أماناتهم؛ وتُستبدَّل بالعاجز الخبيث الطَّعمه، والطَّبع المستشعرِ شعار المذمَّة : ليحفظ التَّره المأمونُ بتراهته وأمانته، ويُقلع الدَّنَس الخثون عن دَنَسه وخيائنه؛ وتأمَّر من تختاره لخدمة أمير المؤمنين منهم أن يسيروا بالسَّير الفاضله، ويعملوا على الرُّسوم العادله؛ فلا يضيعوا حقَّ لبيت مال المسامين، ولا يُخيفوا أحداً من المعاملين .

وأما الرعيَّة، فيأمرُك أن تحكُم بينها بالسَّويِّه، وتعتمدَها بعَدْل القضيِّه؛ وترفع عنها نير الجور، وتحميها من ولاة الظلم؛ وتسوسها بالفضل والرافة متى استقامت على الطاعة، وتأدب في التَّباعه؛ وتقومها متى أجزت إلى المنازح والأفئتان، وأصرت على مَغَضَبه السلطان .

وأما الأموال وهي العُدَّة التي تُرهف عزائم الأولياء، وتغض من نواظر الأعداء؛ فتستخرجها من محققها، وتضعها في مستحقها؛ وتجتهد في وفورها، وتتوفر على ما عاد بدورها؛ وأن تطالع أمير المؤمنين بذره وجله، وعقد أمرك وحله؛ وتنبى إليه كل ما تعزَّم على إينائه، وترجع فيه إلى رائه : ليكرِّمك من موادِّ تبصيره وتعريفه، ويزيدك من هدايته وتوقيفه؛ بما يُفضى بك إلى جادة الخير وسيله، ويوضح لك علم النَّجاح ودليله .

هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك : وقد أودعه من تلويح الإشارة ، ما يكفي به عن تصريح العبارة ، ثقةً بأنك الأريبُ الأملئ ، والفطنُ اللودعي ، الذي تنتهي به متونُ التذكير إلى أطرافه وحواشيه ، وتفضي به هوادي القول إلى أعجازه وتواليه .

فتقلّد ما قلّدتك أمير المؤمنين ، وكُنْ عند حسن ظنّه في فضلك ، وصدّق مخيلته في كمالك ، والله تعالى يعترف أمير المؤمنين وجه الخيرة في تصيير أمره إليك ، وتعويله في مهماته عليك ، ويوفّقك لشكر الموهبة في استخلاصك ، والمنحة في اجتياك ، ويُنمّضك بما حمّلك من أعباء مظاهرتيه ، وجشّمك من أثقال دولته ، ويسدّدك إلى ما يدير عليك أخلاف [نعمته] ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .



ومنها - ما أورده في رسم تقليد زمّ الأقارب : وهو التقدمة على أقارب الخليفة ، وهذه نسخته :

الحمد لله الذي ابتداءً بنعمته ابتداءً وأقتضاباً ، وأعادها جزاءً وثواباً ، وميّز من اختصّه بهداية خلقه ، واستخلصه لإظهار حقّه ، بأضفاها عطافاً ، وأضفاها نطافاً ، وأحسنها شعاراً ، وأجملها آثاراً ، واستخرجهم من أطيب البرية أعراقاً ، وأطهرها شيماً وأخلاقاً ، وأقدمها سُودداً ومجداً ، وأكرمها أباً وجداً ، وتوحّد بأفضل ذلك وأعلاه ، وأكمله وأسناءه ، مجدداً صفوته من خلصائه ، وخيرته من أنبيائه ، فأظهره من المنجّب الكريم ، والمنجم الصميم ، والدّوحة الطاهر عنصراً ، الشريف جوهرها ، الحلو ثمرها ، ورشّح من آختره من عثرته لسياسة بريته ، والدعاء إلى توحيده وطاعته .

يحمده أمير المؤمنين أن شرفه بميراث النبوة ، وفضله بأكرم الولادة والأبوة ؛ وأحلّه في الدروة العالية من الخلافه ، وناط به أمور الكافه ؛ ويسأله الصلاة على جدّه محمد وعلى أبيه ، صلى الله عليهما .

وإن أمير المؤمنين يرى أنّ من أشرف نعم الله عليه موقعاً ، وألطف مواهبه لديه موضعاً ، توفيقه للحافظة على من يؤاخذ به في كريم نَسبه ، ويمارجه في صميم حسبه ؛ ويُدانيه في طاهر مولده ، ويُقاربه في طيب محتده ؛ وتنزيل كلّ ذى تميّز منهم في دين وعلم ، ودراية وفهم ، وإحلاله بالمنزلة التي يستوجبها بفاضل نَسبه ، وفضل مكتسبه ؛ ويعتُّ أنظاره على التحلّي بخصاله ، والترّين بخلاله : ليحصل لهم من فضل الخلائق والآداب ، ما يضيّاهي الحاصل لهم من عَرَاقَة المناجب والأنساب ؛ ولذلك لا يزالُ يُنوطُ أمورهم ، ويكلُّ تدبيرهم ، إلى أعيان دولته ، وأمانيل خاصته ؛ الذين يعتادون حضرته ويراوحونها ، ويطالعونه بمحقّات أحوالهم ويُنهنّونها ، ويستخرجون أمره في مصالحهم بما يُدّلّل لهم قُطوف إحسانه وطوله ، ويُعذّب لهم مَشارِعِ برّه وفضله ؛ وما توفيقُ أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكّل وإليه يُنيب .

فإن كان العهد إلى خادم ، قال :

ولما كنت بحضرة أمير المؤمنين معدوداً في أولى النباهه ، المترشّحين للإستقلال بأعباء دولته وذوى الوجاهه ، المُستخلصين لأستكفاء جلائل مملكته : لما أجمع فيك من إباء النفس وعزّتها ، ووثاقه الديانة وخصّاقها ؛ وسداد السيرة وأستقامتها ، ونقاء السريرة وطهارتها ؛ وتقيّلك منهج أمير المؤمنين ومذهبه ، وتمثلك بهديه وأدبه ؛ ونشئك في قُصُور خلافته ، وآرتضاعك دَر طاعته - رأى - والله تعالى يعزّم له على الخير في آرائه ، ويوفّقه لصالح القول والعمل في أنحائه - أن قلّدك زَم بنى عمّه

الأشراف الإسماعيليين ثقةً بسياستك وحميد طريقتك ، وإنافةً لمزلتك وإعرايا
عن أمير مكاتك .

وإن كان العهد إلى شريف قيل بدلاً من هذا الفصل :

ولما كنت بحضرة أمير المؤمنين ممن زين شريف محتده ، بمنيف سُودده ،
وطاهر مولده ، بظاهر محتده ؛ وكریم تالده بنفيس طارفه ، وجليل سالفه ، بنيل
آفیه ، مقتفياً سنن أوليتك ، مفرعاً على أصول دوحتك ؛ ضارباً بالسهم المعلى في الدين
والعلم ، حائزاً خصل السبق في الرجاحة والفهم - رأى أمير المؤمنين أن قللك نقابة
بنى عمه الأشراف الفلانين : ثقةً بأنك تعرف ما يجمعهم وإياك من الأرحام الواشجة ،
والأواصر المتمازجة ؛ وتحسن السيرة بهم ، والتعهد لهم والتوفر عليهم .

ثم يوصل الكلام بأى الخطاين قدم فيقال :

فتقلد ما قللك أمير المؤمنين مستشعراً تقوى الله وطاعته ، معتقداً خيفته
ومراقبته ؛ سائراً فيمن ولأك أمير المؤمنين بسيرته ، مستنّاً بسنته ، متأدباً بأدابه ،
مقتفياً مناهج صوابه ؛ وإكرام هذه الأسرة [التى] خصها الله تعالى بكرامته ، وفرّض
مودتها على أهل طاعته ؛ ونزّها عن الأدناس ، وطهرّها من الأرجاس ؛ فقال جل
قائلاً : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ .

وأعريف لهم حق مراتبهم الدانية من أمير المؤمنين ، ونزّهم بحيث نزلهم الله من
الدنيا والدين ؛ وأعتمد تعظيم مشايخهم وتوقيرهم ، وسياسة شبانهم وتديبرهم ، وتقويم
أخلاقهم وتنقيفهم ؛ وحُذّم بلزوم الطرائق الحميدة ، والمذاهب السديده ؛ التى تليق
بأصولهم الطاهرة ، وفروعهم المثمرة ؛ ومناحتهم الصميمة ، ومناجيتهم الكريمة ؛
وتفقد منشاهم ومرباهم ، وحُطّاهم وقرباهم ؛ فبن تآكرت أعرافه ، وأخلاقه ،

وأنسابه، وآدابه، بالغت في تنبيهه وتعريفه، فإن نجع ذلك فيه وإلا بسطت يدك إلى تهذيبه، وإصلاحه وتأديبه : ليستيقظ من منامة غرته ، ويرجع إلى اللائق بشرف ولادته ؛ وأنظر فيما أوقف عليهم من الأملاك والمستغلات، والضّيايع والإقطاعات، والرُّسوم والصلّات ؛ وأنذب لتولّى ذلك مَنْ تسكّن إلى ثقته وأمانته من الكُتاب ؛ وراع سيرته في عمارته ، وطريقته في تثير ماله وزيادته ؛ فإن ألفتته كافياً أميناً أقررتّه ، وإن وجدته عاجزاً خثونا صرفته ؛ وأسبدلت به من يُحسن خبرك ، ويُطيب أثرك ؛ وأجر الأمر في قسمته بين ذكورهم وإناثهم على الرسوم التي يشهد بها ديوانهم ؛ وأكتب الرّقاع عنهم إلى الحضرة في اقتضاء رؤسومهم ، وما يعرض من مهمّات أمورهم ، وتنجز كلّ ما يتعلق بهم وتوبّ عنهم فيه : لتستقيم شئونهم بسياستك، وتنظّم أحوالهم بحسن سيرتك .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك فاعمل به وأنته إلى متضمنه، إن شاء الله تعالى :



ومنها — مأورده في رسم تقليد بنقابة العلويين، وهو :

الحمد لله الذي أنجب من أسرار عباده قادة جعلهم لمصالحهم نظاما ، وأنجب من أختيار خليقته سادة صيرهم لأموهم قواما ؛ وعدق بهم هداية من ضلّ ، وتقويم من دلّ ؛ وتعليم من جهل ، وتذكير من غفل ؛ ونصّبهم أعلاما على طرق الرّشاد ، وأدلة على سبل السّداد .

يمجده أمير المؤمنين أن آخضه بأثرة الخلافة والإمامه ، وميزه بمزية الولاية على الأمة والزّعامة ؛ وأنهضه بما كلفه من سياسة بريته وتنزيلهم منازلهم من اختصاصه وإيثاره، وإحلالهم في محالهم من استخلاصه وأختياره ؛ ويسأله الصلاة على أشرف

الأئمة نجاراً وأطيبهم عُصراً، وأعظمهم مَفْخَراً؛ سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى أخيه وأبن عمه، وباب حِكْمته وعِلْمه؛ أمير المؤمنين على بن أبي طالب الراسخ في نَسَبه، المداني [له] في حَسَبه؛ سيفه الباتر، ومُعْجِزه الباهر، ومُكَانِفُه المُظَاهِر؛ وعلى الأئمة من ذريتهما المهديين، وسلم تسليماً .

وإنَّ أمير المؤمنين بما خَصَّه الله تعالى من شَرَفِ الْمَنَجَمِ والمَوْلِدِ، وكرمِ المَحْتَدِ؛ وخوله من مَنَاصِبِ الخلفاء والأئمة، وناط به من إمامة الأئمة - يرى أنَّ من نَعِمَ الله التي يجبُ التحدُّثُ بِشُكْرها، وتَحَقُّقُ الإفاضة في نَشْرِها، توفيقه للنظر في أحوال ذَوِي مُنْتَهى، وأولى مُناسبتَه؛ المُواشِحين له في أرومته، المعترين إلى كرم ولادته؛ وتوخيهم بما يُرِفُّلهم في مَلابِسِ الجمال، ويوقِّلهم في هَضَباتِ الجلال؛ ويرتَبُّهم في الرُّتب التي يستوجبونها [ويراها] أولى بمُغَارِسهم وأنسابهم، وماساً بأنفسهم وآدابهم؛ ولذلك يَصْرِفُ أَهْمَامَه إلى ما يجمع لهم بين شَرَفِ الأعراق، وكرمِ الأخلاق؛ وطهارة العناصر والأواصر، وحيازة المناقب والمآثر .

ولما كنتَ بحضرة أمير المؤمنين من جِلَّتْهم العُلَماء، وطَهَرَتْهم الأُزكياء؛ وأبرارهم الصُّلَحاء، وخيارهم الفُضلاء، الذين تضارعتْ أخلاقُهم وأعرافُهم، وتقارعتْ أنسابُهم وآدابُهم؛ وتشاكهتْ مواردُهم ومصادِرُهم، وتشابهتْ أوائلُهم وأواخرُهم، وأنفقتْ جِوْبُهم ودخائلُهم، وتوصَّحتْ عن الدين والخير مخاليلُهم . هذا مع ما يراه أمير المؤمنين من كريم مَسَاعِيكَ في خدمته، وإصابة مَرَامِيكَ في طاعته؛ واعتصامِكَ بِجَبَلِ متابَعته؛ ونُهوَضِكَ بِحَقْوِقِ ما أسبغَه عليك من نِعْمته - رأى أمير المؤمنين - والله تعالى يَقْضِي له في آرائه بِحُسْنِ الاختيار، ويُيَمِّدُه بالعون والتأييد في مجاري الأقدار - أنَّ قَلْدَكَ النِّقَابَةَ على الأشراف الطالبيين أجمعين، المقيمين

با لضره وسائر أعمال المملكة شرقاً وغرباً ، وبعداً وقرباً ، ثقةً بأنك تصدق بحيلته
فيك واعتقاده ، وتستدعي بكفاية ما استكفأك شكره وإحماده ، وتستدر بالاستقلال
والغناء أخلاف إحسانه وفضله ، وتمتري بالأضطلاع بمضيلع الأثقال فائض أمانته
وطوله .

فتقلد ما قلدك أمير المؤمنين عاملاً بتقوى الله وطاعته ، مستشعراً لحيفته
ومراقبته ، وأحسن رعاية من عدى بك رعايته ، وسياسة من وكل إليك سياسته .

وأعلم أن أمير المؤمنين قد ميزك على كافة أهل نسبك ، وجميع من يؤاخذك
في حسبك ، وجعلك عليهم رئيساً ولهم سائساً ، فاعرف لهم حق القرابة والمشاكلة ،
وتشاجر الأنساب والمشاركة ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا
إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ . وعمهم جميعاً بالتوقير والإكرام ، والتفقد والإهتمام ، واتخذ
شيخهم أبا ، وكهلهم أخاً ، وطفلهم ولداً ، وأفرض لهم من الحنان ، والإشفاق
والفضل والإحسان ، ما تقتضيه الرحم الدائيه ، والأواصر المتقاربة ، وكُنْ مع ذلك
متفقدا لأحوالهم ، مطالعاً لسيرهم وأفعالهم ، فمن ألقينه سالكاً لا قصد الطرائق ، متخلقا
بأجل الخلائق ، حارساً لشرفه ، متشبهاً بسلفه ، فزده في الأثرة زيادةً تُرغب أمثاله
في آفتاء مذهبه ، وتبعته على التأدب بأدبه ، ومن وجدته مستحسناً مالا يليق بصريح
عرفه ، راجعاً ما ليس من طرقة ، فأيقظه بنافع الوعظ ، وذكره بنافع اللفظ ، فإن
استقام على الطريقة المثلى ، ورجع إلى الأجدد والأولى ، عرفت ذلك من فعله ،
وفرضت له ما تقرضه لصلحاء أهله : فإن الله تعالى قد فتح باب التوبة ، ووعد بإقالة
أهل الإنابة ، ومن انحرف عن التذكير ، وأنصرف عن التبصير ، وأصر وتمادى ،
وآرتكب ما يوجب حداً ، آمنتلت أمر الله تعالى فيه ، وأقت الحذر عليه ، غير مُضغ

إلى شَفَاعِهِ ، ولا مُوجب لحَقِّ ذَرِيَعِهِ : فإن أمير المؤمنين يَصِلُ من ذَوَى أَنْسابِهِ ، من وَكَّدَهَا بِأَسْبَابِهِ ؛ وَيَقْطَعُ من أوجب الحَقِّ قَطِيعَتَهُ ، ولا يراعى رَحِمَهُ وَقَرَابَتَهُ .
وَوَكَّلَ بِهِمْ من يَرَوِي إِلَيْكَ أَخْبَارَهُمْ ، وَيَكْشِفُ لَكَ آثَارَهُمْ : لِيَعْلَمُوا أَنَّهُمْ بِبَالٍ من مَطَالَعَتِكَ ، وَبَعِيْنٍ من أَهْتِمَامِكَ وَمِشَارِفَتِكَ ؛ فَيَكْبَحُ ذَلِكَ جَامِعَهُمْ عَنِ الْعَثَارِ وَالسَّقَطِ ، وَيَمْنَعُ طَائِعَهُمْ مِنَ الزَّلَلِ وَالغَلَطِ . وَتَوَخَّاهُمْ فِي خُطَابِكَ بِالْإِكْرَامِ ، وَمَيَّزَهُمْ عَنِ مُحَاوَرَةِ الْعَوَامِ ؛ وَلَا تَقَابِلْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِيَدَاءٍ وَلَا سَبٍّ ، وَلَا قَذْحٍ فِي أُمٍّ وَلَا أَبٍّ ؛ فَإِنَّهُمْ فِرْعَوْنُ دُوحَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعِثْرَتُهُ الَّذِينَ طَهَّرَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْأَرْجَاسِ ، وَفَرَضَ قِرَاهِمَ عَلَى النَّاسِ . وَوَقَّرَ أَهْتِمَامَكَ عَلَى صِيَانَةِ النَّسَبِ مِنَ الْوُكُوسِ ، وَحِيَاظَتِهِ مِنَ اللَّبْسِ ؛ فَإِنَّهُ نَسَبُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي يَتَّصِلُ يَوْمَ انْقِطَاعِ الْأَنْسَابِ ، وَسَبَبُهُ الَّذِي يَتَشَجُّعُ يَوْمَ انْفِرَاطِ الْأَسْبَابِ ؛ وَأَثْبِتْ أَسْمَاءَ كَافَّةٍ مِنْ يَعْتَرِي إِلَى هَذَا الْبَيْتِ مَنْسُوبَةً إِلَى أَصُولِهَا : لِتَأْمَنَ مِنْ دَخِيلٍ مُلْصَقٍ يَتَرَوَّرُ عَلَيْهَا ، وَمُخْتَلِقٍ مُلْحَقٍ يَنْضُمُ إِلَيْهَا . وَإِنْ عَرَفَ مَدَّجٌ نَسَبًا لَاحِجَةً لَهُ فِيهِ ، وَلَا بَيِّنَةً عِنْدَهُ عَلَيْهِ ؛ فَغَلِّظْ لَهُ الْعِقَابَ ، وَأَشْهَرِهِ شُهْرَةً تَحْجُزُهُ عَنِ مَعَاوِدَةِ الْكَذَّابِ ؛ وَأَحْتِطْ فِي أَمْرِ الْمَنَاحِ وَصُنْهَا عَنِ الْعَوَامِ ، وَوَقَّرْ كِرَائِمَ أَهْلِ الْبَيْتِ عَنِ مُلَابَسَةِ اللَّثَامِ ؛ وَإِنْ آدَعَى أَحَدٌ مِنَ الرِّعْيَةِ حَقًّا عَلَى شَرِيفٍ فَاحْمِلْهَا عَلَى السُّوِيَّةِ وَعِدْهُ بِإِنْصَافٍ خَصِمِهِ ، وَأَمْتَعَهُ مِنْ ظُلْمِهِ ؛ وَإِنْ ثَبَّتَ أَيْضًا فِي مَجْلَسِ الْحُكْمِ حَقٌّ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْأَشْرَافِ فَاتْرَعْهُ مِنْهُ [وَوَلَّ] عَلَى (١) مِنْ فِي الْبِلَادِ ، أَهْلَ السَّدَادِ مِنْهُمْ وَالرَّشَادِ ؛ وَمُرْهُمْ بِثِقَلِ مَذْهَبِكَ ، وَتَقَلِّ أَدَبِكَ ؛ وَأَصْرِفْ أَهْتِمَامَكَ إِلَى حِفْظِ أَوْقَافِهِمْ وَأَمْلَاكِهِمْ وَمُسْتَغْلَاتِهِمْ فِي سَائِرِ الْأَعْمَالِ ، وَحُطِّهَا مِنَ الْعَقَاءِ وَالْإِضْحَالِ ؛ وَتَوَقَّرْ عَلَى تَثْمِيرِ ارْتِفَاعِهَا ، وَتَرْجِيَةِ مَالِهَا ؛

وَأَسْتَحْدِمُ لَضَبُطِ حَاصِلِهَا ، وَجِهَاتِ مُنْفَقِهَا ، مِنْ تَسْكُنِ إِلَى ثَقْتِهِ ، وَتَثِقِ بِنَهْضَتِهِ ؛
وَوَزْعِ مَا يَرْتَفِعُ مِنْ أَسْتِغْلَالِهَا بَيْنَهُمْ عَلَى رُتَبِهِمُ الَّتِي يَشْهَدُ بِهَا دِيَوَانُهُمْ .

هَذَا عَهْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ فَاتَّهِ إِلَيْهِ مُتَهَجًا لَتَمْثِيلِهِ ؛ مَعْتَمِدًا بِدَلِيلِهِ ؛ وَطَالِعَ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَلْبَسَ عَلَيْكَ وَأَبْهَمَ ، وَأَشْكَلَ وَأَسْتَعْجَمَ : لِيَقِفَكَ عَلَى وَاضِحِ السَّنَنِ ،
وَيُرِيْشِدَكَ إِلَى أَحْسَنِ السَّنَنِ ؛ وَأَسْتَعِينَ بِاللَّهِ يَهْدِكَ لِمَعُونَتِهِ ، وَأَسْتَمِدَّهُ يُوَيِّدُكَ بِهَدَايَتِهِ ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



ومنها — ما أورده في رسم تقليد بزم طوائف الرجال .

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْبَدِيعِ تَقْدِيرُهُ ، الْحَكِيمِ تَدْبِيرُهُ ؛ الَّذِي أَتَقَنَ مَاصِنَعَهُ وَأَحْكَمَهُ ، وَكَمَّلَ مَا بَدَعَ
وَتَمَّمَهُ ؛ وَأَعْطَى كُلَّ مَصْلُوحَةٍ مِنْ مَصَالِحِ عِبَادِهِ نِظَامًا ، وَكُلَّ مَرْفِقٍ مِنْ مَرَافِقِ
خَلْقِهِ قِوَامًا ؛ فَلَا يُقَارَبُ فِيهَا خَلْقٌ وَصُورٌ ، وَلَا يُسَاوَى فِيهَا قَدْرٌ وَدَبْرٌ ؛ وَرَأْبَ ثَلَمَ بَرِيَّتِهِ
بِمَنْ أَسْتَخْلَصَهُ مِنْ خَاصَّتِهَا ، لِسِيَاسَةِ عَامَّتِهَا ؛ وَأَتَخَبَّهَ مِنْ أَشْرَافِهَا ، لَتَسْدِيدِ أَطْرَافِهَا ؛
وَلِإِقَامَةِ مِنْ سَادَّهَا لِإِصْلَاحِ فَاسِدِهَا ، وَتَقْوِيمِ مَائِدِهَا ؛ وَتَوْقِيفِهَا عَلَى سَنَنِ الصُّوَابِ ،
وَتَعْرِيفِهَا بِحَاسَنِ الْآدَابِ .

يُجَمِّدُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أَحَلَّهُ فِي الْمُنْتَزِلَةِ الْعَلِيَّةِ : مِنْ أَصْطِفَائِهِ وَأَسْتَخْلَاصِهِ ، وَالذَّرُورَةِ
السَّنِيَّةِ : مِنْ أَجْتَبَائِهِ وَأَخْتِصَاصِهِ ؛ وَفَوَّضَ إِلَيْهِ تَنْزِيلَ الرُّتَبِ وَتَحْوِيلَهَا ، وَإِقْرَارَ
الْمَنَازِلِ وَتَحْوِيلَهَا ؛ وَنَاطَ بِهِ الْبَرَمَ وَالتَّقْضَ ، وَالرَّفْعَ وَالتَّخْفِضَ ؛ وَالرِّيشَ وَالْحِصْنَ ،
وَالزِّيَادَةَ وَالتَّقْصَ ؛ وَسَوَّغَهُ الشُّكْرَ عَلَى مَوَاهِبِهِ السَّابِغِ عِطَافُهَا ، الْفَسِيحَةِ أَكْثَافُهَا ،
الْبَعِيدَةِ أَطْرَافُهَا ؛ وَ[يَسْأَلُهُ] أَنْ يَصِلَى عَلَى نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، وَمُفِيدِ الْحِكْمَةِ ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ

الرُّسُل ، وَمَوْصِحَ السُّبُل ؛ صلى الله عليه وعلى أخيه وآبنِ عمّه ، وخليفته على أمته وقومه : على بن أبى طالب أمير المؤمنين ، ومولى المسلمين ؛ وعلى الأئمة من ذُرِّيَّتِهِما الطاهرين .

وإنَّ أمير المؤمنين بما فَوْضَهُ الله تعالى إليه من حِمَاية الأَنَام ، والمُرَاماة عن دار الإسلام ؛ وَكَفَلَهُ من غَضِّ نواظر أهل العناد ، وتكيسِ رؤوس رؤساء الإلحاد ؛ لا يزال ينظر في مصالح عبيده ، وتوفر سياسة رجال دولته وجنوده ؛ الذين هم حُرْبُ الله الغالبون ، وجنُده المنصورون ؛ ويرُدُّ النظر في أمورهم ، والتقدّم عليهم ؛ وزَمَّ طوائفهم ، إلى خواصِّ دولته ، وأعيان مملكته ، الذين بالاطرائقهم ، وحِدِّ خلائقهم : من الغناء والكفاية ، والسداد وحُسن السياسة ؛ وتَقْلَهُم في الخدم فاستقلُّوا بأعبائها وأتقألها ، ونهضوا بناهض أعمالها ؛ ومضتْ عزائمهم في حياطة البيضة ، وأشتدتْ صرائعهم في تحصين الحوزة ، وصدقتْ نياتهم في المُرَاماة عن الملَّة ، والمحاماة عن الدعوة والدَّولة .

ولمَّا كنتَ بحضرة أمير المؤمنين مُعدًّا لمِهْمَّاته ، معدودًا في أمائل كُفَّاته ؛ مشهورًا بحسن السياسة لما تُورده وتُصدِّره ، معروفًا بفضل السيرة فيما تأتيه وتَدْره - رأى أمير المؤمنين - والله يُرشده لأَعْوَدِ الآراء بالصلاح والإصلاح ، وأدناها من الخير والنجاح - أن قُلْدَكَ زَمَامَ طائفة الرجال الفلانيين (ويوصفون بما تقتضيه مكاتبتهم من الدولة وحسن سيرهم في الخدمة) إنافةً بقدرك ، وإبانةً عن خطرك ، وتنويهًا بذُكرك ، وتفخيماً لأمرِكَ .

وهو يأمرُكَ بتقوى الله تعالى وطاعته ، واستشعارِ مراقبته ؛ ورياضةِ خلائِكَ على محبةِ العدل ، وإيثارِ الفضل ؛ وأتباعِ اللُّطف ، واجتنابِ العسْف ؛ وتوخي

الإنصاف، وبَسْطِ الهيبة من غير إجحاف؛ وأن تُحَصَّ هذه الطائفة من النظر في أمورها، وتعهَّد صغيرها وكبيرها، بما يُسَدِّد أحوالها، ويحقِّق آمالها؛ وتأخذها بأحسن الآداب اللائقة بأمثالها، وسلوك الطريقة المعهودة من أعيانها وأماثلها؛ وتُشعرها من أمير المؤمنين بما يشرح صدرها في خدمته، ويُقرِّع عنها في طاعته؛ والمصارعة إلى مكافئة أعدائه، والتمييز في نُصرة أوليائه؛ وتُطالع بحال من يستحقُّ الاحترام، ويستوجبُ إفاضة الإنعام؛ وتكتب الرِّقاع عنها (مستدعيًا للرباطات، في الأَطْلاع والعاجزين شاملاً في التعويد والتأثير والتلقيب والولايات قاصداً في ذلك ما يفسِّح آمالها في الآجال، ويوتِّقها بَدْرُور الأمثال^(١))؛ فإنهم أمراءُ الحروب، وكُفَّاة الخطوب، الذين يجاهدون عن الحوزة، ويرأون عن الدولة؛ وأُفْرِضْ لهم من الإكرام، وتأمِّ الإهتمام؛ ما تقتضيه مكاتبتهم في الدولة، وموضعهم من الخدمة؛ وتكفِّل أوساطهم بالرعاية، وأصرف إليهم شطراً موفوراً من العناية؛ وألحق من برز منهم وتقدَّم، ونهض وخدم، بنظرائه وأمثاله، وساو بينه وبين أشكاله؛ وتعهَّد أطرافهم بملاحضتك، وتفقدتهم بسياستك؛ وخُذْهم بلزوم السير الحميدة، والمذاهب السديده؛ والتوفِّر على ما يُرهِّف عزائمهم، ويؤيِّد أيديهم؛ ولا تُفسِّح لأحد من هذه المذاهب في مخالطة العوام ولا مشاركة التجار والاحتراف، ووكل بهم من الثقباء من يتبلى سيرهم، وينهى إليك أخبارهم؛ فمن علمته قد أجتأ إلى نسخ المذهب، فتناولهُ باليم الأدب؛ وأحضضهم على الإدمان في نقل السلاح، والضرب بالسيف، والمطاعنة بالرمح، والإرضاء عن القوس؛ وميز من مهر وأستقل، وقصّر بمن صجّع وأخل؛ فهم كالجوارح التي ينفعها التعليم والإجراء، ويضرُّها الإهمال والإبقاء؛ وفي صرفك الإهتمام إليهم ما يزيد في رغبة ذى الهمة العلية، ويبعثُ المعروف

(١) كذا في النسخ ولم نهند الى المراد منها .

في النفس الدنيَّة، وأن تُطالبهم بالاستعداد، وأرتباط الحُيُول الحِياد؛ والاستِخَارِ
من السَّلاح الشاك والجنن . وليَكُنْ ما تُطالبهم بإعداده من هذه الأصناف على
حَسَبِ القُروض من العطاء، ولا تُرَخِّص لأحد في الاقتناع بما لا يليقُ بمنزِلته ،
والرضا بما يَقَع دُون ما يعبُثُه أمانِلُ طَبَقَتِه . وَمَنْ مات من هذه الطائفة وخلف
ولدا يَتِيًّا فَضَّمه إلى أمثاله ، وأنظُر في حاله ؛ ووَكِّل به من يَقْهه في دينه ، ويعلمه
ملا غنى به عن تعلُّيمه من كتاب الله وسُنَّته ، وَمَنْ يَهْدِبه في الخدمة ويعلمه العملَ
بالآتها، والتَّنقُل في حالاتها؛ ويطلِّق له من إناعام أمير المؤمنين ما يقوم بكُلِّفتها
ولوازمها، وخُذْ كُلَّ من تُقدِّمهم بخدمة والجرى على عادتِها في النُّهوض بما يُسْتَنهَض
به ، ولا يُفَسِّح لها في التناقل عنه ؛ وسوِّبَنهم في الاستِخدام ؛ ولا تُخَصَّ قوماً
دون قوم بالترفيه والإجماع؛ فإنَّ في ذلك إرهاباً لعزائمهم ، وتقويةً لِمُنَهم ، وإفاضةً
العدل عليهم .

هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك، قد وَكَّدَ به الحجة عليك؛ فتأمَّلْه ناظراً، وراجِعْه
متدبراً؛ وآتِنه إلى مَصَابرِه ومَراشِدِه ، وأعمل على رُسُومِه وحدُودِه ، يُوقِّق الله
مقاصِدَكَ، ويُسَعِد مَصالحَكَ ويتولَّاكَ، إن شاء الله تعالى .

ورُسُوم هذه العهود يتفاضلُ الخطابُ فيها بحسبِ تفاضُلِ الطوائف وَمَنْ يُوَلِّ
عليها . وهذا الأُتُودَج متوسِّطٌ ثُمُكن الزيادةُ عليه والنقصُ منه .



ومنها — ما أورده في رسم تقليد بإمارة الحج، وهذه نسخته :

الحمد لله الذي طهَّر بيته من الأَرْجاس ، وجعلهُ مَثابَةً للناس ؛ وآمَنَ مَنْ حلَّه
ونَزَله ، وأوجبَ أجرَ من هاجر إليه ووصله .

يحمده أمير المؤمنين أن خَصَّه بِحِيازَةِ الْبَيْتِ الْأَعْظَمِ ، وَالْحِجْرِ الْمَكْرَمِ ، وَالْحَطِيمِ
وَزَمَرَمَ ، وَأَفْضَى إِلَيْهِ مِيرَاثَ النُّبُوَّةِ وَالْإِمَامَةِ ، وَثَرَاثَ الْخِلَافَةِ وَالزَّعَامَةِ ، وَجَعَلَهُ
لِفَرْضِهِ مَوْفِيًا ، وَلِحَقْوَقِهِ مُؤَدِّيًا ، وَلِحُدُودِهِ حَافِظًا ، وَلِشَرَائِعِهِ مَلَا حِظًا ، وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَصِلَّ
عَلَى مَنْ أَمَرَهُ بِالتَّائِذِينَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ إِلَى بَيْتِهِ الْحَرَامِ لِشَهَادَةِ مَنَافِعِهِمْ ، وَتَأْدِيَةِ
مَنَاسِكِهِمْ ، وَقَضَاءِ تَفَثِهِمْ ، وَوَفَاءِ نَذْرِهِمْ ، وَذِكْرِ خَالِقِهِمْ ، وَالطَّوَائِفِ بِحَرَمِهِ ، وَالشُّكْرِ
عَلَى نِعْمَةِ : سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى وَصِيهِ وَخَلِيفَتِهِ ، وَبَابِ مَدِينَةِ
عَلَيْهِ وَحُكْمَتِهِ : عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ ، وَعَلَى الْأَئِمَّةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا
الطَّاهِرِينَ .

وَإِنَّ أَوْلَى مَا صَرَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ هِمَّتَهُ ، وَوَفَّرَ عَلَيْهِ رِعَايَتَهُ ، مُثَابِرًا عَلَيْهِ ،
وَنَاهِضًا لِحَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ ، النَّظَرُ فِي أَمْرِ رُقُقِ الْحِجِجِ الشَّاهِصَةِ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ،
وَزِيَارَةِ قَبْرِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، وَرَدُّهُ إِلَى مَنْ حَلَّ مَحَلَّكَ مِنَ الدِّينِ ،
وَتَمَيِّزُهُ بِمَا تَمَيَّزَ بِهِ صَلَاحُ الْمُسْلِمِينَ : مِنَ الْعِلْمِ ، وَرَجَاحَةِ الْحِلْمِ ، وَنَفَازِ الْبَصِيرَةِ ، وَحُسْنِ
السَّرِيرَةِ ، وَعَدْلِ السَّيْرِ ، وَلِذَلِكَ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ قَلَّدَكَ أَمْرَ رُقُقِ الْحِجِجِ
الْمُتَوَجِّهَةِ مِنْ مَوْضِعٍ كَذَا إِلَى الْحَرَمَيْنِ الْمُحْرُوسَيْنِ ، وَوَلَّكَ الْحَرْبَ وَالْأَحْدَاثَ بِهَا :
وَائْتَقًا بِاسْتِقْلَالِكَ وَغَنَائِكَ ، وَسَدَادِكَ وَإِصَابَةِ آرَائِكَ ، فَتَقَلَّدَ مَا قَلَّدَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
بِعَزْمٍ ثَابِتٍ ، وَرَأْيٍ صَائِبٍ ، وَهِمَّةٍ مَاضِيَةٍ ، وَنَفْسٍ سَامِيَةٍ ، وَشَمَرٍ فِيهِ تَشْمِيرٌ يُعْرَبُ
عَنْ مَحَلَّكَ مِنَ الْإِضْطِلَاعِ ، وَيُدُلُّ عَلَى اسْتِقْلَالِكَ بِحَقِّ الْإِضْطِنَاعِ ، وَخُصَّ الْحَاجَّ
بِأَتَمِّ الْأَحْظِ ، وَكُنْ مِنْ أَمْرِهِمْ عَلَى تَيْقُظٍ ، وَاعْتِمَادٍ تَرْقُبُهُمْ فِي الْمَسِيرِ ، وَسَوْ
فِي رِعَايَتِهِمْ بَيْنَ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ ، فَإِنَّهُمْ جَمِيعًا إِلَى اللَّهِ مُتَوَجِّهُونَ ، وَإِلَى بَيْتِهِ الْحَرَامِ
قَاصِدُونَ ، وَعَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَافِدُونَ ، قَدْ اسْتَقَرُّوا بِعَيْدِ الشُّقَّةِ ،

وَأَسْتَدْمُوا خَشِنَ الْمَشَقَّةَ ، رَغْبَةً فِي ثَوَابِ اللَّهِ وَعَقُوه ، وَالنَّجَاةَ مِنْ عِقَابِهِ وَسَطُّوهُ ؛ وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِإِرْتِسَامِ أَمْرِهِ وَطَاعَتِهِ ، وَإِيجَابِ الْحَرَمَةِ بِالْحُلُولِ فِي عِرَاصِ بَيْتِهِ وَأَفْنِيَّتِهِ ؛ فُرَافِدَتُهُمْ وَاجِبِهِ ، وَمَسَاعِدَتُهُمْ لِإِزْبِهِ ؛ حَتَّى يَصِلُوا إِلَى بُغْيَتِهِمْ وَقَدْ شَمِلَتْهُمْ السَّلَامَةُ فِي الْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ ، وَالْأَمْنَةُ فِي الْحَيْلِ وَالرِّجَالِ : مُتَوَجِّهِينَ وَقَارِّينَ وَقَافِلِينَ ، بَعْدَ أَنْ يَشْهَدُوا مِنْافِعَهُمْ ، وَيُؤَدُّوا مَنَاسِكَهُمْ ، وَيَعْمَلُوا بِمَا حُدَّ لَهُمْ . وَرُدَّاهُمْ فِي سَيْرِهِمْ عَنِ الْإِزْدِحَامِ ، وَرَتَّبَهُمْ عَلَى الْإِنْتِظَامِ ؛ وَرَاعَاهُمْ فِي وُرُودِ الْمَنَاحِلِ ، وَأَمْنَعَهُمْ مِنَ التَّحَادُثِ عَلَيْهَا وَالتَّكَاثُرِ فِيهَا ؛ حَتَّى لَا يَنْفَصِلُوا مِنْهَا إِلَّا بَعْدَ الْإِرْتَوَاءِ ، وَوُقُوعِ التَّسَاوِيِ وَالْإِكْتِفَاءِ ؛ وَقَدَّمَ أَمَامَهُمْ مَنْ يَمْنَعُهُمْ مِنَ التَّسَرُّعِ ، وَأَخَّرَ وَرَاءَهُمْ مَنْ يَحْفَظُهُمْ مِنَ التَّقَطُّعِ ؛ وَرَتَّبَ سَاقَتَهُمْ ، وَلَا تُخَلَّ بِحَفَظِهِمْ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِمْ ؛ وَطَالَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي كُلِّ مَنَزِلٍ تَنَزُّلَهُ وَمَحَلٍّ تَحُلُّهُ بِحَقِيقَةِ أَمْرِكَ لِقَفِّ عَلَيْهَا ، وَيُمَدِّكَ بِمَا يُنْهَضُكَ فِيهَا .

هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك فتدبره عاملاً عليه ؛ متبصراً بما فيه ، عاملاً بما يحسن موقعه لك ، ويزيدك من رضا الله وثوابه ، إن شاء الله تعالى .



ومنها — ما أورده في رسم تقليد الإمارة على الجهاد ، وهذه نسخته :

الحمد لله الصادق وعده ، الغالب جُنْدُهُ ؛ ناصِر الحق ومُذِيلُهُ ، وَخَاذِلُ الْبَاطِلِ وَمُذِيلُهُ ؛ مُحِلُّ التَّكْبَرِ بِنِ انْصَرَفَ عَنْ سَبِيلِهِ ، وَمُنْزِلُ الْعِقَابِ بِنِ تَحَرَّفَ عَنْ دَلِيلِهِ ؛ الَّذِي اخْتَارَ دِينَ الْإِسْلَامِ فَعَلَى مَنَارِهِ ، وَوَضَّحَ أَنْوَارَهُ ؛ وَأَسْتَخْلَصَ لَهُ مِنْ أَوْلِيَائِهِ أَعْضَادًا لَا تَأْخُذُهُمْ فِي الْحَقِّ لَوْمَةٌ لَائِمٌ ، وَلَا يُغْمِضُونَ عَنِ الْمَكَالِفَةِ دُونَهُ جَفَنَ حَالِمٌ ؛

وَجَزَّاهُمْ عَلَىٰ سَعِيهِمْ فِي نُصْرَتِهِ جَزَاءً فِيهِ يَتَنَافَسُ الْمُتَنَافِسُونَ ، وَإِلَىٰ غَايَتِهِ يَرْتَمِي بِالْهَيْمِ الْمُحِثِدُونَ ؛ قَصْدًا مِنْ اللَّهِ تَعَالَىٰ فِي إِعْزَازِ دِينِهِ ، وَإِنْجَازِ مَا وَعَدَ بِهِ خُلَفَاءَهُ مِنْ إِظْهَارِهِ وَتَمَكُّنِهِ ؛ وَقَطًّا لَشَوْكَةِ أَهْلِ الْعِنَادِ ، وَتَعْفِيَةً لَأَثَارِ ذَوِي الْفُسَادِ ؛ وَتَوْفِيرًا لِأَحَاطِي مِنْ بَذْلِ الْإِجْتِهَادِ ، مِنْ سَعْدَاءِ عِبَادِهِ فِي الْجِهَادِ .

يُحْمَدُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أَخْتَصَّه بِلَطِيفِ الصَّنْعِ فِيمَا أَسْتَرَعَاهُ ، وَوَفَّقَهُ لِلْعَمَلِ بِمَا يُرْضِيهِ فِيمَا وَلَّاهُ ؛ وَأَعَانَهُ عَلَى الْمُرَاقَاةِ عَنْ دَارِ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْمَحَامَاةِ عَنْ ذِمَارِ الدِّينِ ؛ وَمُجَاهَدَةِ [مَنْ] نَدَّعَنَهُمَا صَادِقًا ، وَنَكَّبَ عَنْ سَبِيلِهِمَا مُنْصَرِفًا ؛ وَإِبَادَةِ مَنْ عَنَدَ عَنْ طَاعَتِهِ وَأَتَّخَذَ مَعَهُ إِلَهًا آخَرَ لِإِلَهِ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُ الْمُشْرِكُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ؛ وَأَسْتَرَاهُمْ مِنْ صِيَاصِهِمْ فَهَرَا وَأَقْتَسَارًا ، وَإِخْرَاجَهُمْ عَنْ بُيُوتِهِمْ عِزًّا وَأَقْتَدِرًا ؛ وَإِذَا قَتَلْتَهُمْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ [و] عَاقِبَةُ كُفْرِهِمْ ، أَتَّبَعَ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَىٰ إِذْ يَقُولُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَصَلِّيَ عَلَى أَشْمَرِ الْخَلْقِ نُورًا وَفَضْلًا ، وَأُطْهَرَ الْبَرِيَّةِ فَرَعًا وَأَصْلًا ؛ وَأُرْشَدَ الْأَنْبِيَاءَ دَلِيلًا ، وَأَقْصِدَ الرُّسُلَ سَبِيلًا : مَجْدِ رَسُولِهِ الَّذِي أَبْتَعَثَهُ وَقَدْ تَوَعَّرَ طَرِيقُ الْحَقِّ عَافِيًا ، وَتَغَوَّرَ نُورُ الْهُدَى خَافِيًا ؛ وَالنَّاسُ يَتَسَكَّعُونَ فِي حَنَادِسِ الْغَمَرَاتِ ، وَيَتَوَرَّطُونَ فِي مَهَاوِي الْهَلَكَاتِ ؛ لَا يَعْرِفُونَ أَنَّهُمْ ضَلَالٌ فَيَسْتَهْلُونَ ، وَلَا عُمَى فَيَسْتَبْصِرُونَ ؛ فَأَيْدِيَهُ وَعَضْدَهُ ، وَوَفَّقَهُ وَسَدَّدَهُ ؛ وَنَصْرَهُ وَأَظْهَرَهُ ، وَأَعَانَهُ وَأَزْرَهُ ؛ وَأَتَّخَبَ لَهُ مِنْ صَفْوَةِ خَلْقِهِ ، أَوْلِيَاءَ كَاتِفُوهُ عَلَى ظُهُورِ حَقِّهِ ، سَمَّحُوا بِالْأَنْفُسِ الْعَزِيزَةِ ، وَالْأَمْوَالِ الْحَرِيزَةِ ؛ وَجَاهَدُوا مَعَهُ بِأَيْدٍ بَاسِطَةٍ مَاضِيَةٍ ، وَعِزَائِمٍ مُتَكَافِيَةٍ مُتَوَافِيَةٍ ؛ وَقُلُوبٍ عَلَى الْكُفَّارِ قَسِيَّةٍ قَاسِيَةٍ ؛ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ رَعُوفَةٍ حَانِيَةٍ . فَلَمَّا صَدَّقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ، وَارْتَسَمُوا أَمْرَهُ وَاتَّهَوَّا إِلَيْهِ ، شَرَكَهُمْ مَعَهُ فِي الْوَصْفِ وَالثَنَاءِ ،

وأضافهم إليه في المدح والإطراء ؛ فقال جل قائلا : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ . صلى الله عليه وعلى أخيه وآبن عمه أمير المؤمنين على بن أبي طالب سيف الله الفاضل ، وسنانه العامل ؛ ومُعْجَزُ رَسُولِهِ الباهر ، ووزيره المظاهر ؛ مُسَيِّدُ الشُّجْعَانِ ، ومُؤَيِّدُ الْأَقْرَانِ ؛ ومُقَطَّرُ الْفُرْسَانِ ، ومُكَسِّرُ الصُّلْبَانِ ؛ ومنكس الأوثان ، ومُعِزُّ الْإِيمَانِ ، الذي سبق الناس إلى الإسلام ، وتقدّمهم في الصلوة والصيام ؛ وعلى الأئمة من ذريتهما الميامين ، البررة الطاهرين ، وسلم تسليما .

وإنَّ أمير المؤمنين بما كلفه الله تعالى من [أمر] دينه ، ووَعَدَهُ من إظهاره وتمكينه ؛ يرى أنَّ أفضلَ مَآرَأٍ إليه بَصَرُ بَصِيرَتِهِ ، ورمى نحوه بطاميح همته ، ما شملت الدين والدنيا بركته ، وعمّت الإسلام والمسلمين عائدته ؛ وحلَّ محلَّ الغيث إذا تدفّقَ وهَمَّعَ ، والنهار إذا تألّقَ ولمع . ولا شيء أعودُ على الأُمة ، وأدعى إلى سُبوغ النعمة ، من علو كلمتهم ، وارتفاع رأيهم ؛ وتحصين حوزتهم ، وإيمان منصّتهم ؛ وتأدية الفريضة في مجاهدة أعدائهم ، وصرفهم عن غلوائهم ؛ وأقنادهم بالإذلال والصغار ، وكبحهم بشكائم الإهوان والأقتسار ؛ ومواصلتهم بغزو الديار ، وتغفية الآثار ؛ وإيداع الرعب في صدورهم ، وتكذيب أمانى غرورهم ؛ ووعظهم بالسنة القواضب ، ومكاتبهم على أيدي الكتائب : لما في ذلك من ذلّ الشرك وثبوره ، وعزّ التوحيد وظهوره ؛ ووضوح حجة أولياء الله تعالى على أعدائه بما يُنزله عليهم من نصره ومعونته ، ويؤيدهم به من تأييده وعنايته ؛ لا جرم أن أمير المؤمنين مضروب الغزوة ، موقوف الهمة ، على تنفيذ البعثات والسرايا ، والمواصلة بالجيوش والعرايا ؛ وتجهيز المرتبة من أولياء الدولة ، وجنّ المطوعة من أهل الملّة ، على ما أمر الله تعالى به من غزو المشركين ، وجهاد الملحدين ؛ نافذاً في ذلك بنفسه ، وبأذلا فيه

عزَّزَ مَهْجَتَهُ ، عِنْدَ تَسَهُّلِ السَّبِيلِ إِلَى الْبَغْتَةِ ، وَوُجُودِ الْفُسْحَةِ ؛ وَمَعُولًا فِيهِ عِنْدَ التَّعَدُّرِ عَلَى أَهْلِ الشَّجَاعَةِ وَالرَّجَاحَةِ مِنْ أَعْيَانِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ الَّذِينَ أَيقَنَتْ ضَمَائِرُهُمْ ، وَخَلَصَتْ بَصَائِرُهُمْ ؛ وَرَغِبُوا فِي عَاجِلِ الذِّكْرِ الْحَمِيدِ ، وَأَجَلَ الْأَجْرِ الْحَزِيلِ ؛ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُجَرِّبَهُ فِيمَا يُصْدِرُ وَيُورِدُ ، عَلَى أَفْضَلِ مَا لَمْ يَزَلْ يُؤَلِّى وَيُعَوِّدُ : مِنَ التَّوْفِيقِ فِي رَأْيِهِ وَعَزْمِهِ ، وَالتَّسَدِيدِ فِي تَدْبِيرِهِ وَحَزْمِهِ ؛ وَيُؤْتِيهِ مِنْ ذَلِكَ أَفْضَلَ مَا آتَاهُ وَلِيًّا أَسْتَخْلَفَهُ ، وَأَمِينًا كَفَّلَهُ عِبَادَهُ وَكَلَّفَهُ ؛ وَمَا تَوْفِيقُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ وَإِلَيْهِ يُنِيبُ .

وَمَا كُنْتُ بِمَحْضَرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ يُعِدُّهُ لِحُلَاثِلِ مِهْمَاتِهِ ، وَيَعُدُّهُ مِنْ أَعْيَانِ كُفَّاتِهِ ؛ وَرَأَى سِدَادًا لِلخَّلِّ ، وَعِمَادًا فِي الْحَادِثِ الْجَلِّ ، وَسَهْمًا فِي كِتَابَتِهِ صَائِبًا ، وَشِهَابًا فِي سَمَاءِ دَوْلَتِهِ نَاقِبًا ؛ وَسَيْفًا بِيَدِ الدِّينِ قَاطِعًا ، وَجَنًّا عَنِ الْحَوَزَةِ دَافِعًا - رَأَى - وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ - أَنْ يُقَدِّمَكَ عَلَى جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ ، وَبُعُوثِهِمُ الشَّاخِصَةَ إِلَى جِهَادِ الْمُشْرِكِينَ ؛ فَقُلِّدَكَ الْحَرْبَ وَالْأَحْدَاثَ بِهَا ، وَعَقَدَ لَكَ لَوَاءً بِيَدِهِ يَلْوِي إِلَيْكَ الْأَعْنَاقَ ، وَيُنَكِّسُ لَكَ رُيُوسَ أَهْلِ الشَّقَاقِ ؛ وَشَرَفَكَ بِفَاخِرِ مَلَاسِهِ وَخُمْلَانِهِ ، وَضَاعَفَ لَدَيْكَ مَوَادَّ إِحْسَانِهِ ؛ وَحَبَّاكَ بِطُوقِ مِنَ الثَّبَرِ ، مَرَصَّعَ بِفَاخِرِ الدَّرِّ ؛ عَادِقًا هَذِهِ الْخِدْمَةَ مِنْكَ بِالنَّصِيحِ الْمَأْمُونِ ، وَالنَّجِيحِ الْمَيْمُونِ ؛ الَّذِي تَتَوَضَّعُ فِيهِ أَنْوَارُ اللَّبَابَةِ ، وَتُلَوِّحُ عَلَيْهِ آثَارُ النَّجَابَةِ ؛ وَاثِقًا بِمَا تَتَطَوَّى عَلَيْهِ مِنَ الْإِخْلَاصِ وَالْوِلَايَةِ ، وَتُحَلِّي بِهِ مِنَ الْقَنَاءِ وَالْكِفَايَةِ ؛ وَتَقْتَرِضُهُ مِنَ الْأَسْتِمْرَارِ عَلَى سَنَنِ الطَّاعَةِ ، وَالْأَسْتِقَامَةِ عَلَى سَمْتِ الْأَقْيَادِ وَالتَّبَاعَةِ ؛ وَتُوجِبُهُ مِنْ مَنَاصِحَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَالتَّشْمِيرِ فِي نُصْرَةِ الدِّينِ .

فَقُلِّدْ مَا قُلِّدَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَشْعِرًا تَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتَهُ فِي الْإِسْرَارِ وَالْإِعْلَانِ ، مَعْتَقِدًا خِيفَتَهُ وَمِرَاقَبَتَهُ فِي الْإِظْهَارِ وَالْإِبْطَانِ ؛ مَخْلِصَ الْقَلْبِ ، رَابِطَ اللَّبِّ ؛ وَاثِقًا

بنصر الله الذي يُسَيِّغُهُ عَلَى خُلَصَائِهِ ، وَيُفَرِّغُهُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ ؛ أَخْذًا بِوَثَائِقِ الْحَزْمِ ،
 مَتَمِّسًا بِعَلَائِقِ الْعَزْمِ ؛ نَاطِرًا مِنْ وَرَاءِ الْعَوَاقِبِ ، مَتَفَرِّسًا فِي وُجُوهِ التَّجَارِبِ ؛
 مَقْلَصًا سُجُوفَ الْآرَاءِ بِإِضْفَاءِ غِيَارِ التَّدْيِيرِ ، مُمَرًّا مَرَاتِرَ التَّقْرِيرِ ؛ مُوْغِلًا فِي الْخَفَائِلِ
 وَالْمَكَايِدِ ، حَارِسًا لِلطَّالِعِ وَالْمَرَّاصِدِ ؛ يَقْظَانِ النَّفْسَ وَالنَّاطِرَ ، مَتَحَرِّزًا فِي مَوْقِفِ الْوَانِي
 وَالْمُخَاطِرِ . وَأَنْ تَتَوَجَّهَ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ وَحَسَنِ تَوْفِيقِهِ ، وَيُثْمِنَ تَأْيِيدَهُ ؛ بَعْدَ أَنْ
 تَتَسَلَّمَ مِنَ الْجِيُوشِ الْمَنْصُورَةِ جَرَائِدَ بَعْدَةِ رِجَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ السَّائِرِينَ تَحْتَ رَايَتِكَ ،
 الْمُتَوَطِّئِينَ بِسِيَاسَتِكَ ؛ وَتَعْرِضَهُمْ عَلَيْهَا ، فَتَخَيَّرُ مِنْ شُهْرَتِ بَسَائِلِهِ وَكِفَاحِهِ ، وَعَتَقَ
 جَوَادَهُ وَكُلَّ سِلَاحِهِ ؛ وَغَرِفَ بِصَدَقِ الْعَزِيمَةِ فِي مُقَارَعَةِ الْأَعْدَاءِ ، وَحُسْنِ الطَّوِيَّةِ
 فِي الْإِخْلَاصِ وَالْوَلَاءِ ؛ وَتَسْتَبْدِلُ بِالْوَرَعِ الْجَبَانَ ، وَالرَّعْدِ الضَّعِيفَ الْجَنَانَ ؛
 النَّاقِصَ الْعُدَّةِ ، الْمَقْصُرَ النَّجْدَةِ ؛ الْمَدْخُولَ النَّيَّهِ ، ^(١) التَّغْلَ الطَّوِيَّةَ ؛ فَإِذَا كَلَّتِ الْعِدَّةُ
 مِنْ أَهْلِ الْجَلَدِ وَالشَّهَامَةِ ، وَأُولَى الْحِمَاسَةِ وَالصَّرَامَةِ ؛ أَسْتَدْعَيْتَ مِنْ بَيْتِ
 الْمَالِ مَا يُنْفَقُ فِيهِمْ مِنْ مَسْتَحَقِّ أَطْعَامِهِمْ ، وَمَعُونَةِ طَرِيقِهِمْ ؛ وَأَجْرِيَتِ النِّفَقَةِ فِيهِمْ
 عَلَى أَيْدِي عَارِضِيهِمْ وَكُتَّابِهِمْ ؛ فَإِذَا أَرْحَتَ عَلَيْهِمْ فَاسْتَصْحَبْتَ مِنَ الْعُدَدِ وَالسَّلَاحِ
 وَالْحِمَى وَالْأَزْوَادِ وَالْأَمْوَالِ مَا يُرْهِبُ الْأَعْدَاءَ ، وَيُنْهَضُ الْأَوْلِيَاءَ ؛ وَأَذَّنَ فِي مُطَوَّعَةِ
 الْمُسْلِمِينَ ، بِجِهَادِ الْمُشْرِكِينَ ؛ فِي [كُلِّ] بَلَدَةٍ تَنْزِلُهَا ، وَحَمَلَةٍ تُحْلِلُهَا ؛ وَأَبْدَلَ لَهُمُ الظُّهْرَ
 وَالْمِيزَةَ وَالْمَعُونَةَ بِالسَّلَاحِ وَمَا يَسْتَدْعُونَهُ ؛ وَأَرْهَفَ عَزَائِمَهُمْ فِي غَزْوِ الْكُفَّارِ ،
 وَإِعْجَالِهِمْ عَنِ الْأَوْطَانِ وَالْأُيُودِ ؛ وَأَسْلَكَ الطَّرِيقَ الْقَاصِدَ ، وَلَا تُفَارِقُ أَهْلَ الْمَنَازِلِ
 وَالْمَوَارِدِ ؛ وَلَا تُعَدِّ السَّيْرَ إِذَاذَا تَقَطَّعَ لَهُ الرِّجَالُ وَتَتَأَخَّرُ بِهِ الْأَزْوَادُ ، وَلَا تَتَلَوَّمُ
 فِي الْمَنَازِلِ تَلَوَّمًا تَتَصَرَّمُ فِيهِ الْآمَادُ ؛ وَيُوجَدُ الْمُشْرِكِينَ مُهْلَةً لِلْإِحْتِيَالِ وَالْإِسْتِعْدَادِ ؛
 وَرَاعَ جَيْشَكَ عِنْدَ الْحُلِّ وَالتَّرْحَالِ ، وَلَا تُبَاعِدَ بَيْنَ مَضَارِبِهِمْ إِذَا نَزَلُوا ، وَلَا تَمَكَّنْهُمْ

(١) فِي الْأَصُولِ الْمَهْرُوقِ الطَّوِيَّةُ وَلَمْ نَجِدْ هَذِهِ الْمَادَّةَ .

من التفرّد إذا ارتحلوا ، وخُذهم بالإجتماع والائتنام ، والتألف والانتظام ، ولاسيما إذا حصلوا في أرض العدو فإنهم ربّما أهتبلوا^(١) الفرصة في المسير المتسرّع ، والمديت المتفرّد ، ونالوا منه ما تُوسّم به الهزيمة على أهل الإسلام ، والعياذ بالله .

وإذا دانيّت القوم فأعط الحزامه حقها ، مستعملا تارة للدهاء والحدّاع ، وأخرى للقاء والفرّاع ؛ فربما أغنت المُسائرته ، عن المُكاشرته ؛ ونابت مخايل التلطف ، عن مداخل التعسف ؛ وكفّت غوائل المخادعة ، عن مواقف المماصّة ؛ وقد قال إمام الحرب ؛ وزعيم الطعن والضرب : "الحربُ خدعة" .

وإذا عزمت على المصاع والمناخه ، والإيقاع والمكائفه ، فبُت من سرعان الفُرسان الذين لا تُشكُّ في محض نُصحهم ، ولا ترتأبُ بصدق نيّاتهم ، طلائع تُطلّعون على الأخبار ، وعيوناً تُكشِف لك حقائق الآثار ، وتُغضّ الطرف عن مجاورى الديار ؛ ومُرّ من تقدّمه عليهم بأن لا يقتحم خطرا ، ولا يركب غررا ؛ وليكن من تُنفذه في ذلك [من] أهل الخبرة بالطُرق والساحات ، والدخلات والأودية والفقجات ؛ حتى لا يتمّ للعدوّ فيهم حيله ، ولا ينالهم منه غيلة ؛ فإذا أتوك بالخبر اليقين ، وأقبسوك قبس النور المبين ؛ بدأت الحرب مستخيرا لله تعالى ، مقدّما أمامك الاستنجاح به ؛ وأستزأل النصر من عنده ، مرّبا للكتاب ، معييا للصفوف والمقائب ؛ زاحفا بالراجل محصّنا بالفارس والرامي مجتثا بالتارس ؛ وأشحن القلب والجنّاحين بالشجعان المستبقين ، والأبطال الحلاسين ؛ وأنزل إلى رضى الحرب من خف ركابه من الانجاد الراغبين في علو الصيت والذكر ، الطالبين الفوز بالثواب والأجر ؛ وأجعل وراءهم رداء ، وأعدّ لهم مددا يوازرونهم إن يحتمهم ما لا يطيّقونه ويحين^(٢) ، ويطايرونهم على

(١) أى أغتبلوا الفرصة الخ .

ما خُصَّ إليهم وادعين ؛ وقِف من التأخير والإقدام ، والنَّفوذ والإحجام ، موقفاً تُعْطَى الحَزَامَةُ فِيهِ حَظُّهَا ، والروِيَّة قِسْطُهَا ؛ مَصَمِّمَا مَا كَانَ التَّصْمِيمُ أَذْنَى لَاتِهَازِ الْفُرْصَةِ ، وَاهْتِبَالِ الْعِزَّةِ ؛ مَتَلَوِّمَا مَا كَانَ التَّلَوُّمُ أَجْمَدَ لِلْعَاقِبَةِ ، وَأَسْلَمَ لِلْعَبَةِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ رِيحَ النَّصْرِ قَدْ تَهَبَّتْ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَلَا يَكُنْ ذَلِكَ قَادِحًا مِنْكَ فِي الدِّينِ . فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَسْتَدْرِجُ بُسْتَةَ الْبَاطِلِ لَابُسْتَةَ الْإِظْفَارِ ، وَيُرِيهِمُ الْإِقْدَارَ فِي مَخَايِلِ الْأَقْدَارِ ؛ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أوردتهم كَوَازِبُ أَمَانِيهِمْ مَوَارِدَ الْهَلَكَةِ ، وَأَخَذُوا بِقَتَّةِ ، وَدَالَتْ دَوْلَةُ الْحَقِّ لِأَوَّلِيَائِهَا مَرْفُوعَةَ الْأَعْلَامِ ، أَخَذَةً بِنَوَاصِي الْعُدَاةِ وَالْأَقْدَامِ ؛ وَتَحَقَّقْ أَنَّ الْأُمُورَ بِخَوَاتِيمِهَا ؛ وَالْأَعْمَالَ بِتَمَامِهَا ؛ وَأَنَّهُ وَلِيُّ [الْمُؤْمِنِينَ] .

مَاجِعَ مَوْقِفٍ فِتْنَى شَكٍّ وَيَقِينٍ ، وَكُفْرٍ وَدِينٍ ؛ إِلَّا كَانَ الْقَلْجُ وَالنَّصْرُ لِأَهْلِ التَّقَى وَالذِّينِ ، وَالْخُسَارَةُ وَالْبَوَارُ عَلَى الشَّاكِّينَ الْكَافِرِينَ ، تَصَدِيقًا لوعده تَعَالَى إِذْ يَقُولُ : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لِمَنْ الْمُنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ .

وَتَحْفَظْ بِنَفْسِكَ وَلَا تُقْلِقْهَا فِي الْمَهَالِكِ مَتَهَوِّرًا ، وَلَا تَرْمِ بِهَا فِي الْمَتَالِفِ مُحَاطِرًا ؛ وَلَا تُسَاعِدْهَا عَلَى مَطَاوِعَةِ الْحِيَّةِ وَالنَّخْوَةِ ، وَتَحْتَزْ قَبْلَ السَّقْطَةِ وَالْهَقْوَةِ ؛ فَإِنَّكَ - وَإِنْ كُنْتَ وَاحِدًا مِنَ الْجَيْشِ - أَوْحَدُهُمُ الَّذِينَ يَتَبَادَرُونَ إِلَيْهِ ، وَيَعْتَمِدُونَ فِي السِّيَاسَةِ عَلَيْهِ ؛ وَمَادَمْتَ مُحْفُوظًا مُحْفُوظًا فَالْهَيْبَةُ عَلَيْهِ ، وَالْعَيْنُ سَامِيَةٌ ؛ وَإِنْ أَلَمَّ بِكَ - وَاللَّهُ يَعِصُوكَ - خَطْبٌ ، أَوْ نَالَكَ - وَاللَّهُ يَكْفِيكَ - رَيْبٌ ، تَوَجَّهَ الْخَلَلُ ، وَأَرْهَفَ حَدُّ الْوَهْنِ وَالشَّلَلِ . وَإِنْ دَعَاكَ نَفْسُكَ إِلَى الْجِهَادِ ، وَحَمَلَكَ تَصَرُّفُكَ عَلَى الْكِفَاحِ وَالْجِلَادِ ؛ فَلْيَكُنْ ذَلِكَ عِنْدَ الْإِحْجَامِ ، وَتَزَلُّلِ الْأَقْدَامِ : فَإِنَّ ذَلِكَ يَشْحَذُ عِزَاتَهُمُ الْمُسْلِمِينَ ، وَيَقْوِي شَكَايَ الْمُتَأَخِّرِينَ ؛ ذِيرَ مَضِيعٍ لِلْحَذَرِ ، فِي الْوَرْدِ وَالصَّدْرِ ؛ وَكَذَلِكَ فَاحْرُسْ أَمَاثِلَ الْقَوَادِ ، وَوَجُوهَ الْأَجْنَادِ ، الَّذِينَ تُسْفَى صُدُورُ الْكُفَّارِ بِمَصَارِغِهِمْ ،

وَتُنَقَّ عَنْهُمْ بِمَضَائِعِهِمْ ؛ وَحَامٍ عَنْهُمْ حِمَايَةَ الْحُقُوقِ عَنِ الْمَقْلِ ، وَصُنَّهِمْ صِيَانَةَ الصَّوَارِمِ
 مِنَ الْخَلَلِ ؛ وَدَافِعٍ عَنْ كَافَةِ [جند] المسلمين المرتزقين والمنطوعين ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ
 كَفَى بَيْنَ دِمَائِهِمْ ، وَسُوءِ بَيْنِ ضَعْفَائِهِمْ وَأَقْوِيَائِهِمْ ؛ عَلَى أَنَّهُ سَبْحَانَهُ قَدْ وَعَدَهُمْ عَنْ
 بَذْلِ الْأَنْفُسِ فِي مَجَاهِدَةِ الْمُتْلِحِينَ ، وَإِبَادَةِ الْمُشْرِكِينَ ، الْجَزَاءَ الْجَسِيمَ ، وَالنَّعِيمَ الْمُقِيمَ ؛
 وَالْبَقَاءَ الَّذِي لَا يَعْتَوِرُهُ فَنَاءٌ ، وَالْجَدَلَ الَّذِي لَا يَعْتَرِضُهُ آنْقَضَاءٌ .

وَقَدَّمَ عَلَى الْأَسَاطِيلِ وَالْمَرَائِبِ الْحَرْبِيَّةِ وَأَعْمَالِهَا وَرِجَالِ الْبَحْرِ مِنْ تَخْتَارِهِ لِنَدَاكَ
 مِنْ أَمَاثِلِ الْأَمْرَاءِ الْمَشْهُورِينَ بِالشَّجْدَةِ وَالنَّجْدَةِ ، وَالْبَصَارَةِ وَالْمَهَارَةِ وَالْخَبْرَةِ بِشَقَّةِ
 الْبَحْرِ وَالْقِتَالِ فِيهِ ؛ وَمُرَّهِ بِالتَّسْحِيلِ وَمِلَازِمَةِ السَّيْفِ وَالْإِرْسَاءِ مِنَ الشُّطُوطِ بِحَيْثُ
 يَتَأَمَّلُ مَضَارِبَكَ ، لِيَكُونَ مَأْجِلٌ عَلَيْهَا مِنْ مِيرَةٍ وَعُدَّةٍ قَرِيبًا مِنْكَ ؛ فَإِنْ نَازَلْتَ نَعْرًا
 مِنْ نَعُورِ السَّاحِلِ فَامْلَأْهُ بِالْخَلِيلِ مِنْ بَرٍّ ، وَبِالسَّفَائِنِ مِنْ بَحْرٍ ؛ وَاسْتَخْدِمْ لِحِفْظِ مَا فِيهَا
 مِنَ الْأَزْوَادِ وَالْأَسْلِحَةِ وَالْعُدَدِ وَالتَّنْفِطِ وَدُهْنِ الْبَلَّاسَانِ وَالْجِلْبَابِ وَالْعَرَّادَاتِ وَغَيْرِهَا مِنْ
 الْآلَاتِ مَنْ يَتَّقِ بِأَمَانَتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ . وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ بِالْحَوَاطِطِ عَلَى مَا يَخْرُجُونَهُ مِنَ الْعَوَارِي
 وَاسْتَرْجَاعِهِ بَعْدَ الْغِنَى عَنْهُ ؛ وَاسْتَظْهَرْ بِذَلِكَ اسْتَظْهَارًا يُجَمِّدُ مَوْقِعَهُ لَكَ ، وَيَعْرِفُ بِهِ
 رَصِينُ رَأْيِكَ ؛ وَسَدِيدُ مَذْهَبِكَ . وَاسْتَخْلِصْ لِمَجَالِسَتِكَ مِنْ أَهْلِ الْأَصَالَةِ وَالْحَزَمِ ،
 وَالرَّجَاحَةِ وَالْفَهْمِ ، وَالذَّرَايَةِ وَالْعِلْمِ ، وَالتَّجَارِبِ فِي مِمَارَسَةِ الْحُرُوبِ ، وَمَلَابِسَةِ
 الْخُطُوبِ ، مَنْ تَرْجِعُ إِلَى رَأْيِهِ فِيمَا أَشْكَلُ ، وَتَعْتَمِدُ عَلَى تَجَرِبَتِهِ فِيمَا أَعْضَلَ ؛
 وَلَا تَسْتَبِدَّ بِرَأْيِكَ فَإِنَّ الْأَسْتِبْدَادَ يُعْمَى الْمَرَّاشِدُ ، وَيُبْهِمُ الْمَقَاصِدُ .

وَلَمَّا كَانَتِ الشُّورَى لِقَاحِ الْأَفْهَامِ ، وَالكَاشِفَةِ لِعَوَاشِي الْإِبْهَامِ ، أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى
 بِهَا نَبِيَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ
 اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ .

ولا تُساورُ جَبَانًا ولا مَبْطِطًا عن آتِهازِ الفرصةِ الممكنةِ ، ولا مَتَهَوَّرًا يَحْمِلُكَ عَلَى الْغِرَّةِ
 الْمُهْلِكَةِ ؛ وتَنانٌ فِي الآراءِ فَإِنَّ التَّائِيَّ يُجِئُ الْأَلْبَابَ ، وَيَجْلُو وَجَهَ الصَّوَابِ ، وَيَقْلُصُ
 سُجُوفَ الْأَرْتِيَابِ ؛ وَأَضْرِبْ بَعْضَ الآراءِ بَبْعِضٍ وَسَجِّلْهَا ، وَأَجَلْ فَكْرَكَ فِيهَا وَتَأَمَّلْهَا ؛
 فَإِذَا صَرَحْتَ عَنْ زُبْدَتِهَا ، وَأَنْشَقَّتْ أَكْثَمُهَا عَنْ ثَمَرَتِهَا ، فَأَمِضْ صَحِيحَتَهَا ، وَأَعْتَمِدْ
 نَجِيحَتَهَا ؛ وَإِذَا أَسْتَوَيْتَ بِكَ وَبِالْعَدُوِّ مَرَحِي ^(١) الْحَرْبِ فَخَرِّقْهُمْ بِنَارِ الطَّغْنِ ، وَأَذِقْهُمْ
 وَبَالَ أَمْرِهِمْ ، وَعَاقِبَةَ كُفْرِهِمْ ؛ وَلَا تَرَقِّ لَهُمْ ؛ وَأَتَّبِعْ مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِي الْغِلْظَةِ
 عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّهُ يَقُولُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ
 غِلْظَةً وَعَلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ . فَإِنْ جَنَحُوا لِلْسَّلَامِ وَالْمُؤَادَعَةِ مَصَانِعِينَ ، فَقَابِلْ
 بِالْقَبُولِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاذْجَحْ لَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ
 إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

وَأَبْذِلِ الْأَمَانَ لِمَنْ طَلَبَهُ ، وَأَعْرِضْهُ عَلَى مَنْ لَمْ يَطْلُبْهُ ، وَفِي مَنْ تُعَاهِدُهُ بِعَهْدِهِ ،
 وَأَثْبُتْ لِمَنْ تُعَاهِدُهُ عَلَى عَقْدِهِ ؛ وَلَا تَجْعَلْ مَا تُفْرِطُهُ مِنْ ذَلِكَ دَرِيْعَةً ، إِلَى الْخُدَيْعَةِ ،
 وَلَا وَسِيلَةً ، إِلَى الْغِيلَةِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا
 بِالْعُقُودِ ﴾ . وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : ” النَّاسُ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ “ وَإِذَا
 أَعَانَكَ اللَّهُ عَلَى افْتِتَاحِ مَعْقِلٍ مِنْ مَعَاقِلِ الْمُشْرِكِينَ ، وَأَسْتِضَاعَتِهِ إِلَى مَا بَايَدَى الْمُسْلِمِينَ ،
 فَارْفَعْ السِّيفَ عَنْ قَاطِنِيهِ ، وَأَعْتَمِدِ اللَّطْفَ بِالْمُقِيمِينَ فِيهِ ؛ وَأَدْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ،
 وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ مَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ أَهْلَهُ مِنْ كَرِيمِ الْمَقَامِ ؛ فَمَنْ أَجَابَكَ إِلَى اسْتِشْعَارِ ظِلِّهِ ،
 وَالْإِعْتِصَامِ بِجَبَلِهِ ؛ فَافْرِضْ لَهُ مَا تَفْرِضُهُ لِإِخْوَانِكَ فِي الدِّينِ ، وَأَصْنَمْ إِلَيْهِمْ مِنْ عِلْمَاءِ
 الْمُسْلِمِينَ مَنْ يُبَصِّرُهُمْ وَيُرْشِدُهُمْ ، وَيُثَقِّفُهُمْ وَيَسُدُّهُمْ ؛ وَخَيْرٌ مِنْ آثَرِ الْمَقَامِ عَلَى دِينِهِ
 بَيْنَ تَأْدِيَةِ الْجُزْيَةِ ، وَالْإِسْتِعْبَادِ وَالْمُلْكَةِ ؛ فَإِنْ أَدَّوْا الْجُزْيَةَ فَأَجْرُهُمْ مُجْرَى أَهْلِ الذِّمَّةِ

(١) أى المكان الذى تنور عليه رعى الحرب .

المعاهدين، وخصهم من الرعاية بما أمر به في الدين؛ وإن أبوا ذلك فإن الله تعالى قد أباح دماء رجالهم، واستعباد ذرائعهم ونسائهم؛ وأبتن بالمعقل مسجدا جامعاً يجمع فيه بالمسلمين، ويخطب على منبره لأمر المؤمنين؛ وأرفع منارته حتى تعلو على كنائس المشركين؛ وأنصب فيه إماماً يؤدي الصلاة في أوقاتها، وخطيباً مصقعا يخطب الناس ويعظهم، ومكبرين يدعون إلى الصلوات، ويهتفون على حقائق الأوقات؛ وقواماً وخدماً يتولون توير مصابيحهم، وتعهد تنظيفه وفرشه؛ وأطلق لهم من الأرزاق والجرايات ما يبعثهم على ملازمته ويعينهم على خدمته؛ وأحتط على من يحصل في يدك من أسرى المشركين، لتفدى بهم من في قبضتهم من أسراء المسلمين؛ وإذا عرضوا عليك الفداء فاحذر من خديعة تتم فيه، أو حيلة تتوجه في أفتكك معروف منهم يجهول من أهل الإسلام؛ وإن كان الله تعالى قد فضل أذنياء المسلمين على عظماء الملحين، ولم يسو بينهم في دنيا ولا آخرة ولا دين؛ إلا أن هذا مما يوجب الحزم الحوطة فيه. وإن ظفرت بنسيب لطاغيهم المتملك عليهم أو خصيص به فاحمله إلى حضرة أمير المؤمنين، ليقرّبها رهينة على من قبلهم من المأسورين، وسبيلاً إلى أتراح ما يبدّلونه في فدايته من المعادل والحصون. وقد أمضى لك أمير المؤمنين أن تعقد الهدنة معهم إذا رغبوا فيها على الشرائط التي تعود بعلو كلمة الله، وتجمع الخواطر والاستظهار للدولة؛ فعاقدهم محتاطاً، واشترط عليهم مشطاً، وتجرز في العقد مما يوجب تأولاً، ويدخل وهناً، ويطرق وهياً. وتحفظ بجوالى المعاهدين والأموال المقبوضة في داء الغلات والغنائم وسبي المشركين حتى يُجمل ذلك إلى بيت مال المسلمين؛ فينظر أمير المؤمنين في تفريقه على مستحقه، وإيصاله

(١) اشتهر هذا البناء على الألسنة وفي رسائل الأفاضل ولكن لم نجد في كتب اللغة وإنما الذي فيها بهذا المعنى «فلان منحصر بفلان أى خاص به وله به خصية» فنأمل.

إلى مستوجبِهِ ، وَأَخْصَ عَنْ أَحْوَالِ الْمُسْتَأْمِنِينَ إِلَيْكَ تَفْحَصًا يَكْشِفُ ضَمَائِرَهُمْ ، وَيُلْوِ سِرَائِرَهُمْ ؛ وَتَحْزِزُ مِنْهُمْ تَحْزِينَ يُؤْمِنُكَ مَكَائِدَهُمْ وَحِيلَهُمْ ، وَخَدَائِعَهُمْ وَغِيْلَهُمْ ؛ وَإِذَا نَازَلْتَ حِصْنًا مِنْ حُصُونِ الْكُفَّارِ ، فَكُنْ عَلَى يَقْظَةٍ مِنْ تَخَاتِلِهِمْ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ؛ وَانْصِبِ الْحَرَسَ وَالْأَرْصَادَ ، وَاحْذَرِ الْعِزَّةَ وَلَا تُهْمِلِ الْإِعْتِدَادَ : لَتَعْرِفَ أَعْدَاءَ اللَّهِ أَنْ طَرَفَكَ سَاهِدٌ ، وَجَنَانُكَ رَاصِدٌ ؛ وَتَفْقُدُ أَمْرَ الْجَيْشِ وَأَرْحَ عَلَّةٍ مِنْ تَرْقُبِهِ فِي الْأَطْمَاعِ وَالْمَوَائِدَاتِ ، وَمُطَوَّعَتِهِ فِي الْمَعَاوِنِ وَالْجَرَايَاتِ ؛ وَلَا تَغْفُلْ عَنْهُمْ غَفْلَةً تَضْطَرُّهُمْ إِلَى الْإِنْفِلَالِ ، وَتَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِنْفِصَالِ ؛ وَأَحْسِنُ إِلَى مَنْ حَسُنَ فِي الْكَفَاحِ أَثَرُهُ ، وَطَابَ فِي الْإِبْلَاءِ خَبَرُهُ ؛ وَعِدَّهُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحَبَاءِ الْجَزِيلِ ؛ وَالْعَطَاءِ وَالتَّوْبِيلِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ قَادِحٌ لِعِزَائِمِ الْأَوْلِيَاءِ ، بَاعَثُ لَهُمْ عَلَى التَّصَمُّيمِ فِي اللَّقَاءِ ؛ فَإِذَا أَنْتَ - بِمَشِيئَةِ اللَّهِ - شَفِيتَ الصَّدُورَ ، وَآخَذْتَ الْمَأْمُورَ ، وَأَعَزَّزْتَ الدِّينَ ، وَذَلَّلْتَ الْمُلْحِدِينَ ؛ وَدَوَّخْتَ الْبِلَادَ ، وَنَكَّسْتَ رُءُوسَ أَهْلِ الْعِنَادِ ، فَأَقْلَبْ بِعَسَاكِرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمُطَوَّعَةِ الْمُسْلِمِينَ ، إِلَى حَضْرَتِهِ وَائْتَقًا بِجَبِيلِ جَرَائِهِ ، وَجَلِيلِ حَبَائِهِ ؛ وَطَالِعْ فِي مَوْرِدِكَ وَمَصْدَرِكَ ، بِمَا يَجِدُّهُ اللَّهُ لَكَ وَيَفْتَحُهُ عَلَى يَدِكَ ؛ وَأَذْكُرْ مَا أَشْكَلُ عَلَيْكَ لِيُثَبِّتَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِالتَّبْصِيرِ وَالتَّوْقِيفِ ، وَالتَّعْلِيمِ وَالتَّعْرِيفِ ؛ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ فَهُوَ خَيْرُ مُعِينٍ ، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّهُ نَعَمُ الْوَكِيلُ .

هَذَا عَهْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ ، فَاعْمَلْ بِهِ وَأَنْتَ إِلَيْهِ يَسُدُّ اللَّهُ مَسَاعِيكَ ، وَيَصُوبُ مَرَامِيكَ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

قلت : وَأُورِدَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ مِنْ تَقَالِيدِ أَرْبَابِ السِّيُوفِ جُمْلَةٌ أَسْقَطَ مِنْ صَدْرِهَا التَّحْمِيدَاتُ .

مَا أُورِدَهُ فِي رِسْمِ تَقْلِيدِ الْإِمَارَةِ عَلَى قِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ أَنْ يُقَالَ بَعْدَ التَّحْمِيدِ مَا مِثَالُهُ :

وإنَّ الله تعالى أوجب طاعة أولى الأمر على كافة المؤمنين، وأكَّد فرضها على جميع المسلمين، فقال جل قائلًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ . علمًا منه تعالى بأنَّ الطاعة مِلَاكُ الأمر ونِظامه، ومِسَاكُ الجُمهور وقِوامه، وأنه لا يَتِمُّ سياسةٌ مع الشَّقَّاق والانْحِرَاف . وأمر سبحانه باستِجابة من ألقى العِصمة من يده، ونَبَذَ الطاعة وراء ظَهْرِهِ، بِشَافِي المَوَاعِظِ والتبصير، ونافع التنبيه والتذكير؛ فَإِنْ أَقْلَعَ وتاب، ورجع وأتاب؛ وإلا جُوهِدَ وقُوتِل، وقُوتِل بالردِّع حتَّى يُقْبَلَ ويعتصم بالطاعة، وينتظم في سِلْكِ الجماعة؛ فقال تعالى: ﴿وإنَّ طَائِفَتَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ . وقال: ﴿فَقَاتِلُوا آلَ لُحْيَانَ﴾ . حتَّى تَفِيءَ إلى أمر الله . وإنَّ الغلاة فارَقُوا آجتماع المسلمين، وأنسلَخُوا من طاعة أمير المؤمنين؛ ناذين لبيعته، شائين بطل دعوته؛ وشقُّوا عصا الإسلام، وأسَخَفُوا محمل الحرام، وأسَوَّطُوا مَرَكَبَ السيئات والآثام؛ وعَرَّجُوا عن قَويم السَّنَنِ، وسَمَّوْا بأراذل البدع أفاضل السَّنَنِ؛ وسَعَوْا في الأرض بالقَسَاد، وجَاهَرُوا بالعِصْيَان والعِناد؛ وكَاتَبُوا أمير المؤمنين مبصِّرًا، ومُعَذِّرًا مُنْذِرًا ونُحُوقًا مُحَذِّرًا؛ ودَعَاهُمْ إلى التي هي أصْلَحُ في الأولى والأخرى؛ وأرْجَحُ في البدء والعقبى؛ وأَعْلَمُهُمْ أَنَّ الله تعالى لا يقبل صلاتهم ولا صيامهم، ولا حَجَّهم ولا زكَّاتهم، ولا يُمِضِي قضاياهم ولا حُكوماتهم، ولا عقودهم ومُنَاكحاتهم، مادامُوا على معصية إمامهم، ومُفَارَقَةِ ولى أمرهم؛ الذي أوجب عليهم طاعته، وفرض في أعناقهم تِباعته؛ وتابَعَ في ذلك مواصلا، ووالاه مُكاتبًا ومُرَاسِلًا، فَأَصْرُوا على العُقُوق، وأسْتَمَرُّوا على أَطْرَاحِ الحُقُوق؛ ودَعَوْا إلى الأسْوَأِ لها من إقدام الجُيُوش عليهم، ونَقَلَ العساكر إليهم؛ ومقابلتهم بما يقوم أودهم، ويُصْلِحُ فاسدهم، ويزع جاهلهم، ويوقظ غافلهم .

(١) في الأصل الغلاب وليس بواضح المعنى والمراد البغاة .

وإنَّ أمير المؤمنين تخيَّرَكَ للتَّقدُّمِ على الجيشِ الهاتِفِ نحوهم : لما يعلمه من شَهامَتِكَ
وصَرَامَتِكَ ، وسَدَادِكَ وسياسَتِكَ ، وإخلاصِكَ ووفائِكَ ، وكِفايَتِكَ وغَنائِكَ ،
(ويوصفُ بما تقتضيه منزلته ، والأمر الذي هو أهلُ له) .

وهو يأمُرُكَ أنْ تَقدِّمَ النُّفُوزَ إليهم ، مستنْجِجاً دِعاءَ أمير المؤمنين ، مستنزِلاً
لِصُرُوفِ الغالبين ، مستشعِراً لباسَ التقوى ، في الإعلانِ والنَّجْوَى ، فإذا نازَلْتَهُمْ
في عُقْرِ دارِهِمْ ، فأذِقْهُمْ بالمُضايقةِ وبالْأمرِ بِهِمْ ، وأسَلِّكْ بِهِمْ سَبِيلَ أمير المؤمنين
وأفْتَتِحْهُمْ بالإرشادِ ، وحُضِّمْهُمْ على ما يقضِي بِصَلاحِ الدنيا والمَعَادِ ، فإنْ أَسْتَقامُوا
وتَنَصَّلُوا وراجِعُوا ورجِعُوا فَأَعْطِهِم الأمانَ ، وأَقِضْ عَلَيْهِمْ ظِلَّ الإحسانِ ، وإنْ
أَصْرُوا وتمَرَّدُوا ، وجَاهِدُوا وأَعْتَدُوا ، فشمِّرْ لِمنازلَتِهِمْ ، وصَمِّمْ في مَقاتِلَتِهِمْ ، واثقاً بأن
الله تعالى قد قضَى بالنصرِ لأولياءِ أمير المؤمنين وأهل طاعته ، وإلْخِذْ لَأنْ أعدائِهِ
وأهل مَعْصِيَتِهِ ، إِبَانَةً بِذلك عن تَأْيِيدِهِ لِمَنْ أَعْتَصَمَ بِجِهْلِهِ ، ودَفْعِهِ لِمَنْ أَسْلَخَ مِنْ ظِلِّهِ ؛
وُحْجَةً بِالغَةِ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِطَاعَتِهِ ، ومَوْعِظَةً شَافِيَةً لِمَنْ أَسْتَخَفَّ بِجَهْلِ مَعْصِيَتِهِ ؛ فإنْ
مَلَّكَكَ اللهُ تعالى البلادَ ، وطَهَّرَها مِنْ أَهْلِ الفِسادِ ؛ وَشَرَّدَ عَنْها الدُّعَارَ والأَشْرارَ ،
إلى أَقاصِي الدِّيَارِ ؛ فَاجْبُبْ نَواعِيقَ الفِتْنَةِ والضَّلالةِ ، وَعَفِّ أَثَارَ ذَوِي النِّغَمِ والجَهْلَالِ ؛
وَأَسْبِغِ الأَمْنَ على أَهْلِ السَّلامَةِ ، وأَفْرِغِ العَدَلَ على مَنْ سَلَكَ سَبِيلَ الاستِقَامَةِ ؛
وأَجْرِ الأَمْرَ في الخُطْبَةِ لِأَمِيرِ المؤمنين على الرِّسْمِ المُحدودِ ، والمَنْهَجِ المَعهودِ ؛ وطالِعْهُ
بِمَا أَتَيْتَ إِلَيْهِ ، لِيَكاتِبَكَ بِمَا تَعَمَّدُ عَلَيْهِ .

ويُضَمَّنُ هذا العهد ما يقع فيه من شروط العهد المتقدم ، ويُؤَمَّرُ أَنْ لا يَستَصحِبَ
مِنَ الجُنْدِ إِلا مَنْ يَثِيقُ بِإِخلاصِهِ وصفائِهِ ، وَيَسْكُنُ إلى أَمَانَتِهِ ووفائِهِ ؛ وَأَنْ يَرْفُضَ
المدخولُ النَّيَّةَ ، النِّغْلَ الطَّوِيَّةَ ، فَإِنَّهُ لا شَيْءَ أَضَرُّ على المَحارِبَةِ مِنْ لِقَاءِ عَدُوِّ بِجَيْشٍ

مُخَامِرِينَ، وجندٌ مُمَّاكِرِينَ ؛ وقد يكون في العساكر مَنْ يُدَاهِنُ ويظهر الخِدمة وهو في مثل العَدُوِّ : إِمَّا لَأَنَّهُ بَيْنَهُمَا سَالَفٌ وَدَادٌ وَوَلَايَةٌ قَدْ تَأَصَّلَتْ بِإِطَاعٍ وَإِفْسَادٍ ، أَوْ يَكُونُ لِسُلْطَانِهِ قَلِيلَ الْإِحْمَادِ . وهذا الذى أوردناه ليس بمثال جامع وإنما هو الذى يَتميز به هذا المَهْدُ عَمَّا تَقَدَّمَهُ ، والكاتبُ إِذَا أَحْتَاجَ إِلَى اسْتِعْمَالِهِ رَتَّبَهُ وَقَدَّمَ مَا يَجِبُ تَقْدِيمُهُ ، وَأَخَّرَ مَا يَجِبُ تَأْخِيرُهُ [أَضَافَ إِلَيْهِ مَا تَجِبُ] إِضَافَتُهُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة سَجَلٌ بولاية مصر، وهى :

الحمد لله، الموفق إلى دواعى رضاه، المحسن العون على ما أوجب المزيد من إفضاله وأقتضاه ؛ المنيب على ما هدى إليه من طاعته ، القابل عمل من استنفد في الشكر أقصى طاقته ؛ المتكفل بمصالح عبادِهِ، المولى من مواهبه ما تعجز الخواطر والألسنة عن تعدادهِ ؛ وصلى الله على جدنا محمد الذى جعل أتباعه سبيلاً إلى سكَن جنات الخُلُود ، وآلت بهداه نار الكفر إلى الهُمُود والخُمُود ؛ وأنقذ من مهاوى الضلال ، ووسم من حادّه وحادّ عن سبيله بالصغار والإذلال ؛ وخلف في أمته الثقلين كتاب الله وعترته ، وأبقى بهما فيهم آيته وهدايته ؛ وعلى أخيه وأبن عمّه أبينا أمير المؤمنين على بن أبى طالب مُبرم أسباب الشريعة ومُحكّمها ، ومُطلق سيوفه في نفوس أعداء الملة ومُحكّمها ؛ وباب مدينة علم النبوة التى لا يُدخَل إليها إلّا منه ، وسيد من عَنَاهُم الله بقوله : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ وعلى أئمة الهداة قوَام الإسلام ، وساسة الأنام ؛ وخلفاء الله فى أرضه ، والموفين بعهده والأمينين بأداء سُنَّته وفرضه ؛ ورُكني العصمة الذى من لجأ إليه نجا ، والحِصن الذى ما خاب من أمّه فرجاً منه فرجاً ؛ وسلّم وعظّم ، ووالى وكرّم .

وإن أمير المؤمنين لما أودعه الله إياه من أسرار الحكمه ، وأجتهه له من إمامه الأئمه ؛ وأختاره له من كلاء الخليفة وإيالتها ، وحفظ حوزتها من المخاوف ورعايتها ؛ وما خصه به من بؤنة النبوة والرسالة ، وأفرد به رأيه من الجزالة والأصالة ؛ وأكتنف به أنحاه من التوفيق الذي لا يصدف عن غرض الإصابت ولا يبعد ، وعصده به من التأييد القاضى لغزائمه ببلوغ الغرض فى نصرة التوحيد ؛ وأستودعه إياه من الإقبال الذى يجعل المستحيل لمأاده إمكانا ، والتأييد الذى أوضح به لإمامته برهانا ، وتوحدته به من العظمة التى تُصيب بها مراميه مواقع الرِّشاد ، وتضمن الخيرة لما يعانیه من الأمور مما سَدَّ وساد - يُعْمِلُ خواطره فيما يكفل للنفوس برضاها ، ويُجْزِلُ للدين والدنيا به حظاها ، وتتظاهر به ضروبُ الصلاح على الأئمة ، وتحيا به سنن الخيرات وتتم النعمة ؛ وينظر لمن أستودعه الله إياهم من بريته نظر المؤدى الأمانة إلى مؤتمنه ، المستودع فيما يتقرب به إليه من البرِّ شكر سوابغ منائحه ومنته ؛ ويُقَرِّب على الأمة مثال الخير بأصطفائه من يكون لأفاضل الشيم مستكبرا ، وإلى ما أزلفه إلى الله سبحانه من طاعة أمير المؤمنين متوصلا ، ولشواذِّ الثناء بفاضل سيرته متحليا ، وللتسّمح فى قوانين السياسة مجتنباً ؛ ولما علم [رغبة] الرعية فيه متصباً ، وفيما بلغهم أقصى الآمال متسبباً ؛ وبمراقبة الله فيما يأتى ويذر متدينا ، وبجُسن الجزاء على العمل بمرضاته متيقنا : ليكون أمير المؤمنين قد قضى [ما أوجبه عليه] مستخلفه بأجتهائه وأصطفائه ، وأستحمد إليه بإسناد جلائل الخدم إليه وأستكفائه ؛ وأتى ما تكون السلامة مضمونة فى مباديه وعواقبه ، وأحظى بنيل المراد فى جميع جهاته وجوانبه ؛ مستديماً نعم الله التى أسداها إليه وأولاهها ، مُواصلاً حمده على منته التى ظاهرها عليه وآلاها ؛ ويستعينه على لَوَازِمِ عَوَافِيه التى من أجلها خطراً ، وأحمدُها فى البرية أئرا ، وأجمعها لمَنافع الخاص والعام ، وأعوذُها بحماية حوزة الإسلام ؛ وأشهدها

ببراهين الأئمة ، وأدلهما على عناية الله بهذه الأئمة ، مأمّنه أمير المؤمنين من موازنة
فناه ووزيره ، ومعينه على المصالح وظهيره ، السيد الأجل العادل أمير الجيوش
أبي الحسن على الظافرى ، - والدعاء - الذى أظهر الله به لأمر المؤمنين آيات
حقوقه ، وأستأصل بئاسه شافة من تتابع فى مروقه وبالغ فى عقوقه ، وكسا الدهر
بإيالته ملايس الجمال ، وفسح بفاضل سيرته مجال الآمال ، وبذل من الجهاد غاية
الاجتهاد ، ووالى من عمارة البلاد ما أنطق بحمده الجماد ، وأستخلص نخائل الصدور
بلطف سياسته ووسع عدله ، ورغبت غرائب الآمال فى الإيواء إلى سابغ فضله ،
وتبارت الليالى والأيام فى خدمة أغراضه فى أعاديه ، وأسترقّ قلوب الأولياء بما يؤالیه
من بيض أياديه ، ووضع الأشياء فى مواضعها غير مُحابٍ ولا مرخص ، ولم يحظ
بأيامه النيرة غير الطائع المخلص ، ولم يتفق للباطل سوق ، وأنت سيرته بما يرضى
الخالق والمخلوق ، فالله تعالى يجعل مدته غير متناهية إلى مدى ، والنصر والتوفيق
لآرائه مددا ، ويخلّد أبدا سعده ، ويُنجز لأمر المؤمنين على يده وعده .

ولما كانت منزلته عند أمير المؤمنين المترلة التى نتطامن دونهما المنازل والرتب ،
وجلت أن ينالها أحد ممن بعد أو قرب ، وأفعاله قدوة يهتدى بأمثالها فى الشكوك ،
وسيرته قد عظمت عن أن تتعاطى مماثلتها هم الملوك ، ومحله عنده من الكمال بحيث
تستحكم الثقة بأختياره ، ويرجع فى عقد الأمور وحلّها إلى اتباع آثاره وموافقة
إيثاره ، وكانت مراتب الأولياء عند أمير المؤمنين بحسب مراتبهم من قربه ،
وموضعهم من رضاه مضاهياً لموضعهم من قلبه ، ومكانهم من الخطوة لديه مناسبا
لمكانهم من الرقة عنده ، وأحقهم بسناء الرتب من أقبسه زنده وكساه مجده ، ولا سيما
من لم يخرج منه عن حكم الولد ، وحلّ منه محلّ القلب من الكيد ، ونشأ فى دوحته
غصنا نصيرا ، وطلع فى سماء جلاله قرا منيرا ، وأعتلى بجده ، وقطع بحده ، وتظاهرت

شواهد سَعْدِهِ فِي مَهْدِهِ ؛ وَكُنْتَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ الْحَاوِي لِهَذَا الْفَضْلِ الْمَبِينِ ، الْمَعْتَلِقَ مِنْ وِلَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحَبْلِ الْمَتِينِ ؛ الَّذِي نَشَأَ مُتَوَقِّلاً فِي دَرَجِ الْمَعَالَى ، وَغَدَا مُتَقَبِّلاً فِي ظِلَالِ الصُّورِ وَالْعَوَالِي ؛ وَأَخَذْتَ بِمَرَّاشِدِ السَّيِّدِ الْأَجَلِّ الْعَادِلِ فَرِذْتَ عَنِ الظُّنُونِ وَأَوْفَيْتَ ، وَوَعَدْتَ عَنْكَ فَصَدَقْتَ ضَمَانَهَا وَوَفَّيْتَ ؛ وَمَا زِلْتَ بَعِينَ الْإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ . مَمْنُوحاً ، وَبِأَفْضَلِ خِلَالِ الرُّؤَسَاءِ مُنْوَحاً ؛ وَبِحُلَّائِلِ الْمَرَاتِبِ مُؤَهَّلًا ، وَبِلِسَانِ الْإِجْمَاعِ مَفْضَلًا ؛ وَلِمَا أَعْيَا مِنْ أَدْوَاءِ التَّفَاقُ حَاسِمًا ، وَفِي مَوَاقِفِ الْخَوَافِ رَابِطَ الْجَاشِ حَازِمًا ؛ وَلِمَا يُعَدُّ الْأَمَاجِدُ لَهُ مَذْخُورَ الْمَضَاءِ ، وَفِيَا تُعَانِيهِ وَتَلَايُسُهُ مُوَفِّقُ الْآرَاءِ ؛ وَقَدْ أَكْتَفَيْتُكَ مِنْ أَتْبَاعِكَ هَدَى السَّيِّدِ الْأَجَلِّ الْعَادِلِ - أَدَامَ اللَّهُ قُدْرَتَهُ وَوِلَاةَهُ - نَاصِرِ الدِّينِ ، الْأَجَلِّ الْمَظْفَرِ الْمُقَدِّمِ الْأَمِينِ ؛ سَيْفِ الْإِمَامِ ، رَكْنِ الْإِسْلَامِ ، شَرِيفِ الْأَنْبَاءِ ؛ نَخْرِ الْمُلُوكِ ، مُقَدِّمِ الْجِيُوشِ ، ذِي الْفَضَائِلِ ، خَلِيلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ أَبِي الْفَضَائِلِ عَبَّاسِ الظَّافِرِ الْعَادِلِ ، أَدَامَ اللَّهُ بِهِ الْإِمْتِنَاعَ ، وَعَضَّدَهُ وَأَحْسَنَ عَنْهُ الدِّفَاعَ ، الَّذِي هُوَ نَخْرُ الْمُلُوكِ وَنَجْلُهُمْ ، وَأَثَرَاهُمْ مِنَ الْمَفَاحِرِ وَأَجْلُهُمْ ؛ وَأَقْدَمُهُمْ فِي الرِّيَاسَةِ قَدَمًا وَأَعْرَفُهُمْ ، وَأَطْيَبُهُمْ أَرْجَ نِشَاءٍ وَأَعْبَقُهُمْ - مَا جَعَلَكَ أَعْلَى الْأَعْيَانِ مَفْخَرًا ، وَأَكْرَمَ الْجَوَاهِرِ عُضْرًا ؛ وَأَوْلَاهُمْ بِالْأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَطَانِهِ ، وَأَسْبَقَهُمْ فِي مِضْمَارِ اخْتِيَارِهِ وَاجْتِبَائِهِ ؛ وَأَثَبْتَهُمْ عِنْدَهُ مَكَانَهُ ، وَأَحْرَاهُمْ فِي خِدْمَةِ بَتَّادِيَةِ الْأَمَانَةِ ؛ وَقَدْ عَرَفَ مِنْ مَوَاقِفِكَ الْمَشْهُودَةَ ، وَمَقَامَاتِكَ الْمُحْمُودَةَ ؛ مَا كَانَ مِنْكَ فِي نَوْبَةِ ابْنِ مَصَّالٍ وَجُمُوعِ ضَمَالِهِ ، وَمَا اسْتَفَاضَ مِنْ كَوْنِكَ سَبَبَ أَنْهَزَامِهِ وَأَنْفِلَالِهِ ؛ وَأَقْتَلَابِ تَدْيِيرِهِ عَلَيْهِ وَأَنْعِكَاسِهِ ، وَالتَّفْرِيقِ بَيْنَ جَسَدِهِ وَرَأْسِهِ ؛ وَحَصَلَ لَكَ بِذَلِكَ مِنْ إِحْسَادِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا لَا يَبْلُغُ الْوَصْفُ مَدَاهُ ، إِذْ كَانَ قَدْ جَرَّدَ سَيْفَ نَصْرِ وَالدِّكَ الْأَجَلِّ الْمَظْفَرِ وَأَنْتَ حَدَاهُ - رَأَيْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - وَبِاللَّهِ تَوْفِيقُهُ - أَنْ لَا يُضَيِّعَ مَا فِيكَ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونٍ ، وَلَا يَرْجِعَ فِي أَمْرِ نَبَاهَتِكَ إِلَى مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ السُّنُونُ ؛ إِذْ كُنْتَ لِلْكَمَالِ مَعَ فِتَاءِ السَّنِّ

حائرا ، وبمزيةً أصطناع أمير المؤمنين واختياره إياك فائزا ، وفاوض السيد الأجل العادل - أدام الله قدرته - في تشريفك بولاية يكشف بها شُفوف جوهرك ، ويوضح لكافة البرية بمباشرتك إياها ما استقر عنده من جميل مُحْتَبَرِك ؛ ووقع التعيين على تقليدك ولاية مصر وما مع ذلك من الصناعتين وغيرهما من حقوقهما . فامضِ أمير المؤمنين ذلك لما لهذه الولاية من الحُطوة بالقُرب والدُّق ، وليوقِّر على الإيثار على أن يبلغ نظرك إلى غايات العلو والسمو ؛ ونرج أمره إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل بتقليدك الخدمة المذكورة : علما بانتظام شُئونها بآلائك ، وحياطة حوزتها بسطاك ومهاتيك ؛ وتحقيقاً أن بسياستك تعمها المصالح ، وتظاهرها عليها الميامن والمناسج ؛ وتظهر لها الحجة في الافتخار ، على سائر الأمصار ، وتستأنف بمقارنتك من الميزة ما لم تحظ به فيما سلف من الأعصار ؛ ويتضح بك البرهان لمن بالغ في تفضيلها ، وتنال من فائض العدل بسيرتك ما تكاد تغنى به عن نيلها .

فقلد ما قلدك أمير المؤمنين من ذلك : معتمداً على تقوى الله الذى إليه تصير الأمور ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ؛ قال الله تعالى في محكم كتابه المبين : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ . وأجعل من تحويه هذه المدينة بالعدل مشمولين ، وعلى أجمل السيرة والرسوم محمولين ؛ وساو في الحكم بين الشريف والدنى ، وآس في المقدار بين الملى والدنى ؛ وأقم الحدود على من يجب عليه بمقتضى الكتاب وصحيح الآثار ، ولا تتعدّها بإفلال ولا إكثار . وفي هذه المدينة من ذوى الأنساب ، وأعيان الأجناد ومتميزى الكُتّاب ؛ وأماثل الشهود : فأعتمد تمييزهم والاحتفاء بهم ، ومعوّتهم على مطالبهم ومحابهم ؛ وكذلك من تضمّنت هذه الولاية من الثُجّار والرعية . وتوَحَّهم بما يُسكّن جاشهم ، ويُزيل آسِيحاشهم ؛ ويُفسح لهم في الرجاء والأمل ، ويُعينهم على صالح العمل . وتقدّم بحفظ الجامع العتيق وصونه

وتوفيره ، على ما يليق به وتوقيره ؛ وأمنع من آتذاله في غير ما جُعل له ، ونُصب له ، من الإعلان بذكره فيه وأهله ؛ ووفرَّ تامَّ العناية ، وشاملَ الرعاية ؛ على مَنْ به من الفقهاء والعلماء ، والمتصدِّرين والقُرَّاء ؛ وحُضَّهم بالترجمة على المبالغة في طلب العلوم ، والترقُّد من صالح الأعمال ليوم الوقت المعلوم ؛ وخُذَّ جميع المستخدِّمين معك بلزوم الطرائق الحميدة ، والمقاصد المستوفقة السديده ؛ فمن آسَمَزَ على ما ترضاه من أجهاده ، وتستوفقه من صواب أعماده ، أبحرته على رَسمه في الرعاية ، وتوخَّيته بالصون والحماية ؛ ومَنْ كان بالخدم مُحِلًّا ، وسلوكه عما يلزمه ضالًّا مضلًّا ؛ فأوعِزْ بتأديبه ، وما يقضى بتقويمه وتهذيبه ؛ والثقة بوفور حظك من الصواب ، وإجرائك على ما يئناط بك على الاستتباب ، أغنى عن الإطالة لك في الوصايا والإسهاب ؛ والله تعالى يقرُنُ الخير بما تنظر فيه ، ويجعل التوفيق مضموناً فيما تدره وتأتيه ؛ ويُنيلك من رُتب السعادة ما أنت له أهل ، ويُتمِّ نعمته عليك كما أتمها على أبويك من قبل ؛ فاعلم هذا وأعمل به ، إن شاء الله تعالى .



ومن السجلات بالوظائف الدينية على هذه الطريقة ما كتب به القاضي الفاضل عن العاضد بولاية بعض القضاة ، وهو :

الحمد لله الواسعة عطاياه ، الوازعة قضاياه ؛ المشتملة على أقسام الخلق قسمه ، المبرور في سؤا لهم يوم فصل القضاء قسمه ؛ المسطور في كتابه الذي ما قرط فيه من شيء محلل الشرع ومحرمه ؛ المتمثل فيه لمن مثله مطاع الأمر ومسلمه ؛ الكريم الذي لا يضيع ثواب العاملين ، ولا يقطع أسباب الآملين ، ولا يمنع طلاب السائلين ؛ العدل الذي قامت حجته على الناكبين والعادلين ، والحق الذي يقضى بالحق وهو خير

الفاسلين؛ مُصَنِّى مَسَارِعِ الشَّرِيعَةِ مِنْ أَعْرَاضِ الْكَدَرِ ، وَحَامِي مَعَاقِلِ الْمَلَّةِ
 مِنْ آتِنَاقَاضِ الْمَدَرِ؛ وَمَنَزَّةَ أَوْلِيَائِهِ مِنْ مَحَاسِنِهَا فِي رِيَاضِ الْفِكْرِ ، وَمَعْرِفِهِمْ بِمَا عَرَضَ
 عَلَيْهِمْ مِنْ إِنْآقَتِهَا لِآرْتِيَاضِ النَّظَرِ ، وَآرْتِكَاضِ الْفِطَنِ وَالْفِطَرِ ؛ جَاعِلِ الْحُكْمِ سُلْطَانَهُ
 الَّذِي يَأْوِي اللَّهِيْفُ إِلَى ظِلِّهِ ، وَحِمَاهُ الَّذِي يَنْجُو الضَّعِيفَ إِلَى عَدْلِهِ ؛ وَمَقَرَّعَ
 الرَّائِعِ الَّذِي يَقِفُ الْمَشْرُوفُ وَالشَّرِيفُ عِنْدَ فَضْلِهِ ، وَشَفَاءَ الْعِلَالِ الَّذِي يَذْهَبُ
 بِكُلِّ [مَافِي] صَدْرٍ مِنْ عِلَّةٍ ؛ وَمَشْرِعَ الْإِنْصَافِ الَّذِي يُفْضِي إِلَى الظَّلَامِ فَيُضِ سَجَلَهُ ،
 وَمَوْعِدَ الْخَلَائِقِ يَوْمَ تُطْوَى السَّمَاءُ كَطَيِّ سَجَلِهِ ، وَمُظْهِرَ لِيُظْهِرَ بِهِ هَذَا الدِّينَ عَلَى
 الدِّينِ كُلِّهِ ؛ وَالْأَمْرِ فِيمَا أَشْكَلَ مِنْهُ بِالتَّعْرِيجِ إِلَى مَسْتَنْبِطِهِ مِنْ أَهْلِهِ ، وَجَاعِلِ الْأُئِمَّةِ
 الْهَادِينَ الْجُجَّجَ عَلَى مَنْ رَجَعَ إِلَى قِيَاسِ عَقْلِهِ أَوْ تَقْلِيدِ جَهْلِهِ ؛ وَأَحَدَ الثَّقَلَيْنِ الَّذِي
 يَخَفُّ عَنْ كُلِّ غَارِبٍ كُلِّ ثِقَلِهِ ، وَأَخُوهُ الْكِتَابُ فَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يردَا الْحَوْضَ يَوْمَ
 نَهْلِهِ وَعَلَّهِ ؛ وَصِرَاطَهُ الْمُسْتَقِيمَ الَّذِي مِنْ أَتَى الْيَوْمَ فِيهَا بَرْزَةَ رَأْيِهِ أَتَى غَدَا بَرْزَةَ فِعْلِهِ ،
 وَمَنَارَ الْأَنْوَارِ الْمَضْرُوبَ عَلَى طُرُقِ السَّارَى فِي لَيْلِ الضَّلَالِ وَسُبُلِهِ ، وَسَبَبَ الْعِصْمَةِ
 الَّتِي أَشَارَ فِيهَا إِلَى الْإِعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ ؛ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى جَدِّنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي عَظُمَ بِهِ جَدَّنَا ،
 وَاعْتَلَقَ بِسَبَبِهِ مَجْدُنَا ؛ وَوَجَبَ بِهِ عَلَى كُلِّ مَنْ وَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَدُّنَا ، وَأُورَثَنَا مِنْ
 عِلْمِهِ مَا حَازَلْنَا شَرَفِي الدِّينِ وَالْدُّنَا ؛ وَحَلَمَ بِهِ نَجِيرٍ مِنْ ضَاقَتِ بِهِ الْمَذَاهِبُ فَرَجَا
 فَرَجَا ، وَحَكَمَهُ الْمَشْرُكُونَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ فَلَمْ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ بِمَا قَضَى حَرَجًا ؛ وَعَلَى
 أَخِيهِ وَأَبْنِ عَمِّهِ ، الْقَائِمِ مَقَامَهُ بِفَضْلِ حَكَمِهِ وَفَضْلِ عِلْمِهِ ؛ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بْنِ
 أَبِي طَالِبٍ الَّذِي حُرَّزَلَهُ مِنَ الْمَكْرُمَاتِ لُبَابُهَا ، وَطَابَتْ بُغْيَارُ حِلْمِهِ إِقَامَةُ الْأَلْبَابِ
 وَإِلْبَابُهَا ؛ وَمِيزَهُ عَلَى الْكَافَّةِ بِقَوْلِهِ : ” أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلَى بَابُهَا “ وَشَهِدَ طَوْرًا بِأَنَّهُ

أفتاهم ، فَعَلِمَ أَنَّهُ أَقْرَبُهُمْ بِهِ شَبَهاً وَفِي مَدَى الْفَضْلِ أَقْصَاهُمْ ؛ وَعَلَى الْأَثْمَةِ مِنْ ذَرِّيَتِهِمَا
الَّذِينَ أَنْعَمُوا فَأَجْرَلُوا ، وَحَكَمُوا فَعَدَلُوا ، وَحَمَلُوا ثِقَلَ الْأَمَانَةِ فَحَمَلُوا ، وَجَاهَدُوا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَعَلُوا بِمَا فَعَلُوا ؛ وَاسْتَوْجَبُوا الْحَمْدَ بِمَا أَوْلَوْا وَالْأَجْرَ بِمَا وُلُّوا ؛ صَلَاةٌ
مَأْمُونَةٌ مِنَ الشُّبُهَاتِ ، مَتَوَصَّحَةٌ الشَّيَاطِينِ .

ولما كان حُكْمُ الصَّوَابِ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ يُخْتَارَ مَنْ بَانَ صَوَابُهُ وَاتَّضَحَ ،
وَبَانَ عَنْهُ حُكْمُ الْهَوَى الَّذِي فَضَحَ ؛ وَأَصْغَى ضَمِيرَهُ إِلَى لِسَانِ الْحَقِّ الَّذِي فَصَحَ ،
وَعَرَضَ جَوْهَرَهُ عَلَى حَكِّ النَّقْدِ فَصَحَ ؛ وَمَيَّزَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرِّجَالِ فَتَقَلَّ وَزَنَا وَرَجَحَ ،
وَاحْتَجَّ بِهِ الْإِسْلَامُ عَلَى مَنْ نَوَى مُنَاوَاةَ فَتَجَحَّ ؛ وَوَلَّى الْأَحْكَامَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فَأُصْلِحَ
وَصَلَحَ ، وَتَسَمَّحَ إِذَا كَانَ الْحَقُّ لَهُ وَإِذَا مَا كَانَ فِيهِ فَمَا أَسْمَحَ وَلَا سَمَحَ ؛ وَجَدَّدَ
جِدَّهُ مِنْ مَعَالِمِ الْعُلُومِ مَا صَحَّ رُسْمُهُ وَأُخِّحَ ^(١) ، وَأَطْلَعَتْهُ عَلَى خَفَايَا الْمَشْكَلاتِ بِدِيَهَةِ فِكْرِهِ
لَمَّا لَمَحَ ؛ وَمَلَكَ عِنَانَ هَوَاهُ رَأْيُهُ بَخْنَجَ إِلَى هَوَاهُ وَمَا جَمَعَ ، وَشَرَحَ صَدْرَ الْأَخْتِيَارِ
بِمَا مَلَأَ الْأَخْيَارَ مِنْ مَحَاسِنِهِ وَشَرَحَ ، وَتَعَالَى الْإِفْتِرَاحُ لِهَذِهِ الْمَرْتَبَةِ فَكَانَ وَفْقَ مَا أَرَادَ
وَفَوْقَ مَا اقْتَرَحَ ؛ وَتَشَبَّثَ بِعَيْنِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَتَمَسَّكَ ، وَتَنَزَّهَ عَنْ دَاءٍ يَلَازِمُهَا
وَأَعْرَاضَ تَسْنِينِهَا وَتَسْنَكَ ؛ وَكَثُرَ الْخَوْضُ فِي الْبَاطِلِ فِيمَا صَدَعَ بِالْحَقِّ وَإِمَامًا أَمْسَكَ ،
وَأَعْدَى فَضْلَهُ وَفَضْلَهُ عَلَى مَنْ شَكَا أَوْشَكَ ؛ وَغَضَّ عَيْنَيْهِ عَمَّا أُعْطِيَ سِوَاهُ وَمَتَّعَ بِهِ ،
وَأَشْتَرَى طُولَ رَاحَتِهِ بِنَصْبِيهِ الْآنَ مِنْ نَصْبِهِ ، وَحَسَرَهُ (؟) النِّعْمَةُ مِنْ تَعْبِهِ ؛ وَأَيْسَ
الظَّالِمُ مِنَ مُمَالَاتِهِ وَمُبَالَاةِهِ ، وَطَمِعَ الْمَظْلُومُ بِقُرْبِ إِعَانَاتِهِ وَبُعْدِ إِعْنَاتِهِ ؛ وَمَرَّ مَرُّ
الدَّهْرِ وَحَلَا حُلُوهُ فَلَمْ يَشْهَدْ بِاسْتِمَالَاتِهِ عَنْ حَالَاتِهِ ، وَلَمْ يَرْضَ أَحَدُهُ حُكْمَ صَرَفِ
دَهْرِ يَجْرِي بِأَذَاتِهِ ؛ وَلَا كَشَفَتْ مِنْهُ التَّجَارِبُ إِلَّا عَنِ الْبُصَائِرِ الَّتِي تَرُوقُ السَّمَاعُ

(١) أى فإتقاد ولان ولا سمح أى جاد وسخا .

(٢) أى درس وعفا . انظر اللسان .

وَالنُّظَارَ، وَالْحَسَنَاتِ الَّتِي قَضَتْ بِصَائِرِهَا بِقَضَاءِ مَنَاطِرَةِ الْأَنْظَارِ؛ وَالدِّينَانِ الَّتِي عَمَرَتْ
الْحَارِيبَ فِي اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ، وَالْأَمَانَةِ الَّتِي آسَمْتَسَكَ عَقْدُهَا فَمَا خِيفَ عَلَيْهِ أَنْ
يَتَدَاعَى وَلَا أَنْ يَنْهَارَ، وَالصَّبَابَةِ الَّتِي آسَتَوَى فَوْقَ مَرْكَبِهَا فَخَلَّتْ بِجَنَابِ عَدْنِ تَجْرِ
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ .

وَلَمَّا كُنْتُ أَيُّهَا الْقَاضِي مُلْتَقِي هَذِهِ الْأَوْصَافِ وَطِيعَهَا، وَمَشْرِقَ نَحْرِهَا وَمَطْلَعَهَا،
وَمُلْتَقَى عَصَا أَرْتِيَادِهَا وَمَنْجَمَهَا، وَمَوْرِدَ قَرِطِ تِلْكَ الْأَمْوَالِ وَمَشْرِعَهَا، وَمُرَادَ هَذِهِ
السَّمَاتِ الَّتِي تَقَعُ مِنْكَ مَوْقِعَهَا، وَتَأَلَّفَ عِنْدَكَ مَوْضِعَهَا، وَأَصَلَ هَذِهِ الْمَحَامِدِ الَّتِي إِنْ
أَسْتَعَلَّقْتَ بِسِوَاهِ فَهِنَّ فَرَعَهَا، وَقَارَعَ صَفَاةَ هَذِهِ الذَّرْوَةِ الَّتِي مَا كَانَ لغيره أَنْ يَقَرَّعَهَا،
وَمَنْ تَعَدَّه الْخَنَاصِرُ أَتَقَى كُفَاةَ الرِّبِّ وَأَوْرَعَهَا، وَأَبْلَجَ أَبَاةَ الرِّبِّ وَأَرْدَعَهَا، وَأَشَدَّهَا
قِيَامًا وَمَقَامًا فِي ذَاتِ اللَّهِ وَإِنْ كَانَ لَهُ أَطْوَعَهَا، وَأَمْضَاهَا حَدًّا إِذَا كَفَّ الْبَاطِلَ
الْغُرُوبَ، وَأَشْرَقَهَا شَمْسًا لَا تَتَوَارَى بِحِجَابِ الْغُرُوبِ، وَأَقْوَاهَا سَلَّةً فِي تَنْفِيزِ حَكِيمٍ
حَقٌّ إِذَا ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ، وَأَنْقَاهَا صَحِيفَةً بِمَا أَوْدَعَهَا مِنْ نُورِ الْعَمَلِ
الْمَكْتُوبِ، وَأَبْدَاهَا زُهْدًا فِي دُنْيَاهُ إِذَا أُنْمُوا بِوَعْدِهَا الْكَاذِبِ أَمَلٍ إِيْتَائِهَا الْمَكْذُوبِ،
وَأَدْوَمَهَا مَصَاحِبَةً لَشُكْرٍ لَا يَسْتَقِيلُ بِهِ رَفِيقُهَا الْمَصْحُوبِ، وَأَقْوَمَهَا طَرِيقَةً فِي الْحَسَنَاتِ
فَمَا طَرِيقُهُ إِلَى الْخُوبِ بِمَلْحُوبٍ، وَأَقْوَاهَا طُمَأْنِينَةً قَلْبٍ إِلَى ذِكْرِ الَّذِي تَطْمَئِنُّ بِهِ
الْقُلُوبُ، وَأَنْهَضَهَا عَزْمًا بِمَا أَعْيَا الْهِمَمَ مِنْ تَكَالُيفِ الطَّاعَةِ وَآدَ بَسْمَعٍ وَبَصَرٍ وَفَوَادٍ،
وَأَقْدَرَهَا عَلَى مُجَاهَدَةِ الشَّهَوَاتِ أَشَدَّ الْجِهَادِ، وَأَنْظَرَهَا لِنَفْسِهِ فِي تَحْصِيلِ عَمَلٍ يَشْهَدُ
لَهُ يَوْمَ قِيَامِ الْأَشْهَادِ، وَأَمَهَّدَهَا لِحَبْنِهِ وَذَخَائِرِ التَّقْوَى نِعَمَ الْمِهَادِ .

(١)
وَالْيَقِينِ الَّذِي ظَهَرَتْ شَوَاهِدُهُ، وَالْعَمَلِ الَّذِي جُمِعَتْ إِلَيْكَ شَوَارِدُهُ،
وَالَّذِينَ صَفَتْ إِلَيْكَ مَوَارِدُهُ، وَالْعِلْمِ الَّذِي هَبَّتْ بِمَذَاكَرَتِكَ رَوَاكِدُهُ، وَالْفَهْمِ

الذى تظاهرت بمناظرتك مرشده؛ والنظر الذى ألقى فرسان الحدال بالحدالة،
والأثر الذى يقضى به عليك بالعدالة؛ والمحاماة عن الحق بما يقضى لمخالفه بالإذالة
ولؤالفة بالإدالة، والإرشاد الذى ما بدا لفهم الشاك إلا بدا له؛ والفتيا التى ضربت
تبع الباطل بسيفها، وحلت مسامع المستفيدين بسنوفها؛ والجلالة التى لا يمل
مسموع أوصافها، والعدالة التى لا يمل (?) مشروع انصافها؛ وكم ليلة أغمدت ظلامها
فى نور التهجّد والناس هجود، وسكنت جفون مناقبها بيقظات السجود، وأنشأت
الخشية غمامها فاطفات بماء الدمع النار ذات الوقود؛ وبلغت رياضة الجوارح
التي تريد ورياض القلب التى تزود؛ فأسفر الصبح منك عن سار واقف، وأستسر
لك القبول عن أنس خاف؛ وتأرجت أنفاس الأسمار باستغفارك، وتم عنوان
السجود بأسرارك، وأبيضت شية الليل بحلى آثارك؛ واكتفتك الطهارة حتى كأنك
مصحف، وأرهقتك الديانة حتى كأنك مرهف؛ وحالقت الركانة وكأنك مع
سلامة الخلق أحف، وتفتت السن فأبقت منك ما أبقت من سنان المثقف؛
وعرفتك الأحكام بأنك ماض على الحقائق عند الشبه تتوقف، وألفتك الزاهة
فشهد عدول أن نكرة المطامع عندك لا تتعرف؛ وصرقتك الزاهة عن دنيا إن كانت
عرائسها ترف فغدا مواردّها تُزف، واستشرفتك المنازل التى لا تزال بأعناق الأشراف
تُستشرف؛ وما رأست، حتى درست؛ ولا تنبّهت، حتى تفقّهت؛ ولا أقنيت
حتى أفنيت الحابر، ولا تصدّرت حتى تصبّرت على كلف تغلب الصابر؛ فما
حباك من حباك، ولا قدمك حتى علم أن سواك ماساواك؛ فرياستك لم تكن قلته،
واستشراف وجه الرياسة لك لم يكن لفته؛ بل تنقلت متدرّجا، وأخى عليك لسان
حقيقة ما كان متلججا؛ ولو أقعدك حسبك أو أباك، لقلبك المجد وما أباك؛

فكيف ولك نفس بنت لك الشرف الخالد ، وجمعت الطريف منه إلى التاليد ، ولم تقنع بما ورثت من تراث رياسة الوالد .

والسيد الأجل الذي أعاد إلى الدولة رونق نضارتها ، بعد رونق إضارتها ، وأفاضت عليه حيا إشارتها ، وأضافت إليه نص إشارتها ، وأعطته السعادة أفضل إمارتها ، بما أعطته من فضل وزارتها ، وأشملت معاني النجاح من صفحة بشره التي تجللك الآمال بشارتها ، وأقرت حركاته الخلافة في دارها والأنوار في دارتها ، وقصرت مهابته أيدي الأعداء بعد استطالتها ، وأنمدت نارهم بعد آس-تطارتها ، وذلت رياضته الأسود فلم ترع الأسماع بزأرها ولا العيون بزيارتها - يعذك للصدور صدرا ، ويعذك بما يرفع ذوى الأقدار قدرا ، ويذكرك بما تطيب به نشرنا ، ويحسن ملبوسه بشرا ، ويراك أولى من أقام الحق لازما جواده ، وأقعد الباطل حاسما مواءه ، ويصفك بالعدل الذي يتألم عليه الأضداد ، والسداد الذي لا يضرب بينك وبينه بالأسداد ، والنزاهة المنزهة عن التصنع بالرياء ، والسريرة الطيبة النشروالسيرة الحسنة الرواء .

ولما قرر لك النيابة عنه في الصلاة والخطابة والقضاء والمظالم والإشراف على الجوامع والمساجد ودار ضرب العين والورق والسكة بالحضرة وسائر أعمال المملكة ، أمضى أمير المؤمنين ماقرر ، وتخير لهذه العظيمة من تخير سكونا إلى أمانتك التي حملت نوقها ، وركونا إلى ديانتك التي أوجبت تطلع هذه الرتبة إليك وسوقها ، وعلم أنك فارسها الذي أوسع ميدانه ، وواحدتها الذي ربح ميزانه ، وكفؤها الذي تمكن مكانه .

فتقلد ما قلدت من ذلك عاملا بتقوى الله التي يفوز العامل بها في مواقف الإسقاط ، ويجوز بها السالك متالف الصراط ، ويجوز بها الآمل معارف الإحتياط ،

قال الله في فرقانه الذى نزل على عبده ليكون للعالمين نذيرا : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا﴾ .

والحكم فهو عقد اللباس دُنْيَا وَدِينَا ، وسبيل الحق الذى يسلكه مَنْ جَرَى شِمَالًا وَسَلَكَ يَمِينًا ، وبه كَفَّ الله الأيدي المتعديه ، وأُنْقَذَ من النار النفوس المترديه ؛ وأقام حدودَ كُلِّ مَنْ أَسْتَحَقَّهَا ولم يتوقَّها ، وأوجب قِصاصَ الدماء على مَنْ أَرَاقَهَا وَأَسْتَبَاحَ رَقَّهَا ، وبه يقف القوى والضعيف مَوْقفًا واحدًا ، وَيَظْهَرُ أولو عدلِ الله لمن كان بعين قلبه مُشَاهِدًا ، وبه تُنَبِّئُ مواقع التحليل والتحرير ، وفيه تُنَعِّنُ مقاطعُ الحُكْمِ بالتحكيم ، ولِمَجَالِسِهِ الوقارُ فهى جَنَّةٌ لَا تَغَوِّفُهَا وَلَا تَأْتِمُّ ، والظالمُ فيه وإن ظَفِرَ فَإِنَّمَا ظَفِيرٌ بما يُقْطَعُ له من نارِ الجحيم . ولا تجعل بين المتحاكمين إليك من فَرْقٍ ، وساوِ فى الحكم بين كافَّةِ الخلق ؛ وَلَا تَحْكُمْ بِحُجَّةِ أَحَدِ الخصمين وإن كان لها السَّبْقُ : ﴿فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ . وَلَا تَقْطَعْ بعلمك وإن كنتَ عليا ، وَلَا تُبَالِ فى الله أن تُغْضِبَ ظالما وتُرْضِيَ مظلوما ؛ وَأَجْعَلْ لنفسك من نَظَرِكَ وإصغائك بين المترافعين إليك مقسوما ، فلا تحقر خطأ الحكم وتجنب منه بينهما ما تجده [عند] الله عظيما : وَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تُكِنِّ لِلْغَائِبِينَ خَصِيما . وَتَجَلَّبُ بِالْوَقَارِ الذى يَبَيِّنُ فَضْلَ الْمَلِئَةِ ، ويشهد للكُفْرِ بِاللَّهِ ، وَيُلْبِسُكَ نَخْرَ السَّرَاةِ الْحَلَّةَ ، وَلَا يَمْنَعُكَ مَذْمُومُ التَّكَبُّرِ ، عن محمود التَّدَبُّرِ ، وَلَا جَبَرُ الْكَسْرِ التَّجَبُّرِ ، وَلَا خَيْرُ فِيمَنْ لَا يُمَيِّلُ رَوِيَّةَ التَّحِيرِ فَالْعَجَلَةُ تُضَيِّقُ مِيدَانَ التَّخِيرِ ؛ وَإِذَا أُوْضِخَ الْمُتَلَبِّسُ لِقَهْمِكَ ، وَعَزَّ الْقَطْعُ بِفَضْلِ حُكْمِكَ ، فَأَفْهَمِ الظَّالِمَ مَا تَوَجَّهَ عَلَيْهِ لَخْصَمِهِ ، فَرُبَّمَا أُوتِيَ مِنْ سُوءِ فَهْمِهِ لَامِنْ طَرِيقِ ظُلْمِهِ ؛ وَلَعَلَّهُ لَا يَجْمَعُ عَلَيْهِ بَيْنَ قَوْتِ مَرَادِهِ وَبَقَاءِ إِمْنِهِ ؛ وَذَاكَ الْمُقَدِّمِينَ عَلَى الْيَمِينِ ، بِمَا عَلَى مَنْ يَمِينُ ؛ وَأَنْ كَاذِبَهَا يَدَعِ الدِّيارَ

بَلَّاقِعَ ، وَأَنْ خَرَقَ الْجُرْأَةُ عَلَى اللَّهِ مَالَهُ مِنْ رَاقِعٍ ، وَصَرَعَةَ الْفَاجِرَ مَالَهَا مِنْ مَزِيلٍ
وَلَا رَافِعٍ ، وَمَنْ قَطَعَهُ الْحَصَرَ عَنِ الْإِفْصَاحِ ، وَصَرَفَهُ الْبَيْتُ عَنِ الْإِيضَاحِ ، فَاسْتَعْمِلَ
مَعَهُ أَنَاةً تَوْضَعُ مَا يَخْتَلِجُ فِي صَدْرِهِ ، وَرِفْقًا يُفْصَحُ مَا يَخْتَلِجُ فِي فِكْرِهِ ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : ” إِنَّكُمْ لَتَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَكُونَ الْحَنْ
بِحُجَّتِهِ مِنَ الْآخِرِ فَأَقْضِيَ لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ “ وَلَدْخُولِ الْمَجَالِسِ دَهْشَةُ تُورِثُ اللِّسَانَ
عُقْلَهُ ، وَلِمَفْاجَأَةِ الْحَافِلِ حَيْرَةٌ تُعْقِبُ الْبَيَانَ مُهْلَهُ ؛ فَوَاجِبٌ عَلَيْكَ مِنْ تَدَلُّهِ أَنْ تَدَلَّهُ ،
وَمَنْ يُشَدُّهُ أَنْ تُشَدَّهُ : لَتَقْضَى بِمَا تَقْضَى ، وَتُضَى الْحَكَمَ بِحَقِيقَةِ تَمْضَى ؛ وَإِنْ
تَجَبَّرَتْ قَضِيَّةٌ قَدْ فَرَطَتْ ، وَتَدَبَّرَتْ نَوْبَةٌ قَدْ أَفْرَطَتْ ؛ فَبَادِرْ بِأَسْتِدْرَاكِهَا ، قَبْلَ
وُقُوعِكَ فِي أَدْرَاكِهَا ، وَتَعَذُّرِكَ عَنْ إِدْرَاكِهَا ؛ وَلَسْتَ مَعْصُومًا مِنَ الْمَغَالِطِ ، وَلَا مَوْصُومًا
بِالْخَطِ الْفَارِطِ ، وَلَا مَلُومًا [إِلَّا] إِذَا أَقْتَتَ عَلَى مَا اللَّهُ مِنْهُ سَاخِطٌ ؛ فَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ مَنْ
أَتَى الْخِلَاقَ وَلَمْ يَتَّقِ الْخَلْقَ ؛ فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ
مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ .

وَكَلَّبُ اللَّهِ وَسَنَّهُ رَسُولُهُ السَّرَاجَانَ اللَّذَانِ مَا ضَلَّ هُدَاهُمَا ، وَالْمِهَادَانَ اللَّذَانِ
مَا أَوْصَحَهُمَا إِلَيْهِ وَأَبْدَاهُمَا ؛ وَقَدْ أَغْنَتْ نَصُوصُهُمَا عَنِ الْإِقْبَيسِ ، وَأَوْضَحَ خُصُوصُهُمَا
عَامَّةَ الْأُمُورِ الْمُلْتَبِسَةِ ؛ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ . وَقَالَ
تَعَالَى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ وَإِنْ أَشْكَلَتْ نَازِلَةٌ غَيْرُ
مَسْطُورَةٍ ، وَأَعْضَلَتْ وَاقِعَةً غَيْرُ مُحْصُورَةٍ ؛ فَاسْتَرْشِدْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَمْرِهَا ، وَقِفْ
عَلَى بَحَارِ عِلْمِهِ فَلَنْ تَعْدَمَ سَبِيحَ دَرَاهِمِهَا ؛ فَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ عِنْدَ التَّنَازُعِ بَأَنْ
نَزِدَ [إِلَيْهِ] مَا أَعْضَلَ ، وَأَنْتُمْ أَخَذْتُمْ لَلِاسْتِنْبَاطِ [إِلَامِنْ] ^(١) الَّذِينَ حَكَمَ اللَّهُ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ
مَا أَشْكَلَ .

(١) زدنا هاتين الكلمتين على ما في الاصل لأن الكلام بدون زيادتهما لا يفهم . تأمل .

والشهادة فلقد أمر الله بإقامتها وكفى بالله شهيدا ، وكفى بذلك جلالة وتمجيدا ؛
ولا تُتخذ إلا العدول المقانغ ، ولا تسمع منهم إلا لمن هو لأمر الله سامع ؛ فهم
الأعوان التي تُدفع بها نار جهنم ، والجُنن التي يَتَّق بها الحاكم سهام الآثام فيما حَلَّ
وحرَّم ؛ وإلى علمهم آتته مقاطع الحقوق التي الله بها أعلم ؛ وما سرى حكم إلا بعد
أن تجد أقواله دليلا ، ولك السمع ولهم البصر وكل أولئك كان عنه مَسْئولا ؛
وَأَسْتَشِفْ أمورهم فمن ألفتهم ألفا لمحجة الصواب ، عائفا لمضلة الإرتياب ؛ لأيحاف
بالإغصاب ؛ ولا يُحاف بالإرهاب ، ولا يحسب حسابا إلا ليوم الحساب ، فاسمع
مَقَالَتَه ، وأقر عدالتَه . ومن كان عن السبيل ناكبا ، وللهوى راكبا ؛ فأرجله عن
ظهر العدالة ، وتبع زلله بالإزالة ؛ وواصل فيهم السنة حكك ، وأوجه علمك ؛
فلا تستنب إلا من تعلم أن خطاه عليك وصوابه لك ، ولا تعول إلا على من لا يُججل
نفسك ولا يذم تعويلك .

وكتبتك فقلبه لسانك ، ولسانه ترجمانك ؛ إن وقع فإليك تُنسب مواقع توقيعه ،
وإن وصل حكما بمسطوره فمقدارك مسطور من مسموعه ؛ فلا ترض بالدون فما
يدون ، ولا تعول إلا على كل من تصور وتصون .

وحاجبك فهو عينك وإن سُمي حاجبا ، ووجهك الذي تلقى به إذا كنت غائبا ؛
فاختر من يكون متخييرا في المَقال ، متحليا بحسن الفِعال ، مجرّبا في جميع الأحوال ؛
لا يلتفت إلى دنياه دينه ، ولا يخونك أمانته ولا تمتد يمينه ، ولا يقول عنك
ولا عن نفسه إلا ما يزينك ويزينه ، ولا يخف إلى ما تخف به موازينه .

والخطباء قرّسان المنابر ، وألسنة المحاضر ، وتراجم الشعائر ؛ وأئمة المجامع ، وسُفراء
القلوب بوساطة المسامع لمقامها الرافع ، ومُبرها الفارع من القلوب على دائها ، وتدر

حرُّهُ شياطينَ الأُثم عندَ اعتدائها؛ ويُعرب عن الهداية ويبالغ بلاغته في إهدائها؛
ويتقنُ مخارجَ الحروف مُحسِّناً في أدائها وإبدائها، وتُحلُّ موعظته عن العيون الجامدة
عُقْدَ وكائها، وينادى القلوبَ الصِّديَّةَ فيكونَ صَدَاهُ صَوْبَ بكائها، ويستشعرُ أُرْدِيَّةَ
الوَقَارِ فتشهد المنابر له بارتدائها؛ وتغذى النفوسَ مواعظه إذا قصده باستنصارها
على القلوب وأستعدادها .

والأيتام فانت لهم والد ، وأجرُ نفقتك عليهم في الصحيفة وارد ؛ وهم ودائعُ الله
لديك ، وذخائرُ الآباء [١] لا أنهم في يدك ؛ فأحسن بهم السياسة بالشَّفَقه ، وأحسن
لهم التدبيرَ بالنَّفَقه ؛ ومن آنت رُشدَه ، فادفع ماله إليه ، ومن لم تسترشدْ قصده ،
فأنفق منه عليه ؛ قال الله تنبيهاً وتحذيراً : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ
حُوبًا كَبِيرًا ﴾ .

والمساجد بيوت الله التي يُسبِّحُ له فيها بالغُدُوِّ والآصال ، ومَظَانُّ العبادة التي يعمرها
أهل الاعتلاقِ بمَعْرِوفه والإفضال ؛ ومَصَاعِدُ الكَلِمِ الطيبِ والعملِ الصالح ، وأسواقُ
الآخرة التي يُوجب فيها المشترونَ صَفْقَةَ البَيْعِ الرَّابِحِ ؛ فعبّد الطريقَ إلى زيارتها ، وأشرح
قلوبَ المتطهرين بطهارتها ، وأنيسَ القائمين بالليل والمستغفرين بالأُتْحَارِ بِنَارِهَا .

والمضروبُ بدار الضرب فهو عينٌ ما تجب عليه الزَّكَاوات ، ونفسُ ما تُحَاوِرُ [به]
المستملكات ؛ ومدارُ ما تشتملُ عليه المعاملات ، وقيمُ ما تُحَقِّنُ به الدماء في الديات ،
ومنتهى ما تُوفِّي به الصَّدَقَات ؛ وتوصى به الصدقات ؛ فتولُّ أخذَ عيَّاره ،
ومباشرةَ تصفيةِ درْهمه وديناره ، وأخلِصه لتنجو من النار بلفحات ناره ؛ وأحفظْ
شكله الذي ينقش خاتم جوارِزه ؛ والأسماءُ المسطرة عليه وسيلةٌ أُمِّيَّازَه على بقية
الأحجار وإعزازَه .

والوكالة على باب الحكم فهي كفاح المتناضلين ، وسلاح المتناصلين ؛ ومن يتنفع بها لا يُعزل من الخطاب ، كما لا ينصب بها من يفتح له الباطل الأبواب ؛ فلا تُوعى إلا لمن حسنته الدربة ، في السرعة من القربة ، وتدبر قول الله : ﴿ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ ﴾ ممن يؤمن على النساء والرجال ، ولا يُعجبه إرسال لسانه في الحلال ، ولا يُبطل الحق إذا أطلق لسانه في سعة المجال .

والمتصرفون الذين هم أيدي الشريعة التي تُشخص الخصوم ، ويُستعان بهم على قمع الظلوم ونفع المظلوم ؛ فتخير أن يكون أكبرهم من أهل طبقته ، وأمدتهم تحسينا لسمعتهم وتحصينا لأمانته .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك فاهد بهديه ، وقم بفرض رعيه وحق وعيه ؛ وكريم سعى الآخرة أحسن سعيه ، وتصرف بين أمر الحق ونهيه ؛ والله سبحانه يبلغك من مناجح أمرك ، مالا تبأغه بمطامح فكرك ؛ ويسر لك من بديهة الإرشاد ، ماتعجز عنه روية الارتياذ ؛ فاعلم هذا من أمير المؤمنين ورسمه ، وأعمل بموجبه وحكمه ؛ إن شاء الله تعالى .



ومن ذلك ما أورده علي بن خلف الكاتب في كتابه "مواد البيان" في سجل بالدعوة للدولة والمشايع لها ، والموافقة على مذهبها ، وهو :

الحمد لله خالق ما وقع تحت القياس والحواس ، والمتعالى عن أن تُدركه البصائر^(١) بالاستدلال والأبصار بالإيناس ؛ الذي اختار الإسلام فأظهره وعظمه ، وأستخلص الإيمان فأعزّه وأكرمّه ؛ وأوجب بهما الحجّة على الخلائق ، وهداهم بأنوارهما إلى أقصد الطرائق ، وحاطهما بأوليائه الراشدين شُموِس الحقائق ؛ الذين نصّبهم في أرضه

(١) يريد بالقياس المعقول .

أعلاما، وجعلهم بين عباده حُكَّامًا؛ فقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَايِدِينَ ﴾ .

يمجده أمير المؤمنين أن أصطفاه لخلافته ، وخصه بلطائف حُكْمِهِ ؛ وأقامه دليلاً على مناهج هدايته ، وداعياً إلى سبيل رحمته ؛ ويسأله الصلاة على سيدنا محمد نبيه الذى أبتغته رحمة للعالمين ، فأوضح معالم الدين ، وشرع ظواهره للمسلمين ؛ وأودع بواطنه لوصيه سيد الوصيين : على بن أبى طالب أمير المؤمنين ؛ وفوض إليه هداية المستجيبين ، والتأليف بين قلوب المؤمنين ؛ ففجّر ينابيع الرِّشَاد ، وغور ضلالات الإلحاد ؛ وقاتل على التأويل كما قاتل على الرسل ، حتى أثار وأوضح السُّبُل ؛ وحسّر نقاب البيان ، وأطلع شمس البرهان ؛ صلى الله عليهما ، وعلى الأئمة من ذريتهما ؛ مصابيح الأديان ، وأعلام الإيمان ، وخلفاء الرحمن ؛ وسلم عليهم ماتعاقب الملوان ، وترادف الحديدان .

وإنَّ أمير المؤمنين بما منحه الله تعالى من شرف الحكمة ، وأورثه من منصب الإمامة والأئمة ؛ وفوض إليه من التوقيف على حدود الدين ، وتبصير من اعتمد بحبله من المؤمنين ، وتويز بصائر من استمسك بعروته من المستجيبين - يعلن بإقامة الدعوة الهادية بين أوليائه ، وسُبُوغ ظلّها على أشياعه وخُصَّائِه ؛ وتغذية أفهامهم بلبانها ، وإرهاق عقولهم ببيانها ؛ وتهذيب أفكارهم بلطائفها ، وإيقادهم من حيرة الشُّكوك بمعارفها ؛ وتوقيفهم من علومها على ما يلحّب لهم سبيل الرِّضوان ، ويُفِضِي بهم إلى رَوْحِ الجنان وريح الحَنان ، والخلود السرمديّ في جوار الجِوَادِ المَنان - ما يزال نظره مصروفاً إلى توطئها بناشئ في حجرها ، مغتذٍ بدّرّها سارٍ في نورها ؛ عالم بسرّائها المدفونة ، وغواميضها المكنونة ؛ موقفاً على ذلك اختياره ، وقاصية انتقاده واختياره ؛ حتى أذاه الاجتهاد إليك ، ووقفه الارتياض عليك ؛ فاستندها منك إلى

كفيتها وكافيتها ، ومِدرِها المبرِّز فيها ؛ ولسانها المترجم عن حقائقها الخفية ، ودقائقها المطوية ؛ ثقةً بوثاقة دينك ، وصحَّةِ يقينك ؛ وشهودِ هديك وهُداك ، وفضل سيرتك في كل ما وُلَّاك ؛ ومحض إخلاصك ، وقديم اختصاصك ؛ وأجراك على رسم هذه الخدمة في التشريف والمُحْلان ، والتنويه ومُضاعفة الإحسان .

فتقلَّد ما قلَّدك أمير المؤمنين مستشعرا للتقوى ، عادلا عن الهوى ، سالكا سبيل الهدى ؛ فإنَّ التقوى أحصن الجن ، وأزین الزین ، و﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِثُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ . فإن الله تعالى يقول : ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ . وحَصَّ على ذلك فقال سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ .

وخذ العهد على كل مستجيب راغب ، وشُدَّ العقد على كل مُنقاد ظاهر ، ممن يظهر لك إخلاصه ويقينه ، ويصحُّ عندك عفاؤه ودينه ؛ وحُضِّمهم على الوفاء بما تُعاهدُهم عليه ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ . ويقول جل من قائل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ . و[كف] كافة أهل الخلاف والعناد ، وجادلهم باللطف والسداد ، وأقبل منهم من أقبل إليك بالطَّوع والإِتياد ؛ ولا تُكرِه أحدا على متابعتك والدخول في بيعتك ، وإن حملتك على ذلك الشفقة والرأفة والحنان والعاطفة ؛ فإنَّ الله تعالى يقول لمن بعثه داعيا إليه بإذنه : محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ .

ولا تُلقِ الوديعة إلا لحُفَظ الودائع ، ولا تُلقِ الحبَّ إلا في مَرَّعة لا تُكْدى على الزارع ؛ وتوخَّ لغرسك أجل المغارس ، وتوردُهم مشارع ماء الحياة المعين ،

وَقَرَّبَهُمْ بِقُرْبَانِ الْخَالِصِينَ ؛ وَتَخْرِجُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الشُّكُوكِ وَالشُّبُهَاتِ ، إِلَى نُورِ الْبَرَاهِينِ
وَالْآيَاتِ ؛ وَاتَّلْ مَجَالِسَ الْحِكْمِ الَّتِي تَخْرُجُ إِلَيْكَ فِي الْحَضْرَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ؛
وَالْمُسْتَجِيبِينَ وَالْمُسْتَجِيبَاتِ ، فِي قُصُورِ الْخِلَافَةِ الزَّاهِرَةِ ، وَالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ بِالْمَعْرِيزَةِ
الْقَاهِرَةِ ؛ وَصُنْ أَسْرَارَ الْحِكْمِ إِلَّا عَنْ أَهْلِهَا ، وَلَا تَبْدُلْهَا إِلَّا لِمُسْتَحَقِّهَا ؛ وَلَا تَكْشِفْ
لِلْمُسْتَضْعِفِينَ مَا يَعْجِزُونَ عَنْ تَحْمِلِهِ ، وَلَا تَسْتَقِلْ أَفْهَامَهُمْ بِتَقْبَلِهِ ؛ وَاجْمَعْ مِنَ التَّبَصُّرِ
بَيْنَ أَدَلَّةِ الشَّرَائِعِ وَالْعُقُولِ ، وَدُلَّ عَلَى اتِّصَالِ الْمَثَلِ بِالْمَثْنُونِ ؛ فَإِنَّ الظُّوَاهِرَ أَجْسَامٌ
وَالْبَوَاطِنَ أَشْبَاحُهَا ، وَالْبَوَاطِنَ أَنْفُسٌ وَالظُّوَاهِرَ أَرْوَاحُهَا ؛ وَإِنَّهُ لَا قِيَامَ لِلْأَشْبَاحِ
إِلَّا بِالْأَرْوَاحِ ، وَلَا قِيَامَ لِلْأَرْوَاحِ فِي هَذِهِ الدَّارِ إِلَّا بِالْأَشْبَاحِ ، وَلَوْ افْتَرَقَا لَفَسَدَ النِّظَامُ ،
وَأَنْتَسَخَ الْإِبْجَادُ بِالْإِعْدَامِ . وَأَقْصِرْ مِنَ الْبَيَانِ ، عَلَى مَا يَحْرُسُ فِي النُّفُوسِ صُورَ الْإِيمَانِ ،
وَيَصُونُ الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الْإِفْتِنَانِ ؛ وَأَنْهَهُمْ عَنِ الْإِثْمِ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ ، وَكَامِنِهِ
وَعَالِنِهِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾ .

وَأَتَّخِذْ كِتَابَ اللَّهِ مِصْبَاحًا تَقْتَبِسُ أَنْوَارَهُ ، وَدَلِيلًا تَقْنِي آثَارَهُ ؛ وَأَتْلُهُ مُتَبَصِّرًا ،
وَرَدَّدَهُ مُتَذَكِّرًا ، وَتَأَمَّلُهُ مُتَفَكِّرًا ؛ وَتَدَبَّرْ غَوَامِضَ مَعَانِيهِ ، وَأَنْشُرْ مَا طَوَى مِنَ الْحِكْمِ
فِيهِ ؛ وَتَصَرَّفْ مَعَ مَا حَلَّلَهُ وَحَرَّمَهُ ، وَنَقَضَهُ وَأَبْرَمَهُ ، فَقَدْ فَصَّلَهُ اللَّهُ وَأَحْكَمَهُ ؛ وَاجْعَلْ
شَرْعَهُ الْقَوِيمَ الَّذِي خَصَّ بِهِ ذَوِي الْأَلْبَابِ ، وَأَوْدَعَهُ جَوَامِعَ الصَّلَوَاتِ وَمَحَاسِنَ
الْآدَابِ ، سَبَابًا تَتَّبِعُ جَادَّةً ، وَتَبْلُغُ فِي الْاِحْتِجَاجِ مَحَجَّةً ، وَتَمَسِّكُ بِظَاهِرِهِ وَتَأْوِيلِهِ
وَمُثْلِهِ ، وَلَا تَعْدِلْ عَنْ مَنَهِجِهِ وَسُبُلِهِ ؛ وَأَضْمُمْ نَشْرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاجْمَعْ شَمْلَ الْمُسْتَجِيبِينَ ،
وَأَرْشِدْهُمْ إِلَى طَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَسَوِّ بَيْنَهُمْ فِي الْوَعْظِ وَالْإِرْشَادِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى
يَقُولُ فِي بَيْتِهِ الْحَرَامِ : ﴿ سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾ . وَزِدْهُمْ مِنَ الْفَوَائِدِ وَالْمَوَادِّ
عَلَى حَسَبِ قُوَاهُمْ مِنَ الْقَبُولِ ، وَمَا يَظْهَرُ لَكَ مِنْ جَوْدَةِ الْمُحْصُولِ ؛ وَدَرِّجْهُمْ بِالْعِلْمِ
وَوَفِّ الْمُؤْمِنَ حَقَّهُ مِنَ الْأَحْقَامِ ، وَلَا تُعِدِّمِ الْجَاهِلَ عِنْدَكَ قَوْلًا سَلَامًا كَمَا عَلَّمَ رَبُّ

السلام . وتوخَّ رعاية المؤمنين ، وحماية المعاهدين ، وميزهم من العاقبة بما ميزهم الله من فضل الإيمان والدين ؛ وألن لهم جانبك وأخن عليهم وألطف ، وأبسَّط لهم وجهك وأقبل إليهم وأعطف ؛ فقد سمعت قول الله تعالى لسيد المرسلين :

((وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)) . ولا تُفْسَحْ لأحد منهم في التناول بالدين ، ولا الإضرار بأحد من المعاهدين والذميين ، وميزهم بالتواضع الذي هو حلية المؤمنين ؛ وإذا ألبس عليك أمرًا وأشكل ، وصعب لديك مرأً وأعضل ، فأنه إلا حضرة الإمامة متبعا قول الله تعالى : ((فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)) .

وقوله : ((فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)) : ليخرج إليك من بصائر توقيفها ، ومرآشد تعريفها ، ما يقفك على مناهج الحقيقة ، ويذهب [بك] في لاجب الطريقه ؛ وأقبض ما يحمله المؤمنون لك من الزكاة والحزب والأنماس والقربات وما يجري هذا المجرى ؛ وتتقدم إلى كاتب الدعوة بإثبات أسماء أربابه ، وأحمله إلى أمير المؤمنين لينتفع بخرجه بتقليله له ووصوله إليه ، وتبرأ ذمهم عند الله منه . وأستنب عنك في أعمال الدعوة من شيوخ علم الحكمة ومن تتق بديانته ، وتسكن فيه إلى وفور صناعته ؛ وأعهد إليهم كما عهد إليك ، وخذ عليهم كما أخذ عليك ؛ وأستطلق لهم من فضل أمير المؤمنين ما يعينهم على خدمته ، ويحمل ثقلهم عن أهل دعوته ؛ وأستخدم كاتباً ديناً أميناً مؤمناً بصيراً عارفاً ، حقيقاً بالإطلاع على أسرار الحكمة التي أمر الله بصياتها وكتبتها عن غير أهلها ، نقياً حصيفاً لطيفاً ، يتر لهم في مجلسك بحسب مراتبهم من العلم والدين والفضل .

(١) جمع جزية وهي خراج الارض وما يؤخذ من الدنى .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك فتدبره متبصراً ، وراجعته متدبراً ، وبه الوصايا تهدي
وتسدد ، وتوفق وترشد ؛ وأستعين بالله يمدك بمعونته ، ويديم حظك من هدايته ؛
إن شاء الله تعالى .

قلت : وعلى هذا سائر السجلات من هذا النوع . وقد أورد في "مواد البيان"
سجلات غير هذه حذف منها التحميد وأقتصر على مقاصدها ، وفيما ذكر من ذلك مقتنع .

المذهب الرابع

(مما كان يكتب لأرباب الولايات بالدولة الفاطمية
مرتبة الأصاغر من أرباب السيوف والأقلام)

وليس لهذه الرتبة صيغ محصورة في الافتتاح ، بل تفتتح بلفظ : «إنَّ أمير المؤمنين
لما آتاه الله [من] كذا يفعل كذا وكذا ولما كنت بصفة كذا ، وحضر بحضرة
أمير المؤمنين قناه ووزيره فلان وأشار بكذا ، فترك أمير المؤمنين في كذا » أو يقال :
«إن أولي» أو «إنَّ أحق» أو «إنَّ أجدر» أو «أقن» أو «من حسنت طريقته»
أو «من كان متصفاً بكذا كان خليقاً بكذا» أو «ولما كان كذا» أو «منشور تقدم
بكتبه فلان » ونحو ذلك .

فمن المكتتب عن الخليفة من هذه المرتبة لأرباب السيوف نسخة سجل بزم .
إنَّ أمير المؤمنين لما آتاه الله من المحل الأرفع ، وجعله اليوم الأمر المطاع وغداً
الشفيع المشفع ؛ يتعهد عبيده بعهد كرمه ، ويخير من هجر النوائب من يحاول ظلَّ

(١) الهجير والهجرة والهجر والهجرة نصف النهار عند زوال الشمس الى العصر وقيل في كل ذلك انه

حَرَمَهُ ، وَيَقْبَلُ وَسِيلَةً مِنْ كَانَتْ النِّجَابَةُ أَقْوَى وَسَائِلِهِ وَذِمَّتِهِ ، وَيُؤَمِّنُهُ مِنَ الْخَافِ
 حَوَادِثِ الدَّهْرِ بِهِ وَنَمَتِهِ ؛ فَلَا زَالَ بِأُمُورِهِمْ عَانِيَا ، وَبِمَكَارِمِ شِمَّتِهِ عَنْ رَفْعِ مَسَائِلِهِمْ
 غَانِيَا ؛ لِاسْتِيْمَا مِنْ حُسْنٍ فِي الْخِدْمَةِ أَثَرًا وَطَابَ خَبَرًا ، وَنُشِرَتْ أَوْصَافُهُ فِي أَيْدِي الثَّنَاءِ
 فَكَانَتْ بُرُودًا وَحِبْرًا ؛ وَتَمَنَّى لَهُ الْإِحْسَانُ فِي كُلِّ زَمَانٍ أَنْ يَأْتِيَ مُسْتَحْمِدًا لَامَعْتَدِرًا ،
 وَعُدِيقَتْ بِهِ بِحَارِ الْحَمَامَةِ فَمَا أُخْرِجَتْ مِنْهُ إِلَّا جَوْهَرًا ، وَغَرَسَ مَقَدِّمَاتِ الْمَخَالِصَةِ
 وَكَانَ لِسَانُجِ الْإِنْعَامِ مُسْتَثْمَرًا ، وَصَقَلَ التَّجْرِبُ صَفِيحَةَ طَبْعِهِ وَكَانَ لَضَرِيئَةِ
 الْحَزْمِ مُسْتَأْمِرًا ، وَأَسْتَبَدَّ بِمُوجِبَاتِ الْحَامِدِ مَوْثَرًا لَهَا وَمُسْتَأْثَرًا ، وَجُعِلَتْ لَدَيْهِ أَسْبَابُ
 الْأَسْتِقْلَالِ الَّتِي قَلَّتْ عِنْدَ سِوَاهُ فَظَلَّ مِنْهَا مَهْدًا (١) مُتَكَثَرًا .

وَمَا كُنْتُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ مِنْ قَامَ لَهُ هَذَا الْوَصْفُ مَقَامَ الْأَسْمِ [مِنْ] الْمُسَمَّى ،
 وَتَوَضَّحَتْ مَخَالِيلُهُ بِهِ فَلَمْ يَكُنْ مِنَ اللَّغْزِ الْمُعْمَى ؛ وَقَامَ يَقْرُرُ مِنَ الْخِدْمَةِ مُشْتَمِلًا ،
 وَاسْتَقَلَّ بِشَرَائِطِ التَّعْوِيلِ مُسْتَكْمِلًا ، وَأَدْرَكَ غَايَاتِ الْحَاسَنِ عِجْلًا مَتَمِّهًا (١) وَضَمِنَتْ لَهُ
 الشَّيْبَةُ أَنْ يَعْلُو كَاهِلَ الرِّيَاسَةِ مُتَكَمِّلًا ، وَأَشْهَرَ بِالتَّقَدُّمِ فَلَمْ تَعْرِفْ بِهِ أَوْضَاحُ الصَّنَائِعِ
 غُفْلًا وَلَا مَجْهَلًا ، وَأَسْتَوْجَبَ أَنْ لَا يَزَالَ فِي أَفْقِ الْإِنْعَامِ مُنْهَلًا عَلَيْهِ يُغَادِرُ لَدَيْهِ غَدِيرًا
 وَمِنْهَا ، وَأَسْتَحَقَّ أَنْ يَمْلَأَ يَدَيْهِ مِنْ (٢) نَظَرِهِ مُتَأَمِّلًا ، وَأَدَّى فَرِيضَةَ الْهَضْبَةِ
 كَافِلًا مُتَكَفِّلًا وَمُعْمَلًا لَامْتَعَمِّلًا ، وَنَهَضَ بِتَكَالِيفِ الْخِدْمَةِ مُتَحَمِّلًا فِيهَا مَا لَمْ يَزَلْ
 مُتَحَمِّلًا .

وَحَضَرَ بِحَضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَتَاهُ الَّذِي أَفْنَاهُ التَّوْفِيقُ بِاسْتِزَارِهِ ، وَوَلِيَهُ الَّذِي
 جَمَّ بِهِ مَوْرِدُ السَّعْدِ بَعْدَ اسْتِزَارِهِ : السَّيِّدُ الْأَجَلُّ سَيْفُ نَصْرِهِ الْمُهَنْدُ بَاسُهُ ،

(١) التَّهْمِلُ التَّقَدُّمُ وَتَهْمِلُ فِي الْأَمْرِ تَقَدَّمُ فِيهِ . انْظُرِ اللِّسَانَ .

(٢) يَبَاضُ بِقُدْرِكَلَةٍ .

وليث حربه والسنان نَاب ، وسحابُ الرحمة إلى الإسلام بها حصل ربحى خضر
الجناب ، ومتعب الرائح في غيّه حتى عَزَب في سُهوب الإسهاب بأطناب
الإطناب ، ومستحقّ المدائح التي يُعْطَرُ بها الجناب ، ويُعْطَلُ بها الرّكاب ؛ والملكُ
الذى خدمه الملوك لالرّتبة الغناء عنه بل لرّتبة المناب ؛ فذكرك بما جَمَلَك ، وأسَمَطَرَ
لك من الإحسان ما جَمَّ لك ، وأسْتَوْفَى في مُناصحة الدولة عَمَلَك ، وقَرَّبَتْ عليك
بِسِفَارَتِهِ بحضرة أمير المؤمنين أَمَلَك ؛ وقَرَّرَ لك الخدمة بالزَّم الفلاني إخلاداً إلى
ما تَطْوِي عليه جُمْلَتُكَ ، وأَعْتَاداً على ما تعز به كَمَلَتُكَ ؛ فأجابه أمير المؤمنين إلى ما أجبأك
إليه ، وتقدّم أمره باستخدامك فيما عِينَ عليه ؛ ونرج أمره إلى ديوان الإنشاء
بكتّاب هذا السجل بتقليدك ذلك .

فقلّد مقلّدته مستشعرا لباس التقوى ، ناهياً للنفس عن الهوى ؛ سالكا الطريقة
المثلى ، قال الله سبحانه : ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ . وهذه الخدمة من أمراء قبائل
العرب ، وهى المنبج وسواها الغرب ، وما فيها من يُدعى إلى خدمة إلا طبق المِفْصَل^(١)
وأتى على الأرب ؛ نخّدها بالمرسوم لما تُثدب له من المهمّات السانحة والعوارض ؛
والخُفُوف إليها بالأسلحة الرّوائع والخيول النّواهض ؛ وألزم رجالها أن تحفظ من
الطُرُقات ما يُصَاقِبُها ، وأن تُسَوِّقَ كُلَّ نفسٍ يحنيتها إلى من يعفوها أو يعاقبها ؛
وقدّم العَرَض الذى يُسْتَدَلُّ به على مَنْ كان بالوفاء ساقطاً ، وعن أعمال المملكة
ساخطاً ؛ ليسترجع الديوان ما كان بيده ، ويفتضح من كانت الحيانة سريرة
مقصّده ؛ فاعلم هذا وأعمل به .

(١) الغرب بالتحريك من معانيه الماء يقطر من الدلو بين الحوض والبر أنظر القاموس .



ومن ذلك نسخة سجل بولاية نغرا، وهي :

إِنَّ أَوَّلِيَّ مَنْ رَقَاهُ إِنْعَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْحِلِّ الْيَفَاعِ، وَشَفَعَتْ فِيهِ وَسَائِلُ
فَضَائِلِهِ فَنَعْنِي عَنِ الْإِسْتِشْفَاعِ، وَعَظُمَ لَهُ النِّفْعُ لِمَا بِهِ مِنْ عَظِيمِ الْإِنْتِفَاعِ، وَجَرَّدَتْهُ
يَدُ الْإِخْتِيَارِ سَيْفًا مِنْ سُيُوفِ الدَّبِّ عَنِ الْمَلَّةِ وَالذَّفَاعِ، وَاسْتَقَرَّ فِي الرُّتَبِ الَّتِي لَا تُثْقَلُ
إِلَّا إِلَى الزِّيَادَةِ وَلَا تُغَيَّرُ إِلَّا إِلَى الْإِرْتِفَاعِ، وَجُلِّيَتْ عَلَيْهِ وَجُوهُ النِّعْمَاءِ وَاضْحَةٌ اللَّثَامِ
وَاضِعَةٌ الْفَلَقِ، وَنِيْطَتْ مِنْهُ وَصَايَا الْحَزْمِ بِحَافِظِ لَهَا وَاعٍ، وَتَوَفَّرَتْ عَلَيْهِ بَوَاعِثُ
الصَّنَائِعِ وَدَعَتْ إِلَيْهِ دَوَاعٍ - مَنْ تَرَشَّعَ بِالْإِسْتِحْقَاقِ لِلرُّتَبِ السَّنِيَّةِ وَتَأَهَّلَ، وَسَبَقَ
الْمَجَارِينَ فِي حَلْبَةِ الْإِحْلَاصِ عَلَى أَنْهُمْ جَهَدُوا وَتَمَهَّلَ، وَاسْتَوْجَبَ آمْتِطَاءَ كَاهِلِ
الرِّيَاسَةِ بِالْفَتَكِ الَّذِي شَبَّ وَالرُّأْيِ الَّذِي تَكَهَّلَ، وَثَبَتَ جَأْشُهُ فِي الْمَقَامَاتِ الَّتِي يُرَاعُ
لَهَا كُلُّ رُوعٍ وَيَذْهَلُ، وَمَنْعَتْ مَهَابَتُهُ الْعَدُوَّ أَنْ يَجْهَلَ عَلَيْهِ وَأَبَتْ لَهُ حَصَافَتُهُ أَنْ
يَجْهَلَ، وَغَرِيَتْ هِمَّتُهُ بِالْمَطْلَبِ الْأَصْعَبِ مِنَ الْعَلَاءِ وَأَنْفَتَ مِنَ الْمَطْلَبِ الْأَسْهَلِ،
وَوَلَّى الْوَلَايَاتِ الْجَلِيلَةَ فَظَلَّتِ الرِّعَايَا تَعْلُ مِنْ مَوَارِدِ عَدْلِهِ وَتَنْهَلُ، وَنَشَأَتْ لَهُمْ
سُحُبُ الرِّكَابِ الَّتِي بَرَّقَهَا يَتَهَلَّلُ وَعَارَضَهَا يَنْهَلُ .

وَمَا كُنْتُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ النَّاهِضَ بِحُقُوقِ هَذِهِ السَّمَاتِ، الْبَعِيدَ الْقَدْرَ مِنَ الْمُسَاوَاةِ
وَالْمُسَامَاتِ، الْمُنْتَقِلَ فِي دَرَجَاتِ التَّقْدِيمَةِ وَالْكَرَامَاتِ، الْمُنْفَرِجَةَ عَنْ أَنْوَارِ فَتَكَاتِهِ
ظُلُمَاتِ الْمَقَامَاتِ، الْمُعَدَّةَ النَّجْدَةَ لِمَوَاقِفِ الْبِأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَالرَّادِّ عَلَى أَعْقَابِهَا الْأَبْطَالِ
الْمُعْلَمَةِ بِالْفَتَكَاتِ الْمُعْلَمَاتِ، الدَّائِمَ الْغَرَامَ بِمَقَامَاتِ الرِّيَاسَةِ وَإِنْ كَانَتْ عَظِيمَةً الْمُؤْنِ
جَسِيمَةً الْغَرَامَاتِ، الْقَائِمَ بِمَا تُوجِبُهُ عَلَيْهِ صِنَائِعُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حُقُوقِ الْمُدَافَعَةِ
عَنِ الْحَوَظَةِ وَفُرُوضِ الْمُرَامَاتِ، الْمُنْتَظَاهِرَةَ فِيهِ شَوَاهِدُ الْفَضَائِلِ بِأَصْدَقِ الْأَعْذَارِ

وأوضح العلامات ؛ المشهور المقامات ، إذا جرت من مُتُون الصَّفاح جداولُ وأهترت
من غُصُون الرِّمَّاح قامات ؛ الآخذ بالأرصاد على العدا بسُيُوف تَرْقُب الرِّقاب وتهيم
في الهامات ؛ الكافي الذي تتَّقل في الخدم فكان من الشُّكر مُثْرَى الأثر ، وأنَّ تدب
في المهمَّات فكان مثاب التَّواء مُسْفِر السَّفر ؛ المعروف في تصرُّفاته بانتهاز النَّجح
وقصر البجح ، والمعول على أن تصفه أفعاله بشرح لصدر الاختيار به شرح ، المعدود
يوم الرُّوع من كُفافة الخطب وُحمة السَّرح ، الماضي الحدَّ إذا كان السيف لعدم
الضارب مشتيه الحدَّ بالصَّفح ؛ وقدم فعل الاستقلال ، وأخر سؤال الاستِغلال ،
وأسكنه من المخالصة إلى دارِ بُلُوغ الآمالِ محلال ، وأرتفعت كاهل المجد بسعى
محظورها به استِغلال ؛ وسهلت إلى الطاعة كلَّ مُعتاص من المطالب ، وغدا
الاستحقاق بمُرادك نعم الكفيل وبأملك نعم الطالب ، وأشهرت بخلالٍ آقتضت
الرَّغبة فيما آقتضته إليك من الرغائب ، وعظم النفع بك حتى لا نفع مع غيبتك بحاضر
ولا ضرر مع حُضورك بغائب . ومثل بحضرة أمير المؤمنين فتاه ووليّه وأمينه السيد
الأجل ، الذي سارت أوصافه مسير الشمس وأنارت إنارتها ، وسقت مكارمه سقى
الغيوث وأمارت إمارتها ؛ وسرت خيوله مسرى طيف الخيال وإن كره الأعداء
زيارتها ، وقامت مهابتها مقامها في البلاد وأغارَت على القلوب إغارَتها ، ونازع الأقمار
بعلو القدر دارها وما حسبوا الدُّست له دارتها ، وأشارت له السعادة العلوية
وأَمْضَى التلطف إشارتها وأحسن به شارتها ؛ وطالع بما أنت عليه من طاعة تبذل
فيها الطَّاقة ، وكفاية إذا تعاطاها الوصف المتسع ضيق عنها التُّطق نطاقة ؛ وعدك
في سرعان الأولياء إذا رتب سواك في الساقه ، وأحتسب بمالك من حسنات نظمها
نظم السِّياقه . وبما قوره لك من الخِدمة إلى ولاية كذا - خرج أمر أمير المؤمنين بأن
يُوعَن إلى ديوان الانشاء بكتب هذا السجل لك بالخِدمة المذكورة ، سكُّونا إلى

مُناصحتك التي سكنت ضميرك، وركونا إلى مواليتك التي حققت أملك وتقديرك، وإيراداً لك إلى الموارد التي تُوجب تقديمك وتصديرك .

فتقلّد ما قلّدتَه منها بادئاً بتقوى الله التي إن جعلتها جُنتك كانت جنتك ، وإن استشعرتها عُمدتك أنجزت في الدارين من السعادتین عِدَّتكَ ؛ قال الله تعالى في كتابه المكنون : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِيقَاتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ . وأبدأ في هذا الثغر الجليل قدره ، المصائب لما به محلُّ السعد ومقره ، الميسر به لكلِّ عامل ثوابه وأجره ، المحضوض على رباطه لمن توفّر حظّه من ذخائر الآخرة فأحسن دُخره . بعدل القضايا ، وصون الرعايا ؛ وبثّ السرايا ، وترويع العدو من جميع المطالع والثنايا ، وإهداء المنايا إليه في الغدوات والعشايا ، والتطلّع على ما يُجنّهُ من المكاييد والخفايا ، وكفاية أوساط الصّفاح مصالحة أطراف الرّماح تحايا ، ولا تخليه أن يُجهّز في كل يومٍ إليه رايةً أو تُتفّذ فيه راية ، وأن تسترزق الله أمواله مغانم وحريمه سبايا ، وتُطلّع عليهم في عُقر دارهم طوابع المنايا وقوارع الرزايا ؛ حتى لا تلوح فُرجةٌ إلا أفتَحمتها ، ولا تَينُ فُرصةٌ إلا أغتَمتها ، وأمدد على من بهذا الثغر جناح الرّعاية والدّب ، ومهد لهم جانب العدل ليتبوءوا فيه آمناً السرّ والسّرب ؛ وضئهم صيانةً ترفع عنهم عوادي المضار ، وتوطد لهم أكفاف السكون والاستقرار ؛ وأعتمد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما يطلق فيك ألسنة المادحين ، وينظمك في سلك من تحاه الله بقوله : ﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصّٰلِحِينَ ﴾ .

وأَقِمِ الحدَّ على مَنْ وجب عليه إقامةٌ لا تتعدى فيها الواجب ، ولا تُفارقُ بها مَنْهجِ الحقِّ اللَّاحِبِ ، وتَوَخَّ متولَّى الحكمِ بإعزازِ يَنْفَذِ حُكْمَهُ ، وإِكْرَامِ يَشُدُّ في الحقِّ عَزَمَهُ ، ويردِّعُ الظَّالِمَ ويمنعُ ظُلْمَهُ ؛ وكذلك المستخدِمُ في الدعوة الهاديَّةِ عاملُهُ بما يَشُدُّ إِرْزَهُ ، ويشرحُ في دعاءِ المستجيبين صدره ؛ وبالِغْ في عَضْدِ المستخدمين مبالغَةً تُدْرِجُها الأموالُ ، وتُوجِدُ بها السبيلَ إلى توفيرِ عطِيَّاتِ الرجالِ ، وتُوسِّعْ عليهم فيها المجالَ ؛ وأَمْنَعْ من يتعرَّضُ لكسبِ الضرائبِ ، والإِخْلَالِ بإلزامِ الواجبِ ؛ وشُرورِ الاقلابِ ، وقَصْدِ سِرْحِ المالِ بالتَّبَابِ ؛ وأَقِمِ للسُّورِ شَطْرًا من آهْتَمِكِ تَعْمُرُ أَرْجَاهُ وأبدانَهُ ، وتستخدمُ حُرَّاسَهُ وأَعْوَانَهُ ، وترتَّبْ عليه الوَقُودَ في الليالي المُظْلِمَةِ ، وتُعِجِزْ [عن] مناله المطامعَ الميسورةَ والأيدى المتسنِّمةَ ؛ ووَاصِلُ من عمائرِهِ مايتَلَفَى الخللُ قَبْلَ أَنْفِرَاجِهِ ، ويُعيدُ مَبْدَأَ الغارةِ على أَدْرَاجِهِ ؛ فالْقَلِيلُ بالغِلَّةِ يستدعي كثرةَ الإِهْتِمَامِ ، وربَّما لم تُصَبْ فيه المرمى ولم يَنْجَحِ المَرَامُ .

ومرَاجِبُ الأسطولِ المنصورةِ فَوْهًا مَنْ ترتضى نُهوضَهُ ، ومن يَقُومُ بشرائطِ الجِهَادِ المفروضةِ ؛ وإذا آنَسَ فرصةً لم يعترِضْها التفويتُ ، وإذا نَزَلَ به القِرْنُ ناداه بعِزِّمِ المستميتِ ، وإذا عَرَا المَجْتَمَعُ عَرَّضَ جَمْعَهُ للتشتيتِ ؛ وأَحْطَ على حواصلِ هذه المراكِبِ فيها قُوَّةُ الإسلامِ على عُدُوِّهِ ، ومدَّدُ اسْتِظْهَارِهِ وعلوُّهُ ؛ وأَقِمِ من الرؤساءِ من له حِيلَةٌ في الأسفارِ ، وخُبْرَةٌ بمكايدِ الغاراتِ والحِصَارِ ، ومُشارَبَةٌ يقتدر بها على فتحِ أبوابِ المنافعِ وسدِّ أبوابِ المَضَارِّ ؛ ولكَ من البصيرةِ الجامعةِ ، والأَلْمَعِيَّةِ اللَّامِعَةِ ، ماأنتَ به جَدِيرٌ أَنْ تكونَ لك الذِّكْرَى نَافِعَةً ؛ فاعْلَمْ هذا وأَعْمَلْ به ؛ إِنْ شاء الله تعالى .

النوع الثاني

(مما كان يكتب في الدولة الفاطمية بالديار المصرية

ما كان يكتب عن الوزير)

وقد علمت في الكلام على "المسالك والممالك" أن الوزير إذ ذاك كان في منزلة
 (١) السلطان الآن، وكان الشأن فيما يكتب فيه أن يفتتح بما يفتتح به المذهب الثالث
 مما كان يكتب عن الخليفة . وهو أن يفتتح ما يكتب بلفظ : « إن أولى »
 أو « إن أحق » أو « إن أجدر » أو « إن أقمن » أو « من حسنت طريقته »
 أو « من كان متصفا بكذا كان خليفًا بكذا » و « بلما كان فلان » أو « لما كنت »
 على نحو ما تقدم .

ثم ما يكتب عن الوزير : تارة يكتب بأمر الخليفة ، وتارة يصدر عن الوزير
 استقلالا ، فيبينه الكاتب في كتابته . وهي : إما لصاحب سيف ، أو قلم .
 فمن المكتب عن الوزير في الدولة الفاطمية لأصحاب السيوف نسخة سجل
 بولاية الاسكندرية من إنشاء القاضي الفاضل رحمه الله ، وهي :

من عُد من الأولياء الأمانيل ، ووجد عند الانتقاد قليل الأمانيل ؛ وتوسل بالحسنات
 التي يُقبل عنده منها تشجيع الوسائل ، وتقبل السفارة له الشاملة الاستحقاق الذي
 يُغني عن المسائل ؛ ولطف فكره لاقتناء الشيم الموجبة لارتقاء الدرجات الجلائل ،
 وألقت الرتب قناعها له عند الكفء الذي يُقدم لها أفضل مهوور الجلائل ،
 وأسفرت موافق الغناء منه عن الهزبر الشهم واللودعي الحلالحل ، وأفرج له الكفأة

عن صدور المنازل الرفيعة فلم يكن بينه وبينها حائل ، وأستقلَّ عظيم ما يقوَّض إليه فلم تحمل الأقوام ما هو حامل ، وأتسع مجال كفايته في كلِّ أمرٍ يضيق بالبشر ضيق كفة الحابل ، وتتبع آثار الخلل بعزماته تتبع الغيث آثار الديار المواصل - كانت الولايات الجليات له من المعدِّ المدخر ، وقربت عليه منازل الآثار التي يُجمل بها ويفتخر .

ولما كان الأمير جامعاً لما أفيض فيه من هذه الصفه ، وموصوفاً بها من كلِّ لسانٍ صادق ونيةٍ منصفه ، جاريةً على غيره مجرى النكرة ومستندةً إليه استناد المعرفة ، مشتملاً على خلال كغرائب المكارم مستوفيةً مثالبه ، كليفاً بالشيم الحميدة إذا أفضحت بها الشيم المتكلفة ، قنناً أن يوقَّ فيقرض سعيه إذا أقرضت المساعي المتسلقة ، نهاضاً بالمصاعب عند ما تختلف في إعطائها العزائم المتخلقة ، آوياً من راحته إلى المعقل الحريز والحصن الحصين ، حاوياً لفضائل حسنة منها الفتك الجري والرائي الرصين ، مقدماً على الأهوال إذا تغلقت وجوهاً غبرا ، مُصرّاً على الخطرات حتى يظنه الغمر عُمرًا ، مصاحفاً للرماح ، إذا بدت أنامل الأسنة ، مباشراً للصفاح ، إذا دُعرت لها النفس المطمئنة ، جديراً أن يردَّ الخيل المغيرة تدمي نحرها ، وتمدحك وتدمها الجراح التي أشتملت عليها ظهورها ، وسمّاً للأعداء سيوفك فعندك عُمودها وفيهم صدورُها - رأينا بما آتاه الله من رأى لا يستأنحُر أن يستخير ، ونظيرٍ يستمر أن يمتاح من موارد الرِّشاد ويستنير ، ما خرج به أمرنا من ولايتك لثغر الإسكندرية بعد أن طالعنا مولانا صلوات الله عليه بما رأينا ، وأسترشدنا بيمانٍ إمضائه مأمضينا ، وفأوضناه فيما فوضناه إليك وأفضينا ، وقضينا حق الخدمة فيما استمطرنا من صوب وأقتضينا ، إذ كان الله قد خصَّ خلاله بمواتاة الأقدار ، ووقف الميامن على ما يُمضيه ويوقفه من أعنة الإيراد والإصدار ، وجعل الحيرة فيما

يختار، والحق دائرًا حيث دار، وأخلص للأولياء المستشعرين بولائه بخالصية ذكرى الدار، وجعل رأيه قطبًا في سماء الخلافة عليه في مصالح خلق الله المدار؛ فصَحَّح ماعرضناه على مقام خلافته وصوبه، وناجته بديهة الإلهام بما أعتته عمًا صعد فيه المستشير وصوبه؛ وخرج الينا بأن يمضى لك هذا الأمر، ويفوض إليك هذا الثغر.

فلتقابل هذه النعمة بشكرٍ يوجب استيقاء باقيها، وأعدادٍ يمهّد درجات مراقبها؛ متعجزًا وعد الله لمستوفيه بإيلاء المزيد، الحدير بإحالاته من حالة التقليد إلى حالة التخليد؛ جاعلاً تقوى الله حجتَه فيما يقطّعه ويصله، وعمدته فيما يمنعه ويبدله. قال الله سبحانه في كتابه الذى فضله على كل كتاب: ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى وأن تقولوا يا أولي الألباب﴾. ولا تجعل في حُكْمك بين الخُصماء فرقا وإن عدل أحدهما؛ وليكن على الحق الذى لا مفاضلة فيه مقعدهما عندك وموردُهما؛ وأنتصف للظلم من الظالم، وأعمل في ذلك عمل من لا تأخذه في الله لومة لائم؛ وأقيم الحدود متحرّيا، وأمضها إمضاء من لا يزال بعين طاعة الله متعلّيا؛ ونفّذها غير مكثّر ولا مقلّ، فإن المكثّر متعدّ والمقلّ محلّ.

وقد علمت ما للقاضي من التّقدّمة الشهيرة، والرّتبة الأثيرة؛ والمساعي التى هى بالسنة الحمد مأثوره، والأقوال التى هى فى صحائف حُسن الذكر مسطوره؛ والحُرّمات التى شهدت بها الأيام والليالى، والموات التى أنتظمت فى سلوك التصرفات أنظام الآلى؛ والصّفات التى زهت بها أجياد المحامد الحوالى؛ وله الخبرة بقوانين هذا الثغر وأحكامه، والعادة التى لا خلاف أنها لمصالح ما يباشره وإحكامه، وأنت مقدّم أرباب السيوف فى الثغر وهو مقدّم أرباب أقلامه؛ فأعيرف له منزلة

فِي الْحَدَمِ الْمَنُوطَةِ بِكَفَالَتِهِ ، وَالْأُمُورِ الْمَحْوُطَةِ بِإِيَالَتِهِ ؛ وَوَقَّهَ مِنْ أَثَرِ الْإِكْبَارِ حَقَّهُ ،
وَيَسَّرَ فِيمَا آسَدَتْ عَلَيْهِ مِنْ مَعُونَتِكَ طُرُقَهُ ؛ وَأَعَيْنَ الدَّاعِيَ عَلَى مَا هُوَ بِسَبِيلِهِ مِنَ الْإِرْشَادِ ،
وَقُمَّ فِي إِعْلَاءِ مَنَارِهِ قِيَامَ الْمُغْرَمِ الشَّادِ .

وَالْأُمُوالُ أَوَّلُ مَا صَرَفَتْ إِلَيْهَا هَمُّكَ ، وَوَقَّعْتَ عَلَيْهَا عَزَمَكَ ؛ فَاسْتَنْهَضَ
الْمُسْتَخْدِمِينَ فِيمَا يُسْتَادَى ، وَلَا تَمَكَّنْهُمْ أَنْ يُحْدِثُوا رَشْمًا وَلَا يُسْقِطُوا مُعْتَادًا ؛ وَلَا بَدْ
مِنَ الْمَقَامِ بِظَاهِرِ الْبَحْرِ مَدَّةَ أَنْفِتَاحِهِ ، وَتَفْقُدَ الْأَسْطُولَ الْمَقِيمَ بِالْمِينَاءِ تَفْقُدًا يَسْتَوْعِبُ
أَسْبَابَ إِصْلَاحِهِ ؛ وَأُذْكَ الْعُيُونِ عَلَى سَوَاحِلِهِ فَلَمْ يَحُلْ أَمْرُ الْعَدُوِّ مِنْ طَارِقٍ لَيْلٍ
وَخَاطِفٍ نَهَارٍ ، وَذُدَّهُمْ عَنْ بَغَاتٍ هُجُومِهِمْ بِمَا يَبْلُغُهُمْ عَنْكَ مِنْ دَوَامِ التَّقِيطِ
وَالْإِسْتِظْهَارِ ؛ وَاسْتَنْهَضَ الرِّجَالَ فِي نَوَائِبِ الْحَدَمِ وَحَوَادِثِهَا ، وَصَرَّفَهُمْ عَلَى مَوْجِبَاتِ
الْمُتَجَدِّدَاتِ وَبَوَاعِثِهَا .

وَهَذَا الشُّعْرُ فِيهِ مِنْ أَرْبَابِ الزُّوَايَا الْعَاكِفِينَ عَلَى الْعِبَادَاتِ ، وَالْعَالِمَاءِ الدَّاعِينَ
النَّاسَ إِلَى الْإِفَادَاتِ ، مِنْ لَا يُدْنَحَرُ الْإِكْرَامُ إِلَّا لِأَنْ يُوْدَى إِلَى اسْتِحْقَاقِهِمْ ، وَلَا يُصَانُ
الْمَالُ إِلَّا لِأَنْ يُبَدَّلَ لِاسْتِحْقَاقِهِمْ ؛ فَأَوْصِلْ إِلَيْهِمْ مَا هُوَ مَقَرَّرٌ لَهُمْ لِإِصْلَاحِ هِنْيَا ،
وَأَعْفِفْهُمْ مِنْ مَثُونَةِ الْهَزِّ وَسَاقِطٍ عَلَيْهِمْ رُطْبًا جَنِيًّا ؛ وَاسْتَنْهَضَ لَنَا دَعَوَاتِهِمْ فَإِنَّمَا أَسْمُهُمُ
الْأَسْبَحَارُ ، وَاسْتَخْلَصَ لَنَا نِيَّاتِهِمْ فَهُمْ لَنَا جُنْدُ اللَّيْلِ وَغَيْرُهُمْ لَنَا جُنْدُ النَّهَارِ ؛ وَالسَّلَامُ .



وَمِنْ ذَلِكَ نَسْخَةُ سَجَلٍ بِحِمَايَةِ الرَّبَّاعِ ، وَهِيَ :

مَنْ كَانَ فِيمَا يَتَوَلَّاهُ مَشْكُورَ السَّعْيِ مَحْمُودَ الْأَثَرِ ؛ مُسْتَعْمِلًا مِنَ النَّصِيحِ وَبَدِّلَ الْجُهْدِ
مَا يَزِيدُ الْخُبْرَ فِيهِ عَلَى طَيْبِ الْخَبَرِ ؛ مُعْتَمِدًا مَا يَدُلُّ عَلَى دِرَايَةِ وَخُبْرَةِ وَدُرْبِهِ ، مُتَوَخِّيًا

(١) لَعَلَّهُ لَا سِتِجَابَهُمْ .

ما يجعل الحدم إذا ما ردت إليه لم تحل في دار غربه - أستحق أن يورى زنده،
ويُرَهَف حده، وتقوى منته، وتُسَحَد قريحته .

ولما كنت أيها الأمير من عرف نفاذه وأُنْعِدت خلّاله ، وشُكِرت طرائقه
وَأَرْتَضِيت أفعاله ؛ وظهر فيما يباشره غناؤه وأستقلاله ؛ وجمع إلى الكفاية نزاهه ،
وإلى الأمانة نباهه ؛ وإلى اليقظة عفافا وسدادا ، وإلى النهضة حرّامة لا يجد الطالب
عليها مسترّادا - تقدّم قى مولانا وسيدنا باستخدامك في حماية الرّباع السلطانية بالمعزية
القاهرة المحروسة : سكونا إلى جدك وتشميرك ، وتعويلا على تأتيك وتذيرك ؛
فاستخير الله وباشر ما ردت إليك من هذه الحماية بعزم لا يمازجه فتور ، وحرّم لا يصاحبه
قصور ؛ وأكشِف أحوال هذه الرّباع كشفا يُعرف به حالها ، ويُعلم منه استقامتها
وأختلاها ؛ وأنصبب لاستخراج ما لها من الشّكّان ، وأستعمل في أستيادته غاية
الاستطاعة والإمكان .

وملاك الأمر فيها أن نتعهدا بالطواف فيها ، وأن تحافظ على حراسة غيرها ،
وتناول أجريها ؛ ورمّ مالعه يستترّ منها ويتشعث ، والعكوف على ذلك بحيث لا يتوقف
فيه أمر ولا يترتّب ؛ وحلّ مال ارتفاعها إلى بيت المسال المعمور بعد ما يُصرف
في مصالحها ، ويُطلق فيما يثبت به عليها ؛ ولك من الأمير من يُعينك ويُجِدك ،
ويُلبّي دعوتك ويعضدك ؛ ويظا فرك على انتظام شئونك ومقصدك : من الاشتمال
بما يزيد على تأميلك ؛ فأجعل عليه اعتمادك ، وبه في الحلّ والعقد استرشادك ؛ فاعلم
هذا وأعمل به ؛ إن شاء الله تعالى .



ومن الوظائف المكتتة عن الوزير لأرباب الوظائف الدينية نسخة سجل بالحكم بقوص ومشاركة أعمال الصعيد، وهي :

من تقدمت لأسلافه خدام ومناصبات، وكانوا مشهورين بأن طرائقهم في السداد مستقيمت واضحات، وعُرف جميعهم بالصيانة والديانة، والثقة والأمانة، والمحافظة على ما يُحفظهم عند ولي نعمتهم، والعمل بما يقضى بطيب ذكركم وحسن سمعتهم، كان ذلك ذريعة له ووسيلة، ومائة ينال بها المواهب الجزيلة .

ولما كنت أيها القاضي على القضية المرضية من ولاء الدولة وطاعتها، والحرص على الإخلاص لها ومشايعتها، والتحلي بالعلم والتميز في أربابه، والتعلق بفعل الخير والتمسك بأسبابه، والعمل بما ينفعك في عاجلتك وآجلتك، والاجتهاد فيما يبعث على وفور حظك من الإنعام وزياتك، وكانت لك دربة فيما تُعانيه ودرايه، وصولة في حسن التأني إلى أمد بعيد وغايه، وقد تقدمت لأخيك القاضي الرشيد - رحمه الله - خدمة أبانت عن حرصه ومناصبته، وأعربت عن وفور نصيبه من النهى ورجاحته؛ فاذى ذلك إلى بلوغه من رتب أمثاله أقصاها، وإلى أن استقرت خدمه عليه وألقت عنده عصاها، وهذه نصيبك إذا أفتيتها فقد عرفت مفضاها، وإذا عكفت عليها نالك من الإحسان على حسنها ومقتضاها - تقدم قى مولانا وسيدنا باستخدامك في النيابة في الحكم بمدينة قوص والمشاركة بأعمال الصعيد الأعلى : تنويعها بك وتكريما لك، وتمهيدا لمكان الإصطناع الذي رتبك فيه وأحللك، فأعرف قدر هذه النعمة، وقابلها ببذل الطاقة في النصيح في الخدمة، وبالغ في الشكر الذي يُنبئها عندك ويُدِيمها لك، وأحرص على القيام بحققها حرصا تبد به

نظراءك وأمثالك ؛ وأعمل في ذلك بما تضمنه التقليد المكتتب لك من مجلس
القاضي الأعز الماجد أدام الله تمكينه ، وما أودعه من وصايا مُرشده ، وهدايات
إلى الصواب مُقرِّبه وعن الخطأ مُبَعِّده ؛ وأفعل في أمر المشارفة ما أشتكت
عليه التذكرة المعمولة من الديوان فإنه يُوضِّح لك منهج الصَّلاح ، ويأتيك منه
بما يزيد على البغية والاقتراح ؛ وانتصب للعمارة والاستثمار من الزراعة بالمعدلة
على المُعاملين ، والاستخراج لحقوق بيت المال على أحسن القوانين ؛ وواصل
من الحمول ، ما يكون محققاً للظنون فيك والمأمول ؛ فأعلم هذا وأعمل به ،
إن شاء الله عز وجل .



ومن ذلك نسخة سجل بالنيابة في الحكم والأجاس والحوالى بتغرديماط ، وهي :
أحق من كانت المواهب عنده مُحلَّده ، والمنائح إليه متواصلة متجدِّده ؛
والعوارف تفد عليه فتُخيم في مَنّاه وتُقيم ، والفواضل تأتي نحوه فتستقر في مثواه
ولا تريم ؛ والنعم الشتى لا تشكو في مواطنه آستيجاشا ولا أغترابا ، والمِنَّن إذا حُبى
بها كان نيله لها آستحقاقاً منه لها وآستيجابا - من كُرمَت أعرافه ومحادثه ، وشُهرت
أوصافه ومحامده ؛ وصفت في المُخالصة مصادره وموارده ، وكثرت في تقرِيظه
غرائب الثناء وشوارده ؛ وشيّد منار أسلافه بالتخاطق بخلائقهم ، وأبقى الحديث عنهم
باتهاج سُبُلهم وطرائقهم ؛ وأحسن رَّهم ، في الاقتفاء لأثرهم والاقتداء بهديهم ،
وإحياء ذكْرهم ، بالعمل بما كانوا عليه في عودهم وبديهم .

ولما كنت أيها القاضي لهذه الخلال جامعا ، وإلى المرآشد مُصغيا سامعا ،
ولبلوغ ماناله أسلافك بالمناصحات راجيا طامعا ؛ ولك فيما يُسند إليك نظر يُدل

على صواب آرائك ؛ وفيما يُردُّ إلى توليك كفاية تميزك على نظرائك ؛ ولما نُدبت
للأحكام الشرعية ، أُنبتَ عن الديانة والألمعية ؛ وحينَ باشرتَ الأعمالَ الديوانية ،
نصحتَ واجتهدتَ وأخلصتَ النية ؛ والذي بيدك يمسك بك ، ويتعلق بسبك ؛
لأنك لما استكفيتَه نهضتَ وأحسنتَ ، فلذلك يأبى أن يكلفه غيرك وأن
لا يتكفله إلا أنت - تقدم فتى مولانا وسيدنا بكتب هذا المنشور بتجديد نظرك فيما
هو بيدك من النيابة في الحكم العزيز بغير دمياط - حماه الله تعالى - والمشاركة على
الأعباس به ، وعلى مستخرج الجوال فيهِ ، تقوية لعزمك ، وإمضاء لحكمك ،
وشدًا لأزرِك ، وتأكيذا لأمرِك ، وإنفاذا لقولك ، وبسطة ليدك ، وإيضاحا
لميزتك ، وإظهارا لتكريمك ، وإبانة عن حسن النية وإعرابا عن جميل الرأي فيك ؛
فاجر على رسمك وعادتك ، وأستغني بما أودعته تقاليدك من الوصايا ، وأستمر على
نهجك الذي أفضى بك إلى أحمد الأفعال وأجل القضايا ؛ وأرتبط النعمة عندك
بمآدريك على عادتك ، وتوسل بمشكور السعي إلى نمو حظك ووفور زيادتك ؛ فاعلم
هذا وأعمل به ، إن شاء الله عز وجل .



ومن ذلك نسخة سجل بالحكم بالأعمال الغربية ، وهي :

من كان بالعلوم الدينية قسوما ، وفي الأمور الشرعية ممن يشار إليه ويؤمى ، وظلَّ
من يُجارِيه من طبقته قليلا إذا لم يكن معدوما ؛ وعلم نفاذه الذي سَلِمَ من المناقضة
فيه والاختلاف ، وعُرفَ اعتمادُه الواجب من غير ميل عنه ولا انحراف ؛ وكان
لشمل الديانة والأمانة مؤلفا جامعا ، وغدا الوصفُ بجميل الحلال وحميد الأفعال
عنه مسموعا ذائعا ؛ وآثاره في كل ما يتولاه مَداحُه وخُطبأؤه ، وسفراؤه في الرب

الجليلة نزاهته وظلّف نفسه وإباؤه - صارت الأحكام بنظره مزهّوة، وأضحت الحِدم الخطيرة تتوقّع بإسنادها إليه استظهاراً وقوّه، فهي تشوّف إلى أن يوليها حظاً من محاسنه يَكسبها نَصرة وبهاء، وتتصدى من نظره فيها لما يضمن لها إدراكاً للإرادة وبلوغاً إليها وأنتهاء.

ولما كنت أيها القاضي حائزاً لهذه الصّفات، محيطاً بما أشتملت عليه من الأدوات؛ سالكاً أعدلّ طريق في الأمور إذا أشكلت، عاملاً بقضايا الواجب إذا اعتمدت الإقبال عليك وأتكلت؛ ولك الحِدمة السنية، التي لا تطمح إليها كل أمنيّة، والرتب الرفيعة التي لا ينالها إلا من كان عمله موافقاً لصديق النية؛ وكلّ ما تباشره يغتبط بك ويأسى على فراقك، وكلّ ما حُظر على غيرك مباح لك لا يستجيبك له وأستحقاقك؛ فمن العدل أن تكون كفايتك على الأعمال مقسّمة، وأن تكون آثارك في كل ماتعائنه من أمور المملكة علامة لك عليها وسمه؛ وكانت الخدمة في الحكم بالغربية من التصرفات الوافية المقدار، السامية الأخطار؛ التي لا يسمو كل أمل إليها، ولا يحدث كل أحد نفسه بتوليها؛ وقد أشتهرت خبرتك بالأحكام، وحفظك فيها للنظام؛ وبثك للقصاص المشكّله، ورفعك للنوب المعضله - فرأينا استخدامك نائباً عن القاضي الأعزّ الماجد في الصّلاة والخطابة والقضاء بالأعمال الغربية المقدم ذكرها: إذ كنت تعدل في أحكامك، ولا تخرج عن قضايا الصواب في نقضك وإبرامك؛ ولا تمحاي في الحق ذا منزله، ولا تنفك معتمداً ما يقضى لك بالميزّة المتأكّدة والرتبة المتأثله؛ وأمرنا بكتب هذا المسطور شداً لأزرك، وتشييداً لأمرك؛ وإبراءً لزنذك وتقويةً لعزمك؛ وضمناء ما تقدّم ذكره من وصفك وشكرك، وتقريظك وإجمال ذكرك؛ والثناء على علمك، والإبانه عن قضيتك في قضائك وحكمك.

فاعمل بما اشتمل عليه التقليد المكتتب لك من مجلس الحكم العزيز وأنته إلى ما أودع من فصوله ، وكن عاملاً بمضمونه متبعا لدليله ، والله يوفقك ويرشدك ، ويعينك ويسدّدك ؛ فاعلم هذا وأعمل به ، إن شاء الله عز وجل .



ومن ذلك نسخة سجل بالحكم والمشارفة بغير عسقلان من سواحل الشام ، وهي :

الذى منحنا الله من المفائر الدالة على محلّنا عنده ، والمآثر التي أوصلنا بها من الشرف إلى أمد لا غاية بعده ، والقضايا العادلة التي أبانت عما أجراه الله لنا من اللطائف ، والسياسة الفاضلة التي تشهد لنا بياض الصحائف ، قد ضاعف حظنا من التأييد فيما نراه وتمضيه ، وضمن لنا الهداية في حق الله تعالى إلى ما يرّضيه ؛ وأجزل قسطننا من التوفيق في اجتباء من نحتّيه ، وجبب لنا إسناء المواهب لمن كان قليل النظير والشّيه ؛ ووقف آهتما منا على التنبيه (؟) على كل مشكور المساعي ، وصرف اعتزامنا إلى التفقّد للقاصد التي هي على الإصطفاء من أقوى الدّواعي ؛ ووفّر آلتفائنا إلى تأمل الإخلاص الذي صفت موارده ، وصحّت سرائره ، وأحكمت معاقده ، وأحصدت مرائره ؛ وتوكل لصاحبه في بلوغ المطالب البعيدة المطّارح ، وتبتّل لمن وفق له في سُبُوغ العوارف المُنخبة المسّارح ؛ وجعلنا لا نفعل عمن بذل في الطاعة مُهجته ، وأظهر بدّوبه وانتصابه دليله على الولاء المحض ومحبته ؛ وأبان عن تقواه وحسن إيمانه ، وتقرب باستقراغ وسعه إلى الله تعالى وإلى سلطانه ؛ وعمل فيما أوثمن عليه ما استوجب به جزيل الأجر ، وكان له من رأيه في أعداء المِلّة ما يقوم مقام العسكر الحرّ ؛ وعلم أنّ تجارته في الخالصة نافقة مُريجه ، وأن مراميّه في المناصحة صائبة مُنجه ؛ وتيقن أنابحمد الله لأُحْيَب أملا ، ولا نُضَيع أجر من أحسن عملا .

ولما كنت أيها القاضي المكين المرتضى ثقة الإمام جلال الملك وعماده
 ذو المعالي صفى أمير المؤمنين، مستولياً على هذه الخلال، التي تكفلت لك بإعلاء
 القدر، ومحتوياً على هذه الخصال، التي رتبك على نظرائك في الصدر؛ ولك من
 الحرمات سواي لا يطمع فيها بلحافك، ومن الموات شوافع تجعل جسام النعم وقفا
 لأستحقاقك؛ وقد عرفت بالحد والتشهير، واشتهرت بصادق العزم وصائب
 التدبير؛ وجعلت مؤهلاً لكل أمر خطير ومهم كبير، واستقر أنك إذا استكفيت
 جسيماً فقد وكل منك إلى الأمين الخبير : لأن لك الرياسة التي لا تجارى فيها
 ولا تُبارى، والكفاية التي لا يختلف فيها ولا يُتمارى، والفضائل التي تشهد بها
 أعدائك وحسادك اضطراباً، وما زالت أفعالك في كل ماثولاه من الخدم الجليلة
 دالة على كرم طباعك، وآثارك معربة عن سعة ذرعتك في الخير وامتداد باعك،
 وأخبارك ناطقة ببائتك عن الباطل واقتفائك للحق وأتباعك؛ ولما نظرت في القضاء
 تهلل بنظرك وجه الشرع، وأبنت عن اضطلاعك من علمه بالأصل والفرع؛
 وعدلت في أحكامك، ولم تعدل عن الواجب في نقضك وإبرامك؛ وفعلت ما أقر
 عين الله، وأربيت على من تقدمك من القضاة الحلة، واعتمدت من الإنصاف
 ما بردت به الغلة وأزحت به كل علة؛ ووقيت هذه الخدمة جميع شروطها،
 وفسخت في توليك أمانى المظلومين بعد ضيقها وقنوطها؛ وقتت في ذلك المقام الذى
 يقضى بنبوت النعمة عندك وخلودها، وبالغت في ارتباطها بالشكر لعلمك أن شرودها
 بكونودها . فأما الإشراف فإنك أتيت فيه ما دل على حسن المعرفة، واستقبلت
 في وجهه كل صفة؛ وأوضح أن كل من باشره لم يبلغ مداك، ولا جرى مجراك؛
 ولا وصل إلى غايك، بل ما طمع بمدانك ولا مقاربتك؛ وكل ما عديق بكفايتك فقد
 أتيت بحمد الله فيه على الأغراض، لاجرم أنه مستدعج لزيادتك ومطالب ومتقاض؛

فَإِنِ اجْتَمَعَتْ لَكَ هَذِهِ الْأَسْبَابُ اسْتَوْجِبْتَ مِنْ إِنْعَامِنَا مَا يَتَزَهَّ كَرْمُنَا عَنْ تَعْوِيْقِهِ ،
وَمِنْ جَزِيلِ إِحْسَانِنَا مَا يَكُونُ تَعْجِيلُهُ حَقًّا مِنْ حَقُوقِهِ ؛ فَشَرَفْنَاكَ بِتَجْدِيدِ مَا هُوَ بِيَدِكَ
مِنَ الْحُكْمِ الْعَزِيزِ وَالْمَشَارَفَةِ بِثَغْرِ عَسْقلَانٍ حَمَاهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَجَعَلْنَا النِّيَابَةَ فِي الْحُكْمِ عِنَّا
تَنْوِيْهًا بِكَ وَرَفْعًا لِّشَانِكَ ، وَتَبْيِيْنًا لِمَوْضِعِكَ عِنْدَنَا وَمَكِيْنٍ مَكَانِكَ .

فَاعْمَلْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي أَمَرَ بِهَا فِي كِتَابِهِ الَّذِي بِهِ يَهْتَدِي الْمُؤْمِنُونَ فَقَالَ عَزَّ مِنْ
قَائِلٍ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ . وَاجْرَعِيْ عَادَتِكَ فِيْمَا حَسَنَ أَثْرِكَ ، وَأَطَابَ خَبْرَكَ ، مَعْتَمِدًا
عَلَى مَا تَضَمَّنَتْهُ عَهْدُوكَ ، وَأَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ تَقَالِيدُكَ : مِنَ الْمَسَاوِةِ بَيْنَ الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ
فِي الْحَقِّ ، وَإِجْرَاءِ الشَّرِيفِ وَالْمَشْرُوفِ فِي الْحَاكِمَةِ مُجْرَى وَاحِدًا مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ ؛
وَالنَّظَرِ فِيْمَنْ قَبْلَكَ مِنَ الشُّهُودِ ، وَحَمْلِهِمْ عَلَى الْقَانُونِ الْمَأْلُوفِ الْمَعْهُودِ : مِنْ إِقْرَارِ
مَنْ تَرْضِيْهِ ، وَالْمُطَالَعَةِ بِحَالٍ مِنْ تَأْبَاهِ لِمَا تُوجِبُهُ طَرِيقَتُهُ وَتَقْتَضِيْهِ ؛ وَالْحِفَاظَةِ
عَلَى أَنْ لَا يَتَعَلَّقَ بِشَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الْحُكْمِ إِلَّا مَنْ أَحْمَدَ فَعْلَهُ ، وَحَصَلَ لَهُ مِنَ التَّرْكِيَةِ
مَا يُزَكِّيْهِ بِهِ مِثْلُهُ ؛ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا أُوْدِعَ فِيْهَا ، وَأَحَاطَتْ بِهَا الْوَصَايَا الَّتِي لَمْ يَزَلْ
يَسْتَوْعِبُهَا وَيَسْتَوْفِيْهَا .

وَأَسْتَقِمِّيْ عَلَى سَبِيلِكَ فِي ضَبْطِ الْمَالِ وَحِفْظِهِ وَصَوْنِهِ ، وَأَسْتَعِيْنِيْ عَلَى بُلُوْغِ الْمَرَادِ
فِي ذَلِكَ بِتَأْيِيْدِ اللَّهِ وَتَوْفِيْقِهِ وَعَوْنِهِ ؛ وَتَمَادِّيْ عَلَى سُنَّتِكَ فِي النَّظَرِ فِي أَحْوَالِ الثَّرَفِ
الْمَحْرُوسِ وَالْإِتْتِصَابِ لِمَصَالِحِهِ ، وَالتَّوَقُّرِ عَلَى مَنَافِعِهِ ، وَالْاجْتِهَادِ فِي الْجِهَادِ بِأَرَائِكَ ،
وَالِاسْتِثْرَارِ فِي ذَلِكَ عَلَى سَدِيدِ أُنْحَاكَ ، وَاللَّهُ وَلِيُّ عَوْنِكَ وَإِرْشَادِكَ ، وَالْمَالُ بَتَبْلِيْغِكَ
فِيْمَا أَنْتَ فِيْهِ أَفْصَى مُرَادِكَ ؛ فَاعْلَمْ هَذَا وَاعْمَلْ بِهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ومن ذلك نسخة سجل بتدريس ، وهي :

أمير المؤمنين لما منحه الله من الخصائص التي جعلته لدينه حافظا ، ولمصالح أمور المسلمين ملاحظا ، ولما عاد بشمول المنافع لهم مواترا ، وبما أحظاهم عنده تبارك وتعالى معينا وعليه مثارا ؛ لا يزال يؤليهم إحسانا وفضلا ومنا ، ويُسبِّح عليهم إنعاما لم يزل تسم (؟) همهم إلى أن نمتي ؛ وقد يسر الله تعالى لخلافته ودولته ، ووهب لإمامته ومملكته ؛ من السيد الأجل الأفضل ، أكرم ولي ضاعف تقواه وإيمانه ، وأكمل صفى وقف أهتامه وأعتزاه على ما يرضيه سبحانه ؛ وأعدل وزير لم يرص في تدبير الكافة بدون الرتبة العليا ، وأفضل ظهير آتبعني فيما آتاه الله الدار الآخرة ولم ينس نصيبه من الدنيا ؛ فهو يطافر أمير المؤمنين على ما عم صلاحه عموم الهواء ، ويفاوض حضرته فيما يستخلص الضائر بما يرفع فيه من صالح الدعاء .

ولما انتهى إلى أمير المؤمنين ميزة نعر الإسكندرية - حماه الله تعالى - على غيره من الثغور ، فإنه خليق بعناية تامة لا تزال تُنجد عنده وتغور : لأنه من أوفى الحصون والمعاقل ، والحديث عن فضله وخطير محله لاتهمة فيه للراوى والناقل ؛ وهو يشتمل على القراء والفقهاء ، والمرابطين والصُّلحاء ؛ وأن طالبي العلم من أهله ومن الواردين إليه ، والطارئين عليه ، متشتتو السَّمَل ، متفرقوا الجمع - أبى أمير المؤمنين أن يكونوا حائرين متلذذين ، ولم يرص لهم أن يتقوا مذبذبين متبذذين ؛ وخرجت أوامره بإنشاء المدرسة الحافظية بهذا الثغر المحروس بشارع المحجة منا عليهم وإنعاما ؛ ومستقرها لهم ومقاما ؛ ومتنوى لجميعهم ووطنًا ، ومحلا لكافتهم وسكنا ؛ بجدد السيد الأجل الأفضل أدام الله قدرته الرغبة إلى أمير المؤمنين في أن يكون ما يتصرف إلى مؤنة

كل منهم والقيام بأوده، وإعانتِه على ما هو بسبيله وبصدده: من عين وغلة، مطلقاً من ديوانه، وأسترفد أمير المؤمنين المثوبة في ذلك فأجابه جرياً على عادة إحسانه؛ وأستقرت التقديم في هذه المدرسة لك أيها الفقيه الرشيد جمال الفقهاء أبوالطاهر: لنفذك وأطلاعك، وقوتك في الفقه وأستضلاعك؛ ولأنك الصدر في علوم الشريعة، والحال منها في المتزلة الرفيعة؛ والمستغل الذي أجمع له الأصول والقروع، ومن إذا أختلف في المسائل والنوازل كان إليه فيها الرجوع؛ هذا مع ما أنت عليه من الورع والتقوى، وأن مجاريك لا يكون إلا ناكصاً على عقبه مُحققاً؛ وأمر أمير المؤمنين أن تدرس علوم الشريعة للراغبين، وتعلم ما علمك الله إياه لمن يريد ذلك من المؤثرين والطالبين؛ ونرج أمره بكتب هذا المنشور بذلك شداً لأزرك، وتقوية لأمرك ورفعاً لذكرك.

فأخلص في طاعة الله سراً وجهراً، فإنه تعالى يقول في كتابه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾. وأعتمد توزيع المطلق عليهم، وتقسيمه فيهم على حسب ما يؤدى اجتهدك إليه، ويوففك نظرك عليه؛ وقرب من أرضيت طريقته، وأبعد من أنكرت قضيته؛ فقد وكل ذلك إليك، وعُدك بك من غير اعتراض فيه عليك؛ فمن قرأه أو قرئ عليه من الأمير المظفر والقاضى المكين - أدام الله تأييدهما - وكافة الحماة والمتصرفين، والعمال والمستخدمين؛ فليعتمد رعاية المدرسة المذكورة ومن آحتوت عليه من الطلبة وإعزازهم، والاشتغال عليهم، والاهتمام بمصالحهم، والتونخى على منافعهم؛ وليتل هذا المنشور على الكافة بالمسجد الجامع، وليخلد بهذه المدرسة حجة بما تضمنته، إن شاء الله عز وجل.



ومن ذلك سجل بولاية الحسبة من إنشاء القاضي الفاضل ، وهي :

مَنْ شَكَرْتَ خَلَاتُكُهُ ، وَتَهَدَّبْتَ طَرَاتُكُهُ ، وَأَمِنْتَ فِيمَا يَتَوَلَاهُ بَوَاتُكُهُ ؛ وَنِيَطَتْ
بِعُرَى الصَّوَابِ عِلَاقُكُهُ ، وَفُرِجَتْ بِسَدَادِهِ مَسَالِكُ الْإِشْكَالِ وَمَضَايِقُهُ ؛ وَأَسْتَحْوَى
مِنَ الْأَمَانَةِ قَرِينًا فِي التَّصَرُّفَاتِ يُرَافِقُهُ وَلَا يُفَارِقُهُ ، وَنَهَضَ إِلَى الْأَسْتَحْقَاقِ وَلَمْ تَعْقُهُ
دُونُهُ عَوَاقُكُهُ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ لِسَانُ الْإِخْتِبَارِ وَهُوَ صَحِيحُ الْقَوْلِ صَادِقُهُ - اسْتَوْجَبَ أَنْ
يُخَصَّصَ مِنْ كُلِّ قَوْلٍ بِأَجْمَلِهِ ، وَأَنْ يُعَانَ عَلَى نَيْلِ رَجَائِهِ وَبُلُوغِ أَمَلِهِ ؛ وَأَنْ يُقْتَدَحَ
زَنْدُ نَيْتِهِ لِيُرَى نُورُ عَمَلِهِ ، وَيُسَّرَّ إِلَى النِّجَاحِ مَتَوَعَّرَاتُ طُرُقِهِ وَمَشْكَلاتُ سُبُلِهِ ؛
وَأَنْ يُقَابَلَ جَرَيَانُهُ فِي الْوَلَايَةِ قَبْلَهُ فَيُظْهِرَ عَلَيْهِ أَثْرَ الْإِحْسَانِ فَيَكُونَ الشُّكْرُ مِنْ قَبْلِ
الْإِحْسَانِ لَأَمِنْ قَبْلَهُ ؛ وَيُورَدَ مِنْ مَوَارِدِ النِّجَاحِ مَا يَتَكَفَّلُ لَهُ بِالرِّىِّ مِنْ غُلَّةٍ ، وَيُوسَمَ
مِنْ مَيَاسِمِ الْأَصْطِنَاعِ مَا يَكُونُ حَلِيَّةَ أَوْصَالِهِ وَيُسْفَعُ سَدَادُ خِلَالِهِ فِي سَدِّ خَلَلِهِ .

ولما كنت أيها الشيخ المشتغل على ما تقدم ذكره ، المستكمل من الوصف
ما يوجب شكره ؛ الْآوَى إِلَى حِرْزٍ مِنَ الصِّيَانَةِ حَرِيْزٍ ، الْمُسْتَغْنَى بِغَنَائِهِ عَنِ الْاسْتِظْهَارِ
بِعِزَّةِ الْعَزِيزِ ؛ الْمُسْتَوْجِبَ إِلَى أَنْ يُعَدَّ مِنْ أَهْلِ التَّمْيِيزِ لِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ التَّمْيِيزِ ، الْمُسْتَوْعِبَ
مِنَ الْإِحْلَالِ الْجَمِيلَةِ مَا لَا يَقْتَضِيهِ الْقَوْلُ الْوَجِيزُ ؛ الْمَخْرَجَ مِنْ قَضَايَا الدَّنَايَا فَمَا يَسْتَبِيحُ
مَحْرَمَهَا وَلَا يَسْتَحِيزُ ، الْمَدْحَ فِي خِدْمِ كُلِّهَا أَخْلَصَتْهُ خَلَاصَ الذَّهَبِ الْإِبْرِيْزِ ، وَكَانَتْ لَهُ
مُضَامَرًا تَشْهَدُ لَهُ أَعْمَالُهُ [فِيهَا] بِالسَّبْقِ وَالتَّبَرُّزِ ، الْمَتَوَسِّلَ بِأَمَانَةٍ عَزَبَهَا جَنَابُهُ عَنِ
الشُّبْهَةِ وَوَجَدَانُهَا فِي النَّاسِ عَزِيزٌ - تَقَدَّمَ فَنِيْ مولانا السيد الأجل بِاسْتِخْدَامِكِ عَلَى

(١) العزوة بالكسر الاعتزاء . أى انه غنى بنفسه عن الاستظهار بالاعتزاء الى أحد . وفي الأصل بعزوة

الحسبة بمدينة كذا : فباشر أمرها مباشرة من يئذل في التقوى جهداً ، فلا يرى غيرها على ظملي ورداء ؛ ولا يراه الله حيث نهاه ، ولا يأمره أبداً وينهاه إلا نهاه ، ولا يرى ما كشفته إلا وهو عالم أن الله يراه ؛ وأنته فيها إلى ما يتهى إليه من بدل غاية وسعه ، ومن لا يرتد عن جرركه من عموم نفعه ؛ ومن يئذل بتهديب طباع الناس على طهارة طبعه ، ومن يستجزل حسن صنيع الله لديه بحسن صنعه ، ومن يستدعي منه بدل فضله بحظر ما أمر بحظره ومنعه . وأسلك فيما تستعمله من أمرها المذهب القصد والمنهج الأقوم ، واجتهد فيها اجتهد معتصم بحبل التقوى المتين وسببها المبرم . وأمنع أن يخلو رجل بامرأة ليست بذات محرم . وأستوضح أحوال المطاعم والمشارب ، وقوم كل من يخرج في شيء منها عن السنن الواجب . وعير المكاييل والموازين فهي آلات معاملات الناس ، واجتهد في سلامتك من الآثام بسلامتها من الإلباس والأدناس ؛ وحدّر أن تحمل دابة ما لا تطيق حمله ، وأدّب من يحجى إلى ذلك يتوشى فعله ؛ وأوعز بتنظيف الجوامع والمساجد لتتبر بالنظافة مسالكها ، كما تتبر بالإضاءة حواليكها ؛ ففي ذلك إظهار لهجتها وجمالها ، وإيثار لصياتها عن إخلاق نضرتها وأبتذالها ؛ ولا تمكن أحداً أن يحضرها إلا لصلاة أو ذكر ، قاطعا لسان الخصام وموقظا لعين الفكر ؛ فأما من يجعلها سوقاً للتجارة ، فقد حصل بهذه الجسارة على الخسارة ؛ فهي ميادين الضمر ، وموازين الرّجح في الظاهر من أعمالهم والمُضمر ؛ وما أحق لياليتها أن تقوم بها الهجد لا السمر ، وهل أذن الله أن تُرفع لغير اسمه أو تُعمر ؛ وأحظر أن يحضر الطرقات ما يمنع السلوك أو يوعره ، وأفعل في هذا الأمر ما يردع العابت ويزجره . وخذ النصارى واليهود والمخالفين بلبس الغيار وشد الزنار ، ففي ذلك إظهار لما في الإسلام من العزة وفي المخالفة من الصغار ؛ وإبانة بالشدة للتأهب للسير إلى النار ، وتفريق بين المؤمنين والكفار ؛ وأدّب من يكمل

مطلقاً، أو يَزِنَ متحيفاً ، أدباً يكون لمعاملته مزيّفاً ، وله من معاودة على فعله زاجراً
ومخوفاً ؛ فاعلم هذا وأعمل به ، إن شاء الله تعالى .



ومن المكتتب عن الوزير لأرباب الوظائف الديوانية سجلٌ بمشارفة الجوالى
بالصعيد الأدنى والأشْمُونين ، وهى :

مَنْ حُسِنَتْ آثارُهُ فيما يتولاه ، وأستعمل من الإِجتهاد مايدُلُّ على معرفته بقدر
ماتولاه ؛ كان أَعْمادُهُ بما يؤكِّد سببه ويُنجح قصده ويسطُ يده ، ويُهفُ حده
فيما يضمن مصالح خدمته ، وينظم أمرها في سلك إيثاره وبُغيته .

ولما كنت ^(١) لما نُدبت إلى مشارفة الجوالى بالصعيد الأدنى
والأشْمُونين قد أبنت عن الخبرة والدراية ، والأمانة والكفاية ، والانتصاب
للاستخراج والحباية ؛ والاجتهاد فى الوفاء بما كتبت به خطك ، والحرص على
ما يُجزل نصيبك من جميل الرأى وقسطك - تقدم فتى مولانا وسيدنا بكتب هذا
المنشور مضمناً شكرك وإحادك ، ومودعاً مايلفك فى الخدمة بُغيتك ومرادك ؛
وتجديد نظرك وتقوية يدك ، وإعزاز جانبك ؛ وتوخيك بما يشرح صدرك ،
ويُسّد أزرَكَ ، ويرفع موضعك ويُرِيح عِلَلَك ؛ ويقم هيبتك ويُفَسح مجالك ،
ويبلغك آمالك .

فاجر على رَسْمك فى هذه المشارفة وأستمر على عادة دُوبك ، وأجعل التقرب
بالنصيحة غاية مطلوبك ؛ وواصل الانتصاب لَاستخراج مالِ هذه الجوالى

(١) بياض بالأصل . ومراده "أيها الأمير" أو نحوه .

وَاسْتِنْضَاضُهُ وَاسْتِيفَائُهُ وَاسْتِنْظَاغُهُ ، وَتَمَادٍ فِي ذَلِكَ عَلَى سُنَّتِكَ الْحَمِيدَةِ ، وَطَرِيقَتِكَ
السَّيِّدَةِ ، وَتَقَى بِأَنَّ ذَلِكَ يُسْفِرُكَ عَنْ بُلُوغِ أَرَاغِيكَ ، وَيَضَاعِفُ سَهْمَكَ مِنْ حَسَنِ
الرَّأْيِ فِيكَ ؛ فَلْيَعْتَمِدِ الْأَمِيرَانُ مَعَاذَةَ الْمَذْكُورِ وَمُؤَازَرَتَهُ ، وَإِعَانَتَهُ وَمُظَافَرَتَهُ ؛
وِإِجَابَةَ نِدَائِهِ ، وَتَلْبِيَةَ دَعَائِهِ ؛ وَالشَّدَّ مِنْهُ فِي اسْتِخْرَاجِ الْبَوَاقِي مَعَ الْمَالِ الْحَاضِرِ :
لِيَجِدَ السَّبِيلَ إِلَى الْوَفَاءِ بِمَا شَرَطَهُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَكُتِبَ خَطُّهُ بِهِ ؛ وَالمُبَالِغَةُ فِي ذَلِكَ
مُبَالِغَةٌ يَعُودُ نَفْعُهَا عَلَى الدِّيَوَانِ ، وَيَشْهَدُ لَهَا بِبَذْلِ الطَّاقَةِ وَالْإِمْكَانِ ؛ فَلْيَعْلَمْ ذَلِكَ
وَلْيَعْمَلْ بِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .



وَمِنْ ذَلِكَ سَجَلٌ بِاسْتِيفَاءِ الْأَعْمَالِ الْقَبِيلَةِ ، وَهُوَ :

مِنْ كَرَمِ أَصْلِهِ وَتَحَنُّنِهِ ، وَحُسْنِ فِي الْوَلَاءِ ظَاهِرُهُ وَمَعْتَقَدُهُ ؛ وَلَقَنَّ الْمُخَالَصَةَ
عَنِ الْمَاضِينَ مِنْ أَسْلَافِهِ ، وَلَزِمَ فِي الْمُنَاصَحَةِ مَنَهِجًا لَمْ يَعْدِلْ عَنْهُ إِلَى خِلَافِهِ ، وَتَقَلَّلَ
فِي جَلَائِلِ الْخِدْمِ بِكَثْرَةِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَالتَّعْدِيدِ لِأَوْصَافِهِ ؛ وَكَانَ فِي كُلِّ مَا يَبَاسِرُهُ عَلَى
قَضِيَّةٍ تَشْهَدُ بِفَضْلِهِ ، وَتَدُلُّ مِنْ مَحَاسِنِ الْخُلَالِ عَلَى مَا لَا يَجْتَمِعُ إِلَّا فِي مِثْلِهِ ؛ عَلَى أَنَّهُ
قَلِيلُ النَّظَرَاءِ وَالْأَكْفَاءِ ، كَلَّفَ بِالْاِقْتِدَاءِ بِمَكَارِمِ الْأَفْعَالِ وَالْإِتِّبَاعِ لَهَا وَالْاِقْتِفَاءَ -
أَسْتَوْجِبُ أَنْ يُرْفَعَ مَكَانُهُ وَمَحَلُّهُ ، وَأَسْتَحِقُّ أَنْ يُجْمَلَ مِنْ أَعْبَاءِ الْمِهْمَاتِ مَا لَا يَنْهَضُ بِهِ
[إِلَّا] مِثْلُهُ ؛ وَصَلَحَ أَنْ يُجْعَلَ لَهَا يَرَاعِي أَمْرَهُ سَهْمًا مِنْ نَظَرِهِ فِيهِ ، وَأَنْ يَبْرَزَ مِنْ
تَوَلِيَّتِهِ إِيَّاهُ فِي مَلَبَسِ جَمَالٍ يُسَيِّغُهُ حَسَنُ التَّدْيِيرِ عَلَيْهِ وَيُضْفِيهِ .

وَلَمَّا كُنْتُ أَيُّهَا الشَّرِيفُ ، تَأَجَّجْتُ انْخِلَافَةَ ، عَضُدُ الْمَلِكِ ، صَنِيعَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،
مِنْ جِلَّةِ آلِ أَبِي طَالِبٍ ، وَالْمَوْفُورِ الْحَظِّ مِنَ الْمَآثِرِ وَالْمَنَاقِبِ ؛ وَلَكِ مَعَ تَسَبُّكِ
الشَّرِيفِ مِيزَةُ بَيْتِكَ فِي الدَّوْلَةِ الْعُلُويَّةِ - خَلَدَ اللَّهُ مَلَكُهَا - وَتَقَدَّمَهُ ، وَأَسْتَقْرَأُكَ

بِحُجَّةٍ مِنَ السَّاءِ لَا يَضَائِقُهُ أَحَدٌ مِنْ طَبَقَتِكَ فِيهَا وَلَا يَزَحُمُهُ ؛ وَقَدْ تَوَلَّيْتَ أُمُورًا جَلِيلَةً
فَكُنْتَ عَلَيْهَا الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ، وَأَهْلَتْ لِمَنَازِلِ سَنِيَّةٍ فَأَوْضَحْتَ لَكَ الْإِثْرَ الْحَسَنَ وَأَظْهَرْتَ
مِنْكَ الْجَوْهَرَ الثَّمِينُ ؛ وَلَمْ تَنْتَقِلْ قَطُّ مِنْ شَيْءٍ تَتَوَلَّاهُ ، إِلَى غَيْرِهِ مِمَّا تُسْتَحْفَظُهُ
وَتُسْتَكْفَاهُ ، إِلَّا كَانَ الْأَوَّلُ عَلَيْكَ يَتَلَهَّفُ ، وَالثَّانِي إِلَيْكَ يَتَطَلَّعُ وَنَحْوَكَ يَتَشَوَّفُ ؛
وَمَا بَرِحْتَ مَلْتَمَسًا مِنَ الرُّتَبِ الْخَطِيرَةِ مَخْطُوبًا : لِأَنَّ الْأَسْبَابَ الَّتِي غَدَتْ فِي غَيْرِكَ
مُتَشَتِّتَةٌ مُتَفَرِّقَةٌ ، قَدْ أُلْفِيَتْ عِنْدَكَ مَجْتَمِعَةٌ مُتَأَلِّفَةٌ مُتَّسِقَةٌ ؛ فَلَكَ النَّزَاهَةُ السَّابِقَةُ بِكَ
كُلٌّ مِنْ يَحَارِيكَ ، وَالْوَجَاهَةُ الرَّافِعَةُ قَدَرَكَ عَلَى مِنْ يُنَاوِيكَ ؛ وَالْأَمَانَةُ الَّتِي يَشْهَدُ لَكَ
بِهَا مِنْ لَا يُحَارِيكَ ، وَالِدِيَانَةُ الَّتِي حُرَّتْهَا عَنِ الشَّرِيفِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ أَيْبِكَ - تَقْدَمُ قَتَى
مَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا بِالتَّعْوِيلِ عَلَيْكَ فِي تَوَلَّى دِيَوَانَ الْأَسْتِيفَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ الْقَبْلِيَّةِ وَمَا جُمِعَ
إِلَيْهِ ، الَّذِي هُوَ مِنْ أَجْلِ الدَّوَاوِينِ قَدَرًا ، وَأَنْبَهَاهُ ذِكْرًا ، وَأَرْفَعِيهَا شَانًا ، وَأَشْمَحِيهَا
مَكَانًا ؛ وَنَرَجُ أَمْرَهُ بِكُتُبِ هَذَا التَّقْلِيدِ لَكَ ؛ فَبَاشِرُ ذَلِكَ مُتَقِيًّا لِلَّهِ تَعَالَى فِيهِ ،
جَارِيًا عَلَى مَرَاقِبَةٍ عَادَتْكَ الَّتِي تُزَلِّفُ فَاعِلَهَا وَتُحْطِئُهُ ؛ فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ إِرْشَادًا لِعِبَادِهِ
وَتَفْهِيمًا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ .

وَتَبَتَّلَ إِلَى عِمَارَةِ الْأَعْمَالِ ، وَتَرَجَّحَ الِارْتِفَاعِ وَاسْتَخْرَاجِ الْأَمْوَالِ ؛ وَأَعْتَمَدَ
مُواصَلَةَ الْحَدِّ وَالتَّشْمِيرِ ، وَأَعْكُفَ عَلَى الْأَجْتِهَادِ الَّذِي يَشْهَدُ لَكَ بِقَلَّةِ الشَّبِيهِ وَعَدَمِ
النَّظِيرِ ؛ وَاسْتَنْظَفَ الْبَوَاقِيَّ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ وَالْأَمَّا كُنْ ، وَكُنْ عَلَى ضَبْطِ مَا اسْتَخْرَجَ
وَصَوْنِهِ أَحَقَّظَ لَهُ مِنَ الْخِزَائِنِ ؛ وَأَنْظُرْ فِي أَمْرِ الْكُتَّابِ نَظْرًا مِنْ يَكْشِفُ عَنْ جَمِيعِ
أَسْبَابِهِمْ ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ الْمَخَاطَبُ عَلَى خَطِّهِمْ وَصَوَائِهِمْ ؛ وَخُذْهُمْ بِمُلَازِمَةِ الْأَشْغَالِ ،
وَالْمُواظَبَةِ عَلَى التَّنْفِيزِ وَعَلَى اسْتِيفَاءِ الْأَعْمَالِ ؛ وَلَا تُسَوِّغْ لِنَاصِمٍ وَلَا عَامِلٍ أَنْ
يُضْجَعَ فِي الْعِمَارَةِ ، وَلَا أَنْ يَمَاطِلَ بِهَا مِنْ سَاعَةٍ إِلَى سَاعَةٍ فَإِنْ فَاثَتْ ذَلِكَ لَا يُلَاحِقُ ،

وفارطه لا يُدرك ؛ وقد أزيحت علَّتْكَ بسط يدك وإنفاذ قولك وإمضاء حكك ؛
فتماد على سُنَّتِكَ واستمر على رُسْمِكَ ؛ وأعلم هذا وأعمل به ، وطالع بما تحتاج إلى
المطالعة بمثلِه ؛ إن شاء الله تعالى .



سجل بمباشرة الأغنام والمطابخ .

لما كانت الأمانة كافلةً بالنويه لأربابها ، والكفاية سافرةً في التميز لمن يتعلق
بأسبابها ، والخبرة خلة لا يليق التصرف ولا يحسن إلا بها ؛ وكنت أيها القاضي
مشهور النفاذ والمعرفة ، خليقاً إذا ذكر المرشَّحون للمهمات بأجل صفه ؛ وقد علَّمتُ
نباهتك ، واستقرت نزاهتك ؛ وحسن فيما تتولاه أثرُك ، وطاب فيما تباشره خبرُك .
وحين عُدت بك الخدم فيما يستدعى ويُبتاع من الأغنام برسم المطابخ السعيدة
وما يُنفق ويُطلق منها ، متصرفاً في ذلك بين يدي المخلص السديد صفى الملك
مأمون الدولة أبي الحسن : فرج الحافظي أدام الله تأييده ؛ فشكر سعيك ، وأحمد
قصدك ، ورضي أجهادك ، واستوفى اعتمادك - تهّدم فتي مولانا وسيدنا فلان
بكتب هذا المنشور لك ، مضمناً ما يقضى بشد أزرك ، وشرح صدرِكَ ، وتقوية
مُتِّكَ ، وإرهاق عَزَمِكَ في خدمتك ؛ واعتمادك بما يؤدى إلى استقامة الأمر
فيما عُدق بك ، ومساعدتك ومعاضدتك ومعونتك في أسبابك ؛ وتبليغك أقصى
طَلابِكَ ، والأمران يعتمدان رعايتك ، والشدّ منك وإعانتك ، والمحافظة على مصالح
أمرِكَ والتولية لدعوتك ، وتوفير حظك من الملاحظة لشؤونك . فلتعلم هذا
ولتعمل به ، إن شاء الله تعالى .



ومن ذلك نسخة منشور بمشارفة المواريث الحشرية ، والفروض الحُكمية ،
وهي :

منشورٌ تقدّم بكتبه قتيّ مولانا وسيدنا السيّد الأجل الأفاضل لك أيها القاضي
الرّشيد ، سيّد الدولة ، أبو الفتوح محمد بن القاضي السعيد عين الدولة أبي محمد
عبد الله بن أبي عقيل - أدام الله عزك - لما أشتهرت كفايتك أشتهار الشمس ،
وأمنت أمانتكَ دخولَ الشبهة واللبس ، وسلكتَ مذهبَ أسلافك في العقاف
والنزاهة وظلّف النفس ؛ وظلّت آثارُك فيما تتولاه شاهدة بديانتك ، وأفعالك فيما
تُسكّفه معربة عن نباهتك ؛ وسيرتُك فيما تتكلفه منتهية بك إلى أقصى أمد
الاحتياط مُفضية ، وقد أضحي سبيل تقديمك مُعبداً مذكّلاً ، وغدوت لما يُناسب
كريم بيتك مرشّحاً مؤهّلاً ؛ وإنما إبقاؤك على ما بيدك لتكمل إصلاحه وتهذيبه ،
وثمّ تثقيفه وترتيبه ؛ ولذلك كتب هذا المنشورُ مقصوراً على إقرارك على ما أنت
متولّيه من الخدمة في مشارفة المواريث الحشرية ، وتقرير الفروض الحُكمية .

فاجر على رَسْمك وعادتكَ ، واستمرّ على منْهَجك في بذل استِطاعتك ؛ وألزم المَعهودَ
منك فإنه مُغني عن الاستِراذه ، وتمادَ على ما أتيت فيه على البُغية والإرادة ؛ وأكتفِ
بما تضمّنته التذكرة الديوانية المعمولة لهذه الخدمة ، وحافظ من الاجتهاد على
ما يجتدّد لك كلّ وقت ملبّس نعمه ؛ فاعلمْ هذا وأعملْ به ، وليُنسخ هذا المنشور
بحيث يُنسخ مثله ؛ إن شاء الله تعالى .



ومن ذلك نسخة منشور بعمالة، وهى :

عند ما وُصفت به من آجتِهَادٍ ومناصحه ، وأمانةٍ ليس فيها مساهلةٌ ولا مسامحة ؛
ومخالصةٍ استمرت فيها القضية المستقيمة الواضحة ، وكفايةٍ تمسكت منها بالسبب
الوثيق وحصلت على الصَّفقةِ الرابعه ؛ ومعاملةٍ تحرّيت فيها نهج من حُبِّ إليه
الأعمال الصالحة ، وكفايةٍ إذا باشرت الدَّهْمَة الكالحة أبدلتها بالْعُزَّة الواضحة ، وسُمعةٍ
ما برحت الألسن لذخائر ثنائها مبيحةً ولسرائر أسبابها بأئحه ؛ وإنك إذا أهلت لخدمة
جعلتها لشُكرك لسانا ، وليكتاب كفايتك عُنوانا ؛ ومن كان بها ملما (؟) إذا رأته
دواءه كان مستعارا بك أحيانا .

فَاعْتَمَدَ فِي هَذِهِ الْخِدْمَةِ مَا يَحَقِّقُ بِكَ ظَنَّا ، وَيَقِيْمُ لَكَ وَزَنًا ، وَيُسَدِّدُ بِكَ رُكْنًا
وَيُضَاعِفُ لَدَيْكَ مَنَّا ، وَيُنِيلُكَ مِنَ الْإِحْسَانِ مَا تَحْتَقِي ، وَيُسْنِي لَكَ مِنَ الزِّيَادَةِ
وَالْحَسَنِي ، وَيَتَوَكَّلُ فِي اقْتِضَاءِ الْحِظِّ الْجَزِيلِ الْأُسْنَى ؛ وَاسْتَرْفِعَ (؟) الْحُسْبَانَاتِ الَّتِي
مَا يَلْزِمُ رَفْعُهَا ، وَيُحْفَظُ بِهِ شَرْطُ الْكِفَايَةِ وَوَضْعُهَا ؛ وَأَكْشَفَ وَلَا تُبْقِ مِمَّا كَانَتْ حَتَّى
تَكْشِفَهُ ثُمَّ اسْتَثْنَيْتَهُ ، وَحَاصِلُ بِهِ أَصْلُهُ ثُمَّ تَجَلَّه ؛ وَحَاقِقُ الْجَهَادِ عَلَى مَا نَجَرْتُ بِهِ
الْبَرَآت ، وَرُفِعَتْ بِهِ الْخَلَمَات ؛ وَلَا تُخْلِ وَصُولًا ، مِنْ أَنْ تَكُونَ بِخَطِّكَ مَوْصُولًا ؛
وَأَسْتَخْرِجَ حُقُوقَ الدِّيَّانِ عَلَى مَا مَضَتْ بِهِ مَوَاضِي سُنَنِهِ ، وَخُذْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
فِي خِدْمَتِكَ بِأَحْسَنِهِ ، وَأَنْزِلْ نَفْسَكَ مِنْ شَعْوَنِ السَّنَةِ بِأَمْنٍ ظِلٍّ وَأَحْصَيْنِهِ ؛
وَأَحْمِلِ التَّجَارَ وَالسُّفَارَ عَلَى عَوَائِدِ الْعَدْلِ وَشَرَائِطِهِ ، وَقَضَايَا الصُّوْبِ وَحَوَائِطِهِ ؛
وَشَوَاهِدِ الدِّيَّانِ وَضَرَائِبِهِ ، وَلَا تَتَعَدَّ فِيهِمْ مَأْلُوفَ مَطَالِبِهِ ؛ وَأَنْظُرْ فِي الْأَمْلاَكِ

السلطانية نظراً يصلح معتلها، ويصحح محتلها؛ ويوفر أجرها، ويُرْجى غيرها؛ وكذلك الأجباس والأحكام والموارث : لحافظ على حفظ استغلاها، وكف كَف من يرى باستباحة أمر الحرمة واستحلالها؛ وقد وردت لك من الديوان تذكرة فاهتد بمنظومها، وأتد بمرسومها؛ ولك من الآراء ما يشهد عزمك، وينفذ حكمك؛ ويسنى موردك، ويعلى يدك؛ ويمثل الرعاية فيك، ويقيم على أن تكفى الديوان بما يكفيك؛ والسلام .

تم الجزء العاشر . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الحادى عشر

واذله الفصل الثالث

(من الباب الرابع من المقالة الخامسة)

والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

وآله وصحبه والتابعين ، وسلامه

وحسبنا الله ونعم الوكيل

فهرس

الجزء العاشر

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندي

صفحة

- الوجه الخامس - فيما يكتب في ألقاب الملوك عن الخلفاء ،
وهو نمطان ٥
- النمط الأول - ما كان يكتب في قديم الزمن ٥
- » الثاني - ما يكتب به لملوك الزمان ٦
- الوجه السادس - فيما يكتب في متن العهود، وفيه ثلاثة (خمسة)
مذاهب ٨
- المذهب الأول - أن يفتح العهد بلفظ «هذا» ، وللكتاب فيه طريقتان
الطريقة الأولى - أن لا يأتي بتحميد في أثناء العهد في خطبة ولا غيرها أنح ٨
- » الثانية - أن يأتي في أثناء العهد بخطبة أو تحميد ٤٦
- المذهب الثاني - أن يفتح العهد بلفظ « من فلان » باسم الخليفة
وكنيته ولقب الخلافة « إلى فلان » بأسم السلطان
وكنيته ولقب السلطنة ٧٥
- » الثالث - أن يفتح العهد بخطبة ٩٨
- » الرابع - « » « بقوله » أما بعد فالحمد لله « أو
«أما بعد فإن أمير المؤمنين» أو «أما بعد فإن كذا» ١٣٥
- » الخامس - أن يفتح العهد بـ«إن أولى ما كان كذا» ونحوه ... ١٤٥
- الوجه السابع - فيما يكتب في مستند عهد السلطان عن الخليفة،
وما يكتبه الخليفة في بيت العلامة، وما يكتب
في نسخة العهد من الشهادة أو ما يقوم مقامها ... ١٥٢
- » الثامن - في قطع الورق الذي تكتب فيه عهود الملوك عن
الخلفاء، والقلم الذي يكتب به ، وكيفية كتابتها ،
وصورة وضعها في الورق ١٥٣

صفحة

النوع الثالث - من العهود - عهود الملوك لولاة العهد بالملك ، وفيه

سبعة أوجه ١٥٨

الوجه الأول - في بيان صحة ذلك ١٥٨

» الثاني - فيما يكتب في الطرة ١٥٩

» الثالث - في الألقاب التي تكتب في أثناء العهد ١٥٩

» الرابع - ما يكتب في المستند ١٦٠

» الخامس - ما يكتب في متن العهد ١٦٠

» السادس - فيما يكتب في مستند عهد ولي العهد بالسلطنة ،

وما يكتبه السلطان في بيت العلامة ، وما يكتب

في ذيل العهد ١٧٧

» السابع - في قطع ورق هذا العهد ، وقلمه الذي يكتب به ،

وكيفية كتابته ، وصورة وضعه في الورق ، ١٧٨

النوع الرابع - من العهود - عهود الملوك بالسلطنة للملوك المنفردين

بصغار البلدان ؛ وفيه أربعة أوجه ١٨١

الوجه الأول - في بيان أصل ذلك وأول حدوثه في هذه المملكة

إلى حين زواله عنها ١٨١

» الثاني - في بيان ما يكتب في العهد ، وهو على ضربين ... ١٨٣

الضرب الأول - ما يكتب في الطرة ، وهو تلخيص ما يشتمل عليه

العهد (ولم يذكر الضرب الثاني) ١٨٣

الوجه الثالث - فيما يكتب في المستند عن السلطان في هذا العهد ،

وما يكتبه السلطان في بيت العلامة ١٨٨

صفحة

- الوجه الرابع - في قطع ورق هذا العهد، وقلمه الذي يكتب به،
وكيفية الكتابة، وصورة وضعها في الورق ... ١٨٨
- الباب الرابع - من المقالة الخامسة في الولايات الصادرة عن الخلفاء
لأرباب المناصب من أصحاب السيوف والأقلام،
وفيه ثلاثة فصول... ١٩٢
- الفصل الأول - فيما كان يكتب من ذلك عن الخلفاء، وفيه خمسة
أطراف ... ١٩٢
- الطرف الأول - فيما كان يكتب عن الخلفاء الراشدين ... ١٩٢
- » الثاني - » » عن خلفاء بني أمية ... ١٩٥
- » الثالث - » » » بنى العباس ببغداد إلى
حين أنقراض الخلافة العباسية من بغداد ،
وهو على أربعة أنواع... ٢٣٣
- النوع الأول - ما كان يكتب لوزراء الخلافة... ٢٣٣
- » الثاني - مما كان يكتب لأرباب الوظائف من ديوان
الخلافة ببغداد - ما كان يكتب لأرباب الوظائف
من أصحاب السيوف، وهو على ضربين ... ٢٤٢
- الضرب الأول - اليهود ... ٢٤٢
- » الثاني - مما يكتب من ديوان الخلافة لأرباب
السيوف - التقاليد... ٢٦٢
- النوع الثالث - مما كان يكتب لأرباب الوظائف من ديوان
الخلافة ببغداد - ما كان يكتب لأرباب الوظائف
ببغداد من أصحاب الأقلام، وهى على ضربين ... ٢٦٣

صفحة

الضرب الأول - العهد ٢٦٤

» الثاني - مما كان يكتب بديوان الخلافة ببغداد لأرباب

الوظائف من أصحاب الأقلام - التواريخ ... ٢٩٢

النوع الرابع - مما كان يكتب من ديوان الخلافة ببغداد -

ما كان يكتب لرعاة أهل الذمة ٢٩٤

الطرف الرابع - فيما كان يكتب عن مدعى الخلافة ببلاد المغرب

والأندلس، ولذلك حالتان ٢٩٩

الحالة الأولى - ما كان الأمر عليه في الزمن القديم (ولم يذكر

الحالة الثانية) ٢٩٩

الطرف الخامس - فيما كان عليه الأمر في الدولة الفاطمية بالديار

المصرية، وهو على نوعين ٣٠٨

النوع الأول - ما كان يكتب به عن الخليفة نفسه، ولهم فيها

أربعة مذاهب ٣٠٨

المذهب الأول - أن يفتح ما يكتب في الولاية بالتصدير، وهو على

ثلاث مراتب ٣٠٩

المرتبة الأولى - أن يقال بعد التصدير المقدم « أما بعد فالحمد لله »

وهي على ضربين ٣٠٩

الضرب الأول - سجلات أرباب السيوف (ولم يترجم للضرب

الثاني) ٣١٠

المرتبة الثانية - أن يفتح السجل بالتصدير إلى آخر التصليية ثم يؤتى

بالتحميد مرة واحدة ٣٣٨

صفحة

- المرتبة الثالثة — أن يفتح بالتصدير أيضا إلى آخر التصلية ثم يؤتى
 بالبعدية من غير تمجيد ... ٣٦٠ ...
 المذهب الثاني — أن يفتح ما يكتب في الولاية بلفظ «هذا ما عهد
 عبد الله ووليه الخ» ... ٣٨٤ ...
 « الثالث — أن يفتح ما يكتب في الولايات بخطبة مبتدأة
 بـ«الحمد لله» ... ٣٨٩ ...
 « الرابع — مرتبة الأصاغر من أرباب السيوف والأقلام ... ٤٣٩ ...
 النوع الثاني — ما كان يكتب عن الوزير ... ٤٤٦ ...

(تم فهرس الجزء العاشر من كتاب صبح الأعشى)